هاري بوتر

والأمير الهجين

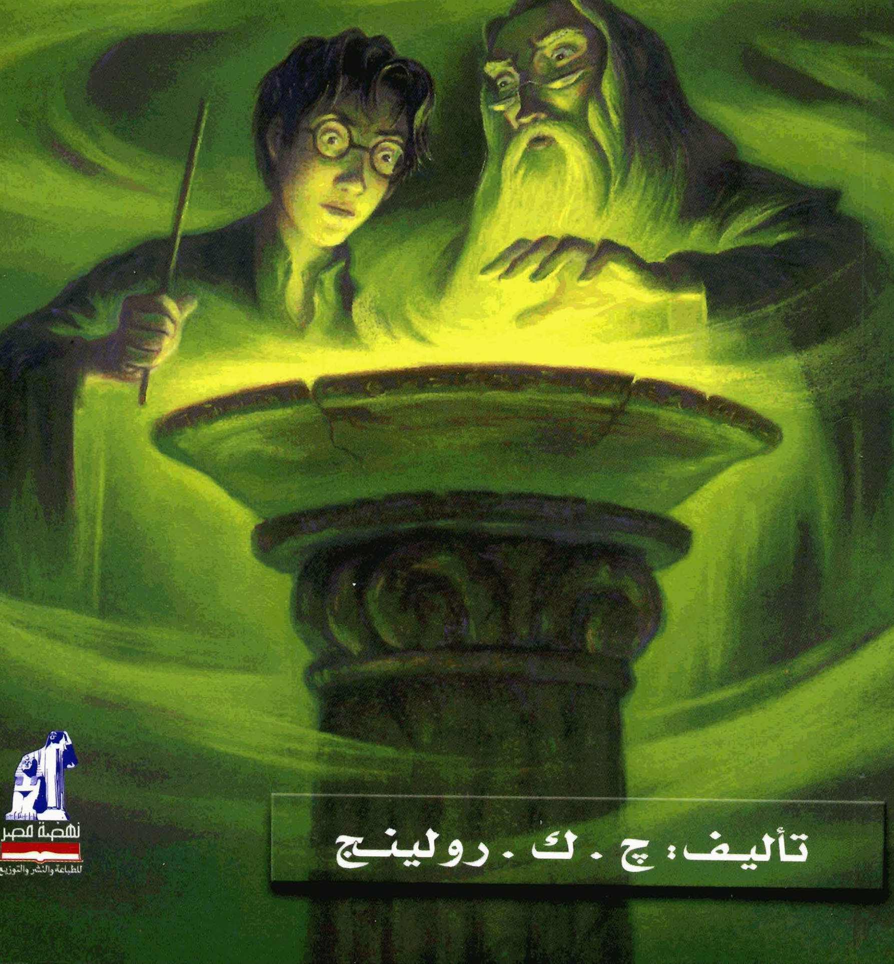

تأليف: ج . ك . رولينج

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

هاري بوتر
والأمير الهجين

تأليف : ج.ك.رولينج

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: هارى بوتر والأمير الهجين

Harry Potter and The Half-Blood Prince

تأليف: ج.ك رولينج

ترجمة: د .عبد الوهاب علوب

مراجعة: سحر جبر محمود

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: Harry Potter and The Half-Blood Prince

Copyright © 2005 J.K. Rowling.

Harry Potter, characters, names and related indicia are trademarks of and © Warner Bros. Entertainment Inc. s 08. All rights reserved.

Published by arrangement with J.K. Rowling c/o Christopher Little Agency,
10 Eel Brook Studios, 125 Moore Park Road, London SW6 4PS, UK

ترجمة قصة Harry Potter and The Half-Blood Prince

تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

بترخيص من J.K. Rowling c/o Christopher Little Agency

يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية وسيلة من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

الترقيم الدولى: 9-3300-14-977 | رقم الإيداع: 2005/19944 | الطبعة 6 : إبريل 2009

الإدارة العامة :
21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02

المركز الرئيسى :
80 المنطقة الصناعية الرابعة - 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 38330289 02
فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع :
18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25909827 - 25908895 02
فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية :
408 طريق الحرية . رشدى
تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة :
13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 2221866 050

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com
rights@nahdetmisr.com

١ الوزير الآخر

كان الوقت يقترب من منتصف الليل و(رئيس الوزراء) يجلس فى مكتبه وحيدًا، يقرأ مذكرة طويلة تنساب كلماتها عبر عقله دون أن تخلف وراءها أثرًا يذكر من المعنى، وكان فى انتظار مكالمة تليفونية من رئيس دولة بعيدة وعقله مشغول بالتساؤل عن الموعد الذى سيتصل فيه ذلك الرجل البائس، فضلاً عن محاولته كبت الذكريات المزعجة لأسبوع كان صعبًا ومتعبًا وطويلاً جدًّا؛ مما لم يترك فى رأسه مكانًا لأى شىء آخر، وكان كلما حاول التركيز على الكلمات المطبوعة فى الصفحة التى أمامه، أمكنه ذلك أن يرى بوضوح أكثر الوجه الشامت لأحد خصومه السياسيين الذى ظهر فى نشرة أخبار ذلك اليوم، ليس فقط ليعدد كل الأشياء الفظيعة التى حدثت خلال الأسبوع الماضى ـ كأن أى واحد يحتاج إلى التذكرة!! ـ ولكن ليفسر لماذا كانت الحكومة مسئولة عن كل حدث منها.

خفق قلب (رئيس الوزراء) بشدة عندما فكر فى تلك الاتهامات؛ فلم يكن أىٌّ منها عادلاً أو حقيقيًّا، فكيف كان يمكن لحكومته بأية حال من الأحوال أن تمنع انهيار ذلك الجسر؟ ومن الظلم أن يقول أى شخص إن الحكومة لم تكن تنفق قدرًا كافيًا من المال على الجسور، فقد كان عمر هذا الجسر أقل من عشر سنوات، ولم يستطع أفضل المتخصصين الوصول إلى سبب انفلاقه إلى جزءين بهذه البساطة مسببًا سقوط اثنتى عشرة سيارة إلى أعماق ماء النهر أسفله، وكيف يجرؤ أى شخص على أن يشير إلى أن قلة عدد أفراد الشرطة كانت سببًا فى حدوث جريمتى القتل

المفزعتين اللتين تصدرت أخبارهما الصحف، أو أن الحكومة، بشكل ما، كان يجب أن تتنبأ بالإعصار غير المعهود الذى ضرب مقاطعة (وست كانترى) وأحدث الكثير من الخسائر فى كلٍّ من الأرواح والممتلكات؟ وهل كان خطؤه هو الشخصى أن (هربرت كورلى)، أحد وزرائه، قد اختار هذا الأسبوع بالذات ليتصرف بغرابة حتى أنه سيذهب الآن لقضاء وقت أطول جدًّا مع عائلته؟ وأنهى خصمه حديثه وهو لا يكاد يخفى ابتسامته العريضة قائلاً: «لقد سادت البلاد حالة من الكآبة والحزن».

وللأسف، كان ذلك صحيحًا تمامًا، وقد استشعره (رئيس الوزراء) بنفسه، فبالفعل قد أصبح الناس أكثر بؤسًا من المعتاد، وحتى الطقس أضحى كئيبًا، كل ذلك الضباب البارد فى منتصف شهر يوليو.. لم يكن الوضع صحيحًا، لم يكن طبيعيًّا.

قلب (رئيس الوزراء) الصفحة الثانية من المذكرة؛ ليرى كم يبلغ طولها، وشعر بأنها مهمة ثقيلة فتخلَّى عن إكمال قراءتها ومطَّ ذراعيه فوق رأسه وأدار بصره فى أنحاء حجرة مكتبه بحزن؛ كانت حجرة جميلة، بها مدفأة رخامية أنيقة تواجهها نوافذ عريضة بإطارات منزلقة تم غلقها بإحكام فى وجه البرودة غير المألوفة، وارتجف (رئيس الوزراء) رجفة خفيفة وهو يقف ليتجه إلى النوافذ، ونظر عبرها إلى الضباب الذى تكثف على الزجاج، وفى هذه اللحظة بينما يقف وظهره إلى الغرفة، سمع صوت سعال خفيف خلفه. فتجمد وهو ينظر إلى انعكاس وجهه المرعوب على الزجاج المظلم أمامه، فقد عرف هذا السعال؛ لقد سمعه من قبل والتفت ببطء شديد ليواجه الغرفة الخالية.

قال: «مرحبًا»، وهو يحاول أن يبدو أكثر شجاعة مما يشعر به فى الحقيقة.

وللحظة، منَّى نفسه بالأمل المستحيل أن لا أحد سيجيبه، إلا أن صوتًا أجابه على الفور؛ صوتًا حادًّا حازمًا بدا وكأنه يقرأ بيانًا مُعَدًّا مسبقًا،

كان مصدر الصوت ـ تمامًا كما أدركه (رئيس الوزراء) منذ بدأ السعال ـ هو الجنى الذى يشبه الضفدع، ذا الشعر المستعار الفضى الطويل المرسوم فى اللوحة الزيتية الصغيرة ذات الألوان الداكنة، المعلقة فى الركن البعيد من الغرفة.

نظر الرجل المرسوم فى اللوحة إلى (رئيس الوزراء) نظرة متسائلة وهو يقول: «إلى رئيس وزراء العامة، يجب أن نلتقى عاجلاً. برجاء الرد فورًا. مع خالص تحياتى، المخلص (فودج)».

قال (رئيس الوزراءِ) بتردد: «اسمع.. إن الوقت ليس مناسبًا بالنسبة لى.. فأنا فى انتظار مكالمة تليفونية ـ أتعرف؟ مِن رئيس....».

قالت اللوحة على الفور: «يمكن إعادة ترتيب الأمر». انقبض قلب (رئيس الوزراء)؛ فقد كان خائفًا من ذلك.

«ولكننى فى الواقع كنت أتطلع إلى أن أتكلم».

قال الجنى: «سوف نرتبِ الأمر بحيث ينسى الرئيس أن يحادثك الليلة وسوف يطلبك مساء غدٍ بدلاً من اليوم. برجاء الرد على السيد (فودج) فورًا».

قال (رئيس الوزراء) بصوت ضعيف: «أنا... حسنًا... لا مانع... نعم، سأقابل السيد (فودج)».

أسرع (رئيس الوزراء) عائدًا إلى مكتبه بينما كان يسوِّى ربطة عنقه، وجلس فى مقعده، ورسم على وجهه تعبيرًا أمِلَ به أن يبدو مرتاحًا غير منزعج عندما اشتعلت فى الموقد الخالى أسفل رف المدفأة الرخامى ألسنة لهب خضراء متألقة. جلس (رئيس الوزراء) ينظر إلى المدفأة، ويراقب ما يحدث محاولاً ألا يبدى أى اختلاجة تدل على الدهشة أو الذعر عندما ظهر رجل بدين يدور داخل اللهب بسرعة كبيرة. وبعد ثوان، خرج الرجل من المدفأة ووقف فوق البساط الأثرى البديع، بينما ينفض الرماد عن أكمام عباءته المخططة الطويلة ويمسك فى يده قبعة مستديرة لونها أخضر ليمونى.

قال (كورنيليوس فودج) بينما يخطو بخطوات واسعة ويده ممدودة إلى الأمام: «آه.. (رئيس الوزراء)، من الرائع أن أراك مجددًا».

لم يرد (رئيس الوزراء) على مجاملة (فودج)، فلم يكن يشعر بأدنى قدر من الارتياح لرؤيته، وكان ظهوره العرضى من وقت لآخر ـ بغض النظر عن كونه مفزعًا فى حد ذاته ـ يعنى أنه على وشك سماع أخبار سيئة، وكان (فودج) يبدو أقل بدانة وأكثر صلعًا، وشعره رمادىٌّ أكثر من ذى قبل،وقد بدا القلق واضحًا على ملامح وجهه المتجهمة، وقد سبق لـ(رئيس الوزراء) رؤية تلك الهيئة على وجوه سياسيين آخرين من قبل ويعلم أنها لا تبشر بخير.

صافح (رئيس الوزراء) (فودج) للحظة قصيرة، ثم أشار إلى أقرب الكراسى من مكتبه وهو يسأله: «كيف يمكننى أن أساعدك؟».

شد (فودج) الكرسى وجلس عليه ووضع قبعته الخضراء على ركبته وهو يتمتم: «لا أعرف من أين أبدأ... يا له من أسبوع... يا له من أسبوع!».

سأل (رئيس الوزراء) وهو يأمل أن يفهم (فودج) أن لديه ما يكفيه من المتاعب بالفعل ولا يرغب فى سماع المزيد: «هل كان أسبوعك سيئًا أنت أيضًا؟».

قال (فودج) بينما يمسح عينيه بتعب: «نعم بالطبع»، ثم نظر بتجهم إلى (رئيس الوزراء) وأضاف: «لقد مررت بنفس الأسبوع الذى مررت به أنت؛(جسر بروكديل).. جريمتى قتل (بونس وفانسى).. إعصار (وست كانترى)».

«هل كنتم... كان... أقصد: هل كان بعض أفراد جماعتك متورطين فى هذه الأحداث؟».

نظر (فودج) نظرة تعنيف إلى (رئيس الوزراء) وقال: «أليس الأمر واضحًا؟ كيف يمكنك ألاَّ تدرك ذلك؟».

أجاب (رئيس الوزراء) بتردد: «أنا...».

كان هذا الأسلوب من المعاملة ـ تحديدًا ـ هو الذى يجعله يكره زيارات (فودج) بشدة، فهو فى النهاية (رئيس الوزراء) ويجب ألا يعامله أحدهم كأنه ولد صغير عديم الخبرة، ولكن الأمر كان دائمًا على هذه الحال منذ أول لقاء له مع (فودج) فى أول ليلة له كرئيس للوزراء، وهو يذكر تلك الليلة كأنها حدثت أمس ويعلم أنه لن ينساها حتى يوم مماته.

كان يقف وحيدًا فى هذه الحجرة نفسها مستمتعًا بالنصر الذى وصل إليه بعد سنوات طويلة من التخطيط والتمنى، عندما سمع صوت سعال خلفه، تمامًا مثلما حدث تلك الليلة والتفت ليرى تلك اللوحة الصغيرة القبيحة تتحدث إليه معلنة أن وزير السحر على وشك الوصول ليقدم نفسه.

كان من الطبيعى أن يظن بنفسه الجنون بسبب الحملة الانتخابية الطويلة وإرهاق الانتخابات، وكان مرعوبًا ـ بكل ما تحتويه الكلمة من معنى ـ عندما وجد تلك اللوحة تتحدث إليه، إلا أن ذلك لم يكن شيئًا مقارنة بما شعر به عندما وثب شخص من المدفأة وصافحه بينما يعرِّف نفسه إليه بأنه ساحر، حيث ظل صامتًا بينما يشرح له (فودج) بلطف أن هناك سحرة وساحرات مازالوا يعيشون فى كل أنحاء العالم دون أن يعلم عنهم أحد شيئًا، ثم أكد له أنه لا يحتاج لأن يقلق نفسه بشأنهم؛ لأن وزير السحر يحمل على عاتقه مسئولية مجتمع السحر بأكمله، فضلاً عن منع خبر وجود هذا المجتمع ـ من التسرب إلى العامة. وشرح له (فودج) كيف أن هذه الوظيفة شاقة وتتضمن كل شىء بداية من وضع قواعد كيفية استخدام عصا المكانس وحتى إبقاء التنينات تحت السيطرة الدائمة، وتذكّر (رئيس الوزراء) أنه قبض على مكتبه ليستند عليه عند هذه النقطة، وعندها ربّت (فودج) بطريقة أبوية على كتف (رئيس الوزراء) الذى لم يكن قد أفاق من الصدمة بعد.

قال (فودج): «لا تقلق، من الأرجح ألاَّ ترانى مرة أخرى، لن أزعجك إلا إذا كان هناك شىء خطير فعلاً يحدث عندنا؛ شىء يمكن أن يؤثر على

العامّة، أو مجتمع غير السحرة بمعنى أصح، أما بخلاف ذلك فسيظل كل منا فى حاله ويجب أن أقول لك إنك تتقبل الأمر بشكل أفضل ممن سبقك، فقد حاول أن يرمى بى من النافذة عندما فكر فى أننى حيلة دبرتها المعارضة ضده».

وهنا وجد (رئيس الوزراء) صوته أخيرًا.

«إنك... إنك لست خدعة إذن؟!».

لقد كان هذا أمله الوحيد والأخير.

رد (فودج) برفق: «لا.. لا، للأسف لست كذلك. انظر».

ثم حوَّل فنجان الشاى الخاص بـ(رئيس الوزراء) إلى فأر.

قال (رئيس الوزراء) وهو يحبس أنفاسه، بينما يراقب الفنجان وهو يمضغ زاوية الملف الذى توجد به خطبته القادمة: «ولكن... لكن لماذا لم يقل لى أى شخص شيئًا عن هذا؟».

قال (فودج) بينما يعيد عصاه السحرية إلى داخل معطفه: «لا يكشف وزير السحر عن نفسه إلا لرئيس وزراء العامة الموجود فى السلطة، فهذه أفضل طريقة؛ للمحافظة على السرية».

قال (رئيس الوزراء) بصوت ضعيف متذمر: «ولكن، لماذا لم يخبرنى أى (رئيس وزراء) سابق عن هذا الأمر؟».

وهنا انفجر (فودج) فى الضحك:

«عزيزى (رئيس الوزراء)، هل تنوى أن تخبر أى شخص عن هذا فيما بعد؟».

ثم رمى (فودج) بعض الغبار داخل المدفأة بينما لايزال يضحك، وخطا إلى داخل النيران الخضراء فانبعث منها صوت حفيف مرتفع، ثم اختفى تاركًا (رئيس الوزراء) واقفًا فى مكانه بلا حراك، وقد أدرك أنه لن يجرؤ على ذكر ما حدث لأى كائن حى طيلة حياته، ثم من ذا الذى سيصدقه على أية حال؟

استغرقت الصدمة بعض الوقت قبل أن يزول أثرها، وحاول (رئيس الوزراء) ـ لبعض الوقت ـ أن يقنع نفسه بأن (فودج) لم يكن سوى مجرد هلوسة ناتجة عن قلة نومه خلال الحملة الانتخابية الشاقة، وقد حاول بلا جدوى التخلص من كل الأشياء التى تذكره بهذا اللقاء المزعج، فأعطى الفأر لابنة أخيه التى سعدت به، وأعطى تعليمات لسكرتيره الخاص بإنزال لوحة الرجل الضئيل القبيح الذى أعلن حضور (فودج)، إلا أن اللوحة برهنت أنه من المستحيل إزالتها عن الحائط؛ مما زاد من رعب (رئيس الوزراء)، فقد حاول للعديد من النجارين، وواحد أو اثنان من البنائين، ومؤرخ فنى، ووزير المالية تحريكها من على الحائط دون جدوى، فكف (رئيس الوزراء) عن المحاولة وأصبح كل ما يرجوه أن يبقى هذا الشىء صامتًا بلا حراك طوال المدة الباقية التى سيقضيها فى هذا المكتب، إلا أنه ـ أحيانًا ـ كان يكاد يقسم بأنه رأى بطرف عينه ساكن اللوحة وهو يتثاءب أو يحك أنفه، بل إنه شاهده مرة أو مرتين يخرج من الإطار تاركًا خلفه خلفية اللوحة القماش البنية، ولكنه درَّب نفسه على عدم النظر إلى الصورة كثيرًا، واعتاد أن يقنع نفسه دائمًا كلما حدث شىء كهذا بأنه مجرد خداع بصرى ليس إلاَّ. حتى حلت ليلة تشبه هذه الليلة منذ ثلاث سنوات، كان (رئيس الوزراء) وحيدًا فى مكتبه عندما أعلنت اللوحة حضور (فودج) الذى اندفع إلى خارج المدفأة وهو فى حالة فزع شديد بينما ملابسه مبتلة تمامًا، وقبل أن يسأله (رئيس الوزراء) لماذا كانت ملابسه تقطر ماء فوق السجاد الثمين، بدأ (فودج) حديثه الصاخب عن سجن لم يسمع عنه (رئيس الوزراء) من قبل، ورجل يدعى (سيريوس بلاك)، وشىء بدا لسمعه مثل (هوجوورتس) وفتى يدعى (هارى بوتر) ولم يكن لأىٍّ من هذه الأشياء أدنى قدر من المعنى فى قاموس (رئيس الوزراء).

قال (فودج) وهو يلهث: «...لقد حضرت لِتَوِّى من (أزكابان)»، ثم سكب كمية كبيرة من الماء من حافة قبعته المستديرة إلى جيبه، وأضاف:

«فى وسط بحر الشمال، لقد حدثت حالة هروب خطيرة هناك.. حراس السجن فى حالة هياج؛ فلم تحدث أى حالة هروب من هذا السجن قط. على أية حال، كان يجب أن أحضر إليك يا (رئيس الوزراء)؛ لأن (بلاك) معروف بقتله للعامَّة، وربما يخطط للانضمام إلى... (أنت تعرف من)، ولكنك بالطبع لا تعرف حتى من هو (أنت تعرف من)!»، حدَّق (فودج) إلى (رئيس الوزراء) بيأس للحظة، ثم قال: «لا بأس، اجلس، اجلس، فمن الأفضل أن أقدم لك شيئًا تشربه».

كان (رئيس الوزراء) مستاءً بالفعل من دعوة شخص غريب له للجلوس فى مكتبه هذا إذا ما تجاوز عن دعوته له للشراب، ولكنه مع ذلك جلس وسحب (فودج) عصاه واستدعى من الهواء كأسين من الزجاج مملوءتين بسائل عنبرى، دفع بإحداهما إلى يد (رئيس الوزراء) وسحب لنفسه كرسيًّا.

استمر (فودج) فى الكلام لمدة تزيد على ساعة إلا أنه أثناء الحديث رفض ذكر اسم معين بصوت عال وكتبه على رقعة من الجلد بدلاً من ذلك، ثم دفع بها ليد (رئيس الوزراء) التى لا تحمل الكأس وعندما نهض (فودج) أخيرًا ليرحل، نهض معه (رئيس الوزراء) أيضًا:

«إذن، فأنت تعتقد أن...»، ثم نظر إلى الاسم الموجود فى الرقعة الجلدية وقال: «لورد فول...».

قاطعه (فودج): «*الذى لا يجب ذكر اسمه*».

قال (رئيس الوزراء): «أنا آسف، هل تعتقد أن (الذى لا يجب ذكر اسمه) مازال حيًّا إذن؟».

قال (فودج): «حسنًا، إن (دمبلدور) يقول هذا»، ثم أحكم غلق عباءته المخططة تحت ذقنه وأضاف: «ولكننا لم نجده قط، وإذا سألتنى فإننى أرى أنه ليس خطيرًا إذا لم يحصل على المساعدة؛ لذلك فإن (بلاك) هو من يجب أن تقلق بشأنه، ستقوم بدق ناقوس الخطر إذن؟ رائع. أرجو ألاَّ يرى بعضنا بعضًا مرة أخرى، تصبح على خير».

لكنهما تقابلا ثانية، فبعد أقل من عام، ظهر (فودج) من الهواء فجأة فى غرفة رئاسة الوزراء وقد بدا عليه الانزعاج؛ ليخبر (رئيس الوزراء) أن هناك مشكلة حدثت فى كأس العالم لـ(الكويدتش)، أو هكذا بدت الكلمة لأذنيه وأن الأمر تضمن العديد من العامَّة، ولكن يجب على (رئيس الوزراء) ألا يقلق؛ فإن ظهور علامة (أنت تعرف من) مرة أخرى لا يعنى شيئًا؛ وأنه متأكد أنها حالة فردية وأن مكتب العلاقات مع العامَّة يقوم فى هذه اللحظة بتعديل ذاكرة كل من شاهد الأمر منهم.

وأضاف (فودج): «آه، كدت أنسى، فنحن نستورد ثلاثة تنينات أجنبية وسفنكس لدورة السحر الثلاثية، وهو شىء روتينى، ولكن إدارة السيطرة والتحكم فى المخلوقات السحرية تقول لى إن القانون ينص على ضرورة إخطارك إذا كنا سنُدخِل البلاد مخلوقات على قدر عال من الخطورة».

غمغم (رئيس الوزراء): «أنا... ماذا... *تنينات*؟!».

قال (فودج): «نعم، ثلاثة بالإضافة إلى سفنكس. حسنًا، أراك على خير».

تمنى (رئيس الوزراء) أن تكون التنينات هى أسوأ ما سيلاقيه أو يسمع عنه.. ولكن لا، فبعد أقل من عامين، ظهر (فودج) مرة أخرى فى المدفأة ولديه أخبار عن هروب جماعى من (أزكابان).

فكرر (رئيس الوزراء) ما قيل له بصوت مبحوح: «هروب *جماعى*؟!»

صاح (فودج) بينما مازالت إحدى قدميه فى النار: «لا داعى للقلق! لا داعى للقلق! فسوف نقبض عليهم بأسرع وقت، لكننى وجدت أنه من الضرورى إخبارك!».

واختفى (فودج) فى الهواء وسط وابل من الشرر الأخضر قبل أن يصيح (رئيس الوزراء) قائلاً: «انتظر لحظة واحدة!».

وبغض النظر عما قد تقوله الصحافة أو المعارضة، فإن (رئيس الوزراء) لم يكن رجلاً أحمق، فلم يفُت عليه أنه على الرغم من تأكيدات

(فودج) فى لقائهما الأول، فإنهما يلتقيان كثيرًا، كما أن (فودج) يصبح أكثر اضطرابًا فى كل لقاء عن الذى قبله، مع أنه لم يكن يجب أن يفكر فى وزير السحر كثيرًا (أو كما يسميه فى عقله الوزير الآخر)، إلا أنه لم يستطع سوى أن يقلق مما سيأتى به (فودج) من أخبار سيئة عند ظهوره المرة القادمة؛ لذلك فإن منظر (فودج) وهو يخرج من النار مرة أخرى أشعث الشعر ومضطربًا، ودهشته المستهجنة؛ لعدم معرفة (رئيس الوزراء) لسبب حضوره كان أسوأ ما حدث فى غضون هذا الأسبوع الشديد الكآبة.

قال (رئيس الوزراء) بحدة: «وكيف لى أن أعلم ما يحدث فى مجتمع السحر؟ لدىَّ دولة بأكملها أدير شئونها ولدىَّ ما يكفينى من الهموم فى هذه اللحظة بدون...».

قاطعه (فودج): «همومك هى همومى، فجسر (بروكديل) لم يتآكل، وما حدث فى (وست كانترى) لم يكن إعصارًا وتلك الجرائم لم يرتكبها العامَّة، وعائلة (هربرت كورلى) ستكون أكثر أمانًا بدونه، فنحن نقوم بترتيبات لنقله الليلة إلى مستشفى (سان مونجو) للأمراض والإصابات السحرية».

انفجر (رئيس الوزراء): «ما الذى... أنا... لا... *ماذا*؟».

أخذ (فودج) نفسًا عميقًا قبل أن يقول: «أخشى يا (رئيس الوزراء) أننى يجب أن أقول لك إن (الذى لا يجب ذكر اسمه) قد عاد».

قال (رئيس الوزراء): «عاد؟! عندما تقول إنه «عاد»... هل تعنى أنه حى؟ أعنى...».

أخذ (رئيس الوزراء) يبحث فى ذاكرته عن تفاصيل المحادثة المرعبة التى حدثت قبل ثلاث سنوات، عندما أخبره (فودج) عن أكثر السحرة إثارةً للخوف؛ ذلك الساحر الذى ارتكب ألف جريمة رهيبة قبل أن يختفى بطريقة غامضة منذ خمسة عشر عامًا.

قال (فودج): «حى... نعم، أعتقد ذلك، ولكننى لا أعرف، هل يعتبر الرجل حيًا إذا كان لا يمكن قتله؟ لا أستطيع فهم ذلك حقًا و(دمبلدور) لم يشرح لى الأمر كاملاً.. ولكن على أية حال، فإنه حتمًا لديه جسد وهو يمشى ويقتل؛ لذلك فلنفترض ـ حتى نكمل حديثنا ـ أنه حى».

لم يجد (رئيس الوزراء) ما يقوله، ولكن الرغبة الملحة فى الظهور كالعالِم ببواطن الأمور جعلته يبحث فى عقله عن أية تفاصيل يستطيع تذكرها من أحاديثهم السابقة.

«هل (سيريوس بلاك) مع (الذى لا يجب ذكر اسمه)؟».

قال (فودج) بحيرة بينما يدير قبعته بسرعة حول إصبعه: «(بلاك)! (بلاك)! أنت تعنى (سيريوس بلاك)؟ يا إلهى.. لا، لقد مات (بلاك) وقد اكتشفنا أننا كنا مخطئين بشأنه، فقد ظهر أنه برىء ولم يكن متحالفًا مع (الذى لا يجب ذكر اسمه)»، ثم أضاف بطريقة دفاعية وقد زاد من دوران قبعته: «كل الأدلة كانت تشير إلى أنه الفاعل، وكان هناك أكثر من خمسين شاهد عِيان، ولكنه ـ كما قلت ـ مات.. قُتل فى الحقيقة، وقد أعلنت وزارة السحر أنه سيتم فتح تحقيق فى الأمر. فى الواقع...».

شعر (رئيس الوزراء) بالدهشة من نفسه عندما وجد أنه يشعر بالشفقة على (فودج)، ولكن تلك المشاعر لم تلبث أن اختفت وتملكه الغرور عندما أدرك أنه ـ وإن كان لا يستطيع التجسد من داخل المدفأة ـ لم تحدث أى جرائم داخل إدارات حكومته، ليس بعد على الأقل.

وبينما قام (رئيس الوزراء) بلمس مكتبه الخشبى خلسة، استأنف (فودج) حديثه: «..ولكن (بلاك) ليس موضوعنا، المهم يا (رئيس الوزراء) أننا الآن فى حرب، وهناك خطوات يجب اتخاذها».

كرر (رئيس الوزراء) الكلمة بعصبية: «فى حرب؟!»، ثم أضاف: «ألا تبالغ قليلاً فى قولك؟».

قال (فودج) بينما زادت سرعة حديثه أكثر فأكثر وكان يدير قبعته بسرعة حتى أصبحت تشبه غيمة من اللون الأخضر الفاتح: «أتباع (الذى لا يجب ذكر اسمه) الذين هربوا من سجن (أزكابان) فى يناير انضموا إليه، ومنذ أن كشفوا عن أنفسهم وهم يخربون ويدمرون؛ فلقد كان هو من دمر جسر (بروكديل)، وهدد بقتل جماعى للعامَّة إذا لم أتنازل له عن السلطة».

قال (رئيس الوزراء) وهو فى قمة الغضب: «يا إلهى! إذن فقد مات كل هؤلاء الناس بسببك وأنا الذى يجب أن أجيب عن كل الأسئلة؛ عن مواد البناء والحديد الصدئ، والمفصلات المتمددة المتآكلة، وأشياء من هذا القبيل».

قال (فودج) وقد تلوّن وجهه: «بسببى! هل تقول لى إنك كنت ستخضع لمثل هذا الابتزاز؟».

قال (رئيس الوزراء) بعد أن وقف وبدأ يتحرك فى الغرفة بخطوات واسعة: «ربما لا، ولكننى كنت سأبذل قصارى جهدى للقبض على هذا المبتز قبل أن يرتكب مثل هذا العمل الشرير».

سأله (فودج) بحدة: «وهل تعتقد حقًا أننى لم أبذل كل ما فى وسعى؟ إن كل فرد فى الوزارة قد بذل ولايزال يبذل كل ما فى وسعه لمعرفة مكانه والقبض على أعوانه، ولكننا نتكلم هنا عن واحد من أكثر السحرة قوةً على مر العصور؛ ساحر لم يستطع أى شخص القبض عليه لمدة تقارب الثلاثين عامًا!».

قال (رئيس الوزراء) بينما أعصابه تزداد اضطرابًا مع كل خطوة يخطوها: «أفترض أنك سوف تقول لى إنه تسبب فى الإعصار الذى حدث فى (وست كانترى) أيضًا!» لقد كان من المثير للحنق أن يكتشف سبب كل هذه الكوارث الفظيعة دون أن يستطيع إخبار الرأى العام، والأسوأ اكتشافه أنه خطأ الحكومة فى النهاية.

قال (فودج): «لم يكن هذا إعصارًا».

صاح (رئيس الوزراء) بجفاء بينما يضرب الأرض بقدميه: «اسمح لى! الأشجار التى اقتلعت من جذورها، والمنازل التى هدمت، وأعمدة الإنارة التى انثنت، والإصابات الفظيعة التى حدثت...».

قاطعه (فودج): «لقد كان كل ذلك من فعل (آكلى الموت)؛ أتباع (الذى لا يجب ذكر اسمه) ونحن نشك فى تورط العمالقة معهم».

توقف (رئيس الوزراء) فجأة وكأنه اصطدم بحائط غير مرئى: «أية ورطة؟».

تجهَّم (فودج) وقال: «لقد استخدم العمالقة فى المرة السابقة عندما أراد إحداث تأثير كبير، ومكتب التحقق من الأخبار المغلوطة يعمل على مدار الساعة، ولدينا فِرقٍ من السحرة تقوم بتعديل ذاكرة كل العامَّة الذين رأوا ما حدث فعلاً، وجميع أفراد إدارة السيطرة والتحكم فى المخلوقات السحرية موجودون فى (سومرست) ولكننا لم نجد العملاق.. لقد كان الأمر كارثة بالفعل».

قال (رئيس الوزراء): «هل أنت جاد فيما تقوله؟!».

قال (فودج): «أنا لا أنكر أن الروح المعنوية فى الوزارة أصبحت منخفضة بعد كل ما حدث، ثم جاء مقتل (أميليا بونس) أيضًا».

سأل (رئيس الوزراء): «مقتل مَن؟».

رد (فودج): «(أميليا بونس) رئيسة قسم إدارة تنفيذ القانون السحرى، ونحن نعتقد أن (الذى لا يجب ذكر اسمه) قد قتلها بنفسه؛ لأنها كانت ساحرة موهوبة جدًّا، وكل الدلائل تشير إلى أنها أبدت مقاومة شديدة فى معركة حقيقية».

تنحنح (فودج) وبدا أنه قد بذل مجهودًا ليوقف دوران قبعته.

قال (رئيس الوزراء) وقد خف غضبه للحظة: «جريمة القتل هذه نشرت فى جرائدنا، ولكنها قالت فقط إن (أميليا بونس) كانت امرأة فى منتصف العمر تعيش وحدها، لقد كانت جريمة قتل شنيعة فعلاً، وقد تصدرت عناوين الصحف، ولاتزال الشرطة فى حيرة شديدة».

تنهد (فودج) قائلاً: «من الطبيعى أن يحتاروا؛ فقد قتلت فى غرفة مغلقة من الداخل، ولكننا على الجانب الآخر نعرف بالضبط من فعلها، وإن كان هذا لا يساعدنا بأية حال فى القبض عليه، ثم هناك حادثة (إيميلين فانسى) ربما لم تسمع عنها».

قال (رئيس الوزراء): «كيف هذا؟ لقد سمعتُ بها طبعًا، لقد حدثت فى مكان قريب من هنا وقد نشرتها الصحف، وكان يومًا مشهودًا للصحف التى نشرتها تحت عنوان: *إخلال بالقانون والنظام فى الفناء الخلفى لـ(رئيس الوزراء)*».

قال (فودج) وهو بالكاد قد سمع ما يقوله (رئيس الوزراء): «وكأن كل ذلك ليس كافيًا، ولدينا الآن جماعات من (الدمينتورات) يتجولون فى طول البلاد وعرضها ويهاجمون الناس فى كل مكان...».

فى الأيام الخوالى، كانت تلك الجملة غامضة بالنسبة لـ(رئيس الوزراء)، ولكنه الآن أصبح أكثر حكمةً.

قال (رئيس الوزراء) بحذر: «أليست (الدمينتورات) هذه هى التى تحرس السجناء فى (أزكابان)؟».

قال (فودج) بضجر: «بلَى، ولكنهم هجروا السجن وانضموا إلى (الذى لا يجب ذكر اسمه)، ولن أتظاهر بأن الأمر لم يكن مصيبة».

قال (رئيس الوزراء) وقد بدا الرعب فى صوته: «ولكن، ألم تقل لى إن هذه المخلوقات تمتص آمال وسعادة الناس؟».

قال (فودج): «هذا حقيقى، وسبب هذا الضباب أنهم يتوالدون».

جلس (رئيس الوزراء) على أقرب مقعد له وقد أصبحت ركبتاه لا تستطيعان حمله؛ حيث أشعرته فكرة انتشار هذه المخلوقات الخفية فى المدن والريف ونشرها لليأس والقنوط بين ناخبيه ـ بأنه على وشك الإغماء.

ثم قال: «انظر يا (فودج)، يجب أن تفعل شيئًا! إنها مسئوليتك بصفتك وزيرًا للسحر!».

قال (فودج) بشجاعة وهو يحاول الابتسام: «عزيزى (رئيس الوزراء)، لا يمكنك حقًا أن تعتقد أننى لا أزال وزيرًا للسحر بعد كل ما حدث؟ لقد تم تسريحى من الخدمة منذ ثلاثة أيام! ولمدة أسبوعين، ظل مجتمع السحر كله يصرخ مطالبًا باستقالتى، لم أرهم قط متحدين هكذا طيلة المدة التى قضيتها فى السلطة!».

لم يجد (رئيس الوزراء) ما يقوله على الرغم من حنقه على الوضع الذى أصبح فيه؛ حيث إنه شعر بالتعاطف مع هذا الرجل المنكمش الذى يجلس أمامه.

وقال أخيرًا: «أنا آسف جدًّا. هل هناك شيء أستطيع فعله؟».

رد (فودج): «أشكرك على لطفك يا (رئيس الوزراء)، ولكن ليس هناك ما يمكن فعله، لقد تم إرسالى إليك الليلة؛ لأطلعك على التطورات الأخيرة للأحداث؛ ولأقدم لك خليفتى فى الوزارة. لقد ظننت أنه سيكون هنا الآن ولكنه بالطبع مشغول جدًّا فى هذه اللحظة، هناك أحداث كثيرة تجرى».

نظر (فودج) حوله إلى لوحة الرجل الصغير ذى الشعر المستعار المجعد الطويل الذى كان ينبش فى أذنه بطرف ريشة طائر.

وعندما تلاقت عيناه بعينى (فودج)، قال الرجل الموجود باللوحة: «سيكون هنا بعد لحظة، إنه ينهى خطابًا يكتبه إلى (دمبلدور)».

قال (فودج) وقد بدت المرارة فى صوته لأول مرة: «أتمنى له التوفيق، لقد كنت أرسل الخطابات إلى (دمبلدور) مرتين كل يوم خلال الأسبوعين الماضيين، ولكنه رفض التراجع عن موقفه، لو أنه كان مستعدًّا لإقناع الولد، لكنت الآن مازلت... حسنًا، ربما سيكون (سكريمجور) أكثر نجاحًا منى».

ثم سكت (فودج) وبدا أنه قد دخل فى حالة من الصمت الحزين ولكن اللوحة كسرت حاجز الصمت عندما تكلمت بصوتها الرسمى الصارم:

«إلى رئيس وزراء العامَّة، نطلب اجتماعًا عاجلاً، برجاء الاستجابة فورًا (روفوس سكريمجور) وزير السحر».

قال (رئيس الوزراء) وهو شارد الذهن: «نعم، نعم، لا مانع»، وقد أجفل - بالكاد - عندما تحولت النيران فى الموقد إلى اللون الأخضر مرة أخرى وازداد اشتعالها، ثم ظهر بداخلها ساحر آخر يدور بسرعة كبيرة، ثم خرج بعد لحظات قليلة إلى السجادة الأثرية. وقف (فودج)، ثم بعد لحظة تردد، تبعه (رئيس الوزراء) وهو يشاهد الوافد الجديد يعتدل واقفًا وينفض الغبار عن ردائه الأسود الطويل، وينظر حوله.

أول فكرة سخيفة خطرت ببال (رئيس الوزراء) كانت أن (روفوس سكريمجور) يبدو كأسد عجوز؛ فقد ظهر الشيب فى شعره الطويل ذى اللون الأصفر الداكن وحواجبه الكَثة، كما أن لديه عينين ضاربتين إلى الصفرة خلف زوج من العدسات ذات إطار معدنى، وكان ممشوق القوام يخطو برشاقة، وإن كان يمشى بعرج خفيف، وكان الانطباع الأول عنه هو حدة الذكاء والصلابة. وفهم (رئيس الوزراء) لماذا يختار مجتمع السحر شخصًا مثل (سكريمجور) كقائد بدلاً من (فودج) فى أوقات الخطر.

قال (رئيس الوزراء) بأدب بينما يمد يده إليه: «كيف حالك؟».

سلم عليه (سكريمجور) بينما كانت عيناه تمسحان الغرفة، ثم سحب عصاه السحرية من تحت عباءته، وسأله بينما يخطو بسرعة إلى الباب: «هل أخبرك (فودج) بكل شىء؟»، ثم طرق بعصاه على ثقب المفتاح وسمع (رئيس الوزراء) صوت إغلاق القُفل.

رد (رئيس الوزراء): «نعم أخبَرنى بكل شىء، وإذا لم يكن لديك مانع فأنا أفضل أن يظل الباب مفتوحًا».

قال (سكريمجور) باقتضاب: «وأنا أفضل ألا يقاطعنا أحد»، ثم أضاف: «أو يشاهدنا»، ثم أشار بعصاه إلى الشبابيك فتحركت الستائر

حتى أسدلت تمامًا وأضاف: «أليس كذلك؟ فلنشرع فى العمل إذن، فلدىَّ الكثير من المشاغل وقبل كل شيء يجب أن نناقش تدابير حمايتك».

شد (رئيس الوزراء) قامته إلى أقصاها وردَّ: «أنا راضٍ تمامًا عن تدابير حمايتى الحالية، أشكرك كثيرًا».

قاطعه (سكريمجور): «ولكننا غير راضين، وسيكون موقفًا مخزيًا للعامَّة لو أن رئيس وزرائهم وقع تحت تأثير تعويذة التحكم، السكرتير الجديد فى مكتبك بالخارج».

قال (رئيس الوزراء) بحدة: «أنا لن أتخلص من (كينجسلى شاكلبولت) إن كان هذا ما تقترحه، فهو على قدر عال من البراعة وينجز من العمل ضعف ما ينجزه الآخرون».

قال (سكريمجور) دون أن يبتسم: «هذا لأنه ساحر ومدافع ضد السحر الأسود، وقد حصل على تدريب راق وتم تعيينه؛ ليقوم بحمايتك».

صاح (رئيس الوزراء): «انتظر لحظة، لا يمكنك أن تضع أناسًا فى مكتبى بهذه البساطة، أنا الذى يقرر من الذى يعمل معى...».

قال (سكريمجور): «لقد اعتقدت أنك راضٍ عن (شاكلبولت)».

قال (رئيس الوزراء): «نعم ولكننى أقول لك...».

قال (سكريمجور): «إذن ليست هناك مشكلة، أم لديك اعتراض؟».

قال (رئيس الوزراء) باستسلام: «أنا... حسنًا، لا مانع من استمراره مادام عمله ممتازًا»، إلا أن (سكريمجور) بالكاد سمعه.

استأنف (سكريمجور) حديثه: «أما بخصوص (هربرت كورلى) وزيرك المساعد، هذا الذى يسلّى الجمهور بتقليده للبط».

سأل (رئيس الوزراء): «ماذا عنه؟».

رد (سكريمجور): «من الواضح أنه وقع ضحية لتعويذة تحكُّم ألقيت عليه بطريقة غير صحيحة فأتلفت عقله، ولكنه مع ذلك يمكن أن يكون خطيرًا».

قال (رئيس الوزراء) بضعف: «ولكنه يقلد صوت البط فقط، وربما مع القليل من الراحة، والتخفيف من شرب الخمور...».

قال (سكريمجور): «بينما نتكلم الآن، هناك فريق من المعالجين من مستشفى (سان مونجو) للأمراض السحرية يقوم بفحصه، وحتى الآن حاول خنق ثلاثة منهم، وأعتقد أنه من الأفضل نقله من مجتمع العامَّة لبعض الوقت».

قال (رئيس الوزراء) بقلق: «أنا... إذن... سيكون بخير، أليس كذلك؟»، هز (سكريمجور) كتفيه فحسب، وتحرك راجعًا إلى المدفأة فعلاً.

ويقول: «حسنًا، هذا كل ما أردت قوله، وسأخبرك بكل ما يحدث من تطورات، وربما سأكون فى الأغلب مشغولاً جدًّا وقد لا أستطيع القدوم إليك بنفسى، وفى هذه الحالة سأرسل إليك (فودج)؛ فقد وافق على البقاء بالوزارة فى وظيفة استشارية».

حاول (فودج) رسم ابتسامة على شفتيه لكنه لم ينجح؛ فبدا كأنه مصاب بألم فى الأسنان. بحث (سكريمجور) فى جيبه عن الغبار الغامض الذى يحول النيران إلى اللون الأخضر. حدَّق (رئيس الوزراء) إلى كليهما بيأس، ثم تدفقت أخيرًا الكلمات التى كان يحاول كبتها طوال الأمسية:

«ولكن بحق السماء - إنكم سحرة! يمكنكم استخدام السحر! بالتأكيد، بإمكانكم حل أى شىء!».

التفت (سكريمجور) فى مكانه ببطء، ثم تبادل نظرة شك مع (فودج) الذى استطاع أخيرًا أن يبتسم وهو يقول بلطف: «المشكلة أن الطرف الآخر يستطيع استخدام السحر أيضًا يا (رئيس الوزراء)».

ثم خطا كلا الساحرين الواحد بعد الآخر إلى داخل النيران الخضراء المتألقة واختفيا.

■ ■ ■

٢ سبِنر إند

على بعد أميال كثيرة، أخذ الضباب البارد الذى تكثف بجوار شباك (رئيس الوزراء) يتجمع فوق نهر عكر يجرى بين ضفتين تكسوهما النُّفايات، وبالقرب منه توجد مدخنة ضخمة، وهى أثرٌ باقٍ من طاحونة قديمة مهمَلة تبدو مشئومة ومليئة بالظلال. لم يكن يُسمع إلا صوت خرير المياه السوداء، ولم يكن هناك أثر لأى كائن حى إلا ثعلب هزيل تسلل بخفة إلى ضفة النهر وأخذ يتشمم الهواء على أمل إيجاد بعض بقايا وجبات السمك والبطاطا المقلية فى لفافات الطعام الملقاة فى الأعشاب الطويلة.

وعندها، ظهر من الهواء شخص مغطى الرأس عند حافة النهر محدثًا صوت فرقعة مكتومًا. تجمد الثعلب، وعيناه القلقتان مثبتتان على هذه الظاهرة الجديدة الغريبة، بدا أن الشخص قد وقف للحظات قليلة ليحدد وجهته، ثم انطلق يمشى بخطوات واسعة وسريعة ورشيقة بينما كانت عباءته الطويلة تُحدث حفيفًا فوق العشب.

ثم صدر صوت فرقعة ثان أشد من الأول وتجسَّد شخص آخر مغطى الرأس، وقال:

«انتظرى!».

أخاف الصياح العالى الثعلب؛ فربض داخل العشب، ثم قفز من مكان اختبائه إلى أعلى ضفة النهر. برق وميض أخضر وسُمع صوت عواء قبل أن يسقط الثعلب ميتًا.

ثم حرك الشخص الثانى الثعلب بأطراف أصابع قدمه.

وقال صوت امرأة من تحت غطاء الرأس: «إنه مجرد ثعلب، لقد اعتقدت أنه أحد هؤلاء المدافعين ضد السحر الأسود. (كيسى)، انتظرى».

ولكن من وجهت إليها الكلام والتى كانت قد تمهلت ناظرة إلى الوميض الأخضر خلفها، كانت الآن قد تسلقت الآن صاعدة ضفة النهر التى سقط عنها الثعلب منذ لحظة.

«(كيسى) ـ (ناركيسا) ـ استمعى إلىَّ».

لحقت المرأة الثانية بالأولى وقبضت على ذراعها ولكن الأولى أبعدت يد الثانية عنها.

وقالت: «ارجعى يا (بيلا)».

ردت (بيلاتريكس): «يجب أن تستمعى إلىَّ».

قالت (ناركيسا): «سمعتُكِ من قبل، وقد اتخذت قرارى النهائى، اتركينى وشأنى!».

وصلت (ناركيسا) إلى أعلى ضفة النهر حيث يفصلها عن الدرب المرصوف بالحجر سياج قديم، وتبعتها (بيلاتريكس) على الفور ووقفتا جنبًا إلى جنب تنظران عبر الطريق إلى صفوف المنازل الحجرية المهدمة ونوافذها الغارقة فى الظلام التى لا تخرج منها أى أضواء وسط العتمة.

سألت (بيلاتريكس) بصوت ظهر فيه الازدراء: «هل يعيش هنا؟! فى مقلب نفايات العامَّة هذا! لابد أننا الأوليان من جنسنا اللتان تأتيان إلى هذا المكان».

ولكن (ناركيسا) لم تكن تستمع إليها، فمرت عبر فجوة فى السياج الصدئ وأسرعت تعبر الطريق.

«(كيسى)، انتظرى».

تبعتها (بيلاتريكس) بينما عباءتها تتماوج خلفها ورأت (ناركيسا) وهى تندفع إلى داخل حارة بين المنازل، ثم إلى حارة أخرى تكاد تشبهها

تمامًا. كانت بعض مصابيح الطريق مكسورة، فبدت المرأتان كأنما تسرعان بين بقع من الضوء والظلمة الشديدة، ولحقت (بيلاتريگس) بـ(ناركيسا) فى اللحظة التى دارت فيها الثانية حول منعطف آخر. وفى هذه المرة، نجحت فى الإمساك بذراعها وشدتها نحوها حتى واجهتها وقالت: «(كيسى)، يجب ألا تفعلى ذلك، لا يمكنك الوثوق به».

ردت (ناركيسا): «ولمَ لا؟ إن سيد الظلام يثق به، أليس كذلك؟».

قالت (بيلاتريكس) وهى تلهث بينما عيناها تومضان كل لحظة تحت غطاء رأسها وهى تتلفت حولها؛ لتتأكد أنهما وحيدتان: «أعتقد أن سيد الظلام مخطئ فى ثقته به. على أية حال، لقد تم التنبيه علينا بعدم مناقشة الخطة مع أى شخص ولو تكلمنا فسيعتبر ذلك خيانة لسيد الظلام».

قالت (ناركيسا) بارتباك بينما تسحب عصاها السحرية من تحت عباءتها وتمسك بها مهددة فى وجه الأخرى: «اتركينى يا (بيلا)»، ضحكت (بيلاتريكس) وقالت: «(كيسى) أنا أختك، لا يمكنك أن تفعلى ذلك...».

تنهدت (ناركيسا) وقالت وقد بدا فى صوتها لمحة من الهستيريا: «ليس هناك ما لا يمكننى فعله بعد الآن»، ثم خفضت عصاها وأمسكتها كما تمسك السكين، فانطلق منها وميض أخضر، فتركت (بيلاتريكس) ذراع أختها بسرعة كما لو أنها احترقت.

وقالت: «(ناركيسا)».

ولكن (ناركيسا) أسرعت بالتقدم وأسرعت أختها وراءها وهى تدلك يدها، وإن تركت مسافة بينهما الآن، وأخذتا تتوغلان داخل الممرات المهجورة بين المنازل الحجرية. وأخيرًا، دخلت (ناركيسا) أحد الشوارع مهرولةً، وكانت هناك مدخنة طاحونة تتمايل كما لو أنها إصبع عملاق يتحرك إلى الجانبين محذرًا، وكان وقْع خطواتها على الطريق

المرصوف بالحصى له صدًى، بينما تمر أمام الألواح الخشبية للنوافذ المكسورة، حتى وصلت إلى المنزل الأخير، حيث يتسلل بصيص من الضوء عبر الستائر من حجرة فى الدور السفلى.

وطرقت (ناركيسا) الباب قبل أن تلحق بها (بيلاتريكس) وهى تلعن فى همس ووقفتا معًا تنتظران وهما تلهثان قليلاً، بينما تستنشقان الروائح الكريهة التى يحملها إليهما نسيم الليل من النهر، وبعد ثوان قليلة سمعتا حركة خلف الباب ثم فُتحت فرجة صغيرة فى الباب فكان بالإمكان رؤية رجل ينظر إليهما من خلف الستائر وكان له شعر أسود طويل حول وجه شاحب وعينين سوداوين.

رمت (ناركيسا) بغطاء رأسها إلى الخلف، فشع وجهها الأبيض شديد الشحوب وسط الظلمة، وأعطاها شعرها الأشقر الطويل الذى ينسدل على ظهرها مظهر شخص مات غرقًا.

قال الرجل بينما يفتح الباب، حتى يسقط الضوء عليها وعلى أختها: «(ناركيسا)، يا لها من مفاجأة سارة!».

قالت (ناركيسا) بصوت هامس متوتر: «(سيفيروس)! هل يمكننى أن أتحدث إليك؟ إن الأمر عاجل».

رد الرجل: «بالتأكيد! تفضلى!».

تراجع الرجل عن الباب؛ حتى يفسح لها الطريق للدخول إلى المنزل. وبدون دعوة، تبعتها أختها التى لايزال وجهها مختفيًا خلف غطاء الرأس.

قالت (بيلاتريكس) بجفاء بينما تمر بجواره: «(سناب)!»

فأجاب الرجل وقد تجعد فمه الرفيع ليرسم ابتسامة ساخرة قليلاً بينما يغلق الباب وراءهما بخفة: «(بيلاتريكس)».

ودخلتا مباشرة إلى حجرة جلوس صغيرة تبدو من الداخل كأنها زنزانة مبطنة ذات ألوان داكنة، وكانت الحوائط مغطاة تمامًا بالكتب،

معظمها مجلدات مكسوة بالجلد القديم ذى اللون الأسود أو البنى، وكان بالغرفة أيضًا أريكة رثة، وكرسى ذو ذراعين قديم، ومائدة متداعية موضوعة بجانب بعضها البعض تحت ضوء ضعيف صادر عن مصباح توجد به شمعة، يتدلى من السقف، كان المكان يسوده جو من الإهمال كأنه غير مسكون معظم الوقت.

أشار (سناب) لـ(ناركيسا) ناحية الأريكة فخلعت عباءتها وألقتها جانبًا، ثم جلست تحدق فى يديها البيضاوين المرتجفتين اللتين عقدتهما داخل حِجرها. أما (بيلاتريكس) التى لم ترفع نظرتها المحدقة عن (سناب) بينما تتحرك للوقوف خلف (ناركيسا)، فقد أنزلت غطاء رأسها ببطء أكثر وكانت جميلة مثل أختها ولكنها ذات شعر أسود وعينين سوداوين ورموش كثيفة وفك قوى.

سأل (سناب) بينما يجلس فى المقعد ذى الذراعين المقابل للأختين: «إذن، ما الذى يمكننى فعله لكِ؟».

سألت (ناركيسا): «نحن وحدنا، أليس كذلك؟».

فرد (سناب): «بلى بالطبع! (وورمتيل) هنا، لكنه لا يُحسب بالطبع».

ثم أشار بعصاه إلى حائط من الكتب خلفه، وبحركة مفاجئة فتح بابًا خفيًّا كاشفًا عن سلم ضيق يقف أعلاه رجل قصير متجمد.

قال (سناب) بتثاقل: «كما سبق أن عرفت يا (وورمتيل) فإن لدينا ضيوفًا».

زحف الرجل هابطًا الدرجات القليلة الباقية بينما ظهره محنيٌّ، وتحرك إلى داخل الغرفة. كانت له عينان صغيرتان زائغتان، وأنف مدبب ويبتسم ابتسامة متكلفة، وكانت يده اليسرى تربّت على اليمنى التى بدت كما لو أنها مغطاة بقفاز فضى لامع.

قال (وورمتيل) بصوته الحاد: «(ناركيسا)، و(بيلاتريكس) أيضًا شىء رائع».

قال (سناب): «سيحضر لنا (وورمتيل) الشراب لو أحببتما، ثم سيعود إلى غرفة نومه».

انتفض (وورمتيل) كما لو أن (سناب) قد رمى شيئًا عليه وقال بحدة بينما يتفادى عين (سناب): «أنا لست خادمك!».

رد (سناب): «حقًا! ولكننى اعتقدت أن سيد الظلام قد وضعك هنا لمساعدتى».

ثم أجاب (وورمتيل): «للمساعدة نعم! ولكن ليس لإحضار المشروبات لك وتنظيف منزلك».

قال (سناب) بنعومة: «لم يكن لدىَّ أى فكرة يا (وورمتيل)، إنك مشتاق إلى مهامٍّ أكثر خطورة، يمكن ترتيب ذلك بسهولة، وسوف أتكلم مع سيد الظلام».

رد عليه (وورمتيل) قائلاً: «يمكننى التحدث معه بنفسى إذا أردت ذلك».

قال (سناب) بسخرية: «يمكنك ذلك بالطبع. ولكن، فى هذه الأثناء أحضر لنا المشروبات؛ بعض النبيذ الذى صنعته الجنيات سيَفى بالغرض».

تردد (وورمتيل) للحظة، وبدا كما لو أنه سيجادل، لكنه اتجه نحو باب خفى آخر واختفى وراءه، وسمعوا صوت قرع وجلجلة الكئوس الزجاجية، ثم عاد بعد ثوان وهو يحمل زجاجة متربة وثلاث كئوس فوق صينية ووضعها فوق المائدة الآيلة للسقوط، ثم أسرع بالاختفاء من أمامهم وهو يَصْفِق الباب الخفى المغطى بالكتب وراءه.

ملأ (سناب) الكئوس الثلاث من النبيذ ذى اللون الأحمر كلون الدم وقدم اثنتين منها إلى الأختين، فتمتمت (ناركيسا) بكلمة شكر، بينما لم تنطق (بيلاتريكس) بكلمة، واستمرت تحملق فى (سناب) الذى لم يضايقه تحديقها، بل على العكس بدا - إلى حد ما - مستمتعًا بالوضع.

قال (سناب) بينما يرفع كأسه ثم يرشف منها: «فى صحة سيد الظلام».

وقلدته الأختان، ثم أعاد (سناب) ملء الكئوس.

وبينما (ناركيسا) تأخذ كأسها الثانية، قالت باندفاع: «(سيفيروس)! أنا آسفة؛ لأنى أتيت إلى هنا بهذا الشكل، ولكن كان يجب أن أراك؛ لأنى أعتقد أنك الوحيد الذى يمكنه مساعدتى».

رفع (سناب) يده وأشار إليها؛ لتتوقف عن الكلام، ثم وجه عصاه مرة أخرى إلى السلم المختفى وراء الباب السرى؛ فسمعوا صوت خبطة، ثم صوت صرخة طويلة حادة وتبعها صوت دبدبة (وورمتيل) وهو يعدو صاعدًا السلالم.

قال (سناب): «أعتذر، فلقد أصبح ـ مؤخرًا ـ معتادًا التنصت من خلف الأبواب، لا أعرف ما الذى يعنيه بذلك.. ماذا كنت تقولين يا (ناركيسا)؟».

أخذت (ناركيسا) نفَسًا وهى ترتجف وبدأت حديثها مرة أخرى:

«(سيفيروس)، أنا أعلم أننى كان يجب علىَّ عدم القدوم إلى هنا، فقد قيل لى ألا أخبر أى شخص بأى شىء.. ولكن...».

قاطعتها (بيلاتريكس): «يجب أن تمسكى لسانك خاصة فى حضور الصحبة الحالية!».

قال (سناب) بتهكُّم: «فى حضور الصحبة الحالية! ما الذى يعنيه هذا يا (بيلاتريكس)؟».

ردت (بيلاتريكس): «معناه، كما تعلم جيدًا يا (سناب)، أننى لا أثق بك».

بدأت (ناركيسا) تبكى وتشهق بصوت عال وغطت وجهها بكلتا يديها، وأنزل (سناب) كأسه ووضعها على المائدة وجلس مكانه ثابتًا ويداه موضوعتان فوق يدى الكرسى وهو يبتسم فى وجه (بيلاتريكس) المحدق.

قال (سناب): «(ناركيسا)، أعتقد أننا يجب أولاً أن نسمع ما تجاهد (بيلاتريكس) لقوله، فهذا سيوفر علينا المقاطعات المملة، فلتستمرى يا (بيلاتريكس) لماذا إذن لا تثقين بى؟».

قالت (بيلاتريكس) بصوت عال: «هناك مئات الأسباب»، ثم تحركت من خلف الأريكة؛ لتضع كأسها على المائدة، ثم أضافت: «من أين أبدأ؟ أين كنت عندما سقط سيد الظلام؟ ولماذا لم تحاول قط أن تبذل أى محاولة لتجده عندما اختفى؟ ما الذى كنت تفعله طوال تلك السنوات التى كنت تعيش فيها فى جيب (دمبلدور)؟ لماذا منعت سيد الظلام من الحصول على حجر الفيلسوف؟ لماذا لم تعد فورًا عندما وُلد سيد الظلام من جديد؟ أين كنت منذ أسابيع قليلة مضت، عندما كنا نحارب لاسترجاع النبوءة إلى سيد الظلام؟ لماذا يا (سناب) لايزال (هارى بوتر) حيًّا بينما كان بإمكانك قتله؛ حيث كان تحت رحمتك طوال خمسة أعوام؟».

توقفت عن الكلام قليلاً، وصدرها يعلو ويهبط وقد تسارع تنفُّسها وتلون خداها بينما جلست (ناركيسا) خلفها بلا حراك ووجهها لايزال مختفيًا خلف يديها.

ابتسم (سناب) وقال:

«قبل أن أرد عليكِ، نعم يا (بيلاتريكس)، سوف أجيب عن كل تساؤلاتكِ! ويمكنك أن تحملى كلماتى إلى كل أولئك الذين يهمسون من وراء ظهرى ويحكون قصصًا كاذبة عن خيانتى لسيد الظلام! ولكن قبل أن أجيبك، أريد أن أسألكِ سؤالاً: أوَ تعتقدين حقًّا أن سيد الظلام لم يسألنى كل هذه الأسئلة؟ أوَ تعتقدين لو أننى لم أجبه إجابات مُرضية عن كل سؤال، أَفَكُنتُ أجلسُ الآن أتكلم معكما؟».

ترددت (بيلاتريكس)، ثم قالت: «أنا أعلم أنه يصدقك ولكن...».

ثم أكمل (سناب): «وهل تعتقدين أنه مخطئ، أو أننى بطريقة ما خدعته؟ خدعت سيد الظلام؛ أحد أعظم السحرة على الإطلاق، وصاحب أعظم إنجازات فى عالم السحر!».

سكتت (بيلاتريكس) وبدت للمرة الأولى حائرة قليلاً، ولكن (سناب) لم يضغط على هذه النقطة، وتريّث قليلاً حتى التقط كأسه ثانية وارتشف منها، ثم استأنف حديثه: «ولقد سألتِنى أين كنت عندما سقط سيد الظلام؟ لقد كنت حيث أمرنى أن أكون فى مدرسة (هوجوورتس) لتعليم فنون السحر أنفذ ما أرادنى أن أفعله وهو التجسس على (ألباس دمبلدور)؛ فقد توليت هذا المنصب بناءً على أوامر سيد الظلام».

أومأت برأسها بطريقة لا تكاد تُحس، ثم فتحت فمها لتتكلم ولكن (سناب) لم يعطِها الفرصة واستأنف حديثه قائلاً: «أنتِ تسألين لماذا لم أحاول أن أجده عندما اختفى، وأجيبك أنه لنفس السبب الذى لم يحاول من أجله (أفرى) و(ياكسلى) و(كاروس) و(جريباك) و(لوكيوس)، وغيرهم كثير»، ثم أومأ إلى (ناركيسا) وأكمل: «لقد اعتقدت أنه قد قضى عليه ولست فخورًا بهذا، لقد كنت مخطئًا ولكن هذا ما حدث، ولو أنه لم يغفر لكل الذين فقدوا إيمانهم به، لبقى لديه عدد قليل من الأتباع».

قالت (بيلاتريكس) بانفعال: «سيكون لديه أنا! أنا التى قضيت أعوامًا كثيرة فى (أزكابان) لأجله!».

قال (سناب) بضجر: «نعم، شيء يستحق الإعجاب، ولكنك بالطبع لم تكونى ذات نفع وأنتِ فى السجن، ولكنه بلا شك تعليق جيد».

صرخت (بيلاتريكس) بغضب حتى بدت كما لو أنها فقدت عقلها: «تعليق جيد! هل نسيت أنه بينما تقوم (الدمينتورات) بتعذيبى فى (أزكابان)، كنت أنتَ فى (هوجوورتس) تعيش فى راحة تحت قدمى (دمبلدور)؟».

رد (سناب) بهدوء: «ليس تمامًا، ولكنه لم يعطِني وظيفة الدفاع ضد فنون الظلام، يبدو أنه اعتقد أننى قد أرتدُّ، أو أن تلك الوظيفة قد تغرينى بالعودة إلى سابق عهدى».

علَّقت (بيلاتريكس) ساخرة: «هل كانت تضحيتك من أجل سيد الظلام هى منعك من تدريس مادتك المفضلة؟ ما الذى جعلك تستمر كل هذا الوقت هناك يا (سناب)؟ هل كنت تتجسس على (دمبلدور) لصالح سيدك الذى كنت تعتقد أنه مات؟».

رد (سناب): «بالطبع لا، فعلى الرغم من أن سيد الظلام كان سعيدًا بأنى حافظت على مكانى هناك، فلقد كان لدىَّ ستة عشر عامًا من المعلومات عن (دمبلدور) لأخبره إياها عندما عاد، وهى أشبه بهدية ترحيب مفيدة أكثر من ذكريات المعاناة والألم اللانهائية فى (أزكابان)».

قالت (بيلاتريكس): «ولكنك بقيت هناك...».

قال (سناب) وقد بدا عليه نفاد الصبر لأول مرة: «نعم، لقد استمررت فى العمل هناك، لقد كانت لدىَّ وظيفة مريحة فضلتها على قيود (أزكابان)؛ حيث كانوا يضعون (آكلى الموت) بعد القبض عليهم ـ كما تعرفين ـ وقد أبقتنى حماية (دمبلدور) خارج السجن، وكان ذلك مناسبًا بالنسبة لى فاستغللت الفرصة، وأكرر أن سيد الظلام لا يضايقه بقائى، فلماذا يضايقك أنتِ؟».

واصل (سناب) حديثه بصوت عال؛ حتى يمنعها من الاعتراض الذى كانت على وشك إبدائه: «أظنك تريدين أن تعرفى لماذا منعت سيد الظلام من الحصول على حجر الفيلسوف! وإجابة هذا السؤال بسيطة، فهو لم يكن متأكدًا إن كنت أهلاً للثقة أم لا، فقد اعتقد مثلكِ أننى قد تحولت من (آكل موت) مخلص إلى لُعبة فى يد (دمبلدور)، وكان سيد الظلام وقتها فى حالة يُرثَى لها وضعيفًا جدًّا يتقاسم جسد ساحر عادى؛ لذلك لم يجرؤ على كشف نفسه لحليف قديم، خاصة أنه كان

هناك شك فى أن هذا الحليف يمكن أن يسلمه إلى (دمبلدور) أو الوزارة. أنا آسف جدًّا لأنه لم يثق بى، كان بإمكانه الرجوع إلينا واسترجاع قوته منذ ثلاث سنوات، ولقد بدا لى الأمر أن (كويريل) الطماع الذى لا يستحق، يحاول سرقة الحجر وقد بذلت كل ما فى وسعى؛ لمنعه».

التوَى فم (بيلاتريكس) فبدت كأنها أخذت جرعة من دواء مُر الطعم، وقالت: «ولكنك لم تعد إليه عندما رجع، ولم تطِر عائدًا إليه على الفور عندما شعرت بأن سيد الظلام قد وُلد من جديد».

قال: «بالضبط، لقدِ عدت بعدها بساعتين، وقد عدت بناءً على أوامر (دمبلدور)».

قالت بلهجة غاضبة: «أوامر (دمبلدور)».

قال (سناب) وقد بدت أمارات قلة الصبر عليه: «فكرى! فكرى يا (بيلاتريكس) إننى بانتظارى الساعتين ضمنت استمرارى فى (هوجوورتس) كجاسوس لسيد الظلام؛ لأنى أُمرت بهذا، وقد أصبح بإمكانى نقل المعلومات عن (دمبلدور) وجماعة العنقاء. إذا فكرتِ فى الأمر يا (بيلاتريكس) فستدركين أن علامة الظلام فى يدى كانت تزداد قوةً لشهور، لقد كنت أعلم أنه على وشك العودة، كل (آكلى الموت) كانوا يعلمون! كان لدىَّ الكثير من الوقت لأفكر وأقرر ما سأفعله، وأخطط لخطوتى التالية، أو لأهرب كما فعل (كاركاروف)، أليس كذلك؟».

أؤكد لك أن استياء سيد الظلام لتأخرى فى الوصول زال تمامًا عندما شرحت له أننى مازلت مخلصًا على الرغم من أن (دمبلدور) مازال يعتقد أننى من أتباعه. نعم، لقد اعتقد سيد الظلام أننى تركته إلى الأبد، ولكنه كان مخطئًا.

تهكمت (بيلاتريكس) قائلة: «ولكن، ما الفائدة العظيمة التى حققتها؟ وما المعلومات القيمة جدًّا التى حصلنا عليها منك؟».

قال (سناب): «لقد بلَّغتُ معلوماتى إلى سيد الظلام مباشرة وإذا اختار ألا يُشركك فيها...».

ردت (بيلاتريكس) بغضب: «إنه يشركنى فى كل شىء ويدعونى أوفَى أتباعه وأكثرهم ولاءً».

قال(سناب) وقد ظهرت فى صوته رنة عدم تصديق: «حقًا؟ وهل مازال يفعل ذلك بعد الإخفاق الذى حدث فى الوزارة؟».

قالت (بيلاتريكس) وقد تورد وجهها: «لم يكن ذلك خطئى! لقد ائتمننى سيد الظلام فى الماضى على أكثر أسراره أهميةً ولو أن (لوكيوس) لم...».

قالت (ناركيسا) بصوت خفيض مميت وقد رفعت عينيها ناظرة إلى أختها: «هل تجرئين... هل تجرئين على إلقاء اللوم على زوجى؟!».

قال (سناب) ملطفًا للجو: «لا فائدة من إلقاء اللوم الآن، ما حدث قد حدث وانتهى الأمر».

قالت (بيلاتريكس) وهى فى شدة الغضب: «ولكن الأمر لم ينته بالنسبة لك، لا، لقد كنت غائبًا مرة أخرى عندما كنا نواجه الأخطار، أليس كذلك يا (سناب)؟».

قال (سناب): «لقد كانت أوامرى التى تلقيتها ألاَّ أشارك، ربما تخالفين سيد الظلام فى رأيه، أو ربما تعتقدين أن (دمبلدور) لن يلاحظ إذا ما التحقت بصفوف (آكلى الموت) لمحاربة جماعة العنقاء؟

ولكن سامحينى، هل تتكلمين عن الأخطار؟ لقد كنتِ تواجهين ستة من المراهقين، أليس كذلك؟

احتجّت (بيلاتريكس) قائلة: «إنك تعلم جيدًا أن نصف أعضاء جماعة العنقاء قد انضموا إليهم بعد فترة قصيرة! وبما أننا نتكلم عن موضوع الجماعة، فإنك مازلت تدّعى أنك لا تستطيع أن تكشف عن مقر مركز قيادتهم، أليس كذلك؟».

قال (سناب): «أنا لست أمين السر ولا يمكننى النطق باسم المكان. إنك تدركين كيف يعمل هذا النوع من السحر على ما أعتقد؟ ثم إن سيد الظلام راض عن المعلومات التى نقلتها إليه عن الجماعة، وربما تكونين قد استنتجتِ أن تلك المعلومات قد أدت إلى أسر وقتل (إيميلين فانسى) منذ وقت قريب وقد ساعدت بالتأكيد فى التخلص من (سيريوس بلاك)، ومع ذلك فأنا أقر بالفضل لكِ لقتله».

أحنى (سناب) رأسه ورفع كأسه شاربًا وداعيًا إياها للشرب نخب ذلك، ولكن تعبير وجهها لم يلِن.

قالت (بيلاتريكس): «إنك تتفادى سؤالى الأخير يا (سناب)، لقد أتيحت لك الفرصة لقتل (هارى بوتر) مرات ومرات خلال الأعوام الخمسة الماضية ولكنك لم تفعل، لماذا؟».

سأل (سناب): «هل ناقشتِ هذا الأمر مع سيد الظلام؟».

«إنه... مؤخرًا... إننا... أنا أسألك أنت يا (سناب)!».

قال (سناب): «لو أننى قتلت (هارى بوتر)، لما كان بإمكان سيد الظلام أن يستخدم دمه فى العودة إلى الحياة من جديد قويًا لا يُقهر».

فقالت ساخرةً: «هل تدّعى أنه كان بإمكانك التكهن باستخدامه للولد؟!».

«أنا لا أدَّعى شيئًا، لم يكن لدىَّ أى علم بخططه، وقد اعترفت بالفعل بأننى اعتقدت أن سيد الظلام قد مات، إننى أحاول فقط أن أشرح لكِ لماذا سيد الظلام ليس آسفًا على بقاء (بوتر) على قيد الحياة على الأقل حتى عام مضى؟».

سألت (بيلاتريكس): «ولكن، ما الذى جعلك تبقيه حيًّا؟».

رد (سناب): «ألم تفهمى ما قلته؟ لقد كانت حماية (دمبلدور) هى الشىء الوحيد الذى يبقينى خارج أسوار (أزكابان)! هل تختلفين معى أن قتلى لتلميذه المفضل قد يجعله ينقلب ضدى؟ ولكن الأمر كان أكثر من ذلك.

يجب أن أذكِّرَكِ أنه عند وصول (بوتر) فى أول الأمر إلى (هوجوورتس)، كان هناك العديد من القصص التى تدور حوله وشائعات عن كونه هو نفسه ساحر الظلام العظيم، وأن هذا هو سبب نجاته من هجوم سيد الظلام. حقيقة، لقد اعتقد العديد من أتباع سيد الظلام السابقين أن (بوتر) يمكن أن يكون القائد الذى يمكن أن نحتشد حوله. مرة أخرى، أعترف بأننى كنت فضوليًا ولم أكن ميالاً بأية حال من الأحوال إلى قتله فى اللحظة التى وضع فيها قدمه داخل القلعة. وبالطبع، لقد اتضح لى بسرعة أنه لا يملك أية قدرات استثنائية بالمرة. لقد شق طريقه عبر عدد من المواقف الصعبة بواسطة توليفة بسيطة من الحظ المحض، ومساعدة أصدقائه الذين يتمتعون بالموهبة. إنه عادى وبلا موهبة إلى أقصى حد، وإن كان بغيضًا ومغرورًا كما كان والده من قبله. ولقد بذلت كل ما فى وسعى؛ ليطردوه من (هوجوورتس)؛ لأنى كنت أعتقد أنه لا ينتمى إليها، ولكن إن قتلته أو تركته يُقتل وأنا موجود فسأكون غبيًا إذا خاطرت بحدوث ذلك، و(دمبلدور) موجود بالقرب من المكان».

سألت (بيلاتريكس): «وعلى الرغم من ذلك، فمن المفترض أن نصدق أن (دمبلدور) لم يشك بك قط، وأنه ليس لديه أية فكرة عن ولائك الحقيقى، ولايزال يثق بك ثقة مطلقة».

قال (سناب): «لقد لعبت دورى بمهارة، ثم إنك تغفلين نقطة ضعف (دمبلدور) الكبرى، وهى إحسانه الظن بالناس. لقد حكيت له قصة كاذبة عن تغيرى وإحساسى العميق بتأنيب الضمير وندمى الشديد على الأيام التى كنتُ فيها من (آكلى الموت)، وقد استقبلنى بأذرع مفتوحة إلا أنه - كما سبق أن أشرت - بذل كل ما فى وسعه؛ لمنعى من الاقتراب من فنون الظلام. لقد كان (دمبلدور) دائمًا ساحرًا عظيمًا».

حاولت (بيلاتريكس) مقاطعته معترضة، إلا أنه قال: «إنه كذلك بالفعل وسيد الظلام يعترف بذلك، ولكننى سعيد مع ذلك أن أقول إن

(دمبلدور) أصبح عجوزًا، وقد هزته مبارزته مع سيد الظلام الشهر الماضى وقد عانى جراحًا خطيرة بسببها؛ لأن استجابته أصبحت أبطأ مما كانت عليه فى الماضى، ولكنه لم يشُك للحظة فى (سيفيروس) طوال تلك الأعوام، وهنا تكمن أهميتى العظمى لدى سيد الظلام».

كانت (بيلاتريكس) تبدو غير سعيدة على الرغم من أنها كانت غير واثقة: ما الطريقة المثلى لمواصلة هجومها على (سناب) الذى استغل فرصة صمتها وإلتفت إلى أختها! وقال: «الآن... لقد أتيتِ لطلب المساعدة يا (ناركيسا)؟».

رفعت (ناركيسا) نظرها إليه ووجهها ينطق باليأس: «نعم يا (سيفيروس).. أعتقد أنك الشخص الوحيد القادر على مساعدتى، ليس لدىَّ شخص آخر ألجأ إليه. فـ(لوكيوس) فى السجن و...».

وأغلقت عينيها ثم انحدرت دمعتان كبيرتان من تحت جفونها.

واستأنفت حديثها بينما عيناها لاتزالان مغلقتين: «لقد منعنى سيد الظلام من الكلام عن الأمر، فهو لا يريد أن يعرف الخطةَ أىُّ شخص، إنها... فى غاية السرية، ولكن...».

قال (سناب) بسرعة: «إذا كان سيد الظلام قد منعكِ، فيجب ألا تتكلمى؛ فكلمة سيد الظلام قانون».

انتفضت (ناركيسا) كما لو كان قد أغرقها بالماء البارد. أما (بيلاتريكس) فقد بدت راضيةً لأول مرة منذ أن دخلت هذا المنزل.

وقالت لأختها بانتصار: «أرأيتِ؟! حتى (سناب) يقول هذا، لقد أُمرتِ ألا تتكلمى ويجب عليك الطاعة».

ولكن (سناب) وقف وخطا بسرعة إلى النافذة الصغيرة، واختلس النظر، عبر الستائر، إلى الشارع المهجور، ثم أغلقها ثانية بعصبية والتفت لمواجهة (ناركيسا) وهو عابس.

وقال بصوت خفيض: «من حسن الحظ، إننى على علم بالخطة، فأنا واحد من القلائل الذين أخبرهم سيد الظلام بها. ومع ذلك، فلو أننى لم أكن عالمًا بالسر لكنتِ الآن مدانةً بخيانة عظمى لسيد الظلام يا (ناركيسا)».

قالت (ناركيسا) وقد تنفست الصعداء: «لقد اعتقدت أنه لابد أنك تعلم! إنه يثق بك جدًّا يا (سيفيروس)».

قالت (بيلاتريكس) وقد تحول الرضا الخاطف الذى كان مرتسمًا على وجهها إلى نظرة غضب: «أنت تعرف الخطة؟ تعرفها؟».

قال (سناب): «بالتأكيد، ولكن ما المساعدة التى تحتاجين إليها يا (ناركيسا)؟ لو كنتِ تتخيلين أننى أستطيع إقناع سيد الظلام بأن يغير رأيه، فأنا آسف أن أقول لكِ إنه ليس هناك أمل فى ذلك، لا أمل على الإطلاق».

همست (ناركيسا) ودموعها تنحدر بغزارة على خديها الشاحبين: «ابنى يا (سيفيروس)... ابنى الوحيد».

قالت (بيلاتريكس): يجب على (دراكو) أن يكون فخورًا؛ فإن سيد الظلام يوليه شرفًا عظيمًا، وسوف أقول ذلك لـ(دراكو)، إنه لن يهرب من واجبه، فهو يبدو سعيدًا بأن لديه فرصة لإثبات جدارته، ومتشوقًا لأداء المهمة».

بدأت (ناركيسا) تبكى بحُرقة وهى تنظر طوال الوقت إلى (سناب) متوسلةً.

وقالت: «هذا لأنه فى السادسة عشرة وليست لديه فكرة عما ينتظره! لماذا يا (سيفيروس)؟ لماذا ابنى؟ إن الأمر خطير جدًّا! يبدو الأمر انتقامًا من خطأ (لوكيوس)، أنا متأكدة!».

لم يقل (سناب) شيئًا، وأبعد بصره عن رؤية دموعها كما لو كان مظهرها غير محتشم، ولكنه لم يستطع التظاهر بأنه لم يسمعها.

وأكدت كلامها: «هذا هو سبب اختياره لـ(دراكو)، أليس كذلك؟ ليعاقب (لوكيوس)؟».

قال (سناب) وهو لايزال ينظر بعيدًا عنها: «لو نجح (دراكو)، فستكون له خطوة تفوق الجميع».

نشجت (ناركيسا) وقالت: «ولكنه لن ينجح! فكيف يمكنه أن ينجح إذا كان سيد الظلام نفسه...؟».

شهقت (بيلاتريكس) بينما بدت (ناركيسا) على وشك الانهيار.

وأكملت: «لقد عنيت فقط أن أحدًا لم ينجح حتى الآن... أرجوك يا (سيفيروس).. إنك كنت دائمًا مدرس (دراكو) المفضل... وأنت صديق قديم لـ(لوكيوس)... أتوسل إليك... إنك مقرب من سيد الظلام فأنت مستشاره ومحل ثقته... حاول أن تكلمه، أن تقنعه».

فقالها (سناب) صريحةً: «إن سيد الظلام لن يقتنع وأنا لست غبيًّا حتى أحاول إقناعه، كما أننى لن أتظاهر بأن سيد الظلام ليس غاضبًا من (لوكيوس)؛ فلقد كان مكلفًا بالقيادة وقبض عليه ومعه كثير من الأتباع وفشل فى استعادة النبوءة. نعم يا (ناركيسا) إن سيد الظلام غاضب، غاضب جدًّا فى الحقيقة».

قالت (ناركيسا) بصوت مختنق: «إذن، أنا على حق، لقد اختار (دراكو)؛ للانتقام، إنه لا يتوقع نجاحه ولكنه يريده أن يقتل وهو يحاول!».

عندما لم يقل (سناب) شيئًا، بدت (ناركيسا) كما لو أنها فقدت كل ما لديها من تحكم فى أعصابها، ووقفت وأمسكت بملابس (سناب) فجأة وأصبح وجهها قريبًا من وجهه، لدرجة أن دموعها أصبحت تسقط على صدره، وقالت وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة: «يمكنك أن تقوم بهذا بدلاً من (دراكو) يا (سيفيروس)، تستطيع النجاح، يمكنك ذلك بالتأكيد وسوف يكافئك سيد الظلام أكثر من أى واحد منا».

أمسك (سناب) بمعصميْها وأزاح يديها القابضتين على ملابسه، بينما ينظر إلى وجهها الملطخ بالدموع، ثم قال بهدوء: «إنه ينوى تكليفى بها فى نهاية الأمر كما أعتقد، ولكنه مصمم على أن يحاول (دراكو) أولاً، وإذا حدث غير المتوقع ونجح (دراكو)، فسيكون بإمكانى البقاء فى (هوجوورتس) لوقت أطول مؤديًا دورى القيِّم كجاسوس هناك».

قالت (ناركيسا): «بمعنى آخر، لا يهم أن قتل (دراكو)».

كرر (سناب) كلامه بهدوء: «إن سيد الظلام غاضب جدًّا، لقد فشل فى الاستماع إلى النبوءة. إنك تعلمين بقدر ما أعلم يا (ناركيسا) أنه لا يغفر بسهولة».

سقطت (ناركيسا) منهارة عند قدميه وأخذت تنشج وتنوح على الأرض: «ابنى الوحيد... ابنى الوحيد».

قالت (بيلاتريكس) بقسوة: «يجب أن تكونى فخورة! لو أن لدىَّ أولادًا، لكنت قد أصبحت فى منتهى السعادة وأنا أهبهم لخدمة سيد الظلام!».

صرخت (ناركيسا) صرخة يأس وأخذت تشد شعرها الأشقر. انحنى (سناب) وأمسك بكتفيها ثم رفعها ودفع بها؛ لتجلس فوق الأريكة مرة أخرى، ثم سكب المزيد من النبيذ فى كأسها ودفع بها إلى يدها بالقوة، وقال: «هذا يكفى يا (ناركيسا). اشربى هذا، واستمعى إلىَّ».

هدأت قليلاً ورشفت النبيذ، بينما كانت ترتجف فأسقطته على ملابسها.

قال (سناب): «قد يكون بإمكانى مساعدة (دراكو)».

اعتدلت (ناركيسا) فى جلستها وقد أصبح وجهها فى بياض الورق واتسعت عيناها.

«هل تنوى حقًّا مساعدته يا (سيفيروس)؟ هل ستعتنى به، وتمنع حدوث أى مكروه له؟».

«سأحاول».

ألقت (ناركيسا) بكأسها على المائدة فتدحرجت فوقها، وانزلقت من فوق الأريكة راكعة عند قدمى (سناب)، وأمسكت يده بكلتا يديها وضغطت عليها بشفتيها. وقالت: «أحقًا ستقوم بحمايته يا (سيفيروس)؟ هل تقسم على ذلك؟ هل تؤدى القسم الذى لا يمكن الحنث به؟».

«القسم الذى لا يمكن الحنث به!». كان تعبير (سناب) غامضًا لا يمكن قراءته إلا أن (بيلاتريكس) أطلقت ضحكة ظافرة وقالت: «ألم تسمعيه يا (ناركيسا)؟ لقد قال إنه سيحاول، أنا متأكدة.. نفس الكلمات المعتادة الخالية من أى معنى، ونفس الثرثرة المعتادة التى ينقصها الفعل.. طبقًا لأوامر سيد الظلام بالطبع!».

لم يُلقِ (سناب) بالاً لـ(بيلاتريكس) وظل نظره مثبتًا على عينى (ناركيسا) الزرقاوين الفائضتين بالدموع، بينما هى لاتزال ممسكة بيده.

ثم قال بهدوء: «أجل يا (ناركيسا)، سوف أؤدى القسم، ربما ستوافق أختك على أن تقوم بوصلنا معًا».

فتحت (بيلاتريكس) فاها من الدهشة وانحنى (سناب) حتى ركع فى مواجهة (ناركيسا) تحت نظرات (بيلاتريكس) المندهشة المحدقة.

شبك كل واحد منهما يده فى يد الآخر.

ثم قال (سناب) ببرود: «ستحتاجين إلى عصاكِ يا (بيلاتريكس)».

سحبت (بيلاتريكس) عصاها بينما مازالت الدهشة تبدو عليها.

قال (سناب): «عليكِ أن تقتربى أكثر».

تقدمت (بيلاتريكس) حتى وقفت أعلاهما ووضعت طرف عصاها على أيديهم المشبوكة.

وبدأت (ناركيسا) الكلام:

«هل تتعهد يا (سيفيروس) بأن ترعى ابنى (دراكو) بينما يحاول تنفيذ رغبات سيد الظلام؟».

قال (سناب): «سأفعل».

انبعث من العصا لسان من اللهب المتألق التف حول أيديهم الملتصقة مثل سلك «مُحَمَّر» من شدة السخونة.

«هل ستبذل كل ما فى وسعك لحمايته من الأذى؟».

قال (سناب): «سأفعل».

انبعث من العصا لسان آخر من اللهب تداخل مع الأول وصنعا معًا سلسلة متوهجة رفيعة.

همست (ناركيسا): «وإذا لزم الأمر وبدا أن (دراكو) لن ينجح فى مهمته...». (اختلجت يد (سناب) فى يدها ولكنه لم يسحبها).

ثم أكملت: «هل ستقوم بإتمام العمل الذى طلب سيد الظلام من (دراكو) إنجازه؟»، مرت لحظة صمت، بينما (بيلاتريكس) تراقبهما وعصاها فوق أيديهم المشبوكة وعيناها مفتوحتان على وسعيْهما.

قال (سناب): «سأفعل».

توهج وجه (بيلاتريكس) بالاحمرار من الدهشة.

بينما تألق اللسان الثالث من اللهب الذى أطلقته عصاها وتداخل مع اللسانين الآخرين والتف حول أيديهم المتماسكة مثل حبل أو ثعبان نارى.

■ ■ ■

٣ وصية وممانعة

كان (هارى بوتر) يغطُّ فى نومه بصوت عال، كان قد أمضى الجزء الأكبر من الساعات الأربع الماضية جالسًا على كرسى بجوار نافذة حجرة نومه وهو ينظر إلى الشوارع المظلمة حتى سقط فى النهاية نائمًا، بينما أحد جانبى وجهه ملتصق بزجاج النافذة البارد وقد مالت نظارته وانفتح فمه. تألق الأثر الضبابى المغبش الذى تركه تنفُّسُه على زجاج النافذة عندما انعكست عليه الأضواء البرتقالية لمصباح الشارع فى الخارج، وقد سحب الضوء الصناعى كل الألوان من وجهه: فبدا كوجه شبح تحت كتلة من الشعر الأسود الأشعث.

كانت هناك أغراض مختلفة وقُمامة متناثرة فى كل مكان بالغرفة: ريش البوم، وبواقى ثمار التفاح وأغلفة الحلوى كانت مبعثرة فى الأرض، وكان هناك عدد من كتب التعاويذ الملقاة بدون ترتيب فوق الملابس المتناثرة فوق السرير، وهناك مجموعة من الجرائد المتناثرة على المكتب تحت مصباحه المضىء وكان العنوان الرئيسى لأحدها يقول:

(هارى بوتر).. المختار؟

انتشرت شائعات كثيرة عن الشغب الغامض الذى حدث بوزارة السحر منذ وقت قريب، والذى ظهر فيه (الذى لا يجب ذكر اسمه) مرة أخرى.

قال أحد معدلى الذاكرة الثائرين، بينما كان خارجًا من الوزارة ليلة أمس: «وليس مسموحًا لنا بأن نتكلم عن الموضوع، فلا تسألونى عن أى شىء، وقد رفض ذكر اسمه».

ومع ذلك، أكدت مصادر مطلعة داخل الوزارة أن الشغب تمركز فى القاعة الأسطورية للنبوءة.

إلا أن المتحدث باسم وزارة السحر رفض - حتى الآن - تأكيد وجود مثل هذا المكان، ويعتقد عدد متزايد من أفراد مجتمع السحر أن (آكلى الموت) الذين سبق الحكم عليهم بالسجن فى (أزكابان) لارتكابهم جرائم عنيفة وسرقات قد حاولوا سرقة النبوءة، وإن كانت طبيعة تلك النبوءة غير معلومة رغم أن هناك شائعات منتشرة تقول إنها تخص (هارى بوتر) وهو الشخص الوحيد المعروف الذى نجا من تعويذة الموت، ومن المعروف أيضًا أنه كان فى وزارة السحر فى نفس الليلة محل السؤال.

البعض قد وصل به الأمر إلى أن يطلق على (بوتر) اسم (المختار)؛ اعتقادًا منهم أن النبوءة تذكر اسمه كالشخص الوحيد الذى سيكون بإمكانه تخليصنا من (الذى لا يجب ذكر اسمه).

ويظل المكان الحالى للنبوءة غير معلوم، هذا إذا كانت موجودة فعلاً، على الرغم من... (الباقى صفحة ٢ عمود ٥).

وهناك جريدة أخرى بجوار الأولى تحمل عنوان:

سكريمجور يخلف فودج

ظهرت صورة كبيرة أبيض وأسود لرجل له شعر طويل غزير يشبه لبدة الأسد، ووجه ممتلئ بالندوب صدر الصفحة، وكانت الصورة تتحرك حيث كان الرجل يشير إلى السقف.

أصبح (روفوس سكريمجور) الذى كان فى السابق رئيس مكتب الدفاع ضد السحر الأسود التابع لإدارة تنفيذ القانون السحرى - وزيرًا للسحر خلفًا لـ(كورنيليوس فودج). وقد قوبل تعيين (سكريمجور) كوزير للسحر بترحيب شديد من المجتمع السحرى على الرغم من الشائعات

التـى تقـول بوجـود خـلاف بـين الـوزيـر الـجـديد وبـيـن (دمـبلـدور) الـذى استعـاد منصبه ككبير سحرة (ويزينجاموت)، ظهر بعد ساعات قليلة من تولى (سكريمجور) الوزارة.

وقد اعتـرف ممثـل (سكـريمـجـور) أنـه التـقـى بـ(دمـبلـدور) فور توليه لأعلى وظيفة بالوزارة ولكنه رفض التعليق على الموضوع محل النقاش. و(ألباس دمبلدور) معروف بـ...(الباقى صفحة ٣ عمود ٢).

على يسار تلك الجريدة، توجد جريدة أخرى مطوية، بحيث يظهر بها موضوع يحمل عنوان:

الوزارة تضمن سلامة الطلاب

تحدث اليوم وزير السحر الجديد (روفوس سكريمجور) عن الإجراءات الجديدة الصارمة التى اتخذتها الوزارة؛ لتأمين سلامة الطلبة العائدين إلى مدرسة (هوجوورتس) لفنون السحر هذا الخريف.

قال الوزير: لأسباب واضحة، لن تذكر الوزارة تفاصيل خططها الأمنية المشددة الجديدة، إلا أن مصدرًا مطلعًا أكد أن الإجراءات تتضمن تعاويذ وسحرًا دفاعيًا، ومجموعة مرتبة من التعاويذ المضادة المعقدة، وقوة صغيرة من المدافعين ضد فنون الظلام مخصصة لحماية مدرسة (هوجوورتس) فقط.

يبدو أن الموقف الحازم للوزير الجديد حول سلامة الطلبة قد أشاع الاطمئنان بين معظم الأسر. قالت السيدة (أوغستا لونجبوتم): إن حفيدى (نيفيل) صديق حميم لـ(هارى بوتر)، وهو ضمن من حاربوا معه (آكلى الموت) بالوزارة فى شهر يونية الماضى و...

ولكن باقى القصة كان محجوبًا بسبب وجود قفص طائر كبير فوقه، وبداخله بومة ثلجية بديعة، كانت عيناها الزمرديتان تمسحان الغرفة بطريقة متعجرفة، وكان رأسها يدور كل فترة لتحدق إلى سيدها الذى

يغطُّ ونقرت مرة أو مرتين بمنقارها بنفاد صبر إلا أن (هارى) كان غارقًا فى نومه فلم يسمعها.

كانت هناك حقيبة كبيرة موجودة فى وسط الغرفة تمامًا، غطاؤها مفتوح.. بدت الحقيبة كأنها فى وضع استعداد وإن كانت تكاد تكون خالية إلا من الملابس الداخلية القديمة والحلويات وزجاجات الحبر الفارغة وبعض ريشات الكتابة المكسورة التى تغطى قاع الحقيبة ويوجد بالقرب منها على الأرض كتيب إرشادات أرجوانى مزخرف بكلمات ذات ألوان زاهية.

صدرت عن مصلحة السحر
كيف تحمى بيتك وأسرتك ضد قوى السحر الأسود؟

يواجه مجتمع السحر حاليًا خطر منظمة تسمِّى نفسها (آكلى الموت). ستساعدك مراعاة تلك الإجراءات الأمنية البسيطة فى حماية نفسك وعائلتك وبيتك من أى هجوم قد تتعرض له:

١ـ يفضل ألاَّ تترك منزلك خاليًا.

٢ـ يجب التزام الحيطة خاصة أثناء ساعات الليل، وحاول أن تنهى رحلاتك قبل أن يسقط الليل كلما كان ذلك ممكنًا.

٣ـ راجع الإجراءات الأمنية حول منزلك وتأكد من معرفة أفراد أسرتك إجراءات الطوارئ؛ مثل تعويذة الدرع والسحر المضاد للأوهام.. خاصة فى حالة إذا ما كان أفراد الأسرة تحت السن القانونية، وكذلك قواعد الانتقال الآنى مع الآخرين.

٤ـ اتفق مع الأصدقاء وأفراد الأسرة على أسئلة أمنية؛ حتى يمكنكم اكتشاف (آكلى الموت) الذين يحاولون انتحال شخصيات الآخرين باستخدام وصفة التخفى (انظر صفحة ٢).

٥ـ *إذا ما شعرت أن أحد أفراد الأسرة أو زميلاً أو صديقًا أو جارًا يتصرف بطريقة غريبة، فاتصل فورًا بغرفة تنفيذ القانون السحرى، فقد يكونون تحت تأثير تعويذة تحكُّم (انظر صفحة ٤).*

٦ـ *إذا ما ظهرت علامة الظلام فوق أى منزل أو مبنى آخر فلا تدخله، فقط اتصل بمكتب الدفاع ضد السحر الأسود فورًا.*

٧ـ *مشاهدات غير مؤكدة تشير إلى أن (آكلى الموت) قد يستخدمون (الأنفيرى) (انظر صفحة ١٠) يجب أن يتم إبلاغ الوزارة فورًا عن أى مشاهدة لأى (أنفيرى) أو اشتباك معهم.*

همهم (هارى) وهو نائم وانزلق وجهه على النافذة باردة أو نحوها؛ مما جعل نظارته تميل أكثر مما كانت ولكنه لم يصحُ وأصدر المنبه الذى أصلحه (هارى) منذ عدة سنوات صوتًا عاليًا عند عتبة النافذة معلنًا أن دقيقة واحدة باقية على الحادية عشرة، وبالقرب منها كانت يد (هارى) المرتاحة ممسكة بقطعة من الجلد مغطاة بكتابة رفيعة مائلة ـ كان (هارى) قد قرأ هذه الرسالة كثيرًا جدًّا منذ وصولها من ثلاثة أيام حتى أصبحت الآن مفرودة تمامًا على الرغم من أنها عند وصولها كانت ملفوفة بإحكام.

عزيزى (هارى):

إذا كان الأمر مناسبًا بالنسبة لك، فسوف أحضر إلى المنزل رقم ٤ شارع (بريفت درايف) يوم الجمعة القادم الساعة الحادية عشرة مساءً؛ لمرافقتك إلى الجحر، حيث تمت دعوتك لقضاء الوقت الباقى من إجازتك الصيفية.

إذا وافقت فسأكون ممتنًا إذا ساعدتنى فى أمر أرجو إنهاءه.. فى طريقنا إلى الجحر، سوف أشرح لك الأمر كاملاً حين نلتقى. برجاء إرسال إجابتك إلىَّ مع هذه البومة، أرجو أن أراك يوم الجمعة...

المخلص... (ألباس دمبلدور).

على الرغم من أنه قد حفظ كلماتها، ظل (هارى) يختلس النظر للرسالة كل فترة منذ السابعة مساء تلك الليلة عندما اتخذ هذا الوضع بجوار نافذة حجرة نومه التى يستطيع المرء أن يشاهد منها طرفى شارع (بريفت درايف) كان يعرف أنه من الحمق أن يستمر فى قراءة كلمات (دمبلدور) مرة بعد مرة، فقد أرسل له (هارى) موافقته مع البومة التى سلمت رسالته كما طلب منه. وأن كل ما يستطيع عمله الآن هو الانتظار؛ فقد يأتى (دمبلدور) أو لا يأتى.

ولكن (هارى) لم يحزم أشياءه، فقد بدا أن إنقاذه من (آل درسلى) بعد أسبوعين فقط من مكوثه معهم أمر يفوق أحلامه، فلم يستطع التخلص من شعوره بأن خطأ ما سوف يحدث؛ فقد تضيع الرسالة التى أرسلها إلى (دمبلدور) مثلاً أو يحدث شىء يمنع (دمبلدور) من الوصول إليه، بل ربما يظهر أن الرسالة لم تكن من (دمبلدور) أصلاً وإنما مجرد حيلة أو دعابة أو فخ.. ولكن مهما كان الأمر، فلم يستطع (هارى) أن يواجه قيامه بحزم أشيائه، ثم احتمال اضطراره إلى فضها مرة أخرى. وكان الشىء الوحيد الذى قام به استعدادًا للرحلة هو إدخال بومته الثلجية (هيدويج) داخل قفصها بأمان.

وصل عقرب الدقائق فى المنبه إلى رقم ١٢ وفى هذه اللحظة بالذات انطفأ مصباح الشارع خارج النافذة.

صحا (هارى) من نومه وكأن الإظلام المفاجئ كان منبهًا له، وعدل وضع نظارته بسرعة ونزع خده من على الزجاج، وضغط أنفه عليه بدلاً من ذلك، واتجه بنظره إلى الرصيف حيث كان هناك شخص طويل يتقدم فى ممر الحديقة بينما تتماوج عباءته حوله.

قفز (هارى) كما لو أنه تلقى صدمة كهربائية؛ مما أوقع كرسيه، وبدأ فى خطف كل شىء وأى شىء قريب منه من الأرض وإلقائه داخل صندوقه. وبينما هو يرمى مجموعة من الملابس، وكتاب تعاويذ وعلبة من المقرمشات عبر الغرفة، دق جرس الباب.

سمع عمه (فرنون) يصيح فى غرفة المعيشة فى الأسفل: «بحق الجحيم، من الذى يزورنا فى هذا الوقت المتأخر من الليل؟».

تجمد (هارى) بينما يمسك تلسكوبًا نُحاسيًّا فى إحدى يديه وزوجًا من الأحذية الرياضية فى اليد الأخرى، لقد نسى تمامًا أن يخبر (آل درسلى) عن إمكانية حضور (دمبلدور)، وشعر (هارى) بالذعر والرغبة فى الضحك فى آن واحد، قفز من فوق الصندوق وفتح باب غرفة نومه فى الوقت المناسب لسماع صوت عميق يقول: «مساء الخير، لابد أنك السيد (درسلى)، أعتقد أن (هارى) قد أخبركم بأننى سوف آتى لاصطحابه». نزل (هارى) السلم قافزًا درجتين فى كل مرة، ثم توقف فجأة قبل أن يصل إلى أسفل السلم بعدد من الدرجات، فقد علمته التجربة أن يبقى بعيدًا عن متناول ذراع عمه كلما كان ذلك ممكنًا، كان هناك رجل طويل نحيف يقف عند مدخل الباب، له شعر طويل يصل إلى وسطه ولحية، كلاهما كان أبيض تمامًا.

كان يرتدى نظارة هلالية الشكل مستندة على أنفه المعقوف، وكان يرتدى عباءة سفر سوداء طويلة وقبعة لها حافة.

حدق (فرنون درسلى) إلى زائره وكأنه لا يصدق عينيه الصغيرتين وكان لـ(فرنون) شارب كث كشارب (دمبلدور)، وكان يرتدى «روب» ذا لون أحمر داكن.

قال (دمبلدور) بسلاسة: «نظرًا لنظرة الدهشة وعدم التصديق التى تبدو عليك، أعتقد أن (هارى) لم يخبركم بحضورى، ومع ذلك فلنفترض أنك قد دعوتنى بكل ترحيب لأدخل إلى منزلك، فمن الغباء البقاء أطول مما ينبغى على عتبة الباب فى هذه الأوقات المضطربة».

عبر (دمبلدور) العتبة برشاقة وأغلق الباب الأمامى خلفه.

قال (دمبلدور) وهو يخفض أنفه محدقًا إلى العم (فرنون): «لقد مضى وقت طويل منذ أتيت إلى هذا المنزل، يجب أن أقول لكم إن زهور (الأغابنيثوس) يانعة فى حديقتكم».

لم ينطق (فرنون درسلى) بحرْف، إلا أن (هارى) لم يشك فى أن الرد سيأتى قريبًا.

وسرعان ما انتفخ العِرق النابض فى صدغ عمه ووصل إلى مرحلة خطيرة، ولكن يبدو أن شيئًا ما فى (دمبلدور) قد سلبه قدرته على التنفس مؤقتًا، قد يكون مظهره الذى يعكس بوضوح طبيعته السحرية، وربما يكون العَمُّ (فرنون) قد شعر بصعوبة أن يستأسد على مثل هذا الرجل.

رفع (دمبلدور) عينيه إلى (هارى) ونظر إليه بنظارته الهلالية وقد بدا على وجهه تعبير راضٍ وقال: «آه، مساء الخير يا (هارى)، رائع، رائع». بدت هذه الكلمات كما لو أنها قد أيقظت العم (فرنون)، فمن الواضح أن كل ما أثار اهتمامه كان هو أن أى رجل بإمكانه النظر إلى (هارى)، وقول رائع؛ هو رجل يختلف معه فى الرأى.

بدأ (فرنون) حديثه بلهجة متوعدة بالفظاظة فى كل مقطع منها: «أنا لا أقصد أن أكون فظًا».

أنهى (دمبلدور) الجملة بلهجة جدية: «ومع ذلك للأسف، عادة ما تقال أشياء كثيرة فظَّة غير مقصودة، من الأفضل ألاَّ تقول أى شىء على الإطلاق يا عزيزى، آه، لابد أنكِ (بتونيا)». كان باب المطبخ قد فتح ووقفت على عتبته خالة (هارى) مرتدية قُفازًا مطاطيًا ومِبْذَلاً فوق ثوب النوم الخاص بها، من الواضح أنها كانت وسط عملية التنظيف اليومية للمطبخ التى تقوم بها قبل وقت النوم، وقد عكس وجهها الذى يبدو كوجه الحِصان إلى حد ما شعورَها بالصدمة.

عندما لم يقم العم (فرنون) بتقديمه، قال (دمبلدور): «(ألباس دمبلدور)، لقد تبادلنا الرسائل، بالطبع». فكر (هارى) أنها طريقة غريبة لتذكير الخالة (بتونيا) أنه أرسل إليها مرة رسالة متفجرة، ولكن الخالة (بتونيا) لم تعترض على اللفظ، وأضاف (دمبلدور): «لابد أن هذا ابنك (ددلى)؟».

كان (ددلى) قد أطل برأسه عبر باب غرفة المعيشة فى هذه اللحظة، وقد بدا رأسه الكبير الأشقر الخارج من الياقة المخططة لمنامته كما لو أنه مفصول عن جسمه، وقد انفتح فوه من الدهشة والخوف. انتظر (دمبلدور) لحظة على ما يبدو؛ ليرى إذا كان أى من (آل درسلى) سيقول أى شىء، ولكن مع استمرار الصمت ابتسم وقال: «فلنفترض إذن أنك قد دعوتنى إلى حجرة الجلوس». ابتعد (ددلى) عن طريق (دمبلدور) عندما مر بجواره. قفز (هارى) الذى كان مازال ممسكًا بالتلسكوب والحذاء الرياضى - الدرجات القليلة الباقية من السلم وتبع (دمبلدور) الذى جلس على كرسى ذى ذراعين بالقرب من المدفأة وأخذ يراقب المكان وقد ارتسم على وجهه تعبير من الاستمتاع، وقد بدا فى غير مكانه بشكل واضح جدًا.

سأل (هارى) بقلق: «ألسنا... ألسنا ذاهبين يا سيدى؟».

رد (دمبلدور): «بالطبع سنذهب، ولكن هناك بعض الأمور التى يجب مناقشتها قبل ذلك، وأنا أفضل ألاَّ تقوم بمناقشتها فى مكان مفتوح؛ ولذلك فسوف أتطفل على ضيافة عمك وخالتك لمدة أطول قليلاً».

قال (هارى): «هل تنوى ذلك فعلاً؟».

دخل (فرنون درسلى) الغرفة، و(بتونيا) عند كتفه و(ددلى) متواريًا خلف الاثنين..أجاب (دمبلدور) ببساطة: «نعم، سوف أفعل».

سحب (دمبلدور) عصاه بسرعة كبيرة حتى أن (هارى) بالكاد رآها.. وبضربة سريعة خفيفة منها، تحركت الأريكة إلى الأمام وخبطت رُكب (آل درسلى) الثلاثة من الخلف فانهاروا متكدسين فوق الأريكة.

وبضربة أخرى من العصا، عادت الأريكة إلى مكانها الأصلى.

قال (دمبلدور) بلطف: «كما يمكن أن نكون أكثر راحة أيضًا».

عندما كان (دمبلدور) يعيد عصاه إلى داخل جيبه، شاهد (هارى) أن يده كانت مسودة، وذابلة كما لو أن لحمه قد احترق تمامًا، فقال (هارى): «سيدى، ما الذى حدث لـ...؟».

قال (دمبلدور): «فيما بعد يا (هارى)، أرجوك اجلس».

جلس (هارى) على المقعد الباقى ذى الذراعين وتفادى النظر إلى (آل درسلى) الذين بدوا كما لو أن الدهشة قد عقدت ألسنتهم.

قال (دمبلدور) للعم (فرنون): «يمكننى الافتراض بأنك ستقوم بدعوتى لتناول المرطبات، ولكن الوضع الراهن يوحى بأن هذا سيكون تفاؤلاً شديدًا منى لدرجة الغباء».

ظهرت زجاجة متربة وخمس كئوس من الهواء إثر ضربة ثالثة من عصا (دمبلدور). انفتحت الزجاجة وسكبت كميات سخية من سائل عسلى فى كل كأس، ثم انطلقت الكئوس واحدة تلو الأخرى إلى كل فرد فى الغرفة.

قال (دمبلدور) وقد رفع كأسه محييًا (هارى) الذى أمسك كأسه ورشف منها شراب العسل المصنوع من البلوط المعتَّق: «أفضل ما صنعته مدام (روزمرتا)»، لم يذق (هارى) شيئًا مثل ذلك الشراب من قبل لكنه استمتع به بشكل كبير. نظر (آل درسلى) بسرعة وخوف إلى بعضهم بعضًا، ثم حاولوا تجاهل الكئوس تمامًا، وإن كان ذلك صعبًا؛ حيث كانت الكئوس تلكزهم برفق على جانب رءوسهم. لم يستطع (هارى) كبت شكه أن (دمبلدور) كان يستمتع بالوضع.

قال (دمبلدور) وهو يلتفت نحو (هارى): «حسنًا يا (هارى)، هناك مشكلة، أرجو أن تستطيع حلها لنا؛ وأقصد بـ(لنا) جماعة العنقاء. ولكن قبل كل شىء، يجب أن أقول لك إن وصية (سيريوس) قد اكتشفت منذ أسبوع وأنه ترك لك كل شىء يمتلكه».

انتبه العم (فرنون) فوق الأريكةَ والتفت، إلا أن (هارى) لم ينظر إليه ولم يستطع أن يفكر فى أى شىء ليقوله سوى: «أوه.. صحيح».

قال (دمبلدور): «هذا فى الأغلب مناسب تمامًا، فسوف يضاف كمٌّ معقول من الذهب إلى حسابك فى بنك (جرنجوتس) وسوف ترث الممتلكات الشخصية لـ(سيريوس)؛ الشىء الوحيد الذى قد يسبب مشكلة فى الوصية».

قال العم (فرنون) بصوت عال من فوق الأريكة: «لقد مات أبوه الروحى!».

التفت كل من (دمبلدور) و(هارى) للنظر إليه. كانت كأس الشراب تضرب جانب رأس (فرنون) بطريقة أكثر إلحاحًا ساعتها، فحاول أن يبعدها عنه وقال: «هل مات؟ أبوه الروحى مات؟».

قال (دمبلدور): «نعم»، ولم يسأل (هارى) لماذا لم يُفض بأمر موته إلى (آل درسلى). واستأنف (دمبلدور) حديثه لـ(هارى) وكأنه لم تكن هناك أية مقاطعة قائلاً: «مشكلتنا أن (سيريوس) ترك لك أيضًا المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد)».

قال العم (فرنون) بجشع وقد ضاقت عيناه: «هل ترك له منزلاً؟»، لكنَّ أحدًا لم يجبه.

قال (هارى): «يمكنكم الاستمرار فى استخدامه كمركز للقيادة. أنا لا أهتم، يمكنكم الحصول عليه. أنا لا أريده فعلاً». لم يكن (هارى) يريد العودة إلى المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد) ثانيةً لو كان الأمر بيده؛ لأنه يعتقد أن ذكرى (سيريوس) سوف تلاحقه إلى الأبد وستظل روحه تطوف خلسة داخل الغرف المظلمة العتيقة وحيدة، محبوسة داخل المكان الذى أراد (سيريوس) بأية طريقة أن يتركه.

قال (دمبلدور): «هذا كرم منك، ولكننا مع ذلك أخلينا المبنى مؤقتًا».

(هارى): «لماذا؟».

قال (دمبلدور) متجاهلاً غمغمة العم (فرنون) الذى كانت كأس الشراب تدق فوق رأسه باستمرار:

«حسنًا، تنص تقاليد عائلة (بلاك) على أن المنزل يسلم إلى التالى من أفراد الأسرة، أو الذكر التالى الذى يحمل اسم (بلاك)».

«ولكن (سيريوس) كان آخر شخص فى شجرة العائلة؛ حيث مات أخوه الأصغر (ريجولوس) قبله وكلاهما لم يكن لديه أولاد. ورغم أن وصيته تنص بوضوح على أنه يريدك أن ترث المنزل فإنه من الممكن

أن تكون هناك بعض التعاويذ السحرية التى وضعت على المكان؛ لضمان ألاَّ يمتلكه أحد غير الأقرباء».

لمعت فى ذهن (هارى) ذكرى حية للوحة أم (سيريوس) الزيتية المعلقة فى صالة المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد)، والتى تصيح وتلعن وتبصق، فقال: «هذا أكيد».

قال (دمبلدور): «بالضبط، وإذا كان مثل هذا السحر موجودًا؛ فقد تنتقل ملكية المنزل - فى أغلب الظن - إلى أكبر أقارب (سيريوس) سنًّا؛ وهذا يعنى ابنة عمهِ (بيلاتريكس ليسترانج)».

بدون أن يعرف ما يفعله، قفز (هارى) واقفًا على قدميه، فوقع التلسكوب والحذاء من حِجره على الأرض وتدحرجا عليها. (بيلاتريكس ليسترانج)، قاتلة (سيريوس)، ترث منزله؟!

قال (هارى): «لا».

فقال (دمبلدور) بهدوء: «حسنًا، نحن أيضًا نفضل ألاَّ تحصل عليه، الموقف مشحون بالتعقيدات، فنحن - على سبيل المثال - لا نعلم إن كان السحر الذى وضعته على المنزل لجعله غير محدد المكان سيستمر بعد أن انتقلت ملكية المنزل من يد (سيريوس).. وقد تظهر (بيلاتريكس) على عتبة الباب فى أية لحظة، ومن الطبيعى إذن أن نضطر للانتقال إلى خارج المنزل حتى يتضح الموقف».

«ولكن، متى ستعلمون إن كان بإمكانى تملُّك المكان؟».

قال (دمبلدور): «لحسن الحظ، هناك اختبار بسيط للتأكد»، ووضع كأسه الخالية فوق مائدة صغيرة بجوار كرسيه وقبل أن يستطيع فعل أى شىء آخر، صاح العم (فرنون): «هل ستقوم بوضع هذه الأشياء بعيدًا عنا؟».

نظر (هارى) إليهم فوجد (آل درسلى) الثلاثة منكمشين وأذرعهم فوق رءوسهم، بينما كئوسهم تضرب أعلى وأسفل جماجمهم، ومحتوياتها تتناثر فى كل مكان.

قال (دمبلدور) بأدب: «أنا آسف جدًّا»، ورفع عصاه مرة أخرى واختفت الكئوس الثلاث، وأضاف:

«كان من الأفضل أن تنوموا بشربها، كما تعلمون».

وبدا الأمر وكأن العم (فرنون) على وشك الانفجار والرد بأى عدد من الردود السريعة الساخطة، إلا أنه لم يفعل شيئًا سوى العودة إلى الانكماش فوق الأريكة مع الخالة (بتونيا) و(ددلى) دون أن يقول شيئًا وأبقى عينيه الصغيرتين اللتين تشبهان عينى الخنزير على عصا (دمبلدور).

قال (دمبلدور) وقد التفت عائدًا إلى (هارى) مستأنفًا حديثه مرة أخرى كما لو أن العم (فرنون) لم ينطق بحرْف: «إذا كنت بالفعل قد ورثت المنزل، فإنك تكون أيضًا قد ورثت».

حرك (دمبلدور) عصاه للمرة الخامسة، فسمع صوت فرقعة عاليًا وظهر جنى منزلى، له أنف يشبه الخرطوم وأذُنا وطواط كبيرتان وعينان محتقنتان بالدم. كان منحنيًا على سجادة (آل درسلى) ذات الوبر الكثيف، مرتديًا ملابس بالية متسخة. أطلقت الخالة (بتونيا) صرخة يقشعر منها البدن: فلم يدخل منزلها شىء على هذا القدر من القذارة من قبل. سحب (ددلى) قدميه الكبيرتين الحافيتين ذواتى اللون الوردى من فوق الأرض وجلس وقد رفعهما تقريبًا فوق رأسه، وكأنه اعتقد أن المخلوق الغريب قد يصعد على بنطلون منامته، أما العم (فرنون) فقد صاح: «ما هذا بحق الجحيم؟».

أنهى (دمبلدور) جملته: «كريتشر».

قال الجنى المنزلى بصوته المتحشرج الذى يبلغ علو نبرته علو نبرة العم (فرنون): «لا، لا، لا، (كريتشر) لن يفعل...». بينما كان يخبط الأرض بقدميه المعقدتين ويشد أذنيه.

وأكمل: «.. (كريتشر) ملك الآنسة (بيلاتريكس)، (كريتشر) ملك (آل بلاك)، (كريتشر) يريد سيدته الجديدة، (كريتشر) لن يذهب إلى ابن (بوتر)، (كريتشر) لن يفعل، لا، لا، لا ...».

قال (دمبلدور) بصوت أعلى من حشرجة (كريتشر) الذى ظل يردد: لا، لا، لا: «كما ترى يا (هارى)، فـ(كريتشر) يُظهر ممانعة معينة من الانتقال إلى ملكيتك».

نظر (هارى) باشمئزاز إلى الجنى المنزلى الذى يخبط الأرض بقدميه ويتلوى، وقال مرة أخرى:

«أنا لا أهتم. أنا لا أريده».

(كريتشر): «لا، لا، لا، لا...!».

قال (دمبلدور): «هل تفضل أن تنتقل ملكيته إلى (بيلاتريكس ليسترانج) إذن؟ بينما يتذكر تفاصيل عام كامل عاشه فى مقر جماعة العنقاء».

(كريتشر): «لا، لا، لا، لا».

حدق (هارى) إلى (دمبلدور)، فقد كان يعلم أنه من المستحيل السماح لـ(كريتشر) بأن يذهب ليعيش مع (بيلاتريكس ليسترانج)، ولكن فكرة امتلاكه، وتحمل مسئولية المخلوق الذى خان (سيريوس) كانت كريهة.

قال (دمبلدور): «أعطِه أمرًا. وإن كان قد انتقل إلى ملكيتك، فسيكون عليه طاعتك. وإذا لم يطعك، فسيكون علينا حينئذ أن نفكر فى وسيلة أخرى؛ لمنعه من الذهاب إلى مالكتِه الشرعية».

(كريتشر): «لا، لا، لا، لا...!».

ارتفع صوت (كريتشر) حتى أصبح كالصراخ ولم يستطع (هارى) أن يفكر فى أى شيء يقوله سوى «(كريتشر)، اخرس!».

لقد بدا للحظة أن (كريتشر) سوف يختنق، جذب (كريتشر) عنقه، بينما فمه مازال يُفتح ويُغلق بغضب وقد برزت عيناه. وبعد ثوان قليلة من المحاولات المحمومة، ارتمى على وجهه فوق السجادة.

أصدرت الخالة (بتونيا) أنّة تذمر، بينما أخذ (كريتشر) يضرب الأرض بيديه وقدميه، وقد دخل فى نوبة غضب عنيفة وإن كانت صامتة تمامًا.

قال (دمبلدور) بمرح: «حسنًا، هذا يحل الأمور، يبدو أن (سيريوس) كان يعلم ما يفعله، أنت المالك الشرعى للمنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد) ولـ(كريتشر)».

قال (هارى) بذعر وهو ينظر إلى (كريتشر) الذى يتخبط عند قدميه: «هل يجب... هل يجب علىَّ أن أحتفظ به معى؟».

قال (دمبلدور): «إلاَّ إذا لم تكن تريد ذلك! لدىَّ اقتراح: يمكنك أن ترسله إلى (هوجوورتس)؛ ليعمل فى المطبخ هناك؛ وبهذه الطريقة يمكن لباقى الجن المنزليين أن يراقبوه».قال (هارى) بارتياح:

«نعم، نعم، سوف أفعل ذلك. أريدك يا (كريتشر) أن تذهب إلى (هوجوورتس)؛ لتعمل فى المطابخ هناك مع باقى الجن المنزليين».

كان (كريتشر) فى هذه اللحظة راقدًا على ظهره بينما يداه وقدماه مرتفعتان فى الهواء، فنظر إلى (هارى) نظرة كراهية شديدة قبل أن يختفى مع صوت فرقعة عال.

قال (دمبلدور): «جيد، هناك أيضًا موضوع الهيبوجريف (باك بيك)، كان (هاجريد) يهتم به منذ موت (سيريوس)، ولكنه أصبح ملكًا لك الآن؛ فى حالة إذا ما فضلت القيام بترتيبات مختلفة...».

قال (هارى): «لا، يمكنه البقاء مع (هاجريد)، أعتقد أن (باك بيك) سوف يفضل هذا».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم: «سيكون (هاجريد) سعيدًا بذلك، لقد كان مبتهجًا جدًّا برؤية (باك بيك) مرة أخرى، ولظروف طارئة متعلقة بسلامة (باك بيك) قررنا أن نغير اسمه (ويذروينجز) فى الوقت الحالى، رغم أننى أشك فى أن الوزارة يمكن أن تخمن أنه نفس الهيبوجريف الذى حكموا عليه بالموت والآن يا (هارى)، هل حقيبتك جاهزة؟».

«اممم...».

قال (دمبلدور) متفهمًا: «هل كنت تشك فى مجيئى؟».

قال (هارى) بسرعة بينما يلتقط التلسكوب والحذاء الرياضى من على الأرض: «سوف أذهب حالاً وأنتهى بسرعة».

استغرق (هارى) أكثر قليلاً من عشر دقائق؛ للبحث عن كل الأشياء التى يريدها.. وفى النهاية، التقط عباءة التخفى من تحت السرير وأغلق غطاء برطمان الحبر متغير الألوان وضغط غطاء صندوقه بقوة حتى ينغلق على مرجله، ثم اتخذ طريقه عائدًا إلى الطابق السفلى وهو يجر صندوقه بإحدى يديه، وبالأخرى يمسك بقفص (هيدويج).

خاب ظنه عندما اكتشف أن (دمبلدور) لا ينتظره فى الصالة؛ فهذا يعنى أنه يجب أن يعود إلى حجرة المعيشة مرة أخرى.

لم يكن أحد يتكلم، كان (دمبلدور) يدندن بهدوء، ويبدو مرتاحًا تمامًا ولكن جو المكان كان أثقل من الكستر البارد.

لم يجرؤ (هارى) على النظر ناحية (آل درسلى) وهو يقول: «أنا جاهز للرحيل يا أستاذ».

قال (دمبلدور): «جيد، هناك شىء واحد أخير بعد»، والتفت ليتحدث مع (آل درسلى) مرة أخرى:

«إنكم بلا شك تعلمون أن (هارى) سيبلغ سن الرشد خلال عام».

قالت الخالة (بتونيا): «لا». وكانت هذه هى أول كلمة تنطقها منذ وصول (دمبلدور).

قال (دمبلدور) بأدب: «اعذرينى».

قالت الخالة (بتونيا): «لا، ليس بعد، فـ(هارى) أصغر من (ددلى) بشهر وسيبلغ (ددلى) الثامنة عشرة العام بعد القادم».

قال (دمبلدور) بسلاسة: «آه، ولكننا فى المجتمع السحرى، نبلغ سن الرشد فى السابعة عشرة».

غمغم العم (فرنون): «غير طبيعى»، ولكن (دمبلدور) تجاهله.

قال (دمبلدور): «الآن، كما تعلمون، لقد عاد الساحر الذى يسمى لورد (فولدمورت)، والمجتمع السحرى فى حالة حرب مفتوحة، و(هارى) الذى حاول لورد (فولدمورت) قتله فى عدد من المناسبات من قبل، أصبح الآن يواجه خطرًا أكبر مما كان يواجهه يوم تركته على عتبة بابكم منذ خمسة عشر عامًا مع خطاب يفسر مقتل والديه ويرجوكم أن تعتنوا به كما لو كان ابنكم».

توقف (دمبلدور) عن الكلام قليلاً، وعلى الرغم من أن صوته بقى هادئًا ومنشرحًا ولم يبدِ أية إشارة غضب واضحة، شعر (هارى) بنوع من القشعريرة الناجمة عنه ولاحظ أن (آل درسلى) قد اقتربوا قليلاً من بعضهم من البعض.

استأنف (دمبلدور) حديثه: «لم تفعلوا ما طلبته منكم، لم تعاملوا (هارى) كابن لكم قط، لم يعرف على أيديكم سوَى الإهمال وغالبًا القسوة. الحسنة الوحيدة أنه على الأقل نجا من الضرر الفظيع الذى تكبده الولد سيئ الحظ الجالس بينكما».

نظرت الخالة (بتونيا) والعم (فرنون) حولهما بدافع الغريزة، وكأنهما يتوقعان رؤية شخص آخر غير (ددلى) ينحشر بينهما.

قال العم (فرنون) بغضب: «نحن... نحن أسأنا معاملة (ددرس)؟ ما الذى...؟» ولكن (دمبلدور) رفع إصبعه محذرًا إياه طالبًا منه أن يصمت، سكت العم (فرنون) وكأنه أفحمه.

السحر الذى صنعته منذ خمسة عشر عامًا يعنى أن (هارى) لديه حماية قوية مادام يستطيع أن يقول عن هذا المنزل إنه بيته، مهما كان يشعر بالبؤس هنا، ومهما عاملتموه بطريقة سيئة أو كان غير مرغوب فيه، إنكم على الأقل سمحتم له بالبقاء فى المنزل ولو على مضض. سيتوقف هذا السحر عن العمل عندما يصل (هارى) إلى سن السابعة عشرة؛ بمعنى آخر: فى اللحظة التى يصبح فيها رجلاً ـ كل ما أسألكم إياه هو أن

تسمحوا لـ(هارى) بأن يعود مرة أخرى إلى هذا المنزل، قبل عيد ميلاده السابع عشر؛ حتى نضمن استمرار الحماية حتى هذا الوقت».

لم ينبس أىٌّ من أفراد عائلة (درسلى) ببنت شفة، وبدا (ددلى) متجهمًا قليلاً، كأنه مازال يحاول أن يتذكر متى تمت معاملته معاملة سيئة، أما العم (فرنون)، فقد بدا كما لو أن شيئًا غص فى حلقه وكان وجه الخالة (بتونيا) محمرًا بشكل غريب.

قال (دمبلدور) أخيرًا: «حسنًا يا (هارى)، لقد حان وقت رحيلنا».

ثم وقف (دمبلدور) وأخذ يسوى عباءته السوداء الطويلة، وقال لـ(آل درسلى): «إلى أن نلتقى ثانية، إذن...»، وقد بدا عليهم أنهم يتمنون ألا تأتى هذه اللحظة أبدًا، ثم خلع (دمبلدور) قبعته وانطلق إلى خارج الغرفة.

قال (هارى) بسرعة لـ(آل درسلى): «وداعًا»، ثم تبع (دمبلدور) الذى توقف بجانب صندوق (هارى) الموضوع عليه قفص (هيدويج).

قال (دمبلدور): «نحن لا نريد أن نثقل على أنفسنا بهذه الأشياء، ثم سحب عصاه مرة أخرى وأضاف: «سوف أرسلهم إلى الجحر؛ لينتظرونا هناك، ولكننى أريدك أن تحضر معك عباءة الإخفاء؛ لنكون مستعدين لو حدث أى شىء، فقد يحدث شىء غير متوقع».

أخرج (هارى) عباءته من صندوقه ببعض الصعوبة؛ محاولاً ألاَّ يرى (دمبلدور) الفوضى داخله، وعندما وضعها فى الجيب الداخلى لسترته، لوح (دمبلدور) بعصاه فاختفى الصندوق وقفص (هيدويج)، ثم حرك (دمبلدور) عصاه مرة أخرى فانفتح الباب الأمامى كاشفًا عن الظلام الضبابى البارد فى الخارج.

قال (دمبلدور): «الآن يا (هارى)، فَلْنَخْطُ معًا خارجين إلى الظلمة، ولنتابع هذه المغامرة التى لا نعرف لها نهاية».

■ ■ ■

٤ (هوريس سلجهورن)

على الرغم من أنه قضى كل لحظة يقظة خلال الأيام القليلة الماضية متمنيًا بشدة أن يحضر (دمبلدور) ليأخذه معه، فإن الإحراج كان باديًا على (هارى) عندما بدءوا رحلتهم معًا تاركين شارع (بريفت درايف) وراءهم، فلم يحدث بينه وبين الناظر حوار بالمعنى الصحيح خارج (هوجوورتس) قط؛ حيث كان هناك دائمًا مكتب يفصل بينهما. وكانت ذكرى آخر مواجهة بينهما تعود إلى ذهنه مرة بعد مرة، فتزيد من شعور (هارى) بالإحراج إلى حد ما، فقد رفع صوته كثيرًا فى هذه المواجهة؛ هذا إذ أغفل حالة الهياج التى انتابته ومحاولته تحطيم العديد من ممتلكات (دمبلدور) الثمينة.

وعلى النقيض، كان (دمبلدور) يبدو مرتاحًا تمامًا.

قال (دمبلدور) باسمًا: «أبقِ عصاك السحرية مستعدة يا (هارى)».

رد (هارى): «ولكننى أعتقد يا سيدى أننى غير مسموح لى بممارسة السحر خارج (هوجوورتس)».

قال (دمبلدور): «لو تعرضنا لأى هجوم، فسوف أعطيك الإذن باستخدام أى تعاويذ أو سحر مضاد قد يتراءى لك استخدامه».

ثم أكمل حديثه: «وإن كنت لا أعتقد أن هناك ما يدعوك لأن تقلق من حدوث أى هجوم عليك الليلة».

قال (هارى): «ولمَ لا يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) ببساطة: «لأنك معى وهذا سيحميك يا (هارى)».

ثم توقف فجأة عند نهاية شارع (بريفت درايف).

قال (دمبلدور): «إنك بالطبع لم تجتَز اختبار الانتقال الآنى بعد».

قال (هارى): «لا، يجب أن أبلغ السابعة عشرة، أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور): «هذا صحيح، إذن سيكون عليك أن تمسك بذراعى بقوة، ذراعى اليسرى لو لم تمانع، فكما ترى اليد التى أحمل بها عصاى السحرية ضعيفة إلى حد ما فى هذه اللحظة».

أمسك (هارى) مقدمة ذراع (دمبلدور) التى مدها إليه.

ثم قال (دمبلدور): «جيد جدًا، فلنذهب إذن».

شعر (هارى) بأن ذراع (دمبلدور) تكاد تفلت منه فزاد من إمساكه لها، ثم شعر بالدنيا وقد اسودت من حوله، وأن هناك ما يضغط على جسمه بشدة من جميع الاتجاهات، ولم يكن يستطيع التنفس، كما لو أن هناك قيودًا حديدية ملفوفة حول صدره وتضغط عليه بشدة، حتى بؤبؤ العين وطبلة الأذن، شعر وكأن شيئًا يدفعهما بقوة إلى داخل جمجمته، ثم استنشق الهواء البارد، وملأ رئتيه به وفتح عينيه الفائضتين بالدموع، وشعر كما لو أنه عبر من خلال أنبوب مطاطى ضيق جدًا، ومر بضع ثوان قبل أن يدرك أن شارع (بريفت درايف) اختفى، وأنه يقف مع (دمبلدور) فى مكان يبدو مثل ميدان مهجور فى إحدى القرى، يقع فى وسطه نصب تذكارى حربى قديم وبعض المقاعد الخشبية، فهِمَ (هارى) ما حدث له، وأدرك أنه انتقل آنيًا لأول مرة فى حياته.

نظر (دمبلدور) إليه بقلق وسأله باهتمام: «هل أنت بخير؟ ستعتاد هذا الشعور مع مرور الوقت».

قال (هارى): «أنا بخير»، وأخذ يدلك أذنيه اللتين شعر بأنهما تركتا شارع (بريفت درايف) غصبًا، وأضاف: «لكننى أعتقد أننى أفضل المكانس».

ابتسم (دمبلدور) وأحكم عباءته قليلاً حول عنقه، وقال: «من هنا».

وانطلق بخطوات رشيقة مارًّا أمام منزل خالٍ وبضعة منازل، بينما كانت ساعة الكنيسة القريبة تشير إلى منتصف الليل تقريبًا.

قال (دمبلدور): «أخبرني يا (هارى) عن ندبتك.. هل حدث أن آلمتك بالمرة؟».

رفع (هارى) يده لاشعوريًا وأخذ يفرك العلامة التى تشبه البرق فى مقدمة رأسه.

قال (هارى): «لا، لقد كنت أتساءل عن هذا. لقد توقعت أن تظل تؤلمنى طوال الوقت، خاصة بعد أن استعاد (فولدمورت) قوته مرة أخرى».

نظر (هارى) إلى (دمبلدور) بطرف عينه فرأى أن الارتياح قد كسا وجهه.

قال (دمبلدور): «ولكننى اعتقدت خلاف ذلك، لقد انتبه لورد (فولدمورت) أخيرًا إلى القدرة الخطرة التى كنت تملكها، واستطاعتك الدخول إلى أفكاره ومشاعره، ويبدو أنه يستخدم تعويذة حجب ضدك».

قال (هارى): «حسنًا، أنا لا أشكو».. فلم يكن (هارى) يفتقد الأحلام المفزعة المضطربة، ولا لمحات التبصر الرهيبة داخل عقل (فولدمورت).

دار الاثنان حول أحد المنعطفات ماريْن بكابينة تليفون وموقف للأتوبيس. نظر (هارى) إلى (دمبلدور) بطرف عينه مرة أخرى، وقال: «أستاذ».

(دمبلدور): «نعم يا (هارى)».

(هارى): «أين نحن بالضبط؟».

(دمبلدور): «هذه يا (هارى) قرية (بودليج بابرتون) الجميلة».

(هارى): «وما الذى نفعله هنا؟».

قال (دمبلدور): «آه، صحيح، أنا لم أخبرك بعد، حسنًا، لا أستطيع أن أذكر عدد المرات التى قلت فيها هذا الكلام خلال السنوات القليلة الماضية، ولكن ها نحن، مرة أخرى، ينقصنا فرد من أفراد طاقم التدريس بـ(هوجوورتس)».

سأل (هارى): «وكيف يمكننى المساعدة فى ذلك يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) بغموض: «أعتقد أنه سيكون لك نفعٌ ما. إلى اليسار يا (هارى)».

وتابعا طريقهما صاعديْن شارعًا منحدرًا ضيقًا تحيط به المنازل وإن كانت كل نوافذها مغلقة، وكانت هناك نفس البرودة الغريبة التى سادت شارع (بريفت درايف) خلال الأسبوعين الماضيين؛ مما ذكر (هارى) بـ(الدمينتورات)، فنظر من فوق كتفه وأمسك عصاه؛ ليتأكد أنها موجودة فى جيبه.

وقال: «يا أستاذ، لماذا لا يمكننا الانتقال آنيًا مباشرة إلى منزل صديقك القديم؟».

قال (دمبلدور): «لأنه سيكون تصرفًا فظًا إلى حد كبير، كأنك ضربت باب المنزل بقدمك ودخلت بدون استئذان. فمن اللياقة والأدب أن نعطى زملاءنا السحرة فرصة رفض دخولنا. وعلى أية حال، معظم منازل السحرة محمية بتعاويذ سحرية لمنع دخول الأشخاص غير المرغوب فيهم ـ كما فى (هوجوورتس) على سبيل المثال».

قال (هارى) بسرعة: «لا يمكن الانتقال آنيًا إلى أى مكان داخل المبانى أو الأراضى المحيطة بها، (هرميون جرانجر) أخبرتنا بهذا».

قال (دمبلدور): «هى على حق تمامًا، هيا انعطف إلى اليسار ثانية».

دقت ساعة الكنيسة وراءهم معلنة انتصاف الليل. تساءل (هارى): لماذا لا يعتبر (دمبلدور) زيارة زميله فى هذا الوقت من الليل خارجة عن أصول اللياقة؟ ولكن الآن وقد أصبح هناك حوار بينهما، كانت هناك أسئلة أكثر إلحاحًا يريد معرفة إجاباتها.

قال (هارى): «لقد قرأت فى (المتنبئ اليومى) أن (فودج) أُقيل من منصبه».

قال (دمبلدور) وهو ينعطف صاعدًا إلى شارع جانبى منحدر: «هذا صحيح، لقد تم استبدال (روفوس سكريمجور) الذى كان رئيسًا لمكتب المدافعين ضد السحر الأسود به.. أنت بالتأكيد قد عرفت ذلك أيضًا».

سأل (هارى): «هل هو... هل تعتقد أنه مناسب للوظيفة؟».

قال (دمبلدور): «سؤال مثير للاهتمام، إنه كفء بالتأكيد، وله شخصية قوية وحازمة أكثر من (كورنيليوس)».

(هارى): «نعم، ولكننى أقصد...».

(دمبلدور): «أعرف ما الذى تقصده، إن (روفوس) رجل أفعال، وكونه قضى معظم حياته الوظيفية يحارب السحرة الأشرار لن يجعله يستهين بقوة لورد (فولدمورت)».

انتظر (هارى) أن يقول (دمبلدور) شيئًا عن الخلاف بينه وبين (سكريمجور) الذى ذكرته جريدة (المتنبئ اليومى)، إلا أنه لم يفعل، ولم يجد لديه الجرأة لكى يتابع الموضوع فقام بتغييره.

(هارى): «سيدى، لقد قرأت عما حدث لمدام (بينس)».

قال (دمبلدور) بهدوء: «نعم، خسارة فظيعة، لقد كانت ساحرة عظيمة، ثم أشار بيده المجروحة إلى أعلى هناك على ما أعتقد، آه...».

(هارى): «أستاذ، ما الذى حدث لـ...؟».

قال (دمبلدور): «ليس لدىَّ وقت كاف لأشرح لك الأمر؛ فهى قصة مثيرة أريد أن أحكيها بالتفصيل».

وابتسم لـ(هارى) الذى فهم أنه لم يزجره، وأن لديه الإذن ليستمر فى السؤال.

(هارى): «سيدى، أحضرت إلىَّ بومة من وزارة السحر كتيبًا عن الإجراءات الأمنية التى يجب علينا اتباعها ضد (آكلى الموت)».

قال (دمبلدور) وهو لايزال يبتسم: «لقد وصلنى واحد أيضًا، هل وجدته مفيدًا؟».

(هـارى): «حقيقةً، لا».

(دمبلدور): «توقعت هذا، إنك لم تسألنى، على سبيل المثال، أى نوع من مربى الفاكهة أفضله؛ لتتأكد إن كنت بالفعل الأستاذ (دمبلدور) أم مجرد مدع».

قال (هارى): «لا لم أفعل...». ولم يكن (هارى) متأكدًا تمامًا إن كان (دمبلدور) يقصد لومه على ذلك أم لا.

(دمبلدور): «إنه التوت الأحمر إذا ما احتجت إلى معرفته فى المستقبل يا (هارى)، رغم أنه بالطبع لو أننى كنت من (آكلى الموت) لكنت قد بحثت وعرفت نكهة المربى المفضلة بالنسبة لى، قبل أن أنتحل شخصيتى».

قال (هارى): «هذا صحيح، حسنًا، ذكروا فى الكتاب شيئًا عن (الأنفيرى) ما هم بالضبط؟ لم يكن الكتيب واضحًا».

قال (دمبلدور) بهدوء: «إنهم الجثث، أو الأجسام الميتة التى تم سحرها؛ لتنفذ أوامر سحرة الظلام. لم ير أحد أى (أنفيرى) منذ وقت طويل، وذلك عندما كان (فولدمورت) قويًا آخر مرة.. فقد قام بقتل عدد كاف من الناس ليصنع جيشًا منهم بالطبع. هذا هو المكان يا (هارى)، هنا بالضبط».

كانوا بالقرب من منزل حجرى صغير وجميل له حديقة، وكان (هارى) مشغولاً جدًا بمحاولة استيعاب فكرة (الأنفيرى) الفظيعة حتى إنه لم يبدِ اهتمامًا بأى شىء آخر، ولكن ما إن وصلوا إلى البوابة الأمامية حتى وقف (دمبلدور) أمامها فجأة فاصطدم (هارى) به.

(دمبلدور): «ما هذا؟ ما الذى حدث هنا؟».

نظر (هارى) إلى أعلى الممر الأمامى المعتنى به، فشعر أن قلبه هبط.

كان الباب الأمامى مخلوعًا من مفصلاته.

ألقى (دمبلدور) نظرة أعلى وأسفل الشارع الذى كان يبدو مهجورًا تمامًا وقال بهدوء: «أشهِر عصاك واتبعنى يا (هارى)».

ثم فتح البوابة الأمامية ومشى بسرعة وهدوء عبر ممر الحديقة و(هارى) يتبعه، ثم دفع الباب الأمامى ببطء، بينما عصاه مرفوعة فى وضع الاستعداد.

(دمبلدور): «لا موس».

اشتعل طرف عصا (دمبلدور) ملقيًا بضوئه على رواق ضيق، يوجد على يساره باب آخر مفتوح، وخطا (دمبلدور) إلى حجرة الجلوس رافعًا عصاه المشتعلة إلى أعلى و(هارى) خلفه مباشرة.

كان المكان مدمرًا تمامًا، وكان حُطام ساعة من النوع الذى يقف مستندًا على الحائط متناثرًا عند أقدامهم وقد تحطم وجهها الزجاجى، وسقط بندولها على مسافة قريبة منها كأنه سيف وقع من يد صاحبه، وكان بجانبها بيانو قد تناثرت مفاتيحه فى كل مكان على الأرض وبجوارها يلمع حطام إحدى الثريَّات التى سقطت، أما الوسائد فملقاة على الأرض، وقد برز الريش من شقوق فى جوانبها، وكانت هناك شظايا من الزجاج والصينى متناثرة مثل البودرة فوق كل شىء، رفع (دمبلدور) عصاه أكثر إلى أعلى حتى وقع ضوؤها على الحوائط التى ظهر عليها بقعٌ من شىء لزج لونه أحمر قانٍ متناثر على ورق الحائط.

أخذ (هارى) نَفَسًا صغيرًا بصوت مسموع؛ مما جعل (دمبلدور) ينظر حوله وقال بثقل: «ليس منظرًا جميلاً، يبدو أن شيئًا فظيعًا قد حدث هنا».

تحرك (دمبلدور) بحرص إلى وسط الغرفة، وأخذ يتفحص الأشياء المحطمة عند قدميه، وتبعه (هارى) محدقًا إلى ما حوله وهو شبه خائف؛ مما قد يكون مختبئًا خلف حطام البيانو أو الأريكة المقلوبة، ولكن لم يكن هناك أثر لأية جثة.

حاول (هارى) ألاَّ يتخيل مدى خطورة الجروح التى نتج عنها مثل تلك البقع من الدم التى تلطخ نصف الحائط، وقال: «ربما حدثت معركة وأخذوه معهم عنوة يا أستاذ».

قال (دمبلدور) بهدوء وهو ينظر خلف كرسى منجد ذى ذراعين مقلوب على جنبه: «لا أعتقد هذا».

(هارى): «أتعنى أنه...».

(دمبلدور): «مازال هنا فى مكان ما! نعم».

وفجأة انقض على المقعد ذى الذراعين ووخزه بطرف عصاه فصدر منه صوت توجع: «آى».

اعتدل (دمبلدور) واقفًا وقال: «مساء الخير يا (هوريس)».

فغر (هارى) فاهِ من الدهشة؛ حيث حلَّ - مكان المقعد الذى كان موجودًا منذ أقل من ثانية - رجل عجوز أصلع وسمين جدًّا، يدعك الجزء الأسفل من بطنه وينظر بضيق نحو (دمبلدور) بعينين دامعتين عاتبتين.

قال بصوت أجش وهو يعتدل بصعوبة ليقف على قدميه: «لم يكن هناك داعٍ أن تنغز عصاك فى جسمى بهذه القوة، لقد آلمتنى».

تألق الضوء الصادر عن العصا على رأسه الأصلع وعينيه البارزتين وشاربه الفضى الكثيف المتهدل من الجانبين مثل شارب فيل البحر والأزرار اللامعة لسترته المخملية ذات اللون الأحمر الداكن التى يرتديها فوق منامته الحريرية ذات اللون الأرجوانى، وكانت قمة رأسه بالكاد تصل إلى ذقن (دمبلدور).

قال بصوته الأجش وهو مازال يدلك بطنه ويحاول الوقوف بثبات: «ما الذى كشف الأمر؟»، ولم يبدُ عليه أى أثر للإحراج الذى قد يبدو على رجل تم اكتشافه وهو يتظاهر بأنه مقعد ذو ذراعين.

قال (دمبلدور) وهو يبدو مستمتعًا بما يحدث: «عزيزى (هوريس)، لو أن (آكلى الموت) قد حضروا إلى هنا بالفعل لوضعوا علامة الظلام على المنزل».

ضرب الساحر بيده القصيرة السمينة مقدمة رأسه العريضة، وغمغم قائلاً: «علامة الظلام، لقد عرفت أن هناك شيئًا... آه، حسنًا، وعلى أية

حال لم يكن لدىَّ وقت. كنت قد انتهيت بالكاد من وضع اللمسات النهائية الخاصة بالفرش الذى يغطينى عندما دخلتم إلى الغرفة».

ثم تنهد بشدة حتى إن نهايتى شاربه اهتزتا.

قال (دمبلدور) بأدب: «هل تحتاج إلى مساعدتى فى إعادة ترتيب المكان؟».

قال الآخر: «لو سمحت».

وقف الساحران الطويل النحيف والقصير السمين وظهْر كليهما إلى ظهر الآخر، ولوَّحا بعصويْهما السحريتين بحركة مائلة متماثلة؛ فعاد الأثاث سليمًا إلى مكانه الأصلى، بينما الزخارف تتكون من جديد فى الهواء، والريش يعود إلى داخل الوسائد، والكتب الممزقة أصلحت نفسها قبل أن تهبط على رفوفها، والمصابيح الزيتية اشتعلت وحلقت عائدة إلى الموائد الجانبية، وكمية كبيرة من شظايا إطارات الصور الفضية طارت عبر الغرفة وهى تلمع، ثم هبطت فى مكانها على المكتب كاملة ونظيفة، واختفت كل الشقوق والثقوب من كل مكان ونظفت الحوائط نفسها.

سأل (دمبلدور) بصوت عال؛ ليطغى على صوت قرع الساعة التى عادت سليمة بجوار الحائط:

«بالمناسبة، أى نوع من الدم كان هذا؟».

صاح الساحر الذى يدعى (هوريس): «على الحوائط، دم تنين».

حيث كان صوت رنين وجلجلة النجفة ـ وهى تعيد تثبيت نفسها بالسقف ـ يصم الآذان.

ثم سمع صوت رنة أخيرة من البيانو قبل أن يسود الصمت.

كرر الساحر فاتحًا الحديث: «نعم، تنين، آخر زجاجة معى، لقد أصبح سعره غاليًا جدًّا حاليًا، ولكن يمكن استخدامه أكثر من مرة».

مشى متثاقلاً حتى وصل إلى زجاجة كريستالية صغيرة موجودة فوق «البوفيه» ورفعها إلى الضوء؛ ليفحص السائل الثقيل بها.

«آه، مترب قليلاً».

وأعاد الزجاجة فوق «البوفيه» وتنهد، وعندها سقط نظره على (هارى). ثم قال: «آه».. وعيناه الكبيرتان المستديرتان تحدِّقان إلى ندبته التى تشبه البرق على مقدمة رأسه.. «آه!».

تقدم (دمبلدور) ليقدمهما إلى بعضهما البعض، وقال: «هذا هو (هارى بوتر)... (هارى)، هذا (هوريس سلجهورن)، أحد أصدقائى وزملائى القدامَى».

التفت (سلجهورن) إلى (دمبلدور)، وقد ظهر على وجهه الفهْم. وقال: «إذن، هذه هى الطريقة التى ستقنعنى بها، أليس كذلك؟ الإجابة هى نعم، ليس كذلك يا (ألباس)».

ثم مر بجوار (هارى) مبعدًا وجهه بتصميم، وقد بدا مثل رجل يقاوم إغراءً شديدًا.

سأل (دمبلدور): «على الأقل يمكننا أن نشرب شيئًا من أجل خاطر معرفتنا السابقة».

تردد (سلجهورن)، ثم قال بغلظة: «حسنًا، ولكنْ كأس واحدة فقط».

ابتسم (دمبلدور) لـ(هارى) وأرشده إلى كرسى يختلف عن الكرسى الذى كان (سلجهورن) يجسده بالقرب من المدفأة حديثة الاشتعال والمصباح الزيتى ذى الإضاءة القوية، جلس (هارى) وكان لديه شعور بأن (دمبلدور) ـ لسبب ما ـ يريد أن يبقيه مرئيًّا قدر الإمكان، ومن الطبيعى أن (سلجهورن) الذى كان مشغولاً بصب الشراب فى الكئوس عندما يستدير لمواجهة الغرفة ستقع عيناه على (هارى) فورًا.

وعندما استدار ورآه قال: «أفٍ»، وأبعد نظره بسرعة وكأنه خائف من إيذاء عينيه، وأعطى الكأس إلى (دمبلدور) الذى جلس بدون دعوة، ودفع الصينية إلى (هارى)، ثم غرق بين وسائد الأريكة التى تم إصلاحها. وكانت رجلاه قصيرتين جدًّا حتى إنهما لم تلمسا الأرض.

سأل (دمبلدور): «حسنًا، كيف حال صحتك يا (هوريس)؟».

قال (سلجهورن) بسرعة: «لست فى حالة طيبة؛ فصدرى ضعيف، ومصاب بضيق التنفس، وأصبحت أتحرك بصعوبة بسبب الروماتيزم، ولكن كل هذا متوقع بسبب تقدم العمر والتعب».

قال (دمبلدور): «ومع ذلك، فإنك يجب أن تكون قد تحركت بسرعة كبيرة جدًا لإعداد مشهد الترحيب الذى شاهدته عند دخولنا فى مثل هذا الوقت القصير، فلا يمكن أن يكون لديك أكثر من ثلاث دقائق قبل دخولنا».

قال (سلجهورن) وهو شبه منفعل وشبه فخور: «دقيقتان فقط، فلم أسمع الإنذار السحرى الذى وضعته ضد المتطفلين وهو ينطلق؛ لأننى كنت أستحم».

وأضاف بصرامة وقد بدا أنه بدأ يتمالك نفسه: «ومع ذلك، فحقيقة الأمر أننى رجل عجوز يا (ألباس)، رجل عجوز متعب أصبح من حقه أن يعيش حياة هادئة ويتمتع ببعض وسائل الراحة الموجودة فى الحياة».

قال (هارى) فى نفسه وهو ينظر حوله فى أنحاء الغرفة: «إنه بالفعل يتمتع بوسائل الراحة»؛ فقد كانت الغرفة ممتلئة بالأثاث وغير منظمة، إلا أن أحدًا لا يستطيع أن يقول إنها غير مريحة. فقد كان بها كراسى ووسائد مريحة ومساند للقدمين، ومشروبات وكتب، وصناديق شيكولاتة. لو أن (هارى) لم يكن يعلم من الذى يسكن بالمكان لكان حَزَرَ أنها عجوز غنية ومطلوبة.

قال (دمبلدور): «ولكنك لم تبلغ عمرى بعد يا (هوريس)».. فقال (سلجهورن) بفظاظة وقد سقطت عيناه الصفراوان على يد (دمبلدور) المصابة: «حسنًا، ربما آن الأوان أن تفكر فى التقاعد يا (ألباس)».

وأضاف: «الاستجابة أصبحت أبطأ كما أرى».

قال (دمبلدور) بطمأنينة: «إنك على حق تمامًا»، ثم أزاح كمه كاشفًا عن أطراف أصابعه المحروقة والسوداء وقد أصاب منظرها قفا (هارى) بقُشعريرة.

ثم أضاف (دمبلدور): «إننى بالتأكيد أبطأ مما كنت عليه، ولكن من ناحية أخرى...».

ثم هز (دمبلدور) كتفيه وفرد يديه على آخرهما وكأنه يقول إن هناك تعويضًا عن الكِبَر، ولاحظ (هارى) أن (دمبلدور) يرتدى فى يده السليمة خاتمًا لم يره من قبل، كان كبيرًا، وصناعته غير دقيقة إلى حد ما ويبدو مصنوعًا من الذهب، ومرصَّعًا بحجر أسود كبير كأنما قد تم كسر وسط الخاتم ليستقر فيه، تعلقت عين (سلجهورن) بالخاتم للحظة أيضًا، ولاحظ (هارى) تجعد جبهته العريضة وتجهمه للحظة قصيرة.

سأل (دمبلدور): «إذن يا (هوريس).. كل هذه الاحتياطات ضد المتطفلين، هل قمت بها لخداع (آكلى الموت) أم لخداعى؟».

تساءل (سلجهورن): «ما الذى قد يريده (آكلو الموت) من شخص مسكين، مهدود الصحة مثلى؟».

قال (دمبلدور): «أتخيل أنهم سيريدون منك أن تستخدم مواهبك الكثيرة فى القهر والتعذيب والقتل. هل حقًا تقول لى إنهم لم يأتوا بعد لتجنيدك؟».

نظر (سلجهورن) إلى (دمبلدور) بخبث للحظة، ثم غمغم: «لم أعطِهم الفرصة، فقد كنت فى تنقل مستمر طوال العام الماضى ولم أستقر بمكان واحد مدة تزيد على الأسبوع. كنت أتنقل من منزل أحد العامَّة إلى منزل آخر.. ملاك هذا المنزل فى إجازة بجزر الكنارى، لقد كان منزلهم لطيفًا جدًّا، وأنا آسف لاضطرارى إلى تركه، إنه شىء سهل جدًّا، فكل ما عليك هو استخدام تعويذة تجميد بسيطة لأجهزة الإنذار ضد السرقة التافهة التى يستخدمونها بدلاً من إنذار الثعبان السحرى والتأكد من أن الجيران لم يروك وأنت تدخل البيانو».

قال (دمبلدور): «منتهى البراعة، ولكنها تبدو حياة متعبة إلى حد ما بالنسبة لرجل عجوز مسكين مهدود الصحة يبحث عن حياة هادئة، والآن، إذا ما عدت إلى (هوجوورتس)».

قال (سلجهورن): «إذا كنت ستقول لى إن حياتى داخل هذه المدرسة المزعجة ستكون أكثر أمانًا، فلتوفر كلامك يا (ألباس)! قد أكون قضيت كل الفترة الماضية مختبئًا، ولكن وصلتنى بعض الشائعات المضحكة منذ رحيل (دولوريس أمبريدج)؛ إذ كانت هذه هى الطريقة التى تعامل بها مدرسيك هذه الأيام».

قال (دمبلدور): «إن الأستاذة (أمبريدج) وضعتنا فى موقف حرج مع قطيع القناطير الخاص بالمدرسة».

ثم أضاف: «أعتقد يا (هوريس) أنك ستكون أكثر حكمة من أن تخطو إلى داخل الغابة، وتدعو جماعة من القناطير الغاضبة (حيوانات مهجنة قذرة)».

قال (سلجهورن): «هذا ما فعلته، أليس كذلك؟ امرأة حمقاء.. لم تعجبنى قط هذه المرأة».

ضحك (هارى) ضحكة خافتة، فالتفت إليه (دمبلدور) و(سلجهورن).

قال (هارى) بسرعة: «آسف، فقط، إنها لم تعجبنى أنا أيضًا».

ثم وقف (دمبلدور) فجأة.

فسأله (سلجهورن) بسرعة وقد بدا مستبشرًا: «هل سترحل؟».

سأل (دمبلدور): «هل يمكننى استخدام الحمام؟».

قال (سلجهورن) وقد بدا عليه خيبة الأمل بوضوح: «آه، الباب الثانى على اليسار بعد الصالة».

عبر (دمبلدور) الغرفة، وما إن أغلق الباب خلفه حتى ساد المكان الصمت. وبعد لحظات قليلة، وقف (سلجهورن) وقد بدا غير واثق مما يريد

فعله، ثم ألقى على (هارى) نظرة مختلسة، وخطا نحو المدفأة وأعطاها ظهره العريض لتدفئه.

قال (سلجهورن) على نحو مفاجئ: «أتظن أننى لا أعرف لماذا أحضرك معه؟».

نظر (هارى) إلى (سلجهورن) ولم يتكلم، فنظر (سلجهورن) إلى ندبة (هارى)، ثم إلى باقى ملامح وجهه هذه المرة.

(سلجهورن): «أتعرف أنك تشبه والدك إلى حد كبير؟».

قال (هارى): «نعم، أخبرونى بذلك».

(سلجهورن): «باستثناء عينيك؛ فإن لك...».

(هارى): «عينا أمى، أعرف»، فلقد سمع (هارى) هذا الكلام كثيرًا حتى أصبح مضجرًا إلى حد ما بالنسبة له.

أضاف (سلجهورن) ردًّا على نظرة (هارى) المتسائلة: «نعم، حسنًا، من المفترض بالطبع كمدرس ألاَّ يكون لدىَّ طلاب مفضَّلون، ولكنها كانت إحدى طالباتى المفضلات؛ أعنى والدتك (ليلى إفانز).

لقد كانت واحدة من أذكى الطالبات اللائى درّست لهن، كانت فتاة ساحرة. واعتدت أن أقول لها إنها كان يجب أن تكون من طلاب منزلى، ولكنها كانت دائمًا ترد علىَّ بإجابات شقية متهربة».

(هارى): «أيهم كان منزلك؟».

قال (سلجهورن): «كنت رئيس منزل (سليذرين)»، ثم أضاف بسرعة عندما رأى التعبير الذى ارتسم على وجه (هارى) وهو يهز إصبعه القصير البدين أمامه: «لا تحمل هذا الأمر ضدى! أعتقد أنك (جريفندور) مثلها، أليس كذلك؟ عادة ما يدخل أفراد العائلة الواحدة نفس البيت، وإن كان هناك شواذ لهذه القاعدة. هل سمعت عن (سيريوس بلاك)؟ لابد أنك سمعت به، فقد نشرت أخباره بالصحف خلال العامين الماضيين، ومات منذ أسابيع قليلة».

شعر (هارى) كأن يدًا خفية قد قبضت على أمعائه وعصرتها بقوة.

ثم أكمل (سلجهورن): «حسنًا، على أية حال، لقد كان صديق والدك فى المدرسة، وكان جميع أفراد أسرته فى منزلى، ما عدا (سيريوس) الذى انتهى به الحال فى (جريفندور)! للأسف، فقد كان ولدًا موهوبًا. كان أخوه (ريجولوس) فى منزل (سيلذرين) بالطبع، ولكننى كنت أتمنى لو كان لدىَّ كلاهما».

بدا (سلجهورن) مثل هاوى جمع تحف مهووس، زايد عليه أحدهم فى أحد المزادات.

وظل يحدق إلى الحائط المقابل وقد بدا عليه أنه غرق فى ذكرياته، وأخذ يحرك ظهره من الجنب إلى الجنب أمام المدفأة؛ ليؤمِّن قدرًا متساويًا من الحرارة لمؤخرته.

قال (سلجهورن): «كانت والدتك مولودة للعامَّة، بالطبع لم أصدق هذا عندما عرفت. لقد اعتقدت أنها من أصحاب الدم النقى، فقد كانت موهوبة جدًّا».

قال (هارى): «إحدى أفضل صديقاتى مولودة للعامَّة وهى أفضل طالبة فى فصلنا الدراسى».

قال (سلجهورن): «من الغريب أن يحدث ذلك أحيانًا، أليس كذلك؟».

قال (هارى) ببرود: «ليس تمامًا».

نظر إليه (سلجهورن) مفاجئًا. وقال: يجب ألاَّ تعتقد أنى متحامل! لا، لا، لا، ألم أقل لك منذ لحظة إن والدتك كانت واحدة من طالباتى المفضلات حتى وقتنا الحاضر؟ وكان هناك (دريك كريسويل) فى العام الذى تلا عام والدتك أيضًا، وقد أصبح الآن رئيسًا لمكتب العلاقات مع (الجن)، وقد كان مولودًا للعامَّة بالطبع، وطالبًا موهوبًا جدًّا ولايزال يطلعنى على معلومات داخلية ممتازة عما يجرى فى (جرنجوتس)!».

ثم قفز قفزة صغيرة وهو يبتسم بطريقة تنمُّ عن رضاه عن نفسه، وأشار إلى إطارات الصور الكثيرة اللامعة فوق خزانة الأطباق التى يشغل كلاً منها أشخاص متحركون، وقال: «جميع هذه الصور لطلابى السابقين وجميعها موقَّعة، سوف تلاحظ (بارناباس كافى) رئيس تحرير جريدة (المتنبئ اليومى)، دائمًا ما كان مهتمًّا بسماع تعليقاتى على الأخبار اليومية، وهناك أيضًا (أمبرسيوس فلومى)، الذى يعمل لدى حلوانى (هنى ديوكس) ويرسل لى فى عيد ميلادى سلة مملوءة بالحلوى؛ لأننى استطعت أن أقدمه إلى (سيسرون هاركيس)، الذى أعطاه أول وظيفة فى حياته المهنية! والصورة فى الخلف هناك، سوف تراها إذا رفعت عنقك، هذه (جوينوج جونيس)، وهى كما تعلم بالطبع كابتن فريق (هوليهد هاربيز).. يندهش الناس دائمًا عندما يعرفون أن علاقتى مع فريق (هاربيز) غير رسمية، لدرجة استخدام أسمائهم الأولى، كما أننى أستطيع الحصول على تذاكر مجانية فى أى وقت أريد».

ويبدو أن هذه الفكرة قد رفعت معنوياته إلى حد كبير.

ثم سأله (هارى): «هل كل هؤلاء الناس يعرفون أين يجدونك ويرسلون إليك الأشياء؟»، وفى نفس الوقت أخذ (هارى) يسأل نفسه: لماذا لم يستطع (آكلو الموت) الوصول إليه إذا كانت سلال الحلوى وتذاكر (الكويدتش) والزوار الذين يحتاجون إلى نصائحه أو آرائه يستطيعون أن يجدوه؟

اختفت الابتسامة من وجه (سلجهورن) بنفس السرعة التى اختفى بها الدم من على الجدران، ثم قال وهو ينظر إلى (هارى): «بالطبع لا، فقد كان من المستحيل على أى شخص الاتصال بى منذ عام مضى».

أحس (هارى) أن الكلمات هزت (سلجهورن) نفسه الذى بدا مترددًا للحظة، ثم هز كتفيه.

ثم أكمل (سلجهورن) حديثه: «ومع ذلك، فالساحر الحكيم هو الذى يحنى رأسه حتى تمر العاصفة، من السهل على (دمبلدور) أن يتكلم ولكن قبولى بهذا المنصب فى (هوجوورتس) فى هذا الوقت بالذات سيكون كما لو أننى أعلن انتمائى الصريح إلى (جماعة العنقاء)، وبينما أنا متأكد أنهم شجعان ورائعون ولديهم كل الأوصاف الطيبة لكننى شخصيًّا لا يعجبنى معدل الوفيات بين أفراد الجماعة».

قال (هارى) بسخرية إلى حد ما: «ولكنك لست مضطرًّا للانضمام للجماعة لكى تدرس فى (هوجوورتس)».

كان من الصعب أن يتعاطف مع طبيعة (سلجهورن) المدللة عندما يتذكر (سيريوس) وهو قابع فى أحد الكهوف ويتغذى على الفئران، ثم أضاف: «ومعظم المدرسين ليسوا من أعضائها ولم يقتل أى منهم قط، إلا إذا كنت تضع (كويريل) فى حسبانك، فإنه حصل على ما يستحقه إذا وضعت فى الاعتبار أنه كان يعمل مع (فولدمورت)».

كان (هارى) متأكدًا أن (سلجهورن) من هؤلاء السحرة الذين لا يطيقون سماع اسم (فولدمورت) أمامهم بصوت عال ولم يخِب ظنه، فقد انتفض (سلجهورن) وصاح معترضًا، ولكن (هارى) تجاهله مواصلاً حديثه: «أظن أن العاملين بالمدرسة أكثر أمانًا من معظم الناس مادام (دمبلدور) ناظرها؛ فهو الشخص الوحيد الذى من المفترض أن (فولدمورت) يخافه دائمًا، أليس كذلك؟».

حدَّق (سلجهورن) إلى الفضاء للحظة، وبدا كما لو أنه يقلِّب كلام (هارى) فى عقله.

ثم غمغم على مضض: «حسنًا، بلى، صحيح أن (الذى لا يجب ذكر اسمه) لم يسعَ إلى معركة مع (دمبلدور)، كما أظن أنه بما أننى لم أنضم إلى (آكلى الموت) فإن (الذى لا يجب ذكر اسمه) لن يعدّنى من الأصدقاء على أية حال.. وفى هذه الحالة، فإننى سأكون أكثر أمانًا لو كنت قريبًا

من (ألباس) قليلاً.. أنا لا أستطيع التظاهر بأن موت (إيميليا بونس) لم يفزعنى؛ إذ كانت هى بكل العلاقات والحماية التى كانت توفرها لها الوزارة...».

دخل (دمبلدور) الغرفة؛ فقفز (سلجهورن) كأنه نسى أنه كان فى المنزل وقال: «ها أنت ذا يا (ألباس)، لقد غبت لفترة طويلة، هل معدتك مضطربة؟».

قال (دمبلدور): «لا، لقد كنت فقط أقرأ إحدى مجلات العامَّة، فأنا أحب باترونات الحياكة. حسنًا يا (هارى)، لقد أثقلنا على ضيافة (هوريس) بما فيه الكفاية، أعتقد أن الوقت قد حان للرحيل».

قفز (هارى) واقفًا على قدميه، ولم يبدِ أى ممانعة للرحيل إطلاقًا وبُهِتَ وجه (سلجهورن).

وقال: «هل ستذهب؟».

رد (دمبلدور): «نعم، بالطبع، لقد أدركت أن قضيتى خاسرة».

ردد (سلجهورن) الكلمة وراء (دمبلدور): «خاسرة».

بدا (سلجهورن) ثائرًا وشبك أصابع يديه معًا، وأخذ يلف إصبعى الإبهام السمينتين حول بعضهما متململاً وهو يرى (دمبلدور) يزرر عباءة السفر الخاصة به و(هارى) يغلق مِسحاب سترته.

قال (دمبلدور) وهو يرفع يده السليمة بتحية الوداع: «أنا آسف، إنك لا تريد الوظيفة يا (هوريس)، الجميع فى (هوجوورتس) كانوا سيسعدون بعودتك، وعلى الرغم من احتياطات الأمن الشديدة عندنا، فلا يسعنا إلا الترحيب بك، لو أردت زيارتنا».

(سلجهورن): «نعم.. حسنًا.. هذا كرم بالغ منك.. كما أرى...».

(دمبلدور): «إلى اللقاء، إذن».

وقال (هارى): «وداعًا».

كانوا قد وصلوا عند الباب الأمامى عندما سمعوا صياحًا خلفهم.

(سلجهورن): «حسنًا، حسنًا، سأفعل!».
التفت (دمبلدور) ليرى (سلجهورن) واقفًا عند مدخل غرفة الجلوس وهو يلهث.
(دمبلدور): «هل ستعود إلى العمل وتخرج من تقاعدك؟».
قال (سلجهورن) بنفاد صبر: «نعم، نعم، يبدو أننى جننت، لكن نعم».
قال (دمبلدور) مبتسمًا: «رائع، إذن يا (هوريس)، فسوف نراك فى أول سبتمبر».
قال (سلجهورن) بصوته الأجش: «نعم، أظن أنك سترانى».
وعندما خرجا نازليْن ممر الحديقة، صاح (سلجهورن) خلفهما، قائلاً: «سأطالب بعلاوة يا (دمبلدور)!».
ضحك (دمبلدور) بصوت خافت، وتأرجحت بوابة الحديقة خلفهما ومشيا نازليْن خلال الظلام وكتل الضباب.
قال (دمبلدور): «أحسنت يا (هارى)».
قال (هارى) مفاجئًا: «ولكننى لم أفعل شيئًا».
(دمبلدور): «لقد فعلت الكثير، وأظهرت لـ(هوريس) كمَّ المكاسب التى سيجنيها من العودة إلى (هوجوورتس).. هل أعجبك؟».
«هه...». لم يكن (هارى) يعرف إن كان (سلجهورن) قد أعجبه أم لا، فقد كان لطيفًا على طريقته، إلا أن (هارى) لم يعجبه دهشته من تفوق السحرة المولودين من العامَّة، رغم أن (سلجهورن) حاول أن يثبت عكس ذلك.
ثم أكمل (دمبلدور) رافعًا عن (هارى) حرج قول ما يفكر فيه: «إن (هوريس) يحب الراحة، ويحب أيضًا مرافقة المشاهير والناجحين وأصحاب النفوذ، وهو يستمتع بشعوره أن له تأثيرًا على هؤلاء الناس ولم يحب قط أن يجلس على العرش، فهو يفضل المقاعد الخلفية؛ حيث تأخذ مساحة أكبر للجلوس فى راحة، لقد اعتاد أن يجمع الطلاب

المميزين فى (هوجوورتس) حوله، أحيانًا بسبب طموحهم أو ذكائهم، وأحيانًا أخرى بسبب سحرهم أو مواهبهم، وكان لديه براعة غير عادية فى اختيار هؤلاء الذين سيبرعون فى المجالات المختلفة، وقد شكل (هوريس) ما يشبه الرابطة إلى حد ما من هؤلاء الطلاب، ووضع نفسه فى المركز، فأصبح يعرِّف بعضهم إلى بعض، ويشكل علاقات مفيدة بين الأفراد، وغالبًا ما يجنى بعض المنافع فى المقابل سواء كان ذلك صندوقًا مجانيًا من الأناناس المبلور المفضل لديه، أو فرصة تزكية اسم أصغر عضو سيتم تعيينه فى مكتب العلاقات مع (الجن الأسطوريين)».

تخيل (هارى) صورة عقلية حية لعنكبوت كبيرة تغزل شبكة حوله، موزعة خيوطها هنا وهناك؛ لتجذب الذباب الكبير كثير العصارة ليقترب منه.

واستأنف (دمبلدور) حديثه: «سأخبرك عن كل شيء، ولا أريدك أن تنقلب ضد (هوريس) أو كما يجب أن ندعوه الآن الأستاذ (سلجهورن) ولتكن مستعدًا؛ لأنه بالتأكيد سيحاول أن يقربك منه يا (هارى)؛ فأنت ستكون الحجر الكريم الذى سيزين به مجموعته؛ الولد الذى عاش... أو المختار كما يطلقون عليك هذه الأيام».

عندما سمع (هارى) هذا الكلام شعر ببرودة غريبة تتسلل إليه؛ برودة ليست لها علاقة بالضباب المحيط؛ حيث تذكر كلمات سمعها منذ أسابيع قليلة؛ كلمات لها معنى رهيب بالنسبة له وترددت النبوءة التى سمعها فى رأسه.

لن يحيا أحدهما مادام الآخر حيًا...

توقف (دمبلدور) على الممشى أمام الكنيسة التى عبرا أمامها وهما قادمان.

وقال: «هنا مناسب يا (هارى)، أمسك بذراعى».

على عكس المرة السابقة، كان (هارى) مستعدًا للانتقال الآنى، إلا أنه ظل يجده مزعجًا.

وعندما اختفى الضغط واستطاع التنفس مرة أخرى، وجد نفسه واقفًا فى طريق ريفى بجوار (دمبلدور) وينظر إلى صورة مهزوزة لثانى أفضل مبنى بالنسبة له فى العالم، الجحر، ويغض النظر عن الذى شعر به منذ لحظات، فإن معنوياته لم تملك إلا أن ترتفع لرؤيته، إن (رون) هنا.. وكذلك السيدة (ويسلى) التى تستطيع الطهى أفضل من أى أحد يعرفه.

قال (دمبلدور) بينما هما يعبران البوابة: «إذا لم تمانع يا (هارى)، هل يمكننى أن أتكلم معك قليلاً على انفراد قبل أن نفترق؟ ربما فى الداخل هنا».

وأشار (دمبلدور) إلى مبنى حجرى صغير متهدم، يضع فيه (آل ويسلى) عصى المكانس الخاصة بهم. شعر (هارى) بقليل من الحيرة، ولكنه تبع (دمبلدور) عبر الباب الذى يصدر صريرًا إلى مساحة أصغر من مساحة خزانة الأطباق المعتادة. ثم أضاء (دمبلدور) طرف عصاه، حتى أصبح يتوهج مثل مشعل، وابتسم لـ(هارى).

وقال: «إننى فخور بك جدًا يا (هارى)، خاصة بالطريقة التى تتكيف بها بعد كل ما حدث فى الوزارة منذ أسابيع قليلة، واسمح لى بأن أقول إن (سيريوس) كان سيكون فخورًا بك أيضًا».

ابتلع (هارى) ريقه، وشعر بأنه لا يستطيع النطق، لم يكن يعتقد أنه يستطيع التحدث عن (سيريوس)، فقد كان الأمر مؤلمًا بما يكفى عند سماعه للعم (فرنون) وهو يقول: «هل مات أبوه الروحى؟»، وكان الأمر أسوأ عندما سمع (سلجهورن) يذكر اسم (سيريوس) عَرَضًا.

قال (دمبلدور) برفق: «من القسوة أنك و(سيريوس) لم تتح لكما الفرصة لمعرفة بعضكما إلا لفترة قصيرة وأن ينتهى ما كان يمكن أن يكون علاقة طويلة وسعيدة إلى نهاية مؤلمة».

أحنى (هارى) رأسه وعيناه مثبتتان بتصميم على عنكبوت كانت تتسلق قبعة (دمبلدور)، وأدرك أن (دمبلدور) قد فهم ما يمر به، وربما أيضًا يكون قد أدرك أن (هارى) حتى وصول خطابه إليه كان يقضى معظم وقته فى بيت (آل درسلى) مستلقيًا على سريره، رافضًا الطعام ومحدقًا إلى النافذة الضبابية، ونفسه مملوءة بالخواء البارد الذى يشعر به عند مقابلة (الدمينتور).

قال (هارى) فى النهاية بصوت ضعيف: «إنه شىء صعب، أن أدرك أنه لن يكتب إلىَّ مرة أخرى».

وامتلأت عيناه بالدموع فجأة، فرمش بعينيه وشعر بالغباء؛ لاعترافه بهذا. ولكن حقيقة أن هناك شخصًا خارج (هوجوورتس) يهتم بما يحدث له، كأنه أحد والديه ـ كان أحد أفضل الأشياء التى حدثت له عندما اكتشف أباه الروحى.. ولكن الآن، لن تُحضر إليه بومة البريد خطابات (سيريوس) التى كانت تشعره بهذه السلوى مرة أخرى.

قال (دمبلدور) برقة: «لقد كان (سيريوس) يمثل لك الكثير مما لم تعرفه من قبل، ومن الطبيعى أن تكون خسارته مدمرة...».

قاطعه (هارى) وقد أصبح صوته أقوى: «نعم، ولكن بينما كنت فى منزل (آل درسلى) أدركت أننى يجب ألا أنعزل وحيدًا أو أكتئب، فلم يكن (سيريوس) ليريد ذلك. وعلى أية حال، فإن الحياة قصيرة..

انظر لما حدث لـ(مدام بينس) و(إيميلين فانسى)... قد أكون أنا التالى، ولمَ لا؟».

ثم قال بقوة وهو ينظر إلى عينى (دمبلدور) الزرقاوين: «ولكن إذا حدث هذا، فإننى سأتأكد أن آخذ أكبر عدد من (آكلى الموت) معى و(فولدمورت) أيضًا إذا استطعت ذلك».

قاطعه (دمبلدور) وهو يربِّت على ظهر (هارى) مستحسنًا كلامه: «إنك تتكلم بنفس الطريقة التى كان يتحدث بها والدك ووالدتك، وكذلك

(سيريوس)، كنت سأرفع قبعتى وأحييك لولا أننى خائف أن أمطرك بالعناكب. والآن يا (هارى)، هناك موضوع آخر لا يبتعد عن هذا الموضوع كثيرًا.. أعتقد أنك كنت تقرأ (المتنبئ اليومى) خلال الأسبوعين الماضيين؟».

قال (هارى) وقلبه ينبض بسرعة: «نعم».

(دمبلدور): «إذن، فإنك رأيت أن هناك بعض المعلومات قد تسربت حول مغامرتك فى قاعة النبوءة؟».

قال (هارى) مرة أخرى: «نعم، والآن يعلم الجميع أننى الشخص...».

قاطعه (دمبلدور): «لا، إنهم لا يعلمون، فهناك شخصان فقط فى العالم كله يعلمان كل ما تقوله النبوءة عنك وعن لورد (فولدمورت)، وكلا الشخصين يقف هنا فى حجرة المكانس كريهة الرائحة الممتلئة بالعناكب هذه.. ومع ذلك، فإن هناك كثيرين قد خمنوا تخمينًا صحيحًا أن (فولدمورت) قد أرسل (آكلى الموت)؛ لسرقة النبوءة، وأن النبوءة كانت تخصك أنت».

ثم أكمل: «الآن، أعتقد أننى على صواب إذا ما قلت إنك لم تخبر أحدًا بأنك تعرف ما تقوله النبوءة».

قال (هارى): «لا».

قال (دمبلدور): «قرار حكيم، ولكننى أعتقد أنك يجب أن تبوح بمكنون صدرك إلى أصدقائك المقربين؛ السيد (رونالد ويسلى) والآنسة (هرميون جرانجر)، نعم»، ثم استأنف حديثه عندما وجد (هارى) حائرًا: «أعتقد أنهم يجب أن يعرفوا أنك تسىء إليهم بعدم بوْحك بشىء على هذا القدر من الأهمية لهم».

(هارى): «لم أكن أريد...».

قال (دمبلدور) وهو ينظر إليه من فوق قمة نظارته الهلالية: «أن تقلقهم أو تخيفهم! أو ربما أن تعترف أنت نفسك بأنك قلق أو خائف! أنت

تحتاج إلى أصدقائك يا (هارى). فكما سبق أن أصبت فى القول، فإن (سيريوس) لم يكن ليريدك أن تنعزل بعيدًا عمن يحبونك!».

لم يقل (هارى) شيئًا، ولكن (دمبلدور) بدا أنه لا يطلب إجابة، واستأنف حديثه قائلاً: «وهناك شيء آخر وإن كان متعلقًا بنفس الموضوع، أريدك أن تأخذ دروسًا خصوصية معى هذا العام».

قال (هارى) وقد أخرجته الدهشة من الصمت الذى كان غارقًا فيه: «دروس خصوصية... معك؟!».

(دمبلدور): «نعم، أعتقد أن الوقت قد حان ليكون لى دور أكبر فى تعليمك!».

(هارى): «ما الذى ستدرِّسُه لى يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) بحيوية: «القليل من هذا والقليل من ذاك!».

انتظر (هارى) مترقبًا، ولكن (دمبلدور) لم يوضح أكثر من ذلك، فسأله (هارى) عن شيء آخر كان يضايقه قليلاً: «إذا كنت سآخذ دروسًا معك، فهل هذا يعنى أننى لن أحضر دروس (الأوكلومينسى) مع (سناب)؟».

(دمبلدور): «اسمه الأستاذ (سناب) يا (هارى).. نعم، لن تحضرها».

قال (هارى) بارتياح: «جيد، فقد كانت...».

توقف حذرًا من أن يقول ما يفكر فيه بالفعل.

قال (دمبلدور) وهو يومئ برأسه: «أعتقد أن كلمة «محبطة» ستكون الكلمة المناسبة لوصفها».

ضحك (هارى) وقال: «حسنًا، فهذا يعنى أننى لن أرى الأستاذ (سناب) كثيرًا؛ لأنه لن يدعنى أتابع دروس الوصفات - على أية حال - إن لم أحصل على تقدير امتياز فى امتحانات السحر العامة، وأنا أعلم أننى لن أحصل عليها».

قال (دمبلدور) بجدية: «لا تتسرع فى حساب درجاتك قبل أن تصل إليك، أعتقد أنها ستصلك فى وقت ما اليوم. والآن، هناك شيئان آخران

يا (هارى) قبل أن أتركك؛ أولاً، أريدك من الآن فصاعدًا أن تحتفظ بعباءة الإخفاء معك طوال الوقت، حتى وأنت داخل (هوجوورتس) نفسها على سبيل الحذر، هل تفهمنى؟».

أومأ (هارى) برأسه.

وأضاف: «وأخيرًا، أريدك أن تعرف أنه أثناء وجودك هنا، تمت إحاطة الجحر بأعلى قدر من الحماية يمكن لوزارة السحر توفيرها، وقد سببت هذه الإجراءات قدرًا من الإزعاج لـ(آرثر) و(مولى). فعلى سبيل المثال، يخضع كل البريد المرسل إليهما للتفتيش فى الوزارة قبل أن يصلهما، ولكنهما مع ذلك لا يمانعان ألبتة؛ لأن كل ما يهمهما هو سلامتك؛ لذلك سيكون تصرفًا ناكرًا للجميل إذا ما خاطرت بحياتك أثناء إقامتك معهما».

قال (هارى) بسرعة: «أفهم الأمر».

قال (دمبلدور) وهو يدفع باب حجرة عصى المكانس ليفتحه ويخرج منه إلى الفناء: «حسنًا، إذن»، وأضاف: «إننى أرى ضوءًا فى المطبخ. هيا، يجب ألا نحرم (مولى) أكثر من ذلك من التحسر على مدى نحافتك الشديدة».

■ ■ ■

٥ إفراط فى المخاط

وصل (هارى) و(دمبلدور) للباب الخلفى للجحر المحاط بالمخلفات المألوفة من أحذية ذات رقبة قديمة، ومراجل يعلوها الصدأ، وكان بمقدور (هارى) سماع صوت بقبقة الدجاج النائم قادمًا من سقيفة بعيدة. دق (دمبلدور) الباب ثلاث دقات، ثم لمح (هارى) حركة مفاجئة خلف نافذة المطبخ.

قال صوت عصبى، عرف (هارى) أنه صوت السيدة (ويسلى): «من هناك؟ أعلن عن نفسك!».

(دمبلدور): «إنه أنا (دمبلدور) ومعى (هارى)».

فتح الباب فورًا، ووقفت على عتبته السيدة (ويسلى)، وكانت قصيرة وممتلئة القوام، وترتدى فستانًا منزليًا قديمًا ذا لون أخضر.

قالت: «(هارى)، عزيزى، يا إلهى! لقد أفزعتنى يا (ألباس)، ألم تقل ألا نتوقع حضورك قبل الصباح؟».

قال (دمبلدور) وهو يرافق (هارى) إلى عتبة الباب: «لقد كنا محظوظيْن، أثبت (سلجهورن) أنه سهل الإقناع أكثر مما توقعت، وهذا من فعل (هارى) بالطبع، آه، مرحبًا يا (نيمفادورا)».

نظر (هارى) حوله ورأى أن السيدة (ويسلى) لم تكن وحيدة على الرغم من تأخر الوقت؛ فقد كانت هناك ساحرة صغيرة السن ذات وجه شاحب يشبه القلب، وشعر «فيرانى» اللون تجلس على المائدة وتمسك بكوب كبير بين يديها.

فردت التحية قائلة: «مرحبًا يا أستاذ، مرحبًا يا (هارى)».

(هـارى): «أهلاً يـا (تـونكس)».

فكر (هـارى) أنـهـا تـبدو مـتـعـبـة أو ربـمـا مـريـضـة، فـقـد كـانت تـبـتسم بـصـعـوبـة، وكـان مـظـهـرهـا يـبـدو أقـل بـهـجـة بـدون الانـعـكـاس الـمـعـتـاد لشعرهـا الوردى الذى كان يشبـه لون العلكة على وجهها.

قـالت بسرعة: «من الأفضل أن أذهب»، ثم وقفت وشدت عباءتها حول كتفيها، وأضافت: «شكرًا على الشاى والمواساة يا (مولى)».

قـال (دمبلدور) بـأدب: «أرجوكِ، لا ترحلى بسببى، فـأنا لا أستطيع الـبـقـاء أيضًـا؛ لأن عندى مسـائل مـهـمـة علىَّ مـنـاقشـتـهـا مـع (روفـوس سكريمجور)».

قـالت (تونكس) وهى تتفـادى النظر لـ(دمبلدور): «لا، لا، يجب علىَّ الذهـاب، تصبحون على خير».

السيدة (ويسلى): «عزيزتى، لماذا لا تـأتين للعشاء معنا فى إجازة نـهاية الأسبوع، (ريموس) و(مـاد ـ آى) سوف يـأتون...؟».

ردت (تونكس): «لا، لن أستطيع يا (مولى)...، شكرًا على أية حال.. تصبحون على خير جميعًا».

أسرعت (تونكس) تمر بـجوار (دمبلدور) و(هـارى) خـارجة إلى الفنـاء، وبعد خطوات قليلة من عتبة البـاب دارت فى مكانـهـا واختفت فى الـهواء، ولاحظ (هـارى) أن السيدة (ويسلى) تبدو منزعجة.

قـال (دمبلدور): «حسنًـا، سوف أراك فى (هـوجـوورتس) يـا (هـارى)، اهتم بنفسك».

ثـم انـحـنـى لـلسيـدة (ويسـلـى) وقـال: «فـى خـدمـتك يـا (مـولـى)»، ولـحـق بـ(تونكس) مختفيًا فى نفس المكان الذى اختفت به. أغلقت السيدة (ويسـلـى) الـبـاب عـلـى الـفـنـاء الـخـالـى، ثـم قـادت (هـارى) من كـتـفـيـه؛ لتتفحص مظهره تحت ضوء المصباح.

وقالت: «إنك مثل (رون)»، ثم تنهدت وهى تنظر إليه من أعلى إلى أسفل، وأضافت: «كلاكما تبدوان كأن أحدًا رمى عليكما تعويذة إطالة. أقسم أن (رون) قد نما أربع بوصات منذ آخر مرة اشتريت له فيها ملابس للمدرسة.. هل أنت جائع يا (هارى)؟».

قال (هارى): «نعم، أنا جائع»، وقد أدرك فجأة إلى أى حد كان جائعًا.

السيدة (ويسلى): «اجلس يا عزيزى، سأعدُّ لك شيئًا».

وما إن جلس (هارى) حتى قفز قطٌّ بنيٌّ له فرو كثيف ووجه مبطط على ركبتيه واستقر عليهما وهو يخرخر.

سأل (هارى) بسعادة وهو يدغدغ (كروكشانكس) خلف أذنه: «(هرميون) هنا إذن؟».

قالت السيدة (ويسلى): «آه، نعم، وصلت منذ يومين» ودقت بعصاها على قِدر حديدى كبير؛ فقفز مستقرًا على الموقد مُصدرًا صوت رنين عاليًا وبدأ يبقبق على الفور، ثم أكملت حديثها: «الجميع فى أسرتهم بالطبع؛ لأننا لم نكن نتوقع حضورك قبل ساعات.. تفضل».

ثم دقت على القِدر مرة أخرى، فارتفع إلى الهواء وطار فى اتجاه (هارى) ثم بدأ يقلب محتوياته فى نفس اللحظة التى وضعت فيها السيدة (ويسلى) ببراعة سلطانية تحته لتمتلئ بسيل حَساء البصل ثقيل القوام الذى يتصاعد منه البخار.

السيدة (ويسلى): «خبز، يا عزيزى».

(هارى): «شكرًا لكِ يا سيدة (ويسلى)».

ثم لوحت بعصاها فوق كتفها فطار رغيف من الخبز وسكين برشاقة متجهيْن إلى المائدة. وبينما انفصلت شريحة الخبز عن الرغيف بنفسها ورجع قدر الحساء مستقرًا فوق الموقد، جلست السيدة (ويسلى) على الكرسى المقابل لـ(هارى).

وقالت: «إذن، فقد أقنعت (هوريس سلجهورن) بقبول الوظيفة؟».

أومأ (هارى) برأسه، ولم يرد؛ لأن فمه كان ممتلئًا بالحَساء الساخن.

قالت السيدة (ويسلى): «لقد كان أستاذى أنا و(آرثر)، وقد عمل فى (هوجوورتس) لزمن طويل، وبدأ التدريس هناك فى نفس الوقت الذى بدأ فيه (دمبلدور) كما أعتقد، هل أعجبك؟».

وكان فمه وقتها ممتلئًا بالخبز، فهز كتفيه وحرك رأسه بطريقة غير مفهومة إن كانت تعنى نعم أم لا.

قالت السيدة (ويسلى) وهى تومئ برأسها بحكمة: «أعرف ما تعنيه بالطبع، يمكنه أن يكون ساحرًا عندما يريد ذلك، ولكن (آرثر) لم يحبه قط، والوزارة مزدحمة بطلاب (سلجهورن) المفضلين القدامى، لقد ساعد الكثيرين فى الحصول على مستقبل وظيفى أفضل، ولكنه لم يكن لديه وقت لـ(آرثر)، ويبدو أنه كان يعتقد أنه ليس على المستوى المطلوب، ولكن (آرثر) تمت ترقيته. حسنًا، هذا يثبت لك أنه حتى (سلجهورن) يرتكب أخطاء. لا أعرف إن كان (رون) قد أخبرك فى خطاباته أم لا، فقد حدث هذا منذ وقت قريب!».

كان من الواضح أن السيدة (ويسلى) متحمسة جدًّا لإخباره بهذا. ابتلع (هارى) كمية كبيرة من الحساء الساخن، وأحس أن حلقه يكاد يلتهب، فقال وهو يلتقط أنفاسه: «هذا عظيم».

فقالت السيدة (ويسلى) مبتسمة وربما اعتقدت أن عينيه دمعتا بسبب تأثره بالأخبار: «كم أنت لطيف، نعم لقد أنشأ (روفوس سكريمجور) العديد من الإدارات الجديدة؛ استجابة للوضع الحالى، ويرأس (آرثر) إدارة كشف ومصادرة التعاويذ الدفاعية المقلدة والأشياء الوقائية وهو منصب مهم وهناك عشرة أشخاص تحت إمرته يأتونه بالأخبار الآن!».

(هارى): «وما طبيعة هذه الأخبار؟».

السيدة (ويسلى): «حسنًا، وكما تعرف، فإنه بسبب الفزع الذى سببه (أنت تعرف من) فإن هناك أشياء غريبة عرضت للبيع فى كل مكان، وهى

أشياء من المفترض أنها تحمى ضد (أنت تعرف من) و(آكلى الموت)، ويمكنك تخيل نوع هذا الشيء الذى يطلق عليه وصفة وقائية، وهو فى الحقيقة عبارة عن صلصة مرقة دجاج، مع إضافة القليل من صديد نبات (بوبو توبر) أو تعليمات تعويذة دفاعية، هى فى الحقيقة تسبب سقوط الأذن.. حسنًا، فإن مرتكبى هذه الحوادث هم فى الأساس مجرد أشخاص مثل (موندوجس فلتشر)؛ أشخاص قضوا حياتهم العملية فى الغش والاحتيال، وهم يستغلون خوف الناس، ولكن أحيانًا ما يظهر شيء أكثر شرًّا. فمنذ وقت قريب، صادر (آرثر) صندوقًا من إنذارات الثعبان الملعونة كانوا تقريبًا متأكدين أنها زرعت بواسطة (آكلى الموت)؛ لذلك ـ كما ترى ـ فهى وظيفة مهمة جدًّا، وأنا أقول إنه من السخف أن يفتقد (آرثر) التعامل مع الولاعات وآلات التحميص والأشياء الأخرى الشبيهة من مخلفات العامَّة»، وأنهت السيدة (ويسلى) حديثها بنظرة متجهمة كأن (هارى) هو الذى اقترح أنه من الطبيعى أن يفتقد الولاعات.

سأل (هارى): «هل مازال السيد (ويسلى) فى العمل؟».

السيدة (ويسلى): «نعم، مازال بالعمل. فى الحقيقة، لقد تأخر عن موعده قليلاً، فقد قال إنه سيعود فى منتصف الليل تقريبًا».

والتفتت؛ لتنظر إلى الساعة الكبيرة الموضوعة على نحو غير ملائم فوق قمة كومة من الملاءات داخل سلة الغسيل فى نهاية المنضدة.

وقد تذكرها (هارى) على الفور، فقد كان بها تسع عقارب، كل واحدة منها مكتوب عليها اسم أحد أفراد الأسرة، وكانت جميع العقارب التسع تشير الآن إلى (خطر الموت)، كانت عادة يتم تعليقها على الحائط فى حجرة جلوس (آل ويسلى)، إلا أن وضعها الحالى يوضح أن السيدة (ويسلى) أصبحت تحملها معها إلى كل مكان فى المنزل.

قالت السيدة (ويسلى) بعفوية غير مقنعة: «لقد أصبحت الساعة منذ فترة على هذه الحال، منذ أعلن (أنت تعرف من) عودته، وأنا لا أعتقد أن

أسرتنا فقط هى المعرضة للخطر.. بل أعتقد أن الجميع معرض لخطر الموت الآن.. ولكننى لا أعرف شخصًا آخر لديه ساعة مثل هذه؛ لذلك لا أستطيع التأكد، آه!».

صاحت فجأة وأشارت إلى الساعة، فقد تحولت عقرب السيد (ويسلى) إلى السفر وقالت: «إنه قادم».

ولتأكيد ذلك، سمعا بعد لحظة دقة على الباب الخلفى؛ فقفزت السيدة (ويسلى) واقفة وأسرعت إليه، ثم نادت برفق وهى ملصقة وجهها بالباب وإحدى يديها ممسكة بمقبض الباب: «(آرثر)، هل هذا أنت؟».

رد صوت السيد (ويسلى) المتعب: «نعم، ولكننى سوف أقول إننى يمكن أن أكون أحد (آكلى الموت) يا عزيزتى، اسألى السؤال!».

السيدة (ويسلى): «آه، بحق...».

السيد (ويسلى): «مولى!».

السيدة (ويسلى): «حسنًا، حسنًا، ما أعظم طموحاتك؟».

السيد (ويسلى): «أن أعرف كيف تبقى الطائرات فى السماء».

أومأت السيدة (ويسلى) برأسها وأدارت مقبض الباب، ولكن كان من الواضح أن السيد (ويسلى) ممسك الباب بقوة على الجانب الآخر؛ لأن الباب ظل مغلقًا بإحكام.

ثم قال: «(مولى)، يجب أن أسألك سؤالك أولاً!».

ردت: «(آرثر)، حقيقة، هذا مجرد سخف».

فسأل: «ما الاسم الذى تحبين أن أناديك به عندما نكون وحدنا؟».

حتى فى ضوء المصباح الضعيف، كان بإمكان (هارى) أن يرى وجه السيدة (ويسلى) وقد تورد بشدة، وقد شعر هو نفسه بسخونة حول الأذن والرقبة، وابتلع الحَساء بسرعة وهو يضرب السلطانية بملعقته ليُحدث أكبر قدر من الضجة.

همست السيدة (ويسلى) وهى تشعر بالخجل من خلال شق فى حافة الباب: «(مولى وبلز)».

قال السيد (ويسلى): «صحيح، الآن يمكنك أن تدخلينى».

فتحت السيدة (ويسلى) الباب؛ لتكشف عن زوجها؛ ساحر نحيف ذى شعر أحمر يغلب عليه الصلع، يرتدى نظارة بدت مصنوعة من العظام وعباءة سفر طويلة مغبرة.

قالت السيدة (ويسلى) التى كان وجهها مازال متوردًا وهى تساعد زوجها ليخلع عباءته: «مازلت لا أفهم، لماذا يجب علينا أن نقوم بذلك فى كل مرة تعود فيها إلى المنزل، أعنى أن (آكلى الموت) قد يرغمونك على إخبارهم بالإجابة قبل أن ينتحلوا شخصيتك!».

السيد (ويسلى): «أعرف، ولكنها يا عزيزتى إجراءات الوزارة، ويجب أن أضرب مثلاً باتباعها، أشم رائحة طيبة، حساء البصل!».

التفت السيد (ويسلى) وهو منشرح الصدر فى اتجاه المائدة.

وقال: «(هارى)! لم نكن نتوقع حضورك قبل الصباح».

وتصافحا، ثم جلس السيد (ويسلى) فى مقعد بجوار (هارى)، بينما وضعت السيدة (ويسلى) سلطانية حساء أمامه هو أيضًا.

السيد (ويسلى): «شكرًا يا (مولى)، لقد كانت ليلة صعبة؛ فقد حاول بعض الأغبياء بيع ميداليات للتحوّل وأعلنوا عنها قائلين: ما إن ترتديها حول رقبتك حتى تكون قادرًا على تغيير شكلك حسب رغبتك، مئات آلاف الأشكال المختلفة بعشرة جالونات فقط!».

(هارى): «وما الذى يحدث بالفعل عندما ترتديها؟».

السيد (ويسلى): «فى معظم الأحوال، يتحول لونك إلى لون برتقالى قبيح جدًّا، ولكنَّ هناك شخصين نبتت لهما مجسات تشبه النتوءات فى جميع أجزاء جسميهما وكأن (سانت مونجو) ليس بها ما يكفى من المرضى بالفعل!».

قالت السيدة (ويسلى) بتردد: «تبدو هذه من نوعية الأشياء التى يجدها (فريد) و(جورج) مرحةً.. هل أنت متأكد...؟».

قال السيد (ويسلى): «بالطبع أنا متأكد، فلن يفعل الأولاد شيئًا كهذا الآن، ليس فى هذه الظروف، فهم يعرفون أن الناس فى أمس الحاجة إلى الحماية!».

السيدة (ويسلى): «إذن هذا ما أخرك، ميداليات التحوّل؟».

السيد (ويسلى): «لا، لقد سمعنا عن تعويذة ارتدادية شريرة فى (الفيل والقلعة) ولكن لحِسن الحظ، سبقتنا إلى هناك فرقة تنفيذ القانون السحرى وسيطرت على الموقف قبل أن نصل».

كبت (هارى) تثاؤبه خلف يده.

قالت السيدة (ويسلى) التى لا تنخدع: «حان وقت النوم، لقد جهزت لك حجرة (فريد) و(جورج)، وستكون لك وحدك».

(هارى): «لماذا؟ أين هما؟».

قالت السيدة (ويسلى): «آه، إنهما فى (حارة دياجون)، ويناما فى شقة صغيرة أعلى محل المقالب الخاص بهما؛ لأنهما مشغولان جدًّا. فى الحقيقة، لم أوافق على هذا فى البداية، ولكن يبدو أن لديهما موهبة طبيعية فى التجارة. تعال يا عزيزى، فصندوقك هناك بالفعل».

قال (هارى): «تصبح على خير يا سيد (ويسلى)». وهو يدفع مقعده إلى الوراء، قفز القط (كروكشانكس) بخفة من حجره وتسلل خارجًا من الغرفة.

رد السيد (ويسلى): «تصبح على خير يا (هارى)».

رأى (هارى) السيدة (ويسلى) تنظر إلى الساعة التى فى سلة الغسيل وهما يتركان المطبخ، كانت كل العقارب قد عادت من جديد إلى خطر الموت.

كانت غرفة (فريد) و(جورج) فى الطابق الثانى، وداخل الغرفة أشارت السيدة (ويسلى) بعصاها إلى مصباح ـ موضوع على منضدة جانبية ـ فأضاء على الفور، مغرقًا الغرفة فى ضوء ذهبى لطيف.

وعلى الرغم من وجود مزهرية ممتلئة بالزهور على المكتب أمام النافذة الصغيرة، فإن عبيرها لم يغطِّ على رائحة أخرى كانت فى المكان، يعتقد (هارى) أنها رائحة البارود. وكان جزء كبير من أرضية المكان مخصصًا لعدد كبير من الصناديق الكرتونية المغلقة غير المعلمة، وبينها كان يوجد صندوق (هارى). كانت الغرفة تبدو كأنها تستخدم كمخزن مؤقت.

نعقت (هيدويج) سعيدة من مكانها فوق خزانة ثياب كبيرة، ثم طارت عبر النافذة. أدرك (هارى) أنها كانت تنتظر لتراه قبل أن تذهب للصيد، ثم ألقى (هارى) تحية المساء على السيدة (ويسلى) وارتدى منامته ودخل فى أحد السريرين، ووجد شيئًا صُلبًا فى غطاء الوسادة، فوضع يده وأخرجه؛ كانت حلوى لزجة لونها بنفسجى فى برتقالى. أدرك (هارى) أنها (علكة التقيؤ)، وابتسم لنفسه واستدار ونام على الفور.

بعد لحظات، أو هكذا خُيِّل له، استيقظ (هارى) على صوت فتح الباب الذى بدا له كصوت انطلاق مدفع. وعندما جلس بسرعة معتدلاً، سمع صوت الستائر وهى تُفتح. فشعر كأن ضوء الشمس المبهر قد لكزه بقوة فى كلتا عينيه، فرفع إحدى يديه ووضعها أمامه؛ يحمى عينيه، وأخذ يتلمس بالأخرى طريقه بيأس باحثًا عن نظارته، ثم قال: «ما الذى يحدث هنا؟».

رد عليه صوت عال ومتحمس: «لم نعرف أنك هنا بالفعل!»، ثم تلقى (هارى) خبطة قوية فوق رأسه.

قال صوت فتاة مؤنبًا: «لا تضربه يا (رون)».

وجدت يد (هارى) النظارة، ووضعها على عينيه ولكن ضوء الشمس كان مبهرًا جدًّا حتى أنه كاد لا يرى شيئًا على أية حال، كان كل ما رآه مجرد خيالات طويلة مهتزة تلوح أمامه للحظة، ثم رمش وفتح عينيه ليجد (رون ويسلى) يبتسم له.

(رون): «هل أنت على ما يرام؟».

قال (هارى) وهو يدلك قمة رأسه ثم يهبط عائدًا إلى وسادته: «فى أحسن حال، وأنت؟».

قال (رون) وهو يجذب أحد الصناديق الكرتونية ويجلس عليه: «جيد، متى وصلت إلى هنا؟ لم تخبرنا أمى بحضورك إلا منذ لحظات!».

(هارى): «حوالى الواحدة صباحًا».

(رون): «هل العامَّة بخير؟ هل عاملوك بطريقة طيبة؟».

قال (هارى) بينما جلست (هرميون) على طرف سريره: «نفس الأسلوب المعتاد، لم يتكلموا معى كثيرًا، ولكننى أفضل هذا الحال، كيف حالكِ يا (هرميون)؟».

قالت (هرميون) وهى تدقق النظر إلى (هارى) وكأنها تبحث عن شىء: «آه، أنا بخير».

اعتقد (هارى) أنه يعرف ما الذى وراء كل هذا، ولكن لم تكن لديه الرغبة فى مناقشة موت (سيريوس)، أو أى موضوع محزن آخر فى هذه اللحظة، قال (هارى): «كم الساعة، هل فات علىَّ وقت الإفطار؟».

قال (رون) وهو يحرك عينيه من جانب إلى جانب: «لا تقلق على هذا، سوف تجلب لك أمى صينية، فهى تظن أنك لا تحصل على ما يكفى من الطعام. إذن، ما الذى حدث؟».

(هارى): «لا شىء تقريبًا، فكما تعلم، لقد كنت ملازمًا للبيت وأنا عند أقاربى».

قال (رون): «كفى كلامًا فارغًا! لقد سافرت مع (دمبلدور)!».

(هارى): «لم يكن أمرًا مثيرًا. لقد أراد أن أساعده فى إقناعِ مدرس من أصدقائه أن يعود من تقاعده، اسمه (هوريس سلجهورن)».

قال (رون) وقد بدا محبطًا: «لقد اعتقدنا...». نظرت (هرميون) إلى (رون) نظرة محذرة، فغيَّر (رون) مجرَى حديثه بسرعة كبيرة، وقال: «لقد اعتقدنا أنه شىء مثل هذا».

قال (هارى) مستمتعًا: «حقًا؟».

(رون): «نعم.. نعم، فبعد أن رحلت (أمبريدج)، كان من الواضح أننا نحتاج إلى أستاذ جديد لمادة الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام، أليس كذلك؟ إذن، كيف هو؟».

قال (هارى): «إنه يشبه فيل البحر إلى حد ما، وكان فى الماضى رئيسًا لمنزل (سليذرين)، هل هناك خطأ ما يا (هرميون)؟».

فقد كانت تراقبه وكأنها تتوقع ظهور أعراض غريبة عليه فى أى لحظة.

أعادت ترتيب ملامحها بسرعة، ورسمت ابتسامة غير مقنعة على وجهها.

وقالت: «لا، بالطبع لا! إذن، هل بدا على (سلجهورن) أنه سيكون أستاذًا جيدًا؟».

قال (هارى): «لا أعرف، لا يمكن أن يكون أسوأ من (أمبريدج)، أليس كذلك؟».

قال صوت قادم من مدخل الباب: «أعرف شخصًا أسوأ من (أمبريدج)».

كانت (جينى) أخت (رون) الصغرى هى التى دخلت إلى الغرفة بهدوء وقد بدت منفعلة، ثم قالت: «أهلاً يا (هارى)».

سأل (رون): «ما الذى حدث؟».

قالت (جينى) وهى تجلس على سرير (هارى): «إنها هى، إنها تدفعنى إلى الجنون!».

سألت (هرميون) بتعاطف: «ما الذى فعلته الآن؟».

(جينى): «إنها الطريقة التى تكلمنى بها، لو رأيتِها لظننتِ أننى فى الثالثة من عمرى!».

قالت (هرميون) وهى تخفض صوتها: «أعرف، إنها لا ترى سوى نفسها».

تعجب (هارى) من أن يسمع (هرميون) تتكلم عن السيدة (ويسلى) بهذه الطريقة، ولم يستطع لوم (رون) عندما قال بغضب: «ألا يمكنكما الكف عنها لخمس ثوان؟».

قالت (جينى) بحدة: «هذا صحيح، دافعْ عنها، كلنا نعرف أنك لا تشبع من النظر إليها».

كان هذا تعليقًا غريبًا عن والدة (رون)، وعندما بدأ (هارى) يشعر بأن هناك شيئًا لا يعرفه، قال: «من الذى...؟».

ولكن السؤال أجيب قبل أن ينهيه، فقد انفتح باب غرفة النوم مرة أخرى، فرفع (هارى) غطاء السرير إلى ذقنه بطريقة غريزية، حتى إن (هرميون) و(جينى) انزلقتا من فوق السرير إلى الأرض.

كانت هناك امرأة شابة جميلة تقف على مدخل الباب، وكان جمالها يحبس الأنفاس، حتى أنه شعر بأن الغرفة أصبحت خالية من الهواء؛ فقد كانت طويلة ورشيقة، وشعرها طويل أشقر يتطاير ويشع ببريق فضى.. ولتكتمل الصورة الرائعة المبهرة، فقد كانت تحمل بين يديها صينية إفطار ثقيلة.

قالت بصوت مبحوح: «(آرى)، لم أرك منذ وقت طويل!».

وبينما هى تجتاز عتبة الباب متجهة إليه، ظهرت السيدة (ويسلى) فى أعقابها وقد بدت غاضبة إلى حد ما.

وقالت: «لم يكن هناك داع لأن تحضرى الصينية، فأنا كنت على وشك إحضارها بنفسى!».

قالت (فلور ديلاكور) وهى تضع الصينية على ركبة (هارى) وتمنحه قُبلة على كل خد: «لكد كنت أشتاق إلى رؤيته، هل تذكر أختى (جابريل)؟ إنها لا تتوقف عن الكلام عن (آرى بوتر). ستكون سعيدة أن تراك مرة أخرى». شعر (هارى) أن الأماكن التى لمستها بشفتيها قد احترقت.

قال (هارى): «أوه... هل هى هنا أيضًا؟».

قالت (فلور) وضحكتها ترن: «لا، لا أيها الولد السخيف، أنا أعنى الصيف القادم، عندما... ألا تعرف؟».

اتسعت عيناها الزرقاوان الكبيرتان ونظرت بتأنيب إلى السيدة (ويسلى) التى قالت: «لم نجد الفرصة لإخباره بعد».

التفتت (فلور) إلى (هارى) مرة أخرى وهى تؤرجح شعرها، حتى أنه ضرب وجه السيدة (ويسلى).

وقالت: «أنا و(بيل) سوف نتزوج!».

قال (هارى) وهو مشدوه: «واو! مبروك». ولاحظ أن (السيدة ويسلى) و(هرميون) و(جينى) عازمات على تفادى النظر إلى بعضهن البعض، ثم انقضَّت عليه وقبَّلته مرة أخرى.

وقالت: «(بيل) مشغول جدًّا فى هذه اللحظة، فهو يعمل بكل جهده، بينما أنا أعمل بدوام جزئى فى بنك (جرنجوتس)؛ لأن لغتى الإنجليزية تحتاج إلى تدريب؛ ولذلك فقد أحضرنى إلى هنا لأمكث بضعة أيام، وأتعرّف إلى أسرته بشكل مناسب، وكنت سعيدة عندما سمعت بقدومك، فليس هناك الكثير الذى يمكن فعله هنا إلا إذا كنت تحب الطبخ والدجاج! حسنًا، فلتستمتع بإفطارك يا (آرى)!».

أنهت حديثها بهذه الكلمات، ثم دارت بغرور ومشت برشاقة إلى خارج الغرفة وأغلقت الباب بهدوء خلفها.

غمغمت السيدة (ويسلى) بكلام غير مفهوم.

قالت (جينى) بصوت خفيض: «إن أمى تكرهها».

قالت السيدة (ويسلى) بهمس غاضب: «أنا لا أكرهها، أنا فقط أعتقد أنهما تسرَّعا فى هذه الخِطبة، هذا كل ما فى الأمر!».

قال (رون) وهو مازال يحدق بالباب، ويترنح بطريقة غريبة كأنه ضُرب على رأسه: «لقد عرفا بعضهما بعضًا منذ عام».

السيدة (ويسلى): «حسنًا، هذه ليست فترة طويلة! أنا أعرف لماذا حدث هذا. بالطبع إنه ذلك الإحساس بالخوف من المجهول الذى ساد منذ عودة (أنت تعرف من). يعتقد الناس أنهم يمكن أن يموتوا غدًا؛ لذلك فإنهم يتسرعون فى اتخاذ كل القرارات التى من الطبيعى أن يستغرقوا وقتًا أطول فى اتخاذها، وهو نفس ما حدث عندما كان فى أوج قوته فى السابق، فقد كان الكثير فى كل مكان يهربون ليتزوجوا».

قالت (جينى) بمكر: «حتى أنتِ وأبى؟».

قالت السيدة (ويسلى): «نعم، حسنًا، أنا ووالدك مختلفان، فقد خُلق كلانا للآخر، فما فائدة الانتظار إذن؟ ولكن (بيل) و(فلور)... حسنًا... ما الشىء المشترك بينهما؟ وما الذى يجمعهما؟ فهو شخص من النوع المجتهد والواقعى، بينما هى...».

قالت (جينى) وهى تومئ برأسها: «بقرة، ولكن (بيل) ليس واقعيًّا إلى هذا الحد. إنه قوى العزيمة، أليس كذلك؟ ويحب القليل من المغامرة والقليل من الفتنة.. أتوقع أن يكون هذا هو السبب الذى جعله يقع فى حب (مخاط)».

قالت السيدة (ويسلى) بحدة: «توقفى عن إطلاق هذا الاسم عليها يا (جينى)، بينما ضحك كل من (هارى) و(هرميون)، ثم أضافت: «حسنًا، علىَّ أن أذهب، كُلِ البيضَ؛ إذ لا يزال ساخنًا يا (هارى)».

وتركت الغرفة وهى تبدو مهمومة. كان (رون) لايزال يبدو مترنحًا، وكان يهز رأسه إلى اليمين واليسار كأنه كلب يحاول أن يخلص أذنيه من الماء.

سأل (هارى): «ألم تعتد رؤيتها بعد؟ إنها تقيم معك فى نفس المنزل».

قال (رون): «حسنًا، هذا صحيح، ولكن ليس إذا ظهرت أمامى فجأة وبدون توقع، مثلما حدث الآن».

قالت (هرميون) بغضب: «إنه شيء يثير الشفقة»، ثم خطت بسرعة مبتعدة قدر الإمكان عن (رون)، ثم استدارت لتواجهه وقد طوت ذراعيها فى اللحظة التى وصلت فيها إلى الحائط.

سألت (جينى) (رون) بارتياب: «إنك فعلاً لا تريدها هنا إلى الأبد؟».

وعندما لم يرد سوى بهز كتفيه؛ أكملت: «حسنًا، إن أمى ستضع حدًّا لهذا الأمر إذا استطاعت، وأراهنك على ذلك».

سأل (هارى): «وكيف ستحقق هذا؟».

(جينى): «إنها تحاول دائمًا أن تحضر (تونكس) للعشاء. أعتقد أنها تتمنى أن يقع (بيل) فى غرام (تونكس)، وأتمنى أن يفعل فأنا أفضِّل أن تصبح من أفراد الأسرة».

قال (رون) بسخرية: «نعم، وكأن هذا سيحدث، استمعى إلىَّ، لن يعجب فتى طبيعى بـ(تونكس) عندما تكون (فلور) موجودة. أعنى أن (تونكس) مظهرها جيد عندما لا تقوم بعمل أشياء غبية فى شعرها وأنفها، ولكن...».

قالت: «إن مظهرها بالتأكيد ألطف من مظهر (مخاط)».

قالت (هرميون) من الركن: «وهى أكثر ذكاءً بالتأكيد، فهى مدافعة ضد السحر الأسود!».

قال (هارى): «ولكن (فلور) ليست غبية، فقد كان مستواها عاليًا بما يكفى لتدخل دورة السحر الثلاثية».

قالت (هرميون) بمرارة: «أنت أيضًا!».

قالت (جينى) ساخرة: «أفترض أنك معجب بطريقة (مخاط)، وهى تقول لك (آرى)، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وهو يتمنى لو أنه لم يتكلم: «لا، كل ما أقوله أن (مخاط) أقصد (فلور)...».

قالت (جينى): «أفضِّل أن تصبح (تونكس) فردًا من أسرتنا، فهى على الأقل مضحكة».

قال (رون): «لم تصبح مضحكة مؤخرًا، ففى كل مرة أراها فيها تبدو أكثر مثل (ميرتل) الباكية».

قالت (هرميون) بحدة: «هذا ليس عدلاً، فهى لم تتعافَ بعد مما حدث.. كما تعرف... أعنى، لقد كان ابن عمها...!».

سقط قلب (هارى)، لقد وصلوا إلى (سيريوس). فالتقط الشوكة وبدأ فى ملئها بالبيض المخفوق، ثم وضعها فى فمه بسرعة وهو يرجو أن يبتعد عن أى دعوة للانضمام لهذا الجزء من الحديث.

قال (رون): «(تونْكس) و(سيريوس) كانا بالكاد يعرفان بعضهما بعضًا! فقد كان (سيريوس) فى (أزكابان) لمدة تزيد على نصف عمرها وقبل ذلك لم تلتقِ أسرتاهما قط».

قالت (هرميون): «ليس هذا هو الموضوع، فهى تعتقد أنها تسببت فى موته!».

لم يتمالك (هارى) نفسه فسأل: «وما الذى يجعلها تفكر بهذا الشكل؟».

(هرميون): «حسنًا، لقد كانت تحارب (بيلاتريكس ليسترانج)، أليس كذلك؟ أعتقد أنها تشعر بأنها لو كانت قد قضت عليها لم تكن (بيلاتريكس) لتقتل (سيريوس)».

قال (رون): «هذا غباء».

قالت (هرميون): «إنه الإحساس بالذنب الذى يشعر به الناجى، أنا أعرف أن (لوبين) حاول أن يتكلم معها حول الموضوع، ولكنها مازالت مكتئبة، كما أن لديها مشاكل مع موهبتها فى (الميتافورماجوس)».

(هارى): «مشاكل مع ماذا؟».

وضحت (هرميون): «أصبحت لا تستطيع تغيير شكلها كما اعتادت أن تفعل، أعتقد أن قواها قد تأثرت بالصدمة أو بشىء آخر».

قال (هارى): «لم أعرف أن من الممكن حدوث شىء مثل هذا».

قالت (هرميون): «ولا أنا، ولكننى أفترض أنه عندما تكون مكتئبًا جدًّا...». فُتح الباب مرة أخرى، وظهر رأس السيدة (ويسلى) التى همست قائلة: «(جينى)، تعالى إلى الدور الأسفل وساعدينى فى عمل الغداء».

قالت (جينى) بحنق: «إننى منشغلة فى الحديث مع المجموعة!».

قالت السيدة (ويسلى) بصرامة: «الآن»، ثم انسحبت.

قالت (جينى) وهى متضايقة: «إنها تريدنى هناك؛ حتى لا تضطر للبقاء وحدها مع (مخاط)!».. ثم رمت بشعرها الأحمر الطويل إلى الوراء مقلدة (فلور) وأخذت تتبختر عبر الغرفة وهى رافعة يديها إلى أعلى مثل راقصة الباليه، ثم قالت وهى ترحل: «وأنتم، من الأفضل أن تأتوا إلى الأسفل أيضًا».

استغل (هارى) فرصة الصمت المؤقت الذى ساد الغرفة وبدأ يتناول إفطاره، وكانت (هرميون) تتفحص صناديق (فريد) و(جورج)، ومع ذلك كانت تلقى نظرة جانبية على (هارى) بين الحين والآخر، بينما بدأ (رون) يأكل الخبز المحمص الخاص بـ(هارى) وهو مازال يحدق بالباب حالمًا.

سألت (هرميون) فى النهاية وهى تمسك بتلسكوب صغير: «ما هذا؟».

قال (رون): «لا أعرف، ولكن إذا كان (فريد) و(جورج) قد تركاه هنا، فإنه فى الأغلب مازال غير مجهز لمحل المقالب بعد، فكونى حذرة».

قال (هارى): «قالت والدتك إن محلهما يعمل جيدًا، وقالت إن (فريد) و(جورج) لديهما موهبة طبيعية فى التجارة».

قال (رون): «هذا تقليل فى القول، فهم غارقون فى الجالونات! ولا أستطيع الانتظار لرؤية المكان. فنحن لم نذهب لحارة (دياجون) بعد؛ لأن أمى تقول إن أبى يجب أن يكون معنا لنكون فى أمان أكثر، ولكنه كان مشغولاً جدًّا فى العمل، أعتقد أنه يبدو رائعًا».

سأل (هارى): «وماذا عن (بيرسى)؟ هل عاد ليتكلم مع أبيك وأمك مرة أخرى؟». كان الابن الثالث فى العائلة على خلاف مع باقى أسرته.

قال (رون): «لا».

(هارى): «ولكنه يعرف الآن أن والدك كان على حق فيما قاله عن عودة (فولدمورت)».

قالت (هرميون): «(دمبلدور) يقول إنه من الأسهل أن تغفر للآخرين عندما يكونون مخطئين عن أن يكونوا صائبين، لقد سمعته يقول ذلك لوالدتك يا (رون)».

قال (رون): «يبدو هذا من نوع الأشياء الفلسفية التى يقولها (دمبلدور)».

قال (هارى) متدخلاً فى الحديث: «إنه ينوى أن يعطينى دروسًا خصوصية هذا العام».

اختنق (رون) بقطعة الخبز المحمص التى كان يأكلها، بينما توقفت (هرميون) عن التنفس.

قال (رون): «واحتفظت بذلك لنفسك!».

قال (هارى) بصراحة: «لم أتذكر إلا الآن، لقد أخبرنى هذا بالأمس فى سقيفة المكانس الخاصة بكم».

قال (رون) وهو يبدو متأثرًا: «ياللعجب.. دروس خصوصية مع (دمبلدور)! أتساءل لماذا؟».

وتضاءل صوته تدريجيًا ثم رآه (هارى) وهو يتبادل النظرات مع (هرميون). فوضع الشوكة والسكين من يده، وقد تسارعت دقات قلبه، رغم أن كل ما كان يفعله فى هذه اللحظة هو الجلوس فى السرير. لقد سمح له (دمبلدور) بأن يخبرهم بالأمر.. فلماذا ليس الآن؟ ثبت (هارى) نظره على شوكته التى كانت تلمع فى ضوء الشمس الذى يسرى عبر الشباك إلى حجره، وقال: «أنا لا أعرف بالضبط، لماذا سيعطينى هذه الدروس؟! ولكننى أعتقد أنه لابد أن تكون بسبب النبوءة».

لم ينطق كلٌ من (رون) و(هرميون) بكلمة. وشعر (هارى) أنهما تجمدا، فاستأنف حديثه وهو مازال ينظر إلى شوكته: «أتعرفان؟ إنها النبوءة التى كانوا يريدون سرقتها من الوزارة!».

قالت (هرميون) بسرعة: «ولكن لا أحد يعلم ما الذى تقوله هذه النبوءة؛ فقد تحطمت».

بدأ (رون) بالكلام: «رغم أن جريدة (المتنبئ) قالت...»، ولكن (هرميون) قالت: «ششش».

قال (هارى) وهو ينظر إليهما بصعوبة كبيرة فقد كانت (هرميون) تبدو خائفة، أما (رون) فبدا مذهولاً: «استنتاج (المتنبئ) صحيح، الكرة الزجاجية التى تهشمت لم تكن المصدر الوحيد للنبوءة، فقد استمعت إليها كاملة فى مكتب (دمبلدور)؛ لأنه الشخص الذى قيلت له النبوءة وقد أخبرنى بها وهى تقول...». أخذ (هارى) نفسًا عميقًا ثم أكمل: «يبدو أننى الشخص الذى يجب أن يقضى على (فولدمورت)...، على الأقل هى تقول إنه لن ينجو أحدهما».

أخذ ثلاثتهم يحدقون إلى بعضهم فى صمت للحظة، ثم حدثت ضجة عالية، واختفت (هرميون) خلف ستار من الدخان الأسود.

صاح (هارى) و(رون): «(هرميون)»، وانزلقت صينية الإفطار وارتطمت بالأرض.

ثم ظهرت (هرميون) من خلف الدخان وهى تسعل وممسكة بالتلسكوب، وقد ظهرت حول إحدى عينيها دائرة بنفسجية داكنة.

قالت وهى تلهث: «لقد ضغطت عليها فلكمتنى!».

فقد رأوا بالفعل قبضة صغيرة موصولة بزنبرك، بارزة من نهاية التلسكوب.

قال (رون) الذى كان من الواضح أنه يحاول ألا يضحك: «لا تقلقى، سوف تصلح أمى هذا، فهى جيدة فى معالجة الجروح البسيطة».

قالت (هرميون) بسرعة: «أوه، آه (هارى)...، حسنًا لا تهتم بهذا الآن! (هارى)».

وجلست على حافة السرير مرة أخرى.

وقالت: «لقد كنا نتساءل بعد أن عدنا من الوزارة.. لم نكن نريد أن نقول لك أى شىء، ولكن كان من الواضح مما قاله (لوكيوس مالفوى) عن النبوءة، وكيف أنها عنك أنت و(فولدمورت)، حسنًا، لقد اعتقدنا أنها شىء مثل هذا... آه، يا (هارى)...»، ثم حدقت إليه وهمست: «هل أنت خائف؟».

قال (هارى): «ليس بنفس القدر الذى كنت عليه عندما سمعتها أول مرة، لقد كنت...، ولكن الآن يبدو الأمر كما لو أننى كنت أعرف أنه سيكون علىَّ مواجهته فى النهاية...».

قال (رون) بحماس: «وعندما سمعنا أن (دمبلدور) سيحضرك بنفسه، توقعنا أنه ربما سيخبرك بشىء أو يريك شيئًا له علاقة بالنبوءة، ولقد كنا على حق نوعًا ما، أليس كذلك؟ لم يكن ليعطيك دروسًا إذا كان يعتقد أنك هالك، فلن يضيع وقته معك.. لابد أنه يعتقد أنك لديك فرصة!».

قالت (هرميون): «هذا حقيقى، أتساءل ما الذى سيعلمك إياه يا (هارى)؟ ربما سحرًا دفاعيًّا متقدمًا جدًّا، أو تعاويذ مضادة قوية...».

لم يستمع (هارى) إلى ما يقال، فقد كان هناك دفء يتخلل جسده، لم تكن له علاقة بضوء الشمس، فقد شعر أن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن صدره، وقد أدرك أن (رون) و(هرميون) كانا يخفيان من الصدمة أكثر مما يظهران، ولكن حقيقة أنهما مازالا واقفين بجواره، كل منهما على جانب، ويحيطانه بكلماتهما المشجعة المواسية، وأنهما لم يبتعدا عنه كما لو أنه قذر أو خطر، مثلت له أكثر مما يستطيع أن يخبرهما.

واختتمت (هرميون) حديثها: «...وسحر التملص بوجه عام، حسنًا على الأقل تعرف إحدى المواد التى سوف تدرسها هذا الـ ام، وهذه

واحدة لن يدرسها لا(رون) ولا أنا. أتساءل: متى ستأتى نتائج اختبارات هذا (أو ـ دبليو ـ إل)؟».

قال (رون): «لن تتأخر الآن، لقد مر شهر».

قال (هارى): «انتظرا». تذكر جزءًا آخر من محادثة الليلة الماضية، ثم أكمل: «...أعتقد أن (دمبلدور) قال إن نتائج (أو ـ دبليو ـ إل) ستصل اليوم!».

صاحت (هرميون): «اليوم؟! اليوم؟! ولمَ لم تخبرنا قبل الآن؟ يا إلهى! كان يجب أن تقول...».

ثم وثبت واقفة على قدميها.

وقالت: «سأذهب؛ لأرى إن كانت أى بومة قد وصلت...».

وعندما وصل (هارى) إلى الطابق الأسفل بعد عشر دقائق مرتديًا ملابسه بالكامل، وجد (هرميون) جالسة عند مائدة المطبخ، وهى فى حالة اضطراب شديد، بينما السيدة (ويسلى) تحاول علاج عينيها التى تجعلانها شبيهة بالباندا.

وكانت السيدة (ويسلى) تقول بقلق: «إنها لا تنمحى». وكانت واقفة بجوار (هرميون)، ممسكة بعصاها فى إحدى يديها، ونسخة من كتاب (مرشد المعالج) فى يدها الأخرى، مفتوحة على صفحة (الكدمات والجروح والسجحات) «...كان هذا ينجح دائمًا، أنا لا أفهم لماذا لا ينجح هذه المرة».

قالت (جينى): «إنها فكرة (فريد) و(جورج) لتدبير مقلب مضحك وهو التأكد أنها لن تزول».

صاحت (هرميون) بغضب: «ولكن عليها أن تزول، لا يمكننى أن أستمر هكذا إلى الأبد!».

قالت السيدة (ويسلى) لتهدئ من روعها: «لن يحدث هذا يا عزيزتى، سنجد علاجًا لها، لا تقلقى».

قالت (فلور) وهى تبتسم بوداعة: «لقد أخبرنى (بيل) كم أن (فريد) و(جورج) مضحكان».

قالت (هرميون) بحدة: «نعم، حتى إننى لا أستطيع التنفس من كثرة الضحك».

ثم قفزت واقفة وبدأت تمشى حول المطبخ مرة بعد مرة وهى تثنى أصابع يديها معًا.

وقالت: «سيدة (ويسلى)، هل أنت واثقة تمامًا من عدم وصول أى بوم منذ الصباح؟».

قالت السيدة (ويسلى) بصبر: «طبعًا يا عزيزتى، كنت سأراهم، ولكن الساعة مازالت التاسعة فقط، مازال هناك وقت طويل...».

أخذت (هرميون) تغمغم بطريقة محمومة: «أنا أعرف أننى خلطت بعض الأمور فى مادة الأبجديات القديمة، وقد ارتكبت بالتأكيد خطأ كبيرًا واحدًا على الأقل فى الترجمة. أما مادة الدفاع ضد فنون الظلام فلم تكن جيدة على الإطلاق، ولقد اعتقدت أن مادة التحويل كانت جيدة فى وقتها.. ولكن بإعادة النظر...».

قال (رون) بلهجة جافة: «(هرميون)، هل من الممكن أن تخرسى، أنتِ لستِ الشخص الوحيد العصبى، وعندما تحصلين على الأحد عشر ممتازا فى (أو - دبليو - إل)...».

قالت (هرميون) وهى تلوح بيديها بهستيريا: «لا تفعل، لا تفعل، لا تفعل! أنا أعرف أننى قد رسبت فى كل شىء!».

وجه (هارى) سؤالاً إلى كل الموجودين فى الغرفة: «ما الذى سيحدث إذا رسبنا؟».

إلا أن (هرميون) هى التى ردت مرة أخرى، وقالت: «نناقش خياراتنا مع رئيس منزلنا، لقد سألت الأستاذة (ماكجونجال) فى نهاية العام الدراسى الماضى».

شعر (هارى) بمعدته تتلوى، فتمنى لو أنه لم يأكل كثيرًا فى الإفطار.
قالت (فلور) بلطف: «يوجد عندنا فى (بوباتون) طريقة مختلفة لعمل الأشياء، وأعتقد أنها أفضل، فنحن نأخذ امتحاناتنا بعد ستة أعوام من الدراسة وليس خمسة، وحينئذ...».
صرخت (هرميون) فضاعت كلمات (فلور)، كانت (هرميون) تشير إلى نافذة المطبخ، فقد كانت هناك ثلاث نقاط سوداء ظاهرة بوضوح فى السماء، وتزداد حجمًا كلما اقتربت.
قال (رون) بصوت مبحوح: «إنهم بالتأكيد بوم»، وقفز ليقف بجوار (هرميون).
قال (هارى) وهو يسرع ليقف على الجانب الآخر: «هناك ثلاث منهم».
قالت (هرميون) وهى تهمس برعب: «واحدة لكل واحد منا، يا إلهى! يا إلهى! يا إلهى!».
ثم قبضت على كوع كل من (هارى) و(رون) بقوة.
كانت البومات الثلاث تطير مباشرة نحو الجحر، وكانت ألوانها أسود مصفرًّا جميلاً، كما أصبح واضحًا عندما طارت بارتفاع أقل على الطريق المؤدى إلى المنزل، أن كل واحدة منها تحمل ظرفًا مربعًا كبيرًا.
صرخت (هرميون): «يا إلهى!».
مرت السيدة (ويسلى) من وسطها وفتحت شباك المطبخ واحد، اثنان، ثلاثة، د..خلت البومات عبر الشباك وحطّت على المائدة فى خط واحد، ثم رفعت أرجلها اليمنى.
تقدم (هارى) إلى الأمام، كان الخطاب الموجه إليه مربوطًا إلى رِجل البومة التى فى الوسط، فقام بفكه بأصابعه، وعلى يساره كان (رون) يحاول فك ظرفه، وعلى يمينه كانت يد (هرميون) ترتعش بقوة حتى أنها جعلت البومة بأكملها ترتعش.

لم يتحدث أى شخص فى المطبخ. وأخيرًا استطاع (هارى) أن يفك ظرفه، ففتحه بسرعة وفرد الورقة المكتوب عليها النتائج.

نتائج اختبارات السحر العامة

تقديرات النجاح: امتياز (أ)	تقديرات الرسوب: ضعيف (ض)
تخطى التوقعات (ت)	سيئ جدًّا(س)
مقبول (م)	فظيع (ف)

الطالب (هارى جيمس بوتر) حصل على

الفلك	(م)
رعاية الكائنات السحرية	(ت)
التعاويذ	(ت)
الدفاع ضد فنون الظلام	(أ)
التنجيم	(ض)
علم الأعشاب	(ت)
تاريخ السحر	(س)
الوصفات السحرية	(ت)
التحويل	(ت)

قرأ (هارى) الشهادة مرات عديدة، وقد أصبح تنفسه أسهل بعد كل مرة يقرؤها فيها. لقد كانت معقولة، فقد كان دائمًا يعلم أنه سوف يرسب فى التنجيم، ولم تكن لديه أى فرصة للنجاح فى تاريخ السحر، خاصة أنه انهار فى منتصف الامتحان، ولكنه نجح فى باقى المواد! حرك (هارى) أصابعه نازلاً على كل التقديرات، لقد نجح بصورة طيبة فى التحويل وعلم الأعشاب، وحصل على تخطى التوقعات فى الوصفات

السحرية! وفوق كل ذلك حصل على امتياز فى الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام!

نظر حوله، كان ظهر (هرميون) أمامه وقد حنت رأسها وهى تقرأ النتيجة، ولكن (رون) كان يبدو سعيدًا.

قال (رون) لـ(هارى) بسعادة: «لقد رسبت فى التنجيم وتاريخ السحر فقط، ومن يهتم بهما؟ خذ فلنتبادل».

نظر (هارى) إلى تقديرات (رون) ووجد أنه لم يحصل على أى امتياز.

قال (رون) وهو يلكم (هارى) فى كتفه: «كنت أعلم أنك ستكون الأول فى الدفاع ضد فنون الظلام. «لقد كان أداؤنا على ما يرام، ألا تعتقد ذلك؟».

قالت السيدة (ويسلى) بفخر وهى تنفش شعر (رون): «أحسنت، سبعة فى (أو - دبليو - إل) هذا أكثر مما حصل عليه (فريد) و(جورج) معًا!».

قالت (جينى) بتردد لـ(هرميون) التى لم تلتفت بعد: «وأنتِ يا (هرميون)، كيف كانت نتائجك؟».

قالت (هرميون) بصوت ضعيف: «أنا... جيدة».

قال (رون): «آه، دعى هذا عنك». ثم خطا إليها بسرعة، وشد نتائجها من يدها، وقال: «أجل، عشر امتياز، وواحدة تخطى التوقعات فى مادة الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام»، ثم نظر إليها وهو شبه مستمتع وشبه غاضب.

وقال: «أنتِ إذن تشعرين بخيبة الأمل فعلاً؟».

هزت (هرميون) رأسها وضحك (هارى).

ابتسم (رون) ابتسامة عريضة وقال: «حسنًا، إننا الآن طلبة (إن. إى. دبليو. تى) امتحانات السحر العليا، أمى، هل لديك المزيد من السجق؟».

نظر (هارى) مرة أخرى إلى نتائجه، كانت جيدة بقدر ما كان يتمنى، ولكنه شعر بوخز أسف صغير فقط؛ فقد كان هذا نهاية طموحه للعمل

كمدافع ضد السحر الأسود. فلم يحصل على التقدير المطلوب فى مادة الوصفات السحرية، وقد كان يعرف طوال الوقت أنه لن يحصل عليه، ومع ذلك فكان يشعر بهبوط فى معدته وهو ينظر إلى (ت) السوداء الصغيرة التى حصل عليها فى هذه المادة.

وكان هذا غريبًا، فى الحقيقة، بالنظر إلى أن أول من قال لـ(هارى) إنه سيكون مدافعًا جيدًا ضد السحر الأسود كان أحد (آكلى الموت) المتنكرين، ولكن بطريقة ما استولت عليه الفكرة، ولم يستطع التفكير فى أى شىء آخر يجب أن يكونه. وعلاوة على ذلك، فقد بدا هذا المصير هو المناسب له منذ سمع النبوءة منذ شهر مضى.. لن ينجو أحدهما إلا أن يكون قد التزم بالنبوءة وأعطى لنفسه فرصة أفضل للنجاة، إذا ما انضم إلى هؤلاء السحرة الذين يحصلون على مستوى عال من التدريب ومن صميم عملهم أن يجدوا (فولدمورت) ويقتلوه.

■ ■ ■

٦ منعطف (دراكو)

ظل (هارى) داخل حدود حديقة الجحر طوال الأسابيع القليلة التالية، وكان يقضى أيامه فى لُعب لعبة (كويدتش) ثنائية الأطراف بحديقة آل (ويسلى) هو و(هرميون) فى مواجهة (رون) و(جينى). كانت (هرميون) سيئة و(جينى) جيدة؛ مما جُعل الفريقين متعادلين فى القوة نوعًا، وكان يقضى أمسياته وهو يأكل كميات مضاعفة من كل ما تضعه السيدة (ويسلى) أمامه.

كان من الممكن أن تكون عطلة هادئة وسعيدة، لولا قصص الاختفاءات والحوادث الغريبة، بل حالات الوفيات التى تظهر الآن يوميًّا تقريبًا بجريدة (المتنبئ)، وأحيانًا كان (بيل) والسيد (ويسلى) يجلبان معهما الأخبار للبيت حتى قبل أن تصل للجريدة. وقد شعرت السيدة (ويسلى) بالاستياء بسبب ما حدث فى يوم الاحتفال بعيد ميلاد (هارى) السادس عشر؛ حيث كان مليئًا بالأخبار المروعة التى جلبها للحفل (روفوس لوبين) الذى بدت عليه الكآبة والعبوس بشعره البنى الذى تنتشر فيه الخطوط الرمادية، وملابسه التى أصبحت أكثر قِدمًا واهتراء عن ذى قبل.

أعلن (لوبين): «لقد كان هناك اعتداءان آخران من (الدمينتور)»، بينما السيدة (ويسلى) تمرر إليه قطعة كبيرة من كعكة عيد الميلاد، وأضاف: «...عثروا على جثة (أيجور كاركاروف) بكوخ بأعلى الشمال وكانت علامة الظلام موضوعة فوقه.. حسنًا.. بصراحة، أنا مندهش أنه استمر على قيد الحياة قرابة العام بعد أن ترك (آكلى الموت)، فإذا لم تخنِّى الذاكرة، فإن (ريجولوس) أخا (سيريوس) لم يتمكن من البقاء على قيد الحياة أكثر من أيام معدودة».

قالت السيدة (ويسلى): «نعم، حسنًا، ربما يجدر بنا أن نتكلم عن شىء مختـ...».

سأل (بيل): «هل سمعت أى شىء عن (فلورين فورتيسكو)، الرجل الذى يدير...».

قاطعه (هارى): «محل الآيس كريم فى حارة (دياجون)؟» شعر (هارى) بشعور فظيع بالخواء داخل معدته، ثم أضاف: «لقد اعتاد أن يعطينى الآيس كريم بالمجان، ما الذى حدث له؟».

(بيل): «مظهر المكان يشير إلى أنه قد تم سحبه بالقوة».

قال (رون): «لماذا؟». بينما السيدة (ويسلى) تحدق إلى (بيل) وتشير له بعينيها.

(بيل): «لا أحد يعلم، لقد كان (فلورين) رجلاً طيبًا، ولكن يبدو أنه أزعجهم بطريقة ما».

قال السيد (ويسلى): «بمناسبة الحديث عن حارة (دياجون)، يبدو أن (أوليفاندر) قد اختفى أيضًا».

قالت (جينى) وهى تبدو مندهشة: «صانع العصى السحرية!».

«هو بعينه، المتجر وُجد خاليًا، ولا أثر للمقاومة، ولا أحد يعلم إن كان قد غادر طواعيةً أم غصبًا».

«ولكن العصى... كيف سيحصل الناس على عصيهم السحرية؟».

قال (لوبين): «سوف يشترونها من صُناع آخرين، إلا أن (أوليفاندر) كان الأفضل، وإذا كان الجانب الآخر قد استحوذ عليه، فلن يكون هذا فى صالحنا».

وفى اليوم التالى لحفل عيد الميلاد الكئيب، وصلت خطاباتهم بقوائم الكتب من (هوجوورتس) وتضمنت مفاجأة ا(هارى)؛ فقد أصبح كابتن فى لُعبة (الكويدتش).

صاحت (هرميون) بفرحة: «هذا يمنحك درجة مساوية لرائد الفصل! يمكنك الآن استخدام الحمام الخاص بنا وكل شيء!».

قال (رون) وهو يفحص الشارة بمرح: «أذكر (شارلى) عندما كان يضع إحدى هذه الشارات، إن هذا شيء رائع يا (هارى)، ستكون كابتنى، هذا إذا سمحت لى بالعودة إلى الفريق بالطبع، هه هه...».

تنهدت السيدة (ويسلى) وهى تنظر إلى قائمة الكتب الخاصة بـ(رون) وقالت: «حسنًا، أفترض أننا لا نستطيع تأجيل رحلتنا إلى حارة (دياجون) أكثر من ذلك بعد أن وصلتنا هذه، سوف نذهب يوم السبت إذا لم يضطر أبوكم للذهاب إلى العمل مرة أخرى، فأنا لن أذهب إلى هناك بدونه».

قال (رون) وهو يضحك ضحكة مكبوتة: «هل تعتقدين حقًّا يا أمى أن (أنت تعرف من) سوف يذهب للاختفاء خلف رف كتب فى (فلوريش وبلوتس)؟».

قالت السيدة (ويسلى) وقد تملَّكها الغضب على الفور: «(فورتيسكو) و(أوليفاندر) ذهبا فى عطلة، أليس كذلك؟ إذا كنت تعتقد أن إجراءات الأمن تدعو إلى الضحك، فيمكنك ألا تأتى معنا، وأنا سأجلب لك أشياءك بنفسى».

قال (رون) بسرعة: «لا، أريد الذهاب، أريد أن أرى محل (فريد) و(جورج)!».

قالت السيدة (ويسلى) غاضبة: «عليك إذن أن تُحسن التفكير أيها الشاب، قبل أن أقرر أنك لن تحضر معنا!»، ثم انتزعت الساعة التى تشير عقاربها إلى خطر الموت، ووضعتها باتزان فوق كومة من المناشف المكوية لتوِّها، وأضافت: «وهذا ينطبق على عودتك إلى (هوجوورتس) أيضًا».

واستدار (رون) ليحدق إلى (هارى) بينما كانت أمه ترفع سلة الملابس المغسولة، والساعة تتأرجح فى ذراعها وهى تندفع خارج الغرفة بعنف،

وقال: «... إنك لا تستطيع إطلاق دعابة هنا بعد الآن...».

إلا أن (رون) كان حريصًا على عدم الثرثرة حول (فولدمورت) خلال الأيام القليلة التالية. وجاء يوم السبت دون أن يحدث شيء آخر يثير غضب السيدة (ويسلى)، لكنها بدت متوترة جدًّا على الإفطار، ومرر (بيل) حقيبة مملوءة بالمال عبر المائدة إلى (هارى).

وكان (بيل) سينتظر فى البيت مع (فلور)؛ مما أسعد (هرميون) و(جينى).

قال (رون) وقد اتسعت عيناه: «أين حقيبتى؟».

قال (بيل): «هذا الذهب ملك لـ(هارى) أيها الأبله، لقد سحبته لك من القبو يا (هارى)؛ لأن الحصول على الذهب من البنك يستغرق من الشخص العادى خمس ساعات على الأقل حاليًا، فقد أحكم (الأقزام الأسطوريون) إجراءات الأمن لدرجة كبيرة. فمنذ يومين، حدث حادث لـ(أركى فيلبوت)، حيث التصق مسبار الأمان فى...، حسنًا، ثق بى، هذه الطريقة أسهل».

قال (هارى) وهو يضع الذهب فى جيبه: «شكرًا يا (بيل)».

قالت (فلور) بطريقة فاتنة وهى تمسح على أنف (بيل): «إنه دائمًا يفكر فى راحة الآخرين».

مثلت (جينى) من خلف (فلور) كأنها على وشك التقيؤ داخل إفطارها الذى يتكون من الحبوب، أما (هارى) فقد أصابه الاختناق من الكورن فليكس، فدق (رون) على ظهره.

كان يومًا معتمًا مكفهرًا، وكانت إحدى السيارات الخاصة بالوزارة التى ركبها (هارى) من قبل ـ منتظرة فى الفناء الأمامى عندما خرجوا من المنزل وهم يرتدون عباءاتهم.

قال (رون) وقد بدا عليه الإعجاب بالسيارة وشعر بالرفاهية: «من الجيد يا أبى أنك تستطيع الحصول على هذه مرة أخرى»، ثم تحركت

السيارة بسلاسة مبتعدة عن الجحر، بينما (بيل) و(فلور) يلوحان من نافذة المطبخ.. وقد جلس هو و(هارى) و(هرميون) و(جينى) جميعهم فى المقعد الخلفى العريض الرحب والمريح.

قال السيد (ويسلى) من خلف كتفه: «لا تَعْتَدْ على ذلك، كل هذا بسبب (هارى) فقط»، كان هو والسيدة (ويسلى) جالسيْن فى المقدمة مع سائق الوزارة، وقد تحول مقعد الراكب الأمامى إلى ما يشبه أريكة لشخصين، وأضاف: «لقد تمت إحاطة (هارى) بأعلى درجة من الإجراءات الأمنية، وسينضم إلينا المزيد من الأمن عند (ليكى كاولدرون) أيضًا».

لم يقل (هارى) شيئًا، فلم يكن يتخيل أن يشترى أشياءه وهو محاط بكتيبة من محاربى السحر الأسود. لقد أحضر معه عباءة التخفى فى جيبه الخلفى، وشعر بأنه إذا كان هذا ما أوصاه به (دمبلدور)، فإنه يجب أن يكون كافيًا بالنسبة للوزارة ولكنه عندما فكر فى الأمر، لم يكن واثقًا أن الوزارة تعرف بأمر العباءة.

قال السائق فجأة بعد لحظة قصيرة: «لقد وصلنا»، وكانت هذه أول مرة يتكلم فيها، ثم هدَّأ من سرعته عند مفترق طرق ووقف خارج نُزُل (ليكى كاولدرون)، وأضاف: «سأنتظركم هنا، هل تعرفون كم ستستغرقون من الوقت؟».

قالت السيدة (ويسلى): «أتوقع أن نغيب حوالى ساعتين، آه، جيد، ها هو ذا!».

نظر (هارى) من النافذة مثل السيدة (ويسلى)، فقفز قلبه من السعادة، فلم تكن هناك فِرقة من مدافعى السحر الأسود فى انتظارهم أمام النُّزُل بل هناك بدلاً منها (روبياس هاجريد) العملاق ذو اللحية السوداء، حارس الطرائد فى (هوجوورتس)، مرتديًا معطفًا مصنوعًا من فرو القندس، وابتسم (هاجريد) عندما رأى وجه (هارى) ولم يهتم بنظرات القلق التى يرميه بها العامَّة المارون وصاح: «(هارى)»، واحتضن

(هارى) فى اللحظة التى خرج فيها من السيارة بقوة تحطم العظام وقال: «(باك بيك)، أقصد (ويذروينجز)، نعم، يجب أن تراه يا (هارى)، إنه سعيد جدًا بعودته إلى الهواء الطلق مرة أخرى».

قال (هارى) وهو يبتسم ويدلك أضلاعه: «أنا سعيد؛ لأنه مرتاح، لم نكن نعرف أن المزيد من الأمن يعنى أنت!».

قال (هاجريد) بفخر: «أعرف، مثل الأيام الخوالى، أليس كذلك؟ لقد أرادت الوزارة إرسال مجموعة من المدافعين ضد السحر الأسود لكن (دمبلدور) قال إن وجودى سيوفر أمنًا كافيًا»، ثم نفخ صدره ووضع إبهامه داخل جيبه وأضاف: «فلنذهب إذن، بعدك يا (مولى) وأنت يا (آرثر)».

كانت هذه هى أول مرة بالنسبة لـ(هارى) يرى فيها نُزُل (ليكى كاولدرون) خاليًا من الرواد. لم يكن هناك إلا (توم): مالك المكان، الأهتم، يجلس منزويًا متذكرًا الزحام القديم. وعندما دخلوا، رفع رأسه بأمل ولكن قبل أن يتحدث، قال (هاجريد) بجدية: «إننا سنعبر اليوم فقط يا (توم)، أنا متأكد أنك ستفهم مهام (هوجوورتس) كما تعلم».

أومأ (توم) برأسه بكآبة وعاد لمسح الأكواب، وسار (هارى) و(هاجريد) و(هرميون) وآل (ويسلى) عبر الحانة إلى الساحة الصغيرة الباردة التى فى الخلف، حيث تقف صناديق القُمامة. رفع (هاجريد) مظلته الوردية وقرع على جزء معين فى الحائط فانفتح على الفور ليشكل مدخلاً إلى شارع (ملتو) مرصوف بالحجر.

ثم دخلوا عبر المدخل وتوقفوا لينظروا حولهم.

لقد تغيرت حارة (دياجون) واختفت الفاترينات الزاهية البراقة التى كانت تعرض كتب التعاويذ ومكونات الوصفات السحرية والمراجل خلف ملصقات وزارة السحر الكبيرة التى تم لصقها فوقها.

ومعظم هذه الملصقات العريضة البنفسجية هى نسخ مكبرة من النصائح الأمنية الموجودة بكتيب الوزارة الذى تم إرساله للجميع خلال الصيف. ولكن هناك ملصقات أخرى تحمل صورًا بالأبيض والأسود لـ(آكلى الموت) الهاربين. كان هناك ملصق يحمل صورة لـ(بيلاتريكس ليسترانج) وهى تبتسم ساخرةً على مقدمة متجر قريب لمكونات الوصفات السحرية. بعض الفاترينات كانت مغلقة، بما فيها محل الآيس كريم الخاص بـ(فلورين فورتيسكو). ومن ناحية أخرى، ظهرت مجموعة من المعارض الرثةِ على طول الشارع، وكان أقربها إليهم مشيدًا خارج متجر (فلوريش وبلوتس)، تعلوه مظلة من القُماش المخطط، بها بقع واضحة، وكانت هناك لافتة من الكرتون مثبتة فى مقدمتها.

تمائم.. مفيدة ضد (الذئاب المتحولين) و(الدمينتور) و(الأنفيرى).

كان هناك ساحر قصير يرتدى ثيابًا رثة، واقفًا فى وسط الطريق وهو يهز مجموعة من السلاسل الفضية معلقًا بها تمائم؛ لتصدر صوت صلصلة.

دعا السيدة (ويسلى) لتشترى بينما يمرون بالقرب منه وهو ينظر إلى (جينى) شزرًا: «واحدة لابنتك الصغيرة يا مدام؛ لحماية رقبتها الجميلة».

قال السيد (ويسلى) وهو ينظر بغضب واضح إلى بائع التمائم: «لو أننى كنت فى وقت العمل...».

قالت السيدة (ويسلى) بعصبية وهى تنظر إلى قائمة المشتريات: «نعم، ولكن لا تذهب الآن للقبض على أى شخص، فوراءنا الكثير لنفعله، أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى متجر مدام (مالكين) أولاً، فـ(هرميون) تريد أثوابًا جديدة، وملابس (رون) المدرسية أصبحت قصيرة وتُظهر كاحله وأنت كذلك يا (هارى)، لقد زاد طولك كثيرًا ـ هيا، فلنذهب جميعًا».

قال السيد (ويسلى): «من غير المعقول أن نذهب جميعًا إلى متجر مدام (مالكين)، لماذا لا يذهب ثلاثتهم مع (هاجريد)؟ ويمكننا نحن أن نذهب إلى (فلوريش وبلوتس) لإحضار الكتب المدرسية للجميع».

قالت السيدة (ويسلى) بقلق: «لا أعرف»، كان من الواضح أنها موزعة بين تَوْقها لإنهاء رحلة الشراء بسرعة، وبين رغبتها فى أن يبقوا معًا كمجموعة واحدة، ثم أضافت: (هاجريد)، هل تعتقد...؟

قال (هاجريد) مطمئنًا وهو يلوح بيديه التى فى حجم غطاء صندوق القمامة فى الهواء: «لا تخافى يا (مولى)، سيكونون على ما يرام معى».

لم تبدُ السيدة (ويسلى) مقتنعة تمامًا، ولكنها سمحت بانفصالهم، واتجهت إلى (فلوريش وبلوتس) مع زوجها و(جينى)، بينما انطلق (هارى) و(رون) و(هرميون) و(هاجريد) إلى متجر مدام (مالكين).

ولاحظ (هارى) أن الناس الذين يمرون بهم لديهم نفس النظرة القلقة التى لدى السيدة (ويسلى)، وقد أقلعوا عن التوقف للتحدث معًا مثلما كان يحدث فى السابق، بل يبقى كل منهم ضمن مجموعته لا يتركها، وهم يتحركون قاصدين قضاء حوائجهم، وقد بدا أنهم توقفوا عن الذهاب للتسوق وحدهم

قال (هاجريد) وقد وقف خارج متجر مدام (مالكين)، وانحنى إلى أسفل لينظر إلى نافذة العرض: «المكان لن يسعنا جميعًا»، ثم أضاف: «من الأفضل أن أقف هنا للحراسة».

فدخل (هارى) و(رون) و(هرميون) إلى المتجر الصغير معًا، الذى بدا فى البداية خاليًا، ولكن ما كاد الباب يتأرجح مغلقًا وراءهم حتى سمعوا صوتًا مألوفًا يصدر من خلف حامل للملابس ذات اللونين الأخضر والأزرق والمزينة بقطع معدنية براقة:

«أنا لست طفلاً، إذا لم تكونى قد لاحظتِ يا أمى. أنا قادر تمامًا على شراء احتياجاتى بنفسى» ثم سمعوا صوت ضجة، وقال صوت عرف

(هارى) أنه صوت مدام (مالكين): «والآن يا عزيزى، والدتك على حق تمامًا، فلا ينبغى على أىٍّ منا أن يتجول وحده بعد الآن، وهذا ليس له علاقة بكونك طفلاً».

«لاحظى أين تضعين دبابيسك لو سمحتِ!».

ثم ظهر من خلف حامل الملابس فتى مراهق ذو وجه شاحب مدبب، وشعر أصفر فاتح، وكان يرتدى رداء جميلاً لونه أخضر غامق، تلمع الدبابيس حول ذيله ونهايات أكمامه، ثم خطا نحو المرآة؛ ليتفحص نفسه.

ومرت بضع لحظات قبل أن يلاحظ انعكاس صورة (هارى) و(رون) و(هرميون) فوق كتفه، فضاقت عيناه ذواتا اللون الرمادى الفاتح.

ثم قال (دراكو مالفوى): «إذا كنت تتساءلين عن الرائحة العفنة يا أمى، فإنها رائحة دم العامَّة الذين دخلوا المكان الآن».

قالت مدام (مالكين) وهى تخرج من خلف حامل الملابس وتحمل شريط القياس وعصا: «لا أعتقد أن هناك داعيًا لاستخدام مثل هذه الألفاظ»، ثم أضافت بسرعة عندما نظرت إلى الباب ورأت (هارى) و(رون) واقفيْن هناك وقد وجه كل منهما عصاه إلى (دراكو): «لا أريد أن يسحب أحد عصاه فى متجرى أيضًا!».

قالت (هرميون) التى كانت تقف على مقربة منهما هامسةً: «لا، لا تفعلا ذلك، إن الأمر لا يستحق فعلاً...».

قال (دراكو) بسخرية: «أجل، وكأنكما تجرؤان على أداء أى سحر خارج المدرسة، من الذى سوَّد عينيك هكذا يا (جرانجر)؟ أريد أن أرسل إليه باقة زهور».

قالت مدام (مالكين) بحدة: «هذا يكفى»، ثم نظرت إلى وراء كتفها؛ بحثًا عن التأييد، وأضافت: «مدام... أرجوكِ...».

خرجت (ناركيسا مالفوى) من خلف حامل الملابس، وقالت ببرود لـ(هارى) و(رون): «أبعدا عصويْكما، إذا اعتديتما على ابنى مرة أخرى، فأنا على يقين أن هذا هو آخر ما تفعلانه فى حياتيكما».

تقدم (هارى) خطوة إلى الأمام محدقًا إلى الوجه المتعجرف الأملس، وقال: «حقًا». كان وجهها على الرغم من شحوبه الشديد مازال يشبه وجه أختها.

وكان (هارى) قد أصبح فى نفس طولها الآن، ثم أضاف: «ماذا ستفعلين؟ هل ستدعين بعض (آكلى الموت) من رفاقك لقتلنا؟».

صرخت مدام (مالكين) ووضعت يدها على قلبها.

وقالت: «يجب ألاَّ تتهموا أحدًا، أو تقولوا مثل هذه الأشياء الخطرة، ابعدوا عصيكم لو سمحتم!».

ولكن (هارى) لم يُخفض عصاه، وابتسمت (ناركيسا مالفوى) ابتسامة بغيضة وقالت: «أعرف أن كونك مفضلاً عند (دمبلدور) أعطاك إحساسًا زائفًا بالأمان يا (هارى بوتر)، ولكن (دمبلدور) لن يكون، دائمًا، موجودًا لحمايتك».

نظر (هارى) بسخرية إلى المتجر من حوله وقال: «انظرى إلى هذا، إنه ليس هنا الآن! فلماذا لا تحاولين معى الآن؟ يمكن أن يجدوا لكما فى (أزكابان) زنزانة مزدوجة لتجتمعى فيها مع زوجك الخائب!».

حاول (دراكو) التحرك نحو (هارى) بغضب، إلا أنه تعثر فى ردائه الطويل، وضحك (رون) بصوت عال.

فصاح (دراكو) قائلاً: «كيف تجرؤ على الكلام مع أمى بهذه الطريقة يا (هارى)؟».

قالت (ناركيسا) محاولةً تهدئة (دراكو) وقد وضعت أصابعها البيضاء الرفيعة على كتفه: «إن الأمر على ما يرام يا (دراكو)، وأتوقع أن يجتمع (بوتر) مع العزيز (سيريوس) قبل أن أجتمع أنا و(لوكيوس)».. فرفع (هارى) عصاه إلى أعلى أكثر.

قالت (هرميون): «لا يا (هارى)» وأخذت تشد ذراعه محاولة إنزالها إلى جانبه، ثم أضافت: «فكر، يجب ألاَّ تفعل هذا.. سوف تتعرض إلى الكثير من المتاعب إذا فعلت ذلك».

ارتعشت مدام (مالكين) فى مكانها، ويبدو أنها قررت أن تتصرف كأن شيئًا لا يحدث؛ على أمل ألاَّ يحدث شيء بالفعل. فانحنت فى اتجاه (دراكو) الذى كان لايزال يحدق إلى (هارى) بغضب.

وقالت: «أعتقد أن الكُم الأيسر يجب أن يقصر قليلاً يا عزيزى، اتركنى فقط...».

صاح (دراكو) متألمًا: «آى» ونزع يدها بعيدًا عنه قائلاً: «ألا تنظرين أين تضعين دبابيسك يا امرأة؟! أمى، أعتقد أننى لا أريد شراء هذه الملابس بعد الآن».

وخلع الثوب من رأسه وألقاه على الأرض عند أقدام مدام (مالكين).

قالت (ناركيسا) وهى تنظر باحتقار إلى (هرميون): «أنت على حق يا (دراكو)، أعرف الآن أى نوع من الحثالة موجود بهذا المتجر.. سنشترى ما نحتاجه من (تويليفيت تاتنج)».

ثم اتجه (دراكو) وأمه بخطوات سريعة إلى خارج المتجر وقد حرص (دراكو) على دفع (رون) بكل ما يمكنه من قوة وهو فى طريقه إلى الخارج.

قالت مدام (مالكين): «حسنًا!» ثم التقطت الثوب من الأرض وحركت طرف عصاها عليه مثل المكنسة الشافطة حتى أزالت التراب من عليه.

كانت مدام (مالكين) مشتتة طوال الوقت الذى كانت تعدل فيه ملابس (رون) و(هارى) الجديدة، حتى أنها حاولت أن تبيع لـ(هرميون) ثوب ساحرٍ بدلاً من ثوب ساحرة.

وعندما انحنت لهم فى النهاية وهم يغادرون المتجر كان من الواضح أنها سعيدة بالتخلص منهم أخيرًا.

وما إن وصلوا إلى جانب (هاجريد) حتى سألهم بإشراق: «هل اشتريتم كل ما تريدون؟».

قال (هارى): «تقريبًا، هل شاهدت آل (مالفوى)؟».

قال (هاجريد) غير مهتمٍّ: «أجل، ولكنهم لا يجرءون على افتعال أى مشاكل فى وسط حارة (دياجون)، لا تقلق بخصوصهم يا (هارى)».

تبادل (هارى) و(رون) و(هرميون) النظرات ولكن قبل أن يصححوا لـ(هاجريد) اعتقاده الخاطئ ظهر السيد والسيدة (ويسلى) ومعهما (جينى) وهم يحملون رزمًا ثقيلة من الكتب.

قالت السيدة (ويسلى): «هل الجميع على ما يرام؟ واشتريتم الأثواب التى تحتاجونها؟ حسنًا، إذن، يمكننا أن نمر فى طريقنا إلى متجر (فريد) و(جورج) على متجر الوصفات و(الأيلوبس) ـ ابقوا معًا، الآن....».

لم يشترِ (هارى) و(رون) أى مكونات من متجر الوصفات، بما أنهما لن يدرسا مادة الوصفات السحرية بعد الآن، ولكنَّ كليهما اشترى أقفاصًا كبيرة لـ(هيدويج) و(بيجوديجين) من سوق (أيلوبس) للبوم. وكانت السيدة (ويسلى) تنظر إلى ساعتها كل دقيقة أو اثنتين، وأخيرًا اتجهوا إلى أعلى الشارع باحثين عن (ويسلى ويزرد ويزيس)؛ متجر المقالب الذى يديره (فريد) و(جورج).

قالت السيدة (ويسلى): «ليس لدينا الكثير من الوقت؛ لذلك فسوف نلقى نظرة سريعة على المكان ثم نعود إلى السيارة، ويجب أن نبقى قريبين من بعضنا البعض. هذا رقم ٩٢... ٩٤...».

قال (رون) وقد توقف فجأة: «أوه ه ه!».

فمقارنة بالمحال الكئيبة التى تغطيها الملصقات من حولهم، كانت فاترينة عرض (فريد) و(جورج) تخطف البصر مثل الألعاب النارية.

فكان الذين يمرون مصادفة أمام المتجر، يعودون للنظر من فوق أكتافهم على الفاترينات، وكان هناك القليل من الأشخاص الذين يبدو عليهم الاندهاش قد توقفوا ليتأملوها. كانت الفاترينة التى على اليسار مصممة بطريقة مبهرة، وتضم بضائع تدور وتفرقع وتومض وتقفز وتصرخ، حتى أن عينى (هارى) قد دمعتا من مجرد النظر إليها، أما الفاترينة التى على اليمين فكانت مغطاة بملصق ضخم لونه بنفسجى مثل ملصقات الوزارة ولكنه مزين بحروف صفراء وامضة.

لماذا تقلق بشأن (أنت تعرف من)؟
بينما يجب أن تكون قلقًا
من أنك لست...
حالة من الإمساك تمغص الأمة.

بدأ (هارى) يضحك وسمع صوتًا بدا مثل أنين مكتوم بجواره، ونظر حوله ليجد السيدة (ويسلى) تحدق إلى الملصق وهى مصعوقة، بينما شفتاها تتحركان وتنطقان (أنت تعرف...) بصمت.

ثم همست: «سيقتلون فى أسرتهم!».

قال (رون) الذى كان يضحك مثل (هارى): «لا، لن يحدث هذا. هذا فى منتهى البراعة!».

ثم سلك هو و(هارى) الطريق إلى داخل المتجر الذى كان مزدحمًا بالرواد، لدرجة أن (هارى) لم يستطع الاقتراب من الرفوف وأخذ يحدق إلى ما حوله ناظرًا إلى الصناديق المكدسة حتى السقف. كانت هناك (حلوى التزويغ) التى برع فيها التوءم خلال عامهما الأخير غير المكتمل بـ(هوجوورتس)، ولاحظ (هارى) أن (نوجة نزيف الأنف) هى الأكثر شعبية؛ حيث لم يبق منها سوى صندوق واحد فقط مهشّم على الرف، وكانت هناك علب ممتلئة بعصى سحرية مقلدة، أرخصها يتحول إلى دجاج

مطاطى أو إلى سراويل عندما يلوح بها، وأغلاها يضرب مستخدمها الغافل على الرأس والرقبة، وكان هناك أيضًا صناديق ممتلئة بريش الكتابة الذى يملأ نفسه بالحبر أو يصحح أخطاء الهجاء ومختلف أنواع ريش الإجابات الذكية، ظهرت فسحة بين حشد من الناس، فاندفع (هارى) فى طريقه نحو النضد حيث كانت هناك جماعة من الأطفال أعمارهم فى العاشرة تقريبا تراقب بسعادة رجلاً خشبيًا صغيرًا جدًا يصعد ببطء على سلالم نحو مجموعة من المشانق الصغيرة، وكل منها مثبت فوق صندوق مكتوب عليه: القرصان الذى يشنق أكثر من مرة ـ انطق التعويذة وإلا سوف يتأرجح على المشنقة!

قالت (هرميون): «أحلام اليقظة السحرية المرخصة»، ثم انحشرت وسط الزحام متجهة نحو فاترينة كبيرة بالقرب من النضد، وبدأت تقرأ التعليمات التى خلف صندوق يحمل صورة ملونة زاهية لشاب وسيم وفتاة تبدو عليها النشوة يقفان فوق ظهر سفينة قراصنة.

تعويذة صغيرة واحدة تدخلك إلى ثلاثين دقيقة من أحلام يقظة ذات نوعية ممتازة لن تميزها عن الواقع، من السهل أن تقوم بها أثناء حصص المدرسة العادية ولا يمكن اكتشافها فعليًا (الآثار الجانبية تتضمن تعبيرًا من الخواء يظهر على الوجه وبعض الجريان البسيط فى اللعاب)، لا تباع لمن هم دون السادسة عشرة.. قالت (هرميون) ناظرة إلى (هارى): «هذا سحر استثنائى حقًا».

قال صوت من خلفهما: «يمكنك الحصول على واحدة مجانًا بسبب ما قلتِه يا (هرميون)».

وقف أمامهما (فريد) أمامهما وهو يبتسم، مرتديًا أردية لونها فوشيا يتناسب بشكل رائع مع شعره المتوهج.

وقال: «كيف حالك يا (هارى)؟» وتصافحا. وأضاف: «ما الذى حدث إلى عينيكِ يا (هرميون)؟».

قالت بحزن: «تلسكوبكم اللاكم».

قال (فريد): «آه، حقًا، لقد نسيت أمره، خذى هذا».

وسحب علبة صغيرة من جيبه وسلمها لها، فأدارت (هرميون) غطاءها بحذر شديد ليظهر بها مرهم أصفر ثقيل القوام.

قال (فريد): «ادهنيهما فقط، وسوف تختفى هذه الكدمة خلال ساعة، كان علينا أن نجد مزيلاً جيدًا للكدمات؛ لأننا نجرب معظم منتجاتنا على أنفسنا أولاً».

بدت (هرميون) غصبية وهى تقول: «هل هو آمن؟».

قال (فريد) مشجعًا: «بالطبع، آمن، هيا يا (هارى)؛ لأريك المكان».

ترك (هارى) (هرميون) تدهن عينها السوداء بالمرهم، وتبع (فريد) فى اتجاه الجزء الخلفى من المتجر، حيث رأى قائمًا عليه أوراق كوتشينة وحبال خداعية.

قال (فريد) بسعادة وهو يشير إليهما: «خدع سحرية خاصة بالعامَّة لغريبى الأطوار ـ مثل أبى ـ الذين يحبون أشياء العامَّة. ليس عليهما طلب كثير، ولكننا نفضل أن نقوم بتجارتنا بثبات معتدل، إنها أشياء جديدة... آه، ها هو (جورج)...».

صافح توءم (فريد) (هارى) بحرارة.

وقال: «هل تريه المكان؟ تعال إلى الجزء الخلفى يا (هارى)؛ حيث نجنى الأرباح الحقيقية»، ثم أضاف محذرًا لولد صغير: «ضع أيًا منها فى جيبك وستدفع ما هو أكثر من الجالونات!».

فسحب الولد يده بسرعة من علبة مكتوب عليها (علامات ظلام صالحة للأكل.. من يأكلها يصاب بالمرض).

دفع (جورج) الستائر الموجودة بجوار خدع العامَّة ورأى (هارى) غرفًا أكثر ظلمة وأقل زحامًا، وكان تغليف المنتجات التى تملأ هذه الرفوف أقل إبهارًا.

قال (فريد): «لقد أنشأنا هذا الخط من الإنتاج الأكثر جدية منذ وقت قريب، يا للغرابة! كيف حدث هذا؟!».

قال (جورج): «لن تصدق عدد الناس الذين لا يستطيعون تأدية تعويذة درع بشكل صحيح، بمن فيهم بعض الذين يعملون فى الوزارة، بالطبع، لم يجدوا شخصًا مثلك ليعلمهم إياها يا (هارى)».

ثم أكمل: «هذا حقيقى... حسنًا، لقد اعتقدنا أن قبعات الدرع سوف تكون مضحكة إلى حد ما، أتعرف، تحدّ زميلك أن يقوم بإلقاء أى تعاويذ عليك وأنت ترتديها وراقب وجهه عندما ترتد عنك ولا تؤذيك، ولكن الوزارة اشترت خمسمائة منها لكل العاملين المساعدين! ومازلنا نتلقى كمًّا هائلاً من الطلبات؛ولذلك فنحن نتوسع وبدأنا ننتج عباءات وقفازات الدرع...».

وأكمل (جورج) الحديث بحماس: «... أعنى أنهم لن يوفروا الكثير من الحماية ضد التعاويذ التى لا تغتفر، ولكنها ستحمى من التعاويذ البسيطة والمتوسطة. وعندها قررنا أن ندخل فى مجال الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود؛ لأنه يدر مالاً كثيرًا. هذا رائع، انظر، مسحوق الظلام الفورى الذى نقوم باستيراده من (بيرو) ملائم للاستعمال فى حالات الرغبة فى الهروب السريع».

قال (فريد): «وهناك أيضًا المفجر الخداعى الذى بدأ ينفد من فوق الرفوف، انظر»، وأشار إلى مجموعة من الأجسام السوداء غريبة الشكل التى تشبه البوق والمتعلقة بالتأكيد بالفرار بعيدًا عن المكان، وأضاف: «فقط، أسقط واحدة منها خلسة وسوف تصدر صوتًا عاليًا متواريًا عن الأنظار؛ مما يشتت انتباه من حولك إذا احتجت إلى ذلك».

قال (هارى) معجبًا بالفكرة: «قد يكون مفيدًا لى».

قال (جورج) وهو يلتقط اثنتين ويرمى بهما إلى (هارى): «خذ».

أدخلت ساحرة شابة رأسها عبر الستائر، كانت ذات شعر أشقر قصير وترتدى الزى الفوشيا المميز للعاملين بالمتجر، وقالت: «هناك عميل يبحث عن مرجل خداعى يا سيد (ويسلى)».

(هارى) وجد الأمر عجيبًا أن يدعوَ أحدٌ (فريد) و(جورج) بسيد (ويسلى)، ولكنهما استقبلا الكلمة بشكل طبيعى.

قال (جورج): «سأحضر حالاً يا (فيرتى)، خذ ما يعجبك يا (هارى) حسنًا! بلا مقابل».

ولكن (هارى) كان بالفعل قد سحب كيس نقوده؛ لدفع ثمن المفجر الخداعى.

قال (فريد) بعزم: «إنك لن تدفع هنا، وهو يُبعد ذهب (هارى)».

(هارى): «ولكن».

قال (جورج): «لقد أعطيتنا القرض الذى بدأنا به مشروعنا. إننا لم ننس هذا، خذ ما تريده، ولكن تذكر فقط أن تخبر الناس من أين حصلت عليه إذا سألوك».

خرج (جورج) بسرعة عبر الستائر؛ ليساعد الزبائن، وقاد (فريد) (هارى) عائدًا إلى الجزء الرئيسى من المتجر ليجدا (هرميون) و(جينى) مازالتا تتأملان أحلام اليقظة السحرية المرخصة.

قال (فريد): «ألم تريا يا فتيات منتجاتنا الرائعة المخصصة للساحرات بعد، اتبعانى لأريكما إياها».

وبالقرب من نافذة العرض، كان هناك عدد كبير من المنتجات ذات اللون الوردى الصارخ وكانت هناك حولها مجموعة من الفتيات يضحكن بحماس وقد بدت عليهن الإثارة، وترددت (هرميون) و(جينى) وقد بدا عليهما الحذر.

قال (فريد) بفخر: «ها هو ذا أفضل مجموعة من وصفات الحب السحرية، لا يمكن أن تجدوها فى أى مكان».

رفعت (جينى) أحد حاجبيها بشك وسألت: «هل تعمل حقًا؟».

(فريد): «بالتأكيد تعمل، لمدة ٢٤ ساعة فى كل مرة، حسب وزن الولد الذى سيتناولها».

قال (جورج) الذى ظهر فجأة بجوارهم: «وحسب جاذبية الفتاة»، ثم أضاف وقد ظهرت عليه الجدية: «ولكننا لن نبيعها لأختنا، ليس عندما يكون لديها خمسة من المعجبين دفعة واحدة كما...».

قالت (جينى) بثبات: «مهما كان ما سمعتموه من (رون)، فهو كذبة كبيرة» ثم انحنت لتلتقط وعاءً صغيرًا ورديًا من فوق أحد الرفوف، ثم قالت: «ما هذا؟».

قال (فريد): «مزيل بثور الوجه خلال عشر ثوان، وهو مضمون، إنه ممتاز ومناسب لكل مشاكل البشرة، بداية من البثور وحتى الرءوس السوداء، ولكن لا تغيرى الموضوع. هل تواعدين ولدًا يدعى (دين توماس) فى الوقت الحالى؟».

قالت (جينى): «نعم، أفعل، ولكن آخر مرة رأيته كان بالتأكيد ولدًا واحدًا وليس خمسة.. ما هذه الأشياء؟».

كانت تشير إلى عدد من الكرات المغطاة بزغب منفوش وذات ألوان متدرجة من اللون الوردى إلى اللون البنفسجى التى تتدحرج حول قاع أحد الأقفاص وتصدر صوت صرير عاليًا مجلجلاً.

قال (جورج): «(بيجمى باف)، ولكنها مازالت لفائف صغيرة جدًا، فنحن لا نستطيع جعلها تتوالد وتنمو بسرعة كافية لتوازى الطلب عليها، ماذا عن (مايكل كورنر)؟».

قالت (جينى): «لقد تركته، لم تكن لديه روح رياضية»، ثم وضعت إصبعها من خلال قضبان القفص، وأخذت تراقب الكائنات الصغيرة وهى تتسلقه وقالت: «إنها فى منتهى الظرف».

قال (فريد) موافقًا: «نعم، إنها مخلوقات جذابة إلى حد كبير، ولكن ألا ترين أنك تنتقلين من صديق لآخر بسرعة إلى حد ما؟».

لفت (جينى) لتنظر إليه ويدها على أردافها، كانت نظرتها تشبه نظرة السيدة (ويسلى) فى توهجها، حتى إن (هارى) كان مندهشًا أن (فريد) لم يتراجع أمامها.

وقالت: «ليس هذا من شأنك»، ثم أضافت وهى تنظر بغضب إلى (رون) الذى ظهر بجوار كوع (جورج): «أرجو أن تتوقف عن رواية القصص عنى لهذين الاثنين!».

قال (فريد) وهو يفحص الصناديق الكثيرة التى يحملها (رون) بين ذراعيه: «ثمنها ثلاثة جالونات وتسعة سيكلسات ونوت واحد، ادفع».

(رون): «ولكننى ليس معى ثلاثة جالونات وتسعة سيكلسات!».

(فريد): «إذن، فلترجع كل شىء، ولو سمحت ضعها فى أماكنها الصحيحة على الرفوف».

أوقع (رون) العديد من الصناديق، وأخذ يسب وأشار بيده إشارة وقحة إلى (فريد) ولكن لسوء حظه، فقد شاهدته السيدة (ويسلى) التى اختارت هذه اللحظة لتظهر فيها، وقالت بعنف: «إذا رأيتك تفعل هذا مرة أخرى، فسوف أرميك بتعويذة تلصق أصابعك معًا».

قالت (جينى) على الفور: «أمى، هل أستطيع أن أحصل على (بيجمى باف)؟».

قالت السيدة (ويسلى) بحذر: «ماذا؟!».

(جينى): «انظرى، إنها لطيفة جدًا...».

فتحركت السيدة (ويسلى)؛ لتلقى نظرة على الـ(بيجمى باف).. وفى نفس اللحظة، شاهد (هارى) و(رون) و(هرميون) (دراكو مالفوى) يمر مسرعًا بمفرده أمام فاترينة المحل فى الخارج متجهًا إلى آخر الشارع

وعندما مر أمام محل (ويسلى ويزرد ويزيس)، نظر من فوق كتفيه. ثم تحرك بسرعة مبتعدًا عن الفاترينة ومختفيًا عن نظرهم.

قال (هارى) متجهمًا: «أتسأل أين ذهبت أمه؟».

قال (رون): «يبدو أنه تسلل دون علمها».

قالت (هرميون): «ولماذا؟».

لم يقل (هارى) شيئًا، بل أخذ يفكر: لم تكن (ناركيسا مالفوى) لتترك ابنها الغالى يغيب عن نظرها برغبتها، يجب أن يكون (دراكو) قد بذل كل ما بوسعه ليتحرر منها، ولأن (هارى) يعرف ويكره (دراكو)، فقد كان متأكدًا أن السبب لا يمكن أن يكون بريئًا.

نظر حوله، فوجد السيدة (ويسلى) و(جينى) منحنيتيْن فوق الـ(بيجمى باف) وكان السيد (ويسلى) يفحص بسرور مجموعة من أوراق اللعب المعلمة الخاصة بالعامَّة، وكان كل من (فريد) و(جورج) يساعدان العملاء، وعلى الجانب الآخر من الزجاج كان (هاجريد) واقفًا وظهره لهما، وهو ينظر إلى كلا اتجاهى الشارع.

قال (هارى) بسرعة وهو يجذب عباءة الإخفاء من جيبه: «ادخلا تحتها بسرعة».

قالت (هرميون) وهى تنظر بتردد ناحية السيدة (ويسلى): «أوه، لا أعرف يا (هارى)».

قال (رون): «هيا».

ترددت للحظة، ثم انحنت داخلةً تحت العباءة مع (هارى) و(رون)، ولم يلاحظ أحد اختفاءهم؛ فقد كانوا جميعًا فى غاية الاهتمام بمنتجات (فريد) و(جورج). تحرك (هارى) و(رون) و(هرميون) شاقين طريقهم إلى الباب بأسرع ما يمكنهم، ولكن فى اللحظة التى وصلوا فيها إلى الشارع، لم يكن هناك أثر لـ(دراكو) الذى اختفى كما اختفوا هم تمامًا.

غمغم (هارى) بصوت منخفض قدر الإمكان؛ حتى لا يسمعه (هاجريد) الذى كان يهمهم: «لقد كان ذاهبًا فى هذا الاتجاه، هيا بنا».

أخذوا يَعْدُونَ وهم ينظرون يمينًا ويسارًا إلى نوافذ العرض وأبواب المتاجر، حتى أشارت (هرميون) إلى الأمام.

وهمست: «هذا هو، هناك، الذى ينعطف ناحية اليسار».

همس (رون) حينما رأى (دراكو) ينظر حوله، قبل أن يتسلل إلى حارة (نكتورن) مبتعدًا عن مجال نظرهم: «مفاجأة كبيرة».

قال (هارى) وهو يسرع: «بسرعة، وإلا سنفقده».

قالت (هرميون) بقلق: «أقدامنا سوف تظهر». بينما ترفرف العباءة حول كواحلهم؛ فقد كان من الصعب إخفاء ثلاثتهم تحتها هذه الأيام.

قال (هارى) وقد نفد صبره: «لا يهم، فقط أسرعوا!».

ولكن حارة (نكتورن) ـ الشارع الجانبى المخصص للسحر الأسود ـ بدت خالية تمامًا. ثم أخذوا ينظرون عبر نوافذ العرض وهم يمرون أمام المتاجر، ولكنها بدت خالية من الزبائن، وافترض (هارى) أن شراء الأشياء المتعلقة بالسحر الأسود فى هذه الأيام الخطيرة والممتلئة بالشكوك ـ قد يثير الاشتباه، أو على الأقل إذا شوهدوا وهم يشترونها.

لكزته (هرميون) بقوة.

(هارى): «آى».

ثم همست فى أذنه: «ششش! انظر، إنه هناك».

كانوا قد وصلوا إلى المتجر الوحيد فى حارة (نكتورن) الذى زاره (هارى) من قبل وهو (بورجين وبوركيس) الذى يبيع مجموعة مختلفة من الأشياء المشئومة، ورأى (دراكو مالفوى) واقفًا بين الصناديق المليئة بالجماجم والزجاجات القديمة وظهره لهم، ظاهرًا خلف الخزانة السوداء الكبيرة التى اختبأ (هارى) بها مرة؛ ليتجنب (دراكو) ووالده. وبالنظر إلى حركة يد (دراكو)، أدركوا أنه يتحدث بحماس.

وكان صاحب المتجر السيد (بورجين) الأحدب ذو الشعر المشع بالزيت يقف مواجهًا له، وكان تعبير وجهه غريبًا؛ حيث كان خليطًا من الاستياء والخوف.

قالت (هرميون): «لو أن باستطاعتنا أن نسمع ما يقولانه!».

قال (رون) بحماس: «نستطيع، انتظرا... اللعنة...».

أسقط صندوقين آخرين من الصناديق التى كان لا يزال يحملها وهو يتحسس باحثًا عن أكبرها.

وقال: «آذان قابلة للمد، انظرا!».

قالت (هرميون): «رائع» وحل (رون) الحبال التى فى لون الجلد البشرى، وبدأ فى توجيههم إلى اتجاه أسفل الباب وقال: «أرجو ألا يكون الباب مانعًا للصوت».

وأضاف بمرح: «لا، استمعا!».

وضعوا رءوسهم معًا ليستمعوا إلى الحديث الصادر عن الآذان القابلة للمد، وسمعوا صوت (دراكو) واضحًا ومرتفعًا كأن هناك مذياعًا يعمل.

«... تعرف كيف تصلحها؟».

قال (بورجين) بنبرة صوت تعكس عدم رغبته فى إلزام نفسه: «من المحتمل، ولكننى أحتاج إلى رؤيتها، مع هذا لمَ لا تجلبها إلى المتجر؟».

قال (دراكو): «لا أستطيع، يجب أن تبقى فى مكانها. كل ما أحتاجه هو أن تخبرنى كيف أفعل هذا».

رأى (هارى) (بورجين) وهو يلعق شفتيه بعصبية قائلاً: «حسنًا، بدون رؤيتها، يجب أن أقول إن هذا سيكون عملاً صعبًا إن لم يكن مستحيلاً. لا أستطيع أن أضمن أى شىء».

قال (دراكو): «لا...» وعرف (هارى) من لهجته أنه يتهكم، ثم أضاف: «ربما هذا سيجعلك أكثر ثقةً».

واقترب من (بورجين) ومنعت الخزانة رؤيته. فتحرك (هارى) و(رون) و(هرميون) إلى الجنب محاولين أن يروه ولكنهم لم يروا سوى (بورجين) وقد بدا مرعوبًا.

قال (دراكو): «لو أخبرت أى شخص، فسوف تنال عقوبتك. أتعرف (فنرير جريباك)؟ إنه صديق للعائلة، سوف يحضر إليك من وقت لآخر؛ ليتأكد أنك تعطى الاهتمام الكامل للموضوع».

(بورجين): «لن يكون هناك داع...».

قال (دراكو): «أنا الذى يحدد هذا، حسنًا، سوف أذهب الآن، ولا تنسَ المحافظة على هذا بأمان، فسوف أحتاج إليه».

(بورجين): «ربما تريد أن تأخذه معك الآن».

(دراكو): «لا بالطبع أيها الأحمق، كيف سأبدو وأنا أحمل هذا فى الشارع؟ فقط لا تبعْه».

(بورجين): «بالطبع يا سيدى».

وانحنى (بورجين) بنفس الطريقة التى رآه (هارى) يومًا ينحنى بها لـ(لوكيوس مالفوى).

(دراكو): «أحذرك أن تقول أى كلمة لأى أحد، بمن فى ذلك أمى».

غمغم (بورجين) وهو ينحنى ثانية: «بالطبع، بالطبع».

وبعد لحظة، جلجل الجرس المعلق على الباب مدويًا، بينما كان (دراكو) يخرج من المتجر وهو يبدو سعيدًا بنفسه ومر قريبًا جدًّا من (هارى) و(رون) و(هرميون) حتى إنهم أحسوا بالعباءة ترفرف حول ركبهم مرة أخرى. وداخل المتجر سكن (بورجين) متجمدًا وقد تلاشت ابتسامته المتملقة وبدا عليه القلق.

همس (رون) وهو يطوى الآذان القابلة للمد: «عمَّ كانوا يتحدثون؟».

قال (هارى) وهو يفكر بعمق: «لا أعرف، إنه يريد إصلاح شيء، ويريد أن يحتفظ (بورجين) له بشيء هناك.. هل يمكنك أن ترى ما الذى أشار إليه عندما قال: هذا الشيء؟».

(رون): «لا، فقد كان خلف تلك الخزانة».

همست (هرميون): «أنتما الاثنان، ابقيا هنا».

«ما الذى...؟».

ولكن (هرميون) كانت قد تملصت من تحت العباءة وراحت تسوِّى شعرها فى صورتها المنعكسة على الزجاج، ثم سارت إلى داخل المتجر الذى جلجل جرس بابه مرة أخرى مع دخولها، وبسرعة فرد (رون) الأذن القابلة للمد مرة أخرى من أسفل الباب وأعطى أحد الخيوط لـ(هارى).

قالت (هرميون) لـ(بورجين) بإشراق: «مرحبًا، صباح فظيع، أليس كذلك؟».

ولكنه لم يرد ورماها بنظرة ارتياب وبدأت (هرميون) تتجول عبر فوضى الأشياء وهى تدندن بابتهاج، ثم سألت وهى تتوقف أمام الواجهة الزجاجية لأحد الصناديق: «هل هذا العقد للبيع؟».

قال (بورجين) ببرود: «هذا إذا كان معك ألف وخمسمائة جالون».

قالت (هرميون): «أوه... آه... لا، ليس معى هذا القدر من المال».

وتحركت إلى الأمام ثم قالت: «وماذا... عن هذه الـ... أمم... الجمجمة الجميلة؟».

(بورجين): «ستة عشر جالونًا».

(هرميون): «إنها للبيع إذن، ولا يتم الاحتفاظ بها لأى شخص».

نظر إليها (بورجين) شزرًا. تملك (هارى) شعور بأنه يعرف ما الذى ترمى إليه (هرميون) بالضبط، ومن الواضح أن (هرميون) شعرت أنها كشفت عن نيتها أيضًا؛ لأنها قررت فجأة أن تضرب بالحذر عرض الحائط.

فقالت: «الموضوع هو... أن الولد الذى كان هنا لتوه، (دراكو مالفوى)، هو أحد أصدقائى، وأنا أريد أن أشترى له هدية لعيد ميلاده، ولكن إذا كان قد حجز أى شيء، فبالطبع لا أريد أن أشترى له نفس الشيء؛ ولذلك... أنا...».

اعتقد (هارى) أن قصتها لم تكن محبوكة بالقدر الكافى ومن الواضح أن (بورجين) قد ظن نفس الشيء؛ لأنه قال بحدة: «إلى الخارج، اخرجى من هنا فورًا!».

لم تنتظر (هرميون) أن تسمع ذلك مرة أخرى ولكنها أسرعت إلى الباب و(بورجين) فى أعقابها. وبينما أخذ الجرس يجلجل مرة أخرى، صفق (بورجين) الباب وراءها بعنف ووضع لافتة مكتوبًا عليها: مغلق.

قال (رون) وهو يلقى العباءة فوق (هرميون) مجددًا: «آه، حسنًا، محاولة جيدة، ولكن نواياكِ كانت مكشوفة إلى حد ما».

سخرت منه (هرميون) قائلة: «حسنًا، المرة القادمة تستطيع أن ترينى كيف تكون الحيلة يا أستاذ الأساتذة».

وظل (رون) و(هرميون) يتشاجران طوال الطريق وهم عائدون إلى متجر (ويسلى ويزرد ويزيس)؛ حيث كانوا مجبرين على التوقف؛ حتى يستطيعوا المراوغة بدون أن ينكشفوا أمام السيدة (ويسلى) و(هاجريد) اللذين ينم مظهرهما عن غاية القلق واللهفة، ومن الواضح أنهما لاحظا غيابهم، وما إن دخلوا إلى المتجر حتى خلع (هارى) عباءة الإخفاء وأخفاها فى جيبه قبل أن ينضم إلى (رون) و(هرميون) وهم يصرون أمام اتهامات السيدة (ويسلى) على أنهم كانوا فى الغرفة الخلفية طوال الوقت، وأنها هى التى لم تبحث عنهم جيدًا.

■ ■ ■

٧ نـــادى سلوج

قضى (هـارى) معظم الأسبوع الأخير من إجـازته يفكر مليًّا فى مغزى تصرف (دراكو مالفوى) فى حارة (نكتورن)، وكان أكثر ما يقلقه هو نظرة الرضا على وجه (دراكو) وهو يترك المتجر، فهو يعرف أن أى شىء يسعد (دراكو) إلى هذا الحد لا يمكن أن يكون خيرًا أبدًا. ولم يبدِ (رون) و(هرميون) نفس القدر من الفضول ناحية أنشطة (دراكو)، أو على الأقل أصبحا يشعران بالملل من مناقشة الأمر بعد بضعة أيام؛ مما أصابه بالضيق إلى حد ما.

قالت (هرميون) وقد نفد صبرها قليلاً: «أجل، لقد سبق واتفقت معك على أن الأمر يدعو للشك يا (هـارى)» وكانت تجلس على إفريز النافذة فى حجرة (فريد) و(جورج) وقدماها فوق أحد الصناديق الكرتونية وكانت ترفع عينيها عن كتاب (ترجمة الكتابات القديمة) على مضض: «ولكن، ألم نتفق على أن هناك الكثير من التفسيرات؟».

قال (رون) بغموض وهو مشغول بمحاولة تقويم الاعوجاج الموجود فى ذيل مكنسته السحرية: «ربما كسر يد المجد تلك اليد المجعدة التى يملكها (دراكو)».

كرر (هارى) السؤال الذى سأله كثيرًا من قبل: «ولكن، ما الشىء الذى كان يعنيه عندما قال: «ولا تنس أن تحافظ على هذه سالمة؟»..».

ثم أكمل (هـارى): «يبدو الأمر بالنسبة لى كأن (بورجين) لديه واحدة أخرى من الشىء المكسور وأن (دراكو) يريدهما معًا».

قال (رون) وهو الآن يحاول كشط بعض القذارة من على مقبض مكنسته: «هل تعتقد هذا؟».

قال (هاري): «نعم، بالفعل» وعندما لم يُجب كل من (رون) و(هرميون). قال: «والد (دراكو) في (أزكابان)، ألا تعتقدان أن (دراكو) قد يفكر في الانتقام؟».

رفع (رون) نظره وعيناه تطرفان، وقال: «(دراكو) ينتقم، وما الذي يمكن أن يفعله؟».

قال (هاري) محبطًا: «لا أعرف، وهذا ما يقلقني، ولكنه ينوي على شيء، وأعتقد أننا يجب أن نأخذه بجدية؛ فأبوه هو أحد (آكلي الموت) و...».

فجأة توقف (هاري) عن الكلام وعيناه مثبتتان على الشباك خلف (هرميون) وفمه مفتوح، فلقد خطر بباله شيءٌ مروعٌ فجأة.

قالت (هرميون) بصوت قلق: «(هاري)! ماذا دهاك؟».

سأل (رون) بعصبية: «هل تؤلمك ندبتك من جديد؟».

قال (هاري) بهدوء: «إنه أحد (آكلي الموت)، لقد حل محل أبيه وأصبح أحد (آكلي الموت)».

ساد الصمت لبعض الوقت ثم انفجر (رون) في الضحك، وقال: «(دراكو)! إنه مازال في السادسة عشرة يا (هاري)! هل تعتقد أن (أنت تعرف من) سيسمح لـ(دراكو) بالانضمام لـ(آكلي الموت)؟».

قالت (هرميون) بصوت زاجر نوعًا ما: «ولكن هذا مستبعد يا (هاري)، ما الذي يجعلك تفكر...؟».

(هاري): «عندما كنا في متجر مدام (مالكين) لم تلمسه، ولكنه أخذ يصيح بها وجذب ذراعه بعيدًا عنها عندما أرادت أن تثني له كمه وكانت هذه يده اليسرى.. فلقد دمغ بعلامة الظلام».

نظر (رون) و(هرميون) لبعضهما.

قال (رون) وقد نَمَّ صوته عن عدم اقتناع: «حسنًا...».

قالت (هرميون): «أعتقد أنه أراد أن يخرج من المكان فقط».

قال (هارى) وقد أصر على رأيه بعناد: «لقد أظهر لـ(بورجين) شيئًا لم نستطع رؤيته؛ شيئًا أرعب (بورجين) بشدة. إنها العلامة، أنا متأكد، لقد كان يريد أن يعرِّف (بورجين) من الذى يتعامل معه، لقد رأيتم كيف أخذه (بورجين) على محمل الجد!».

تبادل (رون) و(هرميون) نظرة أخرى.

«أنا لست متأكدة من هذا يا (هارى)».

«نعم، ومازلت لا أصدق أن (أنت تعرف من) سيسمح لـ(دراكو) بدخول المنظمة».

كان (هارى) منزعجًا، ولكنه كان مقتنعًا تمامًا بأنه على حق، فالتقط كومة من ملابس (الكويدتش) المتسخة وترك الغرفة.

لقد كانت السيدة (ويسلى) تلح عليهم منذ أيام ألا يتركوا غسل ملابسهم وحزم أمتعتهم لآخر لحظة. وأثناء نزوله صادف (جينى) التى كانت عائدة إلى غرفتها وهى تحمل كومة من الملابس المغسولة، حذرته قائلة: «لم أكن لأذهب إلى المطبخ فى هذه اللحظة، فهناك الكثير من المخاط فى المكان».

قال (هارى) مبتسمًا: «سآخذ حذرى ألاَّ أنزلق فيه».

وعندما دخل المطبخ، وجد (فلور) جالسة إلى مائدة المطبخ بالفعل وكانت تتحدث بسرعة عن خطط حفل زفافها إلى (بيل)، بينما السيدة (ويسلى) مستمرة فى مراقبة كومة من الخضار وهى تقشر نفسها وقد بدا عليها الغضب.

«...أنا و(بيل) تقريبًا قررنا أن نكتفى بإشبينتين للعروس فقط، (جينى) و(جابريل) ستبدوان فاتنتين معًا، وأنا أفكر فى أن يلبسا اللون الذهبى الشاحب، فاللون الوردى سيكون فظيعًا على (جينى)».

قالت السيدة (ويسلى) بصوت عالٍ وهى تقطع حديث (فلور) المنفرد: «آه، (هارى)، جيد، لقد أردت أن أشرح لك الترتيبات الأمنية لرحلة

(هوجوورتس) غدًا، سوف نحصل على سيارة الوزارة مرة أخرى، وستكون هناك فِرقة من المدافعين ضد السحر الأسود منتظرة فى المحطة».

قال (هارى) وهو يناولها الملابس الخاصة بـ(الكويدتش): «وهل ستكون (تونكس) هناك؟».

السيدة (ويسلى): «لا، لا أعتقد هذا، فقد تم إرسالها إلى موقع آخر كما فهمت من (آرثر)».

قالت (فلور): «لقد نقلت هذه الـ(تونكس) نفسها»، وأخذت تتفحص انعكاسها الفاتن على ظهر إحدى الملاعق، وأضافت: «خطأ كبير إذا سألتـ...».

قالت السيدة (ويسلى) بحدة مقاطعة أفكار (فلور) هذه المرة: «نعم، شكرًا لكِ، من الأفضل أن تصعد يا (هارى)، أريد أن تكون هذه الحقائب جاهزة الليلة لو أمكن؛ حتى لا يحدث زحام فى آخر لحظة كالمعتاد».

ولكن رحيلهم فى اليوم التالى كان أيسر من المعتاد؛ حيث انزلقت سيارات الوزارة أمام الباب الأمامى للجحر لتجدهم منتظرين، وقد تم غلق الحقائب ووضع (كروكشانكس) قط (هرميون) بأمان داخل سلة السفر الخاصة به، كما تم وضع (هيدويج) و(بيجوديجين) بومة (رون) و(أرنولد) (البيجمى باف) البنفسجى الجديد الخاص بـ(جينى) فى أقفاصها.

قالت (فلور) بصوتها المبحوح: «مع السلامة يا (آرى)». وقبَّلته مودعةً.

أسرع (رون) بالتقدم وهو يبدو متطلعًا، ولكن (جينى) وضعت قدمها فى طريقه فوقع، وانبطح فى التراب عند أقدام (فلور).

أسرع (رون) إلى السيارة وهو غاضب محمر الوجه مُتَّسخ ولم يودع أحدًا.

وبدلاً من (هاجريد) المرح، كان بانتظارهم فى محطة (كينج كروس) اثنان ـ من المدافعين ضد السحر الأسود ـ ذوا لحيتين ومتجهمان، كانا يرتديان بدلاً سوداء خاصة بالعامَّة، ثم بدءوا التحرك إلى الأمام فى اللحظة التى توقفت فيها السيارات، ومشوا معهم إلى داخل المحطة دون كلام.

قالت السيدة (ويسلى) التى بدت متوترة قليلاً بسبب الجدية الزائدة للمدافعين: «بسرعة، بسرعة، اعبروا الحاجز».

وأضافت: «من الأفضل أن يذهب (هارى) أولاً مع...».

ثم نظرت متسائلة إلى أحد المدافعين الذى أومأ برأسه باختصار، ثم أمسك بذراع (هارى) وحاول دفعه للسير فى اتجاه الحاجز بين الرصيفين ٩ و ١٠.

قال (هارى) بانفعال: «يمكننى المشى، شكرًا».

وانتزع ذراعه من قبضة المدافع ودفع الحامل المتحرك مباشرة إلى الحاجز الصلب متجاهلاً مرافقه الصامت، ووجد نفسه بعد لحظة واقفًا على رصيف ٣/٤ ٩ حيث يقف قطار (هوجوورتس) السريع نافثًا البخار إلى الرصيف المزدحم، ولحق به آل (ويسلى) و(هرميون) فى ثوان.

بدون انتظار مشاورة المدافع ذى الوجه المتجهم، أشار (هارى) لـ(رون) و(هرميون) حتى يتبعاه إلى أعلى الرصيف ليبحثوا عن مقصورة خالية.

قالت (هرميون) وهى تنظر إليه نظرة اعتذار: «لا نستطيع يا (هارى)، أنا و(رون) يجب أن نذهب إلى مقصورة رواد الفصل أولاً، ثم نحرس الممرات قليلاً».

قال (هارى): «آه، نعم، لقد نسيت».

قالت السيدة (ويسلى) وهى تنظر إلى ساعتها: «من الأفضل أن تصعدوا مباشرة إلى القطار، كل ما لديكم بضع دقائق، حسنًا، أتمنى لك فصلاً دراسيًا ممتعًا يا (رون)...».

قال (هارى) وقد اتخذ قراره: «سيد (ويسلى)، هل يمكننى أن أتكلم معك للحظة؟».

قال السيد (ويسلى) الذى بدا متفاجئًا قليلاً: «بالطبع» وتبع (هارى) مبتعديْن عن مسمع الآخرين.

فكر (هارى) فى الأمر بعناية وتوصل إلى أنه إذا كان سيخبر أى شخص بما حدث، فإن السيد (ويسلى) هو الشخص المناسب، أولاً: لأنه يعمل فى الوزارة ولهذا فهو فى وضع ملائم لعمل تحريات أكثر عن الموضوع، وثانيًا: لأنه من المستبعد أن ينفجر غاضبًا.

كان يستطيع رؤية السيدة (ويسلى) والمدافع ذى الوجه المتجهم ينظران إليهما بارتياب عندما تحركا مبتعديْن.

قال (هارى): «عندما كنا فى حارة (دياجون)...». ولكن السيد (ويسلى) توقع ما سيقوله وتجهم.

«هل أنا على وشك اكتشاف أين اختفيت أنت و(رون) و(هرميون) بينما كان من المفترض أنكم كنتم فى الغرفة الخلفية لمتجر (فريد) و(جورج)؟».

«كيف عر...؟».

«(هارى)، ماذا كنت تتوقع؟ إنك تتكلم مع الشخص الذى ربَّى (فريد) و(جورج)».

«نعم، حسنًا، لم نكن فى الغرفة الخلفية».

«جميل، أخبرنى الأسوأ».

«حسنًا، لقد تبعنا (دراكو مالفوى) مستخدمين عباءة الإخفاء الخاصة بى».

«وهل كان لديكم سبب محدد للقيام بذلك، أم كان هذا من وحى اللحظة؟».

قال (هارى) متجاهلاً نظرة السيد (ويسلى) الغاضبة الممزوجة بالتسلية: «لأننى اعتقدت أن (دراكو) ينوى شيئًا، فقد تسلل بعيدًا عن عين أمه وأردت أن أعرف لماذا».

قال السيد (ويسلى) وقد بدا مستسلمًا: «بالطبع، حسنًا، وهل اكتشفتم السبب؟».

قال (هارى): «لقد ذهب إلى (بورجين وبوركيس) وبدأ فى إرهاب مالك المتجر هناك، وطلب من (بورجين) أن يساعده فى إصلاح شىء ما، ثم طلب منه أن يحتفظ له بشىء آخر. وقد بدا أن هذا الشىء من نفس نوع الشىء الذى يحتاج إلى الإصلاح، وكأنه شىء مؤلف من قطعتين و...».

ثم أخذ (هارى) نفسًا عميقًا.

وأضاف: «وهناك أمر آخر، لقد رأينا (دراكو) يقفز مبتعدًا بسرعة عندما لمست مدام (مالكين) ذراعه اليسرى. أعتقد أنه دمغ بعلامة (آكلى الموت)، أعتقد أنه قد خلف والده كآكل للموت».

فوجئ السيد (ويسلى) وقال بعد لحظة: «(هارى)، أشك فى أن (أنت تعرف من) سيسمح لفتى فى السادسة عشرة بأن...».

قال (هارى) بغضب: «سيد (ويسلى)، أنا آسف ولكن ألا يستحق الأمر التحرى عنه؟ إذا كان (دراكو) يريد إصلاح شىء ويهدد (بورجين) حتى يقوم بذلك، فربما يكون شيئًا له علاقة بالسحر الأسود أو خطيرًا، أليس كذلك؟».

قال السيد (ويسلى) بهدوء: «لأكون صريحًا معك يا (هارى)، إننى أشك فى هذا، فعندما قبض على (لوكيوس مالفوى)، قمنا بحملة على منزله وأخذنا كل شىء يمكن أن يكون خطيرًا».

قال (هاري) بعناد: «أعتقد أنكم قد فاتكم شيء ما».

قال السيد (ويسلي): «حسنًا، ربما».. إلا أن (هاري) شعر أن السيد (ويسلي) يسايره فحسْب.

ثم سمعا صوت صفارة خلفهما؛ فقد صعد الجميع تقريبًا إلى القطار وبدأت الأبواب تغلق.

قال السيد (ويسلي): «من الأفضل أن تسرع»، بينما صاحت السيدة (ويسلي): «بسرعة يا (هاري)».

أسرع (هاري) متقدمًا وساعده السيد والسيدة (ويسلي) في حمل حقيبته متجهًا إلى القطار.

قالت السيدة (ويسلي) من خلال النافذة: «الآن، يا عزيزي، نحن ننتظر حضورك في عيد الميلاد، لقد اتفقنا مع (دمبلدور) على هذا؛ لذلك سوف نراك قريبًا جدًّا»، ثم أغلق (هاري) الباب بقوة وبدأ القطار يتحرك، بينما علا صوت السيدة (ويسلي): «فلتَرعَ نفسك جيدًا و...».

كان القطار قد بدأ يزيد من سرعته.

قالت السيدة (ويسلي): «كن ولدًا طيبًا و...».

وكانت تهرول؛ لمتابعة القطار.

«ابقَ في أمان...».

ظل (هاري) يلوح حتى انعطف القطار في أحد المنعطفات وأصبح لا يرى السيد والسيدة (ويسلي) ثم التفت؛ ليرى أين ذهب الباقي، وتوقع أن (رون) و(هرميون) قد ذهبا إلى مقصورة رواد الفصل، ولكن (جيني) كانت قريبة تتحادث مع بعض الأصدقاء في الممر، فاتجه إليها وهو يسحب صندوقه.

كان الناس يحدقون إليه بلا خجل وهو يقترب؛ كانوا يلصقون وجوههم في زجاج مقصوراتهم ليتأملوه، لقد كان يتوقع زيادة كم الدهشة والتحديق ببلاهة، ويعلم أنه سيتعرض للكثير من ذلك خلال هذا الفصل

الدراسى بعد كل هذه الإشاعات التى أعلنتها (المتنبئ اليومى) عن كونه المختار، ولكنه لم يستمتع بكونه فى دائرة ضوء، فربت على كتف (جينى).

(هارى): «هيا، فلنحاول إيجاد مقصورة».

قالت (جينى) بإشراق: «لا أستطيع يا (هارى)، لقد أخبرت (دين) بأننى سأقابله، أراك لاحقًا».

قال (هارى): «صحيح»، شعر بوخز غريب من الضيق عندما مشت مبتعدة وشعرها الأحمر الطويل يتراقص خلفها، لقد اعتاد وجودَها خلال الصيف حتى إنه نسى تقريبًا أن (جينى) لا تتسكع عادة معه هو و(رون) و(هرميون) أثناء وجودهم فى المدرسة، ثم طرف بعينيه ونظر حوله، كان محاطًا بفتيات مبهورات به.

قال صوت مألوف من خلفه: «أهلاً يا (هارى)!».

قال (هارى) بارتياح: «(نيفيل)!» واستدار ليرى الولد ذا الوجه المستدير وهو يناضل للوصول إليه.

قالت فتاة خلف (نيفيل) مباشرة، ذات شعر طويل وعينين واسعتين غامضتين: «أهلاً يا (هارى)».

(هارى): «(لونا)، أهلاً كيف حالك؟».

قالت (لونا): «بخير حال، شكرًا».. وكانت تحتضن مجلة، كانت الحروف الكبيرة فى مقدمتها تعلن أن هناك زوجًا من النظارات الطيفية داخلها.

سأل (هارى): «مازالت *(كيبلر)* ناجحة إذن؟» والذى كان معجبًا بالمجلة التى أعطاها مقابلة حصرية العام الماضى.

قالت (لونا) بسعادة: «آه، نعم، توزيعها يزيد بشكل جيد».

قال (هارى): «فلنجد لأنفسنا مقاعد»، ومضى ثلاثتهم بطول القطار عبر حشود الطلاب الصامتة المحدقة، وأخيرًا وجدوا مقصورة خالية وأسرع (هارى) إلى الداخل وهو ممتن.

قال (نيفيل) وهو يشير إلى نفسه وإلى (لونا): «لقد كانوا يحدقون إلينا نحن أيضًا؛ لأننا كنا معك».

قال (هارى) وهو يرفع حقيبته فوق حامل الأمتعة: «لقد كانوا يحدقون بك أيضًا؛ لأنك كنت فى الوزارة وقد نشرت أخبار مغامرتنا الصغيرة فى (الستنبئ اليومى)، لابد أنك رأيتها».

قال (نيفيل): «أجل، لقد اعتقدت أن جدتى ستكون غاضبة بسبب كل هذه الدعاية، ولكنها كانت سعيدة فعلاً وتقول: إننى بدأت أصبح مثل أبى أخيرًا، لقد اشترت لى عصا جديدة، انظر».

ثم جذب عصاه ليُريها لـ(هارى).

وقال بفخر: «لونها أحمر وبها شعرة وحيد القرن، نعتقد أنها من آخر العصى التى باعها (أوليفاندر) فقد اختفى فى اليوم التالى.. (تريفور)، ارجع إلى هنا!».

وغاص تحت المقعد ليستعيد ضفدعه عندما حاول كعادته الهرب.

قالت (لونا) وهى تنتزع من وسط مجلة *(كيبلر)* تلك النظارة التى تجعلك ترى خيالات سعيدة: «هل ستكون هناك لقاءات لجماعة جيش (دمبلدور) هذا العام يا (هارى)؟».

قال (هارى) وهو يجلس: «ليس هناك داعٍ الآن بعد أن تخلصنا من (أمبريدج)، أليس كذلك؟» ارتطم رأس (نيفيل) بالمقعد وهو يخرج من تحته، وقد بدا خائب الأمل بشدة.

وقال: «خَسارة، لقد أحببت تلك الدروس! وقد تعلمت منها الكثير معك!».

قالت (لونا) بوداعة: «لقد استمتعت باللقاءات أيضًا، شعرت بأننى أصبح لى أصدقاء».

كان هذا أحد الأشياء غير المريحة التى تقولها (لونا) عادة، والتى أشعرت (هارى) بمزيج مربك من الشفقة، ولكن قبل أن يستطيع الرد، كانت هناك جلبة خارج باب مقصورتهم، كانت هناك مجموعة من طالبات السنة الرابعة يهمسن متضاحكات على الجانب الآخر من الزجاج:

«اسأليه أنتِ!».

«لا أنتِ!».

«سأفعل أنا!».

ثم دخلت إحداهن من الباب، وكانت الجراءة تبدو على عينيها السوداوين وذقنها البارز وشعرها الأسود الطويل، ثم قالت بصوت عال وبثقة: «أهلاً يا (هارى)، أنا (روميلدا فان)، لِمَ لا تنضم إلينا فى مقصورتنا؟» ثم أضافت بصوت هامس لكن مسموع: «ليس عليك الجلوس معهم»، وكانت تشير إلى مؤخرة (نيفيل) البارزة من تحت المقعد مرة أخرى، بينما يحاول الإمساك بـ(تريفور) و(لونا) التى ارتدت النظارة المجانية وقد أعطتها مظهر بومة مخبولة متعددة الألوان.

قال (هارى) ببرود: «إنهم أصدقائى».

قالت الفتاة وقد بدت متفاجئة: «أوه! حسنًا».

وانسحبت مغلقة الباب المنزلق وراءها.

قالت (لونا) وقد عادت لطريقتها فى قول الأشياء بصدق يسبب الشعور بالإحراج: «الناس يتوقعون أن يكون لديك أصدقاء أكثر براعة».

قال (هارى) باختصار: «أنتم بارعون، فلم يكن أى منهم فى الوزارة، ولم يحارب أيهم معى».

ابتسمت (لونا) وقالت: «ما قلته فى منتهى اللطف»، ثم دفعت نظارتها إلى أعلى أنفها أكثر وارتاحت فى جلستها؛ لتقرأ مجلة *(كيبلر)*.

أخرج (نيفيل) رأسه من تحت المقعد وقد غطى شعره الغبار والأتربة وهو ممسك بـ(تريفور) الذى بدت عليه نظرة رافضة، وقال: «ولكننا لم نواجهه مع ذلك، وأنت فعلت، يجب أن تسمع ما تقوله جدتى عنك: إن لدى (هارى بوتر) عزيمة أكثر مما لدى وزارة السحر بأكملها، إنها على استعداد للتضحية بأى شىء ليكون لها حفيد مثلك».

ضحك (هارى) وهو يشعر بعدم الارتياح وغيَّر الموضوع إلى نتائج (أو - دبليو - إل) بأسرع ما يمكنه، وبينما كان (نيفيل) يتلو تقديراته ويتساءل بصوت عالٍ إذا كان سيسمح له بأخذ التحويل بعد أن حصل على «مقبول» كان (هارى) يراقبه بدون أن يستمع إليه بالفعل.

لقد أفسد (فولدمورت) طفولة (نيفيل) بنفس القدر الذى حدث لـ(هارى)، ولكن (نيفيل) لا يعلم أنه اقترب من أن يكون له قدر (هارى)، فقد كان من الممكن أن تشير النبوءة إلى أى منهما. ومع ذلك ولأسباب غامضة، اختار (فولدمورت) أن يصدق أن (هارى) هو المقصود.

لو أن (فولدمورت) اختار (نيفيل) لكان (نيفيل) هو الشخص الجالس أمام (هارى) ويحمل على جبهته الندبة التى لها شكل البرق وحمل النبوءة... أو ربما.. هل كانت والدة (نيفيل) لتموت؛ لكى تنقذه، كما فعلت (ليلى) من أجل (هارى)؟

بالتأكيد سوف تفعل.. ولكن، ماذا لو لم تستطع الوقوف بين ابنها و(فولدمورت)؟ هل كان سينتهى المختار تمامًا حينئذ؟ ويكون المقعد الذى يجلس فيه (نيفيل) الآن خاليًا ويكون (هارى) الذى بلا ندبات قد قبل والدته الآن مودعًا بدلاً من والدة (رون)؟

قال (نيفيل): «هل أنت على ما يرام يا (هارى)؟ إنك تبدو غريبًا».

حدق (هارى) إليه.

وقال: «آسف، كنت...».

قالت (لونا) مواسية: «هل دخلت فى أذنك حشرة (راك سبارت)؟».

(هارى): «أنا... ماذا؟».

(لونا): «حشرة (راك سبارت)... إنها خفية، وتطير إلى داخل الجسم من خلال الأذن وتجعل عقلك يتوه، أعتقد أننى شعرت بأزيز إحداها هنا».

وصفقت فى الهواء بيديها كأنها تضرب حشرة خفية كبيرة، نظر (هارى) و(نيفيل) إلى بعضهما وبدأا بسرعة يتكلمان عن (الكويدتش)،

كان الطقس خارج نوافذ القطار ملبدًا بالغيوم، كما كان طوال الصيف، مر القطار خلال مساحات ممتدة من الضباب البارد، ثم خرجوا إلى ضوء الشمس الصافى وأثناء أحد الأوقات التى بدا فيها ضوء الشمس وكادت الشمس تكون فوق الرءوس مباشرة، دخل (رون) و(هرميون) إلى المقصورة أخيرًا.

قال (رون) باشتياق: «أتمنى أن تسرع عربة الغداء، أكاد أموت جوعًا»، ثم رمى نفسه على مقعد بجوار (هارى) وهو يمسح على بطنه، وأضاف: «أهلاً (نيفيل)، أهلاً (لونا)» ثم أكمل وهو يستدير إلى (هارى): «هل تصدق ما حدث؟ توقف (دراكو) عن أداء مهام رائد الفصل وهو يجلس فى مقصورته مع باقى أفراد بيت (سليذرين).. لقد رأيناه ونحن نمر».

اعتدل (هارى) فى جلسته وقد بدا عليه الاهتمام، وفكر فى أن هذا غريب، فـ(دراكو) ليس من النوع الذى يضيع فرصة إظهار نفوذه كرائد للفصل، والتى أساء استخدامها بسعادة طوال السنة الماضية.

(هارى): «وما الذى فعله عندما رآكما؟».

قال (رون) بلا اهتمام: «المعتاد»، ثم أشار بيده إشارة وقحة، وأضاف: «وإن كان، مع ذلك يبدو الأمر غريبًا، أليس كذلك؟ حسنًا.. هذا هو»، وكرر الإشارة الوقحة بيده مرة أخرى وقال: «ولكن، لماذا لم يكن فى الخارج ليضايق طلاب السنة الأولى؟».

قال (هارى): «لا أعلم» ولكن عقله كان يعمل بسرعة. ألا يبدو الأمر كما لو أن (دراكو) لديه أشياء أكثر أهمية من مضايقة الطلاب الأصغر سنًا؟

قالت (هرميون): «ربما يفضل فرقة التفتيش، قد يكون كونه رائدًا للفصل لم يعد يثير اهتمامه».

قال (هارى): «لا أعتقد هذا، أعتقد أنه...».

ولكن قبل أن يشرح نظريته انزلق باب المقصورة منفتحًا وخطت فتاة فى السنة الثالثة مقطوعة النَّفَس إلى الداخل.

وتلعثمت قائلة: «من المفترض أن أسلم هذه إلى (نيفيل لونجبوتم) و(هاري بـ... بوتر)» وعندما التقت عيناها بعيني (هاري)، تحول لونها إلى اللون القرمزي. كانت تحمل لفافتين من الجلد مربوطتين بشرائط بنفسجية. كان (هاري) و(نيفيل) حائريْن، لكنهما أخذا اللفائف الموجهة لكل منهما وتعثرت الفتاة وهي تخرج من المقصورة.

سأل (رون) بإلحاح بينما كان (هاري) يفرد رسالته: «ما هذا؟».

قال (هاري): «إنها دعوة».

(هاري) سأكون سعيدًا لو انضممت لي أثناء الغداء في المقصورة (ج) مع خالص تحياتي.. الأستاذ: (اتش. إيه. إف سلجهورن).. سأل (نيفيل) وهو ينظر إلى دعوته حائرًا: «من هو الأستاذ (سلجهورن)؟».

قال (هاري): «مدرس جديد، حسنًا، أفترض أنه يجب علينا الذهاب، أليس كذلك؟».

سأل (نيفيل) بعصبية كأنه يتوقع أن يتم احتجازه: «ولكن لأي سبب يريدني؟».

قال (هاري): «لا أعلم». وكان على حق تمامًا، رغم أنه لم يكن لديه دليل، بَعْدُ، أن هاجسه صحيح، ثم أضاف وقد استولى عليه خاطر مفاجئ: «اسمعوا، فلنذهب تحت عباءة التخفي، وبهذا يمكننا أن نلقي نظرة جيدة على (دراكو) ونحن في طريقنا، ونعرف ما الذي ينويه».

ومع ذلك، فقد ذهبت الفكرة سُدًى؛ فقد كان الممر مزدحمًا بالناس الذين يترقبون عربة الغداء وكان من المستحيل المرور منه وهم يرتدون العباءة؛ لذلك فقد أعادها (هاري) إلى جيبه وهو يفكر في أنه كان من الأفضل أن يتفادى كل التحديق الذي يبدو أن شدته قد زادت أكثر حتى عن آخر مرة مشى فيها بالقطار، فقد كان الطلاب يندفعون خارجين من مقصوراتهم بين الحين والآخر لينظروا إليه. الاستثناء الوحيد كان (تشو تشانج) التي اندفعت إلى داخل مقصورتها عندما رأت (هاري) قادمًا.

وبينما كان (هارى) مارًا من أمام شباك مقصورتها رآها مندمجة فى الحديث مع صديقتها (ماريتا) التى كانت تضع طبقة سميكة من مساحيق التجميل لم تغط بشكل كامل كل البثور الغريبة المتناثرة على وجهها. وأسرع (هارى) فى السير وهو يبتسم ابتسامة متكلفة، وعندما وصلوا إلى المقصورة (ج) أدركوا على الفور أنهما لم يكونا المدعوين الوحيديْن، على الرغم من أنه إذا تم الحكم من خلال حماس (سلجهورن) فى الترحيب، سنجد أن (هارى) نال أكبر قدر من حرارة الترحيب عند استقباله.

قال (سلجهورن): «(هارى)، يا بنى!» وقفز واقفًا عند رؤيته حتى إن كرشه الكبيرة المغطاة بالمخمل بدت كما لو أنها قد ملأت المساحة المتبقية فى المقصورة، وومض رأسه الأصلع اللامع وشاربه الفضى الكثيف فى ضوء الشمس بنفس الإشراق الذى تلمع به الأزرار الذهبية فى صداره وقال: «من الجميل أن أراك، من الجيد أن أراك! وأنت يجب أن تكون السيد (لونجبوتم)».

أومأ (نيفيل) برأسه وهو يبدو خائفًا وبإشارة من (سلجهورن) جلس كلاهما يواجهان بعضهما بعضًا فى المقعدين الوحيدين الخاليين، وهما من المقاعد الأقرب إلى الباب.

نظر (هارى) حوله إلى رفقائه من الضيوف وعرف أحد (السليذرين) وهو فى نفس العام الدراسى معهم، وكان ولدًا طويلاً له شعر أسود وعظمتا الوجنتين عاليتان، وعينان مائلتان، وكان هناك أيضًا فتيان فى الفصل السابع لا يعرفهما (هارى). وفى الركن بجوار (سلجهورن) كانت (جينى) جالسة، وهى تبدو غير متأكدة تمامًا كيف أتت إلى هناك.

وسأل (سلجهورن) (هارى): «الآن، هل تعرفان الجميع؟ (بليز زابينى) فى نفس السنة الدراسية معكما، بالطبع».

لم يبدِ (بليز) أى إشارة على أنه يعرفه أو حتى قام بالتحية، وهو نفس ما فعله (هارى) و(نيفيل)، فقد كان طلاب (جريفندور) وطلاب (سليذرين) يكرهون بعضهم بعضًا فى الأساس.

قال (سلجهورن): «هذا هو (كورماك ماكلاجين)، ربما التقيته من قبل، وربما لا».

رفع (ماكلاجين) يده بالتحية لـ(هارى) و(نيفيل) وردًا عليه بإيماء من رأسيهما، كان (ماكلاجين) شابًّا ضخمًا له شعر خشن.

«وهذا هو (ماركِيس بيلباى)، لا أعرف إذا...».

فابتسم (بيلباى) بتوتر وكان نحيفًا ويبدو عصبيًّا.

وأنهى (سلجهورن) التعريف: «وهذه الشابة الجذابة تقول لى: إنها تعرفك!».

ولوت (جينى) وجهها لـ(هارى) و(نيفيل) من خلف ظهر (سلجهورن).

قال (سلجهورن) براحة: «حسنًا الآن، إنها مناسبة لطيفة، وفرصة لأقترب منكم وأعرفكم أكثر. ها هى، خذ منشفة لقد أحضرت معى غذائى الخاص، فعادة ما تكون عربة الغذاء، كما أتذكر، مليئة بعيدان العرقسوس. ونظام هضم رجل عجوز مسكين مثلى لا يناسبه مثل هذه الأشياء.. دجاج يا (بيلباى)».

حدق (بيلباى) ثم قبل ما بدا له مثل نصف دجاجة بارد.

قال (سلجهورن) لـ(هارى) و(نيفيل) وهو يمرر سلة مليئة بلفائف الطعام: «لقد كنت أخبر (ماركيس) الشاب هنا أننى كان لى شرف التدريس لعمه (داموكليس)، وهو ساحر بارز، نال وسام (ميرلين) عن جدارة. هل ترى عمك كثيرًا يا (ماركيس)؟».

ولكن لسوء الحظ، كان (بيلباى) قد ملأ فمه بقطعة كبيرة من لحم الدجاج، وأثناء تسرعه لإجابة (سلجهورن)، ابتلعها بسرعة، فتحول لون وجهه إلى اللون البنفسجى بعد أن انحشر الطعام فى حلقه، وبدأ يختنق.

قال (سلجهورن) بهدوء وهو موجه عصاه إلى (بيلباى) الذى بدا أنه استعاد قدرته على التنفس فورًا: «أنا بنيو».

قال (بيلباى) وهو يشهق وعيناه تدمعان: «لا، ليس... ليس كثيرًا».

قال (سلجهورن): «بالطبع، لابد أنه مشغول»، ثم نظر إلى (بيلباى) متسائلاً وأضاف: «فبالتأكيد ابتكار شيء مثل وصفة نبات خانق الذئب يحتاج إلى الكثير من العمل الشاق!».

كان (بيلباى) يبدو خائفًا من أن يأكل قطعة أخرى من الدجاج قبل أن يتأكد أن (سلجهورن) قد انتهى من أسئلته له وقال: «أفترض هذا... فهو وأبى لا يتفقان كثيرًا؛ لذلك فإننى لا أعرف الكثير فعلاً عن...».

وتضاءل صوته تدريجيًّا عندما رماه (سلجهورن) بنظرة باردة والتفت إلى (ماكلاجين) بدلاً منه.

قال (سلجهورن): «الآن، أنت يا (كورماك)، فإننى أفترض أنك ترى عمك (تيبيريوس) كثيرًا؛ لأن لديه صورة بديعة لكما معًا وأنتما تصطادان (النوجتيل) فى (نورفولك) على ما أعتقد».

قال (ماكلاجين): «آه، نعم، لقد كان هذا ممتعًا، كان هذا عندما ذهبنا مع (بيرتى هيجس) و(روفوس سكريمجور).. وكان هذا قبل أن يصبح وزيرًا بالطبع».

ابتسم (سلجهورن): «آه، أنت تعرف (بيرتى) و(روفوس) أيضًا؟»، وبدأ يوزع هنا وهناك صينية صغيرة عليها فطائر.. وبطريقة ما، تم تفويت (بيلباى).

كان الأمر كما توقع (هارى). كل واحد من الموجودين تمت دعوته بسبب علاقته بأشخاص مشهورين أو لهم نفوذ ـ كلهم ما عدا (جينى). واتضح أن والدة (زابينى) الذى تم استجوابه بعد (ماكلاجين) ساحرة جميلة ومشهورة، ومما استنتجه (هارى) أنها تزوجت سبع مرات، وفى كل مرة يموت زوجها فجأة بطريقة غامضة

تاركًا لها تلاً من الذهب وجاء دور (نيفيل) بعد ذلك، واستمرت المناقشة طوال عشر دقائق مزعجة؛ لأن والدى (نيفيل) كانا من المدافعين ضد السحر الأسود المشهورين وقد قامت (بيلاتريكس ليسترانج) وبعض أصدقائها من (آكلى الموت) بتعذيبهما بشدة حتى أصابهما الجنون. وفى نهاية أسئلته لـ(نيفيل)، شعر (هارى) أن (سلجهورن) كان متحفظًا فى حكمه على (نيفيل)؛ حتى يتأكد إن كان يتمتع بأى من مواهب والديه أم لا.

قال (سلجهورن): «والآن» وهو يتحول بمقعده كليًا كأنه أحد مقدمى النجوم على المسرح الذى يستعد لتقديم بطل العرض: «(هارى بوتر)! من أين أبدأ؟ أشعر أننى بالكاد خدشت السطح عندما التقينا خلال الصيف!».

وتأمل (هارى) للحظة وكأنه قطعة كبيرة من لحم الدجاج، ثم قال: «المختار، هذا ما يطلقونه عليك الآن!».

لم يقل (هارى) شيئًا. وأخذ (بيلباى) و(زابينى) و(ماكلاجين) يحدقون به.

قال (سلجهورن) وهو يراقب (هارى): «بالطبع، كانت هناك شائعات لسنوات... أذكر عندما...

حسنًا... بعد هذه الليلة الفظيعة... (ليلى)... (جيمس)... ونجوت أنت... واعتقد الجميع أنه يجب أن تكون قواك فوق العادية...».

سعل (زابينى) وكان من الواضح أنه قصد بها التشكيك الساخر فى ذلك الكلام.

اندفع صوت غاضب من خلف (سلجهورن):

«أجل يا (زابينى)؛ لأنك موهوب جدًا... فى الجلوس...».

قال (سلجهورن) وهو يضحك بخفوت: «ما هذا؟!» وهو يستدير إلى (جينى) التى كانت تحدق إلى (زابينى) بغضب من وراء بطن (سلجهورن) الضخم. قال (سلجهورن): «يجب عليك أن تحترس

يا (بليز)! فقد رأيت هذه الشابة الصغيرة وهى تؤدى تعويذة خفاش شبح رائعة عندما كنت مارًا بجوار مقصورتها: لذلك لو كنت مكانك فلن أضايقها!».

وكان تعبير وجه (زابينى) ساخرًا.

قال (سلجهورن) وهو يستدير إلى (هارى) مرة أخرى: «على أية حال، مثل هذه الشائعات هذا الصيف، بالطبع، لا تعرف ما الذى تصدقه أو تكذبه، فجريدة (المتنبئ اليومى) معروف عنها أنها تكتب أخبارًا غير دقيقة وترتكب أخطاء، ولكن نسبة الخطأ فى هذا الموضوع ضئيلة؛ لأن عددًا كبيرًا من الشهود أكدوا أنه كان هناك اضطراب كبير فى الوزارة وأنك كنت موجودًا وسط كل هذا».

فكر (هارى) أنه ليس هناك مخرج من كل هذا سوى الكذب، كان كل ما فعله هو الإيماء برأسه دون قول أى شىء، فابتسم (سلجهورن) له، وقال: «إنك متواضع، متواضع جدًا، لا عجب أن (دمبلدور) مغرم بك، لقد كنت هناك إذن؟ ولكن باقى القصة مبالغ فيها، لا يعرف الشخص ما يصدقه بالضبط.. هذه النبوءة الأسطورية، على سبيل المثال...».

قال (نيفيل): «لم نسمع أى نبوءة قط»، ثم تحول لونه إلى اللون الأحمر القانى.

تصدت له (جينى) قائلة: «هذا صحيح، لقد كنا أنا و(نيفيل) هناك أيضًا، كل هذا الهراء عن المختار مجرد افتراءات اخترعتها (المتنبئ) كالمعتاد».

قال (سلجهورن) باهتمام كبير وهو ينقل بصره بين (جينى) و(نيفيل): «وهل كنتم هناك أنتم أيضًا؟»، ولكنهما جلسا هادئيْن قبل أن يبتسم (سلجهورن) مشجعًا.

استأنف (سلجهورن) حديثه وقد ظهر فى صوته القليل من خيبة الأمل: «نعم... حسنًا... كثيرًا ما تبالغ (المتنبئ) بالطبع... أتذكر عندما

كان العزيز (جوينج جونس) يقول لى، أقصد بالطبع كابتن فريق (هوليهيد هاربيز)...».

وانعطف فى الحديث عن ذكريات ماضية مستفيضة، لكن (هارى) كان لديه انطباع أكيد أن (سلجهورن) لم ينته منه بعد، وأنه لم يقتنع بكلام (نيفيل) و(جينى).

ومرت فترة الظهيرة وهو يروى لهم المزيد من الطرائف عن سحرة ذائعى الصيت درس لهم (سلجهورن) من قبل، وكلهم كانوا سعداء بالانضمام لـ(نادى سُلوج) كما أسماه بـ(هوجوورتس).

كان ينتظر الرحيل بفارغ الصبر، ولكنه لم يجد طريقة ليفعل ذلك بشكل مهذب. أخيرًا، خرج القطار من إحدى مناطق الضباب الممتدة إلى غروب الشمس الأحمر ونظر (سلجهورن) حوله وهو يطرف بعينيه فى ضوء الشفق، وقال: «عجيب، لقد حل الظلام بالفعل! لم ألاحظ أنهم أضاءوا المصابيح! من الأفضل أن تذهبوا لتبدلوا ملابسكم وترتدوا زيكم المدرسى جميعًا. (ماكلاجين)، يجب أن تمر علىَّ لتستعير هذا الكتاب عن (نوجتيلس).

(هارى) و(بليز)، مُرَّا علىَّ فى أى وقت وأنت أيضًا يا آنسة» وطرف بعينه إلى (جينى)، ثم أضاف: «حسنًا، هيا اذهبوا، هيا اذهبوا!».

وبينما كان (زابينى) يمر بجوار (هارى) فى الممر المعتم رماه بنظرة احتقار وردَّها (هارى) عليه، ومشى هو و(جينى) و(نيفيل) خلف (زابينى) بطول القطار عائدين.

غمغم (نيفيل): «أنا سعيد أن هذا اللقاء انتهى، رجل غريب، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وعيناه على (زابينى): «بلى، إلى حد ما، كيف انتهى بكِ الأمر هناك يا (جينى)؟».

قالت (جينى): «لقد رآنى وأنا ألقى تعويذة على (زاكرياس سميث)، هل تذكر هذا الأحمق من (هافلباف) الذى كان معنا فى دروس الدفاع عن النفس ضد السحر الأسود؟ لقد ظل يسألنى مرة بعد مرة عن الذى حدث فى الوزارة، وفى النهاية ضايقنى جدًّا حتى إننى رميته بتعويذة، وعندما دخل (سلجهورن) اعتقدت أننى سوف أعاقب بالاحتجاز، ولكنه اعتقد أنها كانت تعويذة جيدة ودعانى إلى الغداء معه! مجنون هه؟».

قال (هارى) وهو يقطب جبينه فى مواجهة خلفية رأس (زابينى): «هذا سبب أفضل من دعوة شخص ما لأن أمه مشهورة». وأضاف: «أو لأن أعمامه...».

ولكنه توقف فجأة عن إتمام كلامه، فقد واتته فكرة حالاً، قد تكون فكرة طائشة إلا أنها يمكن أن تكون رائعة.. ففى خلال دقائق، سوف يدخل (زابينى) مرة أخرى إلى مقصورة (سليذرين)... لو أن (هارى) يستطيع الدخول وراءه لاستطاع أن يسمع ويرى الكثير دون أن يراه أحد، صحيح أن الوقت الباقى من الرحلة قليل؛ حيث لا تبعد محطة (هوجسميد) أكثر من نصف ساعة، كما يبدو من المشاهد البرية التى تظهر من النوافذ ـ ولكن لا أحد آخر يبدو مستعدًّا لأخذ شكوك (هارى) بجدية؛ لذلك فمن الواجب عليه أن يثبتها.

قال (هارى) بصوت هامس: «أراكما فيما بعد»، ثم جذب عباءة الإخفاء وألقاها على نفسه.

سأل (نيفيل): «ولكن، أين ستذ...؟».

همس (هارى): «فيما بعد!»، وانطلق خلف (زابينى) بأقصى هدوء ممكن، رغم أن ضجيج القطار جعل هذا الحذر بلا معنى تقريبًا.

كادت الممرات تكون خالية. فقد عاد الجميع إلى مقصوراتهم؛ لتبديل ملابسهم وارتداء زى المدرسة وحزم أمتعتهم، ورغم أن (هارى) كان قريبًا من (زابينى) على قدر المستطاع دون أن يلمسه فإنه لم يكن

سريعًا بقدر كافٍ ليتسلل إلى المقصورة عندما فتح (زابينى) الباب. وكان (زابينى) يدفع الباب لينزلق مغلقًا عندما أسرع (هارى) بوضع قدمه ليمنعه من الانغلاق.

قال (زابينى) بغضب وهو يصدم الباب المنزلق إلى قدم (هارى) مرة بعد أخرى: «ما خطب هذا الشيء؟».

وضع (هارى) يده على الباب ودفعه لينفتح بقوة، فسقط (زابينى) الذى كان لا يزال ممسكًا بمقبض الباب عبر ممر المقصورة ليقع على حجر (جريجورى جويل). وأثناء الاضطراب الذى سببه ذلك، تسلل (هارى) إلى المقصورة وجلس فوق مقعد (زابينى) مؤقتًا، ثم قفز إلى أعلى فوق حامل الأمتعة. كان من حسن الحظ، أن (جويل) و(زابينى) كانا ينظران إلى بعضهما بغضب ويجذبان كل العيون إليهما؛ لأن (هارى) كان واثقًا من ظهور قدميه وكاحليه؛ لأن عباءة الإخفاء رفرفت حولهما، وللحظة مزعجة اعتقد أنه رأى عين (دراكو) تتبع حذاءه الرياضى وهو يختفى فى لمح البصر بعيدًا عن الأنظار؛ ثم دفع (جويل) الباب لينغلق، ودفع (زابينى) بعيدًا عنه.

انهار (زابينى) فى مقعده وهو يبدو متضايقًا، وعاد (فينسنت كراب) إلى مجلته المصورة، وعاد (دراكو) ليستلقى على كرسيه ورأسه على حجر (بانسى باركنسون). استلقى (هارى) منكمشًا تحت العباءة وهو غير مطمئن إلى أن العباءة تغطى كل بوصة من جسمه، وأخذ يراقب (بانسى) وهى تمسح على شعر (دراكو) الأشقر الناعم على جبهته، وتبتسم بتكلف بينما تفعل ذلك، وكان شخصًا آخر يتمنى أن يكون فى مكانها. وكان مصباح الإضاءة المتأرجح من سقف المقصورة يشع بضوء قوى على المشهد، فكان بإمكان (هارى) رؤية كل كلمة من مجلة (كراجلى) مباشرة من تحته.

قال (دراكو): «إذن يا (زابينى)، ما الذى أراده (سلجهورن)؟».

قال (زابيني) وهو مازال يحملق إلى (جويل): «يحاول أن يشكل مجموعة من الطلاب الذين لهم علاقات بذوى النفوذ، ولكنه لم يجد الكثير منهم على ما يبدو!».

وعلى ما يبدو لم تعجب هذه المعلومة (دراكو).

فسأله: «مَن أيضًا تمت دعوته؟».

قال (زابيني): «(ماكلاجين) من (جريفندور)».

قال (دراكو): «آه، أجل، عمه موظف كبير فى الوزارة».

(زابيني): «وشخص آخر يدعى (بيلباى) من (رافينكلو)».

قالت (بانسى): «ليس هو، إنه ثرثار!».

أنهى (زابيني) كلامه قائلاً: «و(لونجبوتم) و(بوتر) وابنة (ويسلى) هذه».

اعتدل (دراكو) جالسًا فجأة مبعدًا يد (بانسى) عنه.

(دراكو): «دعا (لونجبوتم)».

قال (زابيني) بلا مبالاة: «حسنًا، أفترض هذا، بما أن (لونجبوتم) كان هناك».

(دراكو): «ما الذى يثير اهتمام (سلجهورن) لدى (لونجبوتم)؟».

هز (زابيني) كتفيه.

قال (دراكو) ساخرًا: «(بوتر)، (بوتر) العزيز، من الواضح أنه أراد أن يلقى نظرة على (المختار) ولكن تلك الفتاة من آل (ويسلى)! ما الذى يميزها؟».

قالت (بانسى) وهى تراقب (دراكو) بطرف عينها لترى رد فعله: «الكثير من الأولاد يعجبون بها، حتى أنت تعتقد أنها جميلة يا (بليز) أليس كذلك؟ ونحن جميعًا نعلم أنك صعب الإرضاء!».

قال (زابيني) ببرود: «لا يمكن أن ألمس فتاة خائنة للدم صغيرة قذرة مثلها مهما كان مظهرها». وبدت (بانسى) سعيدة، وأعاد (دراكو) رأسه إلى حجرها وسمح لها أن تستأنف المسح على شعره.

(دراكو): «حسنًا، ذوق (سلجهورن) أصبح يدعو للرثاء، ربما بدأ يخرف قليلاً، عار عليه! لقد كان أبى دائمًا يقول لى إنه كان ساحرًا جيدًا فى أيامه. وكان أبى من المفضلين لديه. ربما لم يعرف (سلجهورن) أننى فى القطار، أو...».

قال (زابينى): «لو كنت مكانك ما انتظرت دعوته، فقد سألنى عن والد (نوت) فور وصولى، فقد كانا صديقيْن مقربيْن فيما مضى على ما يبدو، ولكن عندما سمع بالقبض عليه فى الوزارة لم يبدُ سعيدًا، ولم يحصل (نوت) على دعوة، أليس كذلك؟ لا أعتقد أن (سلجهورن) مهتم بـ(آكلى الموت)».

ظهر الغضب على (دراكو) ولكنه ضحك ضحكة متكلفة خالية من المرح.

وقال: «حسنًا، ومن الذى يهمه ذلك؟ من هو على أية حال؟ مجرد مدرس غبى»، ثم تثاءب (دراكو) وهو يتفاخر.

وقال: «أعنى، ربما لا أكون فى (هوجوورتس) حتى العام القادم، ما الذى يهمنى إن أحبنى رجل عجوز سمين أم لا؟».

قالت (بانسى) باستياء وقد توقفت عن المسح على شعره فورًا: «ما الذى تعنيه بأنك قد لا تكون فى (هوجوورتس) العام القادم؟».

قال (دراكو) وقد تراقص على شفتيه طيف ابتسامة متكلفة: «حسنًا، لا تعرف أبدًا ما قد يحدث، ربما أكون قد انتقلت إلى أشياء أكبر وأفضل».

تسارعت ضربات قلب (هارى) وهو رابض فوق حامل الأمتعة: ما الذى سيقوله (رون) و(هرميون) عن هذا؟

نظر (كراب) و(جويل) ببلاهة إلى (دراكو)، وكان من الواضح أنهم ليس لديهم أى معرفة حتى ولو كانت طفيفة بأى خطط للانتقال إلى أشياء أكبر وأفضل، حتى (زابينى) سمح لنظرة فضول بأن تفسد ملامحه المزهوة. واستأنفت (بانسى) المسح البطىء على شعر (دراكو) وهى تبدو مذهولة.

«هل تعنيه... هو؟».

هز (دراكو) كتفيه.

وقال: «أمى تريدنى أن أكمل تعليمى، ولكننى شخصيًّا لا أرى أن التعليم مهم فى هذه الأيام، أعنى، فكروا فى الأمر... عندما يتولى سيد الظلام زمام الأمور، فهل سيهتم بعدد مواد امتحانات السحر العامة أو حتى امتحانات السحر العليا التى نجح فيها أى شخص؟ بالطبع لن يهتم... سيكون اهتمامه منصبًا على نوع الخدمة التى أديت إليه ومستوى التفانى الذى أظهره الشخص فيها».

سأله (زابينى) بقسوة: «وأنت تعتقد أنه سيكون بإمكانك أن تفعل شيئًا له.. هذا مع أنك مازلت فى السادسة عشرة ولست مؤهلاً تمامًا بعد؟».

قال (دراكو) بهدوء: «ألم تسمع ما قلته قبل قليل؟ ربما لا يهم إن كنت مؤهلاً أو لا.. ربما أن الوظيفة التى يريدنى أن أقوم بها ليست شيئًا يحتاج إلى أن تكون مؤهلاً له».

كان (كراب) و(جويل) جالسيْن وقد فغر كلاهما فاه، بينما كانت (بانسى) تحدق إلى (دراكو) كأنها لم تر فى حياتها قطُّ شيئًا مهيبًا إلى هذا الحد.

قال (دراكو): «أستطيع أن أرى (هوجوورتس)، من الأفضل أن نرتدى زينا المدرسى».

كان من الواضح أنه يتلذذ بالتأثير الذى أحدثه وهو يشير إلى خارج النافذة السوداء.

كان (هارى) مشغولاً بالتحديق إلى (دراكو)، فلم يلاحظ (جويل) وهو يحاول الوصول إلى حقيبته، وبينما يُؤرجحها مُنزلاً إياها خبطت (هارى) بشدة على جانب رأسه فأفلتت منه آهة ألم غير إرادية، ورفع (دراكو) بصره إلى حامل الأمتعة وقد تجهم وجهه.

لم يكن (هارى) خائفًا من (دراكو)، ولكنه مع ذلك لم تعجبه فكرة أن يتم اكتشافه وهو مختبئ تحت عباءة الإخفاء وبواسطة مجموعة من طلاب

بيت (سليذرين) غير الودودين وكانت عيناه لا تزالان تدمعان ورأسه مازال ينبض بالألم، ولكنه سحب عصاه بحذر حتى لا يحرك العباءة، وانتظر وكتم نفسه. ولكن يبدو أن (دراكو) قد قرر أنه تخيل الضجة مما أراح (هاري)، ولبس زى المدرسة مثل الآخرين، وأغلق حقيبته. وبينما أبطأ القطار سرعته، أخذ (دراكو) يزرر عباءة سفر ثقيلة جديدة حول عنقه.

كان بمقدور (هاري) رؤية الممرات وقد امتلأت بالطلاب مرة أخرى، وتمنى أن يأخذ (رون) و(هرميون) أشياءهما معهما إلى الرصيف بالخارج لأجله؛ فقد كان لا يستطيع التحرك من مكانه حتى يخرج جميع من فى المقصورة.

وأخيرًا، استقر القطار واقفًا بعد أن تمايل ميلة أخيرة. ففتح (جويل) الباب وأخذ يشق طريقه بين طلاب السنة الثانية وهو يلكمهم ويدفعهم جانبًا و(كراب) و(زابيني) يتبعانه.

قال (دراكو) لـ(بانسى) التى كانت تنتظره ويدها ممدودة إلى الخارج وكأنها تتمنى أن يمسك بها: «اذهبى أنتِ، أريد أن أتأكد من شيءفقط».

ذهبت (بانسى) وأصبح (هاري) و(دراكو) وحدهما فى المقصورة الآن، كان الطلاب يتدافعون وهم ينزلون إلى الرصيف المظلم. تحرك (دراكو) إلى باب المقصورة وأسدل الستائر؛ حتى لا ينظر الناس الذين فى الممرات خلفها من خلالها، ثم انحنى على حقيبته وفتحها مرة أخرى.

نظر (هاري) إلى أسفل من فوق حامل الأمتعة وقد تسارعت ضربات قلبه قليلاً: ما الذى أراد (دراكو) أن يخفيه عن (بانسى)؟ هل هو على وشك رؤية الشيء المكسور الغامض الذى كان من المهم إصلاحه؟

«بتريفيكوس توتالوس!»

وفجأة، أشار (دراكو) إلى (هاري) بعصاه فأصابه بالشلل فورًا. وكما يحدث عندما تبطئ الكاميرا الحركة، سقط (هاري) من فوق حامل الأمتعة

إلى الأرض عند أقدام (دراكو) وهو يتألم بشدة من الارتطام الذى هز الأرضية واشتبكت عباءة الإخفاء أسفل جسمه، فانكشف جسمه بالكامل بينما رِجلاه لا تزالان ملتفتيْن على نحو سخيف فى وضع ركوع متشنج، لم يكن يستطيع تحريك أى عضلة من عضلات جسمه. لم يكن ليستطيع شيئًا سوى التحديق إلى (دراكو) الذى انفرجت أساريره بالابتسام.

قال (دراكو) وهو مبتهج: «هذا ما اعتقدته، لقد سمعت حقيبة (جويل) وهى تصطدم بك، واعتقدت أننى رأيت شيئًا أبيض يلمع فى الهواء عندما عاد (زابينى)...»، وتعلقت عيناه للحظة بحذاء (هارى) الرياضى ثم أكمل: «لقد كنت أنت من يعترض الباب عندما عاد (زابينى) إلى الداخل على ما أعتقد!».

تأمل (دراكو) (هارى) للحظة، ثم قال: «إنك لم تسمع شيئًا أقلق بشأنه يا (بوتر). ولكن بما أنك هنا...».

وسحق وجه (هارى) بحذائه بقوة، وشعر (هارى) بأن أنفه قد انكسر، وتدفق الدم فى كل مكان.

«هذا لأجل أبى والآن، فلنر...».

فسحب (دراكو) العباءة من تحت جسم (هارى) المجمد فى مكانه ورماها فوقه.

وقال (دراكو) بهدوء: «لا أعتقد أنهم سيجدونك قبل أن يعود القطار مجددًا إلى لندن، إلى اللقاء يا (بوتر)... أو ربما لا».

غادر (مالفوى) المقصورة، وهو يلمس أصابع (هارى).

■ ■ ■

٨ انتصار سناب

لم يكن (هارى) يستطيع تحريك أى عضلة من عضلاته، وكان مستلقيًا هناك تحت عباءة الإخفاء وهو يشعر بالدم يتدفق من أنفه ساخنًا ورطبًا فوق وجهه، يستمع إلى الأصوات والخطوات فى الممر خارج المقصورة. وكان أول ما فكر فيه أن أحدًا سوف يفحص المقصورات قبل أن يغادر القطار مرة أخرى بالتأكيد، ولكنه أدرك على الفور شيئًا قبض صدره؛ وهو أنه حتى لو نظر أى شخص داخل المقصورة، فلن يستطيع أن يراه أو يسمعه. وكان أفضل ما يتمناه هو أن يدخل أى أحد إلى المقصورة ماشيًا ويدوس فوقه.

لم يكره (هارى) (دراكو مالفوى) فى حياته قطُّ كما كرهه وهو مستلقٍ مثل سلحفاة سخيفة ملقاة على ظهرها، بينما يقطر الدم إلى فمه المفتوح بطريقة مثيرة للاشمئزاز. يا له من وضع سخيف وضع فيه نفسه! والآن، أخذت الخطوات القليلة الباقية تبتعد وأصواتها تتلاشى، كان الجميع يجرون خطاهم على الرصيف المظلم بالخارج، وكان يستطيع أن يسمع صوت احتكاك الحقائب بالأرض وأصوات الهمهمة العالية للحديث.

سيعتقد (رون) و(هرميون) أنه نزل من القطار بدونهما، وعندما يصلان إلى (هوجوورتس) ويأخذان أماكنهما فى البهو العظيم سينظران إلى أعلى وأسفل مائدة (جريفندور) عدة مرات؛ بحثًا عنه قبل أن يدركا أخيرًا أنه ليس هناك، بينما سيكون هو، بلا شك، فى منتصف طريقه عائدًا إلى لندن.

حاول (هارى) أن يصدر أى صوت حتى ولو كان صوت همهمة ولكن كان هذا مستحيلاً، ثم تذكر أن بعض السحرة مثل (دمبلدور) يستطيعون تأدية تعاويذ دون أن يتكلموا، فحاول أن يستدعى عصاه التى سقطت من يده، عن طريق تكرار كلمات «احضرى أيتها العصا»، مرة بعد مرة فى عقله، ولكنَّ شيئًا لم يحدث.

اعتقد أنه يستطيع أن يسمع حفيف الأشجار التى تحيط بالبحيرة، وصوت صياح بومة قادمًا من بعيد، لكنه لم يسمع أى إشارة تنم عن أنهم يبحثون عنه أو حتى أصواتًا مذعورة تتساءل أين ذهب (هارى بوتر).. احتقر نفسه قليلاً؛ لأنه تمنى ذلك. وتملَّكه اليأس عندما تخيل قافلة العربات التى تجرها (الثيسترال) وهى تمضى فى طريقها إلى المدرسة، بينما يعلو صوت دحرجة العجلات على الطريق وصيحات الضحك المكتومة التى تتصاعد من العربة التى يركبها (دراكو) الذى سيروى قصة هجومه على (هارى) لزملائه من منزل (سليذرين).

اهتز القطار، فتدحرج (هارى) حتى استقر على جنبه، كان الآن يحدق إلى الجانب السفلى المترب للمقاعد بدلاً من السقف، وبدأت الأرضية تهتز عندما هدر موتور القطار ليبدأ العمل.

كان القطار السريع مغادرًا ولا أحد يعلم أنه مازال على متنه.. وحينئذ، شعر بعباءة الإخفاء ترفع عنه وصوت فوق رأسه يقول: «مرحبا يا (هارى)».

ثم ومض ضوء أحمر وانتهى تجميد (هارى) وأصبح بإمكانه أن يدفع جسده إلى وضع جلوس أكثر وقارًا مما كان عليه.

وبسرعة مسح الدم بمؤخرة يده من على وجهه الذى تغطيه الكدمات ورفع وجهه لينظر إلى (تونكس) التى كانت تحمل عباءة الإخفاء التى سحبتها من عليه منذ لحظة.

كانت نوافذ القطار قد أصبحت محجوبة بسبب البخار، وعندما بدأ القطار يتحرك خارجًا من المحطة قالت (تونكس): «من الأفضل أن نخرج من هنا، بسرعة، هيا بنا، سنقفز».

أسرع (هارى) خلفها إلى الممر، وشدت (تونكس) باب القطار لتفتحه، ثم وثبت إلى الرصيف الذى بدا كأنه ينزلق تحتهم بعد أن بدأ القطار يسرع، وتبعها (هارى) مترنحًا قليلاً عند هبوطه إلى الرصيف، ثم اعتدل واقفًا فى الوقت المناسب ليرى وميض البخار ذا اللون القرمزى للقطار الذى رفع سرعته وهو يختفى عن مجال نظرهم خلف المنعطف.

كان هواء الليل البارد يخفف من وجع أنفه النابض بالألم، وكانت (تونكس) تنظر إليه؛ فشعر بالغضب والإحراج من اكتشافه فى مثل هذا الوضع السخيف. سلمته (تونكس) عباءة الإخفاء دون أن تتكلم، وقالت: «من الذى فعل بك هذا؟».

قال (هارى) بمرارة: «(دراكو مالفوى)، شكرًا على... حسنًا...».

قالت (تونكس) دون أن تبتسم: «ليست هناك مشكلة» وكان بإمكان (هارى) أن يرى - رغم الظلمة - أن لون شعرها مازال «فِيرانيًا»، وأنها مازالت تبدو بائسة مثلما كانت عندما رآها فى الجحر.. أضافت (تونكس): «يمكننى أن أصلح أنفك إذا وقفت ثابتًا» ولم تعجب (هارى) الفكرة كثيرًا؛ فقد كان ينوى زيارة مدام (بومفرى) التى يثق بها أكثر عندما يتعلق الأمر بتعاويذ العلاج، ولكن كان من سوء الأدب أن يقول هذا؛ لذلك ظل واقفًا بلا حراك وأغلق عينيه.

قالت (تونكس): «إبيسكى».

شعر (هارى) بسخونة شديدة فى أنفه تحولت إلى برودة شديدة، ثم رفع يده وأخذ يتحسس أنفه بحذر، وشعر أنه قد أصلح.

قال (هارى): «أشكرك كثيرًا!».

قالت (تونكس) وهى لاتزال غير مبتسمة: «من الأفضل أن تضع العباءة مرة أخرى ويمكننا أن نمشى إلى المدرسة». وبينما كان (هارى) يؤرجح العباءة راميًا إياها فوقه، أشارت هى بعصاها، فخرج منها مخلوق فضى ضخم له أربعة قوائم ثم اختفى وسط الظلام.

سأل (هارى): «هل كان هذا (باتروناس)؟» كان (هارى) قد رأى (دمبلدور) وهو يرسل رسائل مثل هذه من قبل.

ردت (تونكس): «نعم، لقد أرسلت رسالة إلى القلعة أخبرهم فيها أنك معى؛ حتى لا يقلقوا، هيا، من الأفضل ألا نضيع الوقت سُدَى».

ومضوا فى اتجاه الممر الضيق المفضى إلى المدرسة.

(هارى): «كيف عثرت علىَّ؟».

(تونكس): «لقد لاحظت أنك لم تغادر القطار، وكنت أعرف أن بحوزتك تلك العباءة؛ فاعتقدت أنك قد تكون مختبئًا لسبب ما، وعندما رأيت الستائر مغلقة بتلك المقصورة، فكرت أن أفحصها».

سأل (هارى): «ولكن ما الذى تفعلينه هنا على أية حال؟».

قالت (تونكس): «أنا مرابطة فى (هوجسميد)؛ لأعطى المدرسة حماية زائدة».

(هارى): «هل أنت وحدكِ المرابطة هنا، أو...؟».

(تونكس): «لا، (برودفوت)، و(سافاج)، و(دوليش) معى هنا أيضًا».

(هارى): «(دوليش) ذلك الساحر الذى هاجمه (دمبلدور) العام الماضى؟».

(تونكس): «هذا صحيح».

مشوا لمدة طويلة فى الظلام حتى تركوا الممر وتتبعوا الآثار الحديثة لعجلات العربات. نظر (هارى) بطرف عينه إلى (تونكس) من تحت عباءة الإخفاء، وفكر فى أنها كانت، العام الماضى، فضولية جدًا لدرجة تسبب الإزعاج فى بعض الأحيان، وكانت تضحك بسهولة وتلقى الدعابات، ولكنها الآن تبدو أكبر سنًا وأكثر جدية وتصميمًا. هل كان هذا كله من

تأثير ما حدث فى الوزارة؟ وتذكر بضيق أن (هرميون) كانت تقترح أن يقول شيئًا ليواسيها بخصوص (سيريوس)، وأنه لم يكن خطأها بالمرة، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك، لم يكن يلومها على موت (سيريوس)؛ لم يكن خطؤها أكثر من أى شخص آخر و(أقل من خطئه هو نفسه بالتأكيد)، ولكنه لا يحب أن يتكلم عن (سيريوس) إذا كان يستطيع تفادى ذلك، وهكذا أخذا يمشيان خلال الليل البارد وهما صامتان، بينما كانت عباءة (تونكس) الطويلة تصدر حفيفًا على الأرض خلفها. لم يشعر (هارى) قطُّ كم هى بعيدة (هوجوورتس) عن محطة (هوجسميد)؛ لأنه كان دائمًا يذهب إليها بالعربة؛ ولذلك فقد شعر بارتياح عظيم عندما رأى ـ أخيرًا ـ الأعمدة الطويلة على كلا جانبى البوابات التى يعلوها خنازير مجنحة.

كان يشعر بالبرد والجوع وكان راغبًا إلى حد كبير فى ترك (تونكس) الجديدة المتجهمة وراءه، ولكن عندما حاول دفع البوابات بيده وجدها مغلقة بالسلاسل.

قال بثقة وهو يشير بعصاه إلى القفل: «ألو هومورا»، ولكن لم يحدث شىء.

قالت (تونكس): «لن يجدى هذا نفعًا، فقد سحرها (دمبلدور) بنفسه».

نظر (هارى) حوله.

ثم اقترح: «يمكننى أن أتسلق الجدار».

قالت (تونكس) بحزم: «لا، لا يمكنك هذا، فتعاويذ منع المتطفلين موجودة عليها جميعًا، فقد تم تشديد الإجراءات الأمنية أكثر بمائة مرة، خلال هذا الصيف».

قال (هارى) وقد بدأ يشعر بالضيق من عدم محاولتها مساعدته: «حسنًا إذن، أفترض أن كل ما يمكننى فعله هو النوم هنا والانتظار حتى الصباح».

قالت (تونكس): «هناك شخص قادم لأجلك، انظر».

كان هناك مصباح يتمايل عند قاعدة القلعة البعيدة. وكان (هارى) سعيدًا لرؤيته، حتى إنه شعر أن بإمكانه تحمل صوت (فيلتش) المتحشرج وهو ينتقده على تأخره وحديثه الصاخب عن أنه ما كان ليواظب على المحافظة على مواعيده إذا ما تعرض بانتظام لقراصة الإبهام.

وعندما أصبح الضوء الأصفر المتوهج على بعد عشرة أقدام منهما، سحب (هارى) عباءة الإخفاء؛ حتى يراه الشخص القادم، تعرف (هارى) على الأنف المعقوف والشعر الدهنى الأسود الطويل لـ(سيفيروس سناب)؛ مما جعل الكراهية الخالصة تتدفق إلى مشاعره.

قال (سناب) بتهكم: «رائع، رائع، رائع»، ثم أخرج عصاه وضرب بها القُفل مرة واحدة فانسلت السلاسل إلى الخلف، وفتحت البوابات مُصدرةً صوت صرير عاليًا، وأضاف: «شىء جميل منك يا (بوتر) أن تأتى على الرغم من أنك على ما يبدو قد قررت أن ارتداءك زى المدرسة سوف يحط من قدرك».

قال (هارى): «لم أستطع تغيير ملابسى؛ لأن...» ولكن (سناب) قاطعه قائلاً: «ليس هناك داعٍ للانتظار يا (نيمفادورا)، فـ(بوتر) بالفعل - آه - بين أيد أمينة».

قالت (تونكس) وقد عبست: «لقد أرسلت الرسالة إلى (هاجريد)».

قال (سناب) وهو يفسح لـ(هارى) ليسمح له بالمرور: «لقد تأخر (هاجريد) عن مأدبة بداية العام الدراسى مثل (بوتر)؛ لذلك فقد تسلمتها بدلاً منه.. بالمناسبة، لقد أدهشنى رؤية (الباتروناس) الجديد الخاص بك».

وأغلق البوابات فى وجهها بصوت قعقعة عالٍ؛ ثم طرق على السلاسل بعصاه مرة أخرى، فانزلقت متماسكة عائدة إلى مكانها.

قال (سناب) بخبث واضح: «أعتقد أنك كنت فى حال أفضل مع السابق يا (نيمفادورا)؛ لأن الجديد يبدو ضعيفًا».

وبينما كان (سناب) يؤرجح المصباح أمامه، رأى (هارى) فى لمحة سريعة نظرة الصدمة والغضب على وجه (تونكس)، ثم اختفت فى الظلام مرة أخرى.

قال (هارى) من فوق كتفه: «تصبحين على خير، شكرًا على كل شيء».

وبدأ يمشى صاعدًا مع (سناب) إلى المدرسة.

(تونكس): «أراكَ قريبًا يا (هارى)».

بقى (سناب) صامتًا لدقيقة أو نحوها، وشعر (هارى) كأن جسمه يولد موجات قوية جدًّا من الكُره، حتى بدا من الغريب أن (سناب) لا يشعر بها تحرقه، لقد كره (سناب) من أول لقاء بينهما، ولكن (سناب) وضع نفسه إلى الأبد ونهائيًا بعيدًا عن أى إمكانية لأن يغفر له (هارى) بسبب موقفه تجاه (سيريوس).

ومهما كان ما يقوله (دمبلدور)، كان لدى (هارى) وقت كاف ليفكر خلال الصيف، وقد توصل إلى أن ملاحظات (سناب) الخبيثة إلى (سيريوس) بخصوص بقائه مختفيًا بأمان، بينما باقى أعضاء جماعة العنقاء يحاربون (فولدمورت) ـ ربما كانت عاملاً قويًا فى إسراع (سيريوس) إلى الوزارة تلك الليلة التى قتل فيها، وقد تعلق (هارى) بهذه الفكرة؛ لأنها أعطته الفرصة لأن يلوم (سناب) مما أشعره بالرضا، وكذلك لأنه كان يعلم أنه إذا كان هناك أى شخص ليس حزينًا على موت (سيريوس)، سيكون هذا الشخص الذى يخطو بجواره فى الظلام.

قال (سناب): «سأخصم ٥٠ نقطة من (جريفندور) بسبب التأخير، كما أعتقد، ودعنى أرَ ٢٠ نقطة أخرى لملابس العامَّة التى ترتديها. أتعرف؟ لا أعتقد أن أى منزل حصل على مثل هذه الدرجات السلبية فى وقت مبكر هكذا من العام الدراسى أبدًا ـ فنحن حتى لم نبدأ تناول الحلوى، ربما تكون قد سجلت رقمًا قياسيًا يا (بوتر)».

كانت الرغبة فى الانتقام، والكراهية التى تغلى داخل (هارى) قد احتدمت بشدة لدرجة أنه فكر فى أنه يفضل أن يبقى متجمدًا طوال الطريق عائدًا إلى لندن عن أن يقول لـ(سناب) سبب تأخره.

واستأنف (سناب) حديثه: «أفترض أنك أردت أن تلفت الأنظار إليك كالمعتاد، أليس كذلك؟ وبما أن السيارة الطائرة ليست متاحة، قررت أن اندفاعك إلى داخل البهو العظيم فى منتصف الوليمة سوف يحقق الأثر المسرحى المطلوب».

لم ينطق (هارى) بحرف، رغم أنه شعر أن صدره على وشك الانفجار، وأدرك أن (سناب) ما حضر إلا لهذا، لكى يستغل تلك الدقائق فى تأنيب (هارى) وتعذيبه دون أن يسمعه أحد.

وصلوا إلى سلالم القلعة أخيرًا، وعندما انفتحت الأبواب البلوطية الكبيرة على بهو الدخول الفسيح المرصوف، استقبلتهم أصوات الضحكات وجلجلة أصوات الأطباق والكئوس من باب البهو العظيم المفتوح. تساءل (هارى) إذا كان بإمكانه أن ينسل تحت عباءة الإخفاء مرة أخرى، وبهذه الطريقة يصل إلى مقعده على مائدة (جريفندور) ـ التى كانت لسوء حظه الأبعد عن الباب ـ بدون أن يلاحظه أحد.

ولكن (سناب) قال وكأنه قرأ ما دار بخلده: «لا، لن تستخدم العباءة، يمكنك أن تمشى إلى هناك؛ لكى يراك الجميع، أنا متأكد من أن هذا ما أردته».

استدار (هارى) فى مكانه ومشى مباشرة عبر الأبواب المفتوحة، كان يريد أن يفعل أى شىء حتى يبتعد عن (سناب). كان البهو العظيم به موائد المنازل الأربعة الطويلة كالمعتاد، ومزينًا بمئات الشموع الطائرة التى كانت تلقى أضواءها على الأطباق فتجعلها تشع وتتلألأ تحتها.

بالنسبة لـ(هارى)، كان كل هذا يبدو مثل غشاوة ضبابية متألقة، ولكنه مشى بسرعة جدًا حتى إنه عبر أمام مائدة (هافلباف) قبل أن يبدأ

الناس فى التحديق إليه، وعندما بدءوا يقفون لينظروا إليه جيدًا، كان قد حدد مكان (رون) و(هرميون) وأسرع بطول المقاعد فى اتجاههما، ثم أفسح لنفسه مكانًا وجلس بينهما.

قال (رون): «أين كنت؟ وما هذا؟ وما الذى فعلته بوجهك؟» وكان يحملق إليه ومعه كل شخص آخر فى الجوار.

قال (هارى): «لماذا؟ ما خطب وجهى؟»، ثم سحب ملعقة ونظر إلى انعكاس وجهه المعوج.

قالت (هرميون): «أنت مغطى بالدم! تعالَ إلى هنا» ورفعت عصاها وقالت: «تيرجيو!» فاختفى أثر الدم الجاف من وجهه.

قال (هارى): «شكرًا»، وأخذ يتحسس وجهه الجديد النظيف وهو يسأل: «كيف يبدو أنفى؟».

قالت (هرميون) بقلق: «طبيعى، ولكن ما سبب قلقك بشأنها يا (هارى)؟ ما الذى حدث؟ لقد كنا مرعوبين!».

قال (هارى) باقتضاب: «سأخبركم لاحقًا»؛ فقد كان مدركًا أن (جينى) و(نيفيل) و(دين) و(سيموس) يستمعون إليهم، وحتى (نيك شبه مقطوع الرأس) شبح (جريفندور) أتى طائرًا عبر المقعد ليسترق السمع.

قالت (هرميون): «ولكن...».

قال (هارى) بصوت يوحى بالغموض: «ليس الآن يا (هرميون)» تمنى هارى بشدة لو أنهم جميعًا يفترضون أنه كان متورطًا فى شىء بطولى، ومن الأفضل أن يكون عددًا من (آكلى الموت) أو أحد (الدمينتورات).

بالطبع، سوف ينشر (دراكو مالفوى) القصة إلى أقصى وأبعد الحدود التى يمكنه أن يصل إليها، ولكن هناك دائمًا فرصة ألا تصل إلى آذان العديد من طلاب منزل (جريفندور).

تناول من أمام (رون) اثنتين من أفخاذ الدجاج وحفنة من رقائق البطاطس، ولكن قبل أن يبدأ بأكلها اختفت واستبدلوا الحلوى بها.

قالت (هرميون): «على أية حال، لقد فاتتك مراسم التصنيف»، بينما انقضَّ (رون) على قطعة جاتوه كبيرة مغطاة بالشيكولاتة.

سأل (هارى): «هل قالت القبعة شيئًا مهمًّا؟»، وأخذ قطعة من الكعك المحشو بالعسل.

ردت (هرميون): «لا جديد فعلاً.. ولكنها نصحتنا جميعًا بأن نتحد فى مواجهة عدونا، كما تعرف».

سأل (هارى): «هل ذكر (دمبلدور) (فولدمورت) بالمرة؟».

أجابته (هرميون): «ليس بعد، عادة ما يؤجل خطبته الأساسية إلى ما بعد الوليمة، أليس كذلك؟ لقد اقترب موعدها الآن».

قال (سناب): «إن (هاجريد) تأخر عن الوليمة».

قال (رون): «هل رأيت (سناب)؟ كيف حدث هذا؟»، ثم أسرع بملء فمه بالجاتوه مرة أخرى.

قال (هارى) متهربًا: «لقد صادفته».

قالت (هرميون): «لقد تأخر (هاجريد) لدقائق قليلة فقط.. انظر يا (هارى)، إنه يلوح لك».

نظر (هارى) إلى أعلى مائدة هيئة التدريس وابتسم لـ(هاجريد) الذى كان بالفعل يلوح له، لم يستطع (هاجريد) قطُّ أن يعوِّد نفسه على الانسجام مع وقار الأستاذة (ماكجونجال)؛ رئيسة منزل (جريفندور) التى كانت قمة رأسها تصل إلى مكان ما بين كوع (هاجريد) وكتفه، بينما كانا جالسيْن جنبًا إلى جنب، والتى كانت تنظر باستهجان إلى التحية الحماسية.

كان (هارى) قد فوجئ عند رؤيته مدرسة التنجيم الأستاذة (تريلاونى) جالسةً على الجانب الآخر من (هاجريد)، فقد كانت قليلاً ما تغادر غرفتها فى البرج، وهو لم يرها تحضر وليمة فى بداية العام الدراسى من قبل، وكانت تبدو غريبة الشكل كالمعتاد وهى تتألق بسبب

العقود الكثيرة وشالها المتدلى وكانت عيناها تبدوان ضخمتين إلى حد كبير من خلف نظارتها المكبرة.

ولأن (هارى) كان دائمًا يعتقد أنها مخادعة، إلى حد ما، فقد صُدم عندما اكتشف فى نهاية العام الماضى أنها هى التى تنبأت بالنبوءة التى جعلت (فولدمورت) يقتل والدى (هارى) ويهاجمه هو نفسه؛ وقد جعلته هذه المعرفة أقل رغبة فى أن يلتقى بها؛ لذلك فقد كان سعيدًا أنه لن يدرس مادة التنجيم هذا العام.

كانت عيناها الكبيرتان اللامعتان موجهتين فى اتجاهه، فأبعد نظره بسرعة فى اتجاه مائدة (سليذرين). كان (دراكو مالفوى) يقلد تحطيم أنف، وقد تعالت حوله الضحكات المبحوحة وصيحات التشجيع. فأخذ (هارى) يحدق إلى قطعة الحلوى التى أمامه بينما كان داخله يحترق مرة أخرى. إنه مستعد للتضحية بأى شىء فى سبيل فرصة للمبارزة أمام (دراكو)، واحدًا أمام واحد...

سألت (هرميون): «إذن، ما الذى أراده الأستاذ (سلجهورن)؟».

قال (هارى): «أن يعرف ما الذى حدث حقيقة داخل الوزارة».

نفخت (هرميون) وقالت: «هو وكل شخص آخر هنا، كان الناس يستجوبوننا عن هذا فى القطار، أليس كذلك يا (رون)؟».

قال (رون): «بلى، كلهم كانوا يريدون أن يعرفوا إن كنت فعلاً المختار...».

قاطعهم (نيك شبه مقطوع الرأس) وهو يميل برأسه الذى كان بالكاد ملتصقًا بجسمه فى اتجاه (هارى) حتى إنه ترنح على نحو خطر فوق عنقه: «كان هناك الكثير من الكلام حول هذا الموضوع بالذات، حتى بين الأشباح» وأضاف: «إنهم يعتبروننى خبيرًا بأحوال (بوتر) نوعًا ما، فمن المعروف ـ على نحو واسع ـ أننا أصدقاء وقد طمأنت مجتمع الأرواح أننى لن أثقل عليك لأحصل على المعلومات، ولكن مع ذلك فإن

(هـارى بوتر) يعرف أنه يمكنه أن يأتمنِّى على كل أسراره وأن يودعنى ثقته كاملة، وقد قلت لهم إننى أفضل الموت على خيانة ثقته بى».

قال (رون): «إن هذا لا يعنى شيئًا بالنظر إلى أنك ميت بالفعل».

قال (نيك شبه مقطوع الرأس) وهو يشعر بالإهانة: «إنك تظهر قدرًا كبيرًا من الحساسية نحو تلك الفأس ذات النصل غير الحاد مرة أخرى».

ثم صعد إلى الهواء وانزلق عائدًا فى اتجاه النهاية البعيدة لمائدة (جريفندور) فى نفس اللحظة التى وقف فيها (دمبلدور) عند مائدة هيئة التدريس، فتلاشت الأصوات والضحكات التى كانت تتردد حول البهو، فورا، تقريبا.

قال (دمبلدور) وهو يبتسم ابتسامة عريضة ويداه مفتوحتان على اتساعهما، وكأنه يعانق الغرفة بأسرها: «أفضل مساء لكم جميعًا».

شهقت (هرميون) وقالت: «ما الذى حدث ليده؟».

لم تكن الوحيدة التى لاحظت أن يد (دمبلدور) اليمنى كانت مسودة مثلما كانت فى الليلة التى حضر فيها ليأخذ (هارى) من منزل آل (درسلى). سادت الهمسات الغرفة، ولأن (دمبلدور) فسرها بشكل صحيح، فقد ابتسم فقط واخد يهز أكمامه ذات اللون البنفسجى والذهبى فوق جرحه.

وقال بحيوية: «أمر بسيط لا يدعو للقلق. الآن، مرحبًا بطلابنا الجدد، وأهلا وسهلاً مجددًا بطلابنا القدامى! عام آخر ملىء بالتعليم السحرى فى انتظاركم...».

همس (هارى) إلى (هرميون): «لقد كانت يده على هذا الحال عندما رأيته خلال الصيف، اعتقدت أنه سيكون قد عالجها قبل الآن، أو أن مدام (بومفرى) قد فعلت».

قالت (هرميون) وقد ارتسم على وجهها تعبير مشمئز: «إنها تبدو ميتة، فهناك بعض الجروح التى لا يمكن علاجها مثل اللعنات القديمة، وهناك أنواع من السموم ليس لها ترياق».

(دمبلدور): «... طلب منى السيد (فيلتش) وكيلنا أن أقول لكم إن هناك حظرًا عامًا على كل الخدع والمقالب التى تم شراؤها من متجر (ويسلى ويزرد ويزيس).

الذين يرغبون فى اللعب مع فريق (الكويدتش) الخاص بمنزلهم يجب أن يعطوا أسماءهم إلى رؤساء البيوت كالمعتاد، كما أننا نبحث عن معلق جديد على (الكويدتش)، فمن يرغب يفعل نفس الشيء».

نحن سعداء أن نرحب بعضو جديد فى هيئة التدريس هذا العام. الأستاذ (سلجهورن)». وقف (سلجهورن) وكان رأسه الأصلع يومض فى ضوء الشموع، وكان بطنه الكبير الذى يغطيه صداره يلقى بظلال على المائدة، وأضاف (دمبلدور): «إنه أحد زملائى السابقين وقد وافق على أن يستأنف عمله السابق كمعلم لمادة الوصفات السحرية».

«الوصفات السحرية؟!».

«الوصفات السحرية؟!».

ترددت الكلمة فى جميع أنحاء البهو، بينما كان الناس يتساءلون إن كانوا قد سمعوا جيدًا.

قال (رون) و(هرميون) معًا: «الوصفات؟!»، ثم التفتا ليحدقا إلى (هارى) وقالا: «ولكنك قلت...».

قال (دمبلدور) وقد رفع صوته حتى يعلو على أصوات الهمهمة: «وفى هذه الأثناء سيتولى الأستاذ (سناب) منصب مدرس مادة الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام».

قال (هارى): «لا» وكان صوته عاليًا حتى إن الكثير من الرءوس قد التفتت فى اتجاهه لكنه لم يهتم، واستمر يحدق إلى مائدة التدريس وهو غاضب. كيف يمكن أن يعطى (سناب) وظيفة الدفاع ضد فنون الظلام بعد كل هذا الوقت؟ ألم يكن معروفًا جدًا ولسنوات أن (دمبلدور) لم يكن يثق به ليقوم بها؟

قالت (هرميون): «ولكنك يا (هارى) أخبرتنا أن (سلجهورن) سيقوم بتدريس مادة الدفاع ضد فنون الظلام!».

قال (هارى): «لقد اعتقدت هذا!»، وأخذ يجهد عقله؛ ليتذكر متى قال له (دمبلدور) هذا، ولكن عندما فكر فى الأمر، لم يستطع قطُّ أن يتذكر (دمبلدور) وهو يقول له ما الذى سيدرسه (سلجهورن).

لم يقف (سناب) الذى كان يجلس على يمين (دمبلدور) عندما ذكر اسمه، وكل ما فعله هو رفع يده ليرد على تحية مائدة (سليذرين)، ومع ذلك كان (هارى) مِتأكدًا أن هناك نظرة انتصار قد ارتسمت على الملامح التى يكرهها بشدة.

قال (هارى) بوحشية: «حسنًا، هناك أمر واحد جيد وهو أن (سناب) سوف يذهب بنهاية العام».

سأل (رون): «ما الذى تعنيه؟».

(هارى): «إنها وظيفة ملعونة، لم يستمر أحد بها أكثر من عام.. (كويريل) مات وهو يؤديها.

وأنا شخصيًّا سوف أظل أدعو أملاً فى أن تحدث وفاة أخرى».

قالت (هرميون) بلهجة مؤنبة وهى مصدومة: «(هارى)!».

قال (رون) بعقلانية: «ربما يعود بنهاية العام إلى تدريس مادة الوصفات السحرية مرة أخرى، فقد لا يرغب (سلجهورن) الاستمرار فى التدريس لمدة طويلة. (مودى) لم يفعل».

تنحنح (دمبلدور) فلم يكن (هارى) و(رون) و(هرميون) هم الوحيدين الذين كانوا يتكلمون، كان البهو بأكمله قد امتلأ بأزيز المناقشات عندما سمعوا بخبر فوز (سناب) أخيرًا بأمنية فؤاده. كان (دمبلدور) يبدو غير مدرك للطبيعة الحساسة للأخبار التى أذاعها، فلم يقل أى شىء عن التعيينات الجديدة فى هيئة التدريس، ولكنه انتظر لبضع ثوان؛ حتى يتأكد أن الصمت أصبح مطلقًا، قبل أن يكمل قائلاً: «الآن،

كما يعرف كل من بالبهو، فإن لورد (فولدمورت) وأتباعه عادوا مرة أخرى أحرارًا وقوتهم تزداد يومًا تلو الآخر».

بدأ التوتر والانفعال يسريان وسط جموع الصامتين فى البهو.. وبينما (دمبلدور) يتكلم، نظر (هارى) إلى (دراكو) فوجده لا ينظر إلى (دمبلدور)، ولكن يحرك شوكته بعصاه ويجعلها تحوم فى وسط الهواء وكأنه يجد كلمات الناظر غير جديرة بالاهتمام.

«...لا يمكننى أن أشدد بما يكفى على مدى خطورة الوضع الحالى وكمِّ الحذر الذى يجِب علينا جميعًا فى (هوجوورتس) أن نتوخاه لنضمن البقاء سالمين. التحصينات السحرية للقلعة تمت تقويتها خلال الصيف. ونحن محميون بطرق جديدة وأكثر قوة. ولكن يجب علينا مع ذلك أن نحذر بشدة من الإهمال من طرف الطلاب أو أعضاء هيئة التدريس. أطلب منكم لهذا السبب أن تلتزموا بأى قيود أمنية يفرضها مدرسوكم عليكم مهما كنتم تجدونها مزعجة أو مملّة، وخاصة قاعدة عدم الخروج من الأسرَّة بعد المواعيد المحددة، وأناشدكم إذا ما لاحظتم أى شىء غريب أو مثير للشك داخل أو خارج القلعة أن تسارعوا بإبلاغ أحد أعضاء هيئة التدريس فورًا، أنا واثق من أنكم ستهذبون سلوككم دائمًا مع وضع الأولوية القصوى لسلامتكم وسلامة الآخرين».

مسح (دمبلدور) بعينيه الزرقاوين البهو قبل أن يبتسم مجددًا.

«... والآن، أسرَّتكم بانتظاركم دافئة ومريحة كما تتمنونها، فأنا أعلم أن الراحة على رأس أولوياتكم الآن، حتى تأخذوا ما تحتاجونه منها قبل دروس الغد؛ لذلك فلنقل لكم: تصبحون على خير، بيب بيب!».

دفعت المقاعد إلى الوراء وبدأ المئات من الطلاب يخرجون من البهو العظيم فى اتجاه المهاجع محدِثين الضجة المعتادة التى تصم الآذان. لم يكن (هارى) مستعجلاً بالمرة ليرحل مع الجمع الذى يهمهم؛ ليتفادى الاقتراب من (دراكو مالفوى) حتى لا يسمح له بإعادة قصة

سحق الأنف، فتلكأ وهو يتظاهر بربط حذائه الرياضى ليسمح لمعظم طلاب (جريفندور) بأن يسبقوه، أما (هرميون) فمضت لتقوم بدورها كرائد للفصل لتوصل طلاب السنة الأولى، ولكن (رون) لم يترك (هارى).

قال (رون) بصراحة: «لقد رأيت (دراكو) يقلد شيئًا له علاقة بالأنف».

قال (هارى) بمرارة: «نعم، حسنًا، لا يهمك هذا، استمع إلى ما كان (دراكو) يقوله قبل أن يكتشف أننى هناك».

توقع (هارى) أن يندهش (رون) عندما يسمع ما كان يتفاخر به (دراكو) وهو ما اعتقده (هارى) عنادًا خالصًا، إلا أن (رون) لم يشعر بهذا.

«هيا يا (هارى)، لقد كان يتباهى أمام (باركنسون).. ما نوع المهمة التى يمكن أن يكلفه بها (أنت تعرف من)؟».

«وكيف تعرف إن (فولدمورت) ليس بحاجة لشخص ما فى (هوجوورتس)؟ لن يكون الأول...».

قال صوت مؤنب من خلفهم: «كم أتمنى أن تتوقف عن قول الاسم يا (هارى)»، نظر (هارى) من فوق كتفه ليرى (هاجريد) يهز رأسه.

قال (هارى) بعناد: «(دمبلدور) يستخدم هذا الاسم».

قال (هاجريد) بغموض: «أجل، حسنًا، هذا (دمبلدور)، أليس كذلك؟ ما الذى أخرك يا (هارى) لقد كنت قلقًا عليك».

قال (هارى): «لقد تم احتجازى فى القطار، ولكن ما الذى أخرك أنت؟».

قال (هاجريد) بسعادة: « كنت مع (جراوب) ونسيت الوقت. لقد أصبح لديه بيت جديد فى الجبال الآن، وهو عبارة عن كهف كبير لطيف وقد ساعده (دمبلدور) فى الحصول عليه، وهو أكثر سعادة عما كان فى الغابة. لقد كنا نتحادث».

قال (هارى): «حقًا» وكان يتفادى أن تلتقى عيناه بعين (رون)؛ فقد تقابل (هارى) مع أخى (هاجريد) غير الشقيق من قبل، وهو عملاق

متوحش يستطيع قلع شجرة من جذورها، ويحتوى معجمه على خمس كلمات فقط، اثنتان منها لم يكن يستطيع نطقهما بطريقة صحيحة.

قال (هاجريد) بفخر: «نعم بالطبع، لقد تقدم كثيرًا بالفعل، سوف تذهل من مدى التقدم الذى حققه وأنا أفكر فى تدريبه ليكون مساعدًا لى».

أفلتت ضحكة من (رون) ولكنه عالج الأمر بسرعة بأن حوَّلها إلى عطسة قوية. كانوا الآن يقفون بجوار الباب الأمامى المصنوع من خشب البلوط.

قال (هاجريد): «على أية حال، سأراكم غدًا.. الدرس الأول سيبدأ بعد الغداء مباشرة. فلتأتوا مبكرًا ويمكنكم أن تسلموا على (بيك)...، أقصد (ويذر وينجز)!».

ورفع ذراعه مودعًا إياهم بمرح، ثم خرج من الباب الأمامى واختفى فى الظلام خارجه.

تبادل (هارى) و(رون) النظرات، وعرف (هارى) أن (رون) يمر مثله بنفس الشعور المحرج.

قال (هارى): «إنك لن تأخذ مادة العناية بالمخلوقات السحرية، أليس كذلك؟».

أومأ (رون) برأسه قائلاً: «وأنت أيضًا لن تأخذها، أليس كذلك؟».

أومأ (هارى) برأسه أيضًا.

قال (رون): «و(هرميون) أيضًا؟».

أومأ (هارى) برأسه مرة أخرى، لم يحب (هارى) أن يفكر فى هذا، ولكن ما الذى سيقوله (هاجريد) عندما يعرف أن طلابه الثلاثة المفضلين قد تخلوا عن مادته؟

■ ■ ■

٩ الأمير الهجين

وفى اليوم التالى، التقى (هارى) و(رون) و(هرميون) فى الغرفة العامة قبل الإفطار. وبدأ (هارى) على الفور يحكى لـ(هرميون) ما سمع (دراكو) يقوله فى قطار (هوجوورتس) السريع وهو يأمل أن يكون هذا دعمًا لنظريته.

وقبل أن تنطق (هرميون) بكلمة، اندفع (رون) قائلاً: «ولكن من الواضح أنه كان يتظاهر أمام (باركنسون)، أليس كذلك؟».

قالت (هرميون) بصوت متردد: «لا أعرف.. فشخص كـ(دراكو) يمكن أن يحاول أن يبدو أكثر أهمية من حقيقته.. ولكن أن يحكى مثل هذه الكذبة الكبيرة!».

قال (هارى): «بالضبط» ولكنه لم يستطع أن يؤكد أكثر من ذلك ما قالته (هرميون)؛ لأن كثيرًا من الأشخاص كانوا يحاولون الاستماع للحديث إذا ما أغفل هؤلاء الذين يحدقون إليه، وقد رفعوا أيديهم لتغطية شفاههم وهم يهمسون.

نهر (رون) طالبًا صغيرًا جدًّا من طلاب السنة الأولى قائلاً: «من سوء الأدب الإشارة إلى الناس».. كانوا قد انضموا إلى الطابور الذى يستعد للمغادرة من خلال فتحة اللوحة، فتحول وجه الولد الذى كان يغمغم بشىء عن (هارى)، من وراء يده، فورًا إلى اللون الأحمر القانى، وخرج بسرعة من الفتحة منزعجًا، وضحك (رون) ضحكة مكتومة وقال: «كم أحب كونى من طلاب السنة السادسة، كما أننا سنحصل على أوقات فراغ هذا العام.. فترات يمكننا أن نجلس ونسترخى فيها».

قالت (هرميون) بينما كانوا فى طريقهم للنزول عبر الدهليز: «سنحتاج إلى استخدام هذا الوقت فى المذاكرة يا (رون)!».

قال (رون): «أجل، ولكن ليس اليوم، فاليوم سيكون مخصصًا للاسترخاء كما أعتقد».

قالت (هرميون) وهى ترفع ذراعها أمام أحد طلاب السنة الرابعة المارين لتوقفه: «توقف»؛ حيث وكان يحاول المرور بجوارها وهو يمسك أطباقًا لونها أخضر ليمونى فى إحدى يديه بإحكام، وقالت له بصرامة: «الأطباق الطائرة ذات الأنياب ممنوعة... سلمها لى». سلم الولد - وهو عابس - الطبق الطائر إلى (هرميون) وانحنى ليعبر من أسفل ذراعها، ومضى خلف أصدقائه. انتظر (رون) حتى اختفى الولد، ثم سحب الطبق من قبضة (هرميون).

وقال: «رائع، لقد أردت دائمًا أن أحصل على واحد منها».

ارتفع صوت ضحك عال فحجب احتجاج (هرميون)؛ كان من الواضح أن (لافيندر براون) قد وجدت تعليق (رون) مضحكًا جدًا، واستمرت تضحك وهى تمر بجوارهم وتنظر إلى (رون) من فوق كتفيها، وقد بدا (رون) سعيدًا بنفسه إلى حد ما.

كان سقف البهو العظيم أزرق صافيًا وصحوًا مخططًا بخيوط رفيعة من السحاب الهش فبدا كأنهم يرون السماء من خلال نوافذ مربعة عالية. وبينما كانوا يلتهمون العصيدة مع البيض واللحم المقدد، قام (رون) و(هارى) بإخبار (هرميون) عن المحادثة المحرجة مع (هاجريد) الليلة السابقة.

قالت (هرميون) وهى تبدو حزينة: «ولكن لا يمكنه أن يعتقد فعلاً أننا سنستمر فى دراسة العناية بالمخلوقات السحرية! أعنى متى أظهر أىٌّ منا أىَّ حماس للمادة؟».

قال (رون) وهو يبتلع بيضة مقلية بأكملها: «يبدو هذا، ومع ذلك لقد كنا الوحيدين الذين يبذلون أكبر مجهود فى الحصص؛ لأننا نحب

(هاجريد)، المشكلة أنه يعتقد أننا نحب المادة الغبية، هل تعتقدون أن أى شخص سيدرس هذه المادة فى مستوى دراسات السحر العليا؟».

لم يرد (هارى) و(هرميون)؛ فلم تكن هناك حاجة للرد، فقد كانا يعرفان تمامًا أن لا أحد بعامهم الدراسى يريد أن يستمر فى دراسة العناية بالمخلوقات السحرية وعندما لوح لهم (هاجريد) وهو يغادر مائدة هيئة التدريس بعد عشر دقائق تفادوا النظر إلى عينيه وردوا على تلويحه المرح بحماس فاتر.

وبعد أن أنهوا طعامهم، لم يغادروا أماكنهم وظلوا منتظرين نزول الأستاذة (ماكجونجال) من مائدة هيئة التدريس. فقد كان توزيع جداول الحصص أكثر تعقيدًا عن المعتاد هذا العام؛ لأن الأستاذة (ماكجونجال) كانت تحتاج إلى التأكد من أن كل واحد منهم قد حصل على التقديرات الضرورية فى امتحانات السحر العامة قبل أن يستكملوا دراسة المواد التى يختارونها فى مستوى دراسات السحر العليا.

سمح لـ(هرميون) على الفور بمتابعة دراسة مواد (التعاويذ، الدفاع ضد فنون الظلام، التحويل، علم النباتات، والرياضيات السحرية، الكتابات القديمة، الوصفات السحرية)، ثم غادرت فورًا مسرعة لحضور الحصة الأولى من مادة الكتابات القديمة.

أخذ (نيفيل) وقتًا أطول لتحديد المواد التى سيدرسها، وكان القلق يبدو على وجهه المستدير، بينما كانت الأستاذة (ماكجونجال) تنظر إلى استمارته وتقديراته فى امتحانات السحر العامة.

ثم قالت: «علم النباتات، جيد، ستكون الأستاذة (سبراوت) سعيدة بعودتك بعد أن حصلت على (امتياز) فى امتحانات السحر العامة، ويمكنك متابعة مادة الدفاع ضد فنون الظلام بعد أن حصلت على (تخطى التوقعات) فيها ولكن المشكلة فى مادة التحويل، أنا آسفة يا (لونجبوتم)، ولكن لا يمكنك مواصلة دراستها فى مستوى دراسات

السحر العليا بعد حصولك على (مقبول) فقط. لا أعتقد أنه يمكنك متابعة الأعمال المطلوبة للمادة».

أحنى (نيفيل) رأسه ونظرت إليه الأستاذة (ماكجونجال) من وراء نظارتها المربعة.

وقالت: «لماذا ترغب فى متابعة دراسة مادة التحويل؟ على أية حال، لم أشعر قطُّ أنك تستمتع بها بوجه خاص».

ظهرت التعاسة على وجه (نيفيل) وغمغم: «جدتى تريد...».

نفخت الأستاذة (ماكجونجال): «هوفف، آن الأوان أن تتعلم جدتك كيف تفخر بحفيدها الذى رزقت به بدلاً من الحفيد الذى تعتقد أنها كان يجب أن تحصل عليه، خاصة بعد الذى حدث فى الوزارة».

تحول لون (نيفيل) إلى الوردى وأخذ يطرف بارتباك، فلم يسبق أن امتدحته الأستاذة (ماكجونجال) قطُّ من قبل.

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «أنا آسفة يا (لونجبوتم) ولكن لا أستطيع أن أدعك تلتحق بمادتى فى دراسات السحر العليا.. أرى أنك قد حصلت على (تخطى التوقعات) فى مادة التعاويذ مع ذلك.. فلماذا لا تكمل دراستك لها فى مستوى دراسات السحر العليا إذن؟».

غمغم (نيفيل): «ولكن جدتى تعتقد أن التعاويذ مادة سخيفة».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «خذ التعاويذ وسوف أتصل بـ(أوغستا) لأذكرها بأن مجرد رسوبها فى مادة التعاويذ فى امتحانات السحر العامة لا يعنى بالضرورة أن المادة عديمة الفائدة».

ابتسمت الأستاذة (ماكجونجال) ابتسامة خفيفة عندما رأت نظرة عدم التصديق الممزوج بالسرور على وجه (نيفيل)، ثم دقت على أحد جداول الدراسة الخالية بطرف عصاها وسلمته إلى (نيفيل) وقد بدأ الجدول يمتلئ بتفاصيل حصصه الجديدة.

ثم التفتت الأستاذة (ماكجونجال) إلى (بارفاتى باتيل) التى كان أول سؤال سألته إن كان (فيرنز) القنطور الوسيم ما زال يدرس مادة التنجيم.
قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد ظهر فى صوتها رنة استهجان: «هو والأستاذة (تريلاونى) يقسمان الحصص بينهما هذا العام».
فقد كان معلومًا أنها تحتقر مادة التنجيم، وأضافت: «الأستاذة (تريلاونى) تدرس للسنة السادسة».
بعد خمس دقائق، التحقت (بارفاتى) بمادة التنجيم وقد بدا عليها الاكتئاب قليلاً.
قالت الأستاذة (ماكجونجال) بينما تراجع ملاحظاتها وتنظر إلى (هارى): «إذن يا (بوتر)، ستأخذ التعاويذ والدفاع ضد فنون الظلام وعلم النباتات والتحويل.. جيد، يجب أن أقول إننى كنت سعيدة بدرجاتك فى مادة التحويل يا (بوتر)، سعيدة جدًّا فى الحقيقة، والآن لماذا لم تتقدم لمتابعة مادة الوصفات السحرية؟ كنت أعتقد أن طموحك هو أن تصبح مدافعًا ضد السحر الأسود».
«هذا صحيح ولكنك أخبرتنى أننى يجب أن أحصل على امتياز فى امتحانات السحر العامة يا أستاذة».
«كان هذا الوضع عندما كان الأستاذ (سناب) يدرس المادة، أما الآن فإن الأستاذ (سلجهورن) ليس لديه أى مانع من قبول الحاصلين على (تخطى التوقعات) لمواصلة دراسة مادة الوصفات السحرية فى مستوى دراسات السحر العليا، هل ترغب فى مواصلة دراسة الوصفات السحرية؟».
قال (هارى): «أجل.. ولكنى لم أشترِ الكتب أو المكونات أو أى شىء».
قالت الأستاذة (ماكجونجال): «أنا متأكدة أن الأستاذ (سلجهورن) سيكون قادرًا على إعارتك بعض الأشياء، حسنًا يا (بوتر) ها هو جدولك آه على فكرة، هناك عشرون شخصًا سجلوا أسماءهم من أجل فريق (جريفندور) لـ(الكويدتش). سوف أعطيك القائمة فى الوقت المناسب،

يمكنك أن تحدد مواعيد التجارب أثناء أوقات فراغك».. وبعد دقائق معدودة، تم السماح لـ(رون) بمواصلة نفس المواد التى أخذها (هارى)، وترك كلاهما المائدة معًا.

قال (رون) مبتهجًا وهو يحدق إلى جدوله: «انظر، لدينا وقت فراغ الآن.. ووقت فراغ آخر بعد وقت الراحة.. وبعد الغداء.. رائع!».

ثم عادوا إلى الغرفة العامة التى كانت خالية إلا من نصف دستة من طلبة السنة السابعة، من ضمنهم (كاتى بيل) وهى العضوة الوحيدة الباقية من فريق (الكويدتش) الذى التحق به (هارى) فى عامه الأول.

ونادت على (هارى) وأشارت إلى شارة الكابتن التى على صدره قائلة: «توقعت أنك ستحصل عليها، أحسنت، أخبرنى عندما تبدأ فى التجارب!».

«لا تكونى حمقاء.. أنت لا تحتاجين إلى أى تجارب، لقد شاهدتك وأنت تلعبين طوال خمس سنوات...».

قالت محذرة: «يجب ألاَّ تبدأ بهذه الطريقة، فمن الممكن أن يكون بين المتقدمين من هم أفضل منى بكثير، فقد تم تخريب الكثير من الفرق الجيدة من قبل؛ لأن الكباتن استمروا فى ضم نفس الأشخاص إليها أو أدخلوا أصدقاءهم...».

بدا (رون) متضايقًا قليلاً وبدأ يلعب بالطبق الطائر ذى الأنياب الذى أخذته (هرميون) من طالب السنة الرابعة، فأخذ يصدر أزيزًا حول الغرفة ويزمجر محاولاً عض الزخارف بها. وتبعته عيون (كروكشانكس) الصفراء وأصدر صوت هسهسة عندما اقترب منه.

وبعد ساعة، غادروا الغرفة العامة المشمسة على مضض إلى فصل الدفاع ضد فنون الظلام الذى يقع على بعد أربعة طوابق إلى أسفل، ووجدوا (هرميون) هناك تقف فى طابور خارج الغرفة وتحمل ملء ذراعيها كتبًا ثقيلة، وبدت كأنها تعمل بالسخرة، وعندما انضم إليها

(هـارى) و(رون)، قـالت بـقـلـق: «عـنـدنـا الـكـثـير من الـواجـبـات لـمـادة الكتـابـات القديمة: مقـال بطول خمسين بوصـة، وقطعتـان للترجمة كمـا عليَّ قراءة كل هذه الكتب بحلول يوم الأربعاء!».

قـال (رون) وهـو يتثـاءب: «يـا لـه من أمـر مؤسف!».

قـالت وهـى ممتعضـة: «أراهن على أن (سنـاب) سوف يعطينـا الكثير من الواجبات».

وبينمـا تتكلم فتـح بـاب الفصل وخطـا (سنـاب) خـارجًـا إلى الممر، وكـان وجهه الشـاحب يحيطِ به كـالمعتـاد شعره الأسود الدهنى الطويل؛ فسـاد الصمت الطـابور فورًا.

وقـال: «ادخلوا».

نظر (هـارى) حوله بينمـا يدخلون إلى الغرفة. كـانت شخصية (سنـاب) قد انـعـكست عـلى الـمـكـان، فـأصـبـحت الـغـرفـة أكثر كـآبـة عن الـمـعتـاد، خـاصـة بعد أن اسدلت الستـائر على كل النوافذ بـهـا، وأضـاءتـهـا الشموع وكـانت هنـاك صور جديدة تزين الحـوائط، تظهر هذه الصور العديد من الأشخـاص يبدو عليـهم الألم، أو يعـانون جراحًـا رهيبـة أو بعض أطراف الجسم شكلهـا غريب، لم يتكلم أحد بينمـا يستقرون فى أمـاكنهم، وهم ينظرون حولهم إلى الصور المخيفة.

قـال (سنـاب) بعد أن أغلق البـاب واستدار ليواجههم من خلف مكتبه: «أنـا لـم أطـلب مـنكم أن تُـخـرجـوا كـتبكـم» وضـعـت (هـرمـيـون) بسـرعـة نسختهـا من كتـاب (مواجهة الذى بلا وجه) داخل حقيبتهـا ووضعتهـا تحت كرسيهـا. قـال (سنـاب): «أرغب أن أتـحدث إليكم أولاً وأريد انتبـاهكم بـالكامل لمـا أقوله».

كـانت عينـاه السـوداوان تـمـران عـلـى وجـوهـهم الشـاخصـة وتبـاطـأتـا قليلاً فوق وجه (هـارى) أكثر من أى شخص آخر.

وقـال: «لقد درَّس لكم هذه المـادة خمسة مدرسين حتى الآن، كمـا أعتقد».

فكر (هارى) بمرارة: «تعتقد.. كأنك لم تشاهدهم يأتون ويذهبون يا (سناب). أتمنى أن تكون التالى».

«ومن الطبيعى أن كل واحد من هؤلاء المدرسين كان له طريقته فى التدريس وأولوياته؛ لذلك فقد فاجأنى نجاح العديد منكم فى المادة فى امتحانات السحر العامة رغم هذا الإرباك الذى تعرضتم إليه. سأكون متفاجئًا أكثر إذا استطعتم جميعًا القيام بالأعمال المطلوبة منكم فى مستوى دراسات السحر العليا، والتى ستكون أكثر تقدمًا بكثير».

أخذ (سناب) يلف حول أركان الغرفة وهو يتكلم بصوت خفيض، فرفع الطلاب أعناقهم؛ حتى يستطيعوا إبقاءه فى مجال نظرهم.

قال (سناب): «فنون السحر الأسود كثيرة، ومتنوعة، ودائمة التغير، وأبدية، محاربتها تشبه محاربة وحش له عدة رءوس، كلما قُطِع رأس منها نبت رأس آخر أعنف وأبرع من الذى سبقه.

فأنت تحارب ذلك الشيء المتغير المتبدل الذى لا يفنى».

حدق (هارى) إلى (سناب)، فمن المؤكد أن هناك اختلافًا بين اعتبار فنون الظلام كعدو خطر وبين الكلام عنهم كما يفعل (سناب) الآن بطريقة يظهر فيها حبه لهم.

قال (سناب) بصوت أعلى قليلاً: «لهذا يجب أن تكون الوسائل التى تستخدمونها لصدها على نفس القدر من المرونة والإبداع الموجودين فى الفنون التى ترغبون فى تعطيلها».

ثم أكمل: «هذه الصور» وأشار إلى بعضها وهو يمر بجوارها وأضاف: «تعطيكم تمثيلاً حقيقيًا لما يعنيه من يتعرض لتعويذة التعذيب على سبيل المثال»، وأشار بيده إلى ساحر كان من الواضح أنه يصرخ من شدة الألم، وأضاف: «أو يشعر بقبلة (الدمينتور)»، ثم أشار إلى ساحر يرقد مكومًا على الأرض وعيناه الخاليتان من التعبير تحدقان إلى

الجدار، وقال: «أو يتعرض لاعتداء من (الأنفيرى)» وهو يشير إلى صورة لأشلاء متناثرة على الأرض مخضبة بالدماء.

سألت (بارفاتى باتيل) بصوت حاد ومجلجل: «هل رأى أحد أى (أنفيرى) حتى الآن؟ هل من المؤكد أنه يستخدمهم؟».

قال (سناب): «لقد استخدم سيد الظلام (الأنفيرى) فى الماضى، وهذا يعنى أنه من الحكمة أن نفترض أنه يمكن أن يستخدمهم مرة أخرى الآن...».

مضى مرة أخرى حول الجانب الآخر من الفصل متجهًا إلى مكتبه ومرة أخرى أخذ الفصل يراقبه وهو يمشى بينما عباءته السوداء تتماوج خلفه.

وأكمل: «... إنكم كما أعتقد مبتدئون تمامًا فى استخدام التعاويذ غير المنطوقة.. ما فائدة التعاويذ غير المنطوقة؟».

ارتفعت يد (هرميون) فورًا فى الهواء، وأخذ (سناب) وقته فى النظر إلى الآخرين؛ للتأكد أنه ليس لديه خيار آخر قبل أن يقول بجفاء: «حسنًا، آنسة (جرانجر)».

قالت (هرميون): «لن يكون لدى غريمك أى إنذار عن نوع السحر الذى تنوى استخدامه مما يعطيك ميزة زمنية أقل من لمح البصر».

قال (سناب) رافضًا الإجابة: «إجابة منقولة تقريبًا كلمة بكلمة من الكتاب النموذجى للتعاويذ، الصف السادس». وعند الركن ضحك (دراكو مالفوى) ضحكة شبه مكبوتة، وأضاف (سناب): «ولكنه صحيح فى أساسه. نعم، إن هؤلاء الذين يريدون الوصول إلى استخدام السحر بدون نطق التعويذة يكسبون عامل المفاجأة فى رمى التعويذة. ولا يستطيع كل السحرة أداء هذا، بالطبع، فهى مسألة تركيز وقوة عقلية لا يملكها البعض»، ثم تمهلت نظرته بخبث لـ(هارى) مرة أخرى.

عرف (هارى) أن (سناب) يفكر فى دروس (الأوكلومينسى) المشئومة خلال العام الماضى. فاستمر فى مبادلة (سناب) التحديق حتى أبعد (سناب) نظره عنه.

أكمل (سناب) قائلاً: «وسوف تنقسمون الآن إلى ثنائيات، سيحاول كل واحد منكم إلقاء تعويذة على الآخر دون أن يتكلم، بينما سيحاول الآخر مقاومة التعويذة وهو صامت أيضًا.. هيا ابدءوا».

ورغم أن (سناب) لا يعلم هذا، فإن (هارى) قد قام بتعليم نصف هذا الفصل كيف يؤدون تعويذة الدرع العام الماضى أو على الأقل الذين كانوا أعضاء بجماعة جيش (دمبلدور)، إلا أن أحدًا منهم لم يؤد التعويذة بدون كلام من قبل؛ لذلك كان هناك الكثير من الغش: فالبعض كانوا يهمسون بالتعويذة بدلاً من نطقها بصوت عال، وبعد عشر دقائق من الدرس استطاعت (هرميون) دون أن تنطق كلمة واحدة أن تقاوم تعويذة الأقدام الهلامية التى غمغم بها (نيفيل)، وفكر (هارى) بمرارة أن عملاً كهذا كان يمكن أن يكسب (جريفندور) ٢٠ نقطة من أى أستاذ عقلانى ولكن (سناب) تجاهله.

وأخذ يتنقل بينهم وهم يتدربون، وهو يبدو ـ كالمعتاد ـ كخفاش أفرط فى النمو، ثم تريث ليراقب (هارى) و(رون) يكافحان فى أداء المهمة.

كان (رون) الذى من المفترض أن يلقى بتعويذة على (هارى) قد تحول وجهه إلى اللون البنفسجى وهو يضغط شفتيه بإحكام ليمنع نفسه من إغراء الغمغمة بالتعويذة، وكان (هارى) يمسك بعصاه عاليًا وينتظر على أحر من الجمر ليَصُدَّ التعويذة التى يبدو من غير المحتمل قدومها أبدًا.

قال (سناب) بعد لحظة: «مثير للشفقة يا (ويسلى)، انتظر.. اتركنى لأريك..».

ثم أدار عصاه فى اتجاه (هارى) بسرعة جدًا حتى أن (هارى) تصرف بشكل غريزى؛ ونسى كل ما يتعلق بالتعاويذ غير المنطوقة وصاح: «بروتيجو!».

كان الدرع الخاص به قويًا جدًا حتى أنه أفقد (سناب) توازنه واصطدم بالمكتب. ونظر الفصل كله إليهما وأخذوا يراقبون (سناب) وهو يعدل نفسه، وهو مقطب.

ثم قال: «هل تتذكر أننى قلت لك إننا نتدرب على التعاويذ غير المنطوقة يا (بوتر)؟».

قال (هارى) بتصلب: «أجل».

(سناب): «أجل يا سيدى».

(هارى): «ليس هناك داع أن تدعونى سيدى يا أستاذ».

انطلقت الكلمات من لسانه قبل أن يعرف ما يقوله فشهق العديد من الطلبة ومن بينهم (هرميون) وإن كان (رون) و(دين) و(سيموس) يبتسمون بتقدير من خلف (سناب).

قال (سناب): «ستعاقب بالاحتجاز يا (هارى) مساء يوم السبت فى مكتبى، فأنا لا أقبل الوقاحة من أى شخص يا (بوتر).. حتى ولو كان المختار».

وعندما أصبحوا فى أمان وهم فى طريقهم لفترة الراحة بعد لحظة قصيرة، قال (رون) ضاحكًا: «كان هذا رائعًا يا (هارى)!».

قالت (هرميون) وهى تقطب جبينها فى وجه (رون): «لم يكن عليك فعل ذلك، ما الذى جعلك تفعله؟».

قال (هارى) بغضب: «لقد حاول رميى بتعويذة.. إذا لم تلاحظى! لقد حصلت على ما يكفينى من هذا أثناء دروس (أوكلومينسى)! لماذا لا يستخدم شخصًا آخر غيرى فى تجاربه على سبيل التغيير؟ وما الذى يرمى إليه (دمبلدور) على أية حال بتركه يدرس مادة الدفاع؟

هل سمعتموه وهو يتكلم عن فنون الظلام؟ إنه يحبهم! كل هذا الذى يقوله عن أنها متبدلة وسرمدية..».

قالت (هرميون): «حسنًا، لقد اعتقدت أنه يبدو مثلك إلى حد ما».

(هارى): «مثلى!».

(هرميون): «أجل، عندما كنت تصف لنا كيف يبدو الأمر عند مواجهة (فولدمورت)، لقد قلت إن الأمر ليس مجرد حفظ مجموعة من التعاويذ، وقلت إنك وحدك أنت وعقلك وإرادتك وشجاعتك، حسنًا، أليس هذا ما كان يقوله (سناب)؟ ذلك أن الأمر يتوقف على شجاعتك وسرعة تفكيرك».

اعتقاد (هرميون) أن كلمات (هارى) تستحق الحفظ هدَّأ من غضبه حتى إنه لم يجادل.

«(هارى)! يا (هارى)!».

نظر (هارى) حوله، فشاهد (جاك سلوبر)؛ أحد الضاربين فى فريق (جريفندور) لـ(الكويدتش) العام الماضى يسرع فى اتجاهه وهو يمسك رقعة جلدية ملفوفة.

قال (سلوبر) وهو يلهث: «هذه لك، اسمع، لقد سمعت أنك الكابتن الجديد.. متى ستعقد اختبارات القبول؟».

قال (هارى) وهو يفكر بينه وبين نفسه أن (سلوبر) سيكون سعيد الحظ جدًا لو عاد إلى الفريق: «لست متأكدًا بعد»، ثم أضاف: «سأخبرك عندما أحدد الموعد».

«آه، حسنًا، ولكننى كنت آمل أن يكون هذا خلال عطلة نهاية الأسبوع القادمة».

ولكن (هارى) لم يكن يستمع إليه؛ فقد عرف الكتابة المائلة الرفيعة الموجودة على الرقعة الجلدية.

فترك (سلوبر) قبل أن يكمل كلامه وأسرع مبتعدًا مع (رون) و(هرميون) وهو يبسط الرقعة.

عزيزى (هارى)..

أحب أن نبدأ دروسنا الخاصة يوم السبت القادم، أرجو أن تتفضل بالحضور إلى مكتبى فى الثامنة مساءً. وأتمنى أن تكون مستمتعًا بأول يوم دراسى بعد العودة.

المخلص

(ألباس دمبلدور)

ملحوظة: أستمتع بفقاقيع الحمض.

ردد (رون) الذى قرأ الرسالة من فوق كتف (هارى): «يستمتع بفقاقيع الحمض؟» وظهرت عليه الحيرة والدهشة.

قال (هارى) بصوت منخفض: «إنها كلمة السر التى تتيح لك اختيار التمثال الحجرى خارج مكتبه. ها! لن يكون (سناب) سعيدًا.. فلن يكون باستطاعتى تنفيذ الاحتجاز!».

قضى (هارى) و(رون) و(هرميون) فترة الراحة بأكملها وهم يفكرون فى الدروس التى سيعلمها (دمبلدور) لـ(هارى). فكر (رون) أنها فى أغلب الظن سوف تكون تعاويذ عالية المستوى من النوع الذى لا يعرفه (آكلو الموت)، فقالت (هرميون): «إن هذه الأشياء ستكون غير قانونية، وأعتقد أن الأحرى أن (دمبلدور) يريد تعليم (هارى) تعاويذ دفاعية متقدمة». وبعد الاستراحة، ذهبت (هرميون) إلى حصة الرياضيات السحرية، بينما عاد (هارى) و(رون) إلى الغرفة العامة حيث بدأا فى عمل واجب (سناب) وهما ممتعضان، واتضح أنه واجب معقد جدًا حتى أنهما لم يكونا قد انتهيا منه عندما عادت (هرميون) وانضمت إليهما خلال الفترة الحرة بعد الغداء، ولكنها عجلت من انتهاء الواجب إلى حد كبير. كانوا بالكاد قد انتهوا عند رن جرس حصة بعد الظهر المضاعفة لمادة الوصفات السحرية، فمضوا فى طريقهم المعتاد نازلين إلى الزنزانة المظلمة التى كانت لفترة طويلة تخص (سناب).

عندما وصلوا إلى الدهليز وجدوا أن عدد من واصلوا دراسة المادة إلى مستوى دراسات السحر العليا اثنا عشر طالبًا فقط، كان من الواضح أن (كراب) و(جويل) قد فشلا فى الحصول على التقدير المطلوب فى امتحانات السحر العامة ولكنَّ أربعة آخرين من منزل (سليذرين)، بينهم (مالفوى) قد نجحوا، وأربعة من منزل (رافينكلو)، وواحد من (هافلباف)، (إيرنى ماكميلان) الذى يحبه (هارى) على الرغم من أسلوبه المتسم بالزهو المبالغ إلى حد ما.

قال (إيرنى) بزهو: «(هارى)»، ومد يده ليسلم على (هارى) عندما اقترب منه وأكمل: «لم أجد الفرصة لأكلمك فى محاضرة الدفاع ضد فنون الظلام هذا الصباح. درس جيد وإن كنت أعتقد أن تعويذة الدرع أصبحت موضة قديمة، فهى بالنسبة لنا وسائل دفاع قديمة.. وكيف حالك يا (رون) وأنتِ يا (هرميون)؟».

كان كل ما استطاعوا قوله قبل أن ينفتح باب الزنزانة هو: «بخير». وتخرج كرش (سلجهورن) قبله من الباب. وبينما كانوا يدخلون إلى الغرفة تقوس شاربه الذى يشبه شارب فيل البحر فوق فمه المبتسم، وحيًا (هارى) (وزابينى) بحماس واضح.

كانت الزنزانة على غير المعتاد ممتلئة بروائح غريبة وأبخرة استنشقها (هارى) و(رون) و(هرميون) باهتمام وهم يمرون بالغلايات التى تغلى بها الوصفات وتخرج فقاقيع. أخذ طلاب منزل (سليذرين) مائدة وحدهم، وكذلك فعل طلاب (رافينكلو) الأربعة. وشارك (إيرنى) (هارى) و(رون) و(هرميون) مائدتهم، واختاروا مائدة قريبة من غلاية ذات لون ذهبى، والتى كان يتصاعد منها إحدى أكثر الروائح إغراءً، لم يستنشقها (هارى) قط فى حياته. ذكرته بشكل ما برائحة كعك السكر الذى يحبه، ورائحة خشب ذراع مكنسته وبعض الروائح الزهرية التى يعتقد أنه قد استنشقها فى الجحر، وجد أنه كان يستنشقها ببطء وعمق،

وبخار الوصفة يملؤه مثل الشراب، واجتاحه شعور بالرضا فابتسم إلى (رون) ورد (رون) ابتسامته بكسل، كانت حدود جسم (سلجهورن) الضخم ترتعش خلف الأبخرة الكثيرة البراقة وقال (سلجهورن): «الآن، حان الوقت.. حان الوقت لتُخرجوا موازينكم وأدوات الوصفات ونسخكم من كتاب تحضير الوصفات:المستوى المتقدم».

قال (هارى) وهو يرفع يده: «سيدى».

«(هارى)، يا بنى».

«ليس لدى ميزانٍ أو أدوات وكذلك (رون)؛ لأننا لم نكن نعلم أنه سيكون بإمكاننا متابعة المادة إلى مستوى دراسات السحر العليا».

«آه، نعم، لقد ذكرت الأستاذة (ماكجونجال) شيئًا عن هذا.. لا تقلق يا ولدى العزيز، لا تقلق على الإطلاق. يمكنك استخدام المكونات المخزنة بالخزانة اليوم، وأنا متأكد أننا يمكننا إعارتك بعض الموازين كما يوجد لدينا مخزون من الكتب القديمة هنا، ستكون كافية حتى تراسلوا (فلوريش وبلوتس)...».

ثم خطا (سلجهورن) فى اتجاه خزانة فى الركن وبعد لحظة من البحث ظهر ومعه نسختان باليتا المظهر من كتاب تحضير الوصفات:المستوى المتقدم، للكاتب (ليبانيوس بوريج)، وأعطى لـ(هارى) و(رون) اثنين من الكتب والموازين المتسخة.

عاد (سلجهورن) إلى مقدمة الفصل ونفخ صدره ـ المنتفخ فى الأصل ـ حتى إن أزرار معطفه القصير بدت مهددة بالانخلاع من مكانها وقال: «الآن، لقد أعددت لكم بعض الوصفات لنلقى نظرة عليها فقط، على سبيل التشويق. فهذه الوصفات من نوعية الأشياء التى يجب أن تعرفوا كيف تعدونها بعد أن تنهوا دراسة المادة فى مستوى دراسات السحر العليا، وأنتم فى الأغلب قد سمعتم بها من قبل، حتى وإن لم تقوموا بتحضيرها بعد، هل يستطيع أحدكم أن يقول لى ما هذه؟».

وأشار إلى المائدة التى بالقرب من مائدة (سليذرين). رفع (هارى) نفسه قليلاً عن مقعده وشاهد ما يبدو مثل ماء يغلى داخل الغلاية فقط.

ارتفعت يد (هرميون) المدربة فى الهواء قبل أى شخص آخر؛ فأشار (سلجهورن) إليها.

قالت (هرميون): «إنه مصل الحقيقة، إنها وصفة بلا لون أو رائحة، تجبر من يشربها على قول الحقيقة».

قال (سلجهورن) بسعادة: «جيد جدًّا، جيد جدًّا، والآن...»، وأكمل حديثه وهو يشير إلى الغلاية التى بجوار مائدة (رافينكلو): «هذه هنا معروفة جدًّا.. فقد تم ذكرها فى منشورات الوزارة مؤخرًا أيضًا.. من يستطيع...؟».

وكانت يد (هرميون) هى الأسرع مرة أخرى.

«إنها وصفة التخفى يا سيدى».

تعرَّف (هارى) أيضًا على الوصفة التى تشبه الوحل وتغلى ببطء فى الغلاية الثانية، ولكنه لم يمتعض من إعطاء (هرميون) حق الإجابة، فهى رغم كل شىء كانت الشخص الذى نجح فى تحضيرها، عندما كانوا فى عامهم الدراسى الثانى.

قال (سلجهورن): «رائع، رائع، الآن، هذه هناك... نعم يا عزيزتى».

بدا (سلجهورن) متحيرًا قليلاً عندما ضربت يد (هرميون) الخواء مرة أخرى.

وقالت: «إنها أمورتينتيا!».

قال (سلجهورن): «إنها هى بالفعل، قد يبدو من الغباء أن أسأل عنها».

وأضاف وقد بدا عليه الإعجاب الشديد: «أفترض أنك تعرفين تأثيرها».

«إنها أقوى وصفة للحب فى العالم!».

«هذا صحيح تمامًا! لقد ميزتها إذن، ربما بلمعان عرق اللؤلؤ المميز».

قالت (هرميون) بحماس: «والبخار المتصاعد على شكل لولبى، والرائحة التى من المفترض أن تبدو مختلفة لكل واحد منا، فهى تشكل حسب ما يجذبنا، ويمكننى شم رائحة عشب تم جزُّه مؤخرًا ورقعة جلدية جديدة و...».

ولكن لونها تحول إلى اللون الوردى قليلاً ولم تكمل الجملة.

قال (سلجهورن) متجاهلاً إحراج (هرميون): «هل يمكننى أن أسألك عن اسمك يا عزيزتى؟».

«(هرميون جرانجر) يا سيدى».

«(جرانجر)؟ (جرانجر)؟ هل يمكن أن تكونى قريبة لـ(هكتور دوجورس - جرانجر) الذى أسس إحدى أكثر جمعيات صانعى الوصفات استثنائيةً؟».

«لا أعتقد يا سيدى، فأنا مولودة للعامَّة».

رأى (هارى) (دراكو مالفوى) يميل مقتربًا من (نوت) ويهمس له بشىء وضحك كلاهما، ولكن (سلجهورن) لم يظهر أى رفض أو قلق؛ بل على العكس، ابتسم ونقل نظره من (هرميون) إلى (هارى) الذى كان يجلس بالقرب منها.

وقال: «آه! أظنك عندما قلت (إحدى صديقاتى مولودة للعامَّة، وهى أفضل الطلاب فى عامنا الدراسى!) كنت تقصد هذه الصديقة يا (هارى)».

قال (هارى): «نعم يا سيدى».

قال (سلجهورن) بخفة دم: «حسنًا، حسنًا، خذى عشرين نقطة تستحقها (جريفندور) بجدارة يا آنسة (جرانجر)».

بدا منظر (دراكو) مصعوقًا كما لو أن (هرميون) قد لكمته فى وجهه، والتفتت (هرميون) إلى (هارى) ووجهها يشع بالسعادة وهمست: «هل حقًا قلت له إننى الأفضل بين طلاب الفصل؟ آه يا (هارى)!».

همس (رون) الذى بدا لسبب ما متضايقًا: «حسنًا، ما الشىء الرائع فى هذا؟ إنكِ بالفعل أفضل طلاب الصف - كنت سأقول له ذلك لو سألنى!».

ابتسمت (هرميون) ولكنها أشارت بيدها ليسكتوا حتى يسمعوا ما كان (سلجهورن) يقوله، وقد بدا (رون) متضايقًا قليلاً.

قال (سلجهورن): «أمورتينتيا لا تخلق الحب فعلاً، بالطبع، فمن المستحيل تصنيع الحب أو تقليده، لا، إنها تسبب الافتتان الشديد أو هوس الحب. ومن المحتمل أن تكون أكثر الوصفات قوة وخطورة فى هذه الغرفة الآن - أجل» قال هذا وأخذ يومئ برأسه مؤكدًا إلى (مالفوى) و(نوت) اللذين كانا يبتسمان بتشكك. وأضاف: «عندما ترى من الحياة قدر ما رأيت، لن تقلل من قوة الحب الذى يصل إلى درجة الهوس...».

وأكمل: «والآن، لقد حان الوقت لنبدأ العمل».

قال (إيرنى ماكميلان): «سيدى، إنك لم تقل لنا ما الموجود فى هذا المرجل» وأشار إلى مرجل صغير فوق مكتب (سلجهورن) تتناثر محتوياته التى تشبه الذهب المنصهر بفرحٍ، وتقفز قطرات كبيرة منها فوق السطح، مثل الأسماك الذهبية دون أن تسقط ذرة واحدة منها خارج المرجل.

قال (سلجهورن): «آه» كان (هارى) واثقًا أن (سلجهورن) لم ينس الوصفة، ولكنه انتظر أن يسأله أحد عنها؛ حتى يحقق الأثر المسرحى المطلوب، وأضاف: «نعم، هذه.. حسنًا، سيداتى وسادتى، هذه هى أكثر وصفة صغيرة مثيرة للفضول، يطلق عليها فليكس فلسيس. لا أتصور أنكم تعرفونها».

ثم استدار وهو يبتسم ونظر إلى (هرميون) التى أخرجت تنهيدة مسموعة، وأضاف: «هل تعرفينها يا آنسة (جرانجر)؟».

قالت (هرميون) وهى متحمسة: «إنها الحظ السائل، إنها تجعلك محظوظًا!».

انتبه الفصل بأكمله واعتدلوا فى جلستهم قليلاً، وأصبح كل ما يمكن لـ(هارى) رؤيته هو خلفية رأس (دراكو مالفوى) الشقراء الناعمة؛ لأنه على الأقل الآن كان منتبهًا إلى (سلجهورن) بكل حواسه.

قال (سلجهورن): «هذا صحيح تمامًا، خذى عشر درجات أخرى لـ(جريفندور). أجل، إنها وصفة صغيرة وغريبة وتتطلب دقة وبراعة شديدتيْن حتى يمكن تحضيرها، ويمكن أن تسبب كارثة عند حدوث خطأ فى تحضيرها، ومع ذلك إذا صُنعت بالشكل الصحيح ـ كما حدث مع هذه ـ فستجد نفسك محظوظًا فى كل ما تفعله.. على الأقل حتى ينتهى تأثير الوصفة».

قال (تيرى بوت) بحماس: «ولماذا لا يشربها الناس طوال الوقت يا سيدى؟».

قال (سلجهورن): «لأنه لو أُخذت بإسراف تُسبب الدوار والاستهتار وفرط الثقة بالناس الذى يكون خطرًا، ومن المفضل عدم تجاوز الحد فى تناولها. أتعرف لماذا؟ لأنها سامة جدًّا إذا تم تناولها بكميات كبيرة؛ ولذلك يجب أن تؤخذ بكميات قليلة وعلى فترات متباعدة جدًّا...».

قال (مايكل كورنر) باهتمام كبير: «وهل تناولتها أبدًا يا سيدى؟».

«مرتين فى حياتى، إحداهما عندما كنت فى الرابعة والعشرين، والثانية عندما كنت فى السابعة والخمسين، وقد تناولت فى كل مرة ملء ملعقتين منها وحصلت على يومين مثاليين».

ثم حدق حالمًا إلى الخلاء، وسواء أكان هذا تمثيلاً أم لا، فقد اعتقد (هارى) أن تأثيره كان جيدًا.

قال (سلجهورن) وقد بدا أنه عاد إلى الأرض: «وهذه هى جائزتى لهذا الدرس».

وساد الصمت حتى بدا صوت غليان وبقبقة كل وصفة من الوصفات المحيطة بالمكان عاليًا جدًّا.

وأضاف: «زجاجة صغيرة من فليكس فلسيس»، وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة مصنوعة من الزجاج بها سدادة من الفلين وأراهم إياها وأضاف: «تكفى لمدة اثنتى عشرة ساعة من الحظ، وستكون محظوظًا فى كل شىء تُقدِم عليه من شروق الشمس إلى غروبها».

والآن، يجب أن أحذركم من أن فليكس فلسيس مادة ممنوعة فى المسابقات المنظمة، مثل الأحداث الرياضية، على سبيل المثال، والامتحانات والانتخابات؛ لذلك فالفائز سوف يستخدمها فى يوم عادى فقط، ويشاهد كيف يتحول هذا اليوم إلى يوم استثنائى!».

قال (سلجهورن) وقد نشط فجأة: «إذن، كيف ستكسبون جائزتى الرائعة؟ حسنًا، افتحوا صفحة رقم عشرة من كتاب تحضير الوصفات: المستوى المتقدم؛ مازال لدينا وقت يزيد على الساعة بقليل وهو الوقت الذى سيكون عليكم خلاله أن تقوموا بمحاولة مُرضية لتحضير شراب حياة الموت.

أنا أعرف أنه أكثر تعقيدًا من أى شىء حاولتم عمله من قبل، وأنا لا أتوقع وصفة مثالية من أىٍّ منكم، إلا أن الشخص الذى سيحقق أفضل نتيجة سوف يكسب زجاجة الفليكس هنا ـ هيا ابدءوا!».

علا صوت الاحتكاك حين قرب كل منهم مرجله منه، ثم صوت صليل عالٍ عندما بدءوا فى إضافة الأثقال إلى الموازين، ولم يتكلم أىٌّ منهم حتى كاد التركيز يكون ملموسًا. رأى (هارى) (دراكو) يقلب صفحات نسخته من كتاب تحضير الوصفات: المستوى المتقدم باهتياج واضطراب.

كان من الواضح جدًّا رغبة (دراكو مالفوى) الشديدة فى الحصول على يوم الحظ. انحنى (هارى) بسرعة على الكتاب البالى الذى أعاره إياه (سلجهورن) وتضايق جدًّا عندما وجد أن مالكه السابق قد كتب فى كل مكان بالصفحات حتى أصبحت الهوامش فى سواد الأجزاء المطبوعة من الكتاب.

فاضطر إلى الانحناء أكثر على الكتاب؛ ليقرأ المكونات. حتى هنا كان المالك السابق قد وضع حواشى تفسيرية، وشطب على بعض الأشياء، وأسرع (هارى) إلى خزانة المكونات ليحضر ما يحتاجه. وأثناء عودته مسرعًا إلى مرجله، شاهد (دراكو مالفوى) وهو يقطع جذور نبات حشيشة القط بأسرع ما يستطيع.

ودأب كل واحد منهم على النظر حوله؛ ليرى ما يفعله الآخرون، وكان هذا ميزة وعيب مادة الوصفات، وهو صعوبة الإبقاء على عملك سريًا. وبعد عشر دقائق، كان المكان كله مملوءًا ببخار لونه أزرق، وبدت (هرميون) بالطبع متقدمة أكثر من الجميع؛ كانت وصفتها تشبه السائل السلس ذا اللون الأسود الذى يشبه لون الزبيب ـ الذى تمت الإشارة إليه كمرحلة مثالية متوسطة.

وبعد أن انتهى (هارى) من تقطيع الجذور، انحنى مرة أخرى فوق الكتاب؛ فقد كانت محاولة قراءة الإرشادات من بين كل هذه الشخابيط الغبية الخاصة بالمالك السابق للكتاب تثير حنقه.

ولكن المالك السابق لسبب ما أهمل التعليمات الخاصة بتقطيع حبوب نبات سوبوفوروس ودوَّن بدلاً منها تعليمات أخرى (اسحقها بالجانب المسطح لخنجر فضى حتى يخرج العصير الذى بداخلها، فهذا أفضل من التقطيع).

ثم سمع (هارى) صوتًا يقول: «سيدى، أعتقد أنك تعرف جدى (أراكساس مالفوى)؟» فرفع (سلجهورن) بصره وهو يمر بجوار مائدة طلاب (سليذرين) وقال: «نعم». وبدون أن ينظر إلى (دراكو مالفوى) أضاف: «لقد حزنت عندما علمت بموته، على الرغم من أنه كان متوقعًا بالطبع بعد إصابته بجدرى التنين فى مثل عمره...»، ثم مشى مبتعدًا، وانحنى (هارى) فوق مرجله مرة أخرى وابتسم؛ فقد عرف أن (دراكو) كان يتوقع أن تتم معاملته، مثل (هارى) أو (زابينى) وربما توقع حتى

بعض المعاملة المميزة من النوع الذى تعلم أن يتوقعه من (سناب). ولكن من الواضح أن (دراكو) ليس لديه ما يركن إليه سوى موهبته ليكسب زجاجة الـ(فليكس فلسيس).

وجد (هارى) صعوبة شديدة فى تقطيع حبوب سوبوفوروس فالتفت إلى (هرميون) وسألها: «هل يمكننى استعارة سكينك الفضية؟».

فأومأت برأسها موافقة بنفاد صبر بينما لم تبعد عينيها عن وصفتها، والتى كان لونها مازال بنفسجيًا داكنًا، على الرغم من أنه وفقًا للكتاب كان يجب أن تكون قد تحولت إلى اللون البنفسجى الفاتح الآن، قام (هارى) بسحق الحبوب بالجانب المسطح للسكين واستغرب عندما أفرزت على الفور كمية كبيرة من العصير حتى أنه استغرب أن هذه الحبوب الذابلة يمكن أن تحمل كل هذه الكمية بداخلها، وقام (هارى) بسرعة بوضعها كلها داخل الغلاية، وتفاجأ عندما رأى أن لون الوصفة قد تحول على الفور إلى نفس درجة اللون البنفسجى الفاتح الموصوفة فى الكتاب.

واختفى ضيقه من المالك السابق للكتاب على الفور، وتحول (هارى) بنظره إلى السطر التالى للتعليمات طبقًا للمذكور فى الكتاب، كان يجب عليه أن يقلب الوصفة عكس اتجاه عقارب الساعة؛ حتى تصبح فى صفاء الماء.. ولكن طبقًا للتعليمات التى أضافها المالك السابق للكتاب، كان عليه أن يقلب الوصفة مرة فى اتجاه عقارب الساعة بعد كل سبع مرات تقليب عكس اتجاه عقارب الساعة.

بدأ (هارى) فى التقليب عكس اتجاه عقارب الساعة، ثم أمسك تنفسه وهو يقلب مرة فى اتجاه عقارب الساعة، وكان التأثير سريعًا؛ حيث تحولت الوصفة إلى اللون الوردى الفاتح.

سألت (هرميون): «كيف تفعل هذا؟» وكان وجهها محمرًا وقد ازدادت كثافة شعرها أكثر وأكثر تحت الأبخرة المتصاعدة من غلايتها ولون وصفتها كان بنفسجيًا لا يتغير.

(هارى): «قلبى مرة فى اتجاه عقارب الساعة».

قالت بحدة: «لا، لا، الكتاب يقول عكس عقارب الساعة».

هز (هارى) كتفيه وأكمل ما كان يفعله، وأخذ يقلب سبع مرات عكس عقارب الساعة ومرة فى اتجاه عقارب الساعة، وينتظر قليلاً ثم يواصل سبع مرات عكس عقارب الساعة ومرة فى اتجاه عقارب الساعة..

وعبر المائدة كانت لعنات (رون) تتدفق بصوت منخفض؛ فقد كانت وصفته تبدو مثل العرقسوس. نظر (هارى) حوله ووجد أنه ما من أحدٍ من الذين يمكنه رؤيتهم قد تحول لون وصفته إلى اللون الشاحب مثله فشعر بالسعادة، وهو شىء لم يحدث له من قبل فى هذه الزنزانة.

قال (سلجهورن): «انتهى الوقت! توقفوا عن التقليب لو سمحتم!».

وتحرك (سلجهورن) ببطء بين الموائد وأخذ ينظر داخل الغلايات الصغيرة. ولم يعلق على شىء ولكنه أحيانًا ما كان يحدق بالوصفة أو يستنشق رائحتها.

وأخيرًا وصل إلى المائدة التى يجلس عليها (هارى) و(رون) و(هرميون) و(إيرنى)، وابتسم برثاء عندما شاهد المادة التى تشبه القطران فى غلاية (رون) وتجاهل الخليط ذا اللون الأزرق الداكن الخاص بـ(إيرنى) وأومأ برأسه استحسانًا لوصفة (هرميون)، ثم شاهد وصفة (هارى) وغمرت وجهه نظرة سرور ودهشة.

ثم أعلن لكل الموجودين بالغرفة: «الفائز الأوحد! رائع، رائع، يا (هارى)! ياللعجب! يبدو أنك قد ورثت موهبة والدتك؛ فقد كانت (ليلى) بارعة فى مادة الوصفات، خذ، إذن، خذ زجاجة من فليكس فلسيس كما وعدت، وأرجو أن تحسن استخدامها!».

وضع (هارى) الزجاجة الصغيرة المملوءة بالسائل الذهبى فى جيبه الداخلى، وهو يشعر بخليط عجيب من السرور بسبب النظرات الغاضبة التى ارتسمت على وجوه طلاب (سليذرين) والذنب بسبب

تعبير خيبة الأمل المرتسم على وجه (هرميون)، أما (رون) فكان يبدو واجمًا.

همس (رون) إلى (هارى): «كيف فعلت ذلك؟».

قال (هارى): «كنت محظوظًا على ما أعتقد»؛ لأن (دراكو مالفوى) كان قريبًا منهم.. وعندما وصلوا إلى مائدة (جريفندور) وجلسوا عليها بأمان فى انتظار العشاء، شعر (هارى) أن بإمكانه أن يقول لهم، وكان وجه (هرميون) يتحول ليصبح أكثر جمودًا مع كل كلمة ينطقها (هارى).

وفى النهاية قال (هارى) وقد استفزه تعبير وجهها: «أفترض أنكِ تظنين أننى قد قمت بالغش».

قالت بتصلب: «حسنًا، لم يكن هذا من عملك تمامًا، أليس كذلك؟».

قال (رون): «لقد اتبع تعليمات مختلفة عن التى اتبعناها، كان يمكن أن تسبب كارثة، أليس كذلك؟

ولكنه غامر ونجح الأمر معه، ثم تنهد وأكمل قائلاً: «كان يمكن أن يعطينى (سلجهورن) هذا الكتاب، ولكن لا، حصلت على الكتاب الذى يبدو أن أحدهم قد تقيأ على هوامشه من منظر صفحة اثنين وخمسين، ولكن...».

قال صوت بالقرب من أذن (هارى) اليسرى: «انتظروا!»، وتنشق (هارى) فجأة نفس رائحة الزهور التى استنشقها فى زنزانة (سلجهورن)، فنظر حوله ووجد أن (جينى) انضمت إليهم وأكملت قائلة: «هل ما سمعته صحيح؟ هل كنت تتبع تعليمات شخص ميت مكتوبة داخل كتاب يا (هارى)؟».

بدت مذعورة وغاضبة، وعرف (هارى) ما الذى كانت تفكر فيه على الفور.

فقال مهدئًا وهو يخفض صوته: «إنه لا شىء، إنه ليس مثل مذكرات (ريدل) مثلاً، إنه فقط كتاب مدرسى قديم، كتب شخص ما على هوامشه وحواشيه».

(جينى): «ولكنك تفعل ما يقوله».

قال (هارى): «لقد جربت بعض الملاحظات المكتوبة على الهوامش، هذا كل ما فى الأمر يا (جينى)، لا شىء غريب».

قالت (هرميون) وهى تمد عنقها فجأة: «(جينى) على حق، يجب أن نتحقق من عدم وجود شىء غريب فى الأمر؛ أقصد كل هذه الإرشادات العجيبة، من يعلم؟».

هتف (هارى) مستاءً عندما شدت (هرميون) نسخته من كتاب تحضير الوصفات:المستوى المتقدم من حقيبته: «ما الأمر؟» ورفعت عصاها.

وقالت: «سبيشياليز ريفليو» وهى تدق بخفة على الغلاف الأمامى، ولكنّ شيئًا لم يحدث. ثبت الكتاب فى مكانه ببساطة وهو يبدو قديمًا ومتسخًا وصفحاته مطوية الزوايا.

قال (هارى) بانفعال: «هل انتهيتِ؟ أم تريدين التأكد من أنه لن يقوم ببعض (الشقلبات) الخلفية؟».

قالت (هرميون) وهى مازالت تحدق إلى الكتاب بارتياب: «إنه يبدو على ما يرام، أقصد أنه يبدو مجرد كتاب مدرسى عادى فعلاً».

قال (هارى) وهو يخطفه من فوق المائدة: «جيد، يمكننى أن أسترجعه إذا...» لكنه انزلق من يده وهبط مفتوحًا على الأرض.

لم يكن أحد غيره ينظر. وبينما ينحنى ليستعيد الكتاب، وجد شيئًا مكتوبًا بطول غلاف الكتاب الخلفى من الداخل وبنفس الخط الصغير الضيق الذى كتبت به التعليمات التى أكسبت (هارى) زجاجة (الفليكس فلسيس)، والمخفية الآن بأمان داخل شراب فى صندوقه. كان مكتوبًا:

(هذا الكتاب ملك الأمير الهجين).

■ ■ ■

١٠ منزل آل (جاونت)

استمر (هارى) فى اتباع تعليمات الأمير الهجين خلال بقية حصص مادة الوصفات لهذا الأسبوع، مهما اختلفت عن تعليمات (ليبانيوس بوريج)، فكانت النتيجة أنه بحلول الحصة الرابعة، كان (سلجهورن) يمتدح قدرات (هارى) ويقول إنه نادرًا ما قام بالتدريس لشخص على هذا القدر من الموهبة. ولم يكن (رون) و(هرميون) مسرورين بذلك. رغم أن (هارى) عرض عليهما أن يشاركاه فى الكتاب ولكن (رون) وجد صعوبة كبيرة فى فك طلاسم الخط ولم يكن بإمكانه أن يظل يطلب من (هارى) أن يقرأ له بصوت عال؛ لأن الأمر كان سيبدو مريبًا. وفى هذه الأثناء، كانت (هرميون) تتقدم بصعوبة وهى مصممة على اتباع ما أطلقت عليه التعليمات الرسمية، ولكن طباعها كانت تزداد حدة؛ لأن نواتج تلك التعليمات كانت أقل دقة مما تعطيه تعليمات كتاب الأمير.

تساءل (هارى) بغموض عمن يكون الأمير الهجين، ورغم أن الكم الكبير من الواجبات التى كان يأخذها منعه من قراءة نسخته من كتاب تحضير الوصفات:المستوى المتقدم بالكامل إلا أنه تصفحه ليجد أنه تقريبًا لا توجد صفحة واحدة لم يكتب عليها الأمير ملاحظات إضافية، وإن لم تتعلق كلها بتحضير الوصفات. فقد كانت هناك إرشادات متناثرة تبدو مثل تعاويذ ابتكرها الأمير بنفسه.

قالت (هرميون) بانفعال: «أو بنفسها»، كانت قد سمعت (هارى) مصادفة وهو يذكر لـ(رون) بعض هذه الأشياء فى الغرفة العامة مساء يوم السبت.

أضافت: «من الممكن أن تكون فتاة، فالخط يبدو خط فتاة أكثر من خط فتى».

قال (هارى): «لقد كان يطلق عليه الأمير الهجين، وأظن أن الفتاة يقال لها أميرة لا أمير».

لم تجد (هرميون) ما ترد به على (هارى).

وانتزعت مقالها عن مبادئ التجسيد بعيدًا عن (رون) الذى كان يحاول قراءته بالمقلوب.

نظر (هارى) إلى ساعته، ثم أسرع بوضع نسخته القديمة من كتاب تحضير الوصفات:المستوى المتقدم فى حقيبته.

وقال: «إنها الثامنة وخمس دقائق، من الأفضل أن أذهب وإلا سأتأخر على (دمبلدور)».

شهقت (هرميون): «آآآه!» ونظرت إليه على الفور وقالت: «حظ سعيد! سوف ننتظرك، نريد أن نعرف ما الذى يعلمك إياه!».

قال (رون): «أرجو أن يمر الأمر على ما يرام»، وأخذ يراقب (هارى) وهو يرحل خارجًا من فتحة اللوحة.

مشى (هارى) عبر الدهاليز الخالية، وعندما ظهرت الأستاذة (تريلاونى) عند المنعطف، أسرع بالاختباء خلف أحد التماثيل. وكانت تتمتم بشىء لنفسها بينما تخلط مجموعة من أوراق اللعب التى تبدو متسخة وتقرؤها وهى تمشى.

أخذت تغمغم وهى تمر بالمكان الذى يربض به (هارى) مختبئًا: «اثنان بستونى خلاف، سبعة بستونى فأل سيئ، عشرة بستونى عنف، ولد بستونى شاب أسمر، وربما تواجهه مشكلات، ولد يكره التساؤل».

وتوقفت فجأة عند الطرف الآخر من التمثال الذى كان (هارى) يختبئ وراءه بالضبط، وقالت: «حسنًا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا»، وسمعها (هارى) وهى تعيد خلط الأوراق بقوة، ثم بدأت تمشى من جديد.

انتظر (هارى) حتى تأكد تمامًا أنها ذهبت ثم أسرع فى طريقه مرة أخرى حتى وصل إلى مكان يوجد به تمثال يقف وحيدًا بجوار الحائط فى دهليز الدور السابع.

قال (هارى): «فقاقيع الحمض»؛ قفز التمثال جانبًا وانزلق الحائط خلفه كاشفًا عن سلم حجرى لولبى متحرك، فخطا (هارى) إليه فحمله فى دوائر حتى وصل إلى الباب ذى المطرقة النحاسية الذى يفضى إلى مكتب (دمبلدور).

طرق (هارى) الباب.

قال صوت (دمبلدور): «ادخل».

قال (هارى) وهو يدخل إلى مكتب الناظر: «مساء الخير يا سيدى».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «آه، مساء الخير يا (هارى)، اجلس، هل كان أول أسبوع من العودة للمدرسة ممتعًا؟».

قال (هارى): «نعم، شكرًا يا سيدى».

(دمبلدور): «يبدو أنك كنت مشغولاً جدًا حتى أنك حصلت على احتجاز مبكرًا هكذا!».

ارتبك (هارى) وحاول أن يتكلم: «أ أ أ...» إلا أن (دمبلدور) لم يكن تبدو عليه الصرامة الشديدة.

قال (دمبلدور): «لقد رتبت الأمر مع الأستاذ (سناب)، سوف تنفذ الاحتجاز يوم السبت القادم بدلاً من اليوم».

قال (هارى): «حسنًا»، وكان ذهنه مشغولاً بأمور أكثر أهمية من احتجاز (سناب)، وأخذ يختلس النظر حوله باحثًا عن أى دلائل على ما ينوى (دمبلدور) عمله معه هذا المساء. كانت حجرة المكتب المستديرة تبدو كالمعتاد تمامًا؛ كانت الأدوات الفضية الحساسة تقف فوق الموائد ذات الأرجل الطويلة، وكانت صور النظار السابقين نائمة داخل إطاراتها وهى تنفخ الدخان وتصدر غطيطًا، وكانت عنقاء (دمبلدور) الرائعة (فاوكس)

تقف على القائم الخاص بها خلف الباب وتراقب (هارى) باهتمام مبتهج، ولم يبد أن (دمبلدور) قد جهَّز مكانًا للتدريب على المبارزة.

قال (دمبلدور) بجدية: «إذن يا (هارى)، أنا متأكد أنك كنت تتساءل عن الذى خططت له بالنسبة لك أثناء هذه... ربما أفضل كلمة تعبر عنها... دروس».

قال (هارى): «نعم يا سيدى».

قال (دمبلدور): «حسنًا، لقد قررت أن الوقت قد حان الآن لتعرف ما الذى دفع لورد (فولدمورت) لمحاولة قتلك منذ خمسة عشر عامًا، لقد حان الوقت لتعرف معلومات محددة».

ومرت فترة لم يتكلم فيها أحد.

قال (هارى): «ولكنك قلت فى نهاية السنة الدراسية الماضية إنك قلت لى كل شىء يا سيدى» ولم يستطع (هارى) منع نبرة اتهام من الظهور فى صوته.

قال (دمبلدور) بهدوء: «وهذا ما فعلت، لقد قلت لك ما أعرفه ولكن منذ هذه اللحظة سوف نترك الأساس الثابت للحقائق ونتجول معًا خلال مستنقع الذكريات الضبابى المظلم وداخل أدغال أكثر التخمينات جموحًا. ومنذ الآن يا (هارى) قد أخطئ لدرجة مثيرة للشفقة مثلما أخطأ (همفرى بيلتشر) عندما اعتقد أن الوقت أصبح مواتيًا لمرجل الجبن».

سأل (هارى): «ولكنك تعتقد أنك على حق؟».

قال (دمبلدور): «من الطبيعى أن أعتقد هذا، ولكن كما سبق أن أوضحت لك فأنا أرتكب الأخطاء مثل أى شخص آخر، والحقيقة هى أن كونى أكثر براعة من معظم الرجال، يجعل أخطائى على نفس القدر من الجسامة».

قال (هارى) مبتدئًا: «سيدى، هل هناك علاقة بين الأشياء التى تقولها لى وبين النبوءة؟ وهل ستساعدنى معرفتها على النجاة؟».

قال (دمبلدور): «إن لها علاقة كبيرة جدًا بالنبوءة»، قالها بنفس البساطة كما لو أن (هارى) يسأل عن أحوال الطقس فى اليوم التالى، وأكمل قائلاً: «وأنا بكل تأكيد أتمنى أن تساعدك على النجاة».

وقف (دمبلدور) على رجليه ودار حول مكتبه مارًا بـ(هارى) الذى التفت بحماس فى مقعده ليشاهد (دمبلدور) ينحنى فوق خزانة بجوار الباب. وعندما اعتدل (دمبلدور) واقفًا، كان يحمل قاعدة حجرية مألوفة توجد فوق حافتها نقوش غريبة، ووضع جهاز (البنسيف) فوق المكتب أمام (هارى).

قال (دمبلدور): «تبدو قلقًا».

كان (هارى) بالفعل ينظر إلى الجهاز ببعض القلق؛ فقد كانت تجاربه السابقة مع الجهاز الغريب الذى يخزن ويكشف عن الأفكار والذكريات مزعجة، وإن كانت تثقيفية أيضًا. وفى آخر مرة دخل إلى محتويات الجهاز. ضايقه كثيرًا ما شاهده ولكن (دمبلدور) كان يبتسم.

وقال: «لا تقلق، هذه المرة ستُدخل جهاز (البنسيف) معى، وخلافًا للمعتاد سيكون معك رخصة للقيام بذلك».

سأل (هارى): «أين سنذهب يا سيدى؟».

قال (دمبلدور) وهو يخرج من جيبه زجاجة بلورية تحتوى على مادة فضية تتحرك على شكل دوامات: «سنذهب فى رحلة إلى طريق الذكريات الخاص بـ(بوب أوجدن)».

سأل (هارى): «من هو (بوب أوجدن)؟».

قال (دمبلدور): «كان موظفًا فى إدارة تنفيذ القوانين السحرية، ومات منذ فترة، ولكن قبل ذلك كنت قد وصلت إليه وأقنعته بأن يفضى إلىَّ بأسراره وذكرياته، ونحن على وشك مرافقته فى زيارة قام بها أثناء قيامه بعمله. هلا وقفت يا (هارى)...».

ولكن (دمبلدور) وجد صعوبة فى جذب سدادة الزجاجة البلورية، فقد بدت ذراعه المجروحة متيبسة ومتألمة.

(هـارى): «هل... هل أقوم بذلك عنك يا سيدى؟».

(دمبلدور): «لا عليك يا (هـارى)».

أشار (دمبلدور) بعصاه إلى الزجاجة فخرجت السدادة منها.

سأل (هـارى) مرة أخرى وهو ينظر إلى الأصابع السوداء بخليط من الاشمئزاز والشفقة: «سيدى، كيف جرحت يدك؟».

«ليست الآن اللحظة المناسبة لهذه القصة يا (هـارى) ليس بعد؛ فلدينا موعد مع (بوب أوجدن)».

سكب (دمبلدور) محتويات الزجاجة الفضية داخل جهاز (البنسيف) فأخذت تدور فى دوامات وتومض، فلم تكن تلك المحتويات سائلة ولا حتى غازيَّة.

قال (دمبلدور) وهو يشير نحو الجهاز: «تفضل».

انحنى (هـارى) إلى الأمام وأخذ نفسًا عميقًا وغمس وجهه فى المادة الفضية، وشعر بقدمه تترك أرضية المكتب وأخذ يسقط مندفعًا خلال الظلام، ثم فجأة كان يطرف بسبب ضوء الشمس الباهر، وقبل أن تتكيف عيناه مع الضوء هبط (دمبلدور) بجواره.

كانا يقفان فى طريق ريفى محاط بسياج من الشجيرات المتشابكة، تحت سماء صيفية زرقاء وصافية تشبه فى لونها زهور نبات (لاتنسانى). وعلى بعد عشرة أقدام أمامهم، كان يقف رجل قصير وبدين يرتدى نظارة سميكة جدًا حتى إنها قلصت حجم عينيه إلى بقعة تشبه الشامة، وكان يقرأ لافتة خشبية مثبتة داخل شجيرة على الجانب الأيسر من الطريق. عرف (هـارى) أن هذا هو (أوجدن)؛ فلم يكن هناك شخص آخر فى المكان؛ كما أنه كان يرتدى مجموعة من الملابس عادة ما يختارها السحرة عديمو الخبرة الذين يريدون الظهور بمظهر العامَّة، فقد كان يرتدى معطفًا أسود طويلاً يصل للركبتين فوق بذلة سباحة مخططة قطعة واحدة، وحذاء برقبة طويلة.

وقبل أن يتمكن (هارى) من فعل أى شيء أكثر من ملاحظة مظهره الغريب، بدأ (أوجدن) يمشى بنشاط نازلاً على الطريق وتبعه (دمبلدور) و(هارى) وبينما يمرون باللافتة الخشبية نظر (هارى) إلى ذراعيها، كانت إحداهما تشير إلى الطريق الذى أتوا منه وكان مكتوبًا عليها قرية (هانجلتون) الكبرى خمسة أميال، والأخرى تشير إلى الطريق الذى مضى فيه (أوجدن) وكان مكتوبًا عليها قرية (هانجلتون) الصغرى ميل واحد.

مشى لمسافة كبيرة، ولم ير شيئًا سوى سياج الأشجار والسماء الزرقاء الواسعة فوق رءوسهم وحفيف المعطف الأسود الذى يرتديه الشخص الذى يتبعونه، ثم انعطف الطريق إلى اليسار وأصبح منحدرًا وواسعًا ومتجهًا إلى أسفل التل، فرأوا فجأة مشهدًا غير متوقع؛ الوادى بأكمله مسجًّى أمامهم. وكان بإمكان (هارى) أن يرى قرية، من المؤكد أنها (هانجلتون) الصغرى، وكانت تقبع فى حضن الوادى وقد أحاط بها تلان منحدران وكانت كنيستها ومقابرها واضحة للعيان. وعبر الوادى وفوق التل المقابل، كان هناك منزل ريفى جميل تحيط به مروج خضراء مخملية شاسعة.

وبدأ (أوجدن) ينزل التل بصعوبة؛ نظرًا لانحداره الشديد إلى أسفل، ومشى (دمبلدور) بخطوات واسعة، وأسرع (هارى) ليجاريه فى سرعته، وفكر فى أن قرية (هانجلتون) الصغرى يجب أن تكون مقصدهم الأخير، وتساءل كما كان يفعل فى الليلة التى وجدوا فيها (سلجهورن): لماذا كان عليهم أن يمشوا كل هذه المسافة ليصلوا إليها؟ إلا أنه اكتشف بعد قليل أنه كان على خطأ عندما اعتقد أن القرية هى مقصدهم، فقد انحرف الطريق إلى اليسار وعندما لفوا حول المنعطف وجدوا آخر جزء من معطف (أوجدن) يختفى فى فجوة داخل السياج.

وتبعه (دمبلدور) و(هارى) إلى الدرب الضيق الموحل الذى يحده سياج أعلى من الشجيرات المتشابكة التى تركوها خلفهم، وكان الممر غير ممهد

وممتلئًا بالأحجار ومتعرجًا وينحدر نحو أسفل التل، مثل الطريق السابق ويبدو أنه متجه نحو رقعة من الأشجار ذات اللون الداكن أسفلهم بقليل وهذا ما حدث بالفعل، فقد انفرج الدرب كاشفًا عن أجمة من الشجيرات الصغيرة، وتوقف (هارى) و(دمبلدور) خلف (أوجدن) الذى توقف وسحب عصاه.

وعلى الرغم من السماء الخالية من السحب فوقهم، كانت الأشجار القديمة أمامهم تلقى بظلال سوداء وباردة، ومرت بضع ثوان قبل أن يستطيع (هارى) تمييز المبنى الذى يختفى نصفه بين جذوع الأشجار المتقاربة، وقد بدا له أنه موقع غريب يتم اختياره لبناء منزل، أو أنه قرار عجيب أن تترك الأشجار لتنمو على هذا القرب منه وتمنع عنه كل الضوء ومشهد الوادى بالأسفل. وتساءل إن كان أحد يسكنه، فقد كانت حوائطه مكسوة بالطحالب. وقد سقط العديد من قوالب الطوب من سطحه حتى إن الدعامات الخشبية كانت ظاهرة فى المكان الذى سقطت منه، وقد نمت النباتات حوله حتى وصل طرفها إلى النوافذ والتى كانت صغيرة جدًا ويكسوها السخام، وعندما توصل إلى استحالة أن يكون هناك من يعيش بالمكان، فتحت إحدى النوافذ مُصدرة صوتًا صاخبًا وخرج منها شريط رفيع من الدخان أو البخار، وكأن شخصًا يقوم بالطبخ.

تحرك (أوجدن) إلى الأمام بهدوء وبدا لـ(هارى) أنه يتحرك بحذر. وعندما سقطت الظلال السوداء للأشجار فوقه، توقف مرة أخرى وأخذ يحدق بالباب الأمامى الذى كان أحدهم قد علق عليه ثعبانًا ميتًا.

ثم سمعوا صوت حفيف وطقطقة، وسقط رجل يرتدى أسمالاً بالية من فوق شجرة قريبة هابطًا على قدميه أمام (أوجدن) الذى قفز متراجعًا بسرعة حتى إنه وقف على ذيل معطفه فتعثر به.

«إنك غير مرحب بك هنا».

كان الرجل الواقف أمامهم له شعر كثيف ملبد بالأوساخ حتى إن لونه لم يكن واضحًا وكان العديد من أسنانه مفقودًا، وكانت عيناه

صغيرتين وذواتى لون داكن وتحدقان باتجاهين متقابلين. كان يمكن أن يبدو مظهره مضحكًا، ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة لهم؛ فقد كان شكله مخيفًا، حتى إن (هارى) لم يستطع لوم (أوجدن) على تراجعه عدة خطوات أخرى قبل أن يتكلم.

قال: «صباح الخير، أنا من وزارة السحر».

الرجل: «لست مرحبًا بك هنا».

قال (أوجدن) بعصبية: «أنا آسف، ولكننى لا أفهمك».

فكر (هارى) أن (أوجدن) يبدو غبيًا إلى حد كبير، فقد كان كلام الشخص الغريب واضحًا جدًا فى رأى (هارى)، خاصة أنه كان يلوح مهددًا بعصاه السحرية فى إحدى يديه وسكين قصيرة يغطيها الدم بعض الشىء فى اليد الأخرى.

قال (دمبلدور) بهدوء: «أنا متأكد أنك تفهمه يا (هارى)؟».

قال (هارى) وهو متحير قليلاً: «أجل بالطبع، ولكن لماذا لا يفهمه (أوجدن)؟».

ولكن ما إن وقعت عيناه على الثعبان الميت المعلَّق على الباب مرة أخرى، حتى أدرك الأمر فجأة.

(هارى): «إنه يتكلم بلغة الثعابين».

قال (دمبلدور): «جيد جدًا»، وأومأ برأسه وهو يبتسم.

كان الرجل ذو الأسمال البالية يتقدم الآن نحو (أوجدن) والسكين فى إحدى يديه والعصا فى يده الأخرى.

قال (أوجدن): «الآن، انظر...» ولكن الوقت كان متأخرًا؛ فقد قام الرجل بتوجيه ضربة قوية إليه، ووقع (أوجدن) على الأرض ممسكًا بأنفه، بينما تخرج من بين أصابعه مادة لزجة ذات لون أصفر مقرف.

قال صوت عال: «مورفين!».

وخرج رجل عجوز مسرعًا من داخل الكوخ، وصفَق الباب خلفه حتى إن الثعبان الميت تأرجح بطريقة مثيرة للشفقة. وكان هذا الرجل أقصر من الرجل الآخر طولاً، وجسده غير متناسق؛ فقد كانت أكتافه عريضة جدًّا وذراعاه طويلتين جدًّا وكانت عيناه بنيتيْن لامعتين، وشعره قصيرًا خشنًا ووجهه متغضنًا؛ مما أعطاه مظهر قرد عجوز جبار. توقف الرجل العجوز بالقرب من الرجل ذى السكين الذى كان يضحك بصوت عال على منظر (أوجدن) وهو واقع على الأرض.

قال الرجل العجوز وهو ينظر إلى (أوجدن): «قادم من الوزارة، أليس كذلك؟».

قال (أوجدن) بغضب: «بالضبط!»، وأخذ يربت على وجهه مضيفًا: «وأنت، أظن أنك السيد (جاونت)؟».

قال (جاونت): «أجل، ضربك فى الوجه.. أليس كذلك؟».

قال (أوجدن) بحدة: «بلى، لقد فعل!».

قال (جاونت) بلمحة عدائية: «كان يجب أن تعلن حضورَك، هذه ممتلكات خاصة، لا يمكنك أن تمشى هنا ببساطة ولا تتوقع أن يقوم ابنى بالدفاع عن نفسه».

قال (أوجدن) وهو يقوم ليقف على قدميه: «يدافع عن نفسه ضد ماذا يا رجل؟».

«الفضوليين والمتطفلين والعامَّة والدنس».

أشار (أوجدن) بعصاه إلى أنفه الذى كان لا يزال تخرج منه كميات كبيرة مما بدا مثل الصديد الأصفر فتوقف تدفق المادة على الفور. وتحدث السيد (جاونت) من طرف فمه إلى (مورفين) قائلاً: «ادخل إلى المنزل، ولا تجادل».

هذه المرة، كان (هارى) مستعدًّا، بعد أن عرف أنها لغة الثعابين، ورغم أنه فهم ما يقال، فقد استطاع كذلك تمييز صوت الفحيح الغريب

الذى لم يكن بإمكان (أوجدن) سماع غيره. كان (مورفين) على وشك الاعتراض، ولكن والده رماه بنظرة تحذير جعلته يغير رأيه ويبتعد متجهًا إلى الكوخ بمشية متثاقلة غريبة، وأغلق الباب الأمامى خلفه حتى أن الثعبان تأرجح بطريقة محزنة مرة أخرى.

قال (أوجدن): «لقد جئت لرؤية ابنك يا سيد (جاونت)».

وأخذ يمسح ما تبقى من الصديد على معطفه، وأضاف: «كان هذا (مورفين).. أليس كذلك؟».

قال الرجل العجوز بلا مبالاة: «بلى، كان هذا هو (مورفين)».

ثم سأل وقد أصبح صوته عدائيًا فجأة: «هل أنت من ذوى الدم النقى؟».

قال (أوجدن) ببرود: «لا أختلف عن الكثير من الناس»، وشعر (هارى) أن احترامه لـ(أوجدن) قد زاد.

ولكن يبدو أن شعور (جاونت) كان مختلفًا، فقد نظر إلى (أوجدن) شزرًا وغمغم بلهجة كان من الواضح أنها من المفترض أن تبدو مهينة: «الآن، وقد فكرت فى الأمر، أعرف أننى رأيت أنوفًا مثل أنفك فى القرية من قبل».

قال (أوجدن): «لا أستبعد هذا، إذا ما ترك ابنك حرًا ليهاجم الناس،ربما يمكننا أن نكمل هذه المناقشة بالداخل؟».

قال (جاونت): «بالداخل؟!».

(أوجدن): «نعم يا سيد (جاونت)، لقد سبق أن أخبرتك أننى جئت إلى هنا لأجل (مورفين)، لقد أرسلنا بومة».

قال (جاونت): «أنا لا أستخدم البوم، ولا أفتح الخطابات».

قال (أوجدن) بحدة: «إذن، كيف يمكنك الشكوى من أنك لم تحصل على تحذير مسبق بقدوم زائرين؟ أنا هنا بسبب انتهاك خطير لقانون السحرة، حدث هذا فى الساعات الأولى من الصباح».

قال (جاونت) بصوت يبدو كالخوار: «حسنًا، حسنًا، حسنًا! تعال إلى المنزل اللعين؛ لنرى الغرض من وراء كل هذا!».

كان المنزل يتكون من ثلاث غرف على ما يبدو؛ حيث كان هناك بابان فى الغرفة الرئيسية التى كانت تستخدم كمطبخ وكغرفة معيشة فى نفس الوقت. وكان (مورفين) يجلس على مقعد قذر ذى ذراعين بجوار النار التى يخرج منها الدخان، وهو يثنى أفعى حية بين أصابعه الضخمة ويدندن بلغة الثعابين بنعومة ويقول:

هسهس أيها الثعبان الصغير
وانزلق على الأرض بسلام
كن طيبًا مع (مورفين)
وإلا سيثبتك على الباب

وكان هناك صوت جلبة عالية فى الركن بجوار النافذة المفتوحة؛ فأدرك (هارى) أن هناك شخصًا آخر فى الغرفة، وهى فتاة يضاهى لون فستانها الرمادى البالى لون الحائط الحجرى القذر خلفها.

وكانت تقف بجوار قِدر يخرج منه البخار، موضوعٍ فوق موقد أسود مكسو بالسخام، وكانت تتحرك فى المكان وتحرك القدور والطاسات القذرة الموجودة على الرف. كان شعرها مسترسلاً وباهتًا وكان وجهها خاليًا من الجمال وشاحبًا وملامحها غليظة إلى حد ما وكانت عيناها كعينى أخيها تحدقان باتجاهين متقابلين. ورغم أنها كانت تبدو أنظف قليلاً من الرجلين، فإن (هارى) فكر أنه لم ير فى حياته قطُّ شخصًا يبدو مقهورًا إلى هذه الدرجة.

وعندما نظر (أوجدن) إليها مستفسرًا؛ قال (جاونت) على مضض: «(ميروب)، ابنتى».

قال (أوجدن): «صباح الخير».

ولكنها لم ترد عليه وبعد أن ألقت نظرة سريعة على والدها التفتت معطية ظهرها للغرفة واستمرت فى نقل القدور الموجودة على الرف خلفها.

قال (أوجدن): «حسنًا يا سيد (جاونت)، فلندخل فى الموضوع مباشرة، عندنا سبب يدعونا للاعتقاد أن ابنك (مورفين) قد قام بتأدية سحر أمام أحد العامَّة فى وقت متأخر الليلة الماضية».

وسمعوا صوت ضجة عالية؛ حيث أسقطت (ميروب) إحدى القدور.

صاح (جاونت) فى وجهها قائلاً: «التقطيه! أنت تنحنين على الأرض مثل أحد العامَّة القذرين، ما فائدة عصاك إذن، يا جراب الوحل الذى بلا فائدة؟».

قال (أوجدن) بصوت مصدوم: «سيد (جاونت) أرجوك!» بينما تورد وجه (ميروب) التى كانت قد التقطت القِدر بالفعل وأصبح ملطخًا بالاحمرار. فأفلتت القدر من قبضتها مرة أخرى، وسحبت عصاها من جيبها، ووجهتها ناحية القِدر وغمغمت تعويذة سريعة غير مسموعة جعلت القِدر ينطلق على الأرضية مبتعدًا عنها حتى ضرب الحائط المقابل وانكسر إلى جزءين.

فأطلق (مورفين) ضحكة مجنونة عالية، أما (جاونت) فقد صرخ قائلاً: «أصلحيه أيتها الكتلة التافهة، أصلحيه!».

مشت (ميروب) عبر الغرفة وهى تتعثر فى خطواتها ولكن قبل أن تجد وقتًا لرفع عصاها، كان (أوجدن) قد رفع عصاه وقال بثبات: «(ريبارو)»، فقام القِدر بإصلاح نفسه فى الحال.

بدا (جاونت) للحظة كما لو أنه على وشك الصياح فى وجه (أوجدن) ولكن يبدو أنه غيَّر رأيه وقال لابنته ساخرًا بدلاً من ذلك: «من حسن حظك أن هذا الرجل الطيب القادم من الوزارة هنا، أليس كذلك؟ ربما سيأخذك بعيدًا عنى لأرتاح منك، هذا إن كان لا يمانع من أخذ الصراصير القذرة...».

وبدون أن تنظر إلى أى شخص أو تشكر (أوجدن)، التقطت (ميروب) القِدر وأعادته إلى رفه ويداها ترتجفان.

ووقفت هادئة فى مكانها وظهرها إلى الحائط بين الموقد والنافذة القذرة، وكأنها لا تتمنى شيئًا أكثر من أن تغرق فى الجُحر وتختفى تمامًا.

قال (أوجدن) مرة أخرى: «سيد (جاونت)، كما سبق أن قلت لك إن سبب زيارتى...».

قال (جاونت) بحدة: «لقد سمعت ما قلته فى المرة الأولى! وماذا بعد؟ دافع (مورفين) عن نفسه ضد أحد العامَّة ـ ما الذى حدث إذن؟».

قال (أوجدن) بتجهم: «لقد خرق (مورفين) قانون السحرة».

قال (جاونت) مقلدًا صوت (أوجدن) جاعلاً إياه رنانًا ومنغمًا: «لقد خرق (مورفين) قانون السحرة»، انفجر (مورفين) فى الضحك مرة أخرى وأضاف (جاونت): «لقد علم أحد العامَّة القذرين درسًا قاسيًا، هل أصبح هذا غير قانونى الآن إذن؟».

قال (أوجدن): «أجل، أخشى أن هذا هو الوضع»، وجذب من جيبه الداخلى رقعة جلدية صغيرة ملفوفة وقام بفردها.

صاح (جاونت) بنبرة غاضبة: «ما هذا إذن، عقوبته...».

قال (أوجدن): «إنه استدعاء إلى الوزارة لحضور جلسة استماع».

قال (جاونت): «استدعاء! استدعاء! من تعتقد نفسك حتى تستدعى ابنى إلى أى مكان؟».

قال (أوجدن): «أنا رئيس فرقة تنفيذ القانون السحرى».

صرخ (جاونت) قائلاً، وهو يتحرك فى اتجاه (أوجدن) مشيرًا إليه بإصبع متسخ ذى ظفر مصفر نحو صدره: «أنت تعتقد أننا حثالة، أليس كذلك؟»، وأكمل قائلاً: «الحثالة هو الذى يسرع بالحضور عندما تطلب منه الوزارة ذلك. هل تعرف من الذى تتحدث إليه يا ذا الدم الموحل يا مولود العامَّة القذر؟ هل تعرف من؟».

قال (أوجدن) وقد بدا عليه الحذر دون أن يتزحزح عن موقفه:
«لقد كنت أعتقد أننى أتحدث مع السيد (جاونت)».

صاح (جاونت): «هذا صحيح». وللحظة، اعتقد (هارى) أن (جاونت) يشير بإصبعه إشارة قذرة ولكنه أدرك بعدها أنه كان يعرض لـ(أوجدن) الخاتم القبيح ذا الحجر الكريم الأسود الذى يرتديه فى إصبعه الوسطى، وأخذ يلوح به أمام عينى (أوجدن) قائلاً: «هل ترى هذا؟ هل ترى هذا؟ هل تعرف ما هو؟ هل تعرف من أين أتى؟ لقرون ظل هذا الخاتم فى عائلتنا شاهدًا على عراقتنا ونقاء دمائنا طوال هذه القرون! هل تعرف كم عرض علىَّ ثمنًا لهذا الخاتم، وخاصة أن شعار النبالة الخاص بآل (بيفيرل) محفورٍ على الحجر الكريم؟».

قال (أوجدن) وهو يطرف؛ لأن الخاتم كان يتحرك على بُعد بوصة واحدة من أنفه: «فى الحقيقة، ليست لدىَّ أى فكرة، ولكن هذا بعيد عن موضوعنا يا سيد (جاونت). إن ابنك قد ارتكب...».

صرخ (جاونت) صرخة غضب وجرى إلى ابنته ولأقل من الثانية اعتقد (هارى) أنه سيقوم بخنقها؛ فقد ارتفعت يده إلى حلقها، لكنه شد السلسلة الذهبية التى ترتديها حول رقبتها ساحبًا ابنته فى اتجاه (أوجدن) وصاح فى وجهه: «أترى هذه؟» وأخذ يهز المدلاة الذهبية الثقيلة أمامه بينما (ميروب) تغمغم وتلهث لالتقاط أنفاسها.

قال (أوجدن) بسرعة: «أراها، أراها!»

هتف (جاونت): «إنها لعائلة (سليذرين)! كانت لـ(سالازار سليذرين) نفسه! نحن آخر الأحياء من أفراد سلالته، ما الذى يمكنك قوله عن هذا، هه؟».

قال (أوجدن) بذعر: «سيد (جاونت)، ترفق بابنتك!» ولكن (جاونت) كان قد حرر ابنته (ميروب) التى ابتعدت عنه مترنحة لتعود إلى الركن الذى كانت تقف فيه وهى تدلك عنقها وتلتقط أنفاسها.

قال (جاونت) بلهجة انتصار وكأنه أثبت نقطة معقدة إثباتًا مفحمًا يجعلها غير قابلة لأى جدال: «إذن، توقف عن الكلام معنا وكأننا قذارة

فوق حذائك! فنحن سلالة أجيال عريقة من ذوى الدم النقى، كلهم من السحرة، ولا شك أنه يصعب عليك تخيل هذا!».

وبصق (جاونت) على الأرض بجوار قدمى (أوجدن)، وضحك (مورفين) مرة أخرى، بينما وقفت (ميروب) ساكنة بجوار النافذة ورأسها منحن، بينما يخفى شعرها المسترسل وجهها.

قال (أوجدن) مصممًا على رأيه: «سيد (جاونت)، أخشى أنه لا شأن لأجدادك أو أجدادى بالمسألة التى نناقشها الآن. أنا هنا بسبب (مورفين) وما فعله ،عندما اعتدى على هذا العامِّى الليلة الماضية، ومعلوماتنا»، وألقى نظرة على الرقعة الجلدية الملفوفة وأكمل قائلاً: «إن (مورفين) قام بإلقاء تعويذة على هذا العامّى؛ مما سبب له طفحًا جلديًّا مؤلمًا جدًّا».

ضحك (مورفين) مقهقهًا.

وزمجر (جاونت) بلغة الثعابين قائلاً: «*اسكت يا ولد*»، فعاد (مورفين) إلى الصمت.

قال (جاونت) متحديًا (أوجدن): «وماذا إذا كان قد فعل؟ أتوقع أنكم قد نظفتم الوجه القذر للعامّى، ومسحتم ذاكرته لأجله».

قال (أوجدن): «ليست هذه هى المشكلة يا سيد (جاونت)، لقد قام ابنك بمهاجمة شخص أعزل وبدون سبب».

قال (جاونت) متهكمًا: «لقد عرفت أنك من محبى العامَّة فى اللحظة الأولى التى رأيتك فيها»، ثم بصق على الأرض مرة أخرى.

قال (أوجدن) بحزم: «هذه المناقشة لن توصلنا إلى شىء، والواضح من موقف ابنك أنه لا يشعر بأى ندم على تصرفاته»، ثم ألقى نظرة أخرى على الرقعة الجلدية وأضاف: «سيحضر (مورفين) جلسة استماع يوم الرابع عشر من سبتمبر ليجيب عن تهم استخدام السحر أمام العامَّة والتسبب فى أذى وألم نفس هذا الشخص من العامَّة».

توقف (أوجدن) فجأة عندما سمع صوت حوافر خيل تقترب وأصوات ضحك عالٍ تنساب عبر النافذة المفتوحة. كان من الواضح أن الممر الضيق الملتف الذى يفضى إلى القرية قريب جدًّا من دغل الأشجار الذى توقفت عنده الخيول. تجمد (جاونت) وأخذ يسمع وقد اتسعت عيناه، وأصدر (مورفين) صوت فحيح، ثم التفت فى اتجاه الصوت وقد ارتسم على وجهه تعبير جائع.

ورفعت (ميروب) رأسها فشاهد (هارى) وجهها الذى كان شاحبًا بشدة.

وتردد صوت فتاة قائلاً: «يا إلهى.. ما هذا المنظر القبيح! ألا يستطيع والدك إزالة هذا الكوخ الفظيع يا توم؟» وكان صوتها يأتى واضحًا من خلال النافذة المفتوحة وكأنها تقف فى الغرفة الملاصقة لهم.

رد صوت شاب: «إنه ليس لنا، إن أملاكنا فوق الجانب الآخر من الوادى ولكن هذا الكوخ ملك رجل عجوز صعلوك يدعى (جاونت) وأولاده، ولديه ابن مجنون تمامًا، يجب أن تسمعى بعض القصص التى يحكونها عنه فى القرية».

ضحكت الفتاة وكان صوت حوافر الخيل يزداد علوًّا كل لحظة، وحاول (مورفين) القيام من مقعده؛ إلا أن والده قال له محذرًا بلغة الثعابين:

«لا تتحرك من مقعدك».

وعلا صوت الفتاة مرة أخرى: «(توم)، ربما أكون مخطئة - ولكننى أرى ثعبانًا مثبتًا على هذا الباب». كان من الواضح أنهم يمرون بجوار المنزل بالضبط؛ لأن صوتها بدا قريبًا جدًّا هذه المرة.

رد صوت الشاب: «يا إلهى! إنك على حق، من المؤكد أنه الابن، ألم أقل لكِ إن عقله ليس على ما يرام؟ لا تنظرى إليه يا عزيزتى (سيسيليا)».

وأخذت أصوات الحوافر والكلام تخفت مبتعدة مرة أخرى.

همس (مورفين) بلغة الثعابين وهو ينظر إلى أخته: «عزيزتى، لقد دعاها عزيزتى إذن، لن يحصل عليك على أية حال».

كان وجه (ميروب) شاحبًا جدًّا حتى إن (هارى) كان متأكدًا أنها على وشك الإغماء.

وقال (جاونت) بلغة الثعابين أيضًا وهو ينقل نظره من ابنه إلى ابنته: «ما هذا؟ ما الذى قلته يا (مورفين)؟».

قال (مورفين): «إنها تحب النظر إلى هذا العامّى، دائمًا ما تكون فى الحديقة عندما يمر وتنظر إليه عبر سياج الشجيرات، أليس كذلك؟ والليلة الماضية...» قال هذا وقد ارتسم على وجهه تعبير خبيث وهو يحدق إلى أخته التى بدت مرتعبة الآن.

هزت (ميروب) رأسها وهى ترتعش مستعطفة، لكن (مورفين) أكمل بقسوة: «لقد تدلت من النافذة وهى منتظرة لتراه وهو يمر عائدًا بجوار المنزل، أليس كذلك؟».

قال (جاونت) بهدوء: «تدلت من النافذة لتنظر إلى عامىٍّ؟».

بدا أن آل (جاونت) الثلاثة قد نسوا وجود (أوجدن) الذى بدا متحيرًا وغاضبًا فى نفس الوقت بسبب اندلاع كل ذلك الفحيح والأصوات الخشنة الجديدة المبهمة.

وتقدم (جاونت) خطوة نحو الفتاة المرعوبة وسأل بصوت مميت: «هل هذا صحيح؟ ابنتى أنا ذات الدم النقى، سليلة (سالازار سليذرين)، تسعى خلف عامىٍّ قذر يجرى فى عروقه وحل؟!».

وأخذت (ميروب) تهز رأسها كالمحمومة وهى تضغط نفسها إلى الحائط، دون أن تستطيع النطق كما هو واضح.

ضحك (مورفين) قائلاً: «لكننى نلت منه يا أبى! ورميته بتعويذة عندما كان يمر بالقرب منا ولم يكن يبدو جميلاً عندما غطته الدمامل، أليس كذلك يا (ميروب)؟».

صرخ (جاونت): «أنتِ أيتها الصرصور المقرف يا خائنة الدم القذرة!» كان قد فقد تحكمه فى أعصابه حتى إن يديه أغلقتا حول عنق ابنته.

صرخ (هارى) و(أوجدن) فى نفس الوقت: «لا»، ورفع (أوجدن) عصاه وصاح: «(ريلاشيو)!»؛ فارتمى (جاونت) إلى الوراء مبتعدًا عن ابنته، ثم تعثر فى كرسى وسقط منبطحًا على ظهره. وأطلق (مورفين) صرخة غضب وقفز من مقعده وجرى نحو (أوجدن) وهو يلوح مهددًا بسكينه الدامية، مطلقًا اللعنات من عصاه دون تمييز.

وجرى (أوجدن) لينجو بحياته، وأشار (دمبلدور) أن عليهم أن يتبعوه، وأطاعه (هارى) بينما يتردد صدى صراخ (ميروب) فى أذنه.

انطلق (أوجدن) صاعدًا الممر وخرج منه إلى الطريق الرئيسى بينما ذراعاه فوق رأسه، وعندها اصطدم بالحِصان الكستنائى الجميل الذى يركبه شاب وسيم جدًّا ذو شعر أسود وقد انفجر فى الضحك هو والفتاة الجميلة التى تعلو الحصان الرمادى بجواره؛ عندما رأوا (أوجدن) الذى ارتد عن جانب الحصان، ثم انطلق ثانية ومعطفه يطير خلفه وهو مغطى من رأسه حتى أخمص قدميه بالأتربة ويجرى فى فوضى إلى أعلى الطريق.

قال (دمبلدور): «أعتقد أن هذ يكفى يا (هارى)»، ثم أمسك (هارى) من المرفق وسحبه. وفى اللحظة التالية، كان كلاهما يحلق بلا وزن خلال الظلام حتى هبطا واقفيْن على أقدامهما وقد عادا إلى غرفة مكتب (دمبلدور) المضاءة بضوء خافت.

سأل (هارى) على الفور: «ما الذى حدث للفتاة التى بالكوخ (ميروب)، أو أيًّا كان اسمها؟» بينما كان (دمبلدور) يضىء المزيد من اللمبات بضربة خفيفة بعصاه.

قال (دمبلدور): «آه، لقد نجت» وجلس خلف مكتبه وأشار إلى (هارى) ليجلس أيضًا، وأكمل قائلاً: «انتقل (أوجدن) آنيًّا عائدًا إلى الوزارة وعاد مع تعزيزات من الوزارة خلال ١٥ دقيقة وحاول (مورفين) وأبوه المقاومة ولكن تم القبض عليهما ونقلهما من الكوخ، وفيما بعد تمت إدانتهما بواسطة محكمة (ويزينجاموت) وتم الحكم على (مورفين) الذى

له سجل بمهاجمة العامَّة بالسجن لمدة ثلاث سنوات فى (أزكابان) أما (مارفولو) الذى جرح العديد من موظفى الوزارة بالإضافة إلى (أوجدن) فقد تم الحكم عليهما بستة أشهر».

كرر (هارى) متسائلاً: «(مارفولو)؟».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم باستحسان: «هذا صحيح، أنا سعيد أن أرى أنك تتابعنى».

قال (هارى): «هذا الرجل العجوز كان..».

قال (دمبلدور): «جد (فولدمورت)، نعم، كان (مارفولو) وابنه (مورفين) وابنته (ميروب) آخر أفراد عائلة (جاونت)؛ إحدى عائلات السحرة العريقة التى اشتهرت بأن بها عرقًا من الاختلال والعنف انتقل عبر الأجيال بسبب عادة زواجهم من أبناء عمومتهم. وقد اجتمع بهم الافتقار إلى حسن الفهم وحب العظمة؛ مما أدى إلى ضياع ذهب العائلة قبل ميلاد (ميروب) بأجيال عديدة، وكما رأيت فقد عاش (مارفولو) فى القذارة والفقر وكان طبعه سيئًا جدًّا ولم يكن لديه سوى كمية مهولة من الكبرياء والتعجرف، وبعض المتاع الموروث الذى يحافظ عليه ويهتم به كما يهتم بابنه وأكثر من اهتمامه بابنته بعض الشىء».

قال (هارى) وهو يميل فى جلسته إلى الأمام ليحدق إلى (دمبلدور): «إذن (ميروب)، كانت... يا سيدى، هل هذا يعنى أنها كانت... أم (فولدمورت)؟».

قال (دمبلدور): «بالضبط، غير أننا قد ألقينا نظرة خاطفة على والد (فولدمورت) أيضًا، أتساءل إن كنت قد لاحظت هذا؟».

قال (هارى): «العامِّى الذى هاجمه (مورفين)، وهو الرجل الذى كان فوق الحِصان؟».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «رائع، نعم، كان هذا (توم ريدل) الأب، العامى الوسيم الذى اعتاد التجول ممتطيًا حصانه مارًّا بكوخ آل (جاونت) وهو نفس الشخص الذى كانت (ميروب جاونت) تضمر له عاطفة سرية متقدة».

قال (هارى) وهو لا يكاد يصدق أو يتخيل اثنين أبعد منهما عن الوقوع فى الحب: «وانتهى الأمر بهما إلى الزواج؟!».

قال (دمبلدور): «أعتقد أنك تهمل نقطة مهمة وهى أن (ميروب) كانت ساحرة. لا أعتقد أن قواها السحرية كانت فى أحسن حالاتها عندما كانت مرعوبة من أبيها، ولكننى متأكد أنه ما إن استقر (مارفولو) و(مورفين) بأمان فى (أزكابان) وأصبحت وحيدة وحرة لأول مرة فى حياتها، حتى أطلقت العنان لقدراتها لتخطط لهروبها من الحياة البائسة التى عايشتها مدة ثمانية عشر عامًا».

«ألا يمكنك التفكير بأى إجراء يمكن أن تقوم به (ميروب) لجعل (توم ريدل) ينسى رفيقته من العامَّة ويقع فى غرامها هى؟».

هز هارى كتفيه وقال: «تعويذة تحكُّم، أو وصفة حب سحرية؟».

قال (دمبلدور): «جيد جدًّا، أنا شخصيًّا أميل إلى الاعتقاد بأنها استخدمت وصفة حب سحرية. أنا متأكد أنها كانت تفكر فى أنها أكثر رومانسية، كما لا أعتقد أنه سيكون من الصعب عليها إقناع (توم ريدل) بتناول بعض الماء عندما يكون مارًّا ممتطيًا حصانه وحيدًا فى أحد أيام الصيف الحارة. على أية حال، بعد بضعة شهور من المشهد الذى شهدناه منذ قليل، شهدت قرية (هانجلتون الصغرى) فضيحة عظيمة، فلا يمكنك تخيل كم الشائعات التى سببها هروب ابن مالك الأرض الرئيسى بالمنطقة مع (ميروب) ابنة المتسول».

«ولكن صدمة القرويين لم تكن شيئًا، مقارنة بصدمة (مارفولو) الذى عاد من (أزكابان) متوقعًا أن يجد ابنته البارَّة فى انتظاره وقد أعدت له وجبة ساخنة على المائدة، فوجد بدلاً من ذلك التراب يغطى كل شىء ورسالة وداع توضح ما فعلته ابنته».

«ومما استطعت التوصل إليه، أنه لم يأت على ذكر اسمها أو وجودها قطُّ منذ هذه اللحظة. ويبدو أن صدمة هجرها له قد أسهمت فى موته

المبكر، أو ربما أنه ببساطة لم يستطع أن يتعلم كيف يُطعم نفسه، فقد أضعف السجن فى (أزكابان) (مارفولو) كثيرًا، حتى أنه لم يعش ليشهد عودة (مورفين) إلى الكوخ».

قال (هارى): «و(ميروب)؟ لقد ماتت، أليس كذلك؟ ألم ينشأ (فولدمورت) يتيمًا؟».

قال (دمبلدور): «بلى، بالطبع، وإن كنا سنلجأ إلى التخمين، إلا أننى أعتقد أنه ليس من الصعب استنتاج ما حدث، فبعد بضعة شهور من هروبهما ليتزوجا، ظهر (توم ريدل) مرة أخرى فى منزل مالك الضيعة وحيدًا بدون زوجته، وانتشرت الشائعات فى المنطقة المجاورة عن كونه قد تعرض «للخداع» أو تم «الاحتيال» عليه، ولكننى واثق أن ما كان يعنيه أنه كان واقعًا تحت تأثير سحر وقد انتهى الآن إلا أنه لم يجرؤ على استخدام هذه الكلمات بالتحديد؛ خوفًا من أن يعتقد الناس أنه مجنون. وقد خمن القرويون من كلامه أن (ميروب) قد كذبت على (توم ريدل) وادَّعت أنها حامل بطفله وأنه تزوجها لهذا السبب».

قال (هارى): «ولكنها بالفعل أنجبت طفله».

قال (دمبلدور): «أجل، ولكن ليس قبل عام من زواجهما وقد تركها (توم ريدل) وهى ما زالت حاملاً».

سأل (هارى): «ولكن ما الخطأ الذى حدث؟ لماذا توقفت وصفة الحب السحرية عن العمل؟».

قال (دمبلدور): «مرة أخرى نعود للتخمين، ولكننى أعتقد أن (ميروب) التى كانت تحب زوجها بشدة لم تستطع أن تتحمل الاستمرار فى جعله متيمًا بها باستخدام الوسائل السحرية. وأعتقد أنها اختارت أن تتوقف عن إعطائه الوصفة؛ ربما حبها له قد سلبها عقلها، وأقنعت نفسها بأنه أصبح يبادلها الحب مع مرور الوقت، أو ربما اعتقدت أنه سيبقى معها من أجل الطفل. ولكن إذا كان هذا هو ما فكرت هى فيه، فقد أخطأت فى

ظنونها؛ حيث إنه تركها، ولم يحاول رؤيتها قطُّ مرة أخرى، ولم يحاول حتى أن يزعج نفسه باكتشاف ما الذى حدث لطفله».

كانت السماء بالخارج فى سواد الحبر وبدت اللمبات فى مكتب (دمبلدور) أكثر سطوعًا عن ذى قبل.

قال (دمبلدور) بعد لحظة أو اثنتين: «أعتقد أن هذا يكفى الليلة يا (هارى)».

قال (هارى): «حسنًا يا سيدى».

ووقف (هارى) على قدميه ولكنه لم يرحل.

وقال: «سيدى، هل هناك أهمية لمعرفة كل هذه الأشياء عن ماضى (فولدمورت)؟».

قال (دمبلدور): «مهم جدًّا، كما أعتقد».

(هارى): «وهل له علاقة ما بالنبوءة؟».

(دمبلدور): «بالتأكيد له علاقة بالنبوءة».

قال (هارى): «حسنًا»، وكان يشعر بالحيرة قليلاً ولكنه متأكد فى نفس الوقت.

وما إن التفت ليذهب حتى خطر بباله سؤال آخر؛ فرجع أدراجه مرة أخرى.

وقال: «سيدى، هل مسموح لى أن أخبر (رون) و(هرميون) عن كل شىء أخبرتنى به؟».

نظر (دمبلدور) إلى (هارى) مليًّا ثم قال: «نعم، أعتقد أن السيد (ويسلى) والآنسة (جرانجر) قد أثبتا أنهما جديران بالثقة، ولكن يا (هارى)، سوف أطلب منك أن تخبرهما ألا يكررا أيًّا من هذا الكلام أمام أى شخص آخر؛ فلن يكون الأمر جيدًا لو انتشر أى كلام عن مدى ما أعرفه أو أظنه من أسرار لورد (فولدمورت)».

قال (هارى): «لا يا سيدى، سوف أتأكد، بالطبع، أن الأمر لن يتعدى (رون) و(هرميون)، تصبح على خير».

التفت (هارى) مرة أخرى، وكان تقريبًا قد وصل إلى الباب عندما رآه. كان موضوعًا على إحدى الموائد ذات الأرجل الطويلة الرفيعة التى تحمل الكثير من الأدوات الفضية التى تبدو سهلة الانكسار - خاتم ذهبى قبيح مزين بحجر كريم أسود كبير مكسور.

قال (هارى) وهو يحدق إليه: «سيدى، هذا الخاتم...».

قال (دمبلدور): «نعم».

قال (هارى): «لقد كنت ترتديه عندما قمنا بزيارة الأستاذ (سلجهورن) فى تلك الليلة».

وافق (دمبلدور): «هذا صحيح».

سأل (هارى): «ولكن أليس هو يا سيدى... أليس هو نفس الخاتم الذى عرضه (مارفولو جاونت) على (أوجدن)؟».

أومأ (دمبلدور) برأسه موافقًا، وقال: «نعم هو نفسه».

قال (هارى): «ولكن كيف؟ هل كان دائمًا معك؟».

قال (دمبلدور): «لا، لقد حصلت عليه منذ وقت قريب، منذ أيام قليلة قبل حضورى لأخذك من منزل خالتك وعمك فى الحقيقة».

(هارى): «هذا تقريبًا نفس الوقت الذى جرحت فيه يدك إذن يا سيدى».

(دمبلدور): «أجل تقريبًا فى نفس الوقت».

تردد هارى ولكن (دمبلدور) كان يبتسم.

«لقد تأخر الوقت يا (هارى)! وسوف تستمع إلى القصة فى المرة القادمة، تصبح على خير».

(هارى): «تصبح على خير يا سيدى».

■ ■ ■

١١ بفضل مساعدة (هرميون)

كما سبق وتنبأت (هرميون)، لم تكن الفترات الحرة لطلاب السنة السادسة أوقاتًا للاسترخاء وراحة البال كما توقع (رون) ولكن لمحاولة عمل الكميات الهائلة من الواجبات التى يأخذونها.

أصبح الطلب على الدروس أكثر رغبةً مما كانت عليه من قبل وتحتاج إلى المذاكرة الدائمة، وكأن لديهم امتحانات كل يوم. وأصبح (هارى) بالكاد يفهم نصف ما كانت تقوله الأستاذة (ماكجونجال) هذه الأيام، حتى (هرميون) كانت تضطر إلى أن تطلب منها تكرار الإرشادات مرة أو مرتين. ومما زاد من استياء (هرميون) أن مادة الوصفات أصبحت - فجأة وبشكل لا يصدق - المفضلة لدى (هارى)، والفضل للأمير الهجين.

وأصبحت التعاويذ غير المنطوقة متوقعة الآن، ليس فى مادة الدفاع ضد فنون الظلام فحسْب، ولكن فى مواد التعاويذ والتحويل كذلك. وكثيرًا ما تطلَّع (هارى) إلى رفقائه فى الصف وهم جالسون فى الغرفة العامة أو فى أوقات الوجبات ليرى وجوههم قد تحولت إلى اللون البنفسجى وظهر عليهم التوتر الشديد وكأنهم يتعرضون إلى حالة إمساك مستعصية، ولكنه كان يعلم أنهم كانوا فى الحقيقة يكافحون لتأدية تعاويذ بدون نطقها بصوت عال، وهكذا أصبح الخروج إلى الصوبة الزجاجية نوعًا من الترويح إلى حد ما، على الرغم من أنهم كانوا يتعاملون مع نباتات أكثر خطورة من المعتاد فى مادة علم النباتات، ولكن على الأقل كان مسموحًا لهم بالسباب بصوت عال إذا ما أمسك بهم نبات (فينوموس تينتاكولا) السام بقرون استشعاره الحادة من الخلف.

وكانت إحدى نتائج هذا الكم الهائل من الأعمال وساعات التدريب المحمومة على التعاويذ غير المنطوقة أن (هارى) و(رون) و(هرميون) لم يجدوا حتى هذه اللحظة الوقت الكافى ليذهبوا لزيارة (هاجريد) الذى كان قد توقف عن تناول الطعام على مائدة هيئة التدريس؛ وهى علامة منذرة بالشر، وعندما كانوا يمرون بالقرب منه فى الدهاليز أو الملاعب، فإنه بطريقة غامضة لم يكن يلاحظهم أو يسمع تحيتهم.

قالت (هرميون) وهى تنظر إلى كرسى (هاجريد) الضخم الخالى على مائدة هيئة التدريس، خلال إفطار يوم السبت التالى: «يجب أن نذهب لنشرح له الأمر».

قال (رون): «لدينا تجارب اختيار فريق (الكويدتش) هذا الصباح! كما أننا من المفترض أن نتدرب على تعويذة القشعريرة لمادة (فليتويك)! وعلى أية حال، ما الذى سنشرحه له؟ كيف سنقول له إننا نكره مادته الغبية؟».

قالت (هرميون): «نحن لا نكرهها!».

قال (رون) بتجهم: «تكلمى عن نفسك، فأنا لم أنس (السكروتس)، وأقول لكم الآن: إننا قد (نفدنا بجلدنا)، فأنت لم تسمعيه وهو يتكلم عن أخيه الأحمق. لو أننا لم نهرب، لَكُنَّا الآن نعلِّم (جرواب) كيف يربط حذاءه».

قالت (هرميون) وهى تبدو منزعجة: «أكره عدم الكلام مع (هاجريد)».

قال (هارى) مؤكدًا: «سنذهب إليه بعد (الكويدتش)».

كان (هارى) يفتقد (هاجريد) أيضًا رغم أنه مثل (رون) يرى أنهم أفضل حالاً بدون (جرواب) فى حياتهم، وأضاف قائلاً: «ولكن التجارب قد تستغرق النهار بأكمله؛ نظرًا لكثرة عدد المتقدمين، لا أعرف لماذا ازدادت شعبية الفريق فجأة هكذا»، كان (هارى) يشعر بالقليل من العصبية فى مواجهة أول عقبة فى عمله ككابتن للفريق.

قالت (هرميون) وقد فقدت صبرها فجأة: «دعك من هذا يا (هارى)، ليست (الكويدتش) هى التى أصبحت شعبية، إنه أنت! فأنت لم تكن يومًا ـ وبصراحة ـ أكثر إثارة للاهتمام ولا للإعجاب كما أصبحت اليوم».

كان (رون) قد ملأ فمه بقطعة كبيرة من سمك السلمون المدخن، فألقت عليه (هرميون) نظرة اشمئزاز، ثم عادت تنظر إلى (هارى) وأكملت قائلة: «أصبح الجميع يعلمون الآن أنك كنت تقول الحقيقة، أليس كذلك؟ وأصبح على مجتمع السحر بأكمله أن يعترف بأنك كنت على حق بشأن عودة (فولدمورت)، وأنك قد حاربته مرتين خلال العامين الماضيين ونجوت فى كلتا المرتين.

والآن يطلقون عليك المختار ـ حسنًا، ألا ترى لماذا أصبح الناس مفتونين بك؟».

شعر (هارى) أن البهو العظيم قد أصبح حارًا فجأة، حتى وإن كان السقف يبدو باردًا وممطرًا.

أكملت (هرميون) قائلة: «وقد تعرضت لكل ذلك الاضطهاد من الوزارة عندما كانوا يحاولون أن يثبتوا أنك غير مستقر عقليًا وكاذب، ولايزال بالإمكان رؤية العلامات التى جعلتك تلك المرأة الشريرة تكتبها بدمك واضحة للعيان، ولكنك تمسكت بقصتك رغم كل هذا...».

قال (رون) وهو يهز أكمامه للخلف: «ومازال بالإمكان رؤية المكان الذى أمسكتنى منه تلك العقول فى الوزارة، انظرى».

أكملت (هرميون) حديثها متجاهلة (رون): «هذا بالإضافة إلى أن طولك قد زاد حوالى قدم خلال الصيف أيضًا».

علق (رون) مبتعدًا عن الموضوع: «أنا طويل».

وصل بريد البوم منقضًا من النوافذ التى تغطيها قطرات المطر، مبعثرًا قطرات الماء على الجميع، معظم الناس كانوا يتسلمون بريدًا أكثر من المعتاد، فقد كان الأهالى القلقون يريدون الاطمئنان على أطفالهم وأن

يطمئنوهم فى المقابل بأن كل شىء فى البيت على ما يرام أيضًا، لم يتسلم (هارى) أى بريد منذ بداية العام الدراسى، فالشخص الوحيد الذى كان يراسله بانتظام مات الآن وعلى الرغم من أنه تمنى أن يراسله (لوبين) أحيانًا، فإن ظنه قد خاب حتى الآن؛ ولهذا السبب، فوجئ عند رؤية بومته الثلجية (هيدويج) وهى تدور بين كل البوم البنى والرمادى، ثم تهبط أمامه وهى تحمل طردًا كبيرًا مربعًا. وبعد لحظة، هبط طرْدٌ مماثل أمام (رون) وهو يسحق تحته بومته (بيجويدجين) الصغيرة المرهقة.

فتح (هارى) الطردِ ليجد نسخة جديدة من كتاب تحضير الوصفات: المستوى المتقدم من (فلوريش وبلوتس)، وقال: «آه».

قالت (هرميون) بسعادة: «آه، جيد، الآن يمكنك أن تعيد تلك النسخة المليئة بالنقوش».

قال (هارى): «هل أنت مجنونة؟ سوف أحتفظ بها بالطبع! انتظرى، لقد فكرت فى الأمر».

ثم سحب النسخة القديمة من الكتاب خارج حقيبته وضرب الغلاف بعصاه، وهو يغمغم: «(ديفيندو)!».

فوقع الغلاف وفعل نفس الشىء مع الكتاب الجديد، ثم قام بمبادلة غلافى الكتابين وضرب كلاً منهما بعصاه وقال: «(ريبارو)!».

وبدت (هرميون) مروعة وكأن ما يحدث غير أخلاقى.

وأصبحت نسخة الأمير متخفيةً فى صورة كتاب جديد، والكتاب الجديد القادم من (فلوريش وبلوتس) يبدو مثل المستعمل.

(هارى): «سوف أعيد لـ(سلجهورن) النسخة الجديدة، لا يمكنه الشكوى، فثمنها تسعة جالونات».

عضت (هرميون) على شفتيها وظهر عليها الغضب والاستهجان، ولكن شتت انتباهها هبوط بومة ثالثة أمامها وهى تحمل عدد اليوم من (المتنبئ اليومى)، ففتحتها بسرعة وأخذت تطالع الصفحة الأولى.

سألها (رون) بصوت صمم على أن يبدو عاديًا: «هل مات أحد نعرفه؟» وكان دائمًا ما يسأل نفس السؤال فى كل مرة تفتح فيها (هرميون) جريدتها.

قالت (هرميون): «لا، ولكنْ هناك اعتداءات جديدة من (الدمينتور) واعتقال».

قال (هارى) وهو يفكر فى (بيلاتريكس ليسترانج): «رائع، مَن...؟».

قالت (هرميون): «(ستان شونبيك)».

قال (هارى) وهو متعجب: «ماذا؟».

«وتم القبض على (ستان شونبيك)؛ المرشد على مركبة السحر المشهورة، (حافلة الفروسية)؛ بسبب الاشتباه فى قيامه بأنشطة خاصة بمنظمة (آكلى الموت)، وقد تم وضع السيد (شونبيك) البالغ من العمر ٢١ عامًا فى السجن مساء أمس بعد القيام بحملة على منزله فى (كلافام)...».

قال (هارى) وهو يتذكر الشاب ذا النمش الذى لقيه للمرة الأولى قبل ثلاث سنوات: «(ستان شونبيك) من (آكلى الموت)؟ لا يمكن!».

قال (رون) بعقلانية: «ربما تم وضعه تحت تعويذة التحكم، لا يمكنك أبدًا أن تعرف».

قالت (هرميون) التى كانت لاتزال تقرأ: «لا يبدو الأمر كذلك، مذكور هنا أنه تم القبض عليه بعد سماعه مصادفةً وهو يتكلم عن خطة سرية لـ(آكلى الموت) فى إحدى الحانات».

رفعت رأسها وقد كسا وجهها تعبير مضطرب وأضافت: «لو كان تحت تأثير تعويذة التحكم ما استطاع الانتقال من مكان إلى مكان وهو يثرثر عن خططهم، أليس كذلك؟».

قال (رون): «يبدو الأمر كأنه كان يتظاهر بمعرفة أكثر مما يعرفه فعلاً، أليس هو نفس الشخص الذى ادعى أنه سيصبح وزيرًا للسحر وهو يثرثر مع فتيات الفيللا؟».

قال (هارى): «بلى، إنه نفس الشخص، لا أعرف ما الذى يرمون إليه من أخذ كلام شخص كـ(ستان) بجدية؟».

قالت (هرميون) متجهمة: «من المحتمل أنهم يريدون الظهور كمن يفعل شيئًا، فالناس مرعوبون ـ أتعرف التوءم من عائلة (باتيل)، يريد والدهما أن يعودا إلى المنزل، وقد تم سحب (إلويس ميدجين) بالفعل؛ فقد أتى والدها لاصطحابها الليلة الماضية».

قال (رون) وهو يحملق إلى (هرميون): «ماذا؟! ولكن (هوجوورتس) أكثر أمانًا من منازلهم! فلدينا مدافعون ضد السحر الأسود، بالإضافة إلى كل تعاويذ الحماية الإضافية، كما أن لدينا (دمبلدور)!».

قالت (هرميون) بهدوء شديد: «أنا لا أعتقد أنه معنا طوال الوقت»،

ونظرت فى اتجاه مائدة هيئة التدريس من فوق جريدتها، وأضافت: «ألم تلاحظ؟ كان مقعده خاليًا معظم الأسبوع الماضى، مثل مقعد (هاجريد)».

نظر (هارى) و(رون) إلى مائدة هيئة التدريس، فقد كان مقعد الناظر خاليًا بالفعل، وأخذ (هارى) يفكر الآن فى أنه بالفعل لم ير (دمبلدور) منذ درسهم الخصوصى قبل أسبوع.

قالت (هرميون) بصوت خافت: «أعتقد أنه ترك المدرسة؛ ليفعل شيئًا مع الجماعة؛ أعنى أن الأمر كله يبدو جديًّا، أليس كذلك؟».

ولم يرد (هارى) أو (رون)، ولكن (هارى) عرف أنهم كانوا يفكرون جميعًا فى نفس الشىء؛ فقد حدث حادث فظيع أمس، عندما تم إخراج (هانا أبوت) من حصة علم النباتات ليخبروها أن أمها وُجدت مقتولة، ولم يروا (هانا) من وقتها.

وعندما تركوا مائدة (جريفندور) بعد خمس دقائق متجهين إلى ملعب (الكويدتش)، مروا بالقرب من (لافيندر براون) و(بارفاتى باتيل). وتذكر (هارى) ما قالته (هرميون) عن رغبة عائلة (باتيل) فى أخذ طفليها

التوءم من (هوجوورتس)، فلم يكن مندهشًا أن يرى الصديقتين المقربتين تتهامسان معًا وقد بدا عليهما الحزن. ولكن ما أثار دهشته أنه عندما مر (رون) بالقرب منهما، لكزت (بارفاتى) فجأة (لافيندر) التى نظرت حولها ومنحت (رون) ابتسامة عريضة. طرف (رون) بعينه فى اتجاهها ورد ابتسامتها بعدم ثقة وقد أصبح يمشى فى اختيال فجأة، قاوم (هارى) إغراء الضحك وهو يتذكر أن (رون) امتنع عن ذلك بعد أن كسر (مالفوى) أنف (هارى)، إلا أن (هرميون) بدت باردة ومنزوية طوال الطريق إلى الاستاد عبر الرذاذ البارد والأجواء الضبابية، وعندما وصلوا، تركتهم لتجد مكانًا على المدرجات دون أن تتمنى لـ(رون) حظًا سعيدًا.

وكما توقع (هارى)، فقد استغرقت التجارب معظم الصباح، وقد بدا أن نصف منزل (جريفندور) قد أتوا للاختبار.

بدايةً من طلاب السنة الأولى الذين كانوا يقبضون بعصبية على مجموعة من عِصِى مكانس المدرسة القديمة مرورًا بطلاب السنة السابعة الذين يبدون واثقين بأنفسهم عن الآخرين وواقفين برباطة جأش، وكان بين هؤلاء ولد ضخم ذو شعر خشن عرفه (هارى) على الفور؛ فقد قابله فى قطار (هوجوورتس) السريع.

قال بثقة وهو يخطو خارجًا من الزحام؛ ليسلم على (هارى): «لقد التقينا فى القطار، فى مقصورة (سلوجى) العجوز. أنا (كورماك ماكلاجين)، حارس مرمى».

سأله (هارى) وهو يلاحظ ضخامة حجمه ويفكر فى أنه من المحتمل أن يغلق كل جوانب طوق المرمى الثلاثة بدون حتى أن يتحرك: «إنك لم تشارك فى اختبارات العام الماضى، أليس كذلك؟».

قال (ماكلاجين) بزهو - نوعًا ما -: «لقد كنت فى جناح المستشفى عندما عقدت تجارب العام الماضى، بعد أن أكلت رطلاً من بيض (الدوكس) خلال أحد الرهانات».

قال (هارى): «آه، حسنًا... يمكنك الانتظار هناك...».

وأشار بيده إلى حافة الملعب، بالقرب من المكان الذى كانت تجلس فيه (هرميون) واعتقد أنه رأى وميضًا من الضيق على وجه (ماكلاجين) وتساءل إن كان (ماكلاجين) قد توقع معاملة متميزة؛ لأن كليهما من طلاب (سلوجى) المفضلين.

وقرر (هارى) أن يبدأ باختبار أساسى، فطلب من كل المتقدمين للانضمام إلى الفريق أن ينقسموا إلى مجموعات، على أن تتكون كل مجموعة من عشرة لاعبين يقومون بالطيران فى دورة حول الملعب وكان هذا قرارًا صائبًا؛ فقد كانت المجموعة الأولى مكونة من طلبة الصف الأول، وكان من الواضح جدًّا أنهم لم يطيروا قط من قبل، ولم يستطع إلا ولدٌ واحد منهم فقط أن يبقى فى الجو لأكثر من بضع ثوان؛ مما أدهشه، إلا أنه اصطدم بإحدى عوارض المرمى فورًا.

كانت المجموعة الثانية مكونة من عشر من أكثر الفتيات سخافةً، واللاتى التقاهن (هارى) فى حياته، وعندما نفخ (هارى) فى صفارته أخذن يضحكن ويمسكن ببعضهن. وكانت بينهن (روميلدا فان). وعندما طلب منهن (هارى) أن يتركن أرض الملعب، فعلن هذا وهنَّ سعيدات وذهبن للجلوس فى المدرجات ليضايقن جميع الموجودين.

المجموعة الثالثة حدث بينهم تصادم فى منتصف الطريق حول الملعب. أما المجموعة الرابعة، فقد أتى معظمهم دون أن يُحضروا عصى مكانس معهم. والمجموعة الخامسة كانت من منزل (هافلباف).

صاح (هارى) الذى كان قد بدأ يشعر بالضيق الشديد: «إن كان هناك شخص آخر لا ينتمى لـ(جريفندور) فى المكان فليرحل فورًا لو سمحتم!».

مرت لحظة صمت، ثم جرت مجموعة من طلاب (رافينكلو) الصغار بسرعة خارجين من الملعب وهم يضحكون.

وبعد ساعتين تخللهما الكثير من الشكاوى والعديد من نوبات الغضب، كانت إحداها بسبب تحطم مكنسة (كوميت) طراز (٦٢) وتكسر العديد من الأسنان، وأخيرا وجد (هارى) أخيرًا ثلاثة مطاردين: عادت (كاتى بيل) إلى الفريق بعد تجربة أداء ممتازة واكتشف (هارى) لاعبةً جديدة تدعى (ديميلزا روبينز)، كانت جيدة بشكل خاص فى مراوغة (البلادجر) وكذلك (جينى ويسلى) التى تفوقت فى كل المنافسات وسجلت ١٧ هدفًا وحدها. كان (هارى) سعيدًا باختياراته رغم اضطراره للصياح مع المعترضين الكثيرين حتى بحَّ صوته وتعرض إلى شىء مماثل مع الضاربين المرفوضين.

علا صوته وهو يقول: «هذا قرارى النهائى وإذا لم تُخْلُوا الطريق للحراس فسوف أرميكم بتعويذة».

لم يكن أى من الضاربين الذين اختارهم يتمتع ببراعة (فريد) و(جورج) ولكنه مع ذلك كان راضيًا إلى حد كبير عنهم، الأول كان (جيمى بيكيس)، وهو ولد قصير ذو صدر عريض فى الصف الثالث وكان قد تسبب فى ظهور نتوء فى حجم البيضة فى خلفية رأس (هارى) بضربة (بلادجر) قوية جدًا، والثانية كانت (ريتشى كوتى) التى كانت تبدو شديدة النحول إلا أنها بارعة جدًا فى توجيه (البلادجر)، وكانا الآن قد انضما إلى (كاتى) و(ديميلزا) و(جينى) فى المدرجات؛ ليشاهدوا اختيار آخر عضو فى الفريق.

تعمَّد (هارى) تأجيل اختبار الحراس إلى النهاية، وهو يتمنى أن يصبح الاستاد أقل امتلاءً؛ ليكون الضغط النفسى عليهم أقل.. ولكن لسوء الحظ، فإن كل اللاعبين المرفوضين وعددًا من الناس الذين أتوا للمشاهدة بعد إفطار طويل كانوا قد انضموا الآن إلى المشاهدين بالمدرجات، فأصبح عددهم أكثر من ذى قبل. وطار الحراس إلى أعلى فى اتجاه طوق المرمى، وسط صياح الجمهور المعتاد وتهكمه. ونظر

(هارى) إلى (رون) الذى كان دائمًا يعانى مشكلة فى أعصابه، وتمنى (هارى) أن يكون فوزهم بمباراتهم الأخيرة العام الماضى قد شفاه، ولكن من الواضح أن هذا لم يحدث، كان لون (رون) قد تحول إلى درجة من درجات الأخضر الخفيف.

لم يستطع أىٌّ من الخمسة المتقدمين الأوائل أن يصد أكثر من هدفين، ولكن أمل (هارى) خاب بشدة عندما استطاع (كورماك ماكلاجين) صد أربع كرات من خمس، ولكنه فى الأخيرة، مع ذلك، رفع الكرة فى اتجاه خاطئ تمامًا، وضحك الجمهور وسخروا منه وعاد (ماكلاجين) إلى الأرض وهو يجز على أسنانه.

كان (رون) يبدو على وشك الإغماء وهو يمتطى مكنسته (الكليف سويب)!!

صاح صوت من المدرجات: «حظ سعيد!»، نظر (هارى) حوله وهو يتوقع رؤية (هرميون)، ولكنها كانت (لافيندر براون). كم كان يود لو أن بإمكانه أن يخفى وجهه بين يديه، كما فعلت هى بعد لحظة، ولكنه فكر بما أنه الكابتن، فمن الواجب عليه أن يكون أكثر تمالكًا لأعصابه، وهكذا فقد استدار ليشاهد (رون) وهو يؤدى تجربته.

ولكنه لم يكن يحتاج إلى أن يقلق، فقد صد (رون) واحدة، اثنتين، ثلاثًا، أربعًا - خمس كرات.

كان (هارى) سعيدًا وقاوم بصعوبة مشاركة الجمهور فى تشجيعه، واستدار (هارى) إلى (ماكلاجين)؛ ليخبره، للأسف الشديد، أن (رون) قد هزمه ليجد أن وجه (ماكلاجين) الأحمر لا يبعد أكثر من بوصات قليلة عن وجهه؛ فتراجع خطوة للخلف بسرعة.

قال (ماكلاجين) متوعدًا: «إن أخته لم تحاول بجدية إحراز هدف وأعطته ضربة سهلة»، وكان لديه شريان ينبض فى صدغه، تمامًا مثل الذى اعتاد (هارى) الإعجاب به لدى عمه (فرنون).

قال (هاري) ببرود: «هُراء، كانت هذه التى كاد يخطئها».

تحرك (ماكلاجين) خطوة فى اتجاه (هارى) الذى لم يتزحزح من مكانه هذه المرة وقال: «أعطنى فرصة أخرى».

قال (هارى): «لا، لقد أخذت فرصتك وقد قمت بصد أربع كرات، بينما نجح (رون) فى صد خمس، وقد أصبح (رون) الحارس، وكان فوزه عادلاً ونزيهًا. ابتعد عن طريقى».

اعتقد (هارى) أن (ماكلاجين) على وشك أن يلكمه، ولكنه اكتفى بتكشيرة قبيحة واندفع مبتعدًا وهو يغمغم بما بدا مثل الوعيد والتهديد فى الهواء.

والتفت (هارى) ليجد فريقه الجديد يبتسم له.

فقال لهم: «أحسنتم، لقد كان أداؤكم طيبًا».

«لقد كان أداؤك رائعًا يا (رون)!».

هذه المرة كانت (هرميون) هى التى قالت هذا وهى تجرى قادمة فى اتجاههم من المدرجات، ورأى (هارى) (لافيندر) وهى تخرج من الملعب وذراعها فى ذراع (بارفاتى) بينما يكسو وجهها تعبير ضِيق. كان (رون) يبدو سعيدًا بنفسه إلى حد كبير ويبدو حتى أطول من المعتاد وهو يبتسم إلى (هرميون).

وبعد الاتفاق على أول موعد للتدريب الكامل يوم الخميس القادم، ودَّع (هارى) و(رون) و(هرميون) باقى الفريق واتجهوا إلى كوخ (هاجريد)، وكانت الشمس تحاول إرسال أشعتها عبر السحاب بعد أن توقف المطر أخيرًا.

شعر (هارى) بجوع شديد، وتمنى أن يكون لدى (هاجريد) ما يأكله.

قال (رون) بسعادة: «اعتقدت أننى سوف أخطئ الضربة الرابعة، فقد كانت ركلة بارعة من (ديميلزا)، هل رأيتها؟ فقد كان بها بعض اللولبية».

قالت (هرميون) وهى تبدو مستمتعة: «نعم، نعم، لقد كنت عظيمًا».

قال (رون) برضا: «لقد كنت أفضل من (ماكلاجين) على أية حال، هل رأيت كيف ذهب فى الاتجاه الخطأ أثناء صده للضربة الخامسة؟ كان يبدو مذهولاً».

دهش (هارى) عندما وجد وجه (هرميون) قد تحول إلى اللون الوردى عند سماعها لهذا الكلام.

ولكن (رون) لم يلاحظ شيئًا، فقد كان مشغولاً بوصف كل واحدة من الكرات التى صدها بالتفصيل الدقيق.

كان (الهيبوجريف) الرمادى الضخم (باك بيك) مربوطًا أمام كوخ (هاجريد). وعندما اقتربوا منه، طرقع منقاره الحاد كشفرة الموسى وحوَّل رأسه الضخم فى اتجاههم. قالت (هرميون) بعصبية: «يا إلهى! إنه مازال مخيفًا إلى حد ما، أليس كذلك؟».

قال (رون): «دعك من هذا، إنك قد امتطيته من قبل، أليس كذلك؟».

تقدم (هارى) إلى الأمام، ثم انحنى أمام (الهيبوجريف) دون أن يبعد عينيه عن عينه أو يطرف.

وبعد بضع ثوان، انحنى له (باك بيك) أيضًا.

سأله (هارى) بصوت خفيض: «كيف حالك؟»، ثم تقدم ليربّت على الرأس ذى الريش، وأكمل قائلاً: «هل تفتقده؟ ولكنك على خير حال هنا مع (هاجريد)، أليس كذلك؟».

قال بصوت عال: «أوه!».

تقدم (هاجريد) وهو يخطو بخطوات واسعة حول ركن كوخه مرتديًا مريلة مزينة بالزهور، حاملاً جرابًا مملوءًا بالبطاطس. وكان كلب الصيد البرى الخاص به (فانج) قادمًا فى أعقابه، والذى نبح بقوة ووثب إلى الأمام.

(هاجريد): «اذهبوا بعيدًا عن طريقه، فسوف يأكل أصابعكم».

كان (فانج) يقفز على (هرميون) و(رون) وهو يحاول لعق آذانهما. وقف (هاجريد) وأخذ ينظر إليهم للحظة قصيرة، ثم استدار وخطا بخطوات واسعة إلى داخل كوخه وصفَق الباب خلفه.

قالت (هرميون) وقد صُدمت: «يا إلهى!».

قال (هارى) بتجهم: «لا تقلقوا»، ثم مشى إلى الباب وبدأ فى طرْقه بصوت عالٍ.

وقال: «افتح يا (هاجريد)، نريد أن نتحدث معك!».

ولم يكن هناك صوتٍ فى الداخل.

قال (هارى) وقد سحب عصاه: «إذا لم تفتِح الباب فسوف أفجره!».

قالت (هرميون) وقد بدت مصدومة: «(هارى)! لا يمكنك...».

قال (هارى): «بل أستطيع! ارجعوا إلى الوراء».

ولكن قبل أن يقول أى شىء آخر، انفتح الباب مرة أخرى كما توقع (هارى)، ووقف (هاجريد) على عتبته محملقًا إليه، ورغم ملابسه الزهرية كان يبدو متوعدًا.

وصاح فى وجه (هارى) قائلاً: «أنا مدرس، مدرس يا (بوتر)! كيف تجرؤ على التهديد بتدمير بابى!».

قال (هارى): «أنا آسف يا سيدى»، وأكد الكلمة الأخيرة وهو يعيد عصاه إلى داخل ملابسه.

وبدا (هاجريد) مندهشًا.

وقال: «منذ متى وأنت تدعونى سيدى؟».

قال (هارى): «ومنذ متى وأنت تدعونى (بوتر)؟».

قال (هاجريد) متجهمًا: «أوه، منتهى الذكاء، ومضحك أيضًا. لقد تفوقت علىَّ بالحيلة، أليس كذلك؟ حسنًا ادخلوا إذن، أنتم يا ناكرى الجميل، أيها...».

وأخذ يغمغم وهو يفسح لهم الطريق ليدخلوا. أسرعت (هرميون) بالدخول بعد (هارى) وهى تبدو خائفة إلى حد ما.

وبعد أن جلس (هارى) و(رون) و(هرميون) حول المائدة الخشبية الضخمة وأصبح رأس (فانج) الضخم فوق ركبة (هارى) ولعابه يسيل على ملابسه، قال (هاجريد) وهو يبدو بمزاج نكد: «حسنًا! ما الأمر؟ هل تشعرون بالأسف لأجلى؟ أو ربما تظنون أننى وحدى أو شيئًا من هذا القبيل؟».

قال (هارى) على الفور: «لا، لقد أردنا أن نراك».

قالت (هرميون) وهى ترتعد: «لقد افتقدناك!».

قال (هاجريد): «افتقدتمونى! فعلاً؟ آه، صحيح».

وضرب الأرض بقدميه، وهو يغلى الشاى فى غلايته النحاسية الضخمة، ويغمغم طوال الوقت، وأخيرًا وضع على المائدة ثلاثة أكواب فى حجم الدِّلاء مملوءة بشاى لونه بنى محمر أمامهم، وطَبقًا من الكعك الحجرى. وكان (هارى) جائعًا لدرجة أنه لم يكن لديه مانع أن يأكل من طهى (هاجريد)؛ لذلك فقد تناول واحدة على الفور.

وعندما انضم إليهم على المائدة وبدأ فى تقشير البطاطس بعنف وكأن كل درنة منها قد ارتكبت خطأً كبيرًا فى حقه، قالت (هرميون) بخوف: «(هاجريد)، لقد أردنا بالفعل أن نستمر فى دراسة العناية بالمخلوقات السحرية».

نفخ (هاجريد) نفخة قوية حتى إن (هارى) فكر فى أن شيئًا من داخل أنفه يمكن أن يكون قد وقع على البطاطس، وكان سعيدًا بينه وبين نفسه أنهم لن يبقوا لتناول العشاء معه.

قالت (هرميون): «لقد حاولنا! ولكنَّ أَحدًا منا لم يستطع أن يجد لها وقتًا فى جَدْوِلِه!».

قال (هاجريد) مرة أخرى: «آه، صحيح».

ثم سمعوا صوتًا غريبًا لشىء يتحرك داخل الماء؛ فنظروا جميعًا حولهم، وأطلقت (هرميون) صرخة صغيرة، وقفز (رون) مبتعدًا عن

مقعده وأسرع بالدوران حول المائدة بعيدًا عن البرميل الواقف فى الركن الذى لم يلاحظوه إلا منذ لحظة، وكان مملوءًا بكائنات بيضاء لزجة تتلوى، تبدو مثل اليرقات، ويبلغ طول الواحدة منها قدمًا.

سأل (هارى): «ما هذه الأشياء يا (هاجريد)؟» وكان يحاول أن يبدو مهتمًا أكثر منه مشمئزًا، ولكنه أعاد الكعكة الحجرية مكانها.

قال (هاجريد): «إنها مجرد يرقات عملاقة».

قال (رون) وهو يبدو متوجسًا: «وهى تنمو لتصبح...».

قال (هاجريد): «إنها لن تنمو لتصبح أى شىء، إننى أحضرها؛ لأطعم (أراجوج)».

وبدون أى تحذير مسبق، انفجر (هاجريد) باكيًا.

صاحت (هرميون): «(هاجريد)!»، وقفزت واقفة وأسرعت تلف حول المائدة متخذة الطريق الأطول؛ لتتفادى برميل اليرقات ووضعت ذراعها حول كتفيه المرتعدتين متسائلة: «ما الأمر؟».

شهق (هاجريد) قائلاً: «إنه... هو...» وعيناه السوداوان اللتان يعلوهما حاجباه الكثيفان - تسيلان بينما يمسح وجهه بمريلته.

«إنه... (أراجوج)... أعتقد أنه يموت... لقد مرض خلال الصيف ولم يتحسن من وقتها... لا أعرف ماذا أفعل... إذا ما... لقد قضينا معًا وقتًا طويلاً».

وأخذت (هرميون) تربّت على كتفه، وقد بدا أنها متحيرة ولا تجد ما تقوله له، كان (هارى) يعرف ما تشعر به. كان يعرف أن (هاجريد) يشبه طفل تنين متوحش ومعه دمية على شكل دُبٍّ؛ لذلك فقد كانت رؤيته وهو يهمهم ويبكى على عنكبوت عملاق سام له ماصات وإبر بالكاد تتماشى مع طبيعة العمالقة الشرسة لأخيه نصف الشقيق.

ولكن هذا العنكبوت المتكلم الضخم - (أراجوج) - الذى يعيش فى الغابة المحرمة التى هرب منها هو و(رون) بشق الأنفس منذ أربع سنوات كان الأكثر غرابة بين كل الوحوش التى يعجب بها (هاجريد) ويحبها.

قالت (هرميون) متجاهلة تكشيرة (رون) وهزه لرأسه: «هل هناك... هل هناك شيء يمكننا عمله؟».

غصَّ (هاجريد) بالبكاء وهو يحاول أن يوقف فيضان دموعه: «لا أعتقد يا (هرميون)، فباقى قبيلته.. وعائلة (أراجوج).. قد بدءوا يتصرفون بغرابة الآن بعد أن أصبح مريضًا.. وأصبحوا أكثر جموحًا..».

قال (رون) بصوت خفيض: «أظن أننا رأينا قليلاً من هذا الجانب منهم».

وأنهى (هاجريد) حدِيثه: «لا أظن أن الاقتراب من المستعمرة سيكون آمنًا لأى أحد غيرى» ثم مخط أنفه فى مئزره بقوة ورفع رأسه قبل أن يضيف: «ولكن، شكرًا على كل شيء يا (هرميون)... لقد عنى ذلك الكثير بالنسبة لى...».

وبعد ذلك، خفت وطأة غضب (هاجريد) إلى حد كبير، وعلى الرغم من أن (هارى) و(رون) لم يظهرا أى رغبة فى الذهاب لإطعام العنكبوت العملاق القاتل بهذه اليرقات العملاقة، فإن (هاجريد) بدا متأكدًا أنهم كانوا يحبون فعل ذلك ورجع إلى طبيعته معهم مرة أخرى.

وقال بصوت أجش وهو يَصُبُّ لهم المزيد من الشاى: «لقد عرفت دائمًا أنكم ستجدون صعوبة لإيجاد وقت لى فى جداولكم، ربما يمكنكم اللجوء إلى تدوير الزمن».

قالت (هرميون): «لم نستطع فعل هذا؛ لأننا قمنا بتحطيم كل مخزون الوزارة من مدورات الزمن عندما كنا هناك خلال الصيف. لقد تم نشر ما حدث فى (المتنبئ اليومى)».

قال (هاجريد): «حسنًا، إذن ليست هناك أى طريقة يمكنكم بها فعل هذا... أنا آسف، إننى كنت...

أتعرفون... كنت قلقًا على (أراجوج).. كما أننى كنت أتساءل إن كانت الأستاذة (جروبلى - بلانك) تدرِّس لكم».

فرد ثلاثتهم عليه بطريقة قاطعة كاذبين: إن الأستاذة (جروبلى - بلانك) التى تم استبدال (هاجريد) بها بضع مرات، كانت مدرسة سيئة وسارت الأمور على ما يرام، حتى إنه عندما حان وقت رحيلهم عند الغروب، وقف (هاجريد) يلوح لهم من أمام كوخه وهو يبدو مرِحًا إلى حدٍّ بعيد.

وما إن أغلق الباب وراءهم، وأسرعوا عبر الملاعب المظلمة الخالية من المارّة، قال (هارى): «أنا جائع جدًّا».

فقد ترك الكعك الحِجرى بعد أن شعر بكسر لا يبشر بخير فى إحدى أسنانه الخلفية، وأضاف: «كما أن عندى هذا الاحتجاز مع (سناب) الليلة، ولا يوجد لدىَّ وقت كاف للعشاء».

وعندما دخلوا القلعة، رأوا (كورماك ماكلاجين) يدخل البهو العظيم. واحتاج إلى محاولتين؛ ليدخل من الباب، فقد ارتطم فى إطار الباب فى أول محاولة. ضحك (رون) متشفيًا، ثم أسرع خطاه ليدخل البهو خلفه ولكن (هارى) أمسك ذراع (هرميون) ليؤخرها.

قالت (هرميون) متخذة موقفًا دفاعيًّا: «ماذا؟».

قال (هارى) بهدوء: «إذا سألتنى أقول لكِ إن (ماكلاجين) كان يبدو مذهولاً وقد كان جالسًا بالضبط أمام نفس المكان الذى كنتِ تجلسين فيه».

تورد وجه (هرميون) وهمست: «أوه، حسنًا، إذن لقد فعلت هذا، ولكن كان يجب أن تسمع الطريقة التى كان يتكلم بها عن (رون) و(جينى)! على أية حال، فإن له طباعًا سيئة، لقد رأيت كيف كان رد فعله عندما لم يُقبل بالفريق، لم تكن لتريد شخصًا مثله فى الفريق».

قال (هارى): «لا، افترض أن هذا حقيقى. ولكن، ألم يكن هذا غشًّا يا (هرميون)؟ أعنى أنكِ لا تقبلين بالغش، أليس كذلك؟».

قالت (هرميون) بحدة: «أوه، لا تنطق بكلمة»، بينما ابتسم (هارى) ابتسامة متكلفة.

ظهر (رون) عند باب البهو العظيم مرة أخرى وسألهم وهو يبدو متشككًا: «ما الذى تفعلانه؟».

قال (هارى) و(هرميون) معًا: «لا شىء»، ثم أسرعا وراء (رون). رائحة اللحم المشوى جعلت بطن (هارى) يتلوَّى من الجوع، ولكنهم بالكاد خطوا ثلاث خطوات فى اتجاه مائدة (جريفندور) عندما ظهر الأستاذ (سلجهورن) أمامهم وأغلق عليهم الطريق.

وقال بصوت مدوٍّ وخفة دم: «(هارى)، (هارى)، الشخص الذى كنت أتمنى أن أراه!» وأخذ يبرم أطراف شاربه الذى يشبه شارب فيل البحر، ونفخ بطنه الضخم وأضاف: «لقد كنت آمل أن ألقاك قبل العشاء! ما رأيك أن تتعشى معى فى حجرتى الليلة؟! فنحن نعقد حفلة صغيرة، سيحضرها عدد من النجوم الصاعدين، منهم (ماكلاجين) و(زابينى) والفاتنة (فيلد داروبين)، لا أعرف إن كنت تعرفها أم لا؟ فأسرتها تمتلك سلسلة كبيرة من الصيدليات.. وطبعًا أتمنى أن تشرفنى الآنسة (جرانجر) بالحضور أيضًا».

وانحنى (سلجهورن) انحناءة صغيرة لـ(هرميون) وهو ينهى كلامه، ولم ينظر (سلجهورن) إلى (رون) بالمرة، وكأنه لم يكن موجودًا.

قال (هارى) على الفور: «لا أستطيع القدوم يا أستاذ، فلدىَّ هذا الاحتجاز مع الأستاذ (سناب)».

قال (سلجهورن) وقد تغير وجهه بشكل مضحك: «يا للأسف، لقد كنت أعتمد عليك يا (هارى)! حسنًا، الآن، سوف أتكلم مع (سيفيروس) وأشرح له الوضع، وأنا متأكد أننى سأكون قادرًا على إقناعه بتأجيل احتجازك، أراكما لاحقًا!».

واندفع خارجًا من البهو بنشاط.

قال (هارى) بعد أن أصبح (سلجهورن) بعيدًا عن مرمى السمع: «ليس لديه فرصة لإقناع (سناب)؛ فقد تم تأجيل هذا الاحتجاز مرة من قبل،

وقد وافق (سناب) لأجل خاطر (دمبلدور)، ولكنه لن يفعل هذا لأى شخص آخر».

قالت (هرميون) بقلق: «آه، أتمنى لو أن بإمكانك الحضور؛ فأنا لا أريد الذهاب وحدى!» وعرف (هارى) أنها كانت تفكر فى (ماكلاجين).

قال (رون) متجهمًا وقد بدا أنه لم يأخذ مسألة تجاهل (سلجهورن) ببساطة: «أشك أنكِ ستكونين وحيدة، فـ(جينى) ستكون مدعوة فى الأغلب».

وبعد العشاء، عادوا إلى برج (جريفندور)، وكانت الغرفة العامة مزدحمة، بعد أن أنهى معظم الطلاب عشاءهم، ولكنهم استطاعوا أن يجدوا مائدة خالية وجلسوا عليها، وكانت حالة (رون) النفسية قد أصبحت سيئة منذ التقوا بالأستاذ (سلجهورن)، فطوى ذراعيه معًا وأخذ ينظر للسقف وهو مقطب. مدت (هرميون) يدها لتجلب نسخة من (المتنبئ المسائى)، تركها أحدهم على أحد الكراسى.

قال (هارى): «هل هناك شىء جديد؟».

كانت (هرميون) قد فتحت الجريدة وأخذت تنظر إلى الصفحات الداخلية وقالت: «لا... أوه، انظر، هناك خبر عن والدك يا (رون)»، ثم أضافت بسرعة: «إنه على ما يرام!»؛ لأن (رون) نظر حوله فى قلق، وأكملت قائلة: «إنها تقول: إنه قام بحملة على منزل آل (مالفوى)» ولم يسفر التفتيش الثانى لمنزل (آكلى الموت) عن أى نتيجة، وقال (آرثر ويسلى) من مكتب كشف ومصادرة التعاويذ الدفاعية المقلدة والأشياء الوقائية: «إن فريقه قام بحملة بناءً على معلومات سرية من مصدر موثوق به».

قال (هارى): «صحيح، أنا! لقد أخبرته فى محطة (كينج كروس) عن (مالفوى) وهذا الشىء الذى كان يحاول أن يجعل (بروجين) يقوم بإصلاحه! حسنًا، إذا لم يكن فى منزلهم، فيجب أن يكون قد جلب هذا الشىء مهما كان معه إلى (هوجوورتس)».

قالت (هرميون) وهى تُنزل الجريدة وترميه بنظرة استغراب: «ولكن كيف فعل هذا يا (هارى)؟

لقد تم تفتيشنا جميعًا عندما وصلنا، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وقد فوجئ: «حقًا؟ لم يحدث هذا لى!».

قالت (هرميون): «آه، صحيح، بالطبع لم يتم تفتيشك، لقد نسيت أنك جئت متأخرًا.. حسنًا، لقد قام (فيلتش) بتفتيش جميع حقائبنا بمجس استشعار حساس يكشف عن الأشياء المخفية عندما دخلنا إلى بهو الدخول. لو كان هناك أشياء خاصة بالسحر الأسود لكان قد تم اكتشافها، فأنا أعلم أن (كراب) كان معه رأس منكمش وقد تمت مصادرته؛ لذلك ـ فكما ترى ـ لا يمكن أن يكون (مالفوى) قد أحضر شيئًا خطيرًا معه!».

شعر (هارى) بالحرج، وأخذ يراقب (جينى) وهى تلاعب (أرنولد) (البيجمى باف) لفترة قبل أن يجد مخرجًا لذلك.

فقال: «ربما أرسله إليه أحدهم مع بومة؛ والدته أو أى شخص آخر».

قالت (هرميون): «يتم تفتيش جميع البوم، أخبرنا (فيلتش) بهذا وهو يقوم بإدخال مجس الاستشعار فى كل مكان يمكن الوصول إليه».

لم يجد (هارى) ما يقوله، فلم يكن يخطر بباله أى طريقة يمكن أن يحضر بها (مالفوى) أى شيء خطير أو متعلق بالسحر الأسود إلى داخل المدرسة.

فنظر بأمل إلى (رون) الذى كان لايزال جالسًا وذراعاه مطويتان، وهو يرنو إلى (لافيندر براون) قائلاً: «هل تستطيع التفكير فى طريقة يستطيع بها (مالفوى)...؟».

قال (رون): «آه، اصرف النظر عن الموضوع يا (هارى)».

قال (هارى) وقد اشتعل غضبًا: «اسمع، إنه ليس خطئى، إن (سلجهورن) دعانى أنا و(هرميون) إلى حفلته السخيفة، فلا أحد منا يريد الذهاب كما تعرف!».

قال (رون) وقد وقف على قدميه: «حسنًا، بما أننى لست مدعوًّا إلى أية حفلات، أعتقد أننى سأذهب للنوم».

وأخذ يدبدب على الأرض بقدميه وهو متجه إلى باب مهاجع الأولاد، تاركًا (هارى) و(هرميون) يحدقان إليه.

قالت (ديميلزا روبينز) المطاردة الجديدة بفريق (الكويدتش)، والتى ظهرت بجوار كتف (هارى):

«(هارى)، لدىَّ رسالة لك».

سأل (هارى) وهو يجلس معتدلاً بأمل: «مِن الأستاذ (سلجهورن)؟».

قالت (ديميلزا): «لا، مِن الأستاذ (سناب)». فسقط قلب (هارى) وأكملت (ديميلزا) قائلة: «يقول لك أن تأتى إلى مكتبه الليلة فى الساعة الثامنة والنصف؛ من أجل الاحتجاز، مهما كان عدد دعوات الحفلات التى تلقيتها، ويريدك أن تعلم أنه سيكون عليك أن تفرز دود (الفلوبر) الفاسد من الجيد؛ لاستخدامه فى مادة الوصفات، ويقول لك كذلك إنه لا دَاعِىَ لإحضار القفازات الوقائية معك».

قال (هارى) بتجهم: «حسنًا، شكرًا لك يا (ديميلزا)».

■ ■ ■

١٢ الفضة وأحجار الأوبال

أين كان (دمبلدور)؟ وماذا كان يفعل؟ لم ير (هارى) الناظر إلا مرتين فقط خلال الأسابيع التالية.

وكان نادرًا ما يظهر فى أوقات الوجبات، وأصبح (هارى) متأكدًا من أن ظن (هرميون) فى محله؛ بأن الناظر يترك المدرسة لمدة قد تصل لعدة أيام أحيانًا. هل نسى (دمبلدور) الدروس التى كان من المفترض أن يعطيها لـ(هارى)؟ لقد أخبره (دمبلدور): إن تلك الدروس ستوصلهم إلى شىء يتعلق بالنبوءة.. وقد منحت (هارى) شعورًا بالدعم والراحة أيضًا، أما الآن فيشعر بأنه وحيد ومتروك بعض الشىء.

وبحلول منتصف أكتوبر، حان موعد رحلتهم الأولى إلى (هوجسميد) خلال هذا الفصل الدراسى.

وكان (هارى) قد تساءل إن كان لايزال مسموحًا بهذه الرحلات فى ظل تلك الظروف الأمنية المشددة. وابتهج عندما عرف أنهم سيقومون بالرحلة؛ فمن المستحسن دائمًا الخروج من هذه القلعة من وقت لآخر ولو لبضع ساعات.

وفى صباح يوم الرحلة، استيقظ (هارى) مبكرًا، وكان يومًا عاصفًا وأمضى (هارى) وقته فى قراءة نسخته من كتاب تحضير الوصفات: المستوى المتقدم، حتى جاء وقت الإفطار ولم تكن من عادة (هارى) أن يقرأ كتبه المدرسية فى الفراش، فقد كان يتفق مع ما يقوله (رون) عن كون هذا سلوكًا غير لائق بالنسبة لأى شخص ما عدا (هرميون) - بالطبع - التى كانت غريبة فى هذا الشأن. وشعر (هارى) أن نسخة

الأمير الهجين من كتاب تحضير الوصفات: المستوى المتقدم بالكاد يمكن اعتمادها ككتاب مدرسى. فكلما تقدم (هارى) فى قراءة الكتاب أدرك مدى أهميته، ليس فقط لما فيه من ملاحظات مفيدة وطرق مختصرة لعمل الوصفات السحرية جعلت منه طالبًا مميزًا لدى (سلجهورن)، ولكن لما يحتويه أيضًا من تعاويذ سحرية مبتكرة مكتوبة فى الهوامش، وكان (هارى) متأكدًا أن الأمير اخترعها بنفسه؛ بسبب كثرة علامات الشطب والمراجعات بها.

وقد جرَّب (هارى) بعض هذه التعاويذ التى وضعها الأمير بنفسه.. هناك تعويذة تجعل أظافر أصابع الأقدام تنمو بسرعة مذهلة، وقد جربها على (كراب) فى الرواق وأعطت نتائج مسلّيَة، وهناك تعويذة تلصق اللسان بسقف الحلق، ولقد استخدمها مرتين على (أرجس فيلتش) غير المرتاب ونالت استحسان الجميع وكانت أهم تعويذة جربها (هارى) هى (موفلياتو)؛ وهى تقوم بتشويش سمع أى شخص قريب؛ حتى لا يسمع حوار من يستخدم التعويذة مهما كان طويلاً.

وكانت (هرميون) هى الوحيدة التى لم تعجبها هذه التعاويذ، وقد صممت على استنكارها لها بصورة صارمة لدرجة أنها رفضت تمامًا أن تتكلم مع (هارى) إذا استخدم تعويذة (موفلياتو) على أى شخص ممن حولهم.

جلس (هارى) فى الفراش وأخذ يقلب الكتاب من كل جوانبه؛ لكى يفحص عن قرب إرشادات إحدى التعاويذ التى يظهر من طريقة كتابتها أنها قد سببت للأمير بعض العناء. فقد كان هناك العديد من علامات الشطب والتعقيبات، ولكنه فى النهاية كتب فى طرف الصفحة كلمة (ليفيكوربوس) (غ - م).

وبينما كانت الرياح والثلوج تدق بعنف على النوافذ و(نيفيل) يغطُّ فى نومه، أخذ (هارى) يحدق فى الحرفين اللذين بين الأقواس (غ - م)،

واللذين كانا يعنيان غير منطوق. وكان (هارى) يشكك فى قدرته على القيام بهذه التعويذة بالذات؛ فقد كان لايزال يواجه صعوبة مع التعاويذ غير المنطوقة.

وهو ما داوم (سناب) على التعليق عليه فى كل حصة من حصص مادة الدفاع ضد السحر الأسود. ومن ناحية أخرى، فقد أثبت الأمير حتى الآن أنه مدرس أفضل بكثير من (سناب).

أشار (هارى) بعصاه دون أن يحدد هدفًا معينًا، ثم حركها حركة سريعة إلى أعلى وهو يردد كلمة *(ليفيكوربوس)* فى رأسه.

«اااااااااااااا رررررج!».

ومض ضوء مبهر فجأة وامتلأت الغرفة بالأصوات بعد أن استيقظ الجميع عندما أطلق (رون) صرخة قوية. ورمى (هارى) الكتاب بفزع عندما رأى (رون) وقد انقلب رأسًا على عقب وأصبح معلقًا فى الهواء؛ كأن خطافًا خفيًّا قد أمسكه من كاحله ورفعه فى الهواء.

صاح (هارى): «آسف!!»، بعد أن انفجر (دين) و(سيموس) فى الضحك، بينما كان (نيفيل) يحاول النهوض من الأرض بعد أن سقط من فراشه.

وأضاف (هارى): «انتظر لحظة، سوف أنزلك حالاً...».

والتقط الكتاب سريعًا وأخذ يبحث فيه بذعر؛ محاولاً أن يجد الصفحة الصحيحة، وفى النهاية وجدها وأخذ يحاول فك شفرة تلك الكلمة المعقدة المكتوبة تحت التعويذة راجيًا من كل قلبه أن تكون هى التعويذة المضادة، وأخذ يردد فى ذهنه بكامل قوته *«ليبراكوربوس!»*.

وظهر وميض آخر من الضوء، وإذا بـ(رون) يسقط مكوَّمًا على مرتبته.

وكرر (هارى) بوهن: «آسف» بينما لم ينقطع (دين) و(سيموس) عن الضحك والقهقهة.

وقال (رون) بصوت مكتوم: «من الأفضل أن تضبط المنبه فى الغد».

وبعد أن ارتدوا ملابسهم وحشوها بالعديد من الكنزات الصوفية التى صنعتها لهم السيدة (ويسلى) بنفسها، وأخذوا يحملون العباءات والأوشحة والقفازات، كانت صدمة (رون) قد زالت وقرر أن تعويذة (هارى) الجديدة مثيرة للغاية؛ حتى أنه لم يضيع أى وقت، وبدأ يقص على (هرميون) تلك القصة بمجرد أن جلسوا على الإفطار.

وقال (رون) وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقد بدأ فى أكل المقانق: «..ثم ظهر وميض ضوء آخر وإذا بى أسقط على الفراش مرة أخرى!».

لم تبتسم (هرميون) مطلقًا وهى تسمع تلك النادرة، بل نظرت إلى (هارى) وقد ظهر على وجهها الاستهجان الشديد.

وتساءلت: «هل هذه تعويذة أخرى من كتاب الوصفات السحرية الذى معك؟».

قطب (هارى) جبينه وهو ينظر إليها.

وقال: «دائمًا ما تفترضين أسوأ الاحتمالات.. أليس كذلك؟».

(هرميون): «هل هذا صحيح؟».

(هارى): «حسنًا.. نعم، إنه كذلك، ولكن ماذا بعد؟».

(هرميون): «إذن، فقد قررت أن تجرب إحدى التعاويذ غير المعروفة والمكتوبة بخط اليد؛ لترى ما قد يحدث».

وقال (هارى): «وما الفرق إن كانت مكتوبة بخط اليد...؟»؛ مفضلاً ألا يجيب عن بقية سؤالها.

قالت (هرميون): «الفرق أنها قد لا تكون قد نالت موافقة وزارة السحر، كما أننى...»، ثم أضافت بعد أن أدار (هارى) و(رون) أعينهما فى اتجاهها: «بدأت أعتقد أن شخصية الأمير مراوغة بعض الشىء».

صاح فيها كلٌ من (هارى) و(رون) ليجبراها على الصمت.

وقال (رون) وهو يفرغ زجاجة الكاتشاب على ساندويتش المقانق الذى أمامه: «إنها مزحة.. مجرد مزحة يا (هرميون)».

ردت (هرميون): «تعليق الناس من أرجلهم؟! من هذا الذى يضيع وقته وجهده فى ابتكار مثل هذه التعويذة؟».

قال (رون) وهو يهز كتفيه: «(فريد) و(جورج).. إنهما يحبان صنع هذه الأشياء».

قال (هارى) وقد تذكر أمرًا: «ووالدى».

قال (رون) و(هرميون) معًا: «ماذا؟».

(هارى): «لقد استخدم والدى هذه التعويذة من قبل. أخبرنى (لوبين) بذلك».

كان هذا الجزء الأخير غير صحيح.. فلقد رأى (هارى) والده بنفسه وهو يستخدم هذه التعويذة على (سناب) ولكنه لم يقل لـ(رون) و(هرميون) أى شىء مطلقًا عن هذه الرحلة داخل جهاز الذكريات (البنسيف)، وخطر لـ(هارى) فجأة احتمال مثير.. هل يمكن أن يكون الأمير الهجين...؟

وقالت (هرميون): «ربما يكون والدك قد استخدمها يا (هارى)، ولكنه ليس الوحيد، فقد رأينا مجموعة كبيرة من الناس تستخدمها، لو أنك قد نسيت، فقد قاموا بتعليق الناس وجعلوهم يطيرون فى الهواء وهم نائمون ولا حيلة لهم».

حدق (هارى) إليها وقد تملكه شعور سيئ حين تذكر سلوك (آكلى الموت) أثناء كأس العالم لـ(الكويدتش)، إلا أن (رون) حاول مساعدته.

قال (رون) بقوة: «كان هذا مختلفًا»، وأضاف: «لقد كانوا يسيئون استخدامها، أما (هارى) ووالده فلم يقصدا سوى المزاح».

وأضاف وهو يشير إليها ـ متجهمًا ـ بأحد المقانق التى يأكلها: «إنكِ لا تحبين الأمير يا (هرميون)؛ وذلك لأنه أفضل منك فى عمل الوصفات...».

أجابت (هرميون) وقد احمرت وجنتاها: «هذا ليس له صلة بالموضوع، إننى فقط أرى أن تجربة تعاويذ لا تعرف حتى استخدامها تصرف غير

مسئول، ثم تَوَقَّفْ عن الكلام عن (الأمير) وكأنه لقبه بالفعل أنه مجرد اسم مستعار غبى، كما أنه لا يبدو لى شخصًا لطيفًا على الإطلاق».

ورد عليها (هارى) بحدة: «لا أعرف من أين أتيتِ بهذه الفكرة، لو أنه من (آكلى الموت)، ما كان تفاخر بأنه هجين.. أليس كذلك؟».

ما إن قال (هارى) ذلك حتى تذكر أن والده كان من السحرة أصحاب الدم النقى، ولكنه أبعد هذا الخاطر عن فكره الآن، سوف يفكر فى هذا الأمر فيما بعد...

ردت (هرميون) بإصرار: «لا يمكن أن يكون جميع (آكلى الموت) من أصحاب الدم النقى، فليس هناك عددٌ كافٍ منهم؛ لذلك فأنا أتوقع أن يكون معظمهم من أصحاب الدم الخليط الذين يتظاهرون بأن دماءهم نقية. إنهم يكرهون مواليد العامَّة فقط، ولن يكون لديهم مانع من انضمامك أنت و(رون) إليهم».

قال (رون) باستياء، بعد أن طارت قطعة المقانق التى كان يلوح بها فى وجه (هرميون) من شوكته وخبطت رأس (إيرنى ماكميلان): «من المستحيل أن يسمحوا لى بالانضمام إليهم، إن أسرتى بأكملها من خائنى الدم! وهو ما يكرهه (آكلو الموت) بنفس قدر كرههم لمواليد العامَّة!».

وقال (هارى) ساخرًا: «أما أنا فسيفرحون بانضمامى إليهم، وسنكون من أفضل الأصدقاء لو أنهم فقط توقفوا عن محاولة القضاء علىَّ».

وانفجر (رون) فى الضحك وابتسمت (هرميون) على مضضٍ، وجاءت (جينى) وقطعت حديثهم قائلة: «(هارى) من المفترض أن أعطيك هذا»؛ وكانت رقعة من جلد ملفوفة ومنقوشًا عليها اسم (هارى) بخط مائل رفيع مألوف.

وقال (هارى): «شكرًا يا (جينى)»، ثم التفت لـ(رون) و(هرميون) وقال: «إنه درس (دمبلدور) القادم»، وأخذ يفتح الخطاب بسرعة ليقرأ محتواه.

وأضاف: «مساء الإثنين!»، وفجأة شعر (هارى) بالسعادة والخفة وسأل: «هل ترغبين فى الانضمام إلينا فى (هوجسميد) يا (جينى)؟».

وردت (جينى) وهى تلوح إليهم مبتعدة: «سأذهب مع (دين)، قد أراكم هناك».

وكان (فيلتش) واقفًا كعادته عند الباب الأمامى المصنوع من خشب البلوط؛ ليتأكد من أسماء الأشخاص الذين لديهم تصريح بالذهاب إلى (هوجسميد) ولقد استغرقت هذه العملية مدة أطول بكثير من المعتاد؛ حيث أخذ (فيلتش) يفتش الجميع ثلاث مرات بمجس استشعار الأشياء المخفية.

وأخذ (رون) يتساءل وهو يراقب ذلك المجس الطويل الرفيع باهتمام: «ماذا يهم لو أننا نهرب أشياء تخص السحر الأسود إلى الخارج، الأهم أن تفحص ما سنحضره معنا إلى الداخل».

تسبب كلامه فى أن ينال عدة وخزات إضافية من ذلك المجس، وكان لايزال ينتفض من الألم عندما خرجوا إلى الرياح والثلج بالخارج.

لم يكن التجول إلى (هوجسميد) ممتعًا وأخذ (هارى) يلف وشاحه حول الجزء الأسفل من وجهه، ولكن الجزء الأعلى سرعان ما شعر بالبرودة والتنميل. وكان الطريق إلى القرية مليئًا بالطلبة الذين ينحنون بشدة أمام الرياح القوية، وفكر (هارى) فى أنهم كانوا سيقضون وقتًا أفضل فى الغرفة العامة الدافئة. وعندما وصلوا أخيرًا إلى (هوجسميد) وجدوا محل (زونكو جوك) مغلقًا؛ مما أكد لـ(هارى) أن هذه الرحلة لن يكون مقدرًا لها أن تكون ممتعة على الإطلاق، وأشار (رون) بيده التى يغطيها القفاز الثقيل إلى محل حلويات (هنى ديوكس)، والذى كان لحسن الحظ مفتوحًا وأخذ (هارى) و(هرميون) يتبعانه وهما يتمايلان فى سيرهما من شدة الزحام فى المحل.

وقال (رون) وهو يرتجف - وإن كان الدفء قد بدأ ورائحة «التوفى» تطوقهم: «الحمد لله، دعونا نقضى كل الأمسية هنا».

وإذا بصوت مدوٍّ يأتى من خلفهم قائلاً: «(هارى)، ولدى».

وقال (هارى) بضيق: «آه.. لا» واستدار الثلاثة لرؤية الأستاذ (سلجهورن) الذى كان يرتدى قبعة ضخمة من الفَرْوِ وياقة من الفَرْوِ تتناسب معها ويمسك بحقيبة كبيرة من الأناناس المبلور، ويشغل ربع المحل على الأقل.

وقال (سلجهورن) وهو يلكز (هارى) على صدره برفق: «(هارى)، إنك لم تحضر ثلاثًا من حفلات العشاء التى أقمتها حتى الآن، إن هذا لن يجدى يا بنى، فأنا مصمم على دعوتك! إن الآنسة (جرانجر) تحب تلك الحفلات.. أليس كذلك؟».

وقالت (هرميون) بائسة: «بلى.. إنها فعلاً...».

وتساءل (سلجهورن): «لماذا لم تأتِ إذن يا (هارى)؟».

وردَّ (هارى): «لقد كان عندى تدريب على (الكويدتش) يا سيدى».

وكان (هارى) بالفعل يضع التدريب فى جدوله فى كل مرة يرسل إليه (سلجهورن) تلك الدعوة الملفوفة بالشريط البنفسجى، وكانت هذه الإستراتيجية تعنى أن (رون) لن يبقى وحيدًا، وعادة ما كانوا يضحكون مع (جينى) كلما تخيلوا (هرميون) وهى صامتة تمامًا مع (ماكلاجين) (وزابينى).

وقال (سلجهورن): «حسنًا.. إننى أتوقع بالتأكيد أنك ستفوز فى أول مباراة لك بعد كل هذا العمل الشاق! ولكن بعض الترفيه لن يؤذى أحدًا.. ماذا عن ليلة الإثنين؟ لا يمكنك أن تفكر فى التدريب فى هذا المناخ..».

(هارى): «لا أستطيع يا أستاذ، فلدى موعد مع الأستاذ (دمبلدور) فى هذه الليلة بالتحديد».

وصاح (سلجهورن) بصورة درامية: «سيئ الحظ مرة أخرى! حسنًا، ولكنك لن تستطيع أن تتحاشانى للأبد يا (هارى)!».

ثم لوَّح إليهم بطريقة ملكية، وأخذ يتهادى فى مشيته خارجًا من المحل وهو يبدو بالكاد قد لاحظ (رون) وكأن بصره قد وقع على مجموعة من الصراصير.

قالت (هرميون) وهى تهز رأسها: «لا أستطيع أن أصدق أنك استطعت أن تتهرب من حفلة جديدة، إن الحفلات ليست بهذا السوء، بل إنها أحيانًا ما تكون ممتعة إلى حد كبير». ولكنها تنبهت بعد ذلك للتعبيرات التى على وجه (رون) فأضافت: «آه، انظر... إن لديهم غزل البنات الفاخر.. قد يستغرق هذا ساعات!»».

وشعر (هارى) بالارتياح عندما غيرت (هرميون) الموضوع، وأظهر اهتمامًا أكبر من المعتاد بغزل البنات الجديد الكبير الحجم، ولكن (رون) ظل فى مزاج سيئ حتى إنه هز كتفيه فقط عندما سألته (هرميون): إلى أين يريد الذهاب بعد ذلك؟

ورد (هارى): «فلنذهب إلى حانة المكانس الثلاث؛ سيكون المكان دافئًا هناك».

ثم قاموا بلف الأوشحة على وجوههم وتركوا محل الحلويات، وكانت الرياح القاسية تضرب وجوههم كالسكاكين، خاصة بعد الدفء الذى شعروا به فى محل (هنى ديوكس)، لم يكن الشارع شديد الازدحام، وليس هناك أحد يتوقف للحديث والثرثرة، فالجميع يسرعون؛ كلٌّ إلى وجهته.

وكان الاستثناء الوحيد من ذلك رجليْن يسبقانهم بمسافة قصيرة ويقفان خارج حانة (المكانس الثلاث) أحدهما طويل ورفيع؛ ينظر بعينين شبه مغلقتين من نظارته التى غسلتها الأمطار. ولقد تعرف (هارى) إلى النادل الذى كان يعمل فى حانة (هوجسميد) الأخرى (رأس الخنزير). وعندما اقترب (هارى) و(رون) و(هرميون) منه، شد النادل عباءته بإحكام حول عنقه، وسار مبتعدًا تاركًا ذلك الشخص القصير يتحسس شيئًا فى ذراعه، وعندما أصبحوا على بُعد قدم واحد منه عرف (هارى) الرجل.

وقال: «موندوجس!».

وإذا بالرجل ذى الأرجل المقوسة والشعر البنى الأشعث الطويل يقفز مُوقعًا حقيبة قديمة انفتحت بدورها لتكشف عمَّا بدا مثل محتويات نافذة عرض بمحل خردة.

قال (موندوجس فيلتشر) وهو يحاول أن يبدو طبيعيًّا دون جدوى: «آه، مرحبًا يا (هارى). حسنًا، لا أريد تعطيلك... تفضل».

وبدأ يزحف بصعوبة على الأرض ليستعيد محتويات حقيبته بطريقة تظهر رغبته فى الرحِيل بأسرع ما يمكن.

وسأل (هارى) وهو يراقب (موندوجس) يجمع مجموعة من الأشياء الحقيرة الملقاة على الأرض: «هل تبيع هذه الأشياء؟».

وأجاب (موندوجس): «حسنًا، يجب أن أكسب عيشى. أعطنى هذا!».

انحنى (رون) إلى أسفل والتقط شيئًا فضيًا، ثم قال بهدوء: «انتظر.. يبدو هذا مألوفًا لدىَّ».

وقال (موندوجس) وهو ينتزع الكأس من يد (رون) ويعيدها إلى حقيبته: «أشكرك، أراكم لاحقًا... أى!».

كان (هارى) قد ثبت (موندوجس) من عنقه على حائط الحانة ممسكًا به بإحدى يديه ومخرجًا عصاه باليد الأخرى.

وصرخت (هرميون): «(هارى)!».

وقال (هارى) وأنفه يكاد يلتصق بأنف (موندوجس) الذى كانت تفوح منه رائحة التبغ القديم والخمور الكريهة: «لقد أخذت هذه من منزل (سيريوس)، إن عليها علامة عائلة (بلاك)».

وغمغم (موندوجس) الذى كان لونه يتحول ببطء إلى اللون البنفسجى قائلاً: «أنا... لا... ماذا؟».

وأخذ (هارى) يزمجر قائلاً: «ماذا فعلت؟! هل قمت بالعودة فى الليلة التى مات فيها وسرقت المكان؟».

(موندوجس): «أنا... لا...».

(هارى): «أعطها لى!».

صاحت (هرميون) عندما بدأ وجه (موندوجس) يتحول إلى اللون الأزرق: «(هارى).. يجب ألاَّ تفعل ذلك».

وفجأة، سمع صوت ضجة عالية وشعر (هارى) بيده تطير بعيدًا عن عنق (موندوجس) الذى أخذ يلهث ويغمغم، ثم التقط حقيبته من الأرض قبل أن يختفى مُخلفًا صوت فرقعة.

وأخذ (هارى) يهدده ويتوعده بأعلى صوته ويشب على أطراف أصابعه؛ ليرى إلى أين ذهب (موندوجس).

(هارى): «عد إلى هنا أيها اللص!».

«أوه.. (هارى).. لا فائدة من ذلك».

وإذا بـ(تونكس) تظهر فجأة وشعرها ذو اللون «الفيرانى» مبتلٌ من أثر الثلج، وتقول: «لا فائدة من الصياح، غالبًا ما سيكون (موندوجس) قد وصل إلى لندن الآن».

(هارى): «لقد سرق أشياء (سيريوس)! سرقها!».

وقالت (تونكس) التى لم يبد عليها أى انزعاج مما سمعته: «نعم، ولكن مع ذلك يجب أن تبتعد عن هذا البرد القارس».

وأخذت تراقبهم يدخلون من خلال باب حانة (المكانس الثلاث). وما إن أصبح (هارى) بالداخل حتى انفجر: «لقد سرق أشياء (سيريوس)!».

همست (هرميون): «أعرف يا (هارى)، ولكن، أرجوك لا تَصِح هكذا، إن الناس تنظر إلينا، اذهب واجلس، سوف أحضر لك مشروبًا»، وكان (هارى) مازال يستشيط غضبًا عندما عادت (هرميون) إلى المائدة حاملة ثلاث زجاجات من الشراب.

وسأل (هارى) بهمس غاضب إلى رفقائه: «ألا تستطيع الجماعة إيقاف (موندوجس)؟ ألا يستطيعون على الأقل منعه من سرقة أى شىء ليس مثبتًا فى مكانه داخل المقر؟».

قالت (هرميون) بيأس بينما كانت تنظر حولها لتتأكد من أن أحدًا لا يسمعهم: «ششش!». وكان هناك اثنان من المشعوذين يجلسان بالقرب منهم، وينظران إلى (هارى) باهتمام شديد، وكان (زابينى) يستند على عمود قريب منهم، وقال (رون): «آه يا (هارى)، لقد انزعجت أنا أيضًا، فأنا أعرف أن الأشياء التى سرقها إنما هى أشياؤك».

وأخذ (هارى) يرتشف من جعته، فلقد نسى للحظة أنه يملك المنزل رقم ١٢ شارع (جريمولد).

قال (هارى): «نعم إنها أشيائى، لا عجب أنه لم يكن مسرورًا لرؤيتى! حسنًا، سوف أقول لـ(دمبلدور) عما يحدث، فهو الشخص الوحيد الذى يخشاه (موندوجس)».

وردت (هرميون) هامسة: «فكرة حسنة»، وقد بدت سعيدة أن (هارى) بدأ يستعيد هدوءه، وأضافت: «(رون).. ما الذى تحدق إليه؟».

أجاب (رون) وهو يحول نظره بسرعة بعيدًا عن البار: «لا شىء»، لكن (هارى) عرف أنه كان يحاول أن يلفت نظر تلك النادلة الجذابة ذات القوام الجميل مدام (روزمرتا)، التى كان معجبًا بها منذ فترة طويلة.

وقالت (هرميون) بسخرية لاذعة: «أعتقد أن «لا شىء» تحضر المزيد من الويسكى النارى من الخلف».

وتجاهل (رون) سخريتها وأخذ يكمل مشروبه فى حالة يمكن أن يطلق عليها الصمت الرهيب، وكان (هارى) يفكر فى (سيريوس)، وكيف أنه كان يكره تلك الأوعية الفضية على أية حال.

وأخذت (هرميون) تدق بأصابعها على المنضدة وعيناها تتنقلان بين كلٍّ من (رون) والبار.

قالت (هرميون) فى اللحظة التى كان يشرب فيها (هارى) آخر القطرات من الزجاجة: «هل من الممكن أن نعتبر أن اليوم قد انتهى ونعود إلى المدرسة؟».

وأومأ الاثنان الآخران برأسيهما بالموافقة؛ فلقد كانت رحلة غير ممتعة، وكان المناخ يزداد سوءًا كلما أمضوا وقتًا أطول بالخارج، ومرة أخرى أخذوا يشدّون عباءاتهم حول أجسامهم ويهندمون أوشحتهم ويرتدون قفازاتهم قبل أن يخرجوا من الحانة خلف (كاتى بيل) وصديقتها عائدين إلى الشارع الرئيسى، وبينما هم سائرون بتثاقل فى طريقهم إلى (هوجوورتس) وسط تلك الأمطار الثلجية، شرد تفكير (هارى) إلى (جينى) فهم لم يلتقوا بها فى (هوجسميد)، وفكر (هارى) أنها - ولا شك - مع (دين) فى مقصورة دافئة فى مقهى مدام (بوديفوت) الذى يذهب إليه عادة العشاق.

وأخذ يحنى رأسه عابسًا أمام تلك الرياح الثلجية الدوارة وهو يمشى متثاقلاً.

وسرعان ما أدرك (هارى) أن أصوات (كاتى بيل) وصديقتها التى كانت تعود إليهم بفعل الرياح قد علت وأصبحت أكثر حدة، وأخذ (هارى) ينظر إلى أجسامهم غير واضحة المعالم. وكانت الفتاتان تتجادلان بخصوص شىء تحمله (كاتى) فى يدها.

وسمع (هارى) (كاتى) وهى تقول: «إن الأمر لا يعنيكِ يا (لينى)».

ولفوا حول منعطف فى الطريق، وقد أصبحت الأمطار الثلجية أكثر سرعة وكثافة حتى إنها غطت نظارة (هارى). وما إن رفع يده التى يغطيها القفاز ليمسحها حتى رأى (لينى) تشد الحُزمة التى تحملها (كاتى) بقوة إلا أن (كاتى) سحبتها منها مرة أخرى فوقعت الحزمة على الأرض.

وفى الحال، ارتفعت (كاتى) فى الهواء، ليس كما فعل (رون) عندما تعلق بصورة كوميدية من كاحله فى الهواء ولكن برشاقة وهى تبسط

ذراعيها، كأنها على وشك أن تطير.. كان هناك شىء غير طبيعى فيما يحدث، شىء مخيف؛ كان شعرها يتطاير ويلتف حولها بفعل الرياح الشديدة، ولكنَّ عينيها كانتا مغلقتين ووجهها خاليًا من أى تعبير، فتوقف (هارى) و(رون) و(هرميون) و(لينى) جميعهم يراقبون ما يحدث.

وعلى بعد ستة أقدام من الأرض، أطلقت (كاتى) صرخة مدوية وانفتحت عيناها، ولكن يبدو أن ما كانت تراه أو ما تشعر به كان يسبب لها ـ بلا شك ـ ألمًا مبرحًا، فقد أخذت تصرخ وتصرخ، وبدأت (لينى) تصرخ أيضًا وهى تمسك كاحل (كاتى) محاولة إعادتها إلى الأرض، وأسرع (هارى) و(رون) و(هرميون) لمساعدتها، وعلى الرغم من أنهم أمسكوا بها من قدمها؛ إلا أنها سقطت فوقهم، واستطاع (رون) و(هارى) الإمساك بها، ولكنها كانت تتلوى كثيرًا من الألم حتى أنهم كانوا بالكاد يستطيعون إمساكها، فقاموا بإنزالها إلى الأرض بدلاً من ذلك وأخذت تتلوى وتصرخ، وكان من الواضح أنها غير قادرة على تمييز أى منهم.

وأخذ (هارى) يتلفت حوله ولكنه لم يجد أى شخص على مرمى البصر فى كل الاتجاهات.

ثم صاح فى الآخرين بينما كانت الرياح تعصف: «ابقوا هنا، سوف أذهب لأحضر مساعدة!».

وعدا بأقصى سرعة متجهًا إلى المدرسة، لم يكن قد رأى فى حياته قط من قبل شيئًا مثل الذى حدث مع (كاتى) منذ قليل، ولم يستطع أن يفهم سببه، وانطلق حول منعطف فى الطريق، وتصادم مع شىء بدا كأنه دب ضخم يقف على قدميه الخلفيتين.

وصاح لاهثًا وهو يحاول تخليص نفسه من سياج الشجيرات الذى سقط فيه: «(هاجريد)!».

وقال (هاجريد): «(هارى)!» بينما كانت الأمطار الثلجية قد غطت حاجبه وذقنه، وكان يرتدى معطفه الفاخر المصنوع من فرو القندس. وأضاف: «لقد كنت أزور (جراوب) فقط، إنه فى حالة جيدة، إنك لن...».

قاطعه (هارى): «(هاجريد)، هناك شخص أصيب أو أصابته لعنة أو شىء من هذا القبيل».

وقال (هاجريد): «ماذا؟»، وانحنى مقتربًا من (هارى)؛ ليسمع ما يقوله؛ حيث كان صوت الرياح الثائرة يغطى على صوته.

وصاح (هارى) بأعلى صوته: «نعم هناك شخص أصابته لعنة!».

(هاجريد): «لعنة؟ من الذى أصابته لعنه ـ ليس (رون)؟ أو (هرميون)؟».

(هارى): «لا ليسا هما.. إنها (كاتى بيل)... من هنا».

وأخذ الاثنان يجريان عائديْن بأقصى سرعة بطول الطريق، ولم يحتاجا وقتًا طويلاً ليجدا مجموعة الناس التى تلتف حول (كاتى) التى كانت مازالت تصرخ وتتلوى من الألم على الأرض، بينما (رون) و(هرميون) و(لينى) يحاولون تهدئتها.

وصاح (هاجريد): «عودوا للخلف! دعونى أراها!».

وقالت (لينى) وهى تنتحب: «شىء ما حدث لها! لا أعرف ما هو».

وحدق (هاجريد) إلى (كاتى) للحظة، ثم انحنى دون أن ينطق بكلمة، ورفعها بين ذراعيه وجرى وهو يحملها عائدًا إلى القلعة. وخلال لحظات، اختفت صرخات (كاتى) المدوية، ولم يتبقَّ غير صوت زئير الرياح.

وأسرعت (هرميون) إلى صديقة (كاتى) المنتحبة ولفت ذراعها حولها.

وقالت: «أنتِ (لينى).. أليس كذلك؟».

أومأت الفتاة برأسها.

(هرميون): «هل حدث كل هذا فجأة أم...؟».

قالت (لينى) وهى تشهق من البكاء وتشير إلى الرزمة الورقية البنية المبللة على الأرض، والتى تمزقت كاشفةً عن بريق أخضر بداخلها: «لقد حدث هذا عندما تمزقت الحُزمة»، وانحنى (رون) وبسط يده ليمسك بها، ولكن (هارى) قبض على ذراعه وجذبها للخلف قائلاً: «لا تلمسها».

وانحنى مقتربًا بحذر من اللفافة؛ ليرى عقد «أوبال» مزخرفًا ظاهرًا من بين الورق.

قال (هارى) وهو يحدق بهذا الشيء: «لقد رأيته من قبل.. لقد كان معروضًا فى محل (بورجين وبوركس) منذ زمن طويل، وكانت البطاقة الموضوعة عليه تقول: «إنه ملعون.. يبدو أن (كاتى) لمسته»، ثم نظر إلى (لينى) التى بدأت ترتجف بشدة وسألها: «كيف حصلت (كاتى) على هذا الشيء؟».

ردت قائلة: «حسنًا، لقد كان هذا ما كنا نتشاجر بشأنه، لقد عادت من الحمام فى حانة (المكانس الثلاث) وهى ممسكة به، وقالت: إنه مفاجأة لشخص ما فى (هوجوورتس) ويجب عليها أن تسلمه له، وكانت تبدو غريبة وهى تقول هذا.. يا إلهى! يا إلهى! لا، أراهن أنها كانت تحت تأثير تعويذة تحكم، ولكننى لم أدرك هذا!».

وأخذت (لينى) ترتجف وقد بدأت فى النحيب من جديد و(هرميون) تربت على كتفها بلطف.

وسألتها: «ألم تقل لكِ من الذى أعطاها هذه الرزمة يا (لينى)؟».

(لينى): «لا.. لم تقل لى، ولكننى قلت لها إنها حمقاء ويجب عليها ألا تأخذها معها إلى المدرسة، ولكنها لم تستمع إلىَّ، ثم حاولت شدها منها... و... و...»، وانخرطت (لينى) فى نحيب يائس.

قالت (هرميون) و ذراعها ما زالت حول (لينى): «من الأفضل أن نذهب إلى المدرسة.. وهناك سنستطيع أن نعرف كيف حالها.. هيا بنا».

وتردد (هارى) للحظة، ثم قام بنزع وشاحه من حول وجهه متجاهلاً صيحة (رون) التحذيرية، وغطى العقد بالوشاح بحرص ثم حمله.

وقال: «سوف نحتاج أن نعرض هذا على مدام (بومفرى)».

بينما كانوا يتبعون (هرميون) و(لينى)، كان (هارى) يفكر غاضبًا، وبمجرد أن دخلوا الفناء بدأ يتكلم؛ حيث لم يعد يستطيع الاحتفاظ بأفكاره داخله أكثر من هذا.

«إن (مالفوى) يعلم بأمر هذا العقد؛ فقد كان موجودًا داخل خزانة فى محل (بورجين وبوركس) منذ أربع سنوات مضت، وقد رأيته وهو ينظر إليه بتمعن، بينما كنت أختبئ منه هو ووالده. هذا هو ما كان يشتريه فى ذلك اليوم عندما تبعناه! ولقد تذكره الآن وعاد من أجله!».

قال (رون) بتردد: «لا، لا أعرف يا (هارى)، فعدد كبير من الناس يذهب إلى (بورجين وبروكس).. ثم، ألم تقل تلك الفتاة إن (كاتى) حصلت عليه من حمام الفتيات؟».

«لقد قالت إنها عادت من الحمام به، وليس بالضرورة أن تكون قد حصلت عليه من الحمام نفسه».

قال (رون) محذرًا: «(ماكجونجال)!».

رفع (هارى) نظره ليجد الأستاذة (ماكجونجال) تنزل بسرعة على السلالم الحجرية وسط تلك الأمطار الثلجية العاصفة لتقابلهم.

وتقول: «(هاجريد) يقول إنكم أنتم الأربعة.. رأيتم ما حدث لـ(كاتى بيل).. اصعدوا حالاً إلى مكتبى، لو سمحتم! ما هذا الذى تحمله يا (بوتر)؟».

قال (هارى): «إنه الشيء الذى لمسته (كاتى)».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «يا إلهى!» وبدت قلقة وهى تأخذ العقد من (هارى)، وأضافت بسرعة حين رأت (فيلتش) قادمًا بحماس عبر بهو الدخول وهو يرفع مجسه عاليًا: «لا، لا يا (فيلتش)، إنهم معى! خذ هذا العقد إلى الأستاذ (سناب) فورًا وكن حذرًا ألا تلمسه، دعه ملفوفًا فى هذا الوشاح!».

تبع (هارى) والآخرون الأستاذة (ماكجونجال) صاعدين السلم إلى مكتبها، كانت النوافذ المغطاة بالثلوج تهتز داخل إطاراتها مُصدرة صوت جلبة عالية، وكانت الغرفة باردة على الرغم من صوت طقطقة النيران داخل المدفأة. وأغلقت الأستاذة (ماكجونجال) الباب، ودارت

حول مكتبها لتواجه (هارى) و(رون) و(هرميون) و(لينى) التى كانت مازالت تبكى.

وقالت بحدة: «حسنًا، ماذا حدث؟».

توقفت (لينى) عن البكاء وأخذت تحكى للأستاذة (ماكجونجال) - على فترات متقطعة محاولة السيطرة على بكائها - كيف ذهبت (كاتى) إلى الحمام فى حانة (المكانس الثلاث)، وعادت وهى تحمل هذه الرزمة الغامضة، وكيف بدت (كاتى) غريبة الأطوار بعض الشيء، وكيف أنهم تجادلوا حول مدى صواب تسليم أشياء غير معروفة، وتصاعدت المجادلة بينهما حتى تحولت إلى صراع على هذه الرزمة التى تمزقت وفُتحت. وعند هذه النقطة، استولت الصدمة على (لينى) وأصبحت غير قادرة على نطق كلمة واحدة بعدها.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) برقة: «حسنًا، اذهبى إلى جناح المستشفى من فضلك يا (لينى)، واطلبى من مدام (بومفرى) أن تعطيك علاجًا للصدمات».

وبعد أن تركت الغرفة التفتت الأستاذة (ماكجونجال) إلى (هارى) و(رون) و(هرميون) وقالت: «ماذا حدث عندما لمست (كاتى) العقد؟».

وأجاب (هارى) قبل أن يتكلم (رون) و(هرميون): «ارتفعت فى الهواء، ثم بدأت تصرخ وانهارت، لو سمحتِ يا أستاذة، هل أستطيع رؤية الأستاذ (دمبلدور)؟».

ردت الأستاذة (ماكجونجال) مندهشة: «الناظر غائب حتى يوم الإثنين يا (بوتر)».

ردد (هارى) ما قالته بغضب: «غائب؟».

وأجابت الأستاذة (ماكجونجال) بحدة: «نعم يا (بوتر)، غائب! ولكننى متأكدة أن أى شيء تود قوله عن ذلك الحادث الفظيع يمكن أن يقال لى!».

وتردد (هارى) للحظة؛ فالأستاذة (ماكجونجال) لا توحى بالثقة، ورغم أن (دمبلدور) ربما يوحى بالخوف أكثر منها، فإنه لا يستخف أبدًا بما يقال له مهما كان غريبًا، ولكنها مسألة حياة أو موت، ولا ينبغى الانتظار لمجرد خوفه من أن تسخر من كلامه.

«أعتقد أن (دراكو مالفوى) هو الذى أعطى (كاتى) العقد يا أستاذة».

على أحد جانبيه، حك (رون) أنفه وبدا واضحًا أنه يشعر بالحرج، وعلى الجانب الآخر أخذت (هرميون) تحرك قدميها وكأنها تريد وضع مسافة بينها وبين (هارى).

وقالت الأستاذة (ماكجونجال) بعد لحظة توقف؛ بسبب الصدمة: «هذا اتهام خطير جدًّا يا (بوتر)، هل لديك أى دليل عليه؟».

قال (هارى): «لا.. ولكن...»، وأخذ يحكى لها عما حدث عندما تتبعوا (مالفوى) إلى (بورجين وبوركس) والمحادثة التى سمعوها بينه وبين (بورجين).

وعندما انتهى من الحديث، بدت الأستاذة (ماكجونجال) حائرةً إلى حد ما.

وقالت: «أخذ (مالفوى) شيئًا إلى (بورجين وبوركس) ليصلحه؟».

(هارى): «لا يا أستاذة، لقد طلب من (بورجين) أن يقول له كيف يقوم بإصلاح شىء ما، ولم يكن هذا الشىء معه، لكن هذا ليس هو صلب الموضوع، فـ(مالفوى) قد قام بشراء شىء فى نفس الوقت وأعتقد أن هذا الشىء هو هذا العقد».

الأستاذة (ماكجونجال): «هل رأيت (مالفوى) يرحل من المحل ومعه لفة مشابهة؟».

(هارى): «لا يا أستاذة، لقد طلب من (بورجين) أن يحتفظ له به فى المحل».

وقاطعتهم (هرميون): «ولكن يا (هارى)، إن (بورجين) سأله إن كان يرغب فى أن يأخذه معه ولكن (مالفوى) قال: لا».

وأجاب (هارى) بغضب: «من الواضح أنه كان لا يريد أن يلمسه!».

وقالت (هرميون): «إن ما قاله بالفعل هو: كيف سأبدو وأنا أحمل هذا وسط الشارع؟».

تدخل (رون) قائلاً: «حسنًا، إنه كان سيبدو إلى حد ما أحمق وهو يحمل عقدًا فى الشارع».

ردت (هرميون) بيأس: «آه.. يا (رون)، سيكون ملفوفًا ولن يكون مضطرًا للمسه، ومن السهل أن يخفيه داخل عباءته؛ حتى لا يراه أحد! أعتقد أنه مهما كان ما يحتفظ به فى (بورجين وبوركس) فإنه إما أن يكون شيئًا يصدر ضجة عالية أو ضخمًا جدًا؛ شيئًا يعرف أنه سوف يلفت الانتباه إليه لو حمله فى الشارع، وعلى أية حال...»، وأكملت بصوت عالٍ قبل أن يقاطعها (هارى): «لقد سألت (بورجين) عن العقد، ألا تذكر؟ عندما دخلت المحل؛ لأحاول أن أعرف ما الذى طلب منه (مالفوى) أن يحفظه له، لقد رأيته هناك، وقال لى (بورجين) وقتها السعر، ولم يقل لى شيئًا عن كونه مبيعًا، أو أى من هذا القبيل».

رد (هارى): «حسنًا، لقد كانت حيلتك مكشوفة إلى حد ما، وقد أدرك ما تريدينه على الفور، وبالطبع لم يكن ليقول لك.. على أية حال، فإن (مالفوى) يمكن أن يكون قد أرسل يطلبه منذ...».

وقالت الأستاذة (ماكجونجال) بغضب بينما كانت (هرميون) على وشك الرد: «هذا يكفى! أقدِّر ما قلته لى يا (بوتر)، ولكننا لا نستطيع أن نتهم السيد (مالفوى) لمجرد أنه زار المحل الذى ربما قد تم شراء العقد منه، فنفس الشىء ربما ينطبق على مئات الأشخاص».

تمتم (رون): «هذا هو ما قلته».

أكملت الأستاذة (ماكجونجال): «..وعلى أية حال، لقد وضعنا إجراءات أمنية مشددة هذا العام؛ لذلك فأنا لا أعتقد أن هذا العقد يمكن أن يكون قد دخل المدرسة بدون علمنا».

قال (هارى): «ولكن...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بأسلوب يوحى بنهاية النقاش: «والأهم من ذلك أن السيد (مالفوى) لم يكن فى (هوجسميد) اليوم».

فحدق إليها (هارى) مشدوهًا.

وقال: «وكيف عرفتِ ذلك يا أستاذة؟».

قالت وهى تمشى حتى تخطتهم: «لأنه كان معاقبًا بالاحتجاز معى؛ لأنه لم يقم بإنهاء واجبه فى مادة التحويل مرتين حتى الآن؛ لذلك أشكرك لإفصاحك لى عن شكوكك يا (بوتر) ولكننى أريد أن أذهب الآن إلى جناح المستشفى؛ لأطمئن على (كاتى بيل).. إلى اللقاء جميعًا».

وأبقت باب مكتبها مفتوحًا، فلم يكن أمامهم خيار غير الرحيل دون النطق بكلمة أخرى.

وكان (هارى) غاضبًا من الاثنين الآخرين؛ لانحيازهما إلى جانب (ماكجونجال). ومع ذلك، فقد شعر أنه مضطر للاشتراك فى الحديث معهما عندما تناقشوا فيما حدث.

وتساءل (رون) بينما يصعدون الدرج إلى الغرفة العامة: «فى اعتقادِك، من الشخص الذى كان من المفترض أن تعطيه (كاتى) العقد؟».

أجابت (هرميون): «الله وحده يعلم، ولكن مهما كان هذا الشخص، فإنه نجا بشق الأنفس، فلم يكن باستطاعة أى شخص فتح هذه اللفافة دون أن يلمس العقد».

قال (هارى): «هناك أشخاص كثيرون من الممكن أن يكونوا مستهدفين؛ (دمبلدور) مثلاً. إن (آكلى الموت) سيفرحون بالتخلص منه؛

فهو بالتأكيد من أول أهدافهم أو (سلجهورن)، إن (دمبلدور) يظن أن (فولدمورت) كان يريده بشدة، ومن المؤكد أن انضمام (سلجهورن) إلى (دمبلدور) قد أغضبهم أو...».

قالت (هرميون) وهى تبدو منزعجة: «أو أنت...».

قال (هارى): «لا يمكن أن يكون أنا.. وإلا كانت (كاتى) قد التفتت فى الطريق وأعطتنى إياها، أليس كذلك؟ لقد كنت خلفها طوال الطريق بعد خروجنا من حانة (المكانس الثلاث). كان الأمر ليبدو منطقيًا أكثر لو تم تسليم الطرد خارج (هوجوورتس) بعيدًا عن (فيلتش) الذى يقوم بتفتيش كل من يدخل أو يخرج. أتعجب لماذا قال لها (مالفوى) أن تأخذه إلى داخل القلعة؟».

قالت (هرميون) وهى تضرب الأرض بقدميها بإحباط: «إن (مالفوى) لم يكن فى (هوجسميد) يا (هارى)».

قال (هارى): «لابد أنه استخدم شريكًا إذن، ربما يكون (كراب) أو (جويل)، أو من المحتمل أن يكون شخصًا آخر من (آكلى الموت)، فبعد أن انضم إليهم أصبح له الآن أصدقاء كثيرون أفضل من (كراب) و(جويل)».

تبادل (رون) و(هرميون) نظرات بدت كأنها تقول: «لا جدوى من مناقشته».

وعندما وصلوا إلى لوحة السيدة البدينة، قالت (هرميون) بحزم: «دليجروت».

وتأرجحت الصورة فاتحةً الطريق أمامهم للدخول إلى الغرفة العامة التى كانت ممتلئة وتفوح منها رائحة الملابس الرطبة، يبدو أن العديد من الناس قد بكروا بالعودة من (هوجسميد)؛ بسبب سوء الأحوال الجوية. كان من الواضح أن أخبار ما حدث لـ(كاتى) لم تنتشر بعد، فلم تكن تسود المكان أجواء وأحاديث الخوف والتوقعات.

قال (رون) وهو يحث أحد طلاب الصف الأول على ترك أحد الكراسى ذات الذراعين الجيدة والقريبة من النار حتى يجلس: «عندما تفكر فى الأمر، تجد أنه لم يكن اعتداء جيدًا على الإطلاق؛ أعنى أن اللعنة لم تصل، حتى داخل القلعة، لم يكن الأمر خطيرًا».

ردت (هرميون) وهى تحث (رون) على القيام من مقعده بقدميها وتقدمه إلى طالب الصف الأول مرة أخرى: «إنك على حق».

سأل (هارى): «منذ متى و(مالفوى) من أعظم المفكرين فى العالم؟»..

ولم يجبه (رون) أو (هرميون).

■ ■ ■

١٣ (ريدل) الغامض

وفى اليوم التالى، تم نقل (كاتى) إلى مستشفى (سان مونجو) للأمراض والإصابات السحرية، وكانت أخبار إصابتها باللعنة قد انتشرت فى كل مكان بالمدرسة، إلا أن التفاصيل كانت مشوشة، وبدا أنه لا أحد باستثناءً (هارى) و(رون) و(هرميون) و(لينى) يعرف أن (كاتى) لم تكن هى المستهدفة.

قال (هارى) لـ(رون) و(هرميون): «آه، (مالفوى) أيضًا يعرف بالطبع» إلا أنهما استمرا فى التظاهر بعدم السمع كما يفعلان عندما يبدأ (هارى) الكلام عن نظرية أن (مالفوى) هو أحد (آكلى الموت).

وتساءل (هارى) إن كان (دمبلدور) سيعود من المكان الذى ذهب إليه فى الوقت المناسب لدرس ليلة الإثنين، ولكن بما أنه لم تصله أى أخبار عن حدوث أى تغيير، فقد ذهب إلى مكتب (دمبلدور) فى تمام الساعة الثامنة، ودق الباب ودخل عندما قيل له أن يفعل. وكان (دمبلدور) جالسًا هناك، وقد ظهر عليه الإجهاد أكثر من المعتاد، وكانت يده المصابة ما زالت سوداء ومحروقة كالمعتاد، ولكنه ابتسم وهو يشير لـ(هارى) أن يجلس، وكان جهاز الذكريات السحرى (البنسيف) موضوعًا فوق المكتب مرة أخرى وهو يعكس بقعة ضوء فضية على السقف.

قال (دمبلدور): «يبدو أنك كنت مشغولاً وأنا غائب، أعتقد أنك شاهدت حادث (كاتى)».

قال (هارى): «نعم يا سيدى، كيف حالها؟».

قال (دمبلدور): «ما زالت فى حالة سيئة، على الرغم من أنها كانت محظوظة نسبيًا، فيبدو أنها مست العقد بأقل قدر ممكن من بشرتها؛ حيث كانت هناك فتحة صغيرة جدًّا فى قفازها، لو كانت قد لبسته أو حتى لمسته بيدها العارية، لكانت قد ماتت.. ربما على الفور. ومن حسن الحظ، أن الأستاذ (سناب) تمكن من عمل اللازم؛ لمنع انتشار اللعنة بسرعة».

سأل (هارى) بسرعة: «ولكن لماذا هو وليس مدام (بومفرى)؟».

قال صوت هادئ من إحدى اللوحات المعلقة على الحائط: «وقاحة، لم أكن لأسمح لطالب بالاعتراض على الطريقة التى تدار بها (هوجوورتس) فى أيامى»، كان المتحدث هو (فينيس نيجيلوس بلاك)، جد (سيريوس بلاك) الأكبر الذى رفع رأسه من بين ذراعيه حيث كان على ما يبدو نائمًا.

قال (دمبلدور) ليسكته: «أجل، شكرًا لك، يا (فينيس)».

ثم أكمل: «الأستاذ (سناب) يعرف عن السحر الأسود أكثر بكثير مما تعرف مدام (بومفرى) يا (هارى). وعلى أية حال، فإن إدارة (سان مونجو) ترسل لى تقريرًا كل ساعة عن حالتها، وأرجو أن تشفى (كاتى) تمامًا مع الوقت».

سأل (هارى) متجاهلاً شعورًا قويًا بأنه قد تعدى الحدود قليلاً، وهو شعور يبدو أن (فينيس نيجيلوس) يشاركه فيه؛ حيث أصدر صفيرًا خافتًا: «أين كنت فى نهاية الأسبوع يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «أفضل ألا أقول لك هذا الآن، ولكننى سوف أقول لك فى الدرس المقبل».

قال (هارى) مجفلاً: «هل ستفعل؟».

قال (دمبلدور): «نعم، أتوقع هذا»، وسحب زجاجة من الذكريات الفضية من داخل ملابسه، وقام بنزع سدادتها بطرقة من عصاه.

قال (هارى) بتردد: «سيدى، لقد التقيت بـ(موندوجس) فى (هوجسميد)».

قال (دمبلدور) وقد تجهم قليلاً: «آه، صحيح، أنا على علم بأن (موندوجس) يمارس خفة اليد فى سرقة ميراثك بطريقة مخزية، وقد اختفى تمامًا منذ أمسكت به خارج حانة (المكانس الثلاث)؛ مما يجعلنى أعتقد أنه يتحاشى مواجهتى. ومع ذلك، اطمئن، إنه لن يبدد المزيد من ممتلكات (سيريوس) القديمة».

قال (فينيس نيجيلوس) غاضبًا: «هل كان ذلك الحقير ذو الدم المختلط يسرق ممتلكات آل (بلاك)؟»، ثم مشى متشامخًا خارجًا من إطاره، ليزور صورته فى المنزل رقم ١٢ فى شارع (جريمولد).

قال (هارى) بعد فترة توقف قصيرة: «أستاذ، هل أخبرتك الأستاذة (ماكجونجال) بالذى قلته لها بعد إصابة (كاتى) عن (دراكو مالفوى)؟».

قال (دمبلدور): «لقد أخبرتنى عن شكوكك، أجل».

«وهل...؟».

«سوف أتخذ كل الإجراءات اللازمة للتحرى عن أى شخص قد يكون له أى يد فيما حدث لـ(كاتى)، ولكن ما يشغل بالى الآن يا (هارى) هو درسنا».

شعر (هارى) بالقليل من الامتعاض من هذا الكلام؛ إذا كانت دروسهم مهمة جدًّا هكذا، فلماذا كانت هناك فترة طويلة بين الأول والثانى؟ ولكنه لم يقل المزيد عن (دراكو مالفوى)، وأخذ يراقب (دمبلدور) وهو يسكب الذكريات النشطة داخل جهاز (البنسيف) ويحرك القاعدة الحجرية بين يديه ذات الأصابع الطويلة حركة مستديرة مرة أخرى.

قال (دمبلدور): «أنا متأكد أنك تذكر أننا تركنا قصة بدايات لورد (فولدمورت) عند النقطة التى ترك فيها العامِّى الوسيم (توم ريدل)

زوجته الساحرة (ميروب) وعاد إلى منزل عائلته بقرية (هانجلتون الصغرى) تاركًا (ميروب) وحدها فى لندن وهى حامل فى الجنين الذى سيصبح فيما بعد لورد (فولدمورت)».

سأل (هارى): «وكيف تعرف أنها كانت فى لندن يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «بسبب شهادة (كاراستاكوس بوركى) الذى كان بمصادفة غريبة أحد المؤسسين لنفس المحل الذى أتى منه العقد الذى كنا نناقشه منذ قليل».

وأخذ يحرك محتويات جهاز الذكريات (البنسيف) بنفس الطريقة التى رآه (هارى) يحركه بها من قبل، والتى تشبه طريقة المنقب عن الذهب وهو يغربل مصفاته بحثًا عن الذهب. وظهر من داخل الدوامة الفضية داخل الجهاز رجل عجوز قصير، أخذ يدور بهدوء داخل (البنسيف)، كان فضيًا مثل الشبح، ولكنه بدا مجسمًا أكثر منه، وكان شعره كثيفًا ويغطى عينيه تمامًا.

قال الرجل: «نعم، لقد حصلنا عليه فى ظروف غريبة؛ فقد أحضرته إلينا ساحرة صغيرة قبل عيد الميلاد منذ سنوات طويلة، وقالت: إنها تحتاج إلى الذهب بشدة، حسنًا، كان ذلك واضحًا، فقد كانت ترتدى ملابس رثة، وأكثر من هذا كانت تبدو على وشك الولادة، وقالت إن المدلاة تخص عائلة (سليذرين). حسنًا، لقد كنا نسمع مثل هذا النوع من الحكايات طوال الوقت «كان هذا يخص (مارلين)، كان هذا إبريق الشاى المفضل لديه» وأشياء من هذا القبيل، ولكن ما إن نظرت إلى المدلاة حتى وجدت علامة (سليذرين) عليها وبعد إلقاء بعض التعاويذ البسيطة عليها؛ تأكدت أنها أصلية. بالطبع، كان هذا يعنى أنها لا تقدَّر بثمن، ولكن الفتاة لم يكن لديها أى فكرة عن قيمتها وكانت سعيدة بالحصول على عشرة جالونات ثمنًا لها. وكانت هذه أفضل صفقة عقدناها على الإطلاق!».

وهز (دمبلدور) الجهاز هزة قوية أخرى فاختفى (كاراستاكوس بوركى) داخل دوامة الذكريات التى أتى منها.

قال (هارى) باستياء: «أعطاها عشرة جالونات فقط؟».

قال (دمبلدور): «لم يكن (كاراستاكوس بوركى) مشهورًا بكرمه؛ لذلك فنحن نعلم أنه قرب موعد ولادة طفلها، وكانت (ميروب) وحيدة فى لندن وفى حاجة شديدة للذهب، وكانت يائسة لدرجة أنها باعت الشىء الوحيد الثمين الذى تملكه، وهى تلك المدلاة التى كانت إحدى ممتلكات العائلة التى كان (مارفولو) يحافظ عليها».

قال (هارى) بنفاد صبر: «ولكنها كانت تستطيع استخدام السحر! كان يمكنها الحصول على الطعام وكل شىء آخر باستخدام السحر! أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور): «آه، ربما كانت تستطيع، ولكننى أعتقد ـ وهو مجرد استنتاج وإن كنت متأكدًا أننى على حق ـ أنها توقفت عن استخدام السحر بعد أن هجرها زوجها. لا أعتقد أنها أرادت أن تصبح ساحرة بعد ذلك، ولكن من الممكن طبعًا أن يكون الحب غير المتبادل واليأس المصاحب له قد عطلا قواها السحرية.. يمكن لهذا أن يحدث. وعلى أية حال، كما سوف ترى، رفضت (ميروب) أن ترفع عصاها حتى ولو لإنقاذ حياتها هى».

قال (هارى): «لم تكن تحرص على البقاء على قيد الحياة لأجل ابنها على الأقل».

رفع (دمبلدور) حاجبيه مندهشًا وقال: «هل من الممكن أن تشعر بالرثاء لأجل لورد (فولدمورت)؟».

قال (هارى) بسرعة: «لا، ولكن كان لديها اختيار، أليس كذلك؟ ليس مثل أمى».

قال (دمبلدور) بلطف: «والدتك كان لديها اختيار أيضًا. ولكنك على حق، لقد اختارت (ميروب ريدل) الموت على الرغم من احتياج ابنها إليها، ولكن لا تَكن قاسيًا فى حكمك عليها يا (هارى).

كانت قد أصبحت ضعيفة جدًّا بسبب المعاناة الطويلة ولم يكن لديها شجاعة والدتك.. والآن، هل تسمح بالوقوف...؟».

سأل (هارى) عندما انضم إليه (دمبلدور) عند مقدمة المكتب: «أين سنذهب؟».

أجاب (دمبلدور): «هذه المرة، سوف ندخل فى ذاكرتى وأعتقد أنك ستجدها غنية بالتفاصيل ودقيقة إلى درجة مُرضية أيضًا. بعدك يا (هارى)...».

انحنى (هارى) فوق (البنسيف)؛ وأدخل وجهه إلى السطح البارد للذكريات ثم سقط خلال الظلام مرة أخرى.. وبعد لحظات، اصطدمت قدماه بالأرض الصُّلبة، وفتح عينيه ليجد نفسه مع (دمبلدور) واقفيْن فى أحد شوارع لندن الصاخبة ذات الطراز القديم.

قال (دمبلدور) بمرح: «ها هو أنا». وأشار أمامهم إلى شخص طويل يعبر الطريق أمام عربة لبان يجرها حِصان.

كان الشعر الطويل واللحية الخاصة بـ(ألباس دمبلدور) الشاب لونهما بنى محمر. وعندما وصل إلى جانب الطريق الذى يقفان به، بدأ يخطو على الرصيف وهو يجذب الأنظار الفضولية للعديد من المارة؛ بسبب طراز البذلة الحريرية ذات الألوان البراقة اللافتة للنظر التى كان يرتديها.

وقبل أن يستطيع (هارى) منع نفسه قال: «بذلة لطيفة يا سيدى»، لكن (دمبلدور) ضحك بخفوت وهما يتبعان شخصه الشاب من مسافة قريبة، وهو يعبر من خلال بوابة حديدية داخلاً إلى ساحة خالية أمام مبنى مربع، محاط بسياج عالٍ وكئيب إلى حد ما. وصعد درجات السلم

القليلة المُفضية إلى الباب الأمامى وطرَق طرقة واحدة، وبعد لحظة فتحت الباب فتاة رثة الهيئة ترتدى مئزرًا.

قال (دمبلدور) الشاب: «مساء الخير، لدىَّ موعد مع السيدة (كولى)، أعتقد أنها المديرة هنا؟».

قالت الفتاة وهى تبدو حائرة بسبب مظهر (دمبلدور) الغريب: «هه... لحظة واحدة...»، ثم صاحت من فوق كتفها: «سيدة (كولى)!».

سمع (هارى) صوتًا يصيح ليرد بشىء، فالتفتت الفتاة إلى (دمبلدور) مرة أخرى.

وقالت: «تفضل، ستحضر حالاً».

دخل (دمبلدور) إلى الرواق المبلط ببلاط أسود وأبيض؛ كان المكان بأكمله باليًا، ولكنه نظيف تمامًا، وتبعه (هارى) و(دمبلدور) الأكبر سنًّا. وقبل أن يغلق الباب الأمامى خلفهم، حضرت امرأة نحيفة، قلقة المظهر تمشى بسرعة فى اتجاههم، وكانت ملامح وجهها حادة، وإن بدت قلقة أكثر منها قاسية، وكانت تتكلم من فوق كتفها إلى مساعدة أخرى ترتدى مئزرًا بينما تتجه نحو (دمبلدور).

وقالت: «...خذى اليود إلى (مارثا) فى الدور العلوى؛ لأن (بيلى ستوبس) يرفع القشرة عن جروحه ورشح (إريك والى) يغطى كل الملاءات ـ الجديرى الكاذب يغطى كل شىء»، لم يكن كلامها موجهًا لشخص بالتحديد، ثم وقعت عيناها على (دمبلدور)، فوقفت بلا حراك، وهى تبدو مندهشة كأنها رأت زرافة تعبر عتبة بابها.

قال (دمبلدور) وهو يمد يده: «مساء الخير».

ففغرت السيدة (كولى) فاها.

قال (دمبلدور): «اسمى (ألباس دمبلدور)، وقد أرسلت إليكم خطابًا، أطلب فيه موعدًا وقد تفضلتِ بدعوتى إلى هنا اليوم».

طرفت السيدة (كولى) ومن الواضح أنها توصلت أخيرًا إلى أن (دمبلدور) ليس مجرد هلوسة، فقالت بصوت واهن: «آه، حسنًا - حسنًا إذن، من الأفضل أن ندخل إلى غرفتى».

وقادت (دمبلدور) إلى غرفة صغيرة، بدا أن جزءًا منها يستخدم كغرفة جلوس والجزء الآخر غرفة مكتب، وكانت رثة مثل الرواق بالخارج، وكان الأثاث قديمًا وغير متناسق. ودعت (دمبلدور) للجلوس فوق كرسى متداعٍ، وجلست وراء مكتب تعمُّه الفوضى وهى تنظر إليه بعصبية.

قال (دمبلدور): «لقد حضرت، كما سبق وأخبرتك فى رسالتى لمناقشة ترتيبات مستقبل (توم ريدل)».

سألت السيدة (كولى): «هل أنت من أسرته؟».

قال (دمبلدور): «لا، أنا مدرس، وقد حضرت لأقدم لـ(توم) مكانًا فى مدرستى».

السيدة (كولى): «أى مدرسة هذه؟».

قال (دمبلدور): «إنها تدعى (هوجوورتس)».

السيدة (كولى): «وما الذى يجعلك مهتمًا بـ(توم) بالذات؟».

(دمبلدور): «نحن نعتقد أن لديه صفات معينة نبحث عنها».

السيدة (كولى): «أتعنى أنه حصل على منحة دراسية؟ ولكن كيف فعل هذا؟ إنه لم يتقدم إلى إحداها قطُّ».

(دمبلدور): «حسنًا، إن اسمه كان مدونًا لدينا منذ ميلاده».

السيدة (كولى): «من الذى سجل اسمه؟ والداه؟».

لم يكن هناك شك أن السيدة (كولى) كانت منزعجة جدًّا. ويبدو أن (دمبلدور) الشاب فكر فى نفس الشيء؛ لأن (هارى) رآه يُخرج عصاه من جيب بذلته الحريرية ويلتقط فى نفس الوقت قطعة من الورق الأبيض من فوق سطح مكتب السيدة (كولى).

قال (دمبلدور): «خذى»، ولوح بعصاه مرة بينما يمرر الورقة إليها، ويضيف: «أعتقد أن هذا سيجعل كل شىء واضحًا».

بدت عين السيدة (كولى) كأنها فقدت التركيز للحظة، ثم عادت مرة أخرى وأخذت تحدق بفحوى الورقة البيضاء، ثم قالت بهدوء وهى تعيدها إليه: «يبدو هذا مطابقًا للقواعد تمامًا»، ثم وقعت عيناها على زجاجة جين وكأسين لم تكونا بالتأكيد موجودتيْن منذ بضع لحظات.

وقالت بصوت مهذب: «أ... هل يمكننى أن أقدم لك كأسًا من الجين؟».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «شكرًا جزيلاً».

وسرعان ما بدا على السيدة (كولى) أنها لم تكن المرة الأولى التى تشرب فيها الجين. فقد ملأت الكأسين بسخاء وشربت كأسها على الفور وأخذت تستطعمه ـ الجين ـ بين شفتيها، ثم ابتسمت لـ(دمبلدور) لأول مرة، ولم يتردد هو فى استغلال الفرصة.

«كنت أتساءل إن كان يمكنك إخبارى بأى شىء عن تاريخ (توم ريدل)؟ أعتقد أنه قد ولد هنا فى الملجأ؟».

قالت السيدة (كولى) وهى تصب لنفسها المزيد من الجين: «هذا صحيح، أتذكر هذه الليلة جيدًا؛ لأنى كنت فى بداية عملى هنا، كانت ليلة رأس السنة وكان البرد شديدًا والثلج يسقط، كانت ليلة فظيعة وحضرت هذه الفتاة التى لم يكن عمرها يزيد على عمرى فى هذا الوقت تترنح على عتبة الباب. حسنًا، لم تكن الأولى، أدخلناها، ووضعت الطفل فى خلال ساعة ثم ماتت بعد ساعة أخرى».

أومأت السيدة (كولى) برأسها بطريقة عاطفية وشربت جرعة سخية من الجين.

سأل (دمبلدور): «هل قالت أى شىء قبل موتها؟ أى شىء عن والد الطفل، على سبيل المثال؟».

قالت السيدة (كولى): «نعم، أتذكر أنها قالت شيئًا»، وبدت مستمتعة، الآن، إلى حد ما بشراب الجين فى يدها والجمهور المتشوق لسماع قصتها.

وأكملت: «أتذكر أنها قالت لى: أرجو أن يبدو مثل أبيه ولن أكذب عليك، كانت على حق أن تتمنى هذا، لأنها لم تكن جميلة - ثم أخبرتنى أنها تريد أن يسمى (توم) على اسم أبيه و(مارفولو) على اسم أبيها هى - أجل، أعلم، اسم غريب، أليس كذلك؟ تساءلنا إن كانت قادمة من سيرك، ثم قالت: إن اسم عائلة الولد هو (ريدل). وماتت بعدها بوقت قصير دون أن تنطق بكلمة أخرى».

«حسنًا، لقد أسميناه كما قالت، فقد بدا الأمر مهمًا للفتاة المسكينة ولكن لم يحضر أحد يسمى (توم) أو (مارفولو) أو أى شخص يطلق عليه (ريدل) ليبحث عنه، ولا أى أسرة، إطلاقًا؛ لذلك فقد بقى فى الملجأ من وقتها وحتى الآن».

صبَّت السيدة (كولى) لنفسها كأسًا أخرى من الجين بلا وعى تقريبًا، وظهرت على وجنتيْها بقعتان ورديتان، ثم قالت: «إنه ولد غريب».

قال (دمبلدور): «نعم، اعتقدت أنه قد يكون كذلك».

«أتعرف؟! لقد كان غريبًا حتى وهو رضيع، فلم يكن يبكى - تقريبًا - قطُّ، ثم بعدها عندما كبر قليلاً، أصبح عجيبًا».

سأل (دمبلدور) برفق: «عجيبًا من أى ناحية؟».

«حسنًا، لقد...».

ولكن السيدة (كولى) كبحت جماح نفسها بسرعة، وكان واضحًا من النظرة التى رمت بها (دمبلدور) من فوق كأس الجين أنها قلقة.

«سيكون له مكان فى مدرستك فى كل الأحوال؟».

«بكل تأكيد».

«لا شىء مما سأقوله سيغير ذلك؟».

«لا شىء».

«سوف تأخذه بعيدًا مهما كان الأمر؟».

كرر (دمبلدور) بجدية: «مهما كان الأمر».

حدقت إليه وكأنها تحاول أن تقرر إن كانت تستطيع الوثوق به أم لا، ثم بدا أنها قررت الثقة به؛ لأنها قالت بعجلة مفاجئة: «إنه يخيف الأولاد الآخرين».

سأل (دمبلدور): «هل تعنين أنه يهددهم؟».

قالت السيدة (كولى) وهى متجهمة قليلاً: «أعتقد أنه يفعل، ولكن من الصعب جدًا ضبطه وهو يفعل ذلك. وكانت هناك حوادث... أشياء مزعجة...».

لم يضغط (دمبلدور) عليها، رغم أن (هارى) كان واثقًا أنه مهتم بسماع المزيد، ولكنها أخذت جرعة أخرى من الجين وازداد تورد خديها أكثر وأكثر.

وقالت: «هناك حادثة أرنب (بيلى ستوبس)... حسنًا، أنكر (توم) قيامه بذلك، وأنا لا أستطيع أن أرى كيف فعلها.. لكن مع ذلك، لا يمكن أن يكون الأرنب قد علق نفسه بنفسه بالعارضة وخنق نفسه، أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور) بهدوء: «لا يمكن الاعتقاد بذلك، لا».

«ولكننى أستغرب ولا أعرف كيف يمكنه أن يصعد إلى هناك ليفعل ذلك. كل ما أعرفه أنه هو و(بيلى) تشاجرا فى اليوم الذى سبق تلك الحادثة، ثم...»، أخذت السيدة (كولى) جرعة كبيرة من الجين، سال القليل منه على ذقنها هذه المرة وأضافت: «فى بداية الصيف ـ عادة ما نأخذهم إلى رحلة ـ نذهب بهم إلى الريف أو إلى شاطئ البحر مرة فى العام ـ حسنًا، (إيمى بينسون) و(دينس بيشوب) لم يعودا إلى طبيعتهما بعدها، وكل ما استطعنا أن نعرفه منهما أنهما ذهبا إلى داخل كهف مع (توم ريدل). لقد أقسم أنهم ذهبوا لاستكشاف المكان فقط، ولكنَّ شيئًا حدث هناك، أنا متأكدة من هذا، حسنًا، كان هناك أشياء كثيرة، أشياء غريبة...».

ونظرت إلى (دمبلدور) مرة أخرى، ورغم تورد خديها، إلا أن نظرها كان ثابتًا.

وأضافت: «لا أعتقد أن هناك من سيحزن لرحيله».

قال (دمبلدور): «إنكِ تفهمين بالطبع أننا لن نحتفظ به بشكل دائم؟ فسوف يعود إلى هنا فى نهاية كل عام دراسى لقضاء الصيف».

قالت السيدة (كولى) وقد أصابها الفواق قليلاً: «آه، حسنًا، هذا أفضل من ضربه على الأنف بقضيب صدئ»، ثم وقفت على قدميها وكان (هارى) متعجبًا من أن يراها متمالكة لنفسها تمامًا رغم أنها شربت ثلثى زجاجة الجين وأضافت: «أفترض أنك تريد رؤيته؟».

قال (دمبلدور) وقد وقف هو أيضًا: «أجل، بالتأكيد».

قادته إلى خارج المكتب وصعدا معًا سلَّمًا حجريًا وهى تصيح بالتعليمات والنصح للمساعدين والأطفال وهى تمر بجوارهم، وكان الأيتام ـ كما رأى (هارى) ـ يرتدون جميعًا نفس السترة الطويلة التى يميل لونها إلى اللون الرمادى، ورغم أنهم كانوا يبدون فى صحة جيدة إلى حد معقول، لا يمكن إنكار أنه مكان كئيب يمكن للمرء أن ينشأ فيه.

قالت السيدة (كولى): «ها نحن قد وصلنا»، وكانوا قد وصلوا إلى الطابق الثانى ووقفت خارج الباب الأول فى رواق طويل، ثم دقت على الباب دقتين ودخلت.

وقالت: «(توم)؟ لقد جاءك زائر. هذا هو السيد (دمبلترون) ـ آسفة (دمبلدور) لقد أتى ليخبرك ـ حسنًا، سأتركه هو يقول لك».

دخل (هارى) ومعه نسختا (دمبلدور) إلى الغرفة وأغلقت السيدة (كولى) الباب عليهم. كانت غرفة صغيرة جرداء ولم يكن بها شىء سوى دولاب قديم وسرير حديدى، وكان هناك ولد يجلس فوق بطانية رمادية وقدماه ممدودتان أمامه وهو يمسك كتابًا.

لم يكن (توم) يشبه آل (جاونت) على الإطلاق. فقد حصلت (ميروب) على الأمنية التى تمنتها قبل موتها، وكان نسخة مصغرة من أبيه الوسيم؛ طويلاً بالنسبة لولد فى الحادية عشرة وكان ذا شعر أسود ووجه شاحب.

ضاقت عيناه قليلاً عندما وقعت على مظهر (دمبلدور) الغريب ومرت لحظة صمت.

قال (دمبلدور) وهو يمشى نحوه ويمد له يده: «كيف حالك يا (توم)؟».

تردد الولد قليلاً، ثم مد يده وتصافحا. وجذب (دمبلدور) الكرسى الخشبى بجوار (ريدل) حتى بدا كلاهما كأنهما مريضان فى مستشفى وشخصٌ يزورهما.

قال (دمبلدور): «أنا الأستاذ (دمبلدور)».

كرر (ريدل) وقد بدا حذرًا: «أستاذ، مثل دكتور! لماذا أنت هنا؟ هل أحضرتك لتفحصنى؟».

وكان يشير إلى الباب الذى خرجت منه السيدة (كولى) منذ لحظة.

قال (دمبلدور) وهو يبتسم: «لا، لا».

قال (ريدل): «أنا لا أصدقك، إنها تريد أن يتم فحصى، أليس كذلك؟ أخبرنى بالحقيقة!».

وقال الكلمات الثلاث الأخيرة بصوت مدوٍّ يكاد يكون صاعقًا، لقد كان هذا أمرًا، وكان يبدو معتادًا على إعطاء مثل هذه الأوامر من قبل. وقد اتسعت عيناه وأخذ يحدق إلى (دمبلدور) الذى لم يبدِ أى استجابة، بل استمر فى الابتسام بشكل لطيف. وبعد بضع ثوان، توقف (ريدل) عن التحديق وإن بدا أكثر حذرًا مع ذلك.

«من أنت؟».

«لقد سبق وأخبرتك، اسمى الأستاذ (دمبلدور) وأنا أعمل فى مدرسة تدعى (هوجوورتس)، ولقد جئت لأعرض عليك مكانًا فى مدرستى - مدرستك الجديدة، إذا رغبت فى الانضمام إليها».

وكان رد فعل (ريدل) مفاجئًا إلى حد كبير؛ فقد قفز من السرير وابتعد عن (دمبلدور) وهو يبدو فى شدة الغضب.

وقال: «لا يمكنك أن تخدعنى! إنك قادم من مصحة الأمراض العقلية. أليس كذلك يا أستاذ؟ أجل بالطبع، حسنًا، أنا لن أذهب، أتفهم؟ هذه القطة العجوز هى التى يجب أن تذهب للمصحة، أنا لم أفعل شيئًا قطُّ لـ(إيمى بينسون) و(دينيس بيشوب)، ويمكنك أن تسألهما، وسوف يقولان لك!».

قال (دمبلدور) بصبر: «أنا لست قادمًا من مصحة، أنا مدرس وإذا جلست هادئًا؛ فسوف أخبرك عن (هوجوورتس)، وبالطبع إذا فضلت عدم القدوم إلى المدرسة، فلن يجبرك أحد على ذلك».

قال (ريدل) ساخرًا: «أحب أن أراهم يحاولون».

وأكمل (دمبلدور) كلامه وكأنه لم يسمع كلمات (ريدل) الأخيرة: «(هوجوورتس) هى مدرسة للناس الذين لديهم قدرات خاصة».

«أنا لست مجنونًا!».

«أعلم أنك لست مجنونًا. (هوجوورتس) ليست مدرسة للمجانين؛ إنها مدرسة لتعليم السحر».

ساد الصمت المكان وتجمد (ريدل) ووجهه خالٍ من أى تعبير، ولكنَّ عينيه كانتا تنتقلان ما بين عينى (دمبلدور)، كأنه يحاول أن يلمح الكذب فى أى منهما.

ثم كرر فى همس: «السحر؟».

«هذا صحيح».

«إنه السحر، ذلك الذى يمكننى فعله».

«ما هذا الذى تستطيع فعله؟».

زفر (ريدل) قائلاً: «كل شىء». وتملكه الحماس وتصاعد التورد من عنقه إلى خديه الغائرين حتى بدا كأنه أصيب بالحُمَّى، وأكمل قائلاً:

«يمكننى أن أجعل الأشياء تتحرك دون أن ألمسها، ويمكننى أن أجعل الحيوانات تفعل ما أريده دون أن أدربها على ذلك، يمكننى أن أجعل أشياء سيئة تحدث للناس الذين يضايقوننى، يمكننى أن أجعلهم يتألمون لو أردت ذلك».

كانت قدماه ترتجفان فتقدم نحو السرير وجلس عليه، وهو يحدق إلى يديه، ورأسه محنىٌ كأنه فى صلاة.

ثم همس إلى أصابعه المرتجفة: «لقد كنت أعرف أننى مختلف، أعرف أننى متميز. دائمًا ما عرفت أن هناك شيئًا».

قال (دمبلدور) الذى توقف عن الابتسام وأصبح يراقب (ريدل) عن كثب: «حسنًا، لقد كنت على حق تمامًا، فأنت ساحر».

فرفع (ريدل) رأسه وتحول تعبير وجهه، وارتسمت السعادة الشديدة عليه، ولكن لسبب ما لم تحسن السعادة من مظهره؛ بل على العكس، فقد بدت ملامحه المنحوتة بشكل ممتاز قاسية، إلى حد ما، وتعبيره بدا وحشيًا.

(ريدل): «هل أنت ساحر أيضًا؟».

قال (دمبلدور): «أجل».

قال (ريدل) على الفور: «اثبت لى»، قالها بنفس اللهجة الآمرة التى استخدمها عندما قال: «أخبرنى بالحقيقة».

رفع (دمبلدور) حاجبيه.

«إذا كنت، كما فهمت؛ فسوف تقبل الانضمام إلى مدرسة (هوجوورتس)».

«بالطبع، سأقبل!».

قال (دمبلدور): «إذن، يجب عليك أن توجه إلىَّ الحديث قائلاً: يا أستاذ أو سيدى».

تصلب تعبير وجه (ريدل) للحظة خاطفة قبل أن يقول بصوت مهذب: «أنا آسف يا سيدى. أقصد ـ أرجوك يا أستاذ، هل يمكنك أن ترينى؟».

كان (هارى) متأكدًا أن (دمبلدور) سيرفض، وأنه سوف يقول لـ(ريدل) إن هناك الكثير من الوقت للإثبات العملى فى (هوجوورتس)، وإنهم الآن فى مبنى ملىء بالعامَّة، ويجب عليهم ـ لهذا السبب ـ أن يكونوا حذرين ولكن لدهشته الشديدة، سحب (دمبلدور) عصاه من الجيب الداخلى لبذلته ووجهها إلى الدولاب البالى الموجود فى الركن وحرك عصاه حركة عفوية فاشتعلت النيران بالدولاب؛ فقفز (ريدل) واقفًا على قدميه. ولم يستطع (هارى) أن يلومه على صياحه مصدومًا وغاضبًا؛ فكل ما يملكه من العالم كان موجودًا بداخل هذا الدولاب، ولكن ما كاد (ريدل) يستدير ليواجه (دمبلدور) حتى كانت النيران قد اختفت تاركة الدولاب سليمًا تمامًا.

فأخذ (ريدل) ينقل بصره بين الدولاب و(دمبلدور)، ثم علا وجهه تعبير بشع وأشار إلى العصا السحرية.

وقال: «من أين أحضر واحدة مثل هذه؟».

قال (دمبلدور): «كل شىء فى وقته، أعتقد أن هناك شيئًا يحاول الخروج من دولابك».

كان هناك صوت خشخشة خافتة يُسمع داخله، ولأول مرة ظهر الخوف على (ريدل).

تردد (ريدل)، ثم عبر الغرفة، وفتح باب الدولاب. كان هناك صندوق صغير من الكرتون فوق الرف العلوى الذى يوجد أسفله مشجب معلق عليه ملابس بالية. وكان الصندوق يهتز ويخشخش كأن به عددًا من الفئران المسعورة محبوسة داخله.

قال (دمبلدور): «أخرجه».

فأنزل (ريدل) الصندوق وهو يبدو واهنًا.

سأله (دمبلدور): «هل هناك شىء فى هذا الصندوق ليس من حقك أن تأخذه؟».

رمى (ريدل) (دمبلدور) بنظرة طويلة حذرة، وقال أخيرًا بصوت خالٍ من التعبير: «نعم، أعتقد هذا يا سيدى».

قال (دمبلدور): «افتحه».

ورفع (ريدل) الغطاء وأفرغ محتويات الصندوق على السرير دون أن ينظر إلى هذه المحتويات.

كان (هارى) يتوقع رؤية شىء مشوق، إلا أن كل ما رآه كان خليطًا من الأشياء العادية: يويو، أنبوبًا فضيًّا، وبينهما هارمونيكا متسخة. وما إن خرجت من الصندوق حتى توقفت عن الحركة واستقرت ساكنةً فوق البطانية البالية.

قال (دمبلدور) بهدوء وهو يعيد عصاه إلى داخل سترته: «سوف تعيدها إلى مُلاكها وتعتذر لهم؛ وسوف أعرف إن كنت قد قمت بذلك أم لا. وأنبهك أنه لا يتم التسامح مع السرقة فى (هوجوورتس)».

لم يحنِ (ريدل) وجهه خجلاً، بل ظل يحدق ببرود إلى (دمبلدور) كأنه يقيّمه، وأخيرًا قال بصوت حيادى: «أجل يا سيدى».

وأكمل (دمبلدور) حديثه قائلاً: «فى (هوجوورتس)، نحن لا ندرِّس كيفية استخدام السحر فقط، ولكن كيفية التحكم به أيضًا. لقد قمت باستخدام السحر بطريقة لا نعلمها ولا نقبل بها فى مدرستنا، ولكننى متأكد أن هذا تم عفويًّا. إنك لست الأول ولن تكون الأخير الذى سمح لسحره بأن يجمح به.

ولكنك يجب أن تعلم أن (هوجوورتس) يمكن أن تفصل الطلبة، وأن وزارة السحر ـ نعم، هناك وزارة للسحر ـ تعاقب الذين يخرقون القانون بكل صرامة. فعلى كل السحرة الجدد أن يعرفوا أنه بدخولهم إلى عالمنا، يجب عليهم أن يلتزموا بقوانيننا».

قال (ريدل) مرة أخرى: «أجل يا سيدى».

كان من المستحيل معرفة ما الذى يفكر به؛ حيث ظل وجهه خاليًا من التعبير تمامًا وهو يعيد الأشياء المسروقة إلى الصندوق الكرتونى. وعندما انتهى، التفت إلى (دمبلدور) وقال بصراحة شديدة: «ليس لدىَّ أى مال».

قال (دمبلدور): «هذا شىء يمكن علاجه بسهولة»، ثم أخرج حقيبة نقود جلدية من جيبه وأضاف: «هناك صندوق فى (هوجوورتس) لهؤلاء الذى يحتاجون مساعدة فى شراء الكتب والملابس.

ربما تحتاج إلى شراء بعض كتب التعاويذ وأشياء أخرى مستعملة، ولكن...».

قاطعه (ريدل) وكان قد أخذ كيس المال الثقيل دون أن يشكر (دمبلدور)، فاحصًا أحد الجالونات الذهبية: «من أين تشترون كتب التعاويذ؟».

«من حارة (دياجون)، معى هنا قائمة الكتب والمعدات الخاصة بك، يمكننى أن أساعدك لتجد ما تحتاج إليه».

سأل (ريدل) وقد رفع بصره إلى (دمبلدور): «هل ستأتى معى؟».

«بالتأكيد، إذا...».

«أنا لا أحتاج إليك، فأنا اعتدتُ فعل الأشياء بنفسى، وكثيرًا ما تجولت حول لندن وحدى. كيف تصل إلى حارة (دياجون) هذه؟»، ثم أضاف: «يا سيدى» وقد تلاقت عيناه بعين (دمبلدور).

اعتقد (هارى) أن (دمبلدور) سوف يصمم على مصاحبة (ريدل) ولكنه اندهش للمرة الثانية، فقد سلم (دمبلدور) الظرف الذى يحوى قائمة الكتب والمعدات إلى (ريدل)، وبعد أن أخبره عن كيفية الوصول إلى (ليكى كولدرون) من الملجأ، قال: «سيكون بإمكانك رؤيتها، بينما العامَّة من حولك ـ من غير السحرة ـ لن يستطيعوا ذلك. اسأل عن (توم) الساقى ـ من السهل أن تتذكره؛ لأن له نفس اسمك».

انتفض (توم) منفعلاً، وكأنه يزيح ذبابة مزعجة بعيدًا عنه.
«أتكره اسم (توم)؟».

فتمتم (ريدل) قائلاً: «هناك الكثيرون يحملون اسم (توم)»، ثم بدا كأنه لا يستطيع كبت السؤال أو أنه انطلق منه رغم إرادته: «هل كان أبى ساحرًا؟ كان اسمه (توم ريدل) أيضًا، لقد أخبرونى بذلك».

قال (دمبلدور) وقد رق صوته: «أخشى أننى لا أعرف».

قال (ريدل) وهو يوجه الكلام لنفسه أكثر من (دمبلدور): «لا يمكن أن تكون أمى ساحرة، وإلا ما كانت قد ماتت، يجب أن يكون هو إذن، عندما أحصل على كل أشيائى... كيف أستطيع الوصول إلى (هوجوورتس)؟».

قال (دمبلدور): «كل التفاصيل موجودة فى رقعة الجلد الثانية فى الظرف، سوف ترحل من محطة (كنج كروس) فى الأول من سبتمبر، وستجد داخل الظرف تذكرة قطار أيضًا».

أومأ (ريدل)، ووقف (دمبلدور) على قدميه ومد يده مرة أخرى. صافحه (ريدل) وقال: «يمكننى أن أتكلم مع الثعابين، لقد اكتشفت هذا عندما كنت فى رحلات الريف ـ إنهم يأتون ويهمسون إلىَّ. هل هذا شىء عادى بالنسبة لساحر؟».

أدرك (هارى) أن (ريدل) أجَّل ذكر أكثر قواه غرابةً إلى هذه اللحظة؛ حتى يكون لها وقْع مؤثر.

قال (دمبلدور) بعد لحظة تردد: «إنه شىء نادر، ولكنه ليس غير معهود».

كانت لهجته عادية ولكنَّ عينيه تحركتا بفضول فوق وجه (ريدل). ووقفا للحظة يحدقان ببعضهما، ثم نفض كل منهما يد الآخر وأصبح (دمبلدور) عند الباب.

وقال: «إلى اللقاء يا (توم)، سوف أراك فى (هوجوورتس)».

قال (دمبلدور) ذو الشعر الأبيض الواقف بجوار (هارى): «أظن أن هذا يكفى، ثم بعد ثوان كانا يطيران خلال الظلام بلا وزن مرة أخرى حتى هبطا فى مكتبه فى اليوم ذاته».

قال (دمبلدور) وهو يهبط بجواره: «اجلس».

أطاعه (هارى) وعقله مازال ممتلئًا بكل ما شاهده منذ لحظة.

قال (هارى): «لقد صدق الأمر أسرع مما فعلت أنا بكثير، أعنى عندما قلت له إنه ساحر، بينما لم أصدق أنا (هاجريد) عندما قال لى هذا فى البداية».

قال (دمبلدور): «أجل، كان (ريدل) مستعدًا تمامًا لتصديق أنه ـ كالكلمة التى استخدمها ـ مميز».

سأل (هارى): «هل عرفت ـ وقتها؟».

«هل عرفت أننى التقيت بأكثر سحرة الظلام خطورةً فى كل الأزمنة؟ لا، لم يكن لدىَّ أى فكرة أنه سيكبر ليصبح ما هو عليه الآن. لقد أثار استغرابى بالتأكيد، وعدت إلى (هوجوورتس) وأنا أنوى مراقبته، وهو شىء ما كنت لأفعله فى أى حالة مشابهة؛ لأنه كان وحيدًا وبدون أصدقاء، ولكن فى هذه الحالة، شعرت أننى يجب أن أفعل هذا لأجل مصلحة الآخرين بقدر ما هو مصلحته».

«لقد كانت قواه ـ كما سمعت ـ متقدمة لدرجة مثيرة للدهشة، خاصة بالنسبة لساحر صغير مثله ـ أما الأكثر غرابة وإنذارًا بالسوء ـ فهو أنه كان قد اكتشف بنفسه بعض الوسائل للسيطرة على هذه القوى، وبدأ باستخدامها وهو واعٍ بما يفعله. وكما رأيت، فإنها لم تكن تجارب عشوائية مثل التى تحدث للسحرة الصغار. لقد كان يستخدم السحر ضد الآخرين سواء لإخافتهم أو لمعاقبتهم أو التحكم بهم. فما قاله: «يمكننى أن أجعلهم يتألمون لو أردت ذلك»، يوضح حقيقة القصص عن الأرنب المخنوق والولد والبنت الصغيرين اللذين تم استدراجهما إلى داخل الكهف...».

قاطعه (هارى): «وكان يتحدث بلغة الثعابين».

«أجل، بالطبع، إنها موهبة نادرة ومن المفترض أن لها صلة بالسحر الأسود، رغم أنه كما نعلم، هناك من لديهم هذه الموهبة بين السحرة العظماء والخيرين أيضًا. ولكن قدرته على الكلام مع الأفاعى لم تقلقنى كما أقلقنى ميله الطبيعى الواضح للقسوة والتكتم والسيطرة».

قال (دمبلدور) وهو يشير إلى السماء السوداء وراء الشباك: «مر الوقت سريعًا دون أن نشعر به ولكن قبل أن نفترق أريد أن أجذب انتباهك إلى أشياء معينة فى المشهد الذى شاهدناه منذ قليل؛ لأنها سيكون لها دخل كبير بالموضوعات التى سنناقشها فى لقاءاتنا القادمة:

أولاً: أرجو أن تكون قد لاحظت رد فعل (ريدل) عندما ذكرت له أن شخصًا آخر يشاطره نفس الاسم (توم)».

أومأ (هارى) برأسه.

وأكمل (دمبلدور) قائلاً: «لقد أظهر احتقارًا لأى شىء يربطه بالناس الآخرين؛ أى شىء يجعله عاديًا. حتى وقتها كان يريد أن يكون مختلفًا ومنعزلاً ومشهورًا. فقد تخلص من اسمه كما تعلم بعد هذه الحادثة بسنوات قليلة وضع لنفسه قناع لورد (فولدمورت) الذى اختفى وراءه لفترة طويلة».

«أنا واثق أنك لاحظت أن (توم ريدل) كان بالفعل مكتفيًا بذاته، متكتمًا، ومن الواضح أنه كان بلا أصدقاء، لم يكن يريد المساعدة أو المصاحبة فى رحلته إلى حارة (دياجون) وفضَّل أن يقوم بها وحده و(فولدمورت) البالغ يتصرف بنفس الطريقة، سوف تسمع العديد من (آكلى الموت) يدعون أنهم موضع ثقته وأنهم الوحيدون المقربون إليه ويستطيعون فهمه. ولكن جميعهم مخدوعون؛ لأن لورد (فولدمورت) لم يكن له أصدقاء قطُّ ولم يرد أن يكون له صديق أيضًا كما أعتقد».

«وأخيرًا، أرجو ألا تكون ناعسًا لدرجة ألا تأخذ بالك من هذا يا (هارى)؛ فـ(توم ريدل) الصغير كان يحب جمع التذكارات. هل رأيت صندوق الأشياء المسروقة الذى كان يخفيه فى غرفته؟ كان مملوءًا بأشياء أخذها من ضحايا سلوكه العدوانى، تذكارات تخص بعض ضحايا سحره البغيض. تذكر جيدًا ميله إلى جمع الأشياء الصغيرة والاحتفاظ بها؛ لأن هذا بالتحديد، سوف يكون مهمًّا فيما بعد».

«أما الآن، فقد حان موعد النوم فعلاً».

وقف (هارى)، وبينما يقطع الغرفة متجهًا إلى الباب وقعت عيناه على المائدة الصغيرة التى كان عليها خاتم (مارفولو جاونت) فى آخر مرة كان هنا، ولكن الخاتم لم يكن هناك.

توقف (هارى) عن المشى وقال له (دمبلدور): «نعم يا (هارى)».

قال (هارى) وهو يتلفَّت حوله: «الخاتم لم يعد موجودًا، ولكننى اعتقدت أنه قد يكون لديك الهارمونيكا أو شىء آخر».

ابتسم له (دمبلدور) ونظر إليه من فوق نظارته الهلالية:

«لديك قوة ملاحظة ممتازة يا (هارى) ولكن الهارمونيكا لم تكن سوى مجرد هارمونيكا».

وبهذا التعليق الغامض، لوح لـ(هارى) الذى فهم أن عليه الانصراف.

■ ■ ■

١٤ فليكس فلسيس

فى صباح اليوم التالى، كانت أول محاضرة لـ(هارى) هى مادة علم النباتات، ولم يستطع إخبار (رون) و(هرميون) بشأن الدرس الذى أعطاه له (دمبلدور)؛ خوفًا من أن يسمعهم أحدٌ مصادفة أثناء تناولهم الإفطار، ولكنه أخبرُهم بكل شىء أثناء عبورهم حوض الخضراوات متجهين إلى الصوب الزجاجية. وكانت رياح نهاية الأسبوع الشديدة قد تلاشت أخيرًا وعاد الضباب العجيب ثانية؛ مما جعلهم يستغرقون وقتًا أطول من المعتاد لإيجاد الصوبة الزجاجية التى يقصدونها.

قال (رون) بخفوت: «ياه! فكرة مخيفة، (أنت تعرف من) الصبى!». كانوا قد أخذوا أماكنهم حول جذع إحدى أشجار (سنارجالوف) كثيرة العقد التى تمثل مشروع الفصل الدراسى الحالى، ثم بدءوا فى ارتداء قفازاتهم الواقية، وأكمل (رون) حديثه قائلاً: «ولكننى مازلت لا أفهم لماذا يريك (دمبلدور) كل هذا؟ أقصد أن ذلك مثير للاهتمام. ولكن، ما هدفه من ذلك؟».

رد (هارى) وهو يدخل إلى الدرع المطاطى: «لا أعرف، ولكنه يقول: إن كل تلك الأشياء مهمة وإنها سوف تساعدنى على النجاة».

فقالت (هرميون) بجدية: «أعتقد أن الأمر مشوق، ومن المنطقى جدًّا أن تحاول معرفة كل ما يمكنك أن تعرفه عن (فولدمورت) وإلا كيف ستعرف نقاط ضعفه؟».

فسألها (هارى) بصوت غير واضح من خلال الدرع المطاطى: «كيف كان آخر حفل لـ(سلجهورن)؟».

فأجابت (هرميون) قائلة: «كان ممتعًا حقًا»، ثم ارتدت النظارة الواقية وقالت: «أعنى أنه أخذ يتحدث برتابة عن تلاميذه السابقين المشهورين قليلاً، ثم أخذ بالطبع يتودد إلى (ماكلاجين)؛ لأنه على علاقة وثيقة بذوى السلطة، ولكنه قدم لنا طعامًا لذيذًا جدًّا، ثم عرفنا إلى (جوينوج جونز)».

قال (رون) غير مصدق وقد اتسعت حدقتاه من خلف نظارته الواقية: «(جوينوج جونز)!»، ثم أكمل قائلاً: «هل تقصدين (جوينوج جونز) كابتن (هوليهيد هاربيز)؟».

أجابت (هرميون): «هذا صحيح، وأنا شخصيًّا اعتقدت أنها مغرورة إلى حد ما ولكن...».

ثم قاطعتها الأستاذة (سبراوت) قائلة بحدة وهى تتحرك بنشاط وتبدو متجهمة: «كفاكم ثرثرة هنا! إنكم تتلكأون بينما بدأ الجميع فى العمل وحصل (نيفيل) على ثمرته الأولى!».

فنظروا حولهم ليتأكدوا فوجدوا (نيفيل) وشفتاه ملوَّثتان بالدماء، وقد امتلأ جانب وجهه بالعديد من الجروح المقززة، ولكنه قابض بيده على جسم أخضر نابض كريه الشكل فى حجم حبة الجريب فروت.

وقال (رون): «حاضر يا أستاذة، سوف نبدأ حالاً»، ثم همس عندما التفتت الأستاذة: «كان عليك استخدام (موفلياتو) يا (هارى)».

فردت عليه (هرميون) فى الحال: «لا، لا ينبغى علينا فعل ذلك!» وكانت تبدو كعادتها معارضة بشدة لكل ما يتعلق بالأمير الهجين وتعاويذه، وأضافت: «حسنًا، هيا، من الأفضل أن نبدأ».

ثم ألقت عليهما نظرة متوجسة، فأخذوا نفسًا عميقًا وغاصوا فى جذع الشجرة الموجود بينهم.

وفجأة، عادت الشجرة للحياة وخرجت من قمتها أغصان طويلة ذات أشواك، سريعة التسلق مثل الكرمة، مندفعة عبر الهواء وشبك أحدها فى شعر

(هرميون) ولكن (رون) قصها بمقص التقليم ونجح (هارى) فى الإمساك بزوج من تلك الأغصان وربطهما معًا، ثم انفتحت فتحة فى وسط تلك الأوراق الشبيهة بالمجسات وأدخلت (هرميون) ذراعها بشجاعة داخل تلك الفتحة التى انغلقت حول مرفقها، مثل الفخ فأخذ (هارى) و(رون) يشدان ويلويان الأغصان بقوة حتى أجبراها أن تفتح الفخ مرة أخرى؛ فنزعت (هرميون) ذراعها لتتحرر وهى ممسكة بين أصابعها حبة تشبه تلك التى كان (نيفيل) يمسك بها. وفجأة عادت الأغصان السريعة التسلق إلى مكانها داخل جذع الشجرة كثير العقد؛ وبدا الجذع مثل قطعة خشب ميتة بريئة.

قال (رون) وهو يرفع نظارته على جبهته ويمسح عرقه من على وجهه: «أتعرفون، لا أعتقد أننى سأقتنى أيًا من تلك النباتات فى حديقتى عندما يكون لدىَّ منزل خاص بى».

وقالت (هرميون) وهى تمسك الثمرة النابضة على طول ذراعها: «ناولنى إناء»، فناولها (هارى) واحدًا فوضعت فيه الثمرة، بينما ارتسمت على وجهها نظرة اشمئزاز.

فقالت لها الأستاذة (سبراوت): «لا تصابى بالغثيان، اعصريها فهى أفضل وهى طازجة!».

قالت (هرميون) مكملة حديثها الذى انقطع كما لو أن قطعة الخشب لم تهاجمهم منذ قليل: «على أية حال، سيقيم (سلجهورن) حفل الكريسماس يا (هارى) ولن تكون هناك طريقة لتتملص بها من حضور هذا الحفل؛ لأنه طلب منى أن أراجع الليالى غير المشغولة لديك، ومن ثمَّ سيكون واثقًا من إقامة الحفل فى ليلة تستطيع الحضور فيها».

همهم (هارى) مستنكرًا، ولكن (رون) الذى كان يحاول فتح الثمرة الموجودة فى الإناء بوضع كلتا يديه والضغط عليها بكل قوته ليسحقها وهو واقف، قال بغضب: «وهذا بالطبع حفل آخر لطلاب (سلجهورن) المفضلين فقط.. أليس كذلك؟».

فقالت (هرميون): «إنه من أجل أعضاء نادى (سلوج) فقط، أجل؟».

وطارت الثمرة من بين أصابع (رون) وضربت زجاج الصوبة وارتدت لترتطم بمؤخرة رأس الأستاذة (سبراوت) وتصيب قبعتها القديمة المرقعة.

ذهب (هارى) لاسترداد الثمرة، وعندما عاد كانت (هرميون) تقول: «أنا لم أبتكر اسم نادى (سلوج)».

فكرر (رون) ساخرًا بأسلوب يشبه أسلوب (مالفوى): «نادى (سلوج)! إنه أمر مثير للشفقة، حسنًا، أتمنى أن تستمتعى بحفلك، لماذا لا تحاولين اصطحاب (ماكلاجين)، ومن ثم يجعلكما (سلجهورن) ملك وملكة نادى (سلوج)».

قالت (هرميون) التى لسبب ما تحول وجهها إلى اللون القرمزى: «لقد سمح لنا باصطحاب ضيوف، وكنت سأطلب منك الحضور معى، ولكن إذا كنت تعتقد أنه أمر سخيف إلى هذه الدرجة، فإننى لن أفعل!».

وتمنى (هارى) لو أن الثمرة قد طارت لمسافة أطول، ومن ثم لم يكن ليضطر إلى أن يقف معهما.

وبدون أن يلاحظه أى منهما أمسك بالإناء الذى به الثمرة، وبدأ فى محاولة فتحها بأكثر الوسائل قوة وإحداثًا للضجة خطرت بباله، ولكن لسوء الحظ، كان لايزال يستطيع سماع كل كلمة من حديثهما.

فسألها (رون) بصوت مختلف تمامًا: «هل كنتِ تنوين دعوتى حقًّا؟».

فأجابت (هرميون) بغضب: «أجل، ولكن بالطبع إذا كنت تفضل أن أذهب مع (ماكلاجين)...».

وصمتا لفترة بينما استمر (هارى) فى محاولة سحق الثمرة المرنة بواسطة أداة مسطحة.

قال (رون) بصوت شديد الهدوء: «لا، لا أريد هذا».

أفلت (هارى) الثمرة فضربت الإناء فانشطر.

ثم ضرب القطع المكسورة بعصاه السحرية قائلاً بعجلة: «(ريبارو)»؛ فعاد الإناء سليمًا مرة أخرى. ولكن صوت التحطيم لفت نظر (هرميون) و(رون) إلى وجود (هارى) وبدت (هرميون) مرتبكة، وبدأت فى الحال تبحث بتوتر فى نسختها من كتاب (أشجار العالم الآكلة للحوم) لإيجاد الطريقة الصحيحة لعصير ثمار شجرة (سنارجالوف) وكان (رون) يبدو مرتبكًا، ولكنه بدا مسرورًا بنفسه إلى حد ما أيضًا.

قالت (هرميون) بسرعة: «ناولنى ذلك يا (هارى) فمن المفترض أن نثقبها بشىء حاد...».

فأعطاها (هارى) الإناء وبه الثمرة وأعاد كل من (هارى) و(رون) نظارتيهما بسرعة على أعينهما، وغاصا مرة أخرى داخل جذع الشجرة.

لم يندهش (هارى) كثيرًا مما يحدث بين صديقيه، وأخذ يتصارع مع الكرمة الشائكة التى تريد خنقه، وهو يفكر أنه كان يعلم أن هذا قد يحدث إن عاجلاً أو آجلاً، ولكنه لم يكن متأكدًا كيف يشعر حيال ذلك... فقد أصبح هو (وتشو) محرجين من النظر إلى بعضهما الآن، ناهيك عن التحدث مع بعضهما، وتساءل (هارى) فى نفسه: «ماذا لو أن (رون) و(هرميون) بدأا بالخروج معًا ثم انفصلا؟ هل ستستمر صداقتهما بعدها؟ ثم تذكر (هارى) الأسابيع القليلة التى توقفا خلالها عن التحدث معًا أثناء عامهما الدراسى الثالث، فلم تكن محاولة إعادة المياه لمجاريها أمرًا ممتعًا بالنسبة لـ(هارى). ولكن ماذا لو لم ينفصلا؟ ماذا يحدث إذا أصبحا مثل (بيل) و(فلور) وأصبح وجوده معهما يسبب الإحراج الشديد له فيضطر إلى الابتعاد عنهما إلى الأبد؟

صاح (رون) قائلاً وهو يسحب ثمرة ثانية من الجذع: «حصلت عليها!». وفى نفس اللحظة، تمكنت (هرميون) من تفجير الثمرة الأولى وفتحها؛ ومن ثم امتلأ الإناء بدرنات صغيرة تتلوى مثل ديدان ذات لون أخضر شاحب.

مر باقى الدرس دون أى حديث آخر بشأن حفل (سلجهورن). وعلى الرغم من أن (هارى) راقب صديقيه عن قرب أكثر خلال الأيام القليلة التالية فإنه لم يبدُ على (رون) و(هرميون) أى اختلاف غير أنهما أصبحا أكثر أدبًا فى معاملة بعضهما عن المعتاد. ورأى (هارى) أن عليه الانتظار لمعرفة ما سيحدث تحت تأثير تناول العصير السحرى فى حجرة (سلجهورن) خافتة الإضاءة ليلة الحفل، ولكنه فى الوقت الراهن كان لديه بعض الأمور الملحة التى يجب عليه حلها.

كانت (كاتى بيل) لاتزال فى مستشفى (سان مونجو) ولا يبدو أنها ستغادره قريبًا؛ مما يعنى أن فريق (جريفندور) الواعد الذى دربه (هارى) بعناية منذ سبتمبر الماضى كان ينقصه لاعب مطارد. وكان (هارى) قد استمر فى تأجيل استبدال (كاتى) أملاً فى عودتها، ولكن مباراة الافتتاح ضد (سليذرين) اقترب موعدها وقد اضطر أخيرًا إلى التسليم بأنها لن تعود فى الوقت المناسب للعب المباراة.

وفكر (هارى) أنه لا يستطيع تحمل عمل اختبارات جديدة لاختيار لاعبين يشارك فيها طلاب المنزل كله. وفى أحد الأيام، أوقف (هارى) (دين توماس) بعد انتهاء حصة مادة التحويل، وقد داهمه شعور بالضيق لا علاقة له بـ(الكويدتش)، وكان أغلب الطلاب قد غادروا الفصل إلا أنه كان هناك العديد من الطيور الصفراء المغردة مازالت تطن حول الغرفة. وكانت جميعها من صنع (هرميون)؛ حيث لم يفلح أى شخص آخر فى استحضار ولو ريشة من الهواء.

سأل (هارى) (دين): «هل ما زلتَ مهتمًا باللعب كمطارد؟».

قال (دين) بحماس: «ماذا؟ نعم بالطبع»، ومن وراء كتف (دين) رأى (هارى) (سيموس فينجين) يضع كتبه بسرعة داخل حقيبته وقد بدا على وجهه الغضب، وكان أحد الأسباب التى جعلت (هارى) لا يفضل أن يطلب من (دين) الانضمام للفريق هو معرفته بأن (سيموس) لن يعجبه

الأمر، ولكنه من ناحية أخرى يجب عليه عمل ما فى مصلحة الفريق، وقد تفوق (دين) على (سيموس) فى اختبارات اختيار الفريق.

قال (هارى): «حسنًا، لقد أصبحت فى الفريق، هناك تمرين الليلة فى الساعة السابعة».

قال (دين): «حسنًا، رائع يا (هارى)! لا أستطيع الانتظار حتى أخبر (جينى)!».

ثم خرج (دين) مسرعًا من الحجرة تاركًا (هارى) و(سيموس) بمفردهما معًا، ومرت لحظة مزعجة، زادها سوءًا سقوط فضلات أحد الطيور على رأس (سيموس) عندما طار أحد طيور الكناريا التى صنعتها (هرميون) فوقهم.

لم يكن (سيموس) هو الشخص الوحيد المستاء من اختيار (دين) كبديل لـ(كاتى)، فقد كان هناك الكثير من الغمغمة والتذمر فى الغرفة العامة حول اختيار (هارى) لاثنين من زملائه فى الصف للعب فى الفريق، إلا أن هذا - فى الواقع - لم يضايق (هارى) كثيرًا، فقد تعرض إلى غمغمة كثيرة أسوأ من ذلك خلال دراسته فى المدرسة، ومع ذلك كان يدرك أن الضغط قد تزايد عليه للفوز فى المباراة القادمة ضد فريق (سليذرين)، فـ(هارى) يعلم أنه فى حال فوز فريق (جريفندور) سينسى المنزل بأكمله أنهم انتقدوا (هارى) على اختياره للفريق ويؤكدون أنهم كانوا دائمًا يعرفون أنه فريق عظيم، ولكن إذا خسر... فكر (هارى) بمرارة أنه سيكون عليه تحمل غمغمات أكثر سوءًا.

وأدرك (هارى) أن اختياره لـ(دين) كان فى محله عندما رآه وهو يطير فى تلك الليلة حيث لعب بتوافق تام مع (جينى) و(ديميلزا). وكان الضاربان (بيكس) و(كوت) يزدادان تحسنًا طوال الوقت ولم تبقَ غير مشكلة وحيدة هى (رون).

وكـان (هـارى) يـعـلـم طـوال الـوقت أن (رون) لاعب مـتـقلب، يعـانـى اضـطـراب الأعـصـاب، وتـنـقـصـه الـثـقـة بـالـنـفس، ولسوء الـحـظ، يبـدو أن اقتراب مباراة افتتاح الموسم قد أظهرت كل مخاوفه.

فبعد فشله فى صد ستة أهداف أحرزت (جينى) معظمها، أصبح أسلوبه أكثر عنفًا حتى إنه لَكَم (ديميلزا روبينز) فى فمها عندما دنت منه.

نـادى عليها (رون) وهى تعود إلى الأرض فى خط متعرج والدم يتساقط فى كل مكان: «لقد كان حادثًا، أنا آسف يا (ديميلزا)، أنا فى غاية الأسف! لقد كنت...».

فأكملت (جينى) فى غضب وهى تهبط بجوار (ديميلزا) متفحصة شفتيها المتورمتين: «أيها الأخرق (رون)، انظر إلى حالتها!».

فقال (هارى) وهو يهبط بجوار الفتاتين: «يمكننى معالجة ذلك»، ثم أشار بعصاه تجاه فم (ديميلزا) وقال: «(إبيسكى)»، ثم أضاف: «وأنت يا (جينى) لا تسمى (رون) بالأخرق، فأنت لست كابتن هذا الفريق...».

ردت (جـيـنـى): «حسـنًا، لقد بدوت مشغولاً عن مناداته بالأحمق، واعتقدت أنه يجب على أحد ما أن يفعل ذلك...».

منع (هارى) نفسه من الضحك بصعوبة.

وقال: «هيا، فليعد الجميع إلى الطيران من جديد...».

وكان ذلك أحد أسوأ التمرينات التى قاموا بها طوال الفصل الدراسى، إلا أن (هارى) شعر أن الأمانة ليست أفضل سياسة الآن مع اقتراب المباراة.

فقال لفريقه مشجعًا: «عمل جيد منكم جميعًا. أعتقد أننا سنسحق فريق (سليذرين)»، وغادر المطاردون والضاربون حجرة تبديل الملابس وهم سعداء بأنفسهم إلى حد كبير.

وقال (رون) بصوت ضعيف بعد أن تأرجح الباب مغلقًا خلف (جينى): «لقد لعبت مثل كيس من روث التنين».

فرد (هارى) بثبات: «لا لم تفعل. فأنت أفضل حارس مرمى اختبرته يا (رون). مشكلتك الوحيدة هى عصبيتك».

واستمر فى تشجيعه بدون انقطاع طوال طريق العودة إلى القلعة حتى إنهما عندما وصلا إلى الدور الثانى، كان (رون) قد أصبح مبتهجًا إلى حد ما. ولكن عندما دفع (هارى) النسيج المزين بالرسوم وفتحه ليسلكا طريقهما المختصر المعتاد إلى أعلى برج (جريفندور) وجدا نفسيهما ينظران إلى (دين) و(جينى) متعانقين يقبلان بعضهما بحرارة كما لو كانا قد التصقا معًا بغراء.

وشعر (هارى) كما لو أن شيئًا كبيرًا وذا حراشف قد شق معدته وأخذ يخدشه من الداخل، وغلى الدم فى رأسه وتوقف تفكيره وحل محله باعث بدائى همجى لسحر (دين) وتحويله إلى هلام، وأثناء تصارعه مع هذا الجنون المفاجئ الذى انتابه، سمع صوت (رون) كما لو أنه يأتى من مكان بعيد.

قال (رون): «ما هذا؟!».

فابتعد (دين) و(جينى) عن بعضهما ونظرا حولهما.

وقالت (جينى): «ماذا؟».

قال (رون): «لا أريد أن أرى أختى تعانق الناس وتقبلهم على الملأ!».

فردت عليه (جينى) قائلة: «كان هذا الرواق مهجورًا حتى أتيت أنت وتدخلت».

وبدا على (دين) الحرج فابتسم إلى (هارى) ليخفى حرجه، إلا أن (هارى) لم يبادله الابتسام؛ حيث كان الوحش حديث الولادة فى داخله يزأر لطرد (دين) فورًا من الفريق.

فقال (دين): «هيا يا (جينى)، فلنعد إلى الغرفة العامة».

ردت (جينى): «لا، بل اذهب أنت، أود التحدث قليلاً مع أخى العزيز!».

غادر (دين) وقد بدا كما لو كان غير آسف على مغادرة المكان.

قالت (جينى) وهى تدفع بشعرها الأحمر الطويل من على وجهها وتحملق إلى (رون) بغضب: «فلنتحدث عن ذلك بصراحة لمرة واحدة حاسمة. ليس من شأنك الشخص الذى أواعده أو ما أفعله معه يا (رون)...».

فرد (رون) غاضبًا: «بل من شأنى! هل تعتقدين أنى أريد أن يقول الناس: إن أختى...؟».

فصاحت (جينى) مقاطعة له: «أنا ماذا؟»، وسحبت عصاها السحرية وقالت: «أنا ماذا بالضبط؟».

فتدخل (هارى) سريعًا وقال: «إنه لا يقصد شيئًا يا (جينى)» وذلك على الرغم من زئير الوحش بداخله مؤيدًا كلام (رون).

فقالت لـ(هارى) وهى شديدة الغضب: «لا، إنه يقصد؛ وذلك لأنه لم يعانق أو يقبِّل أى فتاة فى حياته من قبل. إن أفضل قبلة حصل عليها هى تلك التى منحتها له العمة (موريل)...».

صاح (رون) قائلاً وقد تغير لون وجهه وتحول إلى اللون الأحمر القانى: «اصمتى!».

وصرخت (جينى): «لا، لن أصمت! لقد رأيتك مع (مخاط) آملاً فى كل مرة تقابلها أن تقبِّلك على خدك. يا له من أمر محزن! لو أنك فعلت هذا وقمت بقليل من العناق والتقبيل فلن تمانع كثيرًا من أن يقوم الجميع بفعل ذلك!».

فقام (رون) بإخراج عصاه هو أيضًا؛ مما جعل (هارى) يخطو سريعًا ويقف بينهما.

صاح (رون): «إنك لا تعرفين ما تتحدثين عنه!» وهو يحاول أن يجد فرصة ليطلق عصاه على (جينى) حول (هارى) الذى يقف الآن أمامها وذراعاه ممتدتان، وأكمل (رون) قائلاً: «إننى فقط لا أفعل ذلك على الملأ...!».

فصرخت (جينى) فى ضحكة ساخرة محاولة دفع (هارى) بعيدًا عن طريقها.

وقالت: «هل كنت تقبِّل (بيجويدجين)، أم إنك تحتفظ بصورة العمة (موريل) مخبأة تحت وسادتك؟».

(رون): «أنت...».

مر شعاع ضوء برتقالى أسفل ذراع (هارى) اليسرى، ولكنه أخطأ (جينى) بعدة بوصات؛ مما جعل (هارى) يدفع (رون) فى اتجاه الحائط، وهو يقول: «لا تكنْ غبيًّا».

صاحت (جينى) وقد بدا من صوتها أنها على وشك البكاء: «لقد عانق (هارى) (تشو تشانج) وقبّلها! وكذلك فعلت (هرميون) مع (فيكتور كروم). إنك أنت الوحيد الذى يتصرف كما لو كان الأمر مقززا يا (رون)؛ لأن خبرتك فى ذلك لا تتعدى خبرة من يبلغ من العمر اثنى عشر عامًا!».

وهكذا ابتعدت (جينى) مندفعة كالريح وأسرع (هارى) بإطلاق سراح (رون) الذى ارتسمت على وجهه نظرة قاتلة. ووقف كلاهما هناك يتنفسان بعمق حتى ظهرت قطة (فيلتش)، السيدة (نوريس)، عند المنعطف مما أنهى التوتر.

قال (هارى) عندما سمع وقع أقدام (فيلتش) تقترب: «هيا».

فأسرعا بصعود السلم وعبرا ممر الدور السابع، وصاح (رون) فى وجه فتاة صغيرة قائلاً: «أنت، ابتعدى عن الطريق!»؛ فقفزت فى خوف وسقطت منها زجاجة بيض الضفادع.

بالكاد لاحظ (هارى) صوت تحطم الزجاجة، فقد كان يشعر بالارتباك وشرود الذهن كما لو كان قد صعق بالبرق، وقال لنفسه: «إن ما تشعر به بسبب أنها أخت (رون) فقط. لم تعجبك رؤيتها وهى تقبِّل (دين)؛ لأنها أخت (رون)...».

ولكن لا إراديًا تراءت إلى ذهنه صورة الممر المهجور وهو يقبِّل (جينى) بدلاً من (دين)؛ فخار الوحش بداخل صدره، ثم رأى (رون) وهو يفتح الستارة المزينة بالرسوم ويسحب عصاه ضد (هارى) ويصيح قائلاً أشياء مثل «خيانة الأمانة» «من المفترض أنك صديقى».

قال (رون) فجأة: «هل تعتقد أن (هرميون) عانقت (كروم) وقبَّلته؟» وكانا قد وصلا إلى صورة السيدة البدينة، فشعر (هارى) بالذنب وأبعد عن خياله صورة رواق خالٍ يتقابل فيه مع (جينى) وحدهما دون تطفل من (رون).

فقال (هارى) مرتبكًا: «ماذا؟ آه...أ...».

كانت الإجابة الأمينة لسؤال (رون) هى «نعم» ولكنه لم يُرِد قولها، إلا أن (رون) بدا كما لو كان قد قرأ ما هو أسوأ على وجه (هارى).

فقال بصوت خافت لصورة السيدة البدينة: (ديليجروت) ثم عبرا فتحة الصورة داخلين إلى الغرفة العامة.

ولم يذكر أى منهما؛ (هرميون) أو (جينى) مرة أخرى، بل إنهما بالكاد تحدثا معًا فى تلك الليلة وذهب كل منهما إلى سريره فى صمت وكل منهما غارق فى أفكاره الخاصة.

ظل (هارى) مستلقيًا وهو مستيقظ لفترة طويلة متفحصًا مظلة السرير والصور الأربع الملتصقة عليها؛ محاولاً إقناع نفسه بأن مشاعره نحو (جينى) لا تتعدى مشاعر الأخ الأكبر؛ فقد عاشا معًا كأخ وأخت طوال فترة الصيف يلعبان (الكويدتش) ويغيظان (رون) ويسخران من (بيل) و(مخاط).. أليس كذلك؟ إنه يعرف (جينى) منذ سنوات.. فمن الطبيعى أن يرغب فى حمايتها.. وطبيعى أن يريد رعايتها.. وأن يرغب فى تمزيق أوصال (دين)؛ لأنه قام بتقبيلها.. لا.. يجب عليه أن يسيطر على هذا النوع بالذات من مشاعر الأخوة..

وأحدث (رون) غطيطًا عاليًا فى نومه.

قال (هارى) لنفسه بحزم: إنها أخت (رون). نعم أخت (رون) ويحظر عليه الاقتراب منها. يجب عليه ألا يخاطر بصداقته مع (رون) لأى سبب، ثم ضرب وسادته بيده لتصبح فى وضع أكثر راحة وانتظر قدوم النوم إليه، وأخذ يبذل أقصى جهده ليمنع أفكاره من الشرود والتفكير فى (جينى) من جديد.

استيقظ (هارى) فى اليوم التالى وهو يشعر بقليل من الشرود والارتباك؛ بسبب سلسلة الأحلام التى داهمته فى نومه، والتى يطارده فيها (رون) بعصا الضاربين، ولكن بحلول منتصف النهار، تمنى لو يستطيع استبدال (رون) الحقيقى بذلك الذى رآه فى حلمه. فلم يكن يعامل (دين) و(جينى) بعداء فقط، ولكنه بدأ فى معاملة (هرميون) المجروحة والمذهولة بلامبالاة باردة وساخرة وأكثر من ذلك، فقد بدا (رون) كما لو أنه تغير خلال الليل وأصبح نزقًا وسريع الغضب ومستعدًّا للهجوم بعنف على أى شخص. وقضى (هارى) اليوم محاولاً الحفاظ على السلام بين (رون) و(هرميون) ولكنه لم يفلح. وأخيرًا ذهبت (هرميون) إلى فراشها وهى حانقة وغاضبة بشدة، أما (رون) فمشى متباطئًا فى اتجاه مبنى نوم الطلبة بعد أن سب بغضب عددًا من طلاب السنة الأولى الخائفين؛ لأنهم نظروا إليه.

أما أكثر ما أفزع (هارى) فكان عدم زوال عدوانية (رون) الجديدة خلال الأيام القليلة التالية، والأسوأ من ذلك أن هذا تزامن مع انخفاض شديد فى مهاراته كحارس مرمى؛ مما جعله أكثر عدوانية، حتى أنه فشل فى صد جميع الأهداف التى وجهها المطاردون إليه خلال تدريب (الكويدتش) الأخير قبل مباراة السبت، وأخذ يصرخ بشدة فى الجميع حتى جعل (ديميلزا روبينز) تبكى.

فصاح (بيكس) الذى يبلغ طوله ثلثى طول (رون)، وإن كان يحمل بيده مضربًا ثقيلاً بالتأكيد، قائلاً: «اصمت واتركها لحالها!».

فصاح (هارى): «كفى!» ورأى (جينى) تحدق إلى (رون) وتذكر براعتها فى تأدية تعويذة الخفاش الشبح فحلق عاليًا ليتدخل قبل أن تخرج الأمور من بين يديه. وقال: «(بيكس)، اذهب واجمع كرات البلادجر، وأنت يا (ديميلزا) استجمعى قواك فقد لعبت بشكل جيد اليوم، وأنتِ يا (رون)...»، ثم انتظر (هارى) خروج بقية الفريق حتى يكونوا بعيدين عن مرمى السمع، ثم قال: «أنت أفضل صديق لى، ولكن إذا لم تتوقف عن معاملة بقية الفريق بهذه الصورة، فإننى سوف أطردك من الفريق».

وفكر (هارى) للحظة أن (رون) على وشك أن يضربه فعلاً، ولكن ما حدث كان أسوأ من ذلك؛ فقد ارتخى (رون) فوق مكنسته وخارت قواه، ثم قال: «أنا مستقيل، لقد أصبحت مثيرًا للشفقة».

فرد (هارى) بحماسة: «أنت لست مثيرًا للشفقة ولا مستقيلاً!».

وأمسك (رون) من مقدمة ملابسه وقال: «إنك تستطيع صد أية أهداف عندما تكون فى حالتك الطبيعية. إنها مجرد مشكلة ذهنية».

قال (رون): «هل تدعونى بالمختل عقليًا؟».

فرد (هارى): «أجل، ربما أفعل ذلك!».

فحملق أحدهما إلى الآخر بغضب للحظة، ثم هز (رون) رأسه بضجر، وقال: «أعلم أنه ليس لديك وقت لإيجاد حارس آخر؛ ولذلك سوف ألعب غدًا، ولكن إذا انهزمنا - وهذا ما سيحدث - فسوف أطرد نفسى من الفريق».

لا شيء مما قاله (هارى) أحدث اختلافًا؛ فقد حاول تعزيز ثقة (رون) بنفسه أثناء تناول الغداء، ولكن (رون) كان مشغولاً جدًا بشعوره بالكآبة ورغبته فى لفت نظر (هرميون)، واستمر (هارى) فى محاولاته لتشجيع (رون) تلك الليلة بالغرفة العامة، مؤكدًا له أن الفريق سيصاب

بنكبة لو تركه (رون) ولكن حقيقة، إن بقية الفريق جلسوا يتشاورون فى ركن بعيد، وكان من الواضح أنهم يغمغمون بشأن (رون) ويرمقونه بنظرات كريهة أذهبت أى تأثير لكلمات (هارى). وأخيرًا حاول (هارى) أن يغضب مجددًا؛ محاولاً بذلك إثارة حفيظة (رون)، أملاً فى أن يتماسك ويتخذ موقفًا متحديًا مناسبًا لصد الأهداف، ولكن يبدو أن هذه الاستراتيجية لم تفلح مثلما حدث مع استراتيجية التشجيع. فذهب (رون) إلى فراشه كئيبًا ويائسًا كما هو.

رقد (هارى) مستيقظًا لفترة طويلة فى الظلام؛ إنه لا يريد خسارة المباراة القادمة، ليس فقط لأن هذه أول مباراة له ككابتن للفريق، ولكنه قرر هزيمة (دراكو مالفوى) فى (الكويدتش) حتى لو لم تثبت شكوكه بشأنه بعد، ولكن إذا لعب (رون) بنفس المستوى الذى لعب به فى التدريبات الأخيرة فإن فرص الفوز ستكون ضعيفة جدًّا..

لو كان هناك شىء يمكن عمله لجعل (رون) يستجمع نفسه، ويلعب بكامل لياقته؛ شىء يؤكد أن (رون) سيقضى يومًا جميلاً حقًا..

وجاءت الإجابة لـ(هارى) عبر إلهام صاعق مفاجئ.

وكان الإفطار فى صباح اليوم التالى مثيرًا كالمعتاد؛ حيث كان فريق (سليذرين) يُصدر صفيرًا وأصوات ازدراء عالية كلما دخل أحد أفراد فريق (جريفندور) إلى البهو العظيم، وألقى (هارى) نظرة سريعة لأعلى ليرى السماء صافية شاحبة الزرقة، وقال: «فأل حسن».

هللت مائدة (جريفندور) التى بدت ككتلة من اللونين الأحمر والذهبى عند وصول (هارى) و(رون)، ابتسم (هارى) ابتسامة عريضة ولوح بيده ولكن (رون) عبس وهز رأسه.

قالت (لافيندر): «ابتهج يا (رون)! أنا متأكدة أنك ستكون رائعًا»، لكن (رون) تجاهلها.

ثم سأله (هارى): «هل تود شرب شاى أم قهوة أم عصير القرع؟».

قال (رون) وهو يبدو مكتئبًا: «أى شىء»، وقضم قطعة توست.

بعد بضع دقائق، توقفت (هرميون) وهى فى طريقها إلى أعلى المائدة؛ حيث تعبت من تصرفات (رون) المزعجة مؤخرًا، حتى إنها لم تنزل لتناول الإفطار معهم، وسألتهم مترددة وهى تنظر إلى خلفية رأس (رون): «كيف تشعران؟».

فأجاب (هارى) وهو مشغول بمناولة (رون) كوبًا من عصير القرع قائلاً: «بخير»، ثم أكمل: «خذ ذلك يا (رون) واشربه».

رفع (رون) الكوب على شفتيه، وفى نفس اللحظة قالت (هرميون) بحدة: «لا تشرب ذلك يا (رون)».

فنظر كل من (هارى) و(رون) إليها.

وسأل (رون): «ولماذا لا أشربه؟».

فأخذت (هرميون) تحدق إلى (هارى) وهى تبدو غير مصدقة ما يحدث.

وقالت: «لقد وضعت شيئًا فى هذا الشراب».

وقال (هارى): «معذرة، ماذا تقولين؟!».

«لقد سمعتنى، لقد رأيتك تضع شيئًا فى شراب (رون) ولاتزال تمسك بالزجاجة فى يدك الآن!».

فقال (هارى) وهو يدس زجاجة صغيرة بسرعة فى جيبه:

«أنا لا أعرف عمَّ تتحدثين؟».

فأعادت (هرميون) تحذيرها مرة أخرى: «إنى أحذرك. لا تشرب من ذلك الكوب!» ولكن (رون) التقط الكوب وشربه مرة واحدة وقال: «توقفى عن إصدار الأوامر لى يا (هرميون)».

وبدت (هرميون) مصدومة كما لو أنها رأت فعلاً لا أخلاقيًّا، وانحنت؛ حتى لا يسمعها أحد سوى (هارى) وهمست قائلة: «يجب فصلك من أجل فعلتك هذه، لا يمكننى أن أصدق أنك تفعل شيئًا كهذا يا (هارى)».

فهمس إليها: «ما هذا؟ من يقول ذلك؟ هل وثقت بأى شخص على الإطلاق مؤخرًا؟».

فاندفعت بعيدًا عنهم ورآها (هارى) تذهب دون ندم. فلم تستطع (هرميون) أن تفهم قطٌّ مدى جدية لعبة (الكويدتش)، ثم التفتت إلى (رون) الذى كان يعضُّ على شفتيه.

قال (هارى) بمرح: «لقد حان الوقت تقريبًا».

ومشوا بخُطا واسعة نازلين إلى أرض الملعب، والعشب المثلج يتكسر تحت أقدامهم.

وسأل (هارى) (رون): «من حسن الحظ أن الجو جميل اليوم. أليس كذلك؟».

فأجاب (رون) الذى بدا مريضًا وشاحبًا: «بلى، إنه كذلك».

وفى حجرة الملابس كانت (جينى) و(ديميلزا) منتظرتين، وقد ارتدتا ملابس (الكويدتش).

قالت (جينى) متجاهلة (رون): «تبدو الظروف مواتية، وخمن ماذا حدث؟ إن مطارد فريق (سليذرين) (فيزى) أصيب ببلادجر فى رأسه أمس أثناء التدريب، وإصابته لا تسمح له باللعب، والأفضل من ذلك أن (مالفوى) مريض أيضًا».

فقال (هارى) وهو يستدير تجاهها ويحدق إليها: «ماذا؟ هل هو مريض فعلاً؟ ماذا ألمَّ به؟».

فأجابت (جينى) مبتهجة: «لا أعرف، ولكنه شىء عظيم بالنسبة لنا. سيجعلون (هاربر) يلعب بدلاً منه. إنه فى نفس الصف معى ولكنه أبله».

فرد عليها (هارى) بابتسامة مبهمة، ولكن عقله ذهب بعيدًا عن (الكويدتش) أثناء ارتدائه لملابسه القرمزية. لقد ادعى (مالفوى) من قبل أنه لا يستطيع اللعب بسبب جرح أصابه، ولكنه فى هذه المناسبة

تأكد من تحديد موعد آخر للمباراة مناسب أكثر لفريق (سليذرين). فكيف يترك شخصًا آخر ليلعب بدلاً منه ببساطة الآن؟ هل هو مريض حقًا أم أنه يدَّعى ذلك؟

وقال بصوت خفيض لـ(رون): «شىء غريب، أليس كذلك؟! (مالفوى) لن يلعب؟!».

فقال (رون) الذى أصبح أكثر حيوية: «إنه يوم حظنا»، ثم استطرد قائلاً: «و(فيزى) غير موجود أيضًا، إنه أفضل هداف لديهم، أنا لست أحلم، أليس كذلك؟» ثم تجمد فجأة وهو يرتدى قفازات حارس المرمى وحملق إلى (هارى).

«ماذا؟».

انخفض صوت (رون) وهو يقول: «أنا... أنت...» وبدا عليه الخوف والإثارة. واستطرد: «ماذا عن شرابى... عصير القرع... إنك لم تفعل ذلك؟».

رفع (هارى) حاجبيه ولم يقل سوى: «سوف نبدأ خلال خمس دقائق، ومن الأفضل أن ترتدى حذاءك ذا الرقبة».

ومشيا فى اتجاه المنحدر وسط أصوات الازدراء والصراخ الصاخب. كان أحد طرفى الملعب لونه أحمر فى ذهبى وكان الطرف الآخر أخضر فى فضى. وكان من الواضح أن العديد من بيت (هافلباف) وبيت (رافينكلو) قد أخذوا أماكنهم أيضًا. ووسط كل ذلك الصياح، استطاع (هارى) تمييز زئير قبعة (لونا لافجود) الشهيرة التى يعلوها أسد.

خطا (هارى) نحو مدام (هوتش) الحكم التى كانت تقف استعدادًا لإطلاق الكرات من القفص.

وقالت: «على قائدى الفريقين مصافحة بعضهما»، وشعر (هارى) بيده تسحق فى يد كابتن فريق (سليذرين) الجديد (أوركوهارت) ثم أضافت: «اعتلوا مكانسكم، وابدءوا مع الصفارة.. ثلاثة... اثنان... واحد...».

وانطلقت الصفارة وانطلق (هارى) والآخرون بصعوبة من الأرض المتجمدة مبتعدين عنها.

وحلق (هارى) حول الحد الخارجى للملعب باحثًا عن (السنيتش) ومراقبًا بعينه الأخرى (هاربر) الذى كان يطير فى خط متعرج أسفل منه، وبعد ذلك سمعوا صوتًا مختلفًا عن المُعلِّق المعتاد.

«حسنًا ها هم قد بدءوا. وأعتقد أننا جميعًا مندهشون من الفريق الذى جمعه (بوتر) هذا العام؛ فقد اعتقد الكثيرون أنه نظرًا لأداء (رونالد ويسلى) السيئ كحارس مرمى العام الماضى فإنه سيكون خارج الفريق هذا العام، ولكن بالطبع الصداقة الشخصية للكابتن تكون ذات نفع بالتأكيد...».

وقوبلت تلك الكلمات بالسخرية والتصفيق من طلاب (سليذرين) فى نهاية الملعب. مد (هارى) عنقه من على مكنسته للنظر تجاه منصة المعلق؛ كان هناك ولد أشقر طويل ونحيف ذو أنف معقوف واقفًا يتكلم عبر مكبر الصوت السحرى الذى كان يتكلم به (لى جوردان) فى الماضى، وتعرف (هارى) إلى (زاكرياس سميث) الذى لا يحبه، وهو أحد لاعبى (هافلباف).

«آه، ها هى المحاولة الأولى لفريق (سليذرين) لإحراز هدف. إنه (أوركوهارت) يتحرك بسرعة إلى أسفل الملعب و...».

وانقلبت معدة (هارى).

«يصدها (ويسلى). حسنًا. فهو يكون محظوظًا أحيانًا كما أفترض...».

وغمغم (هارى) قائلاً: «هذا صحيح يا (سميث)، فهو فعلاً محظوظ، وهو يبتسم لنفسه، بينما يغوص بعينيه بين المطاردين باحثًا حوله عن أى أثر لـ(السنيتش)؛ الكرة الذهبية المراوغة.

وبعد مضى نصف ساعة من المباراة، أحرز (جريفندور) ستة أهداف مقابل لا شىء، وقام (رون) بعدد من الصدات الرائعة، بعضها بواسطة

أطراف قفازه، وأحرزت (جينى) أربعة أهداف من الستة التى أحرزها فريق (جريفندور). وأوقف ذلك تساؤل (زاكرياس): إن كان انضمام فردين من عائلة (ويسلى) بسبب حب (هارى) لهما؟ وبدأ بـ(بيكس) و(كوت) بدلاً منهما.

قال (زاكرياس) فى غطرسة: «بالطبع إن بنية (كوت) ليست البنية المطلوبة للضارب حيث يكون لديه عادة عضلات أكثر».

فنادى (هارى) على (كوت) وهو يطير مارًا بجواره: «اضرب البلادجر عليه!» ولكن (كوت) ابتسم ابتسامة عريضة واختار ضرب البلادجر التالية على (هاربر) بدلاً من ذلك الذى كان يمر بجوار (هارى) قادمًا من الاتجاه المقابل، وسُرَّ (هارى) لسماع صوت الضربة الذى يعنى أن الكرة قد أصابت هدفها.

بدا الأمر كما لو كان فريق (جريفندور) لا يخطئ أبدًا، واستمروا فى إحراز الأهداف تِباعًا، واستمر (رون) فى صد الأهداف بيسر واضح فى الناحية الأخرى من الملعب، وقد أصبح مبتسمًا الآن، وعندما حيَّاه الجمهور لصده إحدى الكرات ببراعة واضحة بترديد أغنية قديمة محببة: «(ويسلى) هو مليكنا» ـ تظاهر بأنه يقودهم من أعلى.

قال صوت حقير: «يعتقد أنه مميز اليوم، أليس كذلك؟» وكاد (هارى) يسقط من فوق مكنسته حيث اصطدم (هاربر) به بقوة متعمدًا، وقال: «أيها الخائن للدم».

حدث ذلك خلف ظهر مدام (هوتش) الحكم، على الرغم من أن مشجعى (جريفندور) صاحوا فى الأسفل بغضب.. وفى الوقت الذى التفتت فيه كان (هاربر) قد ابتعد مسرعًا. ورغم الألم فى كتفه، أسرع (هارى) وراءه مصرًا على أن يصدمه.

قال (زاكرياس سميث) عبر البوق: «أعتقد أن (هاربر) أحد أعضاء فريق (سليذرين) رأى (الكرة الذهبية)! نعم بالتأكيد لقد رأى شيئًا لم يره (بوتر)!».

فكر (هارى) فى أن (سميث) هذا أبله. ألم يلاحظ أنهما تصادما؟ ولكن فى اللحظة التالية، بدت معدة (هارى) كأنها ستسقط من السماء، لقد كان (سميث) محقًا وكان هو مخطئًا؛ إن إسراع (هاربر) بالابتعاد لم يكن عشوائيًا؛ فقد لاحظ ما لا يلاحظه (هارى). كانت (الكرة الذهبية) تحلق بسرعة فوقهم وهى تلمع فى وسط السماء الزرقاء الصافية.

أسرع (هارى) وكانت الرياح تصفر فى أذنه حتى إنه لم يعد يسمع تعليق (سميث) أو الجمهور، ولكن (هاربر) كان لا يزال أعلى منه. وكان فريق (جريفندور) قد أحرز مائة نقطة فقط. وإذا وصل (هاربر) هناك أولاً يكون (جريفندور) قد خسر، والآن أصبح (هاربر) قريبًا منها ومد يده ليمسك بها.

صاح (هارى) فى يأس: «(هاربر)، كم دفع لك (مالفوى) لتلعب بدلاً منه؟».

لم يعلم (هارى) ما الذى دفعه لقول ذلك، ولكن (هاربر) حاول الإمساك بالكرة الذهبية، لكنها انزلقت من بين أصابعه وعبر بجوارها تمامًا، فمال (هارى) بشدة مقتربًا من الكرة الصغيرة المرفرفة وأمسك بها.

صاح (هارى): «هيه»، ثم استدار واندفع عائدًا فى اتجاه الأرض وقد رفع الكرة الذهبية عاليًا فى يده، وما إن أدرك الجمهور ما حدث حتى صدرت صيحة عالية كادت تحجب صوت الصفارة التى تشير إلى انتهاء المباراة.

صاح (هارى) الذى وجد نفسه محبوسًا وسط عناق جماعى فى الهواء مع بقية فريقه: «(جينى)، أين تذهبين؟» ولكن (جينى) أسرعت مارَّة بهم حتى اصطدمت بمنصة المُعلِّق بكل قوتها. ومع تصاعد صوت صراخ وضحك الجمهور، هبط فريق (جريفندور) إلى جانب حطام من الخشب يتحرك أسفله (زاكرياس) بصعوبة وسمع (هارى) (جينى) تقول بغير اكتراث للأستاذة (ماكجونجال): «نسيت أن أستخدم الفرامل يا أستاذة، أنا آسفة».

وانفصل (هـارى) عن بقية الفريق وهو يضحك ليعانق (جينى)، ولكنه تركها تذهب بسرعة وهو حريص على تجنب النظر إليها، وربت على ظهر (رون) المبتهج.. وبعد أن ذابت كل الخلافات، غادر فريق (جريفندور) الملعب وكل منهم يمسك بذراع الآخر في الهواء وهم يلوحون لمشجعيهم.

وكان الجو داخل حجرة تبديل الملابس شديد الابتهاج.

صاح (دين) بحماس: «قال (سيموس): إننا سنحتفل فى الغرفة العامة، هيا يا (جينىٰ) وأنتِ يا (ديميلزا)!».

كان (هـارى) و(رون) آخر الباقين بحجرة تبديل الملابس وكانا على وشك الخروج عندما دخلت (هرميون). وكانت تمسك وشاح الفريق وتلويه بين يديها وكانت تبدو مضطربة، ولكنها عاقدة العزم على شيء فى نفس الوقت.

فأخذت نفسًا عميقًا وقالت: «أريد التحدث معك يا (هـارى)، كان يجب عليك ألا تفعل ذلك، لقد سمعت من (سلجهورن) أن ما فعلته غير قانونى».

سألها (رون): «وما الذى ستفعلينه؟ هل ستبلغين عنا؟».

وسأل (هـارى) وهو يبتعد لتعليق ملابسه حيث لا يستطيع كلاهما رؤيته وهو يبتسم: «عمَّ تتحدثان؟».

فقالت (هرميون) بحدة: «أنت تعرف جيدًا عمَّا نتحدث! لقد خلطت عصير (رون) بجرعة حظ على الإفطار! (فليكس فلسيس)!».

قال (هـارى) عائدًا لمواجهتها: «لا لم أفعل».

«بل فعلت يا (هـارى)؛ ولهذا سارت كل الأمور على ما يرام، حتى إن بعض لاعبى فريق (سليذرين) لم يشاركوا فى المباراة، وصد (رون) كل شيء!».

قال (هارى) وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «أنا لم أضعه!»، ثم دسَّ يده داخل جيب الچاكت وسحب الزجاجة الصغيرة التى رأتها (هرميون) فى يده هذا الصباح. لقد كانت مملوءة بجرعة ذهبية ولا تزال السدادة مُحكمة الغلق بالشمع، ثم أكمل: «لقد أردت أن يعتقد (رون) أننى فعلت ذلك؛ لذلك فقد تظاهرت بالأمر عندما وجدتك تنظرين»، ثم نظر إلى (رون) وقال: «لقد قمت بصد كل تلك الكرات؛ لأنك اعتقدت أنك محظوظ، لقد فعلت كل شىء بنفسك».

ثم دس الزجاجة فى جيبه مرة أخرى.

قال (رون) وهو يبدو مذهولاً: «هل حقًا لم تضع شيئًا فى عصيرى؟ ولكن الجو كان جميلاً... ولم يستطع (فيزى) اللعب... أَلَمْ أتناول حقًا جرعة حظ؟».

هز (هارى) رأسه نافيًا، ووقف (رون) مشدوهًا للحظة، ثم استدار إلى (هرميون) مقلدًا صوتها، وقال: «لقد أضفت (فليكس فلسيس) لعصير (رون) هذا الصباح؛ ولذلك فقد قام بصد كل شىء...!

أرأيت؟ يمكننى صد الكرات بدون مساعدة يا (هرميون)».

«أنا لم أقل إنك لا تستطيع يا (رون)، ولكنك اعتقدت أنك تناولتها أيضًا!».

لكن (رون) خطا مارًا بها ليخرج من الباب ومكنسته فوق كتفه.

وقال (هارى) وسط الصمت المفاجئ وهو غير متوقع أن تعطى خطته مثل هذه النتائج السلبية:

«هيا، فلنصعد لحضور الحفل».

فقالت (هرميون) وهى توشك على البكاء: «لا، اذهب أنت، إننى منزعجة من (رون) الآن، ولا أدرى ماذا كان يجب علىَّ فعله...!».

وخرجت مندفعةً من حجرة تبديل الملابس أيضًا.

مشى (هارى) ببطء عائدًا إلى الفناء متجهًا منه إلى القلعة ومر بالطلبة المتجمهرين، فصاح العديد منهم مهنئًا إياه، ولكنه مع ذلك ظل يشعر بالإحباط. لقد كان متأكدًا أنه حال فوز (رون) بالمباراة، سيعود هو و(هرميون) صديقيْن فورًا. ولا يعرف كيف يمكن أن يشرح لـ(هرميون) أن ما فعلته لجرح مشاعر (رون) - كان تقبيل (فيكتور كروم) - خاصة أن هذه الإساءة حدثت منذ زمن طويل.

لم يتمكن (هارى) من رؤية (هرميون) فى احتفال (جريفندور) الذى كان على أشده حين وصوله، فتجددت الهُتافات والتصفيق تحية لظهوره، ثم سرعان ما أحاطت به مجموعة من الناس ليهنئوه. وقضى وقتًا طويلاً وهو يحاول التملص من الإخوة (كريفى) الذين أرادوا تحليلاً تفصيليًا للمباراة، والتخلص من المجموعة الكبيرة من الفتيات اللائى أحطن به وأخذن يضحكن على تعليقاته مهما كانت غير مسليّة، وهن يغمزن بأعينهن قبل أن يبدأ فى البحث عن (رون)، وأخيرًا خلص نفسه من (روميلدا فان) التى لمَّحت بشدة إلى رغبتها فى الذهاب معه إلى حفل (سلجهورن) للكريسماس، وبينما كان متجهًا إلى مائدة المشروبات التقى بـ(جينى) وكان (أرنولد) الـ(بيجمى بوف) يقف على كتفها بينما يصدر القط (كروكشانكس) مواءً عند قدميها.

فسألته مبتسمة بتكلُّف: «هل تبحث عن (رون)؟ إنه هناك، يا له من منافق قذر!».

نظر (هارى) إلى الركن الذى تشير إليه فشاهد (رون) يقف على مشهد مِن جميع مَن فى الغرفة وهو مطوق (لافيندر براون) بشدة لدرجة يصعب معها تمييز يديها من يده.

فقالت (جينى) بلهجة غير ودية: «إنه يبدو كما لو كان يأكل وجهها.. أليس كذلك؟ ولكننى أعتقد أن عليه أن يحسِّن من أسلوبه بصورة ما.. كانت مباراة رائعة يا (هارى)».

ثم ربتت على ذراعه؛ مما جعل (هارى) يشعر بانقباض شديد داخل معدته، ولكنها ذهبت بعد ذلك لإحضار شراب لنفسها، وهرول القط خلفها وعيناه الصفراوان مركزتان على (أرنولد).

التفت (هارى) بعيدًا عن (رون) الذى بدا أنه لن يفيق قريبًا. فرأى فتحة اللوحة تغلق، وانتابه شعور بالضيق؛ لأنه اعتقد أنه رأى كتلة كثيفة من الشعر البنى وهى تختفى بسرعة عن نظره.

اندفع (هارى) للأمام متخذًا خطوة إلى الجنب؛ ليتفادى (روميلدا فان) مرة أخرى ثم فتح لوحة السيدة البدينة، ولكنه وجد الرواق خاليًا.

«(هرميون)؟».

ووجدها فى أول فصل غير مغلق حاول دخوله، كانت جالسة على مكتب المدرس بمفردها، لم يكن معها إلا مجموعة من الطيور الذهبية المغردة الصغيرة التى كانت تحوم حول رأسها فى حلقة، وكان من الواضح أنها استحضرتهم من الهواء باستخدام السحر، ورغم أن الوقت لم يكن مناسبًا فإن (هارى) لم يستطع منع نفسه من الإعجاب بقدراتها السحرية الرائعة.

قالت (هرميون) بصوت منفعل: «آه، أهلاً يا (هارى)، لقد كنت أتدرب فقط».

فرد (هارى): «آه! إنهم ـ إإإإ ـ فعلاً رائعون».

لم يعرف (هارى) ماذا يقول لها، وكان يتساءل: إن كان هناك أى احتمال لعدم رؤيتها لـ(رون) ،أو أنها غادرت الغرفة؛ لأن الحفل لم يعجبها فقط، ولكنها قالت بصوت مرتفع وبصورة غير طبيعية: «يبدو أن (رون) يستمتع بالحفل كثيرًا».

فقال (هارى): «هل هو كذلك؟».

ردت (هرميون): «لا تتظاهر بأنك لم تره، فهو لم يكن يحاول الاختفاء حتى...».

انفتح الباب خلفهما فجأة وفزع (هارى) حين وجد (رون) يدخل ضاحكًا وهو يجذب (لافيندر) من يدها.

قال (رون): «آه»، وتوقف قليلاً عندما رأى (هارى) و(هرميون).

قالت (لافيندر): «ياه»، ثم خرجت من الغرفة مقهقهة وانغلق الباب وراءها.

وساد الغرفة صمت عارم ومريع؛ حيث كانت (هرميون) تحدق إلى (رون) الذى رفض النظر إليها، ولكنه قال فى خليط غريب من التبجح وقلة الذوق: «أين أنتِ يا (هارى)؟ لقد كنت أتساءل أين ذهبت!».

نزلت (هرميون) من على المكتب واستمرت مجموعة الطيور الذهبية فى التغريد والطيران فى دوائر حول رأسها؛ مما جعلها تبدو مثل نموذج ريشى غريب للمجموعة الشمسية.

وقالت بهدوء: «عليك ألا تترك (لافيندر) تنتظرك كثيرًا بالخارج؛ حتى لا تتساءل أين ذهبت وتركتها».

ثم مشت باعتدال وبطء شديد فى اتجاه الباب. ونظر (هارى) إلى (رون) فوجده يبدو مرتاحًا بانتهاء الأمور عند هذا الحد وعدم حدوث ما هو أسوأ.

ولكنها ما إن وصلت إلى مدخل الباب، حتى صاحت: «(أوبوجنو)!».

والتفت (هارى) ليجد (هرميون) تشير بعصاها تجاه (رون) وتعبير وجهها يبدو وحشيًا، ووجد مجموعة الطيور تندفع مثل سيل من الطلقات الذهبية السمينة متجهة نحو (رون) الذى صرخ ورفع يديه ليحمى بهما وجهه، ولكن الطيور هاجمته وأخذت تنقر وتخدش كل جزء تستطيع الوصول إليه من جسده.

فصاح (رون): «أبعديها عنى!» ولكنها رمقته بنظرة حقود غاضبة أخيرة وسحبت الباب بقوة لتفتحه ثم اختفت خلاله، واعتقد (هارى) أنه سمع صوت نشيج قبل أن تغلق الباب وراءها بعنف.

١٥ القسم الذى لا يمكن الحنث فيه

مرة أخرى كان الثلج يدور فى دوامات أمام النوافذ الباردة، ومع اقتراب أعياد الكريسماس بسرعة، قام (هاجريد) وحده بإحضار أشجار الكريسماس الاثنتى عشرة المعتادة لتزيين البهو العظيم، وتم لف أكاليل الزهور وأوراق الشجر وفروع ورق الزينة حول درابزين السلالم فى كل مكان، وكانت الشموع التى لا تنطفئ تشع من داخل خوذات الدروع الحديدية، وعناقيد نبات الدبق متدلية من الأسقف على مسافات متقاربة فى الدهاليز. وفى كل مرة يمر فيها (هارى) فى الدهاليز يجد جماعات من الفتيات متجمعات تحت عناقيد نبات الدبق مما يسد الطريق أمامه. ولكن لحسن الحظ، كانت كثرة تجوال (هارى) داخل القلعة خلال الأمسيات قد جعلته خبيرًا بكل دهاليزها السرية، فكان ينتقل بين الفصول الدراسية دون مشاكل فى دهاليز خالية من العناقيد المتدلية.

وانفجر (رون) ضاحكًا عند سماعه بذلك، رغم أنه - ربما فيما مضى - كان يجد اضطرار (هارى) إلى اللجوء للدهاليز السرية للقلعة دافعًا للغيرة أكثر منه للمرح. ورغم أن (هارى) كان يفضل (رون) الجديد الضاحك المازح عن (رون) السابق الذى اضطر لتحمل حزنه الدائم وعدائه طوال الأسابيع الماضية - إلا أن هذا التحسن فى شخصيته كان له ثمن فادح، فأولاً: كان على (هارى) أن يتأقلم مع الوجود الدائم لـ(لافيندر براون) التى بدت كأنها تعتقد أن أى لحظة تمر دون أن يقبِّلها فيها (رون) لحظة ضائعة، وثانيًا: أن (هارى) وجد نفسه ثانية الصديق المقرب لشخصين يبدو من غير المحتمل أن يتكلما معًا مرة أخرى.

وكان (رون) الذى مازالت يداه وذراعاه مليئة بالخدوش والجروح التى سببها هجوم طيور (هرميون) عليه - دائمًا ما يتكلم بلهجة دفاعية ساخطة.

قال لـ(هارى): «ليس لديها الحق فى الشكوى. لقد قبَّلت (كروم) وعانقته، والآن وجدت أن هناك شخصًا ما يريد أن يعانقنى ويقبّلنى أنا أيضًا. حسنًا، إنه بلد حر وأنا لم أفعل أى شىء خطأ».

لم يجبه (هارى) وتظاهر أنه منهمك فى قراءة كتاب (الخلاصة: بحث) الذى كان مفروضًا عليهم إنهاء قراءته قبل محاضرة التعاويذ فى اليوم التالى. وكان (هارى) مصرًا على أن يحافظ على صداقته لكل من (رون) و(هرميون)؛ لذلك كان يقضى معظم الوقت دون أن يفتح فمه.

تمتم (رون): «أنا لم أعِد (هرميون) بأى شىء، أعنى... حسنًا، كنت سأذهب معها إلى حفل الكريسماس الخاص بـ(سلجهورن)، ولكنها لم تقل...كنا سنذهب كأصدقاء... فأنا حر فيما أفعله...».

قلب (هارى) صفحة من كتاب (الخلاصة) وهو مدرك أن (رون) يراقبه وانخفض صوت (رون) حتى أصبح همسًا مسموعًا بالكاد بسبب صوت طقطقة نيران المدفأة، ولكن (هارى) اعتقد أنه سمع كلمات مثل (كروم) ولا يحق لها أن تشتكى مرة أخرى.

كان جدول (هرميون) مزدحمًا طوال الوقت، حتى إن (هارى) لم يكن يجد وقتًا للكلام معها إلا فى الأمسيات عندما يكون (رون) على أية حال مقيدًا بشدة حول (لافيندر) لدرجة لا يمكنه معها ملاحظة ما يفعله (هارى)، وكانت (هرميون) ترفض الجلوس فى الغرفة العامة عندما يكون (رون) هناك، وهكذا كان (هارى) عادة ما ينضم إليها فى المكتبة؛ مما يعنى أن أحاديثهما كانت تدور على شكل همس.

قالت (هرميون): «إنه حر تمامًا فى تقبيل من يحب تقبيله»، وكانت مدام (بينس) أمينة المكتبة تتجول بين رفوف الكتب خلفهم، وأضافت (هرميون): «أنا لا أهتم بالمرة».

ورفعت ريشتها ووضعت نقطة فوق أحد الحروف بقوة شديدة لدرجة أنها ثقبت الرقعة التى تكتب عليها. ولكن (هارى) لم يقل شيئًا، وفكر فى أن صوته سوف يختفى قريبًا وأن حنجرته قد تصدأ من قلة الكلام، وانحنى قليلاً فوق كتاب (تحضير الوصفات:المستوى المتقدم) واستمر فى كتابة ملاحظات حول الإكسيرات الثابتة، وكان يتوقف أحيانًا؛ ليحاول تتبع الإضافات المفيدة الخاصة بالأمير لنص (ليباتيوس بوراج).

قالت (هرميون) بعد عدة لحظات: «بالمناسبة، يجب أن تكون حذرًا».

قال (هارى) بصوت هامس مبحوح قليلاً بعد ثلاثة أرباع ساعة من الصمت: «أنا لن أعيد الكتاب، لقد تعلمت الكثير من الأمير الهجين ربما أكثر مما تعلمت من (سناب) أو (سلجهورن)».

قالت (هرميون): «أنا لا أتكلم عن ذلك الغبى الذى تطلق عليه الأمير»، ونظرت إلى الكتاب بازدراء وكأنه يستفزها وأضافت: «أنا أتكلم عما حدث اليوم قبل أن آتى إلى هنا، فقد التقيت بمجموعة من الفتيات مصادفةً فى الحمام وكان هناك حوالى دستة من الفتيات بمن فيهن (روميلدا فان) يحاولن أن يقررن أفضل طريقة لجعلك تشرب وصفة للحب وجميعهن يأملن أن تدعوهن إلى حفلة (سلجهورن) ويبدو أنهن جميعًا قد اشترين وصفات للحب من متجر (فريد) و(جورج) وأخشى أن يكون لها تأثير بالفعل».

فسألها (هارى): «لماذا لم تصادريها منهن؟» فقد كان من غير المعقول أن يتغير هوس (هرميون) بالالتزام بالقواعد، أو يتركها فى هذه اللحظة الحرجة.

قالت (هرميون) هازئة: «إنهن لم يكنّ يحملن الوصفات معهن فى الحمام. كنَّ فقط يدرسن الخطط، وأشك أنه حتى الأمير الهجين...»، ثم ألقت نظرة ازدراء أخرى على الكتاب وأكملت: «...يمكن أن يبتكر ترياقًا ضد تأثير اثنتى عشرة وصفة حب معًا؛ لذلك فمن الأفضل أن تسرع باختيار فتاة للذهاب معك، وهكذا سوف تتوقف الأخريات عن الاعتقاد بأن لديهن فرصة، فالحفلة مساء غدٍ، وقد أصابهن اليأس».

فتمتم (هارى): «لا يوجد من أريد دعوته» كان لا يزال يحاول أن يمنع نفسه من التفكير بـ(جينى) ولكن دون فائدة، ناهيك عن أنها دأبت على زيارة أحلامه حتى أنه كان سعيدًا جدًّا أن (رون) لا يمكنه أداء (اليجيمنسى).

قالت (هرميون) بتجهم: «حسنًا، فقط، كن على حذر مما تشربه؛ لأن (روميلدا فان) كانت تبدو جادة فى الأمر».

لفت (هرميون) الرقعة الطويلة التى كانت تكتب عليها مقالة الرياضيات السحرية واستمرت فى الكتابة بريشتها. وأخذ (هارى) يراقبها وعقله شارد بعيدًا جدًّا.

ثم قال ببطء: «انتظرى قليلاً، لقد اعتقدت أن (فيلتش) قد منع دخول أى شىء تم شراؤه من (ويسلى ويزرد ويزيس)».

سألت (هرميون) ولا يزال تركيزها على المقالة التى تكتبها: «ومنذ متى كان أحد يبالى بما منعه (فيلتش)؟».

فرد (هارى): «ولكننى كنت أعتقد أن كل البوم يتم تفتيشه. فكيف استطاعت تلك الفتيات إحضار وصفات الحب داخل المدرسة؟».

فقالت (هرميون): «يقوم (فريد) و(جورج) بإرسالها داخل زجاجات عطور أو وصفات علاج السعال، فهذا جزء من خدمات توصيل البوم لديهم».

(هارى): «إنك تعرفين الكثير عن الأمر».

رمته (هرميون) بنفس نظرة الازدراء التى سبق أن ألقتها على نسخته من كتاب (تحضير الوصفات: المستوى المتقدم).

وقالت ببرود: «لقد كان كل ذلك مكتوبًا على ظهر الزجاجة التى شاهدناها أنا و(جينى) فى الصيف، فأنا لست من النوع الذى يتدنى لدرجة وضع وصفات فى شراب الناس، أو يتظاهر بذلك، وهو شيء على نفس الدرجة من السوء...».

قال (هارى) بسرعة: «حسنًا، ليس هذا هو المهم، أعنى أن (فيلتش) يتم خداعه، أليس كذلك؟ تلك الفتيات يُدخلن أشياء إلى داخل المدرسة متنكرة فى شكل أشياء أخرى، فلماذا إذن لا يستطيع (مالفوى) إدخال العقد إلى المدرسة؟».

(هرميون): «آه.. ليس هذا الأمر ثانية يا (هارى)؟».

تساءل (هارى): «اسمعينى فقط.. لمَ لا؟».

تنهدت (هرميون) وقالت: «انظر، هناك أجهزة استشعار خفية لكشف السحر واللعنات والتعاويذ المخفية، أليس كذلك؟ تستخدم لكشف السحر الأسود والأشياء التى لها علاقة به. وكان يجب أن تلتقط لعنة قوية مثل التى كانت على هذا العقد خلال ثوانٍ. ولكنَّ شيئًا تم وضعه فى الزجاجة الخطأ لا يُحس.. وعلى أية حال، وصفات الحب ليست سحرًا أسود أو خطيرًا».

فغمغم (هارى) وهو يفكر بـ(روميلدا فان): «من السهل عليكِ قول ذلك».

وأكملت (هرميون): «وهكذا سيكون الأمر مرهونًا بمقدرة (فيلتش) على اكتشاف أنها ليست وصفة لعلاج السعال، وهو ليس ساحرًا جيدًا، وأشك أن يكون بمقدوره التفرقة بين وصفة وأخرى».

وتوقفت (هرميون) عن الكلام فجأة، وقد أدرك (هارى)، أيضًا، أن شخصًا تحرك مقتربًا منهما من الخلف بين رفوف الكتب السوداء؛ فانتظرا

وبعد لحظة ظهرت مدام (بينس) بوجهها الذى يشبه النسر عند المنعطف. كان خداها غائريْن وجلدها يشبه رقع الكتابة الجلدية، وكان المصباح الذى تمسكه بيدها يلقى بضوئه على أنفها الطويل المعقوف.

وقالت: «المكتبة أغلقت الآن ـ أرجو أن تعيدا أى شىء استعرتماه إلى الرف. ما الذى فعلته بهذا الكتاب أيها الولد المُفسد؟».

خطف (هارى) نسخته من كتاب (تحضير الوصفات:المستوى المتقدم) من فوق الطاولة عندما حاولت أن تمسكه بيدها التى تشبه المخلب، وقال بسرعة: «إنه ملكى ولم أستعره من المكتبة».

فقالت بصوت الفحيح: «أفسدته! دنسته! لوثته!».

قال (هارى) وهو ينتزع الكتاب بقوة من قبضتها: «إنه مجرد كتاب تمت الكتابة على هوامشه!».

بدت كأنها على وشك الإصابة بنوبة قلبية؛ فأسرعت (هرميون) تجمع أشياءها، وشدت (هارى) من ذراعه وقادته بعيدًا.

«سوف تمنعك من دخول المكتبة لو لم تكن حريصًا؛ لم يكن عليك إحضار هذا الكتاب الغبى معك!».

«ليس ذنبى أنها تزعق بجنون يا (هرميون)، أم أنك تظنين أنها سمعتكِ وأنت تتكلمين عن (فيلتش) بطريقة سيئة؟ لقد اعتقدت دومًا أن هناك شيئًا ما يحدث بينهما...».

(هرميون): «حقًا، ها ها...».

كانا سعيديْن أن بإمكانهما الكلام بطريقة طبيعية مرة أخرى، فأخذا طريقهما عبر الدهاليز المهجورة التى تنيرها المصابيح عائديْن إلى الغرفة العامة وهما يتجادلان عما إذا كان (فيلتش) ومدام (بينس) يحب أحدهما الآخر سرًا بالفعل.

قال (هارى) للسيدة البدينة: «(بوبليس)» كانت هذه كلمة السر الجديدة للأعياد.

ردت السيدة البدينة بنظرة مداعبة: «وأنت طيب»، ثم تأرجحت إلى الأمام لتسمح لهما بالدخول.

وما إن دخل (هارى) من خلال فتحة اللوحة حتى بادرته (روميلدا فان) قائلة: «أهلاً يا (هارى)، ما رأيك فى مشروب جيليووتر؟».

فنظرت (هرميون) له نظرة من فوق كتفها كأنها تقول له: «ألم أقل لك؟».

قال (هارى) بسرعة: «لا، شكرًا، فأنا لا أحبه كثيرًا».

قالت (روميلدا) وهى تدفع إلى يده صندوقًا: «حسنًا، خذ هذا على أية حال» وأضافت: «إنها شيكولاتة (المراجل)، يوجد داخلها مكسرات (فايرويسكى) وقد أرسلته جدتى إلىَّ ولكننى لا أحبه».

قال (هارى): «حسنًا، أشكرك كثيرًا» ولم يستطع (هارى) أن يفكر فى شىء آخر يقوله، وأضاف: «هه... لقد كنت فقط أمر من هنا مع...».

وأسرع وراء (هرميون) وأخذ صوته يخفت.

قالت (هرميون) بإيجاز: «ألم أقل لك، سيكون عليك فى وقت قريب أن تطلب من أحد، وسوف يتركونك فى حالك عندئذ ويمكنك...».

ولكن وجهها تحول فجأة وأصبح خاليًا من التعبير فى اللحظة التى التقت عيناها بمنظر (رون) و(لافيندر) وهما ملتصقان معًا داخل أحد المقاعد ذات الذراعين.

قالت (هرميون): «حسنًا، تصبح على خير يا (هارى)» رغم أن الوقت كان لا يزال السابعة مساءً، واتجهت إلى مبنى النوم المخصص للفتيات دون أن تضيف كلمة أخرى.

ذهب (هارى) إلى سريره وهو يحاول تهدئة نفسه بأنه لم يبق إلا يوم واحد من الدروس والمعاناة، بالإضافة إلى حفل (سلجهورن) طبعًا حيث سيغادر بعدها هو و(رون) عائديْن إلى الجحر. وفكر فى أنه أصبح من المستحيل الآن أن يتصالح (رون) و(هرميون) معًا قبل أن

تبدأ الإجازة، ولكن ربما تعطيهما فترة الإجازة وقتًا للهدوء والتفكير بشكل أفضل فى سلوكهما..

ولكن آماله لم تكن مرتفعة، بل إنها انخفضت أكثر بعد أن حضرا معًا محاضرة مادة التحويل فى اليوم التالى، فقد كانا قد بدأا فى دراسة موضوع صعب جدًّا وهو التحويل البشرى، وكانا يعملان أمام المرايا وكان من المفترض أن يغيرا لون حواجبهما، فضحكت (هرميون) بطريقة غير لطيفة من المحاولة الأولى الفاشلة لـ(رون) حيث استطاع بطريقة ما أن يصنع لنفسه شاربًا عجيبًا على جانبى وجهه، فثأر منها (رون) بأن قام بتقليد طريقتها فى القفز واقفةً ثم جالسةً فى كل مرة تسأل فيها الأستاذة (ماكجونجال) سؤالاً بأسلوب فظٍّ، وإن كان مماثلاً لطريقتها بالفعل، وقد وجدت (لافيندر) و(بارفاتى) الأمر مضحكًا بشدة؛ مما جعل (هرميون) تدمع وتسرع خارجةً من الفصل لحظة رنين الجرس تاركةً نصف حاجاتها خلفها، وفكر (هارى) فى أنها تحتاج إليه أكثر من (رون) فجمع باقى حاجاتها وتبعها.

وأخيرًا وجدها وهى خارجة من حمام الفتيات فى الطابق الأسفل، وكانت (لونا لافجود) بصحبتها تربت على ظهرها بتعاطف.

قالت (لونا): «آه، أهلاً يا (هارى)، هل تعلم أن أحد حاجبيك لونه أصفر فاتح؟».

رد (هارى): «أهلاً يا (لونا) وأنت يا (هرميون)، لقد تركت حاجاتك...».

ومد يده إليها بكتبها.

قالت (هرميون) بصوت مختنق: «آه، نعم»، ثم أخذت أشياءها واستدارت مبتعدة بسرعة؛ لتخفى عنه حقيقة أنها كانت تمسح عينيها الدامعتين فى حقيبة أقلامها وهى تقول: «شكرًا يا (هارى). حسنًا، من الأفضل أن أذهب».

وأسرعت مبتعدةً دون أن تعطى لـ(هارى) وقتًا كافيًا ليحاول أن يتكلم معها أو يهدئها رغم أنه فى الحقيقة لم يكن يستطيع التفكير فى شىء يقوله لها.

قالت (لونا): «إنها متضايقة قليلاً، لقد اعتقدت فى البداية أنها (ميرتل) الباكية عندما سمعتها بالداخل، ولكن اتضح لى أنها (هرميون) وقالت شيئًا عن أن (رون ويسلى) قد...».

قال (هارى): «نعم، لقد حدث بينهما مشادَّة».

قالت (لونا) وهما يسيران معًا عبر الدهليز: «إنه أحيانًا يقول أشياء مضحكة جدًّا، أليس كذلك؟ ولكنه فى أحيان أخرى يكون فظًّا جدًّا. لقد لاحظت ذلك العام الماضى».

قال (هارى): «على ما أعتقد».. كانت (لونا) تظهر براعتها المعتادة فى ذكر الحقائق بصراحتها المزعجة، إنه لم يلتق قطُّ من قبل بشخص يشبهها، وأكمل (هارى) قائلاً: «...هل قضيت فصلاً دراسيًّا جيدًا؟».

قالت (لونا): «آه، لقد كان على ما يرام وإن كنت قد شعرت بالوحدة قليلاً بدون لقاءات جيش (دمبلدور). ولكن (جينى) كانت لطيفة معى جدًّا حتى إنها منعت ولديْن فى حصة التحويل عن مناداتى بـ(لونى المجنونة) فى أحد الأيام».

(هارى): «ما رأيك فى الذهاب معى إلى حفل (سلجهورن) الليلة؟».

انطلقت الكلمات من فم (هارى) قبل أن يستطيع إيقافها؛ لقد سمع نفسه يقولها كما لو أن شخصًا غريبًا يتكلم.

أدارت (لونا) عينيها البارزتين فى اتجاهه وقد تفاجأت، وقالت: «حفلة (سلجهورن)؟ معك؟».

«أجل، من المفترض أن ندعو ضيوفنا معنا؛ لذلك اعتقدت أنك قد تحبين... أعنى...».

وكـان (هـارى) يـريـد أن تـكـون نـوايـاه واضـحـة فـأضـاف: «أعـنـى، كـأصدقـاء فقط، أتفهمين مـا أقصده؟ ولكن إذا كنتِ لا تريدين...».

كـان بـالفعل يكـاد يتمنـى ألا توافق.

قـالت (لونـا) وهـى تبتسم بطريقة لم يرهـا تبتسم بهـا من قبل: «آه، لا أحب أن أذهب معك كأصدقـاء، لم يدعنى أحد للذهـاب إلى حفل من قبل كصديقة! هل هذا هو السبب الذى جعلك تصبغ حـاجبك؟ أعنى من أجل الحفل.. فهل أقوم بصبغ حـاجبى أنـا أيضًـا؟».

قـال (هـارى) بثبـات: «لا، كـان هذا خطأ، سوف أجعل (هرميون) تصلحه لى، حسنًا إذن، سوف أقـابلك فى بهو الدخول فى السـاعة الثـامنة».

صرخ صوت من فوق رأسيهمـا: «مـاذا؟!».

حتى إن كليهمـا قفز فزعًـا، فبدون أن يلاحظا مرًّا بـالضبط من تحت (بيفر) الذى كـان متدليًـا من قدميه فى وضع رأسى من إحدى الثريَّـات وهو ينظر إليهمـا مبتسمًـا بخبث.

وأخذ يقول: «(بوتى) دعـا (لونـى) إلـى الـحفل! (بـوتـى) يـحب (لـونـى)! (بوتى) يحب (لـونـى)!».

وانطلق مبتعدًا وهو يقهقه ويصيـح: «(بـوتـى) يحب (لـونـى)!».

قـال (هـارى): «من الرائـع أن نستطيع الحفـاظ علـى خصوصياتنـا» وهكذا وفى وقت لا يذكر، بدا أن المدرسة كلهـا عرفت أن (هـارى بوتر) سوف يـأخذ (لونـا لوفجود) إلى حفل (سلجهورن).

قـال (رون) بعدم تصديق على العشـاء: «كـان يمكنك أن تـأخذ أى فتـاة! أى فتـاة! وأنت اخترت (لونـى لوفجود)؟».

قـالت (جينى) وهـى تمر من وراء (هـارى) للانضمام إلى أصدقـائهـا: «لا تَدْعُهَـا هكذا يـا (رون)، أنـا مسرورة أنك سوف تـأخذهـا معك يـا (هـارى)، إنهـا سعيدة جدًّا بـالذهـاب معك».

ومشت (جينى) بجانب المائدة حتى جلست بجوار (دين)، وحاول (هارى) أن يسعد؛ لأن (جينى) سعيدة بأنه سيأخذ (لونا) معه إلى الحفل، ولكنه لم يستطع النجاح فى ذلك، وكانت (هرميون) تجلس وحدها بعيدًا عنهم بطول المائدة وهى تلعب بطعامها، ولاحظ (هارى) أن (رون) ينظر إليها خلسة.

اقترح (هارى) بفظاظة: «يمكنك أن تعتذر لها».

غمغم (رون): «ماذا؟! ويهاجمنى سرب آخر من الكناريا!».

قال (هارى): «لماذا قمت بتقليدها بهذا الشكل؟».

«لقد ضحكت من شكل شاربى!».

«وكذلك فعلت أنا، كان أغبى شيء رأيته فى حياتى».

ولكن (رون) بدا كأنه لم يسمع ما قيل؛ فقد وصلت (لافيندر) مع (بارفاتى) التى أفسحت مكانًا لنفسها بين (هارى) و(رون) ووضعت (لافيندر) ذراعها حول عنق (رون).

قالت (بارفاتى): «أهلاً يا (هارى)» كانت مثله تشعر بالحرج والملل من تصرفات صديقيهما.

قال (هارى): «أهلاً، كيف حالك؟ إذن سوف تبقين فى (هوجوورتس)؟ لقد سمعت أن والديك يريدانك أن تتركيها».

«لقد نجحت فى إقناعهما بالعدول عن الأمر فى الوقت الحالى، لقد أفزعهما ما حدث لـ(كاتى)، ولكن بما أن شيئًا لم يحدث من وقتها... آه، أهلاً يا (هرميون)!».

ابتسمت (بارفاتى) بإشراق، وأدرك (هارى) أنها تشعر بالذنب؛ لأنها ضحكت على (هرميون) فى محاضرة التحويل. والتفت (هارى) ليجد (هرميون) تبتسم لها فى المقابل ربما بطريقة أكثر إشراقًا، ففكر فى أنه أحيانًا ما تكون الفتيات فى منتهى الغرابة.

قالت (هرميون) متجاهلة (رون) و(لافيندر) تمامًا: «أهلاً يا (بارفاتى)! هل ستذهبين إلى حفل (سلجهورن) الليلة؟».

قالت (بارفاتى) بحزن: «للأسف لم يدعنى أحد، رغم أننى كنت أود لو كان بإمكانى الذهاب، يبدو أنها ستكون رائعة فعلاً.. إنك ذاهبة، أليس كذلك؟».

«بلى، سوف ألتقى (كورماك) فى الثامنة وسوف...».

كان هناك صوت مثل مضخة تسحب من حوض مسدود، وبدا أن (رون) قد انتبه، ولكن (هرمييون) تصرفت كما لو أنها لم ترَ أو تسمع شيئًا.

«سنذهب إلى الحفل معًا».

قالت (بارفاتى): «(كورماك)؟ أتقصدين (كورماك ماكلاجين)؟!».

قالت (هرميون) بعذوبة: «نعم هو، إنه ذلك الذى...»، وضغطت بشدة على كلامها وأكملت: «كاد يصبح حارس المرمى فى فريق (جريفندور)».

سألت (بارفاتى) وقد اتسعت عيناها: «هل تخرجان معًا إذن؟».

قالت (هرميون) وهى تضحك بطريقة لا تشبه أسلوبها بالمرة: «آه ـ أجل ـ ألم تعرفى ذلك؟».

قالت (بارفاتى) وهى تبدو مستمتعة بمعرفة هذه المعلومة: «لا! ولكن يبدو أنكِ تفضلين لاعبى (الكويدتش)، أليس كذلك؟ فأولاً كان هناك (كروم) ثم (ماكلاجين)...».

فصححت (هرميون) كلام (بارفاتى) وهى تبتسم: «أحب البارعين منهم فقط، حسنًا، أراكِ قريبًا... يجب أن أذهب؛ لأستعد للحفل».

انصرفت، وعلى الفور وضعت (لافيندر) رأسها فى رأس (بارفاتى)؛ لمناقشة التطورات الجديدة وكل شىء يعرفانه عن (ماكلاجين) وكل شىء يظنانه عن (هرميون). وجلس (رون) ووجهه خالٍ من التعبير بطريقة غريبة ولم يقل شيئًا. وأخذ (هارى) يفكر ويتأمل ـ فى صمت ـ المدى الذى يمكن أن تصل إليه الفتيات لينتقمن.

وعندما وصل إلى بهو الدخول فى الثامنة مساءً هذه الليلة، وجد عددًا كبيرًا غير معتاد من الفتيات يتسكعن هناك، وكنَّ جميعًا يحدقن إليه باستياء عندما وصل إلى (لونا) التى كانت ترتدى ملابس فضية براقة، وكان يبدو أن ملابسها تثير قدرًا معينًا من الانتقاد، ومع ذلك كان مظهرها لطيفًا إلى حد كبير. وعلى أية حال، كان (هارى) سعيدًا؛ لأنها تركت قرطها الغريب وعقدها الذى يشبه سدادات الزجاجات ونظارتها العجيبة.

قال (هارى): «أهلا، هل نذهب إذن؟».

قالت بسعادة: «آه، طبعًا، أين الحفل؟».

قال (هارى) وهو يقودها إلى السلالم الرخامية بعيدًا عن التحديق والهمس: «فى مكتب (سلجهورن)، هل سمعتِ، يقولون: إن أحد مصاصى الدماء قادم إلى الحفل؟».

سألت (لونا): «(روفوس سكريمجور)؟».

قال (هارى) وهو مشوش: «أنا... ماذا؟ أتعنين وزير السحر؟».

قالت (لونا) مؤكدة: «أجل، إنه مصاص دماء، لقد كتب أبى مقالة طويلة جدًّا عندما تولى (سكريمجور) وزارة السحر خلفًا لـ(كورنليوس فودج)، ولكن أحد العاملين فى الوزارة أرغمه على عدم نشرها.. من الواضح أنهم لم يريدوا نشر الحقيقة!».

كان (هارى) يعتقد أنه من غير المحتمل أن يكون (روفوس سكريمجور) مصاص دماء، ولكنه كان معتادًا أن تردد (لونا) آراء والدها الغريبة، كما لو أنها حقائق؛ ولذلك لم يرد عليها.. وعلى أية حال، كانا بالفعل قد وصلا إلى مكتب (سلجهورن) وكان صوت الضحكات والموسيقى والمحادثات العالية يعلو أكثر وأكثر مع كل خطوة يخطوانها مقتربيْن من المكان.

كان مكتب (سلجهورن) أكبر من مكاتب المدرسين المعتادة، ولم يعرف (هارى) إن كان مبنيًّا على هذا الشكل أساسًا أم أن (سلجهورن) قد استخدم

الخدع السحرية لجعله على هذا الوضع. فقد حُجِبَ السقف والحوائط بستائر ذات ألوان زمردية وقرمزية وذهبية حتى بدا الأمر كما لو كانا داخل خيمة واسعة. وكانت الغرفة مزدحمة ومختنقة الهواء وتسبح فى الضوء الأحمر الذى يلقيه عليها المصباح الذهبى المزخرف المعلق فى وسط السقف الذى كانت ترفرف داخله الجنيات، وكانت كل واحدة منهن عبارة عن بقعة متألقة من الضوء، وكان هناك صوت غناء عالٍ مصحوب بما بدا مثل عزف آلات مندولين ـ قادمًا من ركن بعيد، وكان هناك ضباب من دخان الغليون منتشر فوق العديد من السحرة الكبار الغارقين فى المناقشات، وكان هناك عدد من الجن المنزلى يحاولون المرور بصعوبة بين غابات السيقان، وهم مختفون وراء أطباق الطعام الفضية الثقيلة التى يحملونها، حتى بدوا مثل موائد صغيرة متحركة.

ابتسم (سلجهورن) فى اللحظة التى استطاع فيها (هارى) و(لونا) الدخول من الباب: «(هارى)، يا بُنى! ادخل، ادخل فهناك الكثير من الناس أريدك أن تقابلهم!».

كان (سلجهورن) يرتدى قبعة مخملية تتناسب مع سترة التدخين التى يرتديها. وجذب ذراع (هارى) بقوة وكأنهما على وشك الانتقال آنيًا معًا، وقاده بثبات إلى داخل الحفل، وأمسك (هارى) بيد (لونا) وجذبها معه.

قال (سلجهورن): «(هارى)، أود أن تلتقى بـ(الدريد ووربل)؛ أحد طلابى السابقين وهو صاحب كتاب (إخوة الدم: حياتى بين مصاصى الدماء) وبالطبع صديقه (سانجوينى)».

وجذب (ووربل) الذى كان رجلاً قصيرًا يرتدى نظارة يد (هارى) وسلم عليه بحرارة، أما مصاص الدماء (سانجوينى) الذى كان طويلاً ونحيلاً جدًا، وهناك ظلال سوداء تحت عينيه ـ فقد هز رأسه فقط، فكان يبدو

عليه الشعور بالملل إلى حد كبير، وكانت هناك جماعة من الفتيات بالقرب منه يبدو عليهن الفضول والاستمتاع.

قال (ووربل) وهو يرفع بصره ناظرًا عن قرب إلى وجه (هارى): «(هارى بوتر)، أنا سعيد جدًّا بلقائك! لقد كنت أقول للأستاذ (سلجهورن) منذ وقت قريب أين سيرةٍ حياة (هارى بوتر) التى ننتظرها جميعًا؟».

قال (هارى): «هه، حقًا؟».

«إنك متواضع جدًّا بالفعل كما وصفك (هوريس)، ولكننى أتكلم بجدية...» وتغير أسلوبه وأصبح فجأة عمليًّا وأكمل: «سأكون مسرورًا أن أقوم بكتابتها بنفسى - فالناس متشوقون جدًّا لمعرفة المزيد عنك يا ولدى العزيز، وإذا كنت مستعدًّا لمنحِى بعض اللقاءات، فربما تستغرق كل جلسة منها ٤ أو ٥ ساعات، ويمكننا أن ننشر الكتاب خلال شهور، ولن يكون عليك أن تبذل الكثير من الجهد، أؤكد لك - اسأل (سانجوينى) إذا لم يكن...»، ثم أضاف (ووربل) بصوت غاضب فجأة: «(سانجوينى)، ابقَ هنا!»؛ حيث كان مصاص الدماء متجهًا إلى جماعة الفتيات القريبة منهم وعلى وجهه نظرة جائعة، ثم أخذ فطيرة لحم من أحد الجن المنزليين المارين ودفعها إلى (سانجوينى) قبل أن يلتفت موجهًا اهتمامه لـ(هارى) مرة أخرى قائلاً: «خذ هذه الفطيرة».

«إنك لا تعرف كم الذهب الذى يمكنك الحصول عليه يا ولدى العزيز، ليست لديك فكرة...».

قال (هارى) بعزم: «أنا لست مهتمًّا بالأمر بالمرة، بعد إذنك، لقد رأيت أحد أصدقائى الآن».

وجذب (لونا) خلفه بين الزحام، كان بالفعل قد رأى كتلة من الشعر البنى الكثيف بين ما بدا مثل اثنتين من عضوات جمعية الأخوات العرافات.

فنادى: «(هرميون)! (هرميون)!».

قالت (هرميون): «(هارى)، أخيرًا وجدتك، الحمد لله، أهلاً يا (لونا)!».
سأل (هارى): «ما الذى حدث لك؟» فقد بدت (هرميون) مشعثة الشعر بوضوح وكأنها خرجت بصعوبة من داخل غابة مصيدة الشيطان.
ردت (هرميون): «آه، لقد هربت بالكاد ـ أعنى، لقد تركت (كورماك)»، ثم أضافت عندما نظر إليها (هارى) مستفهمًا: «تركته تحت نبات الدبق».
قال لها (هارى) مؤنبًا: «لم يكن عليك القدوم معه من البداية».
قالت (هرميون) بفتور: «لقد اعتقدت أن هذا أكثر شىء يمكن أن يضايق (رون)، لقد فكرت لبعض الوقت فى (زاكرياس سميث)، ولكننى اعتقدت أن...».
قال (هارى) مشمئزًا: «هل حقًا فكرت فى (سميث)؟».
«نعم فعلت، ولقد بدأت أتمنى لو أننى اخترته بدلاً من (ماكلاجين) الذى يبدو (كراب) مهذبًا مقارنة به. فلنذهب فى هذا الاتجاه، سيكون بإمكاننا رؤيته قادمًا؛ فهو طويل جدًا...».
واتجه ثلاثتهم إلى الجانب الآخر من الغرفة وأخذوا فى طريقهم كئوسًا من نبيذ العسل، وقد أدركوا متأخرين أن الأستاذة (تريلاونى) تقف هناك وحدها.
قالت (لونا) بأدب للأستاذة (تريلاونى): «مرحبًا».
ردت الأستاذة (تريلاونى): «مساء الخير يا عزيزتى».
وقد بدت كأنها تجد صعوبة فى التركيز على (لونا) وكان باستطاعة (هارى) أن يشم رائحة خمر الشيرى مرة أخرى وأضافت: «لم أعد أراكِ فى فصولى فى الفترة الأخيرة...».
قالت (لونا): «لا، (فيرنز) هو الذى يدرس لنا هذا العام».
قالت الأستاذة بغضب وضحكة سكيرة شبه مكبوتة: «آه، بالطبع، الفرس، كما أحب أن أسميه. لقد اعتقدت ـ ولكن ربما لا ـ أننى بعد أن

عدت إلى المدرسة الآن، فقد يتخلص الأستاذ (دمبلدور) من هذا الحصان؟ ولكن لا؛ فالحصص مقسمة بيننا... إنها إهانة، بصراحة إهانة، أتعرفين...».

بدت الأستاذة (تريلاونى) مخمورة لدرجة أنها لم تعرف (هارى). وبينما هى مشغولة بانتقادها الغاضب لـ(فيرنز)، اقترب (هارى) من (هرميون) وقال لها: «من الأفضل أن نكون صريحيْن معًا. هل تنوين إخبار (رون) بأنك تدخلت أثناء اختبارات اختيار حراس المرمى؟».

رفعت (هرميون) حاجبيها، وردت: «هل تعتقد حقًا أننى سأنزل بنفسى إلى هذا المستوى؟».

نظر إليها (هارى) بتبصر، وقال: «(هرميون)، إذا كان الأمر قد وصل بك إلى الخروج مع (ماكلاجين)».

قالت (هرميون) بكبرياء: «هناك فرق، وعمومًا ليس لدىَّ أى نية لإخبار (رون) عن أى شىء كان سيحدث أو لا يحدث فى اختبارات حراس المرمى».

قال (هارى) بانفعال: «جيد؛ لأنه سوف ينهار من جديد وسوف نخسر المباراة القادمة».

قالت (هرميون) بغضب: «(الكويدتش)، هل هذا كل ما يهتم به الأولاد؟ لم يسألنى (كورماك) سؤالاً واحدًا عن نفسى، ولكننى اضطررت إلى الاستماع دون توقف عن الصدات المائة الرائعة التى قام بها (ماكلاجين) - آه، لا، ها هو قادم!».

تحركت بسرعة جدًا حتى بدا كما لو أنها اختفت، كانت هنا، ثم فجأة دخلت بين مجموعة من الساحرات الضاحكات، ثم اختفت.

وبعدها بقليل ظهر (ماكلاجين) وهو يتقدم بصعوبة بين الحشود وقال: «(هارى)، هل رأيت (هرميون)؟».

قال (هارى): «لا، لم أرها»، ثم استدار بسرعة للانضمام إلى محادثة (لونا) وقد نسى للحظة مع من كانت تتكلم.

قالت الأستاذة (تريلاونى) بلهجة رنانة عميقة وقد لاحظته للمرة الأولى: «(هارى بوتر)!».

رد (هارى) بلا حماس: «آه، أهلاً».

قالت بهمس ثقيل: «ولدِى العزيز! الشائعات! القصص! المختار! بالطبع، لقد عرفت منذ وقت طويل جدًّا... فلم يكن الطالع طيبًا يا (هارى) قطُّ.. ولكن لماذا لم تعد لدراسة مادة التنجيم؟ فهذه المادة تعتبر مهمة جدًّا بالنسبة لك من بين كل الناس!».

قال صوت عالٍ: «آه (سيبيل)، كلنا يعتقد أن موادنا هى الأكثر أهمية!»، ثم ظهر (سلجهورن) على الجانب الآخر للأستاذة (تريلاونى)، وكان وجهه محمرًّا وقبعته المخملية مائلة قليلاً، وقد أمسك فى إحدى يديه كأسًا من نبيذ العسل بينما يمسك فى يده الأخرى قطعة ضخمة من فطير اللحم، وأضاف وهو ينظر لـ(هارى) بإعجاب بعينيه المحتقنتين: «ولكننى لم أرَ قطُّ مثل هذه الموهبة الطبيعية فى تحضير الوصفات! موهبة فطرية ـ أتعرفين ـ مثل أمه! عدد قليل من الطلاب الذين درست لهم يتمتعون بهذه القدرة، وأستطيع أن أقول هذا لك يا (سيبيل) ـ إنه حتى (سيفيروس)».

وارتعب (هارى) عندما رمى (سلجهورن) بإحدى ذراعيه التى بدت كما لو كانت قد جذبت (سناب) من الهواء فى اتجاههم.

قال (سلجهورن) بسعادة وقد أصابه الفواق: «كف عن التجول يا (سيفيروس) وانضم إلينا! لقد كنت أتكلم عن قدرات (هارى) الاستثنائية فى تحضير الوصفات! بعض الفضل يعود إليك بالتأكيد، فأنت الذى درست له هذه المادة خلال السنوات الخمس الماضية!».

نظر (سناب) إلى (هارى) من فوق أنفه المعقوف وضاقت عيناه السوداوان وقد أمسكت به ذراع (سلجهورن) التى فوق كتفه.

وقال: «غريب، لم يكن لدى انطباع قط أننى نجحت فى تعليم (بوتر) أى شىء على الإطلاق».

فصاح (سلجهورن): «حسنًا، إذن، يبدو أنها موهبة طبيعية! كان يجب أن ترى ما صنعه فى أول محاضرة، لم يستطع أىٌّ من طلابى تحقيق نتيجة أفضل من ذلك فى أول محاولة، ربما حتى أنت يا (سيفيروس)».

قال (سناب) بهدوء: «حقا؟» واستمرت عيناه فى التطلع إلى (هارى) الذى شعر بقدر من الانزعاج. فقد كان آخر شىء يريده هو أن يبدأ (سناب) فى التحرى عن مصدر براعة (هارى) الفائقة المكتشفة حديثًا فى مادة الوصفات.

سأل (سلجهورن): «ذكرنى يا (هارى)، ما المواد الأخرى التى تدرسها؟».

(هارى): «الدفاع ضد فنون الظلام، والتعاويذ، والتحويل، وعلم النباتات...».

قال (سناب) بتهكُّم دفين: «باختصار، كل المواد المطلوبة للمدافعين ضد السحر الاسود».

فرد (هارى) بجدية: «أجل، حسنًا، هذا ما أريد أن أكونه».

هدر صوت (سلجهورن) قائلاً: «وستكون أحد أعظم المدافعين أيضًا!».

قالت (لونا) فجأة: «لا أعتقد أنك يجب أن تصبح مدافعًا يا (هارى)» فنظر الجميع إليها وأكملت: «فالمدافعون هم جزء من مؤامرة (روتفانج)، لقد كنت أعتقد أن الجميع يعرف ذلك. إنهم يعملون فى الداخل للإطاحة بوزارة السحر باستخدام مزيج من السحر الأسود وأمراض اللبان».

أخرج (هارى) نصف مشروبه من أنفه عندما بدأ يضحك، وفكر فى أن الأمر يستحق إحضار (لونا) إلى الحفل ولو من أجل ذلك فقط، أنزل

(هارى) كأسه وأخذ يسعل وقد انسكب الشراب عليه ولكنه كان لا يزال يبتسم، فقد رأى شيئًا آخر رفع حالته المعنوية أكثر وأكثر؛ كان (أرجوس فيلتش) يشد (دراكو مالفوى) من أذنه ويجره فى اتجاههم.

قال (فيلتش) بصوت يشبه الصفير: «أستاذ (سلجهورن)» كان فكه يرتعش وعيناه المنتفختان تلمعان وقد ظهرت فيهما سعادته الشديدة باكتشافه لشخص يقوم بمخالفة، وأضاف: «لقد اكتشفت هذا الولد مختبئًا فى أحد دهاليز الدور العلوى وهو يدَّعى أنه مدعو إلى حفلتك وقد تأخر فى الذهاب إليها.. فهل حقًا قمت بدعوته؟».

حرر (مالفوى) نفسه من قبضة (فيلتش) وقد بدا عليه الغضب وقائلاً: «حسنًا، لم أكن مدعوًّا! ولكننى كنت أحاول أن أدخل خلسة، هل أنت سعيد الآن؟».

قال (فيلتش): «لا، لست سعيدًا بالمرة!» وقد بدت العبارة متناقضة تمامًا مع الابتهاج الذى بدا على وجهه، وأضاف: «فأنت فى مشكلة بالفعل! ألم يمنع الناظر التجوال خلال الليل، إلا إذا كان معك تصريح بذلك؟ ألم يفعل؟ هه!».

قال (سلجهورن) وهو يلوح بيده: «لا بأس يا (أرجوس)، لا بأس، إنه الكريسماس وليست جريمة أن يرغب فى حضور الحفل. فقط هذه المرة، سوف ننسى أى عقاب، يمكنك البقاء يا (دراكو)».

كان تعبير خيبة الأمل والغضب الذى غطى وجه (فيلتش) متوقعًا تمامًا، ولكن ما أثار استغراب (هارى) وهو ينظر إلى (مالفوى) أنه كان على نفس القدر من التعاسة، وكان (سناب) ينظر إلى (مالفوى) وكأنه غاضب و... هل هذا ممكن... خائف إلى حد ما؟».

ولكن قبل أن يتأكد (هارى) مما رآه، التفت (فيلتش) وسار مبتعدًا وهو يغمغم بصوت غير مفهوم؛ وتحول تعبير (مالفوى) إلى الابتسام وأخذ

يشكر (سلجهورن) على كرمه وعاد وجه (سناب) ثانية خاليًا من التعبير وغامضًا.

قال (سلجهورن) ردًا على شكر (مالفوى): «إنه لا شيء.. فعلى أية حال، لقد كنت أعرف جدك...».

قال (مالفوى) بسرعة: «لقد كان دائمًا يتكلم عنك بإعجاب يا سيدى ويقول: إنك أفضل صانع للوصفات عرفه...».

وحدق (هارى) إلى (مالفوى)، ولم يكن نفاقه لـ(سلجهورن) هو ما لفت نظره، فقد اعتاد رؤية (مالفوى) وهو يفعل ذلك مع (سناب) لمدة طويلة. ولكن ما أثار استغرابه هو أن (مالفوى) رغم كل شيء بدا مريضًا بالفعل. وكانت هذه أول مرة يشاهد فيها (مالفوى) عن قرب منذ مدة طويلة، ولاحظ أن هناك ظلالاً سوداء تحت عينيه ولونًا رماديًا خفيفًا على جلده.

قال (سناب) فجأة: «أريد أن أتكلم معك لحظة يا (دراكو)».

قال (سلجهورن) وقد أدركه الفواق مرة أخرى: «الآن، يا (سيفيروس)؟! إنه الكريسماس، لا تكن صارمًا لهذه الدرجة».

قال (سناب) بجفاف: «أنا رئيس منزله ولى الحق فى أن أقرر معاملته بصرامة أو بأى طريقة أخرى، اتبعنى يا (دراكو)».

وغادرا بينما يقود (سناب) الطريق و(مالفوى) يبدو عليه الاستياء. ووقف (هارى) فى مكانه للحظة متحيرًا، ثم قال: «سوف أعود بعد لحظة يا (لونا)، سأذهب إلى الحمام».

ردت بمرح: «حسنًا»، واعتقد أنه سمعها وهو يسرع بالمرور بين الزحام، وقد استأنفت الحديث عن موضوع مؤامرة (روتفانج) مع الأستاذة (تريلاونى) التى بدت ـ بصدق ـ مهتمة بالموضوع.

كان من السهل عليه بعد أن خرج من الحفل أن يجذب عباءة الإخفاء من جيبه ويلقيها فوق جسده؛ فقد كان الدهليز خاليًا تمامًا. ولكن كان

الأصعب هو إيجاد (سناب) و(مالفوى). فجرى (هارى) عبر الدهليز وقد غطت الموسيقى والأصوات العالية الآتية من مكتب (سلجهورن) خلفه على صوت قدميه. ربما يكون (سناب) قد أخذ (مالفوى) إلى مكتبه فى الزنازين، أو ربما صحبه عائدًا إلى الغرفة العامة فى منزل (سليذرين).. ولكن (هارى) أخذ يضع أذنه على باب بعد باب وهو يجرى فى الدهليز حتى انحنى أخيرًا على فتحة المفتاح فى آخر فصل دراسى فى الدهليز، واستولت عليه حالة من الإثارة الشديدة عندما سمع أصواتًا داخله.

«... الأمر لا يحتمل أى أخطاء يا (دراكو)؛ لأنه إذا تم فصلك...».

«ليس لى أى دخل بالأمر، أهذا واضح؟».

«أرجو أن تقول الحقيقة، فقد كان هذا عملاً غبيًّا وأخرق، وهناك من يشك أن لك يدًا فيه بالفعل».

قال (مالفوى) بغضب: «من الذى يشك بى؟ للمرة الأخيرة، أقول لك إننى لم أفعل هذا، جيد؟ لابد أن هذه الفتاة (بيل) لها عدو لا يعرف أحد عنه شيئًا ـ لا تنظر إلىَّ بهذه الطريقة! أنا أعرف ما تهدف إليه، فأنا لست غبيًّا، ولكن الأمر لن ينجح ـ يمكننى أن أوقفك!».

مرت لحظة صمت، ثم قال (سناب) بهدوء: «آه... خالتك (بيلاتريكس) كانت تعلمك (الأكلومينسى)، ما الأفكار التى تريد إخفاءها عن معلمك يا (دراكو)؟».

«لا أريد إخفاء أى شىء عنك، أنا فقط أريدك ألا تتدخل!».

قرب (هارى) أذنه أكثر من ثقب المفتاح.. ما الذى يحدث ليجعل (مالفوى) يتحدث مع (سناب) بهذه الطريقة.. أليس هذا (سناب) الذى كان يظهر له الاحترام وحتى الحب؟

«إذن، هذا هو السبب الذى جعلك تتجنبنى خلال هذا الفصل الدراسى، إنك تخشى تدخلى، أتعرف ماذا كان يمكن أن أفعل بشخص غيرك إذا طلبت منه الحضور إلى مكتبى أكثر من مرة ولم يحضر يا (دراكو)؟».

فقال (دراكو مالفوى) ساخرًا: «إذن، ضعنى فى الاحتجاز! أو أبلغ (دمبلدور) عنى!».

ومرت لحظة صمت أخرى، ثم قال (سناب): «إنك تعرف تمامًا أننى لا أحبذ أن أقوم بأى من هذه الخيارات».

«إذا، توقف عن أن تطلب منى الحضور إلى مكتبك!».

قال (سناب) بصوت خفيض جدًّا حتى إن (هارى) اضطر إلى دفع أذنه بقوة فى ثقب المفتاح لكى يسمع ما يقوله: «استمع إلىَّ، فأنا أحاول مساعدتك. لقد أقسمت لوالدتك بأننى سوف أقوم بحمايتك. لقد أديت القسم الذى لا يمكن الحنث فيه يا (دراكو)».

«يبدو أن عليك التحلل منه؛ لأنى لا أحتاج إلى حمايتك! إنه عملى أنا، لقد طلبه منى وسوف أقوم به.. لدىَّ خطة وسوف تنجح، إنها فقط تحتاج إلى وقت أطول قليلاً مما ظننت!».

«ما خطتك؟».

«ليس هذا من شأنك!».

«إذا أخبرتنى بما تنوى فعله، فسوف أساعدك...».

«لدىَّ كل المساعدة التى أحتاج إليها، شكرًا، فأنا لست وحدى!».

«لقد كنت وحيدًا الليلة، وهذا شىء فى منتهى الغباء أن تتجول فى الدهاليز دون أن يراقب لك أحدهم الطريق أو يساندك.. هذه أخطاء بدائية».

«كان من الممكن أن يكون معى (كراب) أو (جويل) لو لم تضعهما فى الاحتجاز!».

قال (سناب): «لا ترفع صوتك!»؛ حيث كان صوت (مالفوى) قد ارتفع خلال ثورته، وأضاف: «إذا كان صديقاك (كراب) و(جويل) ينويان النجاح فى مادة الدفاع ضد فنون الظلام فى امتحانات السحر العامة، فإنهما يجب أن يجتهدا قليلاً فى المذاكرة أكثر مما يفعلان الآن».

«وماذا يهم؟ الدفاع ضد فنون الظلام - إنها مجرد مزحة، أليس كذلك؟ مجرد تمثيل؟ وكأن أحدًا منا يحتاج إلى حماية نفسه ضد فنون الظلام».

«إنه تمثيل ولكنه مهمٌّ لنجاحك يا (دراكو). أين تظن أنني كنت سأكون طوال هذه السنوات إذا لم أكن أعرف كيف أمثل؟ الآن استمع إليَّ! لقد كنت قليل الحذر فى قيامك بالتجوال خلال الليل حتى تم الإمساك بك، وإذا كنت تعتمد على مساعدة أشخاص مثل (كراب) و(جويل)...».

«إنهما ليسا الوحيديْن، فمعى أشخاص آخرون يساعدوننى، أشخاص أفضل منهم!».

«إذن، لماذا لا تضع ثقتك بى؟ يمكننى...».

(مالفوى): «أنا أعرف ما الذى تنوى فعله! فأنت تريد أن تسرق المجد منى».

مرت لحظة صمت أخرى، ثم قال (سناب) ببرود: «إنك تتكلم كالأطفال، أنا أفهم تمامًا أن القبض على والدك وسجنه قد ضايقك، ولكن...».

لم يكن لدى (هارى) إلا ثانية واحدة للتحرك عندما سمع وقْع خطوات (مالفوى) على الجانب الآخر من الباب، فاندفع مبتعدًا بسرعة عن الطريق فى نفس اللحظة التى فتح فيها (مالفوى) الباب بقوة، وخطا بسرعة مبتعدًا فى الدهليز مارًّا بباب مكتب (سلجهورن)، ثم دار حول المنعطف فى آخره مختفيًا عن الأنظار.

لم يجرؤ (هارى) على التنفس، وبقى منحنيًا حتى خرج (سناب) من الفصل الدراسى ببطء، وتعبير وجهه مبهم كالمعتاد، وعاد إلى الحفل.

واستقر (هارى) على الأرض مختبئًا تحت العباءة وعقله يعمل بشدة.

■ ■ ■

١٦ كريسماس شديد البرودة

«إذن، هل كان (سناب) يعرض أن يساعده؟ هل كان فعلاً يعرض أن يساعده؟».

قال (هارى): «لو سألتَ هذا السؤال مرة أخرى سأغرس هذه النبتة...».

فقاطعه (رون) قائلاً: «كنت أتأكد فقط!». وكانا يقفان بمفردهما عند حوض المطبخ بالجحر يقشران تلاً من الخضراوات للسيدة (ويسلى)، وكان الثلج ينساب وراء النافذة أمامهما.

قال (هارى) «نعم، كان (سناب) يعرض أن يساعده. قال إنه وعد والدة (مالفوى) بحمايته، وإنه أقسم يمينًا لا حنث فيها أو شيئًا من هذا القبيل».

قال (رون) وقد بدا عليه الذهول «قسَم لا حنث فيه؟ لا، هذا غير ممكن... هل أنت متأكد؟».

قال (هارى) «نعم أنا متأكد. لِمَاذا؟ ماذا يعنى ذلك؟».

«حسنًا، لا يستطيع المرء أن يحنث بيمين لا حنث فيها...».

«أحقًا لا يستطيع؟! لم يكن صعبًا أن أدرك ذلك بنفسى. والآن أخبرنى ماذا يحدث إن حنث المرء بقسم كهذا؟».

قال (رون) ببساطة: « أن يموت»، وأضاف وقد بدا فى عينيه وميض الذكريات: «حاول (فريد) و(جورج) أن يدفعانى لحلف يمين كهذه حين كنتُ فى الخامسة من عمرى وكدتُ أقسم فعلاً لولا أن أبى عثر علينا وأنا أمسك بيدى (فريد) وجن جنونه. وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى رأيتُ فيها أبى غاضبًا غضب أمى، ومن يومها و(فريد) يعتقد أن ردفه الأيسر لم يعد كما كان».

«نعم، حسنا، دعنا الآن من ردف (فريد) الأيسر».

علا صوت (فريد) قائلاً بينما كان التوءمان يدخلان إلى المطبخ: «عفوًا لم أسمع ما قلته؟».

«آآآه، انظر إلى هذا يا (جورج). إنهما يستعملان السكاكين وكل شيء.. أليسا رائعيْن؟!».

قال (رون) بضيق: «سأبلغ السابعة عشرة بعد شهرين وبضعة أيام؛ وحينئذ سأتمكن من فعل ذلك بالسحر!».

قال (جورج) وهو يجلس إلى مائدة المطبخ رافعًا قدميه فوقها: «ولكن إلى أن يأتى هذا اليوم، يمكننا أن نستمتع بمشاهدتك وأنت توضح لنا الاستعمال الصحيح لـ... أخ! هل جرحت؟».

قال (رون) مغضبًا وهو يمص إبهامه المجروحة: «أنت السبب! انتظر حتى أبلغ السابعة عشرة».

قال (فريد) وهو يتثاءب: «أنا على يقين من أنك ستبهرنا جميعًا بمهارات سحرية لم نر مثلها من قبل».

قال (جورج): «وبمناسبة الحديث عن المهارات التى لم نرها من قبل يا (رونالد) ما هذا الذى سمعناه من (جينى) عنك أنت وفتاة اسمها - إن لم تكن معلوماتنا خطأ - (لافيندر براون)؟

احمرّ وجه (رون) قليلاً، ولكنه لم يبدُ مستاءً وهو يستدير عائدًا إلى الخضراوات: وقال «لا شأن لك بهذا».

قال (فريد): «يا له من رد سريع لاذع! أنا حقًّا لا أعرف كيف تفكر فيهن. فى الواقع ما أردنا أن نعرفه هو كيف حدث هذا؟».

«ماذا تقصد؟».

«هل تعرضت لحادث أو شيء من هذا القبيل؟».

«ماذا؟».

«أقصد كيف حدثت لها مثل هذه الإصابة الشديدة فى المخ؟ احترسِ الآن!».

دخلت السيدة (ويسلى) الغرفة فى تلك اللحظة بالذات لترى (رون) وهو يرمى بسكين الخضراوات على (فريد) الذى قام بتحويلها إلى طائرة ورقية بحركة سريعة وبسيطة من عصاه السحرية.

قالت بغيظ: «(رون)! لا تدعنى أراك ترمى السكاكين مرة أخرى!»

قال (رون): «لن أفعل ذلك»، ثم همس فى نفسه وهو يستدير تجاه تل الخضراوات قائلاً: «وأدعك ترينى».

واستطردت السيدة (ويسلى) قائلة: «(فريد)، (جورج)، معذرة يا أعزائى، لكن (ريموس) سيصل الليلة؛ لذا فإن (بيل) سيضطر أن ينحشر بينكما!».

قال (جورج): «لا بأس».

فأردفت قائلة: «وحيث إن (شارلى) لن يأتى إلى البيت فإن (هارى) و(رون) سيظلان وحدهما بالغرفة العلوية، وإذا شاركَت (فلور) (جينى) غرفتها...».

غمغم (فريد) قائلاً: «..سيكون هذا الكريسماس من أجمل ما مر على(جينى)».

فقالت السيدة ويسلى مستأنفة حديثها بصوت قلق إلى حد ما: «سيكون الجميع مستريحين. حسنا، سيكون لكل منهم سرير على أية حال».

سأل (فريد): «إذن أصبح من المؤكد أن (بيرسى) لن يرينا وجهه القبيح؟!».

استدارت السيدة (ويسلى) مبتعدة قبل أن تجيب:

«لا، فهو مشغول فى الوزارة على ما أعتقد».

قال (فريد) بعد أن غادرت السيدة (ويسلى) المطبخ: «أو لعله أكبر مغفل فى العالم. قد يكون هذا أو ذاك. حسنًا، هيا بنا إذن يا (جورج)».

سأل (رون): «إلى أين تذهبان؟ ألن تقوما بمساعدتنا فى تقشير هذه الخضراوات؟ يمكنكما استخدام العصا السحرية وبعدها سننتهى نحن أيضًا».

قال (فريد) بجدية: «لا، لا أظن أن بوسعنا فعل ذلك؛ فهذا الأمر يساعد كثيرًا على بناء الشخصية، فينبغى أن تتعلم تقشير الخضراوات دون استخدام السحر حتى تقَدِّر ما يلاقيه العامَّة والسكويب من مصاعب».

وأضاف (جورج) وهو يرمى الطائرة الورقية فى اتجاهه: «وإن شئتَ أن يساعدك الناس يا (رون) فلا ترمِ السكاكين عليهم. إنه مجرد تلميح بسيط فقط، نحن ذاهبان إلى القرية؛ فهناك فتاة جميلة للغاية تعمل فى محل لبيع الورق ترى فيما أقوم به من خدع بأوراق اللعب شيئًا رائعًا، كالسحر الحقيقى تقريبًا».

قال (رون) مغتاظًا وهو ينظر إلى (فريد) و(جورج) وهما ينطلقان عبر الفناء المكسو بالثلج: «تبًّا لهما! ما كان الأمر ليستغرق منهما أكثر من عشر ثوان وبعدها كنا سنذهب نحن أيضًا معهما».

قال (هارى): «لا أستطيع، فقد وعدتُ (دَمبلدور) بأنى لن أتجول خارج المكان أثناء وجودى هنا».

قال (رون) «آه، نعم» وقشر بضع حبات أخرى من الخضراوات، ثم أضاف: «هل ستخبر (دمبلدور) بالحديث الذى سمعتَه يدور بين (سناب) و(مالفوى)؟».

قال (هارى) «نعم، سأقول لأى شخص يمكنه أن يوقف هذا، و(دمبلدور) أولهم. وربما يكون لى حديث آخر مع أبيك أيضًا».

«ولكنك للأسف لم تسمع شيئًا عما يفعله (مالفوى) فعلاً».

«ما كان بوسعى أن أسمع ذلك بالفعل؛ فقد كان (مالفوى) يرفض إخبار (سناب) بذلك».

خيم الصمت للحظة أو لحظتين، ثم قال (رون): «أتدرى ما سيقولونه جميعًا؟ أبى و(دمبلدور) والجميع، سيقولون إن (سناب) لم يكن ينوى مساعدة (مالفوى) فعلاً، بل كان يحاول فقط أن يعرف ما يدور برأسه».

قال (هارى) بفتور: «إنهم لم يسمعوه؛ فليس هناك من يجيد التمثيل إلى هذا الحد، ولا حتى (سناب)».

قال (رون): «نعم.. غير أن كل ما أقصده...».

التفت (هارى) ليواجهه مقطبًا جبينه:

«غير أنك تعتقد أنى على صواب؟».

قال (رون) فى عجلة: «نعم، أعتقد ذلك! فعلاً، أعتقد ذلك! لكنهم جميعًا مقتنعون بأن (سناب) أهل لثقة الجماعة، أليس كذلك؟».

لم يقل (هارى) شيئًا، فقد خطر بباله فعلاً أن هذا سيكون أرجح اعتراض على دليله الجديد، وتردد فى رأسه ما يمكن أن تقوله (هرميون): «من الواضح يا (هارى) أنه كان يتظاهر بعرض المساعدة على (مالفوى)؛ حتى يخدعه فيخبره بما يفعله».

لكن هذا كان محض خيال؛ إذ لم تتح له الفرصة ليبلغ (هرميون) بما سمع. كانت قد اختفت من حفل (سلجهورن) قبل أن يعود إليه، أو هكذا أخبره (ماكلاجين) الغاضب، وكانت قد أوت إلى فراشها بالفعل حين عاد إلى الغرفة العامة. وفى اليوم التالى، غادر هو و(رون) مبكرًا إلى (الجحر)، فلم يكن أمامه من الوقت إلا ما سمح ـ بالكاد ـ بأن يتمنى لها قضاء كريسماس سعيد، ويبلغها أن لديه أخبارًا على قدر كبير من الأهمية سيطلعها عليها بعد أن يعودوا من العطلة، ولكنه لم يكن على يقين تام من أنها سمعته. وفى نفس الأثناء، كان(رون) و(لافيندر) وراءه يودعان بعضهما وداعًا حارًا دون كلمات.

ومع ذلك، فإن (هرميون) نفسها لن يكون بوسعها أن تنكر شيئًا واحدًا؛ وهو أن (مالفوى) يدبر أمرًا بكل تأكيد، وأن (سناب) على علم بذلك، وبالتالى شعر(هارى) بأن لديه كل الحق فى أن يقول: «ألم أقل لكم؟!»، وكان قد كررها على مسامع (رون) عدة مرات بالفعل.

لم تسنح لـ(هارى) الفرصة للتحدث إلى السيد (ويسلى) الذى ظل يعمل لساعات طوال بالوزارة، حتى عشية عيد الميلاد. كانت أسرة (ويسلى) وضيوفها يجلسون بغرفة المعيشة التى كانت (جينى) قد زينتها بسخاء لدرجة أن الجِلوس فيها أصبح كالجلوس داخل انفجار ورقى متسلسل. وكان (فريد) و(جورج) و(هارى) و(رون) هم الوحيدين الذين يعرفون أن الملاك القابع على قمة شجرة عيد الميلاد لم يكن سوى أحد أقزام الحدائق، وكان (فريد) قد أمسك به بعد أن عض كاحله وهو يقتلع بعض الجزر من الحديقة لعشاء عيد الميلاد. وبدت على القزم أمارات الدهشة، وكان جسمه مصطبغًا باللون الذهبى ومحشورًا فى تنورة دقيقة الحجم وعلى ظهره لُصق جناحان صغيران، وقد أخذ يحدق إليهم من أعلى؛ كان أقبح ملاك رآه (هارى) فى حياته، برأسه الأصلع الكبير الذى يشبه حبة البطاطس وقدميه المكسوتين بالشعر.

كان يُفترض أنهم جميعًا ينصتون لأنشودة من أناشيد عيد الميلاد بالإذاعة تشدو بها (سيلستينا واربيك) مطربة السيدة (ويسلى) المفضلة التى كان صوتها يصدح من داخل المذياع الخشبى الضخم. إلا أن (فلور) بدت كما لو أنها تجد (سيلستينا) مملة للغاية وأخذت تتحدث بصوت عال فى الركن حتى أن السيدة (ويسلى) ظلت تدير زر المذياع بعصاها السحرية وهى مقطبة، فأخذ صوت (سيلستينا) يعلو ويعلو. وكان (فريد) و(جورج) قد شرعا يلعبان لعبة «طقطقة متفجرة» مع (جينى) مستترَيْن بصوت إحدى أغانى الجاز الصاخبة عنوانها «مرجل ملىء بحب قوى متقد»، بينما ظل (رون) يرمى (بيل) و(فلور) بنظرات خفية كأنه يأمل أن

يخرج بمعلومات مفيدة. في الوقت نفسه، كان (ريموس لوبين) الذى بدا هزيلاً ورثّ الثياب أكثر من ذى قبل – جالسًا بجانب النار محدقًا إلى أعماقها كأنه لا يسمع صوت (سيلستينا) وهى تشدو:

«آه، تـــعـــالَ وحـــرّك مـــرجـــلـــى،
وإن أفـــلـــحتَ فـــى تـــحـــريـــكـــه
سأغلى لك بعضًا من حُب قوى يتقد
يـــبـــقـــيك الـــلـــيـــلـــة فـــى دفء»

قالت السيدة (ويسلى) وهى تمسح عينيها بشالها: «كم رقصنا على هذه الأغنية ونحن بعد فى الثامنة عشرة! أتذكر يا (آرثر)؟»

قال السيد (ويسلى) ورأسه منحنٍ فوق ثمرة يوسفى يقشرها: «هه؟ آه، نعم... لحن بديع...».

واعتدل فى جلسته قليلاً فى جهد، والتفت إلى (هارى) الذى كان جالسًا بجانبه وقال: «معذرة على هذا»، وهز رأسه ناحية المذياع فى نفس الوقت الذى علا فيه صوت الكورس مغنيًا: «سرعان ما ينتهى».

قال (هارى) وهو يبتسم: «لا بأس.. هل كان هناك الكثير من العمل فى الوزارة؟».

قال السيد (ويسلى): «جدًا؛ لم أكن لأهتم لو أننا نحقق أى تقدم، ولكننى أشك أن أحدًا من المعتقلين الثلاثة الذين قبضنا عليهم خلال الشهرين الماضيين هو أحد (آكلى الموت) فعلاً» وأسرع مردفًا، وقد بدا أكثر يقظة فجأة: «ولكن لا تردد ذلك أمام أى شخص يا(هارى)».

سأله (هارى) «لا يزالون يحتجزون (ستان شونبيك)، أليس كذلك؟».

قال السيد (ويسلى): «للأسف، أنا أعلم أن (دمبلدور) حاول أن يلجأ لـ(سكريمجور) مباشرةً من أجل (ستان)؛ أقصد أن كل من التقاه يعتقد أنه لا يمكن أن يكون من (آكلى الموت) فعلاً.. ولكنَّ المسئولين يودون أن يبدوا

كما لو كانوا يحققون بعض التقدم، وثلاثة معتقلين تبدو أفضل من «ثلاثة اعتُقلوا خطأً وأطلق سراحهم»... ولكن مرة أخرى، كل هذا سرى للغاية...».

قال (هارى): «لن أقول شيئًا»، ثم تردد للحظة أخذ يفكر فى أفضل طريقة لمواصلة ما أراد أن يقول؛ وفيما هو يرتب أفكاره بدأت (سيلستينا واربيك) أغنية عنوانها «**أخذت قلبى بسحرك**».

فقال (هارى): «سيد (ويسلى)، أتذكر ما قلته لك فى المحطة عندما كنا مسافرين إلى المدرسة؟».

قال السيد (ويسلى) على الفور: «لقد بحثتُ الأمر يا (هارى)، ذهبتُ وفتشت منزل آل (مالفوى)، ولم أجد شيئًا مكسورًا أو سليمًا يسترعى الانتباه على الإطلاق».

«نعم، أعرف، قرأتُ فى جريدة «المتنبئ» أنك بحثت، لكن هذا شىء مختلف... شىء أكثر...».

وأخبر السيد ويسلى بكل ما دار بين (مالفوى) و(سناب). وبينما كان هارى يتكلم، رأى رأس (لوبين) يستدير ناحيته قليلاً مستوعبًا كل كلمة. وعندما أنهى حديثه، ساد الصمت إلا من شدْو (سيلستينا).

«آه، قلبى المسكين، أين ذهب؟

تركنى مفتونة بسحر...».

قال السيد (ويسلى): «هل خطرَ لك يا (هارى) أن (سناب) كان يتظاهر فقط؟».

قال (هارى) بسرعة: «يتظاهر بعرض المساعدة حتى يعرف ما يدبره (مالفوى)؟ نعم، كنتُ أعرف أنك ستقول ذلك. ولكن كيف لنا أن نعرف ذلك؟».

قال (لوبين) فجأة وكان قد أدار ظهره للنار حينئذ وواجه (هارى) من وراء السيد (ويسلى): «ليس من شأننا أن نعرف».. «إنه شأن (دمبلدور)..

(دمبلدور) يثق فى (سيفيروس)، وينبغى أن يكون ذلك كافيًا لنا جميعًا».

قال (هارى): «ولكن، ماذا لو... لو أن (دمبلدور) مخطئ فيما يتعلق بـ(سناب)؟».

«قال الناس ذلك كثيرًا من قبل، ولكن الأمر يتوقف على ثقتك أو عدم ثقتك فى صواب حكم (دمبلدور). وأنا أثق به؛ ومن ثم فأنا أثق بـ(سيفيروس)».

أجاب (هارى): «لكن (دمبلدور) يمكن أن يخطئ.. هو نفسه يقول ذلك. وأنت..»، ثم نظر إلى عين (لوبين) مباشرةً «هل تحب (سناب) حقًا؟»، فأجاب (لوبين) قائلاً: «لا أحب (سيفيروس) ولا أكرهه»، ثم أضاف عندما رأى على وجه هارى تعبير المتشكك: «لا يا (هارى)، أنا أقول الحق، ربما لن نصبح أبدًا أصدقاء مقربين؛ لأن هناك الكثير من المرارة؛ نتيجة لما حدث بين (جيمس) و(سيريوس) و(سيفيروس) فى الماضى. ولكننى لا أنسى أن (سيفيروس) كان يحضّر لى وصفة نبات «خانق الذئب» كل شهر خلال السنة التى قمت فيها بالتدريس فى (هوجوورتس)، وكان يعدها بصورة متقنة، فلم يكن علىَّ أن أعانى ما أعانيه عادةً وقت اكتمال البدر».

قال(هارى) بغضب: «ولكن لسانه زل «مصادفة» وعرف الناس أنك مستذئب، واضطررتَ أن تترك المدرسة!».

هز (لوبين) كتفيه بلامبالاة، ثم قال: «كان الخبر سيتسرب فى كل الأحوال. وكلانا يعلم أنه كان يريد وظيفتى، ولكنه كان يمكن أن يُلحق بى ضررًا أشد لو تلاعب بالوصفة. ويجب أن أكون شاكرًا له، لأنه أبقانى سليمًا».

قال (هارى): «لعله لم يجرؤ على التلاعب بالوصفة بينما (دمبلدور) يراقبه!».

قال (لوبين) بابتسامة باهتة: «أنت مصمم على بغضه يا (هارى)، وأنا متفهم؛ فقد ورثت ذلك التحامل القديم عن أبيك (جيمس) وأبيك الروحى (سيريوس). على أية حال، أبلغ (دمبلدور) بأية صورة ممكنة بما قلته لى ولـ(آرثر)، ولكن لا تنتظر منه أن يشاركك رأيك فى الموضوع، بل لا تتوقع منه أن يفاجأ بما تقول له، فمن الممكن أن يكون (سيفيروس) قد استجوب (دراكو) بأوامر من (دمبلدور)».

« ... والآن مـــزقـــتـــه إربَـــا
ســأشــكــرك إن مــزقــتــه إربَـــا!»

انتهت (سيلستينا) من أغنيتها بنغمة طويلة جدًّا ومرتفعة وبتصفيق حاد علا من المذياع وشاركت فيه السيدة (ويسلى) بحماس.

قالت (فلور) بصوت عال: «هل انتهت؟ الشكر للرب، يالها من رهيبة!».

سأل السيد (ويسلى) بصوت عال: «هل لنا فى كأس شراب قبل النوم إذن؟»، ثم وثب على قدميه قائلاً: «من يريد شراب البيض؟».

وبينما انطلق السيد (ويسلى) ليأتى بشراب البيض وتمطى الآخرون وشرعوا فى الحديث، سأل (هارى) (لوبين): «فيم انشغالك هذه الأيام؟»

قال (لوبين): «آه، كنتُ تحت الأرض، بالمعنى الحرفى للكلمة تقريبًا؛ وهذا هو السبب فى أنى لم أتمكن من مراسلتك يا (هارى)؛ فإرسال الرسائل إليك كان يمكن أن يكشف حقيقة أمرى».

«ماذا تقصد؟».

قال (لوبين): «كنتُ أعيش وسط رفاقى، أقرانى». وإزاء نظرة (هارى) التى تنم عن عدم الفهم أضاف: «المستذئبون كلهم تقريبًا فى صف (فولدمورت). كان (دمبلدور) يريد جاسوسًا بينهم، ومَن أنسب منى لمثل هذه المهمة».

بدا فى صوته بعض المرارة، وربما أدرك ذلك؛ فقد ابتسم ابتسامة أكثر دفئًا وهو يواصل حديثه: «أنا لا أشكو؛ فهو عمل ضرورى ومن ذا الذى يؤديه أفضل منى؟ ومع ذلك كان من الصعب أن أكسب ثقتهم لما يبدو علىَّ من أمارات لا تخطئها العين أنى حاولتُ أن أحيا وسط السحرة، بينما يجتنبون هم المجتمع السوى ليعيشوا على الهامش، ويسرقون ـ وأحيانًا يقتلون ـ ليقتاتوا».

«ولمَ يحبون (فولدمورت)؟».

فأجاب (لوبين): «يعتقدون أن حياتهم ستكون أفضل تحت حكمه، ومن الصعب مناقشة (جريباك) هناك...».

«ومن هو (جريباك)؟».

فأجاب (لوبين) وقد تشابكت يداه فى حِجره بحركة تشنجية: «ألم تسمع عنه؟ (فنرير جريباك) لعله أكثر المستذئبين الأحياء توحشًا هذه الأيام؛ فهو يعتبِر عض أكبر عدد ممكن من الناس وتحويلهم إلى مستذئبين رسالته فى الحياة؛ يريد أن يوجد من المستذئبين ما يكفى؛ للتغلب على السحرة، وقد وعده (فولدمورت) بغنيمة مقابل خدماته. (جريباك) متخصص فى الأطفال؛ فهو يقول: عُضهم صغارًا، ثم نشّأهم بعيدًا عن أبويهم، وربَّاهم على كُره السحرة العاديين. وقد هدد (فولدمورت) بأن يطلقه على أبناء الناس وبناتهم؛ وهو تهديد يسفر عادةً عن نتائج طيبة».

توقف (لوبين) برهة، ثم قال «جريباك هو الذى عضنى».

قال (هارى) مندهشًا: «ماذا؟ متى؟ تقصد عندما كنتَ طفلاً؟».

«نعم. كان أبى قد ضايقه. وظللت لفترة طويلة لا أعرف هوية المستذئب الذى هاجمنى، بل إننى أحسست بالشفقة عليه؛ اعتقادًا منى أنه لم يتحكم فى نفسه، وكنت وقتها قد أدركت كيف يكون إحساس المرء حين يتحول؛ لكن (جريباك) مختلف.

فحين يكتمل البدر يكمن بالقرب من ضحاياه؛ ليضمن أن يكون قريبًا منهم بما يكفى ليضرب ضربته؛ فهو يخطط للأمر برمته، وهذا هو الرجل الذى يستعين به (فولدمورت) فى قيادة المستذئبين. ولا أستطيع أن أتظاهر بأن أسلوبى الخاص فى الإقناع يحقق كثيرًا من التقدم ضد إصرار (جريباك) على أننا ـ معشر المستذئبين ـ نستحق الدم، وأننا ينبغى أن نثأر لأنفسنا من الأسوياء».

قال (هارى) بغيظ: «ولكنك سوىٌّ! كل ما هنالك أن لديك مشكلة».

فانفجر (لوبين) فى الضحك.

«أحيانًا ما تذكّرنى كثيرًا بـ(جيمس). كان يسميها «مشكلتى الصغيرة ذات الفراء» عندما يكون معنا شخص غريب. وكان كثير من الناس يتصورون أن لدىَّ أرنبًا سيئ الطباع».

وتناول كوبًا من شراب البيض من السيد (ويسلى) شاكرًا إياه وقد بدا أكثر ابتهاجًا بعض الشىء. وأحس (هارى) فى الوقت نفسه بفورة من الإثارة؛ فهذه الإشارة الأخيرة إلى أبيه ذكّرته بأن هناك شيئًا كان يتطلع لسؤال (لوبين) عنه.

«هل سمعتَ من قبل عن شخص يدعى (الأمير الهجين؟)».

«من؟».

قال (هارى) وهو يرقبه عن كثب؛ بحثًا عن أمارات تظهر معرفته به: «الأمير الهجين».

قال (لوبين) مبتسمًا: «ليس هناك أمراء بين السحرة. هل هذا لقب تفكر فى اتخاذه لنفسك؟ كنتُ أظن أن لقب (المختار) سيكون كافيًا لك».

قال (هارى) ممتعضًا: «هذا شىء لا صلة له بى! «الأمير الهجين» شخص كان يدرس فى (هوجوورتس)، عندى كتاب قديم لمادة «الوصفات» يخصه، وقد كتبَ تعاويذ فى كل موضع فيه؛ تعاويذ من ابتكاره، وكانت إحداها تعويذة «ليفيكوربوس».

قال (لوبين) مستعيدًا ذكرياته: «آه، هذه التعويذة كانت «موضة» عندما كنت أدرس فى (هوجوورتس). مرت بضعة أشهر خلال عامى الخامس، كان المرء يجد فيها نفسه معلقًا من كاحله فى الهواء فجأة وغير قادر على التحرك».

قال (هارى): «أبى استخدمها، رأيته فى «البنسيف»، وهو يستخدمها ضد (سناب)».

كان يحاول أن يبدو غير مبالٍ، كأن هذا كان تعليقًا عاديًا ليست له أهمية فعلية، ولكنه لم يكن واثقًا من أنه ترك الأثر المطلوب؛ إذ كانت ابتسامة (لوبين) تنم عن فهم أوضح من أن يخفَى.

قال (لوبين): «نعم، ولكنه لم يكن الوحيد؛ فقد كانت التعويذة شائعة جدًا كما قلت.. أنت تعلم كيف تظهر هذه التعاويذ وتختفى...».

واصل (هارى) إصراره: «ولكن يبدو أنها ابتكرت عندما كنتم فى المدرسة».

قال (لوبين) «ليس بالضرورة، فالتعاويذ تصبح «موضة» ثم تنتهى مثل كل شىء»، ونظر فى وجه (هارى) ثم قال بهدوء: «كان (جيمس) من ذوى الدم النقى يا (هارى)، ولم يحدث أن طلب منا قط أن نناديه بلقب (الأمير)..».

تخلى (هارى) عن تظاهره وقال: «ولم يكن (سيريوس) ولا أنت؟»

«بالطبع لا».

حدق (هارى) إلى النار قائلاً: «آه، فكّرتُ فقط.. حسنا، لقد ساعدنى كثيرًا فى دروس «الوصفات»؛ أعنى الأمير».

«كم عمر هذا الكتاب يا (هارى)؟».

«لا أدرى، لم أتحقق قط».

قال (لوبين): «حسنًا، هذا سيعطيك مؤشرًا عن وقت وجود الأمير فى (هوجوورتس)».

وبعد قليل، قررت (فلور) أن تحاكى (سيلستينا) فى غنائها «مرجل مليء بحب قوى متقد»، وهو ما اعتبره الجميع – بمجرد أن لمحوا تعبير وجه السيدة (ويسلى) – إشارةً بأن موعد الذهاب إلى الفراش قد حان. فصعد (هارى) و(رون) إلى حجرة نوم (رون) بالطابق الأخير بالمنزل حيث أضيف إليها سرير صغير نقال من أجل (هارى).

راح (رون) فى النوم على الفور، أما (هارى) فقد فتح صندوقه وجذب منه نسخته من كتاب (تحضير الوصفات السحرية: المستوى المتقدم) قبل أن يدخل إلى فراشه، وأخذ يقلب فى صفحات الكتاب باحثًا حتى عثر فى مقدمته على التاريخ الذى صدر فيه الكتاب. كان عمره خمسين سنة تقريبًا، لم يكن أبوه ولا أصدقاء أبيه فى (هوجوورتس) منذ خمسين سنة. فألقى (هارى) الكتاب فى الصندوق مرة أخرى وقد انتابه شعور بالإحباط، وأطفأ المصباح وتقلب وهو يفكر فى المستذئبين وفى (سناب) و(ستان شونبيك) و«الأمير الهجين». وفى النهاية، راح فى نوم مضطرب يغص بظلال زاحفة وصرخات أطفال معضوضين..

«لابد أنها تمزح...».

استيقظ (هارى) مفزوعًا ليجد جوربًا منتفخًا مستقرًّا على طرف سريره، فوضع نظارته على عينيه وتلفت حوله.. كانت النافذة الصغيرة تكاد تختفى تمامًا وراء الثلج وأمامها كان (رون) جالسًا فى سريره منتصبًا وهو يتفحص ذاهلاً ما بدا وكأنه سلسلة ذهبية سميكة.

سأله (هارى): «ما هذا؟».

قال (رون) بنبرة المشمئز: «إنها من (لافيندر). لا يمكنها أن تظن حقًّا أننى قد أرتدى...».

ألقى (هارى) نظرة عن كثب على السلسلة؛ كانت تتدلى منها أحرف كبيرة ذهبية تمثل كلمة «حبيبتى» فأخذ يضحك.

وقال: «لطيفة، أنيقة. يجب عليك بلا شك أن ترتديها أمام (فريد) و(جورج)».

قال (رون) وهو يخفى السلسلة عن الأعين تحت وسادته: «لو أخبرتهما ســ...ســ...».

قال (هارى) وهو يبتسم: «لماذا تتهته؟ دعك من هذا، أتعتقد حقًا أنى قد أفعل ذلك؟».

تساءل (رون) وهو يحدق إلى الفراغ وقد بدا عليه أثر الصدمة: «ولكن كيف خطر لها أننى سأعجب بشىء كهذا؟».

قال (هارى): «حسنا، عد بتفكيرك إلى الوراء، هل حدث أن زل لسانك ذات مرة بأنك تود أن تخرج على الملأ حاملاً كلمة « **حبيبتى** » حول رقبتك؟».

قال (رون): «حسنا، نحن لا نتحدث كثيرًا فى الحقيقة، مجرد...».

قال (هارى): «قُبلات».

قال (رون): «حسنًا، نعم»، وتردد للحظة ثم قال: «هل تخرج (هرميون) حقًا مع (ماكلاجين)؟».

قال (هارى): «لا أدرى، كانا معًا فى حفل (سلجهورن)، ولكننى لا أظن أن الأمور سارت على ما يرام إلى هذا الحد».

بدا (رون) أكثر ابتهاجًا بقليل وهو يُدخل يده ليبحث على عمق أكبر فى جوربه.

شملت هدايا (هارى) سترة، على مقدمتها تطريز ذهبى كبير، صنعتها السيدة (ويسلى) يدويًا، وصندوقًا كبيرًا من منتجات محل (ويسلى ويزرد ويزيس) من التوءمين، ولفة رطبة إلى حد ما تفوح منها رائحة الغبار عليها بطاقة جاء فيها: «إلى الأستاذ، من (كريتشر)».

حدق (هارى) إليها ثم تساءل: «هل تظن أن هناك أى خطورة فى فتحها؟».

أجاب (رون) بينما ظل يرمق الطرد بارتياب: «لا يمكن أن يكون شيئًا خطيرًا، فبريدنا كله لا يزال خاضعًا للتفتيش من قِبل الوزارة».

سأله (هارى) وهو ينخس الطرد فى حذر: «لم أفكر فى تقديم أى شىء لـ(كريتشر)! هل الناس فى العادة يعطون الجنى المنزلى هدايا عيد الميلاد؟».

قال (رون): «(هرميون) قد تفعل، ولكن دعنا ننتظر لنرى ما هى قبل أن تبدأ فى الشعور بالذنب».

وبعد برهة، أطلق (هارى) صيحة مدوية وقفز من سريره الصغير؛ فقد كانت العلبة تحوى عددًا كبيرًا من يرقات الديدان.

قال (رون) وهو يقهقه: «لطيف، فكرة مبتكرة جدًّا».

قال (هارى): «أفضل أن آخذها بدلاً من هذه القلادة»؛ مما جعل (رون) يفيق على الفور.

كان الجميع يرتدون سترات جديدة حين جلسوا يتناولون غداء عيد الميلاد، الكل عدا (فلور) - يبدو أن السيدة (ويسلى) بخلت بإحداها عليها - والسيدة (ويسلى) نفسها التى اعتمرت قبعة ساحرة زرقاء داكنة جديدة تتلألأ بما بدا كأنه ماسات صغيرة تشبه النجوم وقلادة ذهبية رائعة.

«أهدانيها كل من (فريد) و(جورج)! أليست جميلة؟».

قال (جورج) وهو يلوح بيده فى الهواء: «حسنًا، يزداد تقديرنا لك يا أمى كل يوم عن سابقه، خاصة بعد أن أصبحنا نغسل جواربنا بأنفسنا الآن. هل تريد الجزر الأبيض يا (ريموس)؟».

قالت (جينى) مبتهجة: «هناك دودة فى شعرك يا (هارى)» ومالت عبر المائدة لتلتقطها؛ أحس (هارى) بقشعريرة فى رقبته لا علاقة لها بالدودة.

قالت (فلور) برجفة خفيفة متكلفة: «آه، رهيب».

قال (رون): «نعم، أليس كذلك؟ أترغبين فى صلصة مرق اللحم يا (فلور)؟».

وفى لهفته لمساعدتها، أطاح بوعاء الصلصة المصنوع على شكل قارب، ولوح (بيل) بعصاه فحلقت الصلصة فى الهواء، ثم عادت بهدوء إلى الوعاء.قالت (فلور) لـ(رون) بعد أن فرغت من تقبيل (بيل) قبلة الشكر: «أنت لا تقل سوءًا عن (تونكس)، فهى دائمًا ما توقع الأشياء».

قالت السيدة (ويسلى) وهى تضع الجزر بقوة لا داعى لها وتحدق إلى (فلور): «لقد دعوتُ العزيزة (تونكس) كى تأتى اليوم، ولكنها لن تأتى.. هل تحدثت إليها مؤخرًا يا (ريموس)؟».

قال (لوبين): «لا، لم أكن على اتصال بأى شخص مؤخرا؛ ولكن (تونكس) لديها أسرة تذهب إليها، أليس كذلك؟».

قالت السيدة (ويسلى) «ربما. ولكن فى الحقيقة لدىَّ انطباع بأنها كانت تخطط لتقضى عيد الميلاد وحدها».

ورمقت (لوبين) بنظرة ساخطة وكأنه السبب فى تزويج ابنها لـ(فلور) بدلاً من (تونكس)، غير أن (هارى) الذى لمح (فلور) وهى تطعم (بيل) قطعًا من لحم الديك الرومى بشوكتها - رأى أن السيدة (ويسلى) كانت تخوض معركة خسرتها منذ أمد بعيد، ولكنه تذكر سؤالاً كان يساوره بخصوص (تونكس)، ومَنْ أفضل من (لوبين) يمكن أن يسأله هذا السؤال؛ ذلك الرجل الذى يعرف كل شىء عن الـ(باتروناس)؟

فقال له: « لقد غير الـ(باتروناس) الخاص بـ(تونكس) شكله. هذا ما قاله (سناب) على أية حال. لم أكن أظن أن هذا يمكن أن يحدث. ما الذى يجعل الـ(باتروناس) الخاص بأحدهم يتغير؟».

تمهل (لوبين) فى مضغ لحم الديك الرومى وبلعه، ثم قال على مهل: «أحيانًا... صدمة كبيرة... اضطراب عاطفى...».

قال (هارى): «كان يبدو ضخمًا، وكانت له أربع أرجل»، ثم خفض صوته وقد أذهلته فكرة مفاجئة وقال: «ولكن لا... لا يمكن أن يكون...».

و فجأة قالت السيدة (ويسلى) وكانت قد نهضت من مقعدها، ويدها تضغط على قلبها وهى تحدق إلى خارج نافذة المطبخ: «آرثر!»، ثم أردفت: «آرثر ـ إنه بيرسى!».

«ماذا؟».

التفت السيد (ويسلى)، ونظر الجميع بسرعة نحو النافذة، وانتصبت (جينى) واقفة حتى تحصل على رؤية أوضح. كان (بيرسى ويسلى) فعلاً يخطو خطوات واسعة عبر الفناء المكسو بالثلج، ونظارته ذات الحواف المدببة تتلألأ فى ضوء الشمس، ولكنه لم يكن بمفرده.

«آرثر، إنه... إنه مع الوزير!».

وبالفعل كان الرجل الذى رآه (هارى) فى «المتنبئ اليومى» يتبع (بيرسى) وهو يعرج قليلاً وقد تناثر الثلج على شعره الرمادى الطويل وعباءته السوداء. وقبل أن يتمكن أحد من الحضور أن يقول شيئًا، أو يتمكن السيد والسيدة (ويسلى) من عمل شىء أكثر من تبادل نظرات الذهول، انفتح الباب الخلفى وظهر (بيرسى) واقفًا على عتبته.

مرت لحظة من الصمت المؤلم، ثم قال (بيرسى) بنبرة جافة قليلاً: «عيد سعيد يا أمى».

قالت السيدة (ويسلى): «آه يا (بيرسى)»، وارتمت بين ذراعيه.

توقف (روفوس سكريمجور) بالمدخل متكئًا على عصاه ومبتسمًا وهو يراقب هذا المشهد المؤثر.

ثم قال حين التفتت إليه السيدة (ويسلى) وهى تبتسم وتمسح عينيها: «لابد أن تغفرى لى هذا التطفل. كنت و(بيرسى) فى الجوار نعمل ولم يستطع أن يقاوم رغبته فى المجىء لرؤيتكم جميعًا».

لكن (بيرسى) لم يبدِ ما ينمُّ عن رغبته فى تحية أى من أفراد العائلة الباقين، ووقف متجمدًا مرتبكًا وأخذ يحدق إلى الفراغ فوق رءوس

الآخرين. وكان السيد (ويسلى) و(فريد) و(جورج) - جميعًا ينظرون إليه بوجوه متجمدة.

ارتبكت السيدة (ويسلى) وأخذت تعدل قبعتها وقالت: «تفضل بالدخول والجلوس أيها الوزير! تناول قطعة من الديك الرومى أو بعض البودنج، أقصد...».

قال (سكريمجور): «لا، لا يا عزيزتى (مولى)، لا أريد أن أتطفل، ما كنت سآتى أصلاً لولا أن (بيرسى) أراد أن يراكم بشدة...»، وخمن (هارى) أنه سأل (بيرسى) عن اسمها قبل أن يدخلا البيت.

قالت السيدة (ويسلى) وعيناها تقطر بالدمع وهى تشب لتقبِّله: «آه يا (بيرسى)!».

واستطرد (سكريمجور) قائلاً: «..جئنا لخمس دقائق فقط، لذلك سأتمشى بالفناء بينما تتحدثين مع (بيرسى). لا، لا.. أؤكد لك أنى لا أريد أن أتدخل! حسنا، لو تكرم أحدكم بأن يرينى حديقتكم الجميلة... آه، ذلك الفتى فرغ من طعامه، لمَ لا يتمشى معى؟».

تغير الجو حول المائدة بصورة محسوسة. نقل الجميع أنظارهم من (سكريمجور) إلى (هارى). لم يبدُ على أحد منهم أنه اقتنع بتظاهر (سكريمجور) بأنه لا يعرف اسم (هارى)، أو وجد اختياره إياه ليرافقه حول الحديقة اختيارًا طبيعيًّا خاصة أن صحون كل من (جينى) و(فلور) و(جورج) كانت خاوية أيضًا.

قطع (هارى) الصمت قائلاً: «نعم، ليكن».

لم ينخدع (هارى) بكل ما قاله (سكريمجور) عن أنهما كانا فى الجوار وأن (بيرسى) أراد أن يرى عائلته، لابد أن هذا هو السبب الحقيقى لمجيئهما؛ أن يتمكن (سكريمجور) من التحدث إلى (هارى) على انفراد.

قال بهدوء وهو يمر بجوار (لوبين) الذى نهض قليلاً من مقعده: «لا بأس»، ثم أضاف عندما همَّ السيد (ويسلى) بالكلام: «لا بأس فعلاً».

قال (سكريمجور): «عظيم!» وتنحى جانبًا؛ ليدع (هارى) يمر عبر الباب أمامه: «سنتمشى قليلاً حول الحديقة، ثم نمضى أنا و(بيرسى). ليواصل الجميع احتفالهم!».

مشى (هارى) عبر الفناء متجهًا إلى حديقة آل ويسلى التى طال نجيلها وكساها الثلج، وكان (سكريمجور) يعرج قليلاً بجانبه. كان (هارى) يعلم أنه تولى يومًا رئاسة مكتب الدفاع ضد السحر الأسود؛ وقد بدا قويًا تظهر عليه آثار المعارك، فكان مختلفًا تمامًا عن (فودج) البدين بقبعته المستديرة.

توقف (سكريمجور) عند سور الحديقة وأخذ ينظر إلى المرج المكسو بالثلج والنباتات التى يصعب تمييز أنواعها فى الخارج وقال: «رائع، رائع».

لم ينبس (هارى) ببنت شفة؛ فقد كان يدرك أن (سكريمجور) يراقبه.

قال (سكريمجور) بعد لحظات: «كنتُ أريد أن ألقاك منذ مدة طويلة، هل تعلم ذلك؟».

قال (هارى) بصدق: «لا».

قال (سكريمجور): «نعم، منذ مدة طويلة. لكن (دمبلدور) كان يخشى عليك للغاية.

وهذا طبيعى بلا شك، طبيعى جدًّا بعد كل ما مررت به.. لا سيَّما ما حدث بالوزارة...».

وانتظر أن يقول (هارى) شيئًا، ولكن (هارى) لم ينطق بكلمة، فاستأنف حديثه قائلاً: «كنتُ أتمنى أن أجد الفرصة لكى أتحدث إليك منذ أن توليت المنصب، لكن (دمبلدور) حال دون ذلك؛ لأسباب مفهومة تمامًا كما قلتُ لك».

ظل (هارى) على صمته منتظرًا.

قال (سكريمجور): «تطايرت الشائعات فى كل مكان! حسنًا، فكلانا يعلم بالطبع كيف تتحرف هذه الحكايات.. كل هذا القيل والقال عن وجود نبوءة.. وعن كونك (المختار)...».

تبادر إلى ذهن (هارى) أنه أخيرًا بدأ يقترب من الموضوع؛ السبب الذى أتى به إلى هنا.

«.. أتوقع أن يكون (دمبلدور) قد ناقش هذه الأمور معك؟».

فكر (هارى) مليًا وتساءل ما إذا كان عليه أن يكذب أم لا؟ نظر إلى آثار أقدام قزم الحديقة الصغير حول أحواض الزهور، والبقعة البالية التى ميزت المكان الذى أمسك فيه (فريد) قزم الحديقة الذى يقف الآن فوق شجرة عيد الميلاد مرتديًا التنورة القصيرة المنتفخة، وفى النهاية أجمع رأيه على قولِ الصدق، أو بعض منه.

«نعم، ناقشناها».

قال (سكريمجور): «ناقشتماها فعلاً..» كان (هارى) يرى بطرف عينه (سكريمجور) وهو ينظر إليه شزرًا؛ لذا فقد تظاهر بالاهتمام الزائد بقزم خرافى أبرز رأسه لتوِّه من تحت زهرة متجمدة.

«وماذا قال لك (دمبلدور) يا (هارى)؟».

قال (هارى): «آسف، فهذا بينى وبينه».

واحتفظ بنبرة صوته لطيفة قدر إمكانه، وكانت نبرة صوت (سكريمجور) خفيفة وودودة أيضًا حين قال: «آه، طبعًا، فهى مسألة ثقة. ما كنت لأطلب منك أن تفشى سرًا.. لا، لا.. وعلى أية حال، هل يهم حقًا إذا كنتَ أنت «المختار» أم لم تكن؟».

كان على (هارى) أن يفكر مليًا فى تلك النقطة لبضع ثوانٍ قبل أن يجيب.

«حقيقةً لا أعلم ما تقصد أيها الوزير».

قال (سكريمجور) وهو يضحك: «حسنًا، الأمر مهم جدًا بالنسبة لك طبعًا، ولكنه بالنسبة للمجتمع السحرى بوجه عام مجرد اعتقاد، أليس كذلك؟ فإن ما يعتقده الناس هو المهم».

لم يقل (هارى) شيئًا؛ فقد بدأ يدرك بصورة مبهمة الهدف من وراء هذا الحديث، ولكنه لن يساعد (سكريمجور) فى الوصول إليه. فأبقى نظره

مثبتًا على قزم الحديقة الذى كان الآن يحفر بحثًا عن الديدان عند جذور الزهرة.

قال (سكريمجور): «الناس تعتقد أنك «المختار»؛ يظنون أنك البطل فعلاً.. وهذا صحيح بالطبع يا (هارى) سواء أكنتَ مختارًا أم لم تكن! كم مرة واجهتَ «الذى لا يجب ذكر اسمه» حتى الآن؟ حسنًا، على أية حال».

وواصل الوزير حديثه دون أن ينتظر ردًا: «المسألة هى أنك رمز الأمل بالنسبة للكثيرين يا (هارى).

وفكرة أن هناك إحدًا قد يستطيع، بل ربما مقدَّر له أن يقضى على «الذى لا يجب ذكر اسمه» تعطى الناس بعض الأمل، ولا يسعنى إلا أن أظن أنك ما إن تدرك ذلك، فقد تعتبر أنه من الواجب عليك تقريبا أن تقف بجانب الوزارة وتعطى الكل دفعة».

كان قزم الحديقة قد تمكن من الإمساك بإحدى الديدان، وكان الآن يجذبها بكل قوة فى محاولاً إخراجها من الأرض المتجمدة، وظل (هارى) صامتا لمدة طويلة حتى قال (سكريمجور) وهو يحول نظره من (هارى) إلى القزم: «فتية صغار مضحكون، أليسوا كذلك؟ ولكن، ما قولك يا (هارى)؟».

قال (هارى) بتؤدة: «أنا لا أفهم بالضبط ما تريد.. «أقف بجانب الوزارة».. ما الذى يعنيه هذا؟».

قال (سكريمجور): «آه، حسنًا، ليس فى الأمر ما يضنيك على الإطلاق، أؤكد لك ذلك. فإذا رآك الناس تتردد على الوزارة من حين لآخر، فإن هذا سيعطى الانطباع المطلوب. وبالطبع فإن ذهابك إلى هناك سيجعل الفرصة سانحة أمامك لتتحدث إلى (جاوين روباردس) خليفتى كرئيس لمكتب الدفاع ضد السحر الأسود. فقد سمعت من (دولوريس أمبردج) أن لديك طموحًا فى أن تصبح مدافعًا ضد السحر الأسود. حسنًا، هذا أمر يمكن تدبيره بسهولة بالغة».

أحس (هارى) بالحنق يفور داخل معدته: إذن مازالت (دولوريس أمبردج) بالوزارة! هل كانت هناك فعلاً؟

فتساءل (هارى) كأنه لا يريد إلا أن يستوضح بضع نقاط فقط: «إذن، أنت تريد إيصال انطباع بأنى أعمل لصالح الوزارة؟».

قال (سكريمجور) وقد بدا على صوته الارتياح أن (هارى) قد أدرك هدفه بهذه السرعة: «اعتقاد الناس أن «المختار» يعمل مع الوزارة؛ سيرفع الروح المعنوية للجميع يا (هارى) كما تعلم.. فالأمر كله متعلق بوصول الأمل إلى الناس وإحساسهم بأن هناك أشياء مثيرة تحدث».

قال (هارى) وهو لايزال يسعى جاهدًا لأن يبقى على نبرة الود فى صوته:

«ولكن لو ظللتُ أتردد على الوزارة، ألن يبدو الأمر كما لو أننى موافق على ما تدبره الوزارة؟».

قال (سكريمجور) وهو مقطب قليلاً: «حسنًا، حسنًا، نعم، هذا جزء مما نود أن...».

قال (هارى) بلطف: «لا، لا أعتقد أن هذا سيجدى نفعًا. فأنا لا تعجبنى بعض أفعال الوزارة؛ كحبس (ستان شونبيك) مثلاً».

توقف (سكريمجور) عن الكلام لبرهة، لكن تعبيراته صارت قاسية على الفور.

ثم قال بصوت لم يفلح مثل (هارى) فى إخفاء نبرة الغضب به: «لم أتوقع منك أن تتفهم ذلك، إننا نمر بفترة بالغة الخطورة، وهناك إجراءات لابد من اتخاذها. إنك مازلت فى السادسة عشرة من عمرك...».

فقال (هارى): «إن عمر(دمبلدور) أكبر كثيرًا من ست عشرة سنة، وهو أيضًا لا يرى أن (ستان) ينبغى أن يكون فى (أزكابان). أنت تتخذ من (ستان) كبش فداء، تمامًا مثلما تريد أن تجعلنى تعويذة حظ».

نظر كل منهما إلى الآخر نظرات طويلة وقاسية. وفى النهاية، قال (سكريمجور) دون تظاهر بالدفء: «فهمتُ، أنت تفضل - كبطلك (دمبلدور) - أن تنأى بنفسك عن الوزارة؟».

قال (هارى): «أنا لا أريد أن يستغلنى أحد».

«قد يقول البعض إن من واجبك أن تستغلك الوزارة!».

قال (هارى) وقد انفعل الآن: «نعم، وقد يقول آخرون إن من واجبك أن تتحقق من أن الناس من (آكلى الموت) فعلاً قبل أن تزج بهم فى السجن؛ إنك تكرر نفس ما فعله (بارتى كراوتش). إنكم لا تتعظون أبدًا أيها الناس، أليس كذلك؟ فأمامنا إما (فودج) الذى كان يتظاهر بأن كل شيء على خير ما يرام بينما يُقتل الناس أمام ناظريه، أو أنت يا من تلقى بالأبرياء فى السجن وتتظاهر بأن «المختار» يعمل لصالحك!».

قال (سكريمجور): «إذن، فلستَ أنت المختار؟».

قال (هارى) بضحكة مشبعة بالمرارة: «ألم تقل إن هذا لا يهم؟ ليس مهمًا بالنسبة لك على أية حال؟».

قال (سكريمجور) بسرعة: «ما كان ينبغى أن أقول ذلك. كانت قلة لباقة منى...».

قال (هارى): «لا، بل كان صدقًا منك. إنها الشيء الصادق الوحيد فيما قلته لى.

أنت لا تبالى إن عشتُ أنا أو متُّ، فكل ما تهتم به هو أن أساعدك فى إقناع الجميع بأنك منتصر فى الحرب على (فولدمورت). أنا لم أنسَ أيها الوزير...».

ورفع قبضته اليمنى، فبدت على ظهر يده الباردة ندب بيضاء لامعة؛ تلك الندب التى أرغمته (دولوريس أمبردج) على نقشها فى لحمه ونصها: (يجب ألا أكذب).

«أنا لا أذكر أنك هُرعتَ للدفاع عنى حينما كنتُ أحاول أن أقول للجميع إن (فولدمورت) عاد من جديد. لم تكن الوزارة حريصة على صداقتى السنة الماضية».

ووقفا فى صمت متجمديْن كذلك الجليد الذى يغطى الأرض تحت أقدامهما. وكان القزم قد نجح أخيرًا فى استخلاص دودته وطفق يمتصها فى سعادة وهو متكئ على الأغصان السفلية من أجمة الزهور.

قال (سكريمجور) بفظاظة: «ما الذى يخطط له (دمبلدور)؟ أين يذهب حين يغيب عن (هوجوِورتس)؟».

قال (هارى): «لا أدرى».

قال (سكريمجور): «وما كنتَ لتخبرنى لو كنتَ تدرى، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «بلى، ما كنتُ لأخبرك».

«حسنا إذن، سأرى ما إذا كنتُ سأتمكن من أن أعرف بوسيلة أخرى».

قال (هارى) بلامبالاة: «يمكنك أن تحاول، ولكنك تبدو أذكى من (فودج)، وكنت أظن أنك تعلمتَ من أخطائه؛ فقد حاول التدخل فى شئون(هوجوورتس)، ولعلك لاحظت أنه لم يعد وزيرًا، بينما (دمبلدور) لا يزال ناظر المدرسة. لو كنتُ مكانك لتركت (دمبلدور) وشأنه».

وساد صمت طويل.

ثم قال (سكريمجور) وقد بدت عيناه باردتين وقاسيتين من وراء نظارته مدببة الحواف: «حسنًا، من الواضح لى أنه أتقن عمله معك؛ فأنت رجل (دمبلدور) على طول الخط، أليس كذلك يا (بوتر)؟».

قال (هارى): «بلى، أنا كذلك. وكم يسعدنى أننا حسمنا تلك المسألة».

ثم أدار ظهره لوزير السحر، ومشى بخُطا واسعة عائدًا فى اتجاه المنزل.

■ ■ ■

١٧ ذاكرة كسول

بعد بضعة أيام من بداية السنة الجديدة، اصطف كل من (هارى) و(رون) و(جينى) فى وقت متأخر بعد الظهيرة بجانب مدفأة المطبخ استعدادًا للعودة إلى (هوجوورتس). وكانت الوزارة قد رتبت هذا الاتصال الذى يتم لمُرة واحدة مع شبكة (فلو) لإعادة الطلاب بسرعة وأمان إلى المدرسة. ولم يكن موجودًا لوداعهم سوى السيدة (ويسلى)؛ حيث كان السيد (ويسلى) و(فريد) و(جورج) و(بيل) و(فلور) جميعًا فى أعمالهم.. وانسابت دموع السيدة (ويسلى) فى لحظة الفراق. والحقيقة أنها لم تجد صعوبة فى ذرفها فى الآونة الأخيرة؛ إذ كانت دائمة البكاء منذ اندفع (بيرسى) خارجًا من البيت فى يوم عيد الميلاد وقد تناثر الجزر الأبيض المهروس على نظارته (وهو ما تباهى (فريد) و(جورج) و(جينى) جميعًا بعمله).

قالت (جينى) وهى تربت على ظهر السيدة (ويسلى) التى كانت تنشج بالبكاء على كتفها: «لا تبكى يا أمى، كل شىء على ما يرام...».

وقال (رون) وقد ترك أمه تطبع قبلة مبللة على وجنته: «نعم، لا تقلقى علينا، ولا على (بيرسى). إنه ولد أحمق، ولا يمثل أى خسارة حقيقية فعلاً».

وزاد نشيج السيدة (ويسلى) عن ذى قبل عندما ضمت (هارى) بين ذراعيها، وقالت: «عدنى بأن تهتم بنفسك، وتتجنب المتاعب».

قال (هارى): «أنا دائمًا أفعل ذلك؛ فأنا أحب الحياة الهادئة.. أنتِ تعرفيننى».

فأطلقت ضحكة خافتة مبللة، ثم تراجعت إلى الوراء.

«إذن، كونوا فى خير حال، كلكم...».

دخل (هارى) إلى النار الزمردية وصاح: «(هوجووورتس)!». ولمح مشهدًا أخيرًا عابرًا لمطبخ آل (ويسلى) ووجه السيدة (ويسلى) المبلل بالدموع قبل أن تبتلعه النيران ويبدأ فى الدوران بسرعة كبيرة.. وأثناء ذلك، كان يرى لمحات خاطفة مشوشة لغرف أخرى فى بيوت السحرة كانت تختفى قبل أن يتمكن من إلقاء نظرة كاملة عليها؛ ثم أخذ يبطئ، وأخيرًا توقف فجأةٍ فى المدفأة بمكتب الأستاذة (ماكجونجال) التى رفعت رأسها بالكاد عن عملها وألقت عليه نظرة خاطفة وهو يتسلق قضبان المدفأة.

«مساء الخير يا (بوتر). حاول ألا تنثر الكثير من الرماد على البساط».

«لا تقلقى يا أستاذة».

عدَّل (هارى) نظارته وسوَّى شعره، بينما ظهر (رون) وهو يدور بسرعة. وعندما وصلت (جينى) احتشد ثلاثتهم خارجين من مكتب (ماكجونجال) وانطلقوا إلى برج (جريفندور). ألقى (هارى) نظرة خاطفة خارج نوافذ الدهليز وهو يمر بجانبها؛ كانت الشمس تغوص بالفعل خلف أراضٍ غطتها طبقة من الثلج أكثر سمكًا من تلك التى كانت تغطى حديقة (الجحر). وعلى البعد، تمكن من رؤية (هاجريد) يُطعم (باك بيك) أمام كوخه.

قال (رون) بثقة حين وصلوا إلى السيدة البدينة التى بدت أكثر شحوبًا من المعتاد وجفلت عند سماع صوته المرتفع: «دُمى».

قالت: «لا».

«ماذا تقصدين بـ«لا»؟».

قالت: «هناك كلمة مرور جديدة، ولا تصرخ من فضلك».

«لكننا كنا غائبين، كيف لنا أن...؟».

«(هـاری)! (جینی)!».

كانت (هرميون) قادمة بسرعة نحوهم بوجه محمر مرتدية عباءة وقبعة وقفازين، قالت وهى تلهث: «عدتُ منذ ساعتين، ونزلتُ لتوِّى لزيارة (هاجريد) و(باك) ـ أقصد (ويذروينجز). هل قضيتم عيد ميلاد سعيدًا؟».

قال (رون) على الفور: «نعم، ملىء بالأحداث، روفوس سكريم».

قالت (هرميون) دون أن تنظر إلى (رون) أو تبدى ما يدل على أنها سمعته: «لدىَّ شىء لكِ يا (هارى). آه، انتظر، كلمة المرور «امتناع عن الحلوى».

قالت السيدة البدينة بصوت واهن: «تمامًا»، وتأرجحت إلى الأمام لتكشف عن ثقب اللوحة.

سأل (هارى): «ما الذى أصابها؟».

قالت (هرميون) وهى تدير عينيها وتتقدم المسير إلى داخل الغرفة العامة المكتظة: «أفرطت فى الشراب ليلة عيد الميلاد على ما يبدو.. هى وصديقتها (فيوليت) تجرعتا كل النبيذ الذى كان فى صورة الرهبان السكارى بأسفل، بجوار دهليز التعاويذ. على أية حال...».

وأخذت تفتش فى جيبها للحظة، ثم أخرجت منه رقعة جلدية ملفوفة عليها خط (دمبلدور).

قال (هارى) وهو يفضها على الفور ليكتشف أن موعد درسه التالى مع (دمبلدور) قد تحدد الليلة التالية: «عظيم... لدىَّ الكثير لأقصه عليه.. وعليك أيضًا.. لنجلس».

ولكن فى تلك اللحظة انطلقت صيحة طويلة مدوية (وون... وون!) وجاءت (لافيندر براون) مندفعة فجأة وارتمت بين ذراعى (رون). حاول العديد من الحضور كبت ضحكاتهم، وأطلقت (هرميون) ضحكة رنانة وقالت: «توجد طاولة هنا.. هل أنتِ آتية يا (جينى)؟».

قالت (جينى): «لا، شكرًا، لقد أخبرت (دين) أننى سأقابله». لكن (هارى) لم يملك إلا أن يلاحظ أنها لم تكن متحمسة كثيرًا، فاصطحب (هارى) (هرميون) إلى الطاولة الخالية تاركًا كلاً من (رون) و(لافيندر) مشتبكيْن فيما يشبه مباراة مصارعة رأسية.

تساءل (هارى): «كيف قضيتِ عيد الميلاد إذن؟».

هزت (هرميون) كتفيها بلا مبالاة وقالت: «آه، بخير. ولكنه لم يكن مميزًا. كيف كان الحال فى منزل (وون... وون)؟».

قال (هارى): «سأقول لك حالاً، ولكن اسمعى يا (هرميون)، ألا يمكنك...؟».

قالت بصراحة: « لا، لا أستطيع. فلا تطلب».

«اعتقدت أنه ربما، تعرفين، خلال عيد الميلاد».

«السيدة البدينة هى التى تجرعت برميلاً من النبيذ عمره خمسمائة سنة يا (هارى) وليس أنا. ولكن ما الخبر المهم الذى أردتَ أن تخبرنى به؟».

بدت (هرميون) أشرس من أن تُجادَل فى تلك اللحظة، فنحَّى (هارى) موضوع (رون) وحكى لها كل ما سمعه من حديث بين (مالفوى) و(سناب).

وعندما فرغ، جلست (هرميون) تفكر للحظة ثم قالت: «ألا تظن...؟».

«...أنه كان يتظاهر بعرض المساعدة؛ حتى يتمكن من خداع (مالفوى) ليخبره بما يعمل؟».

قالت (هرميون): «حسنا، نعم».

قال (هارى) متذمرًا: «والد (رون) و(لوبين) يعتقدان ذلك أيضًا، لكن هذا يثبت دون شك أن (مالفوى) يدبر أمرًا، لا يسعك أن تنكرى ذلك».

أجابت على مهل: «لا، لا يسعنى».

«وهو يتصرف بناء على أوامر (فولدمورت)، كما سبق وقلتُ لكم!».

«إمممم.. وهل ذكر أى منهما اسم (فولدمورت) فعلاً؟».

قطب (هارى) جبينه؛ محاولاً أن يتذكر.

«لستُ متأكدًا.. المؤكد هو أن (سناب) قال: «سيدك»، ومن عساه أن يكون غيره؟».

قالت (هرميون) وهى تعض شفتها: «لا أعرف، ربما أبوه؟».

وحدقت عبر الغرفة وغاصت فى التفكير بصورة واضحة حتى إنها لم تلاحظ (لافيندر) وهى تدغدغ (رون) ثم سألت: «كيف حال (لوبين)؟».

قال (هارى): «ليس فى أحسن حال»، وأخبرها بكل شىء عن مهمة (لوبين) وسط المستذئبين والمصاعب التى كان يواجهها. «هل سمعت بهذا الـ(فنرير جريباك)؟».

قالت (هرميون) برهبة: «نعم، سمعت، وكذلك أنت يا (هارى) سمعت به؟!».

«أين فى مادة تاريخ السحر! أنتِ تعرفين جيدًا أننى لا أصغى أبدًا إلى...».

قالت (هرميون): «لا، لا، ليس فى تاريخ السحر.. (مالفوى) هدد (بورجين) به فى حارة (نكتورن)! ألا تتذكر؟ أبلغ (بورجين) أن (جريباك) كان صديقًا قديمًا للعائلة وأنه سيتابع تقدم (بورجين)!».

حدق (هارى) إليها مشدوهًا، ثم قال: «لقد نسيتُ! لكن هذا يثبت أن (مالفوى) من (آكلى الموت)، وإلا كيف يكون على اتصال بـ(جريباك) ويقول له ما عليه أن يفعل؟».

زفرت (هرميون) وقالت: «هذا أمر مريب للغاية ما لم...».

فقاطعها (هارى) ساخطًا: «دعك من ذلك! لا يمكنكِ أن تبررى هذا!».

«حسنا، هناك احتمال أنه كان مجرد تهديد أجوف».

قال (هارى) وهو يهز رأسه: «لا أصدق أنك تقولين هذا، سنرى أينا على حق.. ستتراجعين عما قلتِ يا (هرميون)، تمامًا كما فعلت الوزارة. نعم، لقد كان لى موقف صعب مع (روفوس سكريمجور) أيضًا...».

ومرت بقية الليلة بشكل ودى وكلاهما ينال من وزير السحر؛ إذ كانت (هرميون) ترى مثل(رون) أنهم يتحلون بدرجة عالية من الوقاحة فى الوزارة؛ إذ يعودون لطلب العون من (هارى) الآن بعد كل ما سببوه له فى السنة الماضية.

بدأ الفصل الدراسى الجديد فى الصباح التالى بمفاجأة سارة لطلاب السنة السادسة؛ فقد تم تثبيت لافتة كبيرة على لوحة إعلانات الغرفة العامة أثناء الليل:

دروس فى الانتقال الآنى

لو كنتَ فى السابعة عشرة من عمرك،أو ستبلغ السابعة عشرة قبل أول يوم ٣١ أغسطس فأنت مؤهل لحضور دورة مدتها ١٢ أسبوعا؛ لتعلُّم الانتقال الآنى، يقوم بتدريسها معلم من «وزارة السحر».
من فضلك، سجل اسمك تحت هذا الإعلان إذا كنت ترغب فى الاشتراك.
التكلفة: ١٢ جالونًا.

انضم (هارى) و(رون) للزحام الذى احتشد حول اللافتة لتناوب كتابة الأسماء تحتها. كان (رون) يُخرج ريشته ليسجل اسمه بعد (هرميون) حين تسللت (لافيندر) وراءه ووضعت يديها على عينيه وتغنت قائلة: «خمِّن من أنا يا (وون... وون)؟» التفت (هارى) ليجد (هرميون) تسير ببطء مبتعدة فلحق بها؛ لعدم رغبته فى البقاء مع (رون) و(لافيندر)، ولكنه فوجئ بـ(رون) يلحق بهما على مسافة غير بعيدة وراء ثقب اللوحة وقد احمرت أذناه وبدا عليه السخط، وأسرعت (هرميون) لتسير مع (نيفيل) بدون أن تتفوه بكلمة.

قال (رون) وكانت نبرة صوته تظهر بوضوح تام أن (هارى) ما كان ليذكر ما حدث توًّا: «الانتقال الآنى إذن».

«سيكون أمرًا ممتعًا، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «لا أدرى، لعل الحال يكون أفضل إذا فعلتَ ذلك بنفسك، فأنا لم أستمتع بالتجربة كثيرًا عندما أخذنى (دمبلدور) معه فى هذا المشوار».

قال (رون) وقد بدا عليه القلق: «نسيتُ أنك فعلتَ ذلك من قبل... يستحسن أن أنجح فى الامتحان من المرة الأولى. (فريد) و(جورج) نجحا فيه».

«لكن (شارلى) رسب فيه، أليس كذلك؟».

رفع (رون) ذراعيهِ بعيدًا عن جسمه كالغوريللا وقال: «بلى، لكن (شارلى) أضخم منى؛ ولذلك لم يقم (فريد) و(جورج) بالحديث عن هذا الأمر كثيرًا.. ليس أمام (شارلى) على الأقل...».

«متى يمكن لنا أن ندخل الامتحان الفعلى؟».

«بمجرد أن نبلغ السابعة عشرة.. فى مارس القادم بالنسبة لى!».

«نعم، لكنك لن تتمكن من الانتقال آنيًا هنا، فى القلعة...».

«ليس هذا مهمًا، فالكل سيعرف أننى أستطيع الانتقال آنيًا متى أردت».

لم يكن (رون) الوحيد الذى أثارته فكرة الانتقال الآنى؛ فقد ظل الحديث دائرًا طوال هذا اليوم حول الدروس الوشيكة؛ كان الطلاب يعلقون قدرًا كبيرًا من الأهمية على القدرة على الاختفاء والظهور اختياريًا.

قال (سيموس): «كم سيكون ممتعًا أن نتمكن من..» ثم طقطق أصابعه إيحاءً بالاختفاء، وأضاف: «ابن عمى (فرجوس) يفعل ذلك؛ ليضايقنى فقط، انتظر حتى أتمكن من أن أردها له.. لن يهنأ بلحظة سلام أخرى...».

كان (سيموس) غارقًا فى تخيلاته السعيدة عن الانتقال الآنى حتى أنه نقر عصاه السحرية بحماس زائد قليلاً أثناء حصة مادة التعاويذ فأطلق دفقة قوية من الماء ارتدت من السقف إلى وجه الأستاذ (فليتويك) بدلاً من عمل ينبوع للماء العذب الذى كان هدف الدرس ذلك اليوم.

وبعد أن جفف الأستاذ (فليتويك) نفسه بحركة من عصاه السحرية وفرض على (سيموس) كتابة الجملة «**أنا ساحر ولستُ قردًا يلوح بعصا**» عدة مرات عقابًا له، أحس (سيموس) بشيء من الخجل. فخاطبه (رون) قائلاً: «سبق لـ(هارى) الانتقال آنيًا، دمبـ... أعنى... أخذه شخص ما معه... أثناء انتقاله آنيًا، أتعرف؟».

همس (سيموس) قائلاً: «ماذا؟»، وقرَّب هو و(دين) و(نيفيل) رءوسهم قليلاً؛ ليسمعوا كيف كان شعور (هارى) أثناء تجربة الانتقال الآنى. وظل (هارى) محاصرًا خلال ما بقى من اليوم بطلبات من سائر طلاب السنة السادسة بأن يصف لهم ما شعر به أثناء الانتقال آنيًا. وقد شعروا جميعًا بالرهبة بدلاً من النفور؛ حين وصف لهم كم كان شعورًا غير مريح. وكان لايزال يجيب عن أسئلة مفصلة بخصوص هذا الأمر فى الثامنة إلا عشر دقائق من تلك الليلة؛ حتى اضطر إلى أن يكذب ويقول إنه مضطر لإعادة كتاب للمكتبة؛ حتى يستطيع الإفلات فى الوقت المناسب؛ ليدرك الدرس مع (دمبلدور).

كانت المصابيح مضاءة بمكتب (دمبلدور)، ولوحات نظار المدرسة السابقين تغط برفق فى أطرها، وكان (البنسيف) جاهزًا فوق المكتب مرة أخرى. وكانت يدا (دمبلدور) على كل من جانبيه، ويده اليمنى مسودّة ومحترقة كالعادة. لم يبدُ أنها شفيت على الإطلاق.. وتساءل (هارى) ربما للمرة المائة عما تسبب فى مثل هذه الإصابة الشديدة، ولكنه لم يسأل، فقد قال (دمبلدور) إنه سيعرف فى نهاية المطاف. وكان هناك على أية حال موضوع آخر يود أن يناقشه، ولكن قبل أن يتمكن (هارى) من قول أى شىء عن (سناب) و(مالفوى) تكلم (دمبلدور).

«سمعتُ أنك التقيت بوزير السحر فى إجازة عيد الميلاد».

قال (هارى): «نعم، وهو غير راضٍ تمامًا عنى».

تنهد (دمبلدور) وقال: «لا، فهو غير راضٍ تمامًا عنى أنا أيضًا. يجب أن نحاول ألا نغرق فى أحزاننا يا (هارى)، بل علينا أن نواصل المعركة».

ابتسم (هارى)، قائلاً: «كان يريدنى أن أبلغ المجتمع السحرى بأن الوزارة تؤدى عملها على أكمل وجه».

فابتسم (دمبلدور)، وقال: «كانت هذه فكرة (فودج) أصلاً. فقد كان فى أواخر أيامه فى الوزارة يستميت فى محاولة التشبث بمنصبه. وكان يسعى لمقابلتك على أمل أن تسانده».

قال (هارى) مُغضِبًا «بعد كل ما فعله (فودج) فى السنة الماضية؟ بعد (أمبردج)؟».

«أخبرت (كورنيليوس) باستحالة ذلك، ولكن الفكرة لم تمت بتركه المنصب، ففى غضون ساعات من تعيين (سكريمجور) التقينا وطلب منى أن أرتب لقاء معك...».

قال(هارى) دون تفكير: «هذا إذن هو السبب فى الجدال الذى دار بينكما؟! لقد قرأت عن هذا فى جريدة (المتنبئ اليومى)».

قال (دمبلدور): «جريدة (المتنبئ) ملتزمة بنشر الحقيقة من حين لآخر، ولو عن طريق المصادفة. نعم، كان هذا هو السبب فى جدالنا. حسنا، يبدو أن (روفوس) وجد طريقة للالتقاء بك أخيرًا».

«اتهمنى بأننى رجل (دمبلدور) على طول الخط».

«هذه وقاحة منه».

«قلتُ له إننى هكذا فعلاً».

فغر (دمبلدور) فاه ليتكلم ثم أغلقه مرة أخرى. ومن وراء (هارى) أطلق طائر العنقاء (فاوكس) صيحة موسيقية خفيضة رقيقة. وشعر (هارى) بالحرج الشديد عندما أدرك فجأة أن عينى (دمبلدور) الزرقاوين البراقتين اغرورقتا بالدموع، فحدق إلى ركبتيه بسرعة.. ولكن عندما تكلم (دمبلدور) كان صوته ثابتًا تمامًا:

«لقد تأثرت للغاية يا (هارى)».

قال (هارى) وهو لايزال ينظر إلى ركبتيه: «أراد (سكريمجور) أن يعرف إلى أين تذهب حين تغيب عن (هوجوورتس)».

تكلم (دمبلدور) بصوت المبتهج مما جعل (هارى) يظن أنه لا بأس من أن يعود فيرفع ناظريه: «نعم، فهو شديد الفضول فى هذا الصدد، بل إنه حاول أن يرصد تحركاتى. مسألة مسلّيَة فعلاً. فقد عيّن (دولش) ليتتبعنى. كان أمرًا غير لطيف. كنت قد اضطررتُ لإلقاء تعويذة نحس على (دولش) مرة في الماضى، وقد أقدمتُ على ذلك مرة أخرى وأنا فى غاية الندم».

فسأله (هارى) آملاً الحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع الشائك: «إذن فهم لايزالون يجهلون إلى أين تذهب؟»، لكن (دمبلدور) اكتفى بابتسامة من وراء نظارته هلالية الشكل.

«لا، لا يعرفون، والوقت ليس مناسبًا تمامًا بالنسبة لك أنت أيضًا لكى تعرف.. أرى أن نستأنف دروسنا الآن إن لم يكن ثمة شىء آخر».

قال (هارى): «هناك شىء آخر فى الحقيقة يا سيدى بخصوص (مالفوى) و(سناب)».

«الأستاذ (سناب) يا (هارى)».

«نعم سيدى. لقد سمعتهما أثناء حفل الأستاذ (سلجهورن).. قمت بتتبعهما فى الحقيقة...».

أنصت (دمبلدور) لقصة (هارى) بوجه جامد.. وحين فرغ (هارى) لم يتكلم لبضع لحظات، ثم قال «أشكرك على إبلاغك إياى بكل ذلك يا (هارى)، ولكننى أقترح عليك أن تخرجه من رأسك؛ فلا أظن أنها مسألة على قدر كبير من الأهمية».

ردد (هارى) فى شك: «ليست على قدر كبير من الأهمية؟ أستاذى، هل فهمتَ؟».

قال (دمبلدور) بشىء من الحدة: «نعم يا (هارى)، فمازلتُ أنعم بقوة عقل فائقة كعهدى دائمًا، وقد فهمتُ كل ما قلتَ لى. وأرى أنك يجب أن تضع فى حسبانك احتمال أننى قد أدرك الأمر أكثر منك. ومرة أخرى، أنا سعيد بثقتك بى، ولكن دعنى أؤكد لك من جديد أنك لم تبلغنى بشىء يزعجنى».

جلس (هارى) فى صمت مضطرب يحدق إلى (دمبلدور). ماذا يحدث؟ هل معنى هذا أن (دمبلدور) كان قد أمر (سناب) بالفعل بأن يقف على ما يفعله (مالفوى)، وبذلك يكون قد سمع كل ما أبلغه به (هارى) لتوه من (سناب)، أم تراه إنزعج مما سمع ولكنه يتظاهر بعكس ذلك؟

قال (هارى) بصوت هادئ تعشم أن يكون مهذبًا: «إذن يا سيدى، فأنت بالفعل لاتزال تثق...».

فقال (دمبلدور): «لقد أظهرت من التسامح ما يكفى لإجابة هذا السؤال» لكن نبرة صوته لم تعد تبدو متسامحة، «وإجابتى لم تتغير».

صوت مخادع قال: «لا أظن». لقد بدا واضحًا أن (فينياس نيجيلاس) كان يتظاهر بالنوم؛ فتجاهله (دمبلدور).

«والآن يا (هارى)، أنا مصرٌّ على أن نواصل؛ لدىَّ أشياء أهم أناقشها معك هذا المساء».

جلس (هارى) فى مكانه وهو يشعر بالتمرد؛ ماذا لو رفض تغيير الموضوع، وأصر على مناقشة موضوع (مالفوى)؟ هز (دمبلدور) رأسه كأنه قرأ ما يدور بعقل (هارى).

«آ... (هارى)، كثيرًا ما يحدث ذلك، حتى بين أقرب الأصدقاء! كلٌّ منا يظن أن ما لديه ليقوله أهم من أى شىء لدى غيره!».

قال (هارى) بجفاء: «أنا لا أعتبر ما تريد قوله غير مهم يا سيدى».

قال (دمبلدور) بخفة: «حسنًا، أنت على حق تمامًا، فهو مهم فعلاً. فلدىَّ ذكريان أخريان أود أن أطلعك عليهما هذا المساء، حصلتُ على كلتيهما بصعوبة بالغة، وثانيتهما أهم ما تحصلتُ عليه على ما أعتقد».

لم يقل (هارى) شيئًا ردًا على هذا؛ فقد كان لايزال يشعر بالغضب إزاء الاستقبال الذى لقيه كلامه، ولكنه لم ير فائدة من مواصلة الجدل.

قال (دمبلدور) بصوت رنان: «إذن، نحن نلتقى هذا المساء لنواصل حكاية (توم ريدل) الذى تركناه الدرس الماضى على أعتاب الانخراط فى سنوات الدراسة فى (هوجوورتس).. ستذكر كيف شعر بالإثارة عندما سمع أنه ساحر وأنه رفض رفقتى له فى رحلة إلى حارة (دياجون)، وأنى فى المقابل حذرته من الاستمرار فى السرقة عندما يصل إلى المدرسة».

تابع (دمبلدور) قائلاً: «حسنا، بدأ العام الدراسى الجديد ومعه جاء (توم ريدل)، صبى هادئ يرتدى ثيابًا مستعملة واصطف مع سائر المستجدين بالسنة الأولى حتى يتم تصنيفه. ولم تكد قبعة التصنيف تمس رأسه حتى اتخذ مكانه فى منزل (سليذرين)» ثم لوح بيده المسودّة تجاه الرف فوق رأسه حيث استقرت قبعة التصنيف عتيقة وساكنة. «متى عرف (ريدل) أن المؤسس الشهير للمنزل يستطيع أن يكلم الأفاعى؟ لا أدرى.. ربما فى تلك الليلة نفسها. معرفته بذلك ما كانت إلا لتثير انتباهه وتزيد من شعوره بأهميته».

«على أية حال، لو أنه كان يخيف زملاءه بمنزل (سليذرين) أو يبهرهم بعروض لغة الثعابين فى غرفتهم العامة، فإن أحدًا لم يبلغ أى شىء من ذلك لهيئة الأساتذة، ولم يكن يبدو عليه أى دليل خارجى ينمُّ عن الغطرسة أو العدوانية. وكان من الطبيعى أن يجذب انتباه هيئة الأساتذة وتعاطفهم من لحظة وصوله تقريبًا؛ بسبب موهبته الفريدة ووسامته ويُتمه، وكان يبدو مهذبًا هادئًا ومتعطشًا للمعرفة. وكان الجميع تقريبًا منبهرين به لأقصى حد».

سأله (هارى): «ألم تبلغهم يا سيدى بما كان عليه حين التقيت به بملجأ الأيتام؟».

«بلى، لم أبلغهم. ومع أنه لم تبدُ عليه أيٌّ من أمارات الندم، فلعله كان يشعر بالأسف على تصرفاته السابقة، وعقد العزم على أن يبدأ صفحة جديدة فى حياته، وقد اخترتُ أن أمنحه هذه الفرصة».

توقف (دمبلدور) لبرهة وألقى نظرة متسائلة على (هارى) الذى فتح فمه ليتكلم. فقد كان ما سمعه يُظهر مرة أخرى ميل (دمبلدور) للثقة بالناس على الرغم من وجود أدلة دامغة على أنهم لا يستحقونها! ولكن (هارى) تذكر حينها شيئًا...

«لكنك لم تكن تثق به فعلاً يا سيدى، أليس كذلك؟ فقد قال لى.. أقصد (ريدل) الذى خرج من تلك المفكرة: لم يكن (دمبلدور) يحبنى قدر حب سائر المعلمين لى».

قال (دمبلدور): «دعنا نقول إنى لم أسلم جدلاً بأنه جدير بالثقة. كنتُ كما سبق أن أشرت قد قررتُ أن أبقِى عينى عليه، وكذلك فعلت. ولا أستطيع أن أدَّعى أنى جمعت الكثير من الملاحظات فى بادئ الأمر؛ فقد كان شديد الحذر معى، وأنا على يقين من أنه كان يشعر أنه قال لى أكثر من اللازم فى غمرة حماسه عند اكتشافه لهويته الحقيقية. وكان حريصًا على ألا يكشف كل هذا القدر مرة أخرى، ولكنه لم يتمكن من استرجاع ما تفوَّه به فى غمرة حماسه، ولا ما باحت لى به السيدة (كول). ومع ذلك، كان لديه قدر كاف من الفطنة يجعله لا يحاول أن يفتننى كما فتن العديد من زملائى.

«ومع تقدمه فى السنوات الدراسية، جمع (ريدل) حوله مجموعة من الأصدقاء المخلصين؛ أنا أعتبرهم كذلك لعدم وجود وصف أفضل لهم، غير أن (ريدل) بلا شك - كما سبق أن أشرتُ - لم يشعر بأية عاطفة تجاه أحد منهم. وكان لدى هذه المجموعة نوع من البريق الأسود داخل القلعة. كانوا مجموعة غير متجانسة؛ مزيجًا من الضعفاء الباحثين عن الحماية والطموحين الساعين إلى بعض المجد المشترك والقتلة

المنجذبين إلى زعيم يدلهم على أنماط من القسوة أكثر تفننًا.. بعبارة أخرى؛ كانوا طليعة (آكلى الموت)، وبالفعل أصبح بعضهم النواة الأولى لـ(آكلى الموت) بعد الرحيل عن (هوجوورتس).

«كانوا خاضعين لسيطرة صارمة من (ريدل)؛ لذلك لم يتم اكتشافهم وهم يقترفون الأخطاء علانية قط، على الرغم من أن فترة السنوات السبع التى قضوها فى (هوجوورتس) شهدت بعض الحوادث المزعجة التى لم يثبت تورطهم فيها بصورة قاطعة. وكان أخطر تلك الحوادث بالطبع فتح غرفة الأسرار؛ مما أدى إلى موت فتاة. وقد اتُّهم (هاجريد) خطأً بارتكاب تلك الجريمة كما تعلم.

وضع (دمبلدور) يده الواهنة على (البنسيف) وأضاف: «إلا أننى لم أتمكن من العثور على كثير من ذكريات (ريدل) فى (هوجوورتس). قليل ممن كانوا يعرفونه حينئذٍ مستعدون للحديث عنه، وهم مذعورون أكثر من اللازم. وقد اكتشفتُ ما أعرف عنه بعد أن غادر (هوجوورتس)، بعد كثير من الجهد المُضنى، وتعقب هؤلاء القلة الذين يمكن خداعهم ليبوحوا بما يعرفونه، وبعد البحث فى السجلات القديمة واستجواب شهود من العامَّة والسحرة على السواء.

«ومن أقنعتهم بالكلام أبلغونى أن (ريدل) كان مفتونًا بنسبه. وهذا أمر مفهوم بالطبع؛ فقد نشأ فى ملجأ للأيتام وكان من الطبيعى أن يرغب فى معرفة كيفية وصوله إلى هناك. ويبدو أنه بحث دون طائل عن أثر لـ(توم ريدل) الأب على الدروع فى غرفة التذكارات وفى قوائم رواد الفصول بسجلات المدرسة القديمة، وحتى فى كتب تاريخ السحر. وفى النهاية، اضطر لتقبل فكرة أن أباه لم يخطُ بقدميه فى (هوجوورتس) قط. وأظن أنه حينها تخلَّى عن الاسم للأبد واتخذ هوية (لورد فولدمورت) وشرع فى تحرياته عن أسرة أمه التى كان يحتقرها فيما مضى ـ تلك المرأة التى ستتذكرها ـ والتى كان يظن أن من المستحيل أن تكون ساحرة لاستسلامها للضعف البشرى المخزى المتمثل فى الموت.

«وكـانت المعلومة الوحيدة التى يملكها عنهم هى اسمًا واحدًا: (مارفولو)، كان قد عرف من القائمين على إدارة الملجأ أنه اسم والد أمه. وأخيرًا وبعد بحث مضنٍ فى الكتب القديمة عن عائلات السحرة، اكتشف وجود هذا النسل الباقى من سلالة (سليذرين). وفى صيف هذا العام عندما كان فى السادسة عشرة من عمره، غادر (ريدل) الملجأ الذى ظل يعود إليه كل سنة وانطلق يبحث عن أقربائه من (آل جاونت). والآن يا (هارى)، هلا وقفتَ...».

نهض (دمبلدور) ورأى (هارى) أنه كان مرة أخرى ممسكًا بزجاجة بلّورية صغيرة مملوءة بذاكرة لؤلؤية تدور كالدوامة.

قال وهو يصب محتواها المتلألئ فى (البنسيف): «لقد حالفنى الحظ؛ إذ تمكنت من الحصول على هذه.. ستفهم بعد أن نجربها.. فهل نبدأ؟».

وقف (هارى) بجوار الحوض الحجرى وأحنى رأسه فى طاعة إلى أن غاص وجهه مجتازًا سطح الذاكرة؛ وأحس بذلك الإحساس المألوف بالسقوط فى الفراغ، ثم هبط على أرضية حجرية قذرة فى مكان مظلم تمامًا تقريبًا.

مضت عدة ثوانٍ قبل أن يتعرَّف المكانَ وكان (دمبلدور) قد هبط بجواره حينها.. كان منزل (آل جاونت) وقتئذ أقذر من أى مكان رآه (هارى) من قبل وبصورة لا توصف. كان السقف تكسوه طبقة سميكة من خيوط العنكبوت، والأرضية يغطيها السخام؛ وكان هناك طعام منتن ومتعفن ملقًى على المائدة وسط عدد من القدور الصدئة. كان الضوء الوحيد فى المكان يأتى من شمعة وحيدة ذائبة وضعت عند قدمى رجل طال شعر رأسه ولحيته كثيرًا حتى إن (هارى) لم يتمكن من رؤية عينيه ولا فمه. كان يجلس مسترخيًا فى مقعد ذى ذراعين بجوار المدفأة، وتساءل (هارى) لبرهة عما إذا كان ميتًا. ولكن حينها دوت نقرة مرتفعة على الباب فانتفض الرجل مستيقظًا ورفع عصاه السحرية بيده اليمنى وسكينًا قصيرة بيسراه.

انفتح الباب وله صرير، وعند عتبته وقف صبى ممسكًا بمصباح من الطراز القديم فتعرَّف إليه (هارى) على الفور: كان طويل القامة، شاحب البشرة، داكن الشعر، وسيم الطلعة؛ إنه (فولدمورت) وهو بعد فى سن المراهقة.

جالت عينا (فولدمورت) ببطء فى أرجاء الكوخ ثم استقرتا على الرجل القابع بالكرسى ذى الذراعين. تبادلا النظرات لثوانٍ، ثم ترنح الرجل حتى انتصب واقفًا، فتدحرجت الزجاجات الفارغة العديدة التى كانت عند قدميه على الأرضية وأحدثت رنينًا.

صاح قائلاً: «أنت! أنت!».

فاندفع مترنحًا نحو (ريدل) رافعًا العصا السحرية والسكين عاليًا: «توقف».

تكلم (ريدل) بلغة (الثعابين)؛ فارتطم الرجل بالمائدة مُسقطًا القدور المتعفنة لتتحطم على الأرضية. وحدق إلى (ريدل)، وساد صمت طويل تأمل خلاله كل منهما الآخر حتى قطعه الرجل متسائلاً:

«هل تتكلمها؟».

قال (ريدل): «نعم، أتكلمها». وتقدم إلى داخل الغرفة تاركًا الباب يتأرجح وينغلق وراءه. لم يملك (هارى) إلا أن يحس بإعجاب يشوبه امتعاض إزاء رباطة الجأش المطلقة التى تحلَّى بها (فولدمورت). فلم تحمل ملامح وجهه إلا تعبيرًا مشمئزًا وربما شعورًا بالإحباط.

سأله: «أين (مارفولو)؟».

قال الآخر: «مات... مات منذ سنوات».

قطب (ريدل) جبينه:

«من أنت إذن؟».

«أنا (مورفين)».

«ابن (مارفولو)؟».

«بالطبع...».

أزاح (مورفين) الشعر عن وجهه القذر؛ ليتمكن من رؤية (ريدل) بوضوح، فلاحظ (هارى) أنه كان يرتدى خاتم (مارفولو) المطعَّم بالحجر الأسود فى يمناه.

همس (مورفين) قائلاً: «ظننتُك ذلك (العامىَّ)؛ فأنت تشبه ذلك (العامىَّ) تمامًا».

قال (ريدل) بحدة: «أى (عامىّ)؟».

قال (مورفين): «ذلك الـ(عامىّ) الذى شغف أختى حبًا؛ ذلك الـ(عامىّ) الذى يعيش بالبيت الكبير على الطريق»، ثم بصق بصورة مفاجئة على الأرضية بينهما. «أنت تشبهه تمامًا، تشبه (ريدل)، ولكنه أكبر سنًّا الآن، أليس كذلك؟ أكبر منك، الآن أفكر فيه...».

بدا (مورفين) كمن أصابه الدوار وأخذ يتمايل قليلاً، وكان لا يزال متشبثًا بحافة المائدة يستند إليها.

أضاف بغباء: «لقد عاد، أترى؟».

كان (فولدمورت) يحدق إلى (مورفين) وكأنه يقيِّم إمكاناته، ثم اقترب قليلاً وقال: «(ريدل) عاد؟».

قال (مورفين): «تركها، وهى تستحق ذلك، بعد زواجها من هذا القذر!»، ثم بصق على الأرضية مرة أخرى: «سلبتنا عقولنا قبل أن تهرب! أين المدلاة، ها، أين مدلاة (سليذرين)؟».

لم يجبه (فولدمورت)، وثار غضب (مورفين) من جديد؛ فلوَّح بسكينه وصاح قائلاً: «ألبستْنا ثوب الخزى والعار، تلك الوقحة الصغيرة! ومن أنت حتى تأتى إلى هنا وتسألنى أسئلة عن كل هذا؟ هذا أمر انتهى... انتهى...».

وأشاح بوجهه بعيدًا وترنح قليلاً، وتقدم (فولدمورت) إلى الأمام. وبينما يتقدم ساد ظلام غير طبيعى أطفأ مصباح (فولدمورت) وشمعة (مورفين)، أطفأ كل شىء.

أطبقت أصابع (دمبلدور) بإحكام حول ذراع (هارى) وارتفعا عائدَيْن إلى الحاضر مرة أخرى. وبدا أن الضوء الذهبى الخافت فى مكتب (دمبلدور) قد بهر عينى (هارى) بعد هذا الظلام الدامس والغامض أيضًا.

وعلى الفور، قال (هارى): «أهذا كل شىء؟ لماذا أظلمَت؟ ماذا حدث؟».

قال (دمبلدور) وهو يشير إلى (هارى) بالعودة إلى مقعده: «لأن (مورفين) لم يستطع أن يتذكر أى شىء من تلك النقطة فصاعدًا. فحين استيقظ صباح اليوم التالى كان مستلقيًا على الأرضية بمفرده تمامًا، وكان خاتم (مارفولو) قد اختفى».

فى الوقت نفسه وفى قرية (هانجلتون الصغرى) كانت هناك خادمة تجرى فى الطريق وهى تصرخ معلنة وجود ثلاث جثث ملقاة بقاعة الاستقبال بالبيت الكبير: (توم ريدل) الأب وأمه وأبيه.

«واحتارت سلطات العامَّة - على حد علمى - ولا يعرفون إلى يومنا هذا كيف مات آل (ريدل)، إذ أن لعنة (أفادا كدافرا) لا تترك عادةً أى أثر ظاهر..»، وأضاف (دمبلدور) مع إيماءة من رأسه إلى ندبة (هارى): «وإن كان الاستثناء جالسًا أمامى. وعلى الجانب الآخر، أدركت وزارة السحر من فورها أن هذه الجريمة ارتكبها ساحر. كما عرفوا أن أحد المُدانين سابقًا بكراهية (العامَّة) يعيش فى الجهة الأخرى من الوادى المقابلة لبيت (ريدل)، أحد أعداء (العامَّة) الذى كان قد أودع السجن ذات مرة لمهاجمته أحد القتلى الثلاثة. وهكذا استدعت الوزارة (مورفين). لم يحتاجوا إلى استجوابه أو استخدام الـ(فيريتاسيروم) أو الـ(لجيليمنسى)؛ فقد اعترف بالجريمة على الفور وأعطى تفاصيل ما كان ليعرفها سوى القاتل. وقال إنه فخور بقتله هؤلاء (العامَّة) وإنه كان ينتظر فرصته طوال تلك السنوات. وسلم عصاه السحرية والتى ثبت على الفور أنها استُعملت فى قتل آل (ريدل). وترك نفسه ليُقتاد إلى (أزكابان) دون مقاومة. الشىء الوحيد الذى أزعجه كان اختفاء خاتم أبيه، وقال لآسريه

مرارًا وتكرارًا: «سيقتلنى لفقده؛ سيقتلنى لفقد خاتمه». وكان هذا على ما يبدو كل ما ظل يردده. وعاش بقية عمره فى (أزكابان) ينعى ضياع آخر ما ورث عن (مارفولو) ودفن بجوار السجن جنبًا إلى جنب مع سائر المساكين الذين ماتوا داخل أسواره».

قال (هارى) وهو ينتصب فى جلسته: «إذن، فقد سرق (فولدمورت) عصا (مورفين) السحرية واستعملها؟».

قال (دمبلدور): «هذا صحيح؛ ليس لدينا من الذكريات ما يبين لنا هذا، لكننى أظن أننا يمكن أن نكون على يقين كبير مما حدث؛ فقد صعق (فولدمورت) خاله وأخذ عصاه السحرية وتقدم عبر الوادى نحو (البيت الكبير على الطريق). وهناك قتل الرجل العامى الذى تخلّى عن أمه الساحرة وتخلص أيضًا من جديه من العامَّة، ومحا بذلك آخر نسل (ريدل) التافه وثأر لنفسه من أب لم يكن يريده، ثم عاد إلى كوخ آل (جاونت) وأدى طقس سحرى لزرع ذاكرة زائفة فى ذهن خاله، ووضع عصا (مورفين) السحرية بجانب صاحبها الغائب عن الوعى، واستولى على الخاتم العتيق الذى كان يلبسه ورحل...».

«ولم يدرك (مورفين) قط أنه لم يفعلها!».

قال (دمبلدور): «أبدًا. فقد أدلى باعتراف كامل ومتبجح ـ كما قلت».

«ولكنه ظل يحمل تلك الذاكرة الحقيقية داخله طوال الوقت!».

قال (دمبلدور): «نعم، ولكن احتاج الأمر لقدر كبير من مهارة الـ(لجيليمنسى) لانتزاعها منه بلطف، وما الداعى لأن ينقب أحد أكثر من ذلك فى ذهن (مورفين) فى حين أنه اعترف بالفعل بالجريمة؟ ومع ذلك فقد تمكنتُ من القيام بزيارة لـ(مورفين) فى الأسابيع الأخيرة من حياته كنتُ أسعى من ورائها إلى اكتشاف أكبر قدر ممكن من ماضى (فولدمورت)، وقد استخلصتُ هذه الذاكرة بصعوبة. وعندما رأيتُ ما تحوى حاولتُ أن أستغله لضمان إطلاق سراح (مورفين) من (أزكابان)، ولكن قبل أن تتوصل الوزارة إلى قرار كان (مورفين) قد مات».

فسأل (هاری) بغضب: «ولكن، كيف لَمْ تدرك الوزارة أن (فولدمورت) فعل كل ذلك بـ(مورفين)؟ فقد كان لايزال قاصرًا آنذاك، أليس كذلك؟ كنت أظن أنهم يستطيعون كشف سحر القصَّر!».

«أنت على حق تمامًا.. يستطيعون كشف السحر، ولكن دون الجانى: تتذكر أن الوزارة وجهت إليك اللوم على «تعويذة التأرجح» التى فعلها فى الحقيقة...».

فقال (هارى) متذمرًا؛ فهذا الظلم لايزال يفور فى صدره: «(دوبى)، إذن فالقاصر إذا مارس السحر فى بيت ساحرة أو ساحر بالغ فإن الوزارة لن تعرف؟».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم قليلاً من نظرة السخط البالغ التى ارتسمت على وجه (هارى): «قطعًا لن يتمكنوا من تحديد هوية من مارس السحر؛فهم يعتمدون على الوالدين السحرة فى إلزام أبنائهم بالطاعة وهم لايزالون تحت سقف بيتهم».

فقال (هارى) بنبرة حادة: «حسنًا، هذا هُراء. انظر ماذا حدث هنا، انظر ماذا حدث لـ(مورفين)؟!».

قال (دمبلدور): «أنا أوافقك. مهما كان من أمر (مورفين) فإنه لم يكن يستحق أن يموت ميتة كهذه حاملاً وزر جرائم قتل لم يرتكبها. ولكن الوقت تأخر وأنا أريدك أن ترى هذه الذاكرة الأخرى قبل أن نفترق...».

ثم أخرج (دمبلدور) من جيب داخلى قارورة بلّورية أخرى، فلاذ (هارى) بالصمت على الفور متذكرًا أن (دمبلدور) كان قد قال إنها أهم ما جمع. ولاحظ (هارى) صعوبة تفريغ محتواها فى (البنسيف) كأنه تختثر قليلاً؛ فهل تبددت الذاكرات؟

قال (دمبلدور) بعد أن انتهى أخيرًا من إفراغ القارورة: «لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً. سنعود بأسرع ما يمكن. لندخل (البنسيف) مرة أخرى إذن».

وغاص (هارى) مرة أخرى خلال السطح الفضى وهبط هذه المرة أمام رجل تعرَّف إليه فى الحال.

كان (هوريس سلجهورن) فى مرحلة أصغر كثيرًا من عمره الحالى. كان (هارى) معتادًا رؤيته أصلع، حتى أن منظر (سلجهورن) بشعر كثيف لامع أصفر كان مربكًا بالنسبة له؛ كان يبدو كأنه سقفَ رأسه، ولو أنه كانت هناك بالفعل بقعة صلعاء لامعة فى حجم الجالون فى وسط شعره. وشاربه أقل كثافة مما كان عليه هذه الأيام، وكان أشقر بلون الزنجبيل. لم يكن ممتلئ الجسم تمامًا كما عرفه (هارى)، رغم أن الأزرار الذهبية على سترته الغنية بالتطريز كانت تُظهر قدرًا لا بأس به من ضغط جسمه عليها. وكانت قدماه الصغيرتان ترتكزان على وسادة مخملية، وكان يجلس فى مقعد مريح مجنح وبإحدى يديه كأس نبيذ صغيرة وبالأخرى يفتش فى صندوق به ثمار أناناس متبلورة.

تلفت (هارى) حوله حين ظهر (دمبلدور) بجانبه ورأى أنهما يقفان بمكتب (سلجهورن). وكان هناك ستة صبيان جالسين حول (سلجهورن) فى مقاعد إما أصلب أو أقصر من مقعده، وجميعهم فى أواسط العقد الثانى من أعمارهم. وعلى الفور تعرف (هارى) إلى (ريدل). كان وجهه أكثر الوجوه وسامةً وكان أكثر الصبيان استرخاءً فى جلسته. كانت يده اليمنى ملقاة بلامبالاة على ذراع مقعده، وبلمحة خاطفة رأى (هارى) أنه كان يرتدى خاتم (مارفولو) الذهبى والأسود؛ كان بالفعل قد قتل أباه.

سأل (ريدل): «هل صحيح أن الأستاذ (مريثوت) سيتقاعد يا سيدى؟».

قال (سلجهورن) وهو يحرك إصبعًا يكسوه السكر تجاه (ريدل) معنفًا إياه ولو أنه خفف تأثير تعنيفه بالغمز: «(توم)، (توم)، لو كنتُ أعرف لما استطعتُ أن أخبرك.

لابد أن أقول إنى أود أن أعرف من أين تأتى بمعلوماتك هذه أيها الفتى؛ فأنت تعرف أكثر مما يعرفه نصف أعضاء هيئة التدريس».

فابتسم (ريدل)، وضحك الصبية الآخرون ورمقوه بنظرات إعجاب.

«كم من أمور تعرفها بقدراتك الخارقة وتملقك المنمق لأصحاب الشأن ولا ينبغى لك أن تعرفها.. شكرًا على الأناناس بالمناسبة، أنت على حق تمامًا، فهو المفضل عندى».

وبينما كان الصبية يحاولون كبت ضحكاتهم، حدث شىء فى غاية الغرابة؛ فقد امتلأت الغرفة عن آخرها فجأة بضباب أبيض كثيف حتى إن (هارى) لم يعد يستطيع أن يرى شيئًا سوى وجه (دمبلدور) الذى كان يقف بجانبه، ثم دوى صوت (سلجهورن) عبر الضباب دويًا خارقًا: «ستخطئ أيها الفتى، تذكر كلماتى».

وانقشع الضباب فجأة مثلما ظهر فجأة، ولكنَّ أحدًا لم يبدِ إشارة إلى ذلك، ولم يبدُ على أحد أن شيئًا غير عادى قد حدث للتوِّ. تلفت (هارى) حوله فى ذهول حين دقت ساعة ذهبية صغيرة وُضعت على مكتب (سلجهورن) معلنة الحادية عشرة.

فقال (سلجهورن): «يا إلهى! هل مر الوقت بهذه السرعة؟ يستحسن أن تنصرفوا أيها الفتيان وإلا تعرضنا جميعًا للمتاعب. (ليسترانج)، أريد مقالتك غدًا وإلا فأنت محتجَز. وأنت أيضًا يا (إفرى)».

نهض (سلجهورن) من مقعده وحمل كأسه الفارغة إلى مكتبه، بينما انصرف الفتية جميعًا ماعدا (ريدل). بدا واضحًا لـ(هارى) أنه كان يتلكأ عامدًا حتى يكون آخر الصبية بالغرفة مع (سلجهورن).

استدار (سلجهورن) فرآه موجودًا فقال له: «انتبه يا (توم): لا ينبغى أن تُضبط تاركًا فراشك بعد الموعد المحدد، خاصة أنك رائد الفصل...».

«أردتُ أن أسألك عن شىء يا سيدى».

«سل إذن يا ولدى، اطرح سؤالك...».

«كنت أتساءل: ماذا تعرف عن... عن الـ(هوركروكس) يا سيدى؟».

وحدث ما حدث مرة أخرى: ملأ الضباب الكثيف الغرفة حتى إن (هارى) لم يستطع أن يرى (سلجهورن) أو (ريدل) على الإطلاق؛ لم ير أحدًا سوى (دمبلدور) وهو يبتسم فى صفاء بجانبه، ثم دوى صوت (سلجهورن) مرة أخرى تمامًا مثلما دوى فى المرة السابقة.

«أنا لا أدرى شيئًا عن الـ(هوركروكس) وما كنتُ سأخبرك لو كنتُ أعلم! والآن اخرج من هنا على الفور وإياك أن أسمعك تتكلم عن هذا مرة أخرى!».

قال (دمبلدور) بهدوء وهو واقف بجانب (هارى): «حسنًا، انتهى الأمر.. آن أوان الرحيل».

وارتفعت قدما (هارى) عن الأرضية لتهبط بعد ثوانٍ على البساط المفروش أمام مكتب (دمبلدور).

سأل (هارى) متحيرًا: «أهذا كل ما هنالك؟».

كان (دمبلدور) قد قال إن هذه أهم ذاكرة بين الذاكرات، ولكن (هارى) لم يدرك ما المهم فيها. صحيح، إن الضباب وعدم ملاحظة أحد لوجوده كان شيئًا غريبًا، ولكن عدا ذلك لم يحدث شيء سوى أن (ريدل) كان يطرح سؤالاً وأخفق فى الحصول على جواب.

قال (دمبلدور) وهو يعود للجلوس وراء مكتبه: «هذه الذاكرة كما لاحظتَ تم العبث بها».

ردد (هارى) وهو يعاود الجلوس: «تم العبث بها؟!».

قال (دمبلدور): «بكل تأكيد؛ الأستاذ (سلجهورن) غيَّر فى ذاكرته بنفسه».

«ولكن، لمَ فعل ذلك؟».

قال (دمبلدور): «لأنه على ما أظن يشعر بالخجل مما يتذكر؛ حاولَ أن يعيد تشكيل الذاكرة بحيث تبينه فى صورة أفضل ماحيًا الأجزاء التى لا يريد لى أن أراها.

وقد تم ذلك بطريقة غير متقنة كما لاحظتَ؛ وهذا فى صالحنا؛ فهو يبين أن الذاكرة الحقيقية لا تزال كامنة تحت التعديلات».

«ومن ثم فأنا للمرة الأولى أعطيك واجبًا يا (هارى). ستكون مهمتك أن تقنع الأستاذ (سلجهورن) بأن يكشف ذاكرته الحقيقية التى ستكون بلا شك أهم معلومة لدينا».

حدق (هارى) إليه، وقال بصوت يملؤه الاحترام قدر الإمكان: «لكن من المؤكد يا سيدى أنك لا تحتاجنى.. يمكنك أن تستخدم الـ(لجيليمنسى)... أو الـ(فيريتاسيروم)...».

قال (دمبلدور): «الأستاذ (سلجهورن) ساحر قدير جدًّا وسيتوقع الأمرين. وهو أنجح كثيرًا فى ممارسة (أوكلومنسى) من (مورفين جاونت) المسكين، وسأندهش إن لم يكن يحمل معه ترياقًا مضادًّا لـ(فيريتاسيروم) منذ أن أجبرته على إعطائى هذه الصورة الزائفة للذاكرة.

«لا، أعتقد أنه سيكون من الحمق محاولة انتزاع الحقيقة من الأستاذ (سلجهورن) بالقوة، وقد يكون ضرر ذلك أكبر كثيرًا من نفعه؛ فأنا لا أريده أن يرحل عن (هوجوورتس). ومع ذلك، فإن لديه نقاط ضعف كبقيتنا، وأنا أعتقد أنك الأقدر على اختراق دفاعاته. وأهم شىء هو أن نحصل على الذاكرة الحقيقية يا (هارى).. ولن نعرف مدى أهميتها إلا حين نراها على حقيقتها. حالفك الحظ إذن... وتصبح على خير».

صُدم (هارى) قليلاً لهذا الإنهاء المفاجئ للدرس، فانتفض واقفًا بسرعة: «تصبح على خير يا سيدى».

وبينما كان يوصد باب المكتب وراءه، سمع (فينياس نيجيلاس) بوضوح وهو يقول: «لا يمكننى أن أفهم: لمَ يكون الصبى قادرًا على أداء هذه المهمة بشكل أفضل منك يا (دمبلدور)؟».

ردَّ (دمبلدور) قائلاً: «ما كنتُ لأتوقع منك أن تفهم يا (فينياس)» وأطلق (فاوكس) صيحة موسيقية خفيضة أخرى.

■ ■ ■

١٨ مفاجآت عيد الميلاد

فى اليوم التالى، أفضى (هارى) لـ (رون) و(هرميون) ـ كُلٍّ على حدة ـ بالمهمة التى أسندها له (دمبلدور)؛ لأن (هرميون) كانت ماتزال ترفض البقاء فى وجود (رون) لمدة أطول مما يستغرقه توجيه نظرة ازدراء إليه.

استبعد (رون) أن يجد (هارى) أية متاعب مع (سلجهورن) على الإطلاق.

قال له على الإفطار وهو يلوح بشوكة مملوءة بالبيض المقلى فى الهواء: «إنه يحبك ولن يرفض لك طلبًا، أليس كذلك؟ وكيف يرفض طلبًا لأميره الصغير للوصفات السحرية. انتظر بعد خروج الطلاب من حصة عصر اليوم واسأله».

أما (هرميون) فتبنت وجهة نظر أكثر تشاؤمًا.

قالت بصوت خفيض بينما كانا يقفان بالفناء المهجور المكسو بالثلج فى فترة الراحة: «لابد أنه مصرٌّ على إخفاء حقيقة ما حدث إذا كان (دمبلدور) نفسه لا يستطيع انتزاعها منه. الـ(هوركروكس)... الـ(هوركروكس)...أنا حتى لم أسمع بهم من قبل...».

«ألم تسمعى بهم حقًّا؟».

أصيب (هارى) بالإحباط؛ إذ كان يأمل أن تتمكن (هرميون) من إعطائه لمحة عن كنه الـ(هوركروكس).

«لابد أنهم من ممارسات السحر الأسود شديد التقدم، وإلا فلمَ كان (فولدمورت) يريد أن يعرف شيئًا عنهم؟ أعتقد أن الحصول على هذه

المعلومات سيكون عسيرًا يا (هارى)، يجب أن تكون شديد الحذر فى كيفية تقربك من (سلجهورن)، فكر فى استراتيجية...».

«(رون) يرى أن كل ما علىَّ أن أفعله هو الانتظار بعد خروج الطلاب من حصة الوصفات السحرية عصر اليوم...».

قالت وقد استشاطت غضبًا على الفور: «حسنًا، لو كان (وون - وون) يعتقد ذلك فيستحسن أن تفعله. وعلى أية حال، متى كان حكم (وون - وون) مخطئًا؟».

«(هرميون)، ألا يمكنك...؟».

قالت مغضبة: «لا!»، ثم انصرفت مسرعة تاركةً (هارى) وحده وقد غاصت قدماه فى الجليد حتى الكاحل.

كانت دروس الوصفات السحرية مزعجة بما فيه الكفاية هذه الأيام؛ حيث كان على كل من (هارى) و(رون) و(هرميون) أن يتشاركوا فى مكتب واحد. واليوم نقلت (هرميون) مرجلها حول المنضدة بحيث تكون أقرب إلى (إيرنى) وتجاهلت كلاً من (هارى) و(رون).

همهم (رون) قائلاً لـ(هارى) وهو ينظر إلى جنب وجه (هرميون) المتكبر: «ماذا فعلتَ؟».

ولكن قبل أن يتمكن (هارى) من الرد، كان (سلجهورن) يدعو الطلاب إلى التزام الصمت من مقدمة الفصل:

«استقروا فى أماكنكم من فضلكم! بسرعة، الآن، لدينا الكثير من العمل لابد من إنجازه هذا اليوم! قانون (جولبالوت) الثالث.. من يستطيع أن يخبرنى؟ لكن الآنسة (جرانجر) تستطيع بالطبع!».

رددت (هرميون) النص بأقصى سرعة: «قانون - (جولبالوت) - الثالث - ينص - على - أن - ترياق - التركيبة - السمية - يساوى - أكثر - من - كمية - الترياق - لكل - مكون - من - مكونات - التركيبة - على - حدة».

ابتسم (سلجهورن) قائلاً: «صحيح تمامًا! عشر نقاط لـ(جريفندور)! والآن، إذا قبلنا قانون (جولبالوت) الثالث كقانون صحيح...».

كان على (هارى) أن يقبل بكلام (سلجهورن) عن صحة قانون (جولبالوت) الثالث كأمر مسلَّم به لأنه لم يفهم شيئًا منه. ولم يبدُ أن أحدًا من الطلاب كان يتابع ما قاله (سلجهورن) بعد ذلك أيضًا باستثناء (هرميون) طبعًا.

«...مما يعنى بالطبع أنه بافتراض أننا توصلنا إلى المكونات الأساسية الصحيحة لوصفة ما باستخدام تعويذة (سكاربن) الكاشفة، فإن هدفنا الأول ليس الهدف البسيط نسبيًا والمتمثل فى اختيار أنواع الترياق المضادة لكل مكون من المكونات فقط، بل الأهم أن نعثر على ذلك المكون المضاف الذى سيحول هذه العناصر المتباينة من خلال عملية كيميائية تقريبًا إلى...».

كان (رون) جالسًا بجوار (هارى) وفمه شبه مفتوح، شارد الذهن يرسم عابثًا على نسخته الجديدة من كتاب (تحضير الوصفات السحرية: المستوى المتقدم).

كان (رون) ينسى دائمًا أنه لم يعد بوسعه الاعتماد على (هرميون) فى مساعدته على الخروج من أى مأزق حين يفشل فى فهم ما يجرى.

واختتم (سلجهورن) حديثه قائلاً: «... وهكذا أريد من كل واحد منكم أن يأتى ويأخذ واحدة من القوارير الموجودة فوق مكتبى، وعليكم أن تصنعوا ترياقًا للسم الموجود داخلها قبل انتهاء الحصة. حظ سعيد ولا تنسوا قفازاتكم الواقية!».

كانت (هرميون) قد تركت مقعدها وقطعت نصف الطريق إلى مكتب (سلجهورن) قبل أن يدرك سائر الفصل أن الوقت قد حان للتحرك، وحين عاد كل من (هارى) و(رون) و(إيرنى) إلى المنضدة كانت قد أفرغت محتوى قارورتها فى مرجلها بالفعل وأخذت تشعل النار تحته.

اعتدلت (هرميون) فى جلستها وقالت مبتهجة: «من المؤسف أن الأمير لن يتمكن من مساعدتك كثيرًا فى ذلك يا (هارى). عليك هذه المرة أن تفهم القواعد المتضمنة. فليست هناك طرق مختصرة ولا غش!».

نزع (هارى) مغتاظًا سدادة القارورة التى أخذها من فوق مكتب (سلجهورن) وكان لون السم ورديًا براقًا، ثم أفرغ القارورة فى مرجله وأشعل نارًا تحته. لم تكن لديه أدنى فكرة عما كان عليه أن يفعل بعد ذلك. ألقى نظرة خاطفة على (رون) الذى كان يقف مكانه باديًا على وجهه أمارات الغباءِ بعد أن انتهى من محاكاة كل ما فعله (هارى).

غمغم (رون) قائلاً له: «هل أنت متأكد أن الأمير لم يذكر أية ملاحظات؟».

جذب (هارى) نسخته الموثوقة من كتاب (تحضير الوصفات السحرية: المستوى المتقدم) وفتحه على الفصل الخاص بأنواع الترياق. فوجد قانون (جولبالوت) الثالث هناك وكان نصه كما تلته (هرميون) كلمة بكلمة، ولكنه لم يجد ملاحظة إيضاحية واحدة بخط الأمير تشرح ما يعنيه. كان من الواضح أن الأمير - مثل (هرميون) - لم يجد صعوبة فى فهمه.

قال (هارى) عابسًا: «لا شىء».

كانت (هرميون) تلوح بعصاها السحرية بحماس فوق مرجلها.. ولسوء الحظ، لم يتمكنا من محاكاة التعويذة التى كانت تقوم بها؛ لأنها أصبحت ماهرة جدًا فى التعاويذ غير المنطوقة حتى أنها لم تعد بحاجة لترديد الكلمات بصوت مسموع، أما (إيرنى ماكميلان) فكان يغمغم فوق مرجله قائلاً: «(سبشيالس رفليو!)» وكانت العبارة تبدو مبهرة، فأسرع كل من (هارى) و(رون) لتقليده.

وأدرك (هارى) بعد مرور خمس دقائق فقط أن سُمعته كأفضل محضِّر وصفات فى الفصل سوف تنهار. فقد أنعم (سلجهورن) النظر فى مرجل

(هارى) خلال جولته الأولى بالزنزانة راجيًا أن يرى ما يسرُّه فيسوق عبارات الثناء كعهده دائمًا، ولكن بدلاً من ذلك سحب رأسه بسرعة وسعل بعد أن غلبته رائحة البيض الفاسد.

ولم يكن تعبير وجه (هرميون) يحمل أى علامات رضا؛ كانت قد ملَّت تراجع مستواها فى كل حصة من حصص الوصفات السحرية. وهى الآن تفرغ مكونات السم التى فصلتها بصورة غامضة فى عشر قوارير بلّورية مختلفة. ولكى يتجنب مشاهدة هذا المنظر المثير للأعصاب أكثر من أى شىء آخر، انحنى (هارى) فوق كتاب الأمير الهجين وقلب بضع صفحات منه بقوة لا داعى لها.

ها قد وجدها مكتوبة على عجالة فوق قائمة طويلة من أنواع الترياق.

عليك أن تدفع حصاة أمعاء حيوان مجترة فى حلوقهم.

حدق (هارى) إلى هذه الكلمات لبرهة. ألم يسمع ذات مرة منذ مدة طويلة بحصاة أمعاء الحيوانات المجترة؟ ألم يذكرها (سناب) فى أول حصة لهم فى مادة الوصفات السحرية؟ «حصاة تستخرج من أمعاء ماعز تحمى من معظم السموم».

لم تكن هذه حلاً لمشكلة (جولبالوت)، ولو كان (سناب) لا يزال معلمهم، لما تجرأ (هارى) على فعل ذلك، لكن هذه كانت لحظة اتخاذ التدابير اليائسة. فأسرع إلى الخزانة وأخذ يفتش فيها منحيًا قرون وحيد القرن وأعواد الأعشاب المجففة المتشابكة جانبًا إلى أن عثر فى مؤخرة الخزانة على عُلبة كرتون صغيرة مكتوب عليها عبارة «حصى أمعاء الماعز».

فتح العلبة فى اللحظة التى نادى فيها (سلجهورن) قائلاً: «بقيت دقيقتان للجميع!».

وكان بداخلها ست حبات ذابلة بنية اللون تبدو أشبه بالكُلى المجففة منها بالحصيات الحقيقية. أخذ (هارى) إحداها، وأعاد العلبة إلى الخزانة، وأسرع عائدًا إلى مرجله.

نادى (سلجهورن) بلطف: « انتهى الوقت! حسنًا، لنرَ ما فعلتم! أرنى ما الذى فعلته يا (بليز)».

تجول (سلجهورن) فى الغرفة ببطء وأخذ يفحص أنواع الترياق المختلفة. لم ينهِ أحد المهمة، إلا أن (هرميون) كانت تحاول أن تحشو بعض المكونات الإضافية فى زجاجتها قبل أن يصل إليها (سلجهورن). وكان (رون) قد استسلم تمامًا واكتفى بمحاولة تجنب استنشاق الأبخرة الفاسدة المتصاعدة من مرجله. ووقف (هارى) فى مكانه ينتظر ممسكًا بالحصاة فى يد بللها العرق قليلاً.

وصل (سلجهورن) إلى منضدتهم فى النهاية وتشمم وصفة (إيرنى) ثم اجتازه إلى وصفة (رون) وقد التوَت قسمات وجهه اشمئزازا، ولكنه لم يقف عند مرجل (رون) طويلاً، بل تراجع مسرعًا وقد أصابه غثيان طفيف،

ثم قال: «وأنت يا (هارى)، ماذا لديك لترينى إياه؟».

مد (هارى) يده وكانت الحصاة مستقرة على كفه.

نظر (سلجهورن) إليها لعشر ثوانٍ كاملة. وتساءل (هارى) للحظة عما إذا كان سيصرخ فى وجهه، إلا أنه تراجع برأسه وانفجر ضاحكًا.

دوى صوته قائلاً: «كم أنت شجاع أيها الفتى!»، وتناول الحصاة ورفعها لأعلى؛ حتى يراها جميع الطلاب. «أنت كأمك.. حسنًا، لا أستطيع أن أعيب عليك..

حصاة أمعاء الماعز تصلح بالتأكيد كترياق لهذه الوصفات السحرية كلها!».

غمر الشحوب وجه (هرميون) المبلل بالعرق وأنفها الذى يعلوه السخام. كان ترياقها الذى لم يكتمل، يتكون من اثنين وخمسين مكونًا

بما فيها خصلة من شعرها. وكان يبقبق ببطء وراء (سلجهورن) الذى لم يكن منتبهًا إلا لـ(هارى).

تساءلت وهى تجز على أسنانها: «وهل فكرت فى حصاة أمعاء الماعز هكذا بنفسك يا (هارى)؟».

قال (سلجهورن) بسعادة قبل أن يتمكن (هارى) من الرد: «هذه هى الروح الفردية التى يحتاجها صانع الوصفات السحرية الحقيقى! تمامًا كأمه، كان لديها نفس الموهبة الفطرية فى تحضير الوصفات السحرية... ورثها عن (ليلى) دون شك..

نعم يا (هارى)، لو كانت لديك حصاة أمعاء الماعز فإن هذا سوف يؤدى الغرض المطلوب.. ولكنها لا تصلح لكل شىء كما أنها نادرة جدًا؛ لذلك فالأمر لايزال يستحق معرفة كيفية مزج أنواع الترياق...».

كان الشخص الوحيد فى الغرفة الذى يبدو أكثر حنقًا من (هرميون) هو (مالفوى)، وقد أسعد (هارى) أن يراه وقد سكب على نفسه شيئًا يبدو كقىء القطط. وقبل أن يتمكن أى منهما من التعبير عن حنقه لحصول (هارى) على المركز الأول دون أن يقوم بأى عمل، رن الجرس معلنًا انتهاء الحصة.

قال (سلجهورن): «حان وقت الانصراف، وعشر درجات إضافية من أجل (جريفندور) لجرأته التامة!».

ثم تهادى عائدًا إلى مكتبه فى مقدمة الزنزانة وهو لا يزال يضحك ضحكة مكبوتة.

وتلكأ (هارى) متخلفًا عن باقى الطلاب؛ حيث استغرق الكثير من الوقت دون مبرر ليحزم حقيبته. لم يتمنَّ له (رون) أو (هرميون) التوفيق وهما ينصرفان، بل بدا الاستياء على كليهما. وأخيرًا لم يبق فى الغرفة غير (هارى) و(سلجهورن) وحدهما.

قال (سلجهورن) بودٍّ وهو يغلق الأقفال الذهبية لحقيبته المصنوعة من جلد التنين: «هيا الآنِ يا (هارى)، ستتأخر على حصتك التالية».

قال (هارى) وهو يذكِّر نفسه بـ(فولدمورت): «أردتُ أن أسألك عن شيء يا سيدى».

«سل إذن يا بنى العزيز، سل...».

«سيدى، كنت أتساءل: ماذا تعرف عن... عن الـ(هوركروكس)؟».

تسمَّر (سلجهورن) مكانه، وبدا وجهه المستدير وكأنه يغوص فى نفسه، ثم لعق شفتيه وقال بصوت أجش: «ماذا قلت؟».

«سألتك عما إذا كنت تعرف أى شيء عن الـ(هوركروكس) يا سيدى، أترى...».

همس (سلجهورن) قائلاً: «هل دفعك (دمبلدور) لذلك؟».

وكان صوته قد تغير تمامًا ولم يعد ودودًا، بل صار مصدومًا، مذعورًا. فتحسس جيبه العلوى وجذب منه منديلاً وأخذ يمسح حاجبه المبلل بالعرق.

قال (سلجهورن): «(دمبلدور) أراك تلك... تلك الذاكرة، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وقد قرر على الفور أن الصدق هو أفضل الحلول: «بلى».

قال (سلجهورن) بهدوء وهو لايزال يمسح بمنديله وجهه الشاحب: «نعم، بالطبع، طبعًا... حسنا، لو رأيت تلك الذاكرة يا (هارى) ستعرف أننى لا أعرف أى شيء... أى شيء...»، وكرر الكلمة بقوة «عن الـ(هوركروكس)».

وأمسك بحقيبته المصنوعة من جلد التنين وحشر منديله فى جيبه وسار نحو باب الزنزانة.

قال (هارى) يائسًا: «سيدى، لقد ظننت أن هناك القليل مما يمكن إضافته إلى تلك الذاكرة».

قال (سلجهورن): «حقًا؟ إذن فأنت مخطئ تمامًا، مخطئ!».

نطق الكلمة الأخيرة صائحًا، وصفَق باب الزنزانة وراءه قبل أن يتمكن (هارى) من قول كلمة أخرى.

لم يبدِ (رون) أو (هرميون) أى تعاطف على الإطلاق حين أخبرهما (هارى) بقصة مقابلته المروعة. كانت (هرميون) لا تزال حانقة على الطريقة التى انتصر بها (هارى) دون أداء العمل بالصورة الصحيحة. وكان (رون) ممتعضًا كذلك؛ لأن (هارى) لم يدفع له بإحدى حصوات أمعاء الماعز خلسةً.

قال (هارى) بضيق: «كان الأمر سيبدو غبيًا لو كان كلانا فعل ذلك! اسمع، كان علىّ أن أحاول كسب ودِّه حتى أسأله عن (فولدمورت)، أليس كذلك؟».

وأضاف بسخط بينما جفل (رون) لدى سماعه الاسم: «ألن تفهم المسألة؟!».

كان (هارى) حانقًا لفشله ولموقف (رون) و(هرميون)، وأخذ يفكر طويلاً خلال الأيام القليلة التالية فيما سيفعله مع (سلجهورن) بعد ذلك. وقرر أن يترك (سلجهورن) يظن مؤقتًا أنه نسى كل شىء عن الـ(هوركروكس)؛ كان من الأفضل بالتأكيد أن يهدئه بإحساس زائف بالأمان قبل أن يعاود الهجوم.

وبما أن (هارى) لم يعد لسؤال (سلجهورن) مرة أخرى، عاد أستاذ الوصفات السحرية إلى معاملته الودود المعتادة معه، وبدا كأنه طرح الأمر عن خاطره. وانتظر (هارى) دعوة لإحدى حفلاته المسائية الصغيرة، وقد عقد العزم على قبول الدعوة هذه المرة حتى لو اضطر لتغيير موعد تمرين الـ(كويدتش)، ولكن للأسف لم تصله دعوة كهذه. وسأل (هارى) كلاً من (هرميون) و(جينى)، ولكن لم تتلق أىٌّ منهما دعوة، ولا أى أحد غيرهما أيضًا على حد علمهما. فلم يسع (هارى) إلا أن

يتساءل إذا كان هذا يعنى أن (سلجهورن) لم يكن ناسيًا كما كان يبدو وأنه قرر ألا يمنح (هارى) فرصة إضافية لسؤاله.

وفى الوقت نفسه خاب ظن (هرميون) فى مكتبة (هوجوورتس) لأول مرة فى حياتها. فصدمت، حتى إنها نسيت أنها كانت حانقة على (هارى) بسبب خدعة حصاة أمعاء الماعز.

قالت له: «لم أجد تفسيرًا واحدًا لما يفعله الـ(هوركروكس)! ولا تفسيرًا واحدًا! اخترقتُ القسم المحظور، ونقبت حتى فى أبشع الكتب التى تدلك على كيفية تحضيرِ أبشع الوصفات السحرية.. ولكن لا شىء! كل ما تمكنت من العثور عليه هو ما وجدته فى مقدمة كتاب «أكثر أشكال السحر شرًّا»... اسمع، «لن نتكلم أو نعطى توجيهات عن (هوركروكس) الذى هو أشد الابتكارات السحرية شرًّا»...».

ثم قالت وقد نفد صبرها: «لماذا يذكره إذن؟» وأغلقت الكتاب القديم بقوة فأطلق أنَّة تشبه أنات الأشباح، فصاحت به: «اصمت» وحشرته فى حقيبتها.

ذاب الثلج حول المدرسة بحلول شهر فبراير ليحل محله مطر بارد رهيب. وخيمت على القلعة سحب رمادية ضاربة إلى اللون الأرجوانى. وجعل الهطول المستمر للمطر البارد العشب زلقًا وموحلاً؛ مما أدى إلى عقد أول دروس الانتقال الآنى لطلاب السنة السادسة فى البهو العظيم بدلاً من الملاعب، وكان قد تحدد صباح السبت موعدًا لهذه الدروس؛ حتى لا تتعارض مع الحصص العادية.

عندما وصل (هارى) و(هرميون) إلى القاعة - وكان (رون) قد نزل مع (لافيندر) - وجدا المناضد قد اختفت، وكان المطر يرتطم بالنوافذ العليا، والسقف المسحور يدور مثل دوامة داكنة فوقهم، وقد تجمع الطلاب أمام الأساتذة (ماكجونجال) و(سناب) و(فليتويك) و(سبراوت) - رؤساء المنازل - وساحر صغير عرف (هارى) أنه معلم الانتقال الآنى القادم

من الوزارة. كان شاحبًا ذا أهداب شفافة وهيئته واهية وشعر خفيف، وكأن عصفة ريح واحدة يمكن أن تطير به. وتساءل (هارى) عما إذا كان تكرار الاختفاء والعودة للظهور قد قلل من مادته، أم أن هذا البناء الهش هو الأمثل لمن يرغب فى الاختفاء.

قال ساحر الوزارة بعد أن حضر كل الطلاب وطلب رؤساء المنازل منهم الهدوء: «صباح الخير، اسمى (ويلكى توايكروس) وسأكون معلم الانتقال الآنى لكم طوال الأسابيع الاثنى عشر القادمة، وأتمنى أن أتمكن من إعدادكم لامتحان الانتقال الآنى خلال هذه المدة».

صاحت الأستاذة (ماكجونجال): «(مالفوى)، الزم الهدوء وانتبه!».

التفت الجميع إليه؛ فاصطبغ وجه (مالفوى) بلون وردى باهت، وبدا عليه الغيظ وهو يبتعد عن (كراب) الذى يبدو أنه كان يتناقش معه همسًا. ألقى (هارى) نظرة خاطفة على (سناب) الذى بدا عليه الضيق أيضًا، ولو أن (هارى) ساوره شك قوى فى أن هذا لم يكن مرجعه قلة أدب (مالفوى)، بل تأنيب (ماكجونجال) لأحد طلاب منزله.

واصل (توايكروس) كلامه كما لو لم يقاطعه أحد: «..وبعدها سيكون العديد منكم مستعدين للامتحان».

«وكما تعلمون، فإنه من المستحيل عادةً الانتقال آنيًا داخل (هوجوورتس). إلا أن الناظر رفع هذه التعويذة داخل البهو العظيم وحده لمدة ساعة واحدة؛ حتى تتمكنوا من التدريب. وأؤكد لكم أنكم لن تتمكنوا من الانتقال آنيًا خارج جدران هذه القاعة وأنه من الحمق أن تحاولوا».

«وأود من كل واحد منكم أن يقف فى مكان بحيث يترك أمامه خمسة أقدام من الفراغ».

حدث تزاحم وتدافع شديد بين الطلاب وهم يتباعدون، فتصادم بعضهم ببعض، وطالب بعضهم الآخرين بالخروج من حدود الفراغ

الخاص بهم. تنقل رؤساء الدار بين الطلاب ينظمونهم فى أماكنهم ويفضون المشاجرات بينهم.

سألت (هرميون): «(هارى)، إلى أين أنت ذاهب؟».

لكن (هارى) لم يجبها؛ كان يتحرك بسرعة خلال الزحام مارًّا بالأستاذ (فليتويك) الذى كان يبذل محاولات مُضنية لينظم وقوف بضعة طلاب من منزل (رافينكلو) كانوا جميعًا يريدون أن يكونوا بالقرب من الصف الأمامى، ثم مر بالأستاذة (سبراوت) التى كانت تصيح فى طلاب (هافلباف)؛ كى ينتظموا فى صفوف. وأخيرًا بعد الالتفاف حول (إيرنى ماكميلان)، نجح فى اتخاذ مكان لنفسه فى مؤخرة الزحام خلف (مالفوى) الذى انتهز فرصة الاضطراب السائد ليواصل جداله مع (كراب) الذى يقف على بعد خدسة أقدام منه ويبدو عليه التمرد.

صاح فيه (مالفوى) غافلاً عن وجود (هارى) خلفه: «لا أعرف إلى متى، أفهمتَ؟ الأمر يستغرق وقتًا أطول مما اعتقدت».

فتح (كراب) فمه ليتكلم إلا أن (مالفوى) بدا وكأنه حدس ما كان سيقول.

«اسمع، لا شأن لك بما أفعل يا (كراب)، افعل أنت و(جويل) ما أمرتكما به وراقبا الطريق!».

قال (هارى) بصوت عال؛ حتى يسمعه (مالفوى): «ما كنت لأخبر أصدقائى بما أنوى عمله لو أردتهم أن يراقبوا لى الطريق».

التفت (مالفوى) على الفور واندفعت يده إلى عصاه السحرية، ولكن فى تلك اللحظة تمامًا علا صوت رؤساء المنازل الأربعة قائلين معًا: «هدوء!»، فساد الصمت من جديد ـ واستدار (مالفوى) على مهل لينظر أمامه.

قال (توايكروس): «شكرًا، والآن...».

لوح بعصاه السحرية، فظهرت على الفور أطواق خشبية من النوع القديم على الأرضية أمام كل طالب من الطلاب.

قال (توايكروس): «هناك ثلاثة أشياء مهمة يجب أن تتذكروها عندما تنتقلون آنيًا وهى: الهدف والعزم والتروِّى! الخطوة الأولى: ركز ذهنك بثبات على المكان الذى تريد الذهاب إليه، وهو فى هذه الحالة داخل الطوق الموجود أمامك، والآن ركزوا من فضلكم على هذا الاتجاه».

تلفت كل منهم حوله خلسةً؛ للتحقق من أن الآخرين يحدقون داخل أطواقهم، ثم أسرعوا بأداء ما طُلب منهم. وحدق (هارى) إلى الرقعة المستديرة من الأرضية المتربة التى يحدها طوقه، وحاول جاهدًا ألا يفكر فى غيرها، إلا أن ذلك كان مستحيلاً؛ إذ إنه لم يتمكن من التوقف عن التفكير والتساؤل عن الشيء الذى يفعله (مالفوى) ويحتاج إلى من يراقب الطريق له.

قال (توايكروس): «الخطوة الثانية: ركز عزمك على شغل المكان الذى تراه! ودَعْ توقك للوصول إليه يتدفق من ذهنك إلى كل جزئية من جسمك!».

استرق (هارى) نظرة خاطفة حوله.. إلى يساره قليلاً كان (إيرنى ماكميلان) يتأمل طوقه بتركيز حتى احمر وجهه؛ كان يبدو وكأنه يجهد نفسه حتى يبيض بيضة من الحجم الكبير. كتم (هارى) ضحكة كادت تفلت منه وعاد مسرعًا ليركز نظره على طوقه.

قال (توايكروس): «الخطوة الثالثة: لا تبدأ بها حتى أعطى الأمر.. لف فى مكانك واشعر بطريقك إلى داخل الفراغ وتحرك بتروٍّ! حين أصدر الأمر.. والآن، واحد...».

استرق (هارى) نظرة خاطفة حوله مرة أخرى؛ كان الكثير من الناس ينتظرون على أتم الاستعداد للانتقال آنيًا بسرعة عندما يُطلب منهم ذلك.

«اثنان...».

حاول (هارى) أن يركز تفكيره على طوقه مرة أخرى؛ وكان بالفعل قد نسى الخطوات الثلاث.

«ثلاثة...».

دار (هارى) فى مكانه وفقد توازنه وكاد يسقط، لم يكن الوحيد فى ذلك؛ فقد امتلأت القاعة كلها فجأة بالمترنحين؛ حيث وقع (نيفيل) على ظهره، بينما دار (إيرنى ماكميلان) حول نفسه وقفز داخل طوقه وبدت عليه الإثارة لبرهة، إلى أن لمح (دين توماس) يجأر بالضحك عليه.

علا صوت (توايكروس) الذى لم يبدُ عليه أنه كان يتوقع أفضل من ذلك قائلاً بنبرة جافة: «لا بأس، لا بأس، عدلوا أطواقكم من فضلكم وعودوا لأوضاعكم الأصلية...».

ولم تكن المحاولة الثانية أفضل من سابقتها، ولم تكن الثالثة أقل سوءًا، ولم يحدث شىء مثير إلا فى الرابعة، عندما سمعوا صرخة ألم مخيفة وتلفت الجميع حولهم مفزوعين ليجدوا (سوزان بونز) من منزل (هافلباف) تترنح داخل طوقها وساقها اليسرى لا تزال تقف على مسافة خمسة أقدام فى النقطة التى انطلقت منها.

تجمع رؤساء المنازل حولها؛ كانت هناك ضجة عالية وسحابة من الدخان البنفسجى تبددت لتكشف عن (سوزان) وهى تنشج وقد اتحدت مع ساقها ولكنها كانت تبدو مرعوبة.

قال (ويلكى توايكروس) بهدوء: «تفكك أو انفصال عشوائى لأوصال الجسم، يحدث حين لا يكون عزم الذهن كافيًا، لابد أن تركزوا باستمرار على هدفكم، وتحركوا دون عجلة، بل بتروٍّ.. هكذا».

تقدم (توايكروس) إلى الأمام ثم استدار برشاقة فى مكانه وذراعاه ممدودتان ثم اختفى وعباءته تدور، وعاد للظهور فى مؤخرة القاعة.

وقال: «تذكروا الخطوات الثلاث وحاولوا مرة أخرى.. واحد - اثنان - ثلاثة...».

ولكن بعد ساعة كان تفكك أوصال (سوزان) لا يزال أغرب شيء حدث. ولم يبدُ على (توايكروس) أنه أُحْبِط، بل ربط عباءته على رقبته واكتفى بأن قال: «أراكم السبت القادم جميعًا، ولا تنسوا؛ الهدف، العزم، التروِّى».

ثم لوح بعصاه السحرية وأخفى الأطواق واتجه إلى خارج القاعة بصحبة الأستاذة (ماكجونجال). وبدأ الكلام مرة واحدة بمجرد أن شرع الناس فى التحرك باتجاه بهو الدخول.

هرع (رون) نحو (هارى) وسأله: «كيف كان الدرس؟ أعتقد أننى أحسست شيئًا فى آخر مرة حاولت فيها... شيئًا مثل الوخز فى قدمى».

قال صوت من ورائهما: «أتوقع أن يكون حذاؤك الرياضى أصغر من اللازم يا (وون - وون)» ومرت (هرميون) بهما وعلى وجهها ابتسامة متكلفة.

قال (هارى) متجاهلاً هذه المقاطعة: «أنا لم أحس شيئًا، ولكننى غير مهتم بذلك الآن..».

قال (رون) بنبرة يشوبها الشك: «ماذا تقصد بأنك غير مهتم؟ ألا تريد أن تتعلم الانتقال الآنى؟».

قال (هارى) وهو يلقى نظرة خاطفة من فوق كتفه ليرى أين (مالفوى): «لستُ قلقًا، فعلاً، فأنا أفضل الطيران»، ثم أسرع خطاه وهما يدخلان بهو الدخول وقال: «أسرع، هيا، هناك شىء أريد عمله...».

تبع (رون) (هارى) حائرًا عائدَيْن عدوًا إلى برج (جريفندور). عطلهما مؤقتًا (بيفز) الذى أوصد بابًا بالطابق الرابع وأبَى أن يدع أحدًا يمر إلا إذا أضرم النار فى سرواله، لكن (هارى) و(رون) أفلا عائدَيْن

واتخذا أحد طرقهما المختصرة الموثوقة. وفى غضون خمس دقائق، كانا يعبران فتحة اللوحة.

سأل (رون) وهو يلهث قليلاً: «ألن تخبرنى عما نفعله إذن؟».

قال (هارى): «اصعد»، ثم عبر الغرفة العامة وتقدم الطريق عبر الباب إلى سلم الأولاد.

كان جناح غرف الأولاد خاليًا كما تمنى (هارى)؛ ففتح صندوقه بدفعة قوية وشرع فى التنقيب فيه، بينما وقف (رون) نافد الصبر يراقبه.

«(هارى)...».

«(مالفوى) يستغل (كراب) و(جويل) فى مراقبة الطريق له. كان يتشاجر مع (كراب) منذ قليل. أريد أن أعرف... أها».

ثم عثر على ما يبحث عنه؛ كانت رقعة جلدية مربعة ومطوية تبدو خالية من الكتابة، أخرجها (هارى) ثم نقر عليها بطرف عصاه السحرية.

«أقسم بكل قداسة أنى مقدم على شر، أو(مالفوى) هو المقدم، على أى حال».

وفى التوِّ، ظهرت خارطة (مارودر) على سطح الرقعة الجلدية، وظهر تخطيط مفصل لكل طابق من طوابق القلعة، تتحرك فيه النقط السوداء الصغيرة المعنونة التى تمثل كل واحدة منها أحد سكان القلعة.

قال (هارى) فى عجل: «ساعدنى فى العثور على (مالفوى)».

وضع الخارطة على سريره وانحنى هو و(رون) فوقها وأخذا يبحثان.

قال (رون) بعد دقيقة تقريبًا: «ها هو! إنه فى الغرفة العامة فى(سليذرين)، انظر... مع (باركنسون) و(زابينى) و(كراب) و(جويل)...».

نظر (هارى) فى الخارطة وقد خاب أمله، ولكنه سرعان ما استجمع نشاطه من جديد.

وقال بثبات: «حسنًا، سأراقبه من الآن فصاعدًا، وفى اللحظة التى أراه فيها يتسلل إلى مكان بينما يحرسه (كراب) و(جويل) فى خارجه سألبس عباءة الإخفاء القديمة وأذهب لأعرف ما...».

وتوقف فجأة حيث دخل (نيفيل) جناح الأولاد جالبًا معه رائحة نفاذة لمادة شيطت بالنار وشرع فى التنقيب داخل صندوقه عن سروال نظيف.

ورغم إصرار (هارى) على معرفة ما يدبره (مالفوى) فإن الحظ عانده طوال الأسبوعين التاليين. فرغم أنه كان يراجع الخارطة كثيرًا، ويقوم أحيانًا بزيارات غير ضرورية للحمامات بين الدروس للبحث فيها، فإنه لم يضبط (مالفوى) فى أى مكان مريب. صحيح أنه رأى (كراب) و(جويل) يتحركان حول القلعة وحدهما أكثر من المعتاد ويبقيان لفترات طويلة فى الدهاليز المهجورة، إلا أن (مالفوى) لم يكن فى أى مكان قريب منهما فى هذه المرات، بل كان يستحيل تحديد موقعه على الخارطة أثناء ذلك؛ كان الأمر فى غاية الغموض. وفكر (هارى) فى احتمال مغادرة (مالفوى) للمدرسة هذه الأثناء، ولكنه كان يعرف أن هذا غير ممكن؛ نظرًا للنظام الأمنى المحكم الذى يعمل حاليًّا داخل القلعة. ولم يستطع إلا أن يفترض أنه فقد أثر (مالفوى) وسط مئات النقط السوداء الضئيلة على الخارطة. أما مسألة افتراق (مالفوى) و(كراب) و(جويل) - كلٌّ فى طريقه - بعد أن كانوا عادةً لا يفترقون، فإن هذه الأمور كانت تحدث مع تقدم الناس فى السن - وفكر (هارى) بأسًى فى أن (رون) و(هرميون) كانا دليلاً حيًّا على ذلك.

ومضت أيام شهر فبراير واقترب شهر مارس دون تغير فى المناخ عدا أنه أصبح عاصفًا بالإضافة إلى كونه ممطرًا. ومما زاد سخط الطلاب جميعًا هو ظهور لافتة على لوحات الإعلانات فى كل الغرف العامة بإلغاء الرحلة التالية إلى (هوجسميد). فاستشاط (رون) غضبًا.

وقال: «كان موعدها فى يوم ميلادى! كنتُ أتطلع إليها!».

فقال (هارى): «ولكنها ليست شيئًا رائعًا، أليس كذلك؟ ليس بعد ما حدث لـ(كاتى)».

لم تكن قد عادت بعد من مستشفى (سان مونجو). والأكثر من ذلك ورود تقارير بجريدة (المتنبئ اليومى) عن حدوث المزيد من حالات الاختفاء بينهم عدد من أقارب طلاب (هوجوورتس).

قال (رون) متذمرًا: «الآن، لم يعد لدى شىء لأتطلع إليه سوى ذلك الانتقال الآنى السخيف! يا لها من متعة عيد ميلاد كبرى!».

بعد مرور ثلاثة دروس، ظل الانتقال الآنى صعبًا كما هو، ولو أن قلائل آخرين قد نجحوا فى تفكيك أوصالهم. وتزايد إحباط الطلاب وسرَى بينهم قدر من الاستياء حيال (ويلكى توايكروس) وخطواته الثلاث؛ مما جعلهم يطلقون عليه عددًا من الأسماء، كان أكثرها تهذيبًا «نفس الكلب» و«الرأس الملىء بالروث».

قال (هارى) حين أيقظهما صخب (سيموس) و(دين) وهما خارجان لتناول الإفطار فى الأول من مارس: «عيد ميلاد سعيد يا (رون).. هديتك».

وألقى إلى سرير (رون) بلفة انضمت إلى كومة صغيرة من مثيلاتها أفترض (هارى) أن أقزام المنازل قد قاموا بتسليمها ليلاً.

قال (رون) بخمول: «شكرًا» ـ وبينما كان ينزع الورق عنها، غادر (هارى) فراشه وفتح صندوقه وشرع فى البحث داخله عن خارطة (مارودر) التى كان يخفيها بعد كل استعمال. أخرج نصف محتويات صندوقه قبل أن يعثر عليها مختبئة تحت الجوارب الملفوفة التى كان لايزال يحتفظ فيها بقارورة الوصفة المحظوظة (فليكس فلسيس).

همهم قائلاً: «صح»، وأخذها وعاد بها إلى فراشه وهو ينقر عليها بهدوء ويتمتم: «أقسم بكل قداسة أنى مقدم على شر»؛ حتى لا يسمعه (نيفيل) الذى كان يمر أمام فراشه فى ذلك الوقت.

قال (رون) بحماس وهو يلوح بزوج قفازات حارس الـ(كويدتش) الجديد الذى أهداه له (هارى): «جميل يا (هارى)!».

قال (هارى) وهو شارد الذهن بينما كان يفتش جناح غرف (سليذرين): بحثًا عن (مالفوى): «لا بأس، ما هذا؟ لا أظن أنه فى فراشه...».

لم يجبه (رون)؛ إذ كان منشغلاً تمامًا بفتح الهدايا، وكان من حين لآخر يطلق صيحة إعجاب.

وأعلن قائلاً وهو يرفع فى يده ساعة ذهبية ثقيلة على حافتها رموز غريبة وبدلاً من العقارب كانت بها نجوم صغيرة متحركة: «حصيلة طيبة فعلاً هذه السنة! انظر ما أحضره لى أبى وأمى؟ عجبًا، أظن أنى سأبلغ سن الرشد مرة أخرى السنة القادمة أيضًا...».

غمغم (هارى) قائلاً: «رائعة»، وألقى نظرة خاطفة إلى الساعة قبل أن يعود للنظر فى الخارطة عن كثب.. أين (مالفوى)؟ من الواضح أنه ليس على مائدة (سليذرين) بالقاعة الكبرى يتناول إفطاره.. ولم يكن فى أى مكان قريب من (سناب) الذى كان جالسًا فى مكتبه.. ولم يكن فى أى من الحمامات أو بجناح المستشفى..

قال (رون) مغمغمًا وهو ممسك بعلبة شيكولاتة (المراجل): «أتريد واحدة؟».

رفع (هارى) رأسه وقال: «لا، شكرًا، (مالفوى) اختفى مرة أخرى!».

قال (رون) وهو يحشو قطعة شيكولاتة ثانية فى فمه بينما يقوم من فراشه ليرتدى ملابسه: «لا يمكن، هيا، إن لم تسرع ستضطر للانتقال آنيًا على معدة خاوية... قد يجعل هذا الأمر أسهل على ما أظن...».

نظر (رون) بإمعان إلى علبة شيكولاتة (المراجل) ثم هز كتفيه بلامبالاة وتناول قطعة ثالثة.

نقر (هارى) على الخارطة بعصاه السحرية وغمغم قائلاً: «أصيبت بضرر» مع أن هذا لم يحدث، ثم ارتدى ثيابه وهو مستغرق فى التفكير.

لابد من وجود تفسير لاختفاء (مالفوى) من حين لآخر، ولكنه لم يتمكن من التوصل إليه. أفضل طريقة لاكتشاف الأمر هى تعقبه، ولكنها تظل فكرة غير عملية حتى مع وجود عباءة الإخفاء؛ لأن لديه حصصًا وتمارين (كويدتش) وواجبات وانتقالاً آنيًا؛ لم يكن ليتمكن من تتبع (مالفوى) فى أرجاء المدرسة طوال اليوم دون أن يلاحظ أحد غيابه.

قال لـ(رون): «مستعد؟».

كان فى منتصف الطريق إلى باب جناح غرف الأولاد حين أدرك أن (رون) لم يتحرك، بل كان يميل على قائم سريره محدقًا خارج النافذة التى غسلها المطر وعلى وجهه نظرة ذاهلة غريبة.

«(رون)، الإفطار».

«أنا لستُ جائعًا».

حملق فيه (هارى).

«أظن أنك قلت لتوك...».

تنهد (رون) وقال: «حسنًا، ليكن، سأنزل معك، ولكننى لا أريد أن آكل».

نظر (هارى) إليه متمعنًا بارتياب.

«أكلتَ لتوك نصف علبة شيكولاتة (المراجل)، أليس كذلك؟».

تنهد (رون) مرة أخرى وقال: «ليس هذا السبب، أنت... أنت لن تفهم».

قال (هارى) مع أنه كان حائرًا: «حسنًا»، واستدار ليفتح الباب.

قال (رون) فجأة: «(هارى)!».

«ماذا؟».

«(هارى)، لا أستطيع أن أحتمل هذا!».

سأله (هارى) وقد بدأ ينتبه بشدة: «لا تستطيع أن تتحمل ماذا؟» كان (رون) شاحبًا ويبدو كأنه على وشك أن يتقيأ.

قال (رون) بصوت أجش: «لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير فيها!».

حدق إليه (هارى) فاغرًا فاه. لم يكن يتوقع ذلك ولم يكن موقنًا من أنه يود أن يسمعه. قد يكونان صديقين، ولكن لو بدأ (رون) ينادى (لافيندر) بـ«لاف ـ لاف» سيكون عليه أن يعترض.

سأله (هارى) محاولاً أن يُضفى بعض المنطق على ما يحدث: «وكيف يمنعك ذلك عن تناول الإفطار؟».

قال (رون) بإيماءة يائسة: «لا أظنها تعرف حتى أنى موجود».

قال (هارى) بحيرة: «بالتأكيد هى تعرف أنك موجود؛ فهى تلاحقك باستمرار، أليس كذلك؟».

نظر إليه (رون) فى دهشة.

«عمن تتحدث؟».

قال (هارى) بشعور متزايد بأن الحديث بينهما قد فقد كل منطق: «عمن تتحدث أنت؟».

قال (رون) برقة: «(روميلدا فان)» وبدا كأن وجهه كله يضىء وهو يقول ذلك كأن شعاعًا من ضوء الشمس الصافى قد أصابه.

حدق كل منهما إلى الآخر لما يقرب من دقيقة كاملة، ثم قال (هارى): «هذه مزحة، أليس كذلك؟ أنت تمزح».

قال (رون) بصوت مختنق: «أظن... (هارى)، أظن أنى أحبها».

قال (هارى): «ليكن»، ثم عاد إلى (رون) ليلقى نظرة أفضل على العينين اللامعتين والبشرة الشاحبة واستطرد: «ليكن.. قل هذا مرة أخرى بوجه جاد».

ردد (رون) لاهثًا: «أحبها، هل رأيتَ شعرها.. أسود ولامعًا وناعمًا، وعينيها؟ عينيها السوداوين الواسعتين؟ و...».

قال (هارى) وقد نفد صبره: «هذا أمر مضحك تمامًا، لكن المزاح انتهى، انتهى، هل تسمعنى؟ دعك من هذا».

واستدار ليخرج.. وما كاد يقطع خطوتين باتجاه الباب حتى صفعته لطمة عنيفة على أذنه اليمنى، فتلفت حوله وهو يترنح. وجد قبضة (رون) تتراجع إلى الوراء، ووجهه يتلوى غضبًا؛ كان على وشك أن يضربه مرة أخرى.

تصرف (هارى) بصورة غريزية؛ أخرج عصاه السحرية من جيبه وانطلقت التعويذة من ذهنه دون وعى: *(ليفيكوربس)*!

صرخ (رون) بينما التوَى كعبه لأعلى مرة أخرى، وتدلى فى عجز وهو مقلوب ورداؤه يتدلى.

جأر (هارى) قائلاً: «لمَ كان هذا؟».

صاح (رون) ووجهه آخذ فى الاحمرار بعد أن تدفق الدم كله إلى رأسه: «أنت أهنتَها يا (هارى)! قلتَ إن هذه مزحة».

قال (هارى): «هذا جنون! ماذا دها...».

ثم رأى العلبة ملقاة مفتوحة على سرير (رون) فصدمته الحقيقة بقوة مارد يعدو مذعورًا.

«من أين جئتَ بعلبة شيكولاتة (المراجل) هذه؟».

صاح (رون) وهو يستدير ببطء فى الهواء ويناضل حتى يخلص نفسه: «هدية عيد ميلاد! عرضت عليك واحدًا، ألم أفعل؟».

«أنت التقطتها من على الأرض، أليس كذلك؟».

«كانت قد سقطت من فوق سريرى، أفهمتَ؟ دعنى أذهب!».

«لم تسقط من فوق سريرك أيها الأخرق، ألا تفهم؟ إنها لى، أنا أخرجتها من صندوقى حين كنت أبحث عن الخارطة. إنها علبة شيكولاتة (المراجل) التى أعطتنى إياها (روميلدا فان) قبل الكريسماس وقد تم خلطها كلها بوصفة الحب السحرية!».

ولكن بدا أن كلمة واحدة فقط من كلامه قد علقت فى ذهن (رون).

ردد قائلاً: «(روميلدا)؟ هل قلت (روميلدا)؟ يا (هارى) ـ هل تعرفها؟ أيمكنك أن تعرفنى بها؟».

حدق (هارى) إلى (رون) الذى كان متدليًا، وقد اكتسى وجهه الآن بقدر هائل من الأمل وقاوم رغبة جامحة فى الضحك. كان جزء منه ـ الجزء الأقرب إلى أذنه اليمنى المرتجفة ـ متحمسًا لفكرة إنزال (رون) ومشاهدته يندفع كالمجنون إلى أن يزول أثر الوصفة السحرية.. ولكنهما من ناحية أخرى يفترض أنهما صديقان، و(رون) لم يكن طبيعيًا عندما هاجمه، وفكر (هارى) فى أنه يستحق لكمة أخرى لو سمح لـ(رون) بإعلان حبه الخالد لـ(روميلدا فان).

قال (هارى) وهو يفكر بسرعة: «نعم، سأعرفك بها. سأنزلك الآن، هل تسمعنى؟».

وترك (رون) يهوى على الأرضية (كانت أذنه تؤلمه كثيرًا)، لكن (رون) انتفض واقفًا على قدميه مرة أخرى وهو يبتسم.

قال (هارى) بثقة وهو يتقدم الطريق نحو الباب: «ستكون بمكتب (سلجهورن)».

سأله (رون) بلهفة وهو يسرع ليلحق به: «لمَ ستكون هناك؟».

قال (هارى) وهو يوغل فى التلفيق: «آه، لديها دروس إضافية فى الوصفات السحرية معه».

قال (رون) بشغف: «قد أسألها عما إذا أمكن لى حضورها معها؟».

قال (هارى): «فكرة رائعة».

كانت (لافيندر) تنتظر بجوار ثقب اللوحة، وهى مشكلة لم يكن (هارى) قد تنبأ بها.

لوت شفتيْها وقالت: «تأخرت يا (وون ـ وون)! جئت لك بهدية...».

قال (رون) بنفاد صبر: «دعينى وشأنى، (هارى) سيعرفنى على (روميلدا فان)».

وبدون أن يقول كلمة أخرى لها اندفع خارجًا من فتحة اللوحة. حاول (هارى) أن يبدى ملامح تنمُّ عن الاعتذار لـ(لافيندر)، ولكنها ربما نمت عن التسلية؛ لأنها بدت أكثر غضبًا من ذى قبل حين سدت السيدة البدينة الفتحة وراءهما وهى تتأرجح.

ساور (هارى) بعض القلق من أن يكون (سلجهورن) يتناول إفطاره، لكنه فتح باب مكتبه من أول دقة وهو يرتدى جلبابًا مخمليًّا أخضر وقلنسوة نوم تناسبه ويبدو غائم العينين.

غمغم قائلاً: «(هارى)، الوقت مبكر جدًّا لأى زيارة.. فأنا عادةً أنام متأخرًا فى أيام السبْت...».

قال (هارى) بأخفض صوت ممكن بينما شب (رون) على أطراف أصابعه محاولاً أن ينظر داخل الغرفة وراء (سلجهورن): «أنا فى غاية الأسف أن أزعجك يا أستاذ، لكن صديقى (رون) ابتلع وصفة سحرية للحب عن طريق الخطأ، فهل لك أن تحضر له ترياقًا؟ كنت سآخذه إلى مدام (بومفرى)، ولكننا يفترض ألا نحضر أى شىء من محل (ويسلى ويزرد ويزيس) إلى المدرسة، وأنت تعلم... أسئلة محرجة...».

سأله (سلجهورن): «كنت أظن أن بإمكانك أن تحضّر له علاجًا على عجل يا (هارى)، رائد خبير فى الوصفات مثلك؟».

قال (هارى) وقد أربكه أن (رون) أخذ يدفعه بمرفقه فى ضلوعه؛ فى محاولة لشق طريقه إلى داخل الغرفة: «حسنًا، أنا لم أخلط ترياقًا لوصفة حب من قبل يا سيدى، وإلى أن أنجح فى تحضيرها قد يكون (رون) قد أقدم على فعل شىء خطير..».

ومما أعانه أن اختار (رون) هذه اللحظة ليقول بنُواح: «لا أستطيع أن أراها يا (هارى).. هل هو يخبئها؟».

سأله (سلجهورن) وهو يرقب (رون) بعين المتخصص: «هل كانت هذه الوصفة فى حدود تاريخ الصلاحية؟ فمن الممكن أن يشتد مفعولها لو طال بقاؤها كما تعلم».

قال (هارى) فى لهفة وهو يصارع (رون)؛ ليمنعه من الاصطدام بـ(سلجهورن): «هذا يفسر الكثير»، ثم أردف متوسلاً: «إنه عيد ميلاده يا أستاذ».

قال (سلجهورن) وقد لان: «آه، ليكن، ادخلا إذن، ادخلا. لدىَّ ما يلزم هنا فى حقيبتى.. هو ليس ترياقًا صعبًا...».

اندفع (رون) عبر الباب ودلف إلى مكتب (سلجهورن) المزدحم الذى أفرط فى تدفئته، وتعثَّر فى مسند للقدمين مزين بشراشيب، ثم استعاد توازنه بالتشبث برقبة (هارى) وغمغم قائلاً: «هى لم تر ذلك، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وهو يراقب (سلجهورن) وهو يفتح حقيبة الوصفات السحرية ويضيف مقدارًا ضئيلاً من هذا وذاك إلى قارورة بلورية صغيرة: «لم تأتِ بعد».

قال (رون) بحماس: «هذا جيد، كيف أبدو؟».

قال (سلجهورن) برقة وهو يناول (رون) كأسًا من سائل صاف: «غاية فى الأناقة، والآن اشرب هذا، إنه دواء منشط للأعصاب، يبقيك هادئًا حين تصل، أتعرف؟».

قال (رون) بشغف: «رائع»، وتجرع الترياق فى ضجيج.

أخذ كل من (هارى) و(سلجهورن) يراقبانه. وظل (رون) يبتسم لهما لبرهة، ثم وهنت ابتسامته ببطء شديد واختفت ليحل محلها تعبير ينمُّ عن الفزع الشديد.

قال (هارى) وهو يبتسم: «عاد إلى طبيعته الآن؟ شكرًا جزيلاً يا أستاذ»، وضحك (سلجهورن) ضحكة خافتة.

قال (سلجهورن): «العفو يا ولدى، العفو» بينما خار (رون) جالسًا فى مقعد ذى ذراعين قريب وقد بدا عليه التشتت، وواصل (سلجهورن) كلامه قائلاً: «شراب منعش، هذا هو ما يحتاج إليه»، واتجه إلى مائدة

عامرة بالمشروبات وقال: «لدى جعة زبد، ولدىَّ نبيذ، ولدىَّ زجاجة أخيرة من شراب البلوط المعتَّق هذا... م م م... كنت أود أن أعطيها لـ(دمبلدور) بمناسبة الكريسماس... ولكن حسنًا...».

ثم هز كتفيه وقال: «... لن يفتقد ما لم يكن عنده أصلاً! لمَ لا نفتحها الآن ونحتفل بعيد ميلاد السيد (ويسلى)؟ فلا شىء يعدل مشروبًا روحيًّا جيدًا فى جعلنا ننسى آلام الإحباط فى الحب...».

وترنم مبتهجًا وانضم إليه (هارى). كانت هذه أول مرة يجد نفسه وحده تقريبًا مع (سلجهورن) منذ محاولته الأولى العصيبة لاستخلاص الذاكرة الحقيقية منه. ربما، لو استطاع أن يبقى على (سلجهورن) فى حالة مزاجية طيبة.. ربما لو أفرطا بعض الشىء فى شراب البلوط المعتق..

قال (سلجهورن) وهو يقدم لكل من (هارى) و(رون) كأسًا من شراب البلوط وقبل أن يرفع كأسه هو: «حسنًا، عيد ميلاد سعيد جدًّا يا (رالف)».

همس (هارى) قائلاً: «رون».

ولكنَّ (رون) الذى لم يكن مصغيًا للنخب على ما يبدو، فقد صب شراب البلوط فى فمه وابتلعه فى لحظة واحدة، أو ربما فيما لا يزيد على نبضة قلب. عرف (هارى) أن هناك خطأ رهيبًا حدث، ولكن يبدو أن (سلجهورن) لم يلحظه.

«- وكل سنة وأنت -».

«(رون)!».

كان (رون) قد أسقط كأسه، وحاول أن ينهض من مقعده ذى الذراعين ثم انهار؛ إذ كانت أطرافه ترتعش دون أن يستطيع التحكم بها. وكان الزبد يسيل من فمه وعيناه جاحظتان من مآقيها.

جأر (هارى) قائلاً: «أستاذ، افعل شيئًا».

لكن (سلجهورن) بدا وقد شل من أثر الصدمة. انتفض (رون) واختنق. وأخذ جلده فى التحول إلى الزرقة.

غمغم (سلجهورن) قائلاً: «ما... لكن...».

قفز (هارى) من فوق مائدة قصيرة واندفع نحو حقيبة وصفات (سلجهورن) المفتوحة وجذب منها أوعية وأكياسًا بينما كان صوت أنفاس (رون) الرهيبة المتهدجة يملأ الغرفة، ثم وجدها - الحصاة الذابلة التى تشبه حبات اللوبيا، والتى كان (سلجهورن) قد أخذها منه فى حصة الوصفات السحرية.

واندفع عائدًا إلى جانب (رون) وفتح فكه قسرًا وحشر حصاة أمعاء الماعز فى فمه. فصدرت عن (رون) رجفة هائلة، ولهاث يخشخش وصار جسمه منهكًا ساكنًا.

■ ■ ■

١٩ القَزم يراقب

قال (فريد): «إذن، فمجمل الأمر أنه لم يكن واحدًا من أفضل أعياد ميلاد (رون)؟».

كان الوقت مساءً، وكان جناح المستشفى هادئًا، والستائر مسدلة على النوافذ والمصابيح مضاءة وكان سرير (رون) السرير الوحيد المشغول. وكان كل من (هارى) و(هرميون) و(جينى) جالسين من حوله، كانوا قد قضوا اليوم بطوله منتظرين خارج الأبواب المزدوجة؛ فى محاولة لرؤية ما بالداخل كلما دخل أحد منها أو خرج، ولم تدعهم مدام (بومفرى) يدخلون إلا فى الساعة الثامنة، ووصل (فريد) و(جورج) بعدها بعشر دقائق.

قال (جورج) وهو متجهم: «لم نتصور أن يكون تقديم الهدايا هكذا»، ثم وضع هدية كبيرة ملفوفة على خزانة بجانب (رون) وجلس بجوار (جينى).

قال (فريد): «نعم، تخيلنا أن (رون) سيكون فى وعيه عندها على الأقل».

وقال (جورج): «كنا فى (هوجسميد) ننتظر كى نفاجئه».

سألته (جينى) وهى تنظر لأعلى: «كنتم فى (هوجسميد)؟!».

قال (فريد) بكآبة: «كنا نفكر فى شراء متجر (زونكو)، وفتح فرع لمحلنا فى (هوجسميد)، ولكنه سيكون وبالاً علينا لو لم يُسمح للطلاب بالخروج فى عطلات نهاية الأسبوع لشراء بضاعتنا.. ولكن دعكم من هذا الآن»، وجر مقعدًا بجانب (هارى) ونظر إلى وجه (رون) الشاحب قائلاً: «كيف حدث ذلك بالضبط يا (هارى)».

أعاد (هارى) سرد الحكاية التى كان قد قصها فيما بدا وكأنه مئات المرات على كل من (دمبلدور) و(ماكجونجال) ومدام (بومفرى) و(هرميون) و(جينى).

«... ثم وضعت حصاة أمعاء الماعز فى حلقه فتحسن تنفسه قليلاً، وهرع (سلجهورن) طلبًا للمساعدة، وحضر كل من (ماكجونجال) ومدام (بومفرى) وجاءا بـ(رون) إلى هنا. ويقولون: إنه سيكون بخير، وتقول مدام (بومفرى): إنه لابد أن يمكث هنا لمدة أسبوع على الأقل... ليداوم على تناول خلاصة الفيجن...».

قال (جورج) بصوت خفيض: «يا إلهى! كان من حسن طالعه أن فكرتَ فى حصاة أمعاء الماعز».

قال (هارى) الذى كان يشعر بالبرودة كلما فكر فيما كان سيحدث لو لم يتمكن من الوصول إلى الحصاة الصغيرة: «من حسن طالعه أنه لم يكن وحيدًا بالغرفة».

تشممت (هرميون) بصوت غير مسموع تقريبًا؛ كانت هادئة طوال اليوم على غير عادتها، وكانت قد حضرت مندفعة ووجهها يكسوه البياض إلى جناح المستشفى وطلبت من (هارى) أن يخبرها بما حدث، إلا أنها لم تشارك فى النقاش المطول الذى دار بين (هارى) و(جينى) حول الطريقة التى تسمم بها (رون)، واكتفت بالوقوف بجانبهما مطبقة فكيْها وقد بدا عليها الخوف، إلى أن سُمح لهم أخيرًا بالدخول لرؤيته.

سأل (فريد) (جينى): «هل عرف أبى وأمى بما حدث؟».

«رأياه بالفعل، وصلا منذ ساعة، وهما الآن بمكتب (دمبلدور)، ولكن سيعودان قريبًا...».

وتوقفوا عن الكلام بينما راقبوا جميعًا (رون) وهو يغمغم قليلاً فى نومه.

قال (فريد) بهدوء: « كان السم فى الشراب إذن؟».

قال (هارى) على الفور: «نعم».. ولم يكن يستطيع التفكير فى شىء آخر، وغمره السرور؛ لإتاحة الفرصة له لبدء مناقشة الأمر مرة أخرى.

«(سلجهورن) صبه...».

«هل كان بمقدوره أن يدس شيئًا فى كأس (رون) دون أن تراه؟».

قال (هارى): «ربما، ولكن لِمَ يريد (سلجهورن) تسميم (رون)؟».

قال (فريد) بتجهم: «لا أدرى، هل تظن أنه ربما خلط الكأسين على سبيل الخطأ؟ بقصد إيذائك أنت؟».

سألته (جينى): «ولِمَ يريد (سلجهورن) أن يسمم (هارى)؟».

قال (فريد): «لا أدرى، ولكن لابد أن كثيرًا من الناس يودون تسميم (هارى)، أليس كذلك؟ لكونه «المختار» وكل هذه الأشياء؟».

قالت (جينى): «إذن، فأنت تعتقد أن (سلجهورن) من (آكلى الموت)».

قال (فريد) بتجهم: «كل شىء ممكن».

قال (جورج): «ربما كان تحت تأثير تعويذة التحكم».

قالت (جينى): «أو ربما كان بريئًا، ربما كان السم فى القارورة، وفى هذه الحالة ربما يكون (سلجهورن) نفسه هو المقصود».

«ومن الذى يريد أن يقتل (سلجهورن)؟».

قال (هارى): «(دمبلدور) يظن أن (فولدمورت) كان يريد من (سلجهورن) أن يقف فى صفه.

و(سلجهورن) ظل مختبئًا لمدة سنة قبل أن يأتى إلى (هوجوورتس)، و...»، وفكر فى الذاكرة التى لم يتمكن (دمبلدور) من استخلاصها بعد من (سلجهورن)، «وربما يريد (فولدمورت) أن يتخلص منه، ربما كان يعتقد أن له قيمة بالنسبة لـ(دمبلدور)».

ذكَّرته (جينى) قائلة: «لكنك قلتَ إن (سلجهورن) كان يخطط لإعطاء تلك القارورة لـ(دمبلدور) فى الكريسماس، وبالتالى فربما كان مدبر مسألة التسميم بكل بساطة يقصد (دمبلدور)».

قالت (هرميون) التى تكلمت للمرة الأولى منذ ساعات وبدت كأنها تعانى صداعا شديدًا فى رأسها بسبب البرد: «إذن، فمدبر مسألة التسميم لا يعرف (سلجهورن) جيدًا. كل من يعرف (سلجهورن) يجب أن يتوقع أن هناك فرصة كبيرة لأن يحتفظ بهذا الشراب اللذيذ لنفسه».

أنَّ (رون) بصوت واهن وبشكل غير متوقع من بينهم قائلاً: «آه، ركبتى».

لاذوا جميعًا بالصمت وظلوا يراقبونه بقلق، ولكنه بعد غمغمة غير مفهومة دامت لبرهة بدأ يغطُّ من جديد.

انفتحت أبواب جناحِ المستشفى فجأة؛ مما جعلهم جميعًا ينتفضون، وجاء (هاجريد) بخُطا سريعة نحوهم وقد غطت شعره حبات المطر وسترته المصنوعة من فرو الدب ترف خلفه، وبيده نشابة تاركًا وراءه خطًا من آثار أقدام موحلة بحجم الدُّلفين فى كل مكان على الأرضية.

قال لاهثًا: «كنتُ فى الغابة طوال النهار! ساءت حالة (أراجوج)، كنتُ أقرأ له - لم أنهض لتناول العشاء إلا الآن، وهناك أخبرتنى الأستاذة (سبراوت) عما حدث لـ(رون)! كيف حاله؟».

قال (هارى): «بخير، يقولون إنه سيكون بخير».

قالت مدام (بومفرى) وهى تهرول خارجة من مكتبها: «ليس أكثر من ستة زائرين فى المرة!».

أشار (جورج): «(هاجريد) هو السادس».

قالت مدام (بومفرى) التى يبدو أنها أحصت (هاجريد) عددًا من الناس بسبب ضخامته: «آه... نعم...». ولكى تغطى ارتباكها هرولت لتمسح آثار قدميه الموحلة بعصاها السحرية.

قال (هاجريد) بصوت أجش وهو يهز رأسه الكبير الأشعث ويحدق لأسفل إلى (رون): «أنا لا أصدق هذا، أنا لا أكاد أصدق هذا.. انظر إليه راقدًا هناك.. من الذى يريد أن يؤذيه؟ ها!».

قال (هارى): «هذا بالضبط ما كنا نناقشه.. لا ندرى!».

قال (هاجريد) بقلق: «قد يكون هناك من يكنُّ ضغينةً لفريق (جريفندور للكويدتش)، أيمكن هذا؟ (كاتى) أولاً والآن (رون)...».

قال (جورج): «لا أستطيع أن أتصور أحدًا يحاول أن يقتل فريقًا لـ(الكويدتش)».

قال (فريد) بوضوح: «ربما حاول (وود) قتل فريق (سليذرين) لو كان يستطيع الإفلات بفعلته».

قالت (هرميون) بهدوء: «حسنًا، أنا لا أظن أنه الـ(كويدتش)، ولكننى أظن أن هناك صلة بين الاعتداءيْن».

سألها (فريد): «كيف تفسرين ذلك؟».

«حسنًا، من ناحية كان يفترض فى كل حادث منهما أن يكون مميتًا ولكن هذا لم يحدث، ولو أن هذه مسألة حظ بحتة. ومن ناحية أخرى، فلا السم ولا العُقد وصلا إلى الشخص الذى يفترض قتله بالطبع»، ثم أردفت قائلة وهى تفكر: «وهذا يجعل الشخص الذى وراء هاتين الحادثتين أكثر خطرًا؛ إذ يبدو أنه لا يُبالى كم من الناس يقتل قبل أن يصل إلى ضحيته».

وقبل أن يرد أى منهم على هذا التصريح المشئوم، انفتح باب الجناح مرة أخرى وهرول السيد والسيدة (ويسلى) إلى داخل العنبر. لم يفعلا أكثر من طمأنة أنفسهما بأن (رون) سيَشفَى تمامًا فى زيارتهما الأخيرة للعنبر، والآن أمسكت السيدة (ويسلى) بـ(هارى) واحتضنته بشدة.

وقالت وهى تنشج: «أخبرنا (دمبلدور) كيف أنقذته بحصاة أمعاء الماعز. آه يا (هارى)، ماذا يمكن أن نقول؟ أنت أنقذتَ (جينى).. وأنقذتَ (آرثر)... والآن أنقذتَ (رون)...».

غمغم (هارى) بارتباك: «لا تقولا شيئًا، أنا لم...».

قال السيد (ويسلى) بصوت منقبض: «عندما أفكر فى الأمر، أجد أن نصف عائلتنا يدينون لك بحياتهم. حسنًا، كل ما يسعنى قوله هو أن اليوم الذى قرر فيه (رون) أن يجلس فى قمرتك بقطار (هوجوورتس) السريع كان يوم سعدٍ بالنسبة لآل (ويسلى) يا (هارى)».

لم يتمكن (هارى) من التفكير فى أى رد على هذا، وكاد يكون سعيدًا عندما ذكرتهم مدام (بومفرى) مرة أخرى بأنه يفترض أن يكون هناك ستة زائرين فقط حول سرير (رون)، فنهض هو و(هرميون) على الفور ليغادرا وقرر (هاجريد) أن يرافقهما تاركًا (رون) مع أسرته.

دمدم (هاجريد) فى لحيته قائلاً: «هذا شنيع»، بينما سار ثلاثتهم فى الدهليز نحو الدرج الرخامى واستطرد: «كل هذه الإجراءات الأمنية الجديدة ولا يزال الأولاد يتعرضون للأذى... (دمبلدور) فى غاية القلق... هو لا يتكلم كثيرًا، ولكن يمكننى أن أدرك...».

سألته (هرميون) بيأس: «أليست لديه أية أفكار يا (هاجريد)؟».

قال (هاجريد) بإخلاص: «أنا أتوقع أن لديه مئات الأفكار، فعقل كعقله..، ولكنه لا يعرف من أرسل هذا العُقد أو من دس السم فى ذلك النبيذ، وإلا لتمَّ الإمساك بهم، أليس كذلك؟»، ثم قال وهو يخفض صوته وينظر من فوق كتفه، ومن باب الحيطة تفقد (هارى) السقف تحسبًا لوجود (بيفز): «ما يقلقنى هو إلى متى يمكن أن تظل (هوجوورتس) مفتوحة لو ظل الأولاد يتعرضون للاعتداء. غرفة الأسرار مرة أخرى، أليس كذلك؟ سيعم الذعر، كثيرٌ من الآباء سيُخرجون أولادهم من المدرسة، والشيء التالى، كما تعرفون، مجلس المحافظين...».

وتوقف (هاجريد) عن الكلام حين مرَّ بهم شبح امرأة ذات شعر طويل بهدوء، ثم واصل كلامه بهمس: «مجلس المحافظين سيتكلم عن إغلاق مكاننا هذا إلى الأبد».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها القلق: «قطعًا لا».

قال (هاجريد) بتثاقل: «عليكِ أن تنظرى إلى المسألة من وجهة نظرهم؛ أقصد أن إرسال أى صبى إلى (هوجوورتس) يحمل دائمًا قدرًا من المجازفة؟ فأنت تتوقعين وقوع حوادث، أليس كذلك؟ حين يكون

لديك مئات من السحرة القصَّر محبوسون معًا... لكن محاولة القتل، هذا شيء مختلف! ولا عجب أن (دمبلدور) غاضب من سنـ...».

وتوقف (هاجريد) عن إكمال كلامه وظهر تعبير مألوف بالذنب على الجزء المرئى من وجهه فوق لحيته السوداء الشعثاء.

قال (هارى) بسرعة: «ماذا؟ (دمبلدور) غاضب على (سناب)؟».

قال (هاجريد): «أنا لم أقل هذا»؛ لكن نظرة الذعر على وجهه ما كانت لتفصح عن غير ذلك: «انظر إلى الوقت، اقتربنا من منتصف الليل، لابد أن...».

قال (هارى) بصوت مسموع: «هاجريد، ما سبب غضب (دمبلدور) على (سناب)؟».

قال (هاجريد) وقد بدا عليه التوتر والغضب فى آن واحد: «شش! لا ترفع صوتك بأشياء كهذه يا (هارى)، أتريدنى أن أفقد عملى؟ لا أظنك تكترث، أليس كذلك؟، خاصةً بعد أن تخليتَ الآن عن مادة رعاية الكائنات السحـ...».

قال (هارى) بنبرة صارمة: «لا تحاول أن تشعرنى بالذنب، لن تفلح! ماذا فعل (سناب)؟».

«لا أدرى يا (هارى)، ما كان ينبغى لى أن أسمع ذلك أصلاً! أنا... حسنًا، كنتُ خارجًا من الغابة ذات مساء وسمعتهما يتحدثان... حسنًا، يتشاجران. ولم أشأ أن ألفت نظر أحد إلى وجودى، فتسللت وحاولت ألا أسمع، ولكنه كان نقاشًا حاميًا، ولم يكن من السهل عدم سماعه».

حثه (هارى) قائلاً: «وماذا بعد؟»، بينما أخذ (هاجريد) يبدل قدميه بقلق.

«وبعد، سمعتُ (سناب) يقول: إن (دمبلدور) يستهين بالأمور أكثر من اللازم وربما كان هو - (سناب) - يريد أن يكف عن القيام بذلك».

«القيام بمَ؟».

«لا أدرى يا (هارى)، بدا الأمر كأن (سناب) يشعر بأنه مثقل بالعمل، هذا كل ما هنالك.. على أية حال، قال له (دمبلدور) صراحةً إنه سبق أن

وافق على القيام بذلك، وإن هذا كل ما لديه فى هذا الصدد، كان صارمًا جدًّا معه.. ثم قال الكثير عن قيام (سناب) بتحقيقات داخل منزل (سليذرين)». وبينما تبادل (هارى) و(هرميون) نظرات مليئة بالمعانى، أضاف (هاجريد) قائلاً: «حسنًا، لا غرابة فى ذلك! فكل رؤساء المنازل طُلب منهم بحث مسألة العُقد هذه».

قال (هارى): «نعم، لكن (دمبلدور) لم يتشاجر مع بقيتهم، أليس كذلك؟».

ثنى (هاجريد) نشابته بصورة غير مريحة فى يده فصدر عنها صوت تشقق ثم انفلقت إلى اثنين وقال: «اسمع، أنا أعرف إحساسك فيما يتعلق بـ(سناب) يا (هارى)، ولا أريدك أن تستنتج أمورًا ليست موجودة فعلاً من هذه المسألة».

قالت (هرميون) بإيجاز: «انتبها!».

والتفتا فى الوقت المناسب تمامًا ليريا ظل (أرجوس فيلتش) يتضخم على الجدار من ورائهما قبل أن ينعطف الرجل نفسه بظهره الأحدب ولغده المترهل.

قال بصوت كالصفير: «هذا أنت! بقاؤك خارج مخدعك فى هذا الوقت المتأخر سيكون معناه الحبس!».

قال (هاجريد) بإيجاز: «لا، لن يكون كذلك يا (فيلتش)؛ فهما معى، أليس كذلك؟».

سأله (فيلتش) باشمئزاز: «وما الفارق؟».

قال (هاجريد) وقد غضب على الفور: «أنا معلم بهذه المدرسة، ألستُ كذلك أيها الجبان المتسلل؟!».

كان هناك فحيح مقزز حين انتفخ (فيلتش) غاضبًا؛ كانت السيدة (نوريس) قد وصلت دون أن يراها أحد وكانت تتلوى بشكل أفعوانى حول كاحل قدمى (فيلتش) النحيفتين.

قال (هاجريد) بطرف فمه: «هيا اذهبوا».

لم يكن (هارى) بحاجة لتكرار ما قيل، وأسرع هو و(هرميون) معًا حيث تردد صدى صوتى (هاجريد) و(فيلتش) وراءهما وهما يركضان. ومرًّا بـ(بيفز) بالقرب من المنعطف إلى داخل برج (جريفندور)، ولكنه كان مندفعًا بسرعة البرق نحو مصدر الصياح وهو يقهقه ويترنم قائلاً:

«حين يكون هناك شِجار أو تكون هناك متاعب
نادِ على (بيفز) فيضاعفها!»

كانت السيدة البدينة تغطُّ ولم يسعدها أن يوقظها أحد، ولكنها تأرجحت وهى تتذمر؛ لكى تسمح لهما بالتسلق إلى داخل الغرفة العامة الهادئة والخالية. ولم يبدُ أن الناس علموا بما حدث لـ(رون) بعد، وشعر (هارى) براحة تامة؛ إذ تم استجوابه بما يكفى فى ذلك اليوم. وتمنت له (هرميون) ليلة سعيدة وانطلقت إلى جناح غرف البنات، إلا أن (هارى) بقى فى مكانه، واتخذ مقعدًا بجوار المدفأة وظل ينظر إلى الجمرات وهى تنطفئ.

إذن، فقد تشاجر (دمبلدور) مع (سناب)، وفقد أعصابه معه رغم كل ما قاله لـ(هارى)، وعلى الرغم من إصراره على أنه يثق فى (سناب) تمامًا كان يعتقد أن (سناب) لم يبذل محاولات كافية للتحقيق مع طلاب (سليذرين).. أو ربما للتحقيق مع واحد من طلاب (سليذرين)، ألا وهو (مالفوى)!

هل كان ذلك لأن (دمبلدور) لم يكن يريد لـ(هارى) أن يُقدِم على أية حماقة، أو أن يسيطر على الأمور فتظاهر بأن شكوك (هارى) لا تنطوى على شىء؟ كان هذا يبدو محتملاً. ولعل (دمبلدور) لم يكن يريد لشىء أن يشغل (هارى) عن دروسه أو عن جلب تلك الذاكرة من (سلجهورن). وربما لم ير (دمبلدور) أنه من الصواب أن يفضى بشكوك عن هيئة التدريس لطالب مازال فى السادسة عشرة...

«ها أنت ذا يا (بوتر)!».

انتفض (هارى) واقفًا على قدميه مصدومًا، مستعدًّا بعصاه السحرية. كان متأكدًا أن الغرفة العامة خالية، ولم يكن مستعدًّا على الإطلاق لأن يجد شخصًا ضخم الجثة ينهض فجأة من مقعد بعيد. وعندما اقترب عرف أنه (كورماك ماكلاجين).

قال (ماكلاجين) دون اعتبار لعصا (هارى) السحرية المشرعة: «كنت انتظر عودتك، لابد أنى غفوتُ. اسمع، لقد رأيتهم يأخذون (ويسلى) إلى جناح المستشفى مبكرًا، لم يبدُ عليه أنه سيكون جاهزًا لمباراة الأسبوع القادم».

استغرق الأمر من (هارى) بضع ثوان ليدرك ما كان (ماكلاجين) يتحدث عنه.

قال وهو يعيد عصاه السحرية إلى مكانها بحزام سرواله الجينز ويمرر يده خلال شعره بملل: «آه... صحيح... الـ(كويدتش)، نعم... قد لا يتمكن من ذلك».

قال (ماكلاجين): «حسنًا إذن، سأشارك فى اللعب كحارس للمرمى، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «بلى، بلى، أعتقد ذلك...».

لم يتمكن من التفكير فى الرد على ذلك؛ فلا شك أن أداء (ماكلاجين) كان ثانى أفضل أداء فى اختبارات اختيار الفريق.

قال (ماكلاجين) بصوت راضٍ: «ممتاز.. إذن، متى التمرين؟».

«ماذا؟ آه... هناك تمرين مساء غد».

«جيد، اسمع يا (بوتر)، ينبغى أن نتحدث قبلها؛ لدىَّ بعض الأفكار عن طرق اللعب التى قد تجدها مفيدة».

قال (هارى) دون حماس: «ليكن، حسنًا، سأسمعها غدًا إذن، أنا متعب الآن.. إلى اللقاء».

انتشر خبر تعرض (رون) للتسمم بسرعة فى اليوم التالى، ولكنه لم يُحدِث نفس التأثير الذى أحدثه الاعتداء على (كاتى). بدا أن الناس يعتقدون أنه قضاء وقدر، خاصة أنه كان فى غرفة أستاذ الوصفات السحرية آنذاك، وتم إعطاؤه ترياقًا على الفور.. إذن، فلم يكن ثَمَّ ضرر حقيقى. والحقيقة أن طلاب (جريفندور) كانوا بصفة عامة أكثر اهتمامًا بمباراة الـ(كويدتش) التالية ضد فريق (هافلباف) عن أى شىء آخر؛ إذ كان الكثير منهم يريدون أن يروا (زكرياس سميث) الذى كان يلعب مطاردًا فى فريق (هافلباف) وهو ينال جزاءه؛ بسبب تعليقه أثناء المباراة الافتتاحية ضد فريق (سليذرين).

إلا أن (هارى) لم يكن يومًا أقل اهتمامًا بالـ(كويدتش) مثل هذه الأيام؛ كان قلقه مما يفعله (دراكو مالفوى) يتزايد. وكان لا يزال يتفقد خارطة (مارودر) كلما سنحت له الفرصة؛ وينعطف أحيانًا إلى أى مكان يتصادف وجود (مالفوى) فيه، ولكنه لم يضبطه يفعل أى شىء غير معتاد بعد. وكانت هناك أيضًا تلك المرات غير القابلة للتفسير التى يختفى فيها (مالفوى) من الخارطة ببساطة، لكن (هارى) لم يجد الوقت الكافى ليفكر فى هذه المشكلة، فهناك تمارين الـ(كويدتش) والواجبات ومطاردة كل من (كورماك ماكلاجين) و(لافيندر براون) إياه أينما ذهب.

لم يتمكن من تحديد أيهما يضايقه أكثر؛ فقد ظل (ماكلاجين) يردد مجموعة لا تتغير من التلميحات بأنه سيكون حارسًا دائمًا أفضل للفريق من (رون)، وبما أن (هارى) كان يراه يلعب بشكل منتظم الآن؛ فمن المؤكد أنه سيقتنع يومًا بذلك أيضًا؛ كما كان حريصًا على انتقاد سائر اللاعبين وعلى إمداد (هارى) بخطط تدريب مفصلة؛ بحيث اضطر (هارى) أكثر من مرة لتذكيره بمن هو قائد الفريق.

فى الوقت نفسه، ظلت (لافيندر) تلاحق (هارى)؛ لمناقشة موضوع (رون)، وهو ما اعتبره (هارى) أكثر إثارة للضجر من محاضرات

(ماكلاجين) عن الـ(كويدتش). فى بادئ الأمر، كانت (لافيندر) فى غاية الضيق؛ لأن أحدًا لم يفكر فى إبلاغها بأن (رون) فى جناح المستشفى - «أقصد أننى صديقته!» - ولكنها كانت قد قررت الآن للأسف أن تغفر لـ(هارى) هذه الزلة المتعلقة بالذاكرة، وأصبحت حريصة على إجراء الكثير من الأحاديث العميقة معه عن مشاعر (رون)؛ وهى تجربة غاية فى الإزعاج كان من دواعى سرور (هارى) أن يتجنبها.

بعد استجواب مطول من (لافيندر) شمل كل شىء بدءًا مما قاله (رون) تحديدًا عن ثيابها الجديدة وانتهاءً بما إذا كان (هارى) يعتقد أن (رون) يعتبر علاقته بـ(لافيندر) «جادة»، سألها (هارى) قائلاً: «اسمعى، لم لا تتحدثين مع (رون) عن كل هذا؟».

قالت (لافيندر) وهى متجهمة: «حسنًا، كنت أود، ولكنه دائمًا نائم حين أذهب لأراه!».

قال (هارى) بدهشة: «حقًا؟»؛ إذ إنه كان يجد (رون) فى كامل نشاطه فى كل مرة يصعد فيها إلى جناح المستشفى، ومهتمًا لدرجة كبيرة بأخبار مشاحنة (دمبلدور) و(سناب)، وفى الوقت نفسه حريصًا على سب (ماكلاجين) قدر الإمكان.

سألته (لافيندر) فجأة: «هل لا تزال (هرميون جرانجر) تزوره؟».

قال (هارى) بعدم ارتياح: «نعم، أظن ذلك، حسنًا، إنهما صديقان، أليسا كذلك؟».

قالت (لافيندر) بازدراء: «صديقان، لا تضحكنى. لم تكلمه طوال أسابيع بعد أن بدأ يخرج معى! لكننى أعتقد أنها تود أن تتصالح معه الآن بعد أن أصبح مثيرًا...».

سألها (هارى): «هل تسمين التعرض للتسمم إثارة؟!»، ثم قال (هارى) بعجلة: «على أية حال.. آسف، لابد أن أذهب.. ها هو (ماكلاجين) آتٍ ليتحدث عن الـ(كويدتش)»، واندفع إلى طريق جانبى،

ودلف عبر أحد الأبواب التى تبدو كأنها جدار أصم، وأسرع نحو الطريق المختصر الذى يُفضى به إلى فصل الوصفات السحرية؛ حيث لا يمكن لـ(لافيندر) أو (ماكلاجين) أن يتبعاه إليها لحسن الطالع.

وفى صباح يوم مباراة الـ(كويدتش) ضد فريق (هافلباف)، مر (هارى) بجناح المستشفى قبل أن يتوجه إلى الملعب. كان (رون) فى غاية الضيق؛ لأن مدام (بومفرى) لم تسمح له بالنزول لمشاهدة المباراة؛ لإحساسها بأنها ستجعله ينفعل أكثر من اللازم.

سأل (هارى) بعصبية ناسيًا على ما يبدو أنه سبق أن طرح عليه السؤال نفسه مرتين: «وكيف حال (ماكلاجين)؟».

قال (هارى) بصبر: «سبق أن قلت لك، إنه حتى لو أصبح مصنفًا عالميًّا فإنى مازلت لا أود أن أبقيه فى الفريق؛ فهو لا يكف عن محاولة الإملاء على الجميع ما يفعلون، يظن أنه يستطيع أن يلعب فى كل موقع أفضل من بقيتنا. أنتظر بفارغ الصبر الخلاص منه»، ثم أردف (هارى) وهو ينهض على قدميه ويلتقط مكنسته السحرية موديل الصاعقة النارية: «وبمناسبة الحديث عن الخلاص من الناس، هل لك أن تكف عن التظاهر بالنوم حين تأتى إليك (لافيندر) لتراك؟ إنها تدفعنى للجنون أيضًا».

قال (رون) وقد بدا عليه الخجل: «نعم، ليكن».

قال (هارى): «لو لم تكن تريد أن تخرج معها بعد ذلك فأبلغها بهذا».

قال (رون): «نعم... حسنا... ليست المسألة بهذه السهولة، أليس كذلك؟»، وتوقف، ثم أضاف بلهجة عرضية: «هل ستأتى (هرميون) للزيارة قبل المباراة؟».

«لا، لقد نزلت فعلاً إلى الملعب مع (جينى)».

قال (رون) بكآبة: «آه، صحيح، حسنا، حظ سعيد، أتمنى أن تهزم ماكلاجـ... أقصد (سميث)».

قال (هارى) وهو يضع مكنسته على كتفه: «سأحاول.. أراك بعد المباراة».

وأسرع بالنزول عبر الدهاليز المهجورة؛ كانت المدرسة كلها بالخارج، إما جالسين بالاستاد أو متوجهين نحوه. كان ينظر من النوافذ وهو يمر بها؛ فى محاولة لقياس سرعة الريح التى ستواجههم عندما سمع ضجيجًا أمامه دفعه للنظر لأعلى فرأى (مالفوى) متجهًا نحوه وبرفقته فتاتان بدا على كلتيْهما العبوس والغيظ.

توقف (مالفوى) لدى رؤية (هارى)، ثم أطلق ضحكة قصيرة غير مرحة وواصل السير.

سأل (هارى): «إلى أين أنت ذاهب؟».

قال (مالفوى) ساخرًا: «نعم، سأخبرك؛ لأن هذا من شأنك يا (بوتر). يستحسن أن تسرع، فهم فى انتظار «الكابتن المختار»: الفتى الذى سجل الأهداف.. أو أيًّا ما كانوا ينادونك به هذه الأيام».

أفلتت من إحدى الفتاتين ضحكة صاخبة بغير قصد؛ مما جعل (هارى) يحدق إليها؛ فاحمرّ وجهها. واندفع (مالفوى) مارًّا بـ(هارى) وتبعته هى وصديقتها تهرولان، ثم انعطفوا عند الركن واختفوا جميعًا عن الأنظار.

تسمَّر (هارى) فى مكانه وشاهدهم وهم يختفون. كان هذا أمرًا يثير الحنق.. كان بالفعل عازمًا على التوجه للمباراة فى الوقت المحدد، ولكن ها هو (مالفوى) يتسلل فى غياب بقية المدرسة؛ أفضل فرصة سنحت لـ(هارى) ليكتشف ما يدبره (مالفوى).. مرت الثوانى متواترة وظل (هارى)، حيث هو، متجمدًا يحدق إلى المكان الذى اختفى فيه (مالفوى).

سألته (جينى) وهو يهرع إلى غرفة الملابس قائلة: «أين كنتَ؟»، كان أفراد الفريق جميعًا قد غيروا ملابسهم واستعدوا؛ كان كلا الضاربين (كوتى) و(بيكس) يخبط مضربه على ساقه بعصبية.

أخبرها (هارى) بهدوء وهو يسحب ثوبه القرمزى فوق رأسه قائلاً: «قابلتُ (مالفوى)».

«وبعد؟».

«وبعد.. كنتُ أريد أن أعرف سبب وجوده بالقلعة مع فتاتين بينما الكل هنا...».

«هل هذا يهم الآن؟».

قال (هارى) وهو يمسك بمكنسته السحرية ويعدل نظارته: «حسنًا، من المستبعد أن أعرف، أليس كذلك؟ هيا إذن!».

وبدون أن يتفوه بكلمة أخرى سار متوجهًا نحو الملعب وصيحات الهُتاف والاستهجان التى تصم الآذان. كان هناك قليل من الريح، وكانت السحب متفرقة، ومن حين لآخر كانت الشمس تسطع بوميض مبهر.

قال (ماكلاجين) وهو يشجع فريقه: «الظروف خادعة! (كوتى) و(بيكس) ستضطران لتجنب الشمس؛ حتى لا يروكما آتييْن...».

قال (هارى) غاضبًا: «أنا الكابتن يا (ماكلاجين)، كف عن إعطائهم التعليمات. وقفْ عند قوائم المرمى فقط!».

وما إن مشى (ماكلاجين) حتى التفت (هارى) إلى كل من (كوتى) و(بيكس) وقال لهما بغيظ:

«حاولا قدر جهدكما أن تتجنبا الشمس».

ثم صافح كابتن فريق (هافلباف)، وعند انطلاق صافرة مدام (هوتش) ترك الأرض وارتفع فى الهواء أعلى من بقية فريقه واندفع كالبرق حول الملعب يبحث عن الـ(سنيتش). لو تمكن من الإمساك بها جيدًا ومبكرًا؛ فربما تسنح له الفرصة للعودة إلى القلعة والإمساك بخارطة (مارودر) ومعرفة ما يفعله (مالفوى).

قال صوت حالم يتردد صداه في الملاعب: «وها هو (سميث) من فريق (هافلباف) ومعه الكرة. كان يقوم بالتعليق في المرة السابقة بالطبع، واصطدمت به (جيني ويسلي)، ربما عن عمد على ما أعتقد - أو هكذا بدا الأمر. كانت تعليقات (سميث) في غاية السخف فيما يتعلق بـ(جريفندور)، وأتوقع أنه نادم على ذلك الآن وهو يلعب ضدهم.. آه، انظروا، ضاعت منه الكرة، أخذتها (جيني) منه، هي تعجبني فعلاً، إنها لطيفة جدًّا...».

حدق (هاري) إلى مقصورة المعلق. مؤكد... فلا أحد في حالته العقلية السليمة كان سيدع (لونا لافجود) تتولى التعليق. ولكن حتى من أعلى لا تخطئ العين ذلك الشعر الطويل الأشقر الداكن أو العُقد المصنوع من سدادات زجاجات جعة الزبد.. وبجوار (لونا)، كانت الأستاذة (ماكجونجال) تبدو غير مستريحة قليلاً، ولو أنها كانت مترددة بشأن هذا الاختيار.

«..ولكن الآن لاعب (هافلباف) الضخم أخذ الكرة منها، لا أتذكر اسمه، إنه شيء من قبيل (بيبل)... لا (بَجِتر)...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بصوت عالٍ بجانب (لونا): «إنه (كدوالادر)!» فضجت الجموع بالضحك.

حدق (هاري) حوله؛ بحثًا عن الـ(سنيتش)؛ لم يكن ثَمَّ أثر لها. وبعد لحظات، أحرز (كدوالادر) هدفًا؛ حيث كان (ماكلاجين) يصرخ في (جيني) منتقدًا إياها لسماحها للكرة بالإفلات منها فكانت النتيجة أنه لم يلاحظ الكرة الحمراء الكبيرة وهي تحلق بجانب أذنه اليمنى.

جأر (هاري) وهو يستدير ليواجه حارس مرماه قائلاً: «(ماكلاجين)، هلا انتبهتَ إلى ما ينبغي عليك أن تفعله وتركت غيرك في حاله!».

أجابه (ماكلاجين) وهو يصيح وقد احمر وجهه واستشاط غضبًا: «أنت لستَ قدوة طيبة».

قالت (لونا) بهدوء بينما كان مشجعو كل من (هافلباف) و(سليذرين) يهتفون ويسخرون تحتها وسط الجمهور: «(هارى بوتر) يتشاجر الآن مع حارس مرماه.

لا أظن أن هذا سيساعده فى العثور على الـ(سنيتش)، ولكن ربما كانت خدعة ذكية...».

دار (هارى) دورة وهو يسب بغضب وانطلق حول الملعب مرة أخرى وتفحَّص السماء؛ بحثًا عن أثر للكرة الذهبية المجنحة الصغيرة.

أحرزت كل من (جينى) و(ديميلزا) هدفًا لكل منهما وأعطتا للمشجعين من ذوى القمصان الملونة بالأحمر والذهبى ـ بأسفل ـ شيئًا يهللون به، ثم أحرز (كدوالادر) مرة أخرى محققًا التعادل، ولكن لم يبدُ أن (لونا) لاحظت ذلك؛ كانت وحدها تبدو غير مكترثة بمثل هذه الأمور الدنيوية كالأهداف، وظلت تحاول أن تلفت الجمهور لأشياء كالسحب بأشكالها الغريبة، واحتمال أن يكون (زاكرياس سميث) الذى كان قد أخفق حتى الآن فى الاحتفاظ بالكرة لأكثر من دقيقة واحدة يعانى ـ مما يُعرَف ـ بـ«عرَض الفشل».

صاحت الأستاذة (ماكجونجال) فى مكبر صوت (لونا) قائلة: «سبعون.. أربعون لـ(هافلباف)!».

قالت (لونا) بغموض: «هكذا فعلاً، آه، انظروا! حارس مرمى فريق (جريفندور) أمسك بأحد مضارب الضاربين».

دار (هارى) دورة فى الهواء، وكان (ماكلاجين)، ولأسباب معروفة له، قد جذب مضرب (بيكس) منه، وكان يبدو أنه يستعرض كيفية رمى (البلادجر) فى اتجاه (كدوالادر) وهو يقترب.

زأر (هارى) وهو منطلق تجاه (ماكلاجين) قائلاً: «أعد له مضربه، وعُد إلى قوائم المرمى!» بينما وجه (ماكلاجين) ضربة عنيفة بالمضرب تجاه (البلادجر) ولكنه أخطأه.

وفجأة شعر (هارى) بألم أعماه وأشعره بالغثيان.. وميض ضوء.. صرخات بعيدة.. وإحساس بالسقوط فى نفق طويل..

وكان الشىء التالى الذى شعر به (هارى) أنه مستلق فى سرير دافئ جدًّا ومريح، وينظر لأعلى إلى مصباح يلقى دائرة من ضوء ذهبى على سقف ملىء بالظلال. رفع رأسه بصعوبة، ووجد على يساره شخصًا مألوفًا ذا شعر أحمر ووجه به نمش.

قال (رون) وهو مبتسم: «جميل منك أن تمر لزيارتنا».

فتح (هارى) عينيه وأغمضهما ونظر حوله. طبعًا، كان بجناح المستشفى. كانت السماء بالخارج زرقاء مخططة باللون القرمزى. لابد أن المباراة انتهت منذ ساعات، وكذلك أى أمل فى ضبط (مالفوى). كان (هارى) يشعر بثقل غريب برأسه؛ فرفع يده وتحسسها فوجد عمامة متيبسة من الأربطة.

«ماذا حدث؟».

قالت مدام (بومفرى) وهى تندفع لتعيده إلى وسائده: «تهشم فى الجمجمة. لا تقلق، أصلحتها على الفور، لكننى سأحتجزك هنا حتى الصباح. استرح وابتعد عن الإجهاد الزائد على الحد لبضع ساعات».

قال (هارى) غاضبًا وهو يحاول الجلوس ويطرح عنه غطاءه: «لا أريد أن أبقى هنا حتى الصباح، أريد أن أبحث عن (ماكلاجين)؛ لأقتله».

قالت مدام (بومفرى) وهى تدفعه لتعيده إلى الفراش وترفع عصاها السحرية على سبيل التهديد: «أخشى أن هذا يندرج تحت بند الإجهاد الزائد على الحد.. ستمكث هنا إلى أن أصرفك أنا يا (بوتر)؛ وإلا فسأستدعى الناظر».

واندفعت عائدة إلى مكتبها وعاد (هارى) ليغوص فى وسائده وهو غاضب.

سأل (هارى) (رون) عبر أسنان مُطبقة: «أتعلم كم خسرنا؟».

رد (رون) بلهجة آسفة: «حسنًا، نعم، أعلم. النتيجة النهائية كانت ثلاثمائة وعشرين إلى ستين».

قال (هارى) بقسوة: «رائع، رائع حقًا! عندما أمسك (ماكلاجين)».

قال (رون) بتعقل: «أنت لا تستطيع أن تمسك به، فهو فى حجم حافلة. أنا شخصيًّا أعتقد أنه يستحق إلقاء تعويذة تطويل ظفر إصبع القدم المذكورة فى كتاب الأمير عليه. على أية حال، ربما سيكون باقى الفريق قد نالوا منه فعلاً قبل أن تخرج من هنا، فقد كانوا فى غاية الضيق...».

كانت هناك نبرة سرور فى صوت (رون) فشل فى إخفائها، وأدرك (هارى) أنه كان سعيدًا بأن (ماكلاجين) فشل بهذه الصورة السيئة. ظل (هارى) مستلقيًا يحدق إلى رقعة الضوء بالسقف ولم تكن جمجمته - بالتحديد - التى أصلحت لتوها تؤلمه، ولكنه شعر بها لينةً تحت كل هذه الضمادات.

قال (رون) وصوته يرتعش بالضحك: «كنت أسمع صوت مُعلِّقة المباراة من هنا. أتمنى أن تتولى (لونا) التعليق دائمًا من الآن فصاعدًا... «عرَض الفشل»...».

لكن (هارى) كان لا يزال أشد غضبًا من أن يرى فى الموقف ما يدعو للمرح، وبعد برهة خمدت ضحكات (رون) التى تبدو كالشخير.

قال بعد صمت طويل: «(جينى) جاءت لزيارتك حين كنتَ فاقدًا للوعى»، وحلق خيال (هارى) بعيدًا ليتصور مشهدًا تبكى فيه (جينى) على جسده بعد أن فارق الحياة وتعترف بمشاعرها نحوه بينما يباركهما (رون).. «قالت إنك وصلتَ بالكاد فى الوقت المحدد للمباراة، لماذا؟ أنت خرجتَ من هنا مبكرًا».

قال (هارى) بعد أن تبدد المشهد الذى تصوره فى ذهنه: «آه.. نعم، حسنًا، رأيت (مالفوى) يتسلل بصحبة فتاتين كان يبدو أنهما لا تريدان البقاء معه، وهذه هى المرة الثانية التى يتأكد فيها عدم وجوده فى ملعب الـ(كويدتش) مع بقية المدرسة.

فقد تغيب عن المباراة السابقة أيضًا، أتتذكر؟»، ثم تنهد (هارى) وقال: «ليتنى تتبعته، لقد كانت المباراة فاشلة بكل المقاييس...».

قال (رون) بحدة: «لا تكن أحمق، ما كان لك أن تتغيب عن مباراة الـ(كويدتش) لمجرد أن تتبع (مالفوى) فأنت الكابتن!».

قال (هارى): «أريد أن أعرف ما الذى يدبره، ولا تقل لى إن المسألة كلها محض أوهام فى رأسى، لاسيما بعدما سمعت ما بينه وبين (سناب)».

قال (رون) وهو يرفع نفسه على أحد مرفقيه ويرمق (هارى) متجهمًا: «لم أقل قطُّ إن المسألة كلها محض أوهام فى رأسك، ولكن ليست هناك قاعدة تقول إن شخصًا واحدًا يمكن أن يخطط لكل شيء فى هذا المكان فى كل وقت! إن (مالفوى) مستحوذ عليك قليلاً يا (هارى)؛ أقصد أن تفكر فى التغيب عن مباراة لمجرد أن تتبعه...».

قال (هارى) بإحباط: «أريد أن أضبطه متلبسًا! أقصد، إلى أين يذهب حين يختفى من الخارطة؟».

قال (رون) وهو يتثاءب: «لا أعلم.. ربما إلى (هوجسميد)!».

«لم يحدث أن رأيته يجتاز أيًا من الممرات السرية على الخارطة. على أية حال، كنت أعتقد أنها مراقبة الآن؟».

قال (رون): «حسنًا، إذن، لا أدرى».

وساد الصمت بينهما، وحدق (هارى) لأعلى إلى دائرة ضوء المصباح فوقه وراح يفكر: لو كان لديه نفوذ (روفوس سكريمجور)، لتمكن من تدبير من يتتبع (مالفوى)، ولكن للأسف لم يكن لديه مكتب ملىء بالمدافعين ضد السحر الأسود تحت تصرفه.. ففكر فى محاولة وضع خطة مع أعضاء جيش دمبلدور (ج.د)، ولكن برزت أيضًا مشكلة افتقادهم عند تغيبهم عن الدروس؛ فمعظمهم لا تزال لديهم جداول مكدسة على أية حال.

كان هناك غطيط وقرقرة منخفضة صادرة عن سرير (رون). وبعد قليل، خرجت مدام (بومفرى) من مكتبها، وفى هذه المرة كانت مرتدية ثوبًا سميكًا، وكان أسهل شيء أن يتظاهر بالنوم؛ تقلب (هارى) على جنبه وأنصت للستائر وهى تسدل نفسها وهى تلوح لها بعصاها السحرية. وانطفأت المصابيح، ثم عادت هى إلى مكتبها، وسمع الباب يصفَق وراءها؛ فعرف أنها أوت إلى فراشها.

أخذ (هارى) يفكر فى الظلام؛ كانت هذه هى المرة الثالثة التى يتم إحضاره فيها إلى جناح المستشفى؛ نتيجة إصابة من لعب الـ(كويدتش). فى المرة السابقة، كان قد سقط عن مكنسته بسبب وجود (دمينتورات) حول الملعب.. والمرة التى قبلها، أزيلت كل العظام من ذراعه على يد الأستاذ (لوكهارت).. وكانت هذه أكثر إصاباته ألمًا... وتذكر شدة آلام إعادة نمو عظام ذراع بأكملها فى ليلة واحدة، ألم يخففه وصول زائر غير متوقع فى منتصف الـ...؟

اعتدل (هارى) فى جلسته وكان قلبه يدق بقوة وعمامة الضمادات معوجة؛ أخيرًا توصل للحل: كانت هناك طريقة لتتبع (مالفوى).. كيف نسيه؟ لِمَ لم تخطر على باله من قبل؟

ولكن كان السؤال هو كيف يناديه؟ ماذا فعلتَ؟

أخذ (هارى) يتكلم بهدوء وبتردد فى الظلام:

«كريتشر؟».

انطلق صوت تشقق يصم الآذان وملأت الغرفة أصوات هياج وصرير.

استيقظ (رون) وهو يعوى:

«ماذا يحدث؟».

أشار (هارى) بعصاه السحرية بسرعة إلى باب مكتب مدام (بومفرى) وغمغم قائلاً: «(موفلياتو)!»؛ حتى لا تأتى مسرعة، ثم اندفع إلى طرف فراشه؛ لينظر بشكل أفضل إلى ما يحدث.

كان هناك اثنان من أقزام المنازل يتدحرجان على الأرضية فى وسط الجناح، يرتدى أحدهما سترة حمراء داكنة منكمشة وعدة قبعات صوفية، بينما يلبس الآخر خرقة بالية قذرة منكمشة على ردفيه كالمئزر، ثم كان هناك صوت خبطة عالية أخرى، وظهر (بيفز) «شبح الضجيج» فى الهواء فوق القزمين وهما يتصارعان.

قال لـ(هارى) وهو يشير إلى العراك من تحته قبل أن يطلق ضحكة عالية: «انظر إلى هذا يا (بوتى)! انظر إلى المخلوقيْن الضئيليْن وهما يتشاجران، عضة بعضة ولكمة بلكمة...».

صاح (دوبى) بصوت ذى نبرة حادة مرتفعة: «(كريتشر) لن يهين (هارى بوتر) أمام (دوبى)، لا، لن يفعل، وإلا فإن (دوبى) سيغلق فم (كريتشر)!».

صاح (بيفز) بفرح وهو يقذف قطعًا من الطباشير على القزمين ليزيد من غضبهما: «اركل، انبش أظافرك، اقرص، اطعن!».

«(كريتشر) سيقول ما يريد عن سيده، آه، نعم، ويا له من سيد، صديق قذر لذوى الدماء الموحلة، آه، ما الذى ستقوله سيدة (كريتشر) المسكينة؟».

لم يعرفا ما الذى كانت سيدة (كريتشر) تقوله بالضبط؛ لأنه فى هذه اللحظة أدخل (دوبى) قبضته الصغيرة فى فم (كريتشر) وهشم نصف أسنانه. فقفز كل من (هارى) و(رون) من فراشيهما وفصلا بين القزميْن ولو أن كلاً منهما ظل يحاول أن يركل ويلكم الآخر: نتيجة لحث (بيفز) الذى زحف حول المصباح وهو يصيح قائلاً: «أدخل أصابعك فى أنفه، اسحب سدادته وشد أذنيه...».

صوب (هارى) عصاه السحرية على (بيفز) وقال: «لانجلوك!» فأمسك (بيفز) حلقه وأخذ يبلع، ثم زحف خارجًا من الغرفة وهو يومئ بإشارات قبيحة، ولكنه عاجز عن الكلام؛ نظرًا لأن لسانه التصق بسقف فمه.

قال (رون) معجبًا وهو يرفع (دوبى) فى الهواء بحيث لم تعد أطرافه المدببة تحتك بـ(كريتشر): «كانت هذه تعويذة أخرى من تعاويذ الأمير، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وهو يلوى ذراع (كريتشر) الذابل نصف التواءة: «بلى، هذا صحيح.. أنا أمنعكما من الشجار! حسنًا يا (كريتشر)، محظور عليك التشاجر مع (دوبى). (دوبى)، أعرف أنه غير مسموح لى بأن أعطيك أوامر».

قال (دوبى) والدموع تنساب على وجهه الصغير المرتعش إلى كنزته: «(دوبى) قزم منزل حر ويمكن أن يطيع أيًّا ممن يحب، و(دوبى) سيفعل أى شىء يريده (هارى بوتر)!».

قال (هارى): «ليكن إذن». وأطلق (هارى) و(رون) القزميْن فسقطا على الأرض ولكنهما لم يواصلا الشجار.

قال (كريتشر) بصوت كنقيق الضفادع: «هل نادانى سيدى؟»، ثم غاص فى انحناءة وهو يرمق (هارى) بنظرة تنبئ عن أمنية صريحة بموت أليم.

قال (هارى) وهو ينظر بطرف عينه إلى باب مكتب مدام (بومفرى)؛ ليتأكد من أن تعويذة (موفلياتو) لا تزال تعمل، ولم يكن هناك دليل على أنها سمعت أيًّا من هذا الهياج: «نعم، ناديتك. لدىَّ مهمة لك».

قال (كريتشر) وهو يغوص حتى كادت شفتاه تلامس أصابع قدميه الشائهة: «(كريتشر) سيفعل كل ما يريده السيد؛ لأن (كريتشر) ليس مخيرًا، بل إن (كريتشر) ليخجل من أن يكون له سيد مثلك، نعم -».

صر (دوبى) بصوته الحاد وكانت عيناه اللتان فى حجم كرة التنس لا تزالان تسبحان فى الدموع: «(دوبى) سيؤدى المهمة يا (هارى بوتر)! دوبى سيشرُف بمساعدة (هارى بوتر)!».

قال (هارى): «أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن تكونا معًا، حسنًا، إذن.. أريدكما أن تتعقبا (دراكو مالفوى)».

واصل (هارى) كلامه متجاهلاً نظرة اختلطت فيها الدهشة والسخط على وجه (رون): «أريد أن أعرف: أين يذهب؟ من يقابل؟ وماذا يفعل؟أريدكما أن تتبعاه فى كل لحظة».

قال (دوبى) على الفور وقد لمعت عيناه الكبيرتان بالإثارة: «أمرك يا (هارى بوتر)! وإذا أخطأ (دوبى) فى مهمته فإنه سيُلقى بنفسه من أعلى البرج يا (هارى بوتر)!».

قال (هارى) بسرعة: «لن تكون هناك حاجة لذلك».

قال (كريتشر) متذمرًا: «السيد يريد أن أتعقب أصغر أفراد آل (مالفوى)! السيد يريدنى أن أتجسس على حفيد سيدتى السابقة ذات الدم النقى!».

قال (هارى) وقد تنبأ بخطر عظيم وقرر أن يمنعه على الفور: «هذا هو، وممنوع عليك أن تلمح أو تبين له ما تقوم به، أو أن تتكلم معه أصلاً، أو أن تكتب له رسائل، أو... أو أن تتصل به بأية طريقة، أفهمت؟».

ظن أنه سيتمكن من رؤية (كريتشر) وهو يبذل كل جهده ليجد ثغرة فى التعليمات التى ألقاها عليه لتوِّه، فانتظر. وبعد لحظة أو لحظتين حدث ما أرضَى (هارى) تمامًا؛ إذ انحنى (كريتشر) مرة أخرى وقال باستياء مرير: «السيد يفكر وعلى (كريتشر) أن يطيعه، ولو أن (كريتشر) كان يود أن يكون خادمًا للصبى (مالفوى)، نعم،...».

قال (هارى): «اتفقنا إذن، سأحتاج إلى تقارير منتظمة، ولكن تأكدًا من أن أحدًا ليس معى حين تأتيان. لا بأس من وجود (رون)، أو (هرميون). ولا تنبئا أحدًا بما تفعلان. كل ما عليكما هو أن تلازما (مالفوى) كلصقتيْن على دمل».

■ ■ ■

٢٠ طلب اللــورد (فولدمورت)

غادر(هـارى) و(رون) جناح المستشفى فى صباح يوم الإثنين بعد أن استردَّا كامل عافيتهما نتيجة لرعاية مدام (بومفرى) لهما وأصبح الآن بإمكانهما التمتع بميزات التعرض للضرب والتسمم، وأحسن ما فيها هو عودة الصداقة مرَّة أخرى بين (رون) و(هرميون)، بل إن (هرميون) رافقتهما إلى الإفطار وجلبت معها خبر شجار (جينى) مع (دين)؛ فرفع المخلوق الناعس فى صدر (هارى) رأسه فجأة واستنشق الهواء بأمل.

سألها؛ محاولاً أن يبدو سؤاله عرضيًّا: «ما سبب شجارهما؟» وكانوا ينعطفون نحو دهليز بالطابق السابع لا توجد به إلا طفلة صغيرة جدًّا تتفحص تطريزًا على قماش تنورة منتفخة، وبدا عليها الهلع مع اقتراب طلاب السنة السادسة وسقط منها الميزان النحاسى الثقيل الذى كانت تحمله. قالت (هرميون) بعطف وهى تهرع لتساعدها: «لا تخافى، خذى...»، ونقرت على الميزان المكسور بعصاها السحرية وقالت: «ريبارو».

لم تتفوه الطفلة بكلمة شكر، بل ظلت مسمرة فى مكانها وهم يمرون، وراقبتهم حتى اختفوا عن ناظريْها، وألقى (رون) نظرة خاطفة عليها، قال: «أقسم، إنهم يصغرون».

قال (هارى) وقد نفد صبره قليلاً: «دعك منها، ما سبب شجار (جينى) و(دين) يا (هرميون)؟».

قالت (هرميون): «آه، كان (دين) يضحك من ضرب (ماكلاجين) لك بالمضرب».

قال (رون) فى تؤدة: «لابد أن الأمر كان يبدو مضحكًا».

قالت (هرميون) بحماس: «لم يبدُ الأمر مضحكًا على الإطلاق! بل كان رهيبًا، فلولا إمساك (كوتى) و(بيكس) بـ(هارى) لكان أصيب إصابة سيئة جدًّا!».

قال (هارى) وهو لا يزال يحاول أن يبدو سؤاله عرضيًا: «نعم، حسنًا، لم يكن هناك داعٍ لأن ينفصل (جينى) و(دين) لهذا السبب، أم تراهما لا يزالان معًا؟».

سألت (هرميون) (هارى) وهى ترمقه بنظرة حادة: «نعم، لايزالان معًا - ولكن لِمَ تهتم بهذا الشكل؟».

فقال بسرعة: «كل ما هنالك أننى لا أريد أن يفسد فريق الـ(كويدتش) الأمور مرة أخرى!» لكن (هرميون) واصلت نظرة الشك، وشعر براحة غامرة حين سمع صوتًا من ورائهم ينادى: «(هارى)!»؛ مما أعطاه العذر لأن يوليها ظهره.

«آه، أهلاً يا (لونا)».

قالت (لونا) وهى تفتش فى حقيبتها: «ذهبتُ إلى جناح المستشفى لكى أجدك، ولكنهم قالوا لى إنك خرجتَ...».

ودفعت بما بدا وكأنه بصلة خضراء، وفطر كبير منقوط من نوع الغاريقون السام، وكمّ كبير مما بدا كمهاد قطة فى يدى (رون)، وأخيرًا جذبت رقعة ملفوفة متواضعة الشكل وناولتها لـ(هارى).

«... طُلب منى أن أعطيك هذه».

وتعرَّف (هارى) الرقعة الصغيرة الملفوفة على الفور؛ كانت دعوة أخرى لدرس مع (دمبلدور).

وما إن فضها حتى قال لـ(رون) و(هرميون): «الليلة». قال (رون) لـ(لونا) بعد أن استعادت البصلة الخضراء وفطر الغاريقون ومهاد القطة: «كان تعليقكِ لطيفًا فى المباراة السابقة» فابتسمت (لونا) بغموض..

وقالت: «أنت تسخر منى، أليس كذلك؟ الكل يقولون إننى كنتُ بغيضة».

قال (رون) بجد: «لا، أنا جاد! لا أذكر أننى استمتعتُ بتعليق أكثر من تعليقك!».

ثم سألها وهو يرفع الشىء الذى يشبه البصلة إلى مستوى العين قائلاً: «بالمناسبة، ما هذه؟».

فقالت وهى تعيد مهاد القطة وفطر الغاريقون إلى حقيبتها: «آه، إنها جذر نبات الـ(جوردى)، يمكنك أن تحتفظ به إن شئت، عندى بعض منها، وهى ممتازة جدًا فى صد المخلوقات المزدردة».

ثم مشت تاركةً (رون) يضحك بينما لا يزال يمسك بجذر ثمرة الـ(جوردى).

قال وهم فى طريقهم مرة أخرى نحو البهو العظيم: «أتدرى، إنها تعجبنى، (لونا)، أعرف أنها مجنونة، ولكن بطريقة...».

ثم توقف عن الكلام فجأة؛ كانت (لافيندر براون) واقفة أسفل الدرج الرخامى وقد بدت ثائرة.

قال (رون) بعصبية: «أهلاً».

غمغم (هارى) لـ(هرميون) قائلاً: «هيا»، ثم تجاوزاهما مسرعين، ولكن ليس قبل أن يسمعا (لافيندر) تقول: «لِمَ لم تبلغنى بأنك ستخرج اليوم؟ ولِمَ كانت هى معك؟».

بدا (رون) واجمًا ومستاءً حين ظهر على الإفطار بعدها بنصف ساعة، ورغم أنه جلس مع (لافيندر) فإن (هارى) لم يرهما يتبادلان كلمة طوال المدة التى ظلاَّ فيها معًا. وكانت (هرميون) تتصرف كأنها غير مدركة تمامًا لكل هذا، إلا أن (هارى) لمح على وجهها ابتسامة متكلفة لا تفسير لها مرة أو مرتين. وبدت فى حالة مزاجية طيبة بشكل خاص طوال ذلك اليوم، بل إنها وافقت فى مساء ذلك اليوم بالغرفة العامة على تفحص (بعبارة أخرى تنهى كتابة) مقال (هارى) فى علم النباتات،

وهو شيء ظلت ترفض بإصرار أن تقوم به حتى ذلك الوقت، لأنها كانت تعرف أن (هارى) سيترك (رون) ينسخ عمله.

قال (هارى): «شكرًا يا (هرميون)»، وربت على ظهرها ربتة سريعة وهو ينظر فى ساعته ورأى أنها تقترب من الثامنة واستطرد: «اسمعى، لابد أن أسرع وإلا لتأخرت على (دمبلدور)...».

لم تُجبه، بل اكتفت بشطب بعض عباراته الركيكة بصورة ملول نوعًا ما، وأسرع (هارى) مبتسمًا فعبر فجوة اللوحة متجهًا إلى مكتب الناظر. وقفز المزراب جانبًا لدى ذكر (طوفى إكليرز) وصعد (هارى) الدرج الحلزونى درجتين فى كل مرة ودق على الباب، بينما كانت الساعة تدق معلنة الثامنة فى الداخل.

نادى (دمبلدور): «ادخل». ولكن بينما مد (هارى) يده ليدفع الباب التوَى المقبض وانفتح الباب من الداخل، وظهرت الأستاذة (تريلاونى) واقفة أمامه.

صاحت وهى تشير بصورة مفاجئة إلى (هارى) وتنظر إليه عبر نظارتها قائلة: «أها! إذن فهذا هو السبب الذى أُطرد لأجله بفظاظة من مكتبك يا (دمبلدور)!».

قال (دمبلدور) بصوت يشوبه الحنق قليلاً: «عزيزتى (سيبيل)، لا أحد يمكنه طردك بفظاظة من أى مكان، لكن (هارى) عنده موعد فعلاً وأنا لا أظن أن هناك المزيد ليقال...».

قالت الأستاذة (تريلاونى) بصوت من أصيبت بجرح غائر: «حسنًا جدًا، إن لم تطرد الفرس الغاصبة ليكن إذن... لعلى أجد مدرسة أخرى تقدّر فيها مواهبى...».

واندفعت متجاوزة (هارى) واختفت فى الدرج الحلزونى، وسمعا صوت تعثرها فى منتصف الدرج، وحدس (هارى) أنها تعثرت فى أحد شيلانها التى تجرها خلفها.

قال (دمبلدور) بصوت ينمُّ عن إرهاق: «أغلق الباب من فضلك واجلس يا (هارى)».

أطاع (هارى) ولاحظ وهو يتخذ مقعده المعتاد أمام مكتب (دمبلدور) أن (البنسييف) موجود بينهما مرة أخرى، وكذلك زجاجتان بلوريتان صغيرتان ممتلئتان بذاكرة تدور.

سأله (هارى): «إذن، فالأستاذة (تريلاونى) لاتزال حزينة؛ لأن (فيرنز) يقوم بالتدريس؟».

قال (دمبلدور): «لا، يبدو أن مادة التنجيم ستسبب متاعب أكثر مما تنبأت به؛ ربما لأننى لم أدرس هذه المادة قطُّ. لا أستطيع أن أطلب من (فيرنز) أن يعود إلى الغابة التى أصبح منبوذًا منها الآن، ولا أستطيع أن أطلب من (سيبيل تريلاونى) أن ترحل. بينى وبينك، هى ليست لديها أية فكرة عن الخطر الذى يتهددها خارج القلعة، هى لا تدرى - وأعتقد أن من الحمق تنبيهها - إنها هى صاحبة النبوءة عنك أنت و(فولدمورت)، أترى؟».

وأطلق (دمبلدور) تنهيدة عميقة، ثم قال: «ولكن لا تهتم بمشكلات هيئة التدريس.

فلدينا أمور أهم كثيرًا لنناقشها. أولاً، هل تدبرتَ المهمة التى أسندتها إليك فى ختام درسنا السابق؟».

قال (هارى): «آه»، ثم توقف فجأة. كان (هارى) قد نسى تقريبًا مسألة الذاكرة التى كان (دمبلدور) قد طلب منه أن ينتزعها له من الأستاذ (سلجهورن) فى خضم ما حدث فى دروس الانتقال الآنى والـ(كويدتش) وتسمم (رون) وجرح جمجمته هو وإصراره على كشف ما يدبره (دراكو مالفوى)،... «حسنا، سألتُ الأستاذ (سلجهورن) عنها فى ختام مادة الوصفات يا سيدى، ولكنه رفض أن يعطيها لى».

وساد قليل من الصمت.

وفى النهاية، قال (دمبلدور) وهو يرمق (هارى) من فوق نظارته الهلالية الشكل موحيًا له بالشعور المعتاد بأنه قد تم مسحه بأشعة إكس: «وأنت تشعر أنك بذلتَ قصارى جهدك فى هذا الشأن، أليس كذلك؟ وأنك مارست كل ما لديك من براعة هائلة؟ وأنك لم تترك غور مكر لم تسبره فى سعيك للحصول على الذاكرة؟».

أُسقِطَ فى يد (هارى) وتحير فيما يقول بعد ذلك، فجأة بدت محاولته للاستيلاء على الذاكرة واهية بصورة محرجة. قال: «حسنًا، حسنًا.. فى اليوم الذى ابتلع فيهِ (رون) وصفة الحب السحرية خطأً اصطحبته إلى الأستاذ (سلجهورن). ظننت أننى لو جعلت الأستاذ (سلجهورن) فى حالة مزاجية طيبة...».

سأله (دمبلدور): «وهل أفلحت؟».

«حسنا، لا يا سيدى؛ لأن (رون) تسمم...».

«..وهو ما جعلك تنسى طبعًا كل شىء عن محاولة الحصول على الذاكرة؛ ما كنت لأتوقع غير ذلك بينما كان أقرب أصدقائك فى خطر. ولكن ما إن بات واضحًا أن السيد (ويسلى) سيشفَى تمامًا كنتُ أتعشم منك أن تعود إلى المهمة التى أسندت إليك. أظن أننى أوضحت لك مدى أهمية تلك الذاكرة؛ أنا فعلاً بذلت كل جهدى لأوحى لك أنها أخطر ذاكرة على الإطلاق وأننا سنبدد وقتنا بدونها».

غمر (هارى) شعور ساخن شائك بالخجل من مفرق رأسه نزولاً إلى أخمص قدميه. لم يكن (دمبلدور) قد رفع صوته، بل لم يبدُ عليه الغضب، إلا أن (هارى) كان يفضل لو أنه صرخ فيه؛ فهذا الإحباط البارد كان أسوأ من أى شىء.

قال بشىء من اليأس: «سيدى، المسألة ليست أننى أهملت الأمر او شيئًا من هذا القبيل، ولكن مجرد أننى كانت لدىَّ أشياء ـ أشياء أخرى...».

أنهى (دمبلدور) الجملة له قائلاً: «أشياء أخرى شغلت بالك! فهمت».

وساد الصمت بينهما من جديد؛ أثقل صمت مر به (هارى) مع (دمبلدور)، وبدا أنه استمر واستمر، لا يقطعه سوى الغطيط الناخر الخفيض الصادر عن لوحة (أرماندو ديبت) فوق رأس (دمبلدور). أحس (هارى) بأنه انكمش بصورة غريبة، كأنه تقلص قليلاً منذ أن دخل الغرفة.

وعندما لم يعد يتحمله قال: «أنا فعلاً آسف يا أستاذ (دمبلدور). كان ينبغى أن أفعل المزيد... كان ينبغى أن أدرك أنك ما كنتَ لتطلب منى أن أقوم بهذه المهمة لو لم تكن فى غاية الأهمية».

قال (دمبلدور) بهدوء: «شكرًا لك أن قلتَ ذلك يا (هارى). أتعشم منك إذن أن تولى المسألة أولوية قصوى من الآن فصاعدًا.. لن يكون للقائنا بعد الليلة هدف ما لم نحصل على تلك الذاكرة!».

قال (هارى) بجد: «سأفعل يا سيدى، سآتى بها منه».

قال (دمبلدور) برقة أكبر: «إذن لن نقول المزيد عنها الآن، ولنستمر فى قصتنا حيث تركناها. أتتذكر أين كان هذا؟».

قال (هارى) بسرعة: «نعم يا سيدى»، ثم غمغم بوجه ينمُّ عن الخجل: «قتل (فولدمورت) أباه وجديْه، وجعل المسألة تبدو كأن عمه (مورفين) هو الذى فعلها.

ثم عاد إلى (هوجوورتس) وسأل... سأل الأستاذ (سلجهورن) عن آل (هوركروكس)».

قال (دمبلدور): «حسنا جدًّا.. والآن، ستتذكر كما أتعشم أننى أخبرتك فى البدايات الأولى للقاءاتنا هذه أننا سندخل عوالم الحدس والتكهن؟».

«نعم يا سيدى».

«عرضت لك حتى الآن وأتعشم أن تتفق معى المصادر الموثوقة لاستنتاجاتى فيما يتعلق بما فعل (فولدمورت) حتى سن السابعة عشرة».

أومأ (هارى) برأسه.

قـال (دمـبـلـدور): «لـكـن الآن يـا (هـارى)، الآن أصـبـحـت الأمـور أكثر غموضًا وغرابة. لو أنه كان من الصعب أن تعثر على دليل عن (ريدل) الصبـى فـمـن الـمسـتـحـيـل تـقـريـبـًا أن تـجـد أحدًا مستـعدًّا لأن يـتـذكـر (فولدمورت) الرجل. والحقيقة أننى أشك فى وجود أحد سواه يمكن أن يمدنا برواية كاملة عن حياته منذ أن غادر (هوجوورتس). ومع ذلك، فلديّ ذاكرتان أود أن أعرضهما عليك». وأشار (دمبلدور) إلى الزجاجتين البلّوريتين الصغيرتين المتلألئتين بجوار (البنسيف): «ويهمنى معرفة رأيك فيما إذا كانت النتائج التى استقيتها منهما تبدو راجحة أم لا».

جعلت فكرة تقدير (دمبلدور) الكبير لرأيه ـ (هـارى) يشعر بخزى أعمق من إخفاقه فى مهمة الحصول على ذاكرة الـ(هوركروكس)، واستدار بخزيه فى مقعده، بينما رفع (دمبلدور) أولى الزجاجتين إلى الضوء وتفحصها.

قال: «أتعشم ألا تكون قد تعبتَ من الغوص فى ذاكرات الآخرين، فهما ذاكرتان غريبتان، الأولى هذه جاءت من قزمة منزل عجوز جدًّا اسمها (هوكى)، ولكن قبل أن نرى ما شهدته (هوكى) لابد أن أروى لك كيف رحل (فولدمورت) عن (هوجوورتس).

«بلغ سنته السابعة فى دراسته ـ كما قد تكون قد توقعتَ ـ بدرجات عالية فى كل امتحان خاضه. وكان كل من حوله من زملائه يحددون أى الوظائف سيمتهنون حين يخرجون من (هوجوورتس). وكان الجميع تقريبًا يتوقعون أشياء مذهلة من (توم ريدل)؛ الفتى المتفوق العبقرى الذى حاز (الجائزة الخاصة للخدمات المسداة للمدرسة). وأعرف أن عددًا من المعلمين، ومنهم الأستاذ (سلجهورن)، اقترحوا إلحاقه بوزارة السحر وعرضوا تحديد مواعيد له وتقديمه لشخصيات تفيده. ولكنه رفض كل العروض. والشىء التالى الذى عرفته هيئة التدريس بالمدرسة أن (فولدمورت) التحق بالعمل لدى محل (بورجين وبوركس)؟!».

ردد (هارى) بذهول: «(بورجين وبوركس)؟».

كرر (دمبلدور) بهدوء: «(بورجين وبوركس). أعتقد أنك سترى المغريات التى قدمها المكان له حين ندخل ذاكرة (هوكى). ولكن هذا لم يكن أول خيارات (فولدمورت) فى الوظائف. لم يعرف أحد شيئًا عن هذا فى ذلك الوقت - ولكننى كنتُ واحدًا من القلائل الذين وثق بهم الناظر آنذاك؛ فقد ذهب (فولدمورت) أولاً إلى الأستاذ (ديبت) وسأله عما إذا كان بإمكانه البقاء فى (هوجوورتس) كمعلم».

سأله (هارى) بدهشة أكبر: «أراد أن يبقى هنا؟! لِمَ؟».

قال (دمبلدور): «أظن أنه كانت لديه أسباب، إلا أنه لم يكن ليبوح بأى منها للأستاذ (ديبت)؛ أولاً وهذا مهم جدًّا أن (فولدمورت) كان على ما أعتقد أكثر ارتباطًا بالمدرسة منه بأى شخص، كانت (هوجوورتس) هى أكثر مكان شعر فيه بالسعادة؛ المكان الأول والوحيد الذى أحس فيه أنه فى بيته».

شعر (هارى) بعدم الارتياح قليلاً لهذه الكلمات؛ لأن هذا كان شعوره هو أيضًا تجاه (هوجوورتس).

«ثانيًا: إن القلعة معقل السحر القديم، ولاشك أن (فولدمورت) كان قد اخترق أسرارها أكثر من معظم الطلاب الذين يمرون بالمكان، ولكن لعله شعر بأنه لا يزال هناك المزيد من الألغاز، عليه أن يحلها، خزائن من السحر عليه أن يفتحها».

«ثالثًا: إنه كمعلم كان سيصبح له نفوذ وتأثير على السحرة والساحرات الصغار.

ربما كان قد اكتسب الفكرة من الأستاذ (سلجهورن)؛ المعلم الذى كان على وفاق تام معه، والذى كان قد أثبت الدور المؤثر الذى يمكن للمعلم أن يلعبه، ولا أتخيل للحظة أن (فولدمورت) فكر فى قضاء بقية عمره

فى (هوجوورتس)، لكننى أعتقد أنه رأى فيها مركز تجنيد مفيد ومكانًا يمكن أن يبدأ فيه بناء جيش لنفسه».

«ولكنه لم يحصل على الوظيفة يا سيدى؟».

«لا، لم يفعل. أخبره الأستاذ (ديبت) أنه لايزال صغيرًا بالنسبة لهذه الوظيفة، فى سن الثامنة عشرة، ولكنه دعاه لإعادة التقديم فى غضون سنوات قلائل لو كان لا يزال يرغب فى التدريس».

سأله (هارى) بتردد: «ما كان شعورك حيال ذلك يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «عدم ارتياح عميق. كنتُ قد نصحت (أرماندو) بعدم تعيينه وإن كنت لم أقدم له الأسباب التى قدمتها لك، فالأستاذ (ديبت) كان يحب (فولدمورت) ومقتنعًا بإخلاصه.. لكننى لم أكن أريد للورد (فولدمورت) أن يعود إلى هذه المدرسة، خاصة فى موقف ذى نفوذ».

«وما الوظيفة التى كان يريدها يا سيدى؟ أى المواد كان يرغب أن يدرِّسها؟».

بصورة ما، كان (هارى) يعرف الإجابة حتى قبل أن ينطق بها (دمبلدور).

«الدفاع ضد فنون الظلام، كان يتولى تدريسها فى ذلك الوقت أستاذ عجوز اسمه (جاليشيا ميريثوت) وكان قد قضى فى (هوجوورتس) حوالى خمسين سنة.

ثم ذهب (فولدمورت) إلى محل (بورجين وبوركس)، وقال أعضاء هيئة التدريس ممن كانوا يعجبون به: يا لها من خسارة! ساحر شاب ذكى كهذا يعمل فى محل. لكن (فولدمورت) لم يكن مجرد بائع عادى؛ فقد ساعده تهذيبه ووسامته وذكاؤه فى تولى وظائف خاصة من نوعية لا وجود لها إلا فى مكان مثل محل (بورجين وبوركس) المتخصص - كما تعلم يا (هارى) - فى أشياء ذات خصائص قوية وغير عادية. فتم إيفاد (فولدمورت) لإقناع الناس بأن يتنازلوا عن كنوزهم ليبيعها الشركاء، وكان بكل المقاييس موهوبًا بصورة غير عادية فى ذلك».

لم يتمالك (هارى) نفسه فقال: «لا شك عندى فى ذلك».

قال (دمبلدور) بابتسامة باهتة: «حسنًا، تمامًا. وحان الوقت الآن لأن نسمع من (هوكى) قزمة المنزل التى عملت لدى ساحرة عجوز جدًّا وغنية جدًّا اسمها (هبزيباه سميث)».

نقر (دمبلدور) على إحدى الزجاجتين بعصاه السحرية، فطارت السدادة وسكب الذاكرة الدوارة فى (البنسيف) وهو يقول: «تفضل يا (هارى)».

نهض (هارى) وانحنى مرة أخرى فوق المحتوى الفضى المتموج بالحوض الحجرى ولمسه بوجهه؛ فهوى فى مظلم وهبط فى غرفة جلوس أمام سيدة عجوز شديدة البدانة، تضع على رأسها شعرًا مستعارًا بنىّ اللون، وترتدى ثوبًا ورديًّا لامعًا ينساب حولها فى كل اتجاه ويجعلها تبدو مثل كعكة مثلجة ذاب عنها الثلج. كانت تنظر فى مرآة صغيرة مرصعة وتبدرت ببدارة كبيرة «أحمر الخدود» على وجنتيها القرمزيتين أصلاً، بينما كانت أقصر وأكبر قزمة منزل سنًّا رآها (هارى) فى حياته تشد على قدميها الممتلئتين خفًّا أطلسيًّا ضيقًا.

قالت (هبزيباه) بغطرسة: «عجِّلى يا (هوكى)! فقد قال إنه آتٍ فى الرابعة، لم يبق سوى دقيقتين وهو لم يتأخر من قبل قط!».

طوت بدارتها بينما انتصبت قزمة البيت واقفة، كانت قمة رأس قزمة البيت لا تكاد تصل إلى لوح مقعد (هبزيباه) وكان جلدها الرقيق الجاف يتهدل من هيكلها كما تتدلى الملاءة الكتانية المتجعدة التى كانت ترتديها كالتوجة(*) الرومانية.

قالت (هبزيباه) وهى تدير رأسها إعجابًا بمختلف زوايا وجهها فى المرآة: «كيف أبدو؟».

قالت (هوكى) بصوت كالصرير: «فاتنة يا مدام».

(*) ثوب رومانى فضفاض.

لم يسع (هارى) سوى أن يفترض أن عقد (هوكى) كان ينص على ضرورة أن تكذب بشدة حين يوجه لها هذا السؤال؛ لأن (هبزيباه سميث) كانت تبدو بعيدة كل البعد عن الفتنة فى رأيه.

دق جرس باب منغم فقفزت السيدة وقزمتها معًا.

صاحت (هبزيباه) قائلة: «بسرعة، بسرعة، لقد وصل يا (هوكى)!»؛ فانطلقت القزمة خارجة من الغرفة التى كانت تكتظ بالأشياء حتى كان من الصعب تصور أحد يمكن أن يجد طريقه خلالها دون أن يتعثر فى اثنى عشر شيئًا منها على الأقل؛ كانت هناك خزائن مليئة بعلب صغيرة مصقولة وصناديق مكدسة بكتب منقوشة بالذهب ورفوف تعلوها كواكب وأفلاك سماوية والعديد من النباتات المزدهرة المغروسة فى أوعية نحاسية؛ كانت الغرفة فى الحقيقة تبدو خليطا بين حانوت عاديات سحرية وصوبة زجاجية.

عادت قزمة المنزل فى غضون دقائق يتبعها شاب طويل، لم يجد (هارى) أية صعوبة فى إدراك أنه (فولدمورت). كان يرتدى بزة سوداء بسيطة؛ كان شعره أطول قليلاً مما كان عليه فى المدرسة ووجنتاه غائرتيْن، لكن هذا كله كان لائقًا عليه؛ كان يبدو أوسم أكثر من أى وقت آخر. وشق طريقه عبر الغرفة المكتظة بصورة تنمُّ عن أنه زارها مرات عديدة من قبل وانحنى لأسفل على يد (هبزيباه) الصغيرة الممتلئة ومسها بشفتيه.

قال بهدوء وهو يجلب باقة ورد من الهواء: «أتيتك بزهور».

صاحت العجوز (هبزيباه) قائلة: «أيها الولد الشقى، ما كان ينبغى لك!» مع أن (هارى) لاحظ أن لديها زَهرية فارغة تقف جاهزة على أقرب مائدة صغيرة. «أنت فعلاً تدلل السيدة العجوز يا (توم)... اجلس، اجلس... أين (هوكى)... آه...».

عادت قزمة المنزل تهرول على عجل إلى الغرفة وهى تحمل صينية فوقها كعكات صغيرة وضعتها عند مرفق سيدتها.

قالت (هبزيباه): «تفضل يا (توم)، أنا أعرف كم تحب كعكى. والآن، كيف أنت؟ يبدو عليك الشحوب؛ لابد أنهم يجهدونك فى العمل فى ذلك المحل، هذا ما قلته مائة مرة...».

ابتسم (فولدمورت) آليًا وتكلفت (هبزيباه) الابتسام.

سألته وهى تطرف أهدابها: «حسنًا، ما عذرك لزيارتى هذه المرة؟».

قال (فولدمورت): «يود السيد (بورك) أن يقدم عرضًا أفضل للدرع صنعة الجن الأسطورى، خمسمائة جالون، ويشعر بأن هذا أكثر من معقول...».

لوت (هبزيباه) شفتيها وقالت: «الآن، الآن، ليس بهذه السرعة، وإلا لظننتُ أنك لم تأتِ إلا لأجل أشيائى التافهة!».

قال (فولدمورت) بهدوء: «أُمرتُ بأن آتى إلى هنا بسببها، فما أنا إلا موظف مسكين يا مدام، عليه أن ينفذ ما يؤمر به. السيد (بورك) يريدنى أن أستعلم...».

قالت (هبزيباه) وهى تلوح بيد صغيرة: «آه، السيد (بورك)، آه منه! لدىّ شىء أريك إياه ولم أرِه للسيد (بورك) قطُّ! هل لك أن تحفظ سرًّا يا (توم)؟ أتعدنى بألاَّ تخبر السيد (بورك) أنه عندى؟ لن يتركنى أستريح لو علم أنى أريتك إياه، وهو ليس للبيع، لا لـ(بورك) ولا لغيره! أما أنت يا (توم) فستقدره؛ بسبب تاريخه وليس بعدد الجالونات التى يمكن أن تحصل عليها فى مقابله...».

قال (فولدمورت) بهدوء: «يسعدنى رؤية أى شىء ترينى إياه الآنسة (هبزيباه)».

فأطلقت (هبزيباه) قهقهة أخرى من قهقهات البنات.

«سأجعل (هوكى) تخرجه لى... يا (هوكى)، أين أنت؟ أريد أن أُرى السيد (ريدل) أنفَس كنوزنا... فى الحقيقة، أحضرى الاثنتين بينما أنت هناك...».

صرخت قزمة المنزل قائلة: «تفضلى يا مدام»، فرأى (هارى) علبتين جلديتين إحداهما فوق الأخرى تتحركان عبر الغرفة كما لو كانتا تتحركان من تلقاء أنفسهما مع أنه كان يعرف أن قزمة المنزل ضئيلة الحجم كانت تمسك بهما فوق رأسها وهى تشق طريقها بين الموائد والمقاعد ومساند القدمين.

قالت (هبزيباه) بسعادة وهى تتناول العلبتين من قزمة البيت وتضعهما فى حجرها وتستعد لفتح العليا منهما: «والآن أظن أنك ستعجب بذلك يا (توم)... آه، لو علمت عائلتى أنى أريك إياها.. كم يتمنون أن يضعوا أيديهم عليها!».

وفتحت الغطاء، وتقدم (هارى) قليلاً ليلقى نظرة أفضل فرأى ما بدا وكأنه كأس ذهبية بمقبضين مزخرفين بإتقان.

همست (هبزيباه) قائلة: «تُرى، هل تعرف ما هى يا (توم)؟ أمسكها، ألق نظرة جيدة!» فمد (فولدمورت) يدًا أصابعها طويلة ورفع الكأس من أحد مقبضيها وأخرجها من غلافها الحريرى الناعم. ظن (هارى) أنه رأى وميضًا أحمر فى عينيه الداكنتين. وانعكس تعبير وجهه الجشع بغرابة على وجه (هبزيباه) إلا أن عينيها الصغيرتين كانتا مثبتيْن على ملامح (فولدمورت) الوسيمة.

غمغم (فولدمورت) وهو يتمعن النقش على الكأس قائلاً: «حيوان الغُرير، إذن كانت هذه...؟».

أكملت (هبزيباه) كلامه قائلة: «ملكًا لـ(هيلجا هافلباف) كما تعلم جيدًا أيها الولد الذكى!»، قالتها وهى تميل إلى الأمام وتقرص وجنته الغائرة وقد صدر صرير مدوٍّ عن مشدات صدرها وردفيها، ثم أضافت: «ألم أقل لك إننى أنحدر من سلالة عريقة؟ توارثت عائلتى هذه لسنوات وسنوات. جميلة، أليس كذلك؟ هذا بجانب كل أنواع القوى التى يفترض

وجودها فيها أيضًا، وإن كنت لم أختبرها فعلاً، بل أكتفى بأن أحفظها جميلة وآمنة هنا...».

والتقطت الكأس من سبابة (فولدمورت) الطويلة وأعادتها برقة إلى علبتها، وشغلها حرصها الشديد على وضعها بعناية فى موضعها فلم تلاحظ الظل الذى عبر وجه (فولدمورت) بعد أن أُخذت منه الكأس.

قالت (هبزيباه) بسعادة: «والآن إذن، أين (هوكى)؟ آه نعم، ها أنتِ، خذى هذه بعيدًا الآن يا (هوكى)».

أخذت القزمة علبة الكأس بطاعة، ثم حولت (هبزيباه) انتباهها إلى العلبة المسطحة فى حجرها، وهمست قائلة: «أعتقد أنك ستعجب بهذه أكثر يا (توم). مِل قليلاً أيها الفتى العزيز، حتى ترى... (بورك) يعلم بالطبع أن هذه عندى، فقد اشتريتها منه، وأحسبه يود لو استعادها بعد موتى...».

أرجعت الإبزيم المنمق المتقن إلى الوراء وفتحت العلبة، وفوق المخمل القرمزى الناعم رقدت مدلاة ذهبية ثقيلة.

مد (فولدمورت) يده دون دعوة هذه المرة ورفعها إلى الضوء وهو يحدق بها.

وقال بهدوء بينما أخذ الضوء يتلاعب على حرف أفعوانى مزخرف: «علامة (سليذرين)».

قالت (هبزيباه) وقد سرَّها ـ كما هو واضح ـ مرأى (فولدمورت) وهو يحدق إلى المدلاة وقد تسمرت عيناه عليها: «هذا صحيح، اضطررت أن أدفع فى مقابلها مبلغًا كبيرًا جدًّا من المال، ولكن لم يكن بوسعى أن أتركها، فهى كَنز حقيقى، كان لابد أن أمتلكها ضمن مجموعتى. اشتراها (بورك) على ما يبدو من امرأة رثة الثياب، يبدو أنها سرقتها، ولكن لم تكن لديها أية فكرة عن قيمتها الحقيقية».

لم يكن هناك لَبْسٌ هذه المرة؛ فعينا (فولدمورت) ومضتا بلون قرمزى لكلماتها، ورأى (هارى) مفاصل أصابعه تبيضُّ على سلسلة المدلاة.

«أعتقد أن (بورك) دفع لها ثمنًا بخسًا، ولكن ها هى... جميلة، أليس كذلك؟ ومرة أخرى، بكل أنواع القوى التى تُنسب لها، ولو أننى أكتفى بالمحافظة عليها جميلة وآمنة...».

ومدت يدها لتستعيد المدلاة؛ ظن (هارى) للحظة أن (فولدمورت) لن يتركها، ولكنها كانت قد انزلقت من بين أصابعه وعادت لوسادتها المخملية الحمراء.

«ما رأيك يا عزيزى (توم)، وأتمنى أن تكون استمتعتَ بذلك!».

ونظرت إليه - لأول مرة - فى وجهه، ورأى (هارى) ابتسامتها الحمقاء تخفت.

«هل أنت بخير يا عزيزى؟».

قال (فولدمورت) بهدوء: «آه نعم، نعم، أنا بخير تمامًا...».

قالت (هبزيباه) وقد بدت عصبية قليلاً، وخمن (هارى) أنها رأت الوميض القرمزى الخاطف فى عينى (فولدمورت) مثله: «ظننت، لكنه خداع الضوء على ما أعتقد، خذى يا (هوكى)، أعيديهما إلى مكانهما وأوصدى عليهما... التعويذة المعتادة...».

قال (دمبلدور) بهدوء: «آن وقت الرحيل يا (هارى)»، وبينما كانت القزمة الصغيرة تترنح مبتعدة وهى تحمل العلبتين، قبض (دمبلدور) على ذراع (هارى) مرة أخرى وارتفعا معًا عبر النسيان عائدين إلى مكتب (دمبلدور).

قال (دمبلدور) وهو يتخذ مقعده ويشير إلى (هارى) أن يفعل بالمثل: «ماتت (هبزيباه سميث) بعد يومين من ذلك المشهد القصير، وأدانت الوزارة قزمة المنزل (هوكى) بوضع السم دون قصد فى كوب الكاكاو التى اعتادت سيدتها أن تشربه فى المساء».

قال (هارى) بغضب: «لا يمكن!».

قال (دمبلدور): «أرى أن كلينْا يفكر فى شىء واحد. لاشك أن هناك العديد من أوجه التشابه بين هذه الميتة وميتة آل (ريدل). ففى كلتا الحالتين، ألقيت التهمة على شخص آخر؛ شخص لديه ذاكرة واضحة بتسببه فى الوفاة».

«هل اعترفت (هوكى)؟».

قال (دمبلدور): «تذكرت أنها وضعت شيئًا لسيدتها فى الكاكاو اتضح أنه ليس سكرًا، بل سمًّا قاتلاً غير معروف. فاستنتجوا أنها لم تقصد قتلها، ولكن ذلك حدث بسبب كونها عجوزا ومشوشة».

«عدَّل (فولدمورت) ذاكرتها تمامًا كما فعل مع (مورفين)!».

قال (دمبلدور): «نعم، هذا هو استنتاجى أنا أيضًا. وتمامًا كما حدث مع (مورفين) كانت الوزارة ميالة للشك فى (هوكى)».

قال (هارى): «لأنها قزمة منزل» ونادرًا ما شعر (هارى) بالتعاطف مع الجمعية التى أنشأتها (هرميون) لتحسين أحوال أقزام المنازل مثل اليوم.

قال (دمبلدور): «تمامًا، فهى عجوز، واعترفت بالتلاعب فى المشروب ولم يكلف أحد بالوزارة نفسه عناء التحقيق أكثر من ذلك فى الأمر. وكما فى حالة (مورفين)، ففى الوقت الذى تعقبتها فيه ودبرت أمر استخلاص هذه الذاكرة كانت حياتها قد انتهت أو كادت - لكن ذاكرتها لا تثبت شيئًا بالطبع عدا أن (فولدمورت) كان يعلم بوجود الكأس والمدلاة الذهبية.

«وفى الوقت الذى تم فيه إدانة (هوكى) كانت عائلة (هبزيباه) قد أدركت أن كنزين من أعظم كنوزها كانا مفقوديْن. واستغرق الأمر منهم بعض الوقت حتى تأكدوا من ذلك، فقد كان لديها عدد من الأماكن تخفى فيها أشياءها وكانت تحرص دائمًا على مجموعتها. ولكن قبل أن يتأكدوا تمامًا من أن الكأس والمدلاة الذهبية اختفيتا، كان البائع الذى

يعمل لدى محل(بورجين وبوركس)؛ ذلك الشاب الذى كان يتردد على (هبزيباه) باستمرار وفتنها تمامًا ـ قد استقال من وظيفته واختفى، ولم يكن لدى رؤسائه أدنى فكرة عن مكانه، وفوجئوا كغيرهم باختفائه. وكان هذا آخر ما شوهد أو سُمع عن (توم ريدل) لمدة طويلة جدًا».

وأضاف (دمبلدور): «والآن، إذا لم يكن لديك مانع يا (هارى)، أود أن أتوقف مرة أخرى لأوجه انتباهك إلى بعض النقاط الهامة فى قصتنا: ارتكب (فولدمورت) جريمة قتل أخرى، ولا أدرى إن كانت هذه هى الجريمة الأولى منذِ إقدامه على قتل آل (ريدل) أم لا، ولكننى أظن أنها كانت كذلك. وكما رأيت فهو لم يقتل فى هذه المرةَ بدافع الانتقام، بل بدافع الكسب. كان يريد الكَنزين العجيبين اللذين عرضتهما تلك العجوز المسكينة المخبولة عليه. تمامًا كما كان يسرق الأطفال الآخرين فى دار الأيتام التى نشأ فيها، وكما سرق خاتم عمه (مورفين)، اختفى الآن بكأس (هبزيباه) ومدلاتها الذهبية».

قال (هارى) وهو متجهم: «ولكن، يبدو هذا جنونًا... يجازف بكل شىء ويتخلى عن وظيفته من أجل هذين...».

قال (دمبلدور): «جنون بالنسبة لك ربما، ولكن ليس بالنسبة لـ(فولدمورت).. أتمنى أن تدرك فى الوقت المناسب ما كانت تعنيه هذه الأشياء بالنسبة له، ولكن لابد أن تعترف بأنه ليس من الصعب تصور أنه نظر إلى المدلاة الذهبية على الأقل باعتبارها من حقه».

قال (هارى): «المدلاة الذهبية ربما، ولكن لِمَ يأخذ الكأس أيضًا؟».

قال (دمبلدور): «كانت تخص شخصًا آخر من مؤسسى (هوجوورتس)، وأعتقد أنه كان لا يزال يشعر بانجذاب شديد تجاه المدرسة، ولم يتمكن من مقاومة شىء ثمين كهذا فى تاريخ (هوجوورتس)، وكانت هناك أسباب أخرى أظن... أتعشم أن أتمكن من إيضاحها لك فى الوقت المناسب.

«والآن لدى ذاكرة أخيرة أعرضها عليك على الأقل إلى أن تتدبر الحصول على ذاكرة الأستاذ (سلجهورن). عشر سنوات تفصل بين ذاكرة (هوكى) وهذه الذاكرة، عشر سنوات لا يسعنا فيها إلا أن نخمن ما كان يفعله لورد (فولدمورت)...».

نهض (هارى) على قدميه مرة أخرى حين أفرغ (دمبلدور) الذاكرة الأخيرة فى (البنسيف).

وسأله: «ذاكرة مَن هذه؟».

قال (دمبلدور): «ذاكرتى».

وغاص (هارى) بعد (دمبلدور) عبر الكتلة الفضية المتحولة وهبط فى المكتب نفسه الذى غادره لتوِّه. كان (فاوكس) نائمًا بسعادة فوق مربضه، بينما كان (دمبلدور) الذى يجلس وراء المكتب يبدو شبيهًا بـ(دمبلدور) الواقف بجوار (هارى) وإن كانت كلتا يديه سليمتين لم يلحق بهما أذًى، وربما كان وجهه أقل تغضنًا قليلاً. الفارق الوحيد بين المكتب اليوم وهذا المكتب أن الثلج كان ينهمر فى الماضى؛ كانت حبات الثلج الضاربة إلى الزرقة تنهمر وراء النافذة فى الظلام وتتراكم على الإفريز الخارجى.

كان (دمبلدور) الاصغر سنًّا يبدو فى انتظار شىء، وهو ما حدث، فبعد لحظات من وصولهما دق الباب فقال: «ادخل».

شهق (هارى) شهقة مخنوقة سريعة عندما دخل (فولدمورت) الغرفة. لم تكن ملامحه هى نفس الملامح التى رآها (هارى) عندما خرج من المرجل الحجرى الكبير قبل سنتين تقريبًا؛ لم تكن ثعبانية إلى الحد الذى رآه بها وقتها، ولم تكن العينان قد تحولتا إلى اللون القرمزى بعد، والوجه لم يكن يبدو كالقناع بعد، ولكنه لم يعد (توم ريدل) الوسيم أيضًا كانت ملامحه تبدو كما لو أنها احترقت وطمست؛ كانت شمعية وشائهة بصورة غريبة، بينما أصبح بياض العينين دمويًّا بشكل دائم

الآن، ولو أن البؤبؤيْن لم يصبحا بعد الشقين الطويلين اللذين عرف (هارى) أنهما سيكونانه فيما بعد. كان يرتدى عباءة سوداء طويلة وكان وجهه فى شحوب الثلج الذى يتلألأ على منكبيه.

لم يبدُ على (دمبلدور) الجالس وراء المكتب ما ينمُّ عن الدهشة؛ كان من الواضح أن هذه الزيارة تمت بناءً على موعد.

قال (دمبلدور) بيسر: «مساء الخير يا (توم). هلاَّ جلستَ؟».

قال (فولدمورت): «شكرًا»، ثم جلس على المقعد الذى أشار إليه (دمبلدور) - المقعد نفسه الذى كان (هارى) قد نهض من عليه فى الزمن الحاضر. وقال: «سمعتُ أنك أصبحت الناظر» وكان صوته أعلى وأبرد قليلاً مما كان عليه، وأضاف: «اختيار موفق».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم: «تسعدنى موافقتك. هل لى أن أقدم لك شرابًا؟».

قال (فولدمورت): «سيكون هذا موضع ترحيب؛ فقد جئت من مكان بعيد».

نهض (دمبلدور) وهرول نحو الخزانة التى يحتفظ فيها حاليًا بـ(البنسيف)، ولكنها كانت آنذاك مليئة بالزجاجات. وبعد أن ناول (فولدمورت) كأسًا من النبيذ وصب لنفسه كأسًا عاد إلى مقعده وراء المكتب.

«والآن يا (توم)... إلامَ أعزو شرف الزيارة؟».

لم يرد (فولدمورت) على الفور، بل اكتفى بأن احتسى رشفة من كأسه.

قال: «أنا لم أعد أُنادَى بـ(توم)، بل أُعرف هذه الأيام باسم...».

قال (دمبلدور) مبتسمًا بمرح: «أعرف ما تُعرف به. ولكن بالنسبة لى أخشى انك ستظل دائمًا (توم ريدل). هذه من الأشياء المزعجة فى المعلمين القدامى؛ فهم لا ينسون أبدًا بشكل تام البدايات الأولى لطلابهم».

ورفع كأسه كما لو كان يشرب فى نخب (فولدمورت) الذى ظل وجهه خاليًا من التعبيرات، إلا أن (هارى) شعر بأن الجو فى الغرفة تغير بصورة تكاد تكون غير محسوسة: فرفض (دمبلدور) أن يستعمل اسم (فولدمورت) المختار كان رفضًا؛ للسماح لـ(فولدمورت) بإملاء شروط اللقاء، وأدرك (هارى) أن (فولدمورت) أخذها بهذا المعنى.

قال (فولدمورت) بعد صمت قصير: «أنا مندهش لبقائك هنا طوال هذه المدة. كنت دائمًا أتساءل: لِمَ لم يرغب ساحر مثلك فى مغادرة المدرسة؟».

قال (دمبلدور) وهو لا يزال يبتسم: «حسنًا، بالنسبة لساحر مثلى لا شىء يمكن أن يكون أهم من نقل المهارات العتيقة والمساعدة على شحذ العقول الصغيرة، لو صحت ذاكرتى فأنت عرفتَ مرة جاذبية التدريس أيضًا».

قال (فولدمورت): «مازلت أعرفها. كل ما هنالك أننى أتعجب؛ فأنا أعرف أن الوزارة لجأت إليك كثيرًا طلبًا للمشورة، وعُرض عليك منصب الوزير مرتين على ما أظن...».

قال (دمبلدور): «ثلاث مرات فى الإحصاء الأخير حقيقة. ولكن العمل فى الوزارة لم يجذبنى قطُّ. وهذا شىء مشترك بيننا أيضًا على ما أظن».

مال (فولدمورت) برأسه دون أن يبتسم، وتناول رشفة أخرى من النبيذ، ولم يقطع (دمبلدور) الصمت الذى طال بينهما الآن، بل انتظر وعلى وجهه نظرة ترقبٍ سارٍّ أن يبدأ (فولدمورت) الكلام.

وبعد قليل، قال: «ربما عدتُ متأخرًا عما توقع الأستاذ (ديبت).. ولكننى عدت مع ذلك لأطلب مرة أخرى ما قيل لى مرة إنى أصغر من أن أناله؛ لقد جئت لأطلب منك أن تسمح لى بالعودة إلى هذه القلعة كمدرس، أعتقد أنك لابد أن تعلم أننى رأيت وفعلت الكثير منذ أن غادرت هذا المكان؛ بوسعى أن أُرى طلابك وأن أخبرهم بأشياء لا يمكن لهم أن يكتسبوها من أى ساحر آخر».

تأمل (دمبلدور) (فولدمورت) من فوق حافة كأسه لبرهة قبل أن يتكلم، ثم قال بهدوء: «نعم، أعلم بكل تأكيد أنك رأيت وفعلت الكثير منذ أن رحلت عنا. شائعات عن أفعالك بلغت مدرستك القديمة يا (توم)، سيكون من دواعى أسفى أن أصدق نصفها».

ظل تعبير وجه (فولدمورت) جامدًا وهو يقول: «العظمة تثير الحسد، والحسد يولد الحقد، والحقد يفرِّخ الأكاذيب. لابد أنك تعرف ذلك يا (دمبلدور)».

سأله (دمبلدور) بلباقة: «هل تسمى ما كنت تفعله «عظمة»، حقًا؟».

قال (فولدمورت): «نعم»، وبدت عيناه كأنهما تحترقان من الاحمرار. «لقد جربت ومددت حدود السحر ربما إلى ما هو أبعد مما مُدت إليه من قبل».

صحح له (دمبلدور) بهدوء قليلاً: «بعض أنواع السحر، بعض. أما البقية فأنت مازلتَ... سامحنى... جاهلاً بها بصورة يُرثَى لها».

وللمرة الأولى ابتسم (فولدمورت). كانت نظرته خبيثة متوترة، شيئًا شريرًا، أكثر تهديدًا من نظرة غيظ.

وقال بلين: «الجدل القديم نفسه، لكن لا شىء رأيته فى الدنيا أيَّد آراءك الشهيرة بأن الحب أقوى من نوعية السحر الذى عندى يا (دمبلدور)».

قال (دمبلدور) مقترحًا: «ربما تبحث فى الأماكن الخطأ».

قال (فولدمورت): «حسنا إذن، أى مكان أفضل من هنا، فى (هوجوورتس)، لكى أبدأ به أبحاثى الجديدة؟ هلا سمحت لى بأن أعود؟ هلا أذنت لى أن أشرك طلابك فى علمى؟ أنا أضع نفسى ومواهبى تحت تصرفك؟ أنا تحت أمرك».

رفع (دمبلدور) حاجبيه قائلاً: «وماذا سيحدث لمن تأمرهم أنت؟ ماذا سيحدث لمن يسمون أنفسهم ـ أو هكذا شاع ـ (آكلى الموت)؟».

أدرك (هارى) أن (فولدمورت) لم يكن يتوقع أن يكون (دمبلدور) على علم بهذا الاسم؛ إذ رأى عينى (فولدمورت) تومضان بالاحمرار مرة أخرى وفتحتى أنفه تتسعان.

قال بعد لحظة صمت: «أصدقائى سيواصلون بدونى، أنا على يقين».

قال (دمبلدور): «يسرنى أن أسمع أنك تعتبرهم أصدقاء؛ كان تصورى أنهم أقرب إلى منزلة الخدم».

قال (فولدمورت): «أنت على خطأ».

«إذن فلو ذهبتُ إلى حانة «رأس الخنزير» الليلة فلن أجد جماعة منهم - (نوت) و(روزيار) و(ملسيبر) و(دولوهوف) - فى انتظار عودتك؟ أصدقاء مخلصون فعلاً حتى يسافروا كل هذه المسافة معك فى ليلة ثلجية كهذه لمجرد أن يتمنوا لك التوفيق، وأنت تحاول الالتحاق بوظيفة فى مجال التدريس».

لم يكن هناك شك فى أن إلمام (دمبلدور) المفصل بهوية من سافروا بصحبته قد زادت من ضيق (فولدمورت)، إلا أنه استجمع قواه على الفور تقريبًا.

«أنت ذو علم بلا حدود كعهدى بك يا (دمبلدور)».

قال (دمبلدور) بخفة: «آه، لا، كل ما فى الأمر أنى ودود مع سقاة الحانات المحليين، والآن يا (توم)....».

وخفض (دمبلدور) كأسه الخاوية ورفع نفسه فى مقعده، وأومأ بأطراف أصابعه إيماءة متميزة جدًّا.

«... دعنا نتكلم بصراحة. لمَ جئتَ إلى هنا الليلة محاطًا بأتباعك لتطلب وظيفة.. كلانا يعرف أنك لا تريدها؟».

نظر (فولدمورت) مندهشًا ببرود، قائلاً:

«وظيفة لا أريدها؟ بالعكس يا (دمبلدور)، أنا أريدها جدًّا».

«آه، تريد أن تعود إلى (هوجوورتس)، ولكنك لا تريد التدريس أكثر مما كنتَ تريده حين كنت فى الثامنة عشرة، ما الذى تسعى إليه يا (توم)؟ لمَ لا تجرب أن تلتمس ما تطلبه بصراحةً مرة؟».

نخر (فولدمورت) وقال: «إن كنتَ لا تريد أن تعطينى وظيفة...».

قال (دمبلدور): «بالطبع لا أريد، ولا أظن للحظة أنك تتوقع منى أن أريد. ومع ذلك، فقد جئتَ إلى هنا وطلبتَ، لابد أن لك غرضًا آخر».

نهض (فولدمورت) وقد بدا أقل شبهًا بـ(توم ريدل) المعهود أكثر من أى وقت مضى، بعد أنِ كسا الغيظ ملامحه:

«هذه كلمتك الأخيرة؟».

قال (دمبلدور) وهو ينهض أيضًا: «نعم».

«إذن ليس هناك ما يقوله كلٌّ منا للآخر».

قال (دمبلدور) وقد كسا وجهه حزن عظيم: «لا، لا شىء. فات الأوان الذى كنت أستطيع فيه أن أخيفك بخزانة ملابس تحترق، وأن أرغمك على أن تكفر عن جرائمك. ولكن ليتنى كنت أستطيع يا (توم)... ليتنى كنت أستطيع...».

للحظة، كان (هارى) على وشك أن يطلق صرخة تحذير بلا هدف: كان موقنًا أن يد (فولدمورت) امتدت نحو جيبه وعصاه السحرية، ولكن كانت اللحظة قد فاتت؛ إذ استدار (فولدمورت)، وكان الباب ينغلق خلفه بعد أن ذهب.

أحس (هارى) بيد (دمبلدور) تطبق على ذراعه مرة أخرى، وبعد لحظات كانا يقفان معًا فى الموضع نفسه تقريبًا، ولكن لم يكن هناك ثلج يتراكم على إفريز النافذة، واسودت يد (دمبلدور) وبدت ميتة مرة أخرى.

قال (هارى) على الفور وهو ينظر لأعلى فى وجه (دمبلدور): «لماذا؟ لماذا عاد؟ هل عرفتَ السبب أبدًا؟».

قال (دمبلدور): «لدىَّ تصورات، ليس أكثر».

«أية تصورات يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «سأقول لك يا (هارى) حين تأتينى بتلك الذاكرة من الأستاذ (سلجهورن). عندما تحصل على ذلك الجزء الأخير من اللغز، سيتضح كل شيء كما أتعشم... لكليْنا».

كان (هارى) لا يزال يحترق من شدة الفضول، ومع أن (دمبلدور) كان قد سار نحو الباب وفتحه له فإنه لم يتحرك على الفور.

«هل كان يسعي لوظيفة الدفاع ضد فنون الظلام مرة أخرى يا سيدى؟ لم يقل...».

قال (دمبلدور): «آه، بالتأكيد كان يريد وظيفة الدفاع ضد فنون الظلام. وما حدث بعد لقائنا الصغير هذا أثبت ذلك. فنحن لم نتمكن قط من الاحتفاظ بأى معلم لمادة الدفاع ضد فنون الظلام لأكثر من سنة منذ أن رفضتُ أن أعطىَ الوظيفة للورد (فولدمورت).

■ ■ ■

٢١ الغرفة المجهولة

أجهد (هارى) عقله طوال الأسبوع التالى فى التفكير فى كيفية إقناع (سلجهورن) بتسليمه الذاكرة الحقيقية، ولكن لم تخطر بباله أية أفكار بارعة؛ فعاد إلى ما كان يعمله كثيرًا هذه الأيام حين يحتار: الانكباب على كتاب الوصفاتَ السحرية؛ أملاً فى أن يكون الأمير قد نقش شيئًا مفيدًا فى حواشيه، كما فعل عدة مرات من قبل.

قالت (هرميون) بجزم فى وقت متأخر من مساء الأحد: «لن تجد شيئًا فيه».

قال (هارى): «لا تبدئى فى ذلك يا (هرميون). لولا الأمير ما كان (رون) جالسًا هنا الآن».

قالت (هرميون) بإباء: «كان هذا سيحدث لو كنتَ قد أصغيتَ لـ(سناب) فى عامنا الأول»، تجاهلها (هارى). كان قد عثر لتوِّه على تعويذة (سيكتوم سيمبرا!) منقوشة بإحدى الحواشى فوق الكلمتين المثيرتين للفضول «لأجل الأعداء»، وكان متلهفًا على تجربتها، ولكنه فكر أنه من الأفضل ألا يقدم على ذلك أمام (هرميون)، واكتفى بأن طوَى ركن الصفحة خلسةً.

كانوا جالسين بجوار المدفأة فى الغرفة العامة، وكان الأشخاص الوحيدون المستيقظون غيرهم هم زملاءهم من طلاب السنة السادسة. كانت حالة من الإثارة قد سادت بينهم فى وقت سابق حين عادوا من العشاء ليجدوا لافتة جديدة بلوحة الإعلانات تعلن تاريخ امتحان الانتقال الآنى، وكان خيار التسجيل لجلسات تمرين إضافية تقام (تحت

إشراف صارم) فى (هوجسميد) متاحًا للذين سيبلغون السابعة عشرة يوم الامتحان، أى فى الحادى والعشرين من إبريل، أو قبل ذلك التاريخ.

أصيب (رون) بالهلع حين قرأ هذا الإعلان؛ لم يكن قد أفلح فى الانتقال آنيًا بعد؛ وخشى ألا يكون جاهزًا للامتحان. بينما كانت (هرميون) تشعر بثقة أكبر قليلاً؛ فقد قامت بالانتقال آنيًّا مرتين حتى الآن؛ أما (هارى) الذى لم يكن سيبلغ السابعة عشرة إلا بعد أربعة أشهر أخرى، فلم يكن ليدخل الامتحان سواء أكان جاهزًا له أم لم يكن.

قال (رون) بتوتر: «لكنك على الأقل تستطيع الانتقال آنيًّا! ولن تكون لديك مشكلة فى يولية القادم!».

فذكره (هارى) قائلاً: «لم أتمكن من ذلك إلا مرة واحدة»؛ وكان أخيرًا قد نجح فى الاختفاء وإعادة التجسد من جديد داخل طوقه فى أثناء جلستهم السابقة.

وبعد أن ضيَّع الكثير من الوقت فى التعبير عن قلقه من الانتقال الآنى، كان (رون) يكافح الآن لينهى مقالاً شديد الصعوبة لـ(سناب)، كان كل من (هارى) و(هرميون) قد انتهيا منه فعلاً. توقع (هارى) أن يحصل على درجات متدنية عن مقاله؛ لأنه كان قد اختلف مع (سناب) حول الطريقة المثلى للتعامل مع (الدمينتورات)، ولكنه لم يكترث؛ فقد كانت ذاكرة (سلجهورن) أهم شىء بالنسبة له الآن.

قالت (هرميون) بصوت أعلى: «قلت لك: إن الأمير الغبى لن يفلح فى مساعدتك فى ذلك يا (هارى)! ليس هناك سوى طريقة واحدة لترغم أحدًا على فعل ما تريد، هى (تعويذة التحكم)؛ وهى غير مشروعة».

قال (هارى) دون أن يرفع عينيه عن الكتاب: «نعم، أعرف ذلك، شكرًا؛ لهذا فأنا أبحث عن شىء مختلف. يقول (دمبلدور): إن (فيريتاسيروم) أو (مصل الحقيقة) لن يفعلها، ولكن قد يكون هناك شىء آخر، وصفة سحرية أو تعويذة...».

قالت (هرميون): «أنت تسير فى الطريق الخطأ، يقول (دمبلدور): إنك الوحيد الذى يمكنه الحصول على الذاكرة. لابد أن هذا معناه أنك تستطيع أن تقنع (سلجهورن) بما لا يستطيعه غيرك. المسألة ليست أن تدس له وصفة، فأى شخص يمكنه فعل ذلك..».

قال (رون) وهو يهز ريشته بقوة بينما يحدق إلى الرقعة الموجودة أمامه: «كيف تتهجين كلمة «محارب»؟ لا يمكن أن تكون م - و - ح -».

قالت (هرميون) وهى تجذب مقال (رون) نحوها: «لا، ليست هكذا، وكلمة «تكهن» أيضًا لا تبدأ بـ ت - ا - ك.. أى نوع من ريش الكتابة تستعمل؟».

«إنها واحدة من ريش (فريد) و(جورج) التى تصحح التهجى.. ولكننى أعتقد أن التعويذة السحرية بدأت تزول عنها...».

قالت (هرميون) وهى تشير إلى عنوان مقاله: «نعم، هذا مؤكد؛ لأننا سُئِلْنا كيف نتعامل مع (الدمينتور) لا الـ(دجبوجز)، كما أننى لا أظن أنك غيرتَ اسمك إلى (رونيل وازليب) أيضًا».

قال (رون) وهو يحدق إلى الرقعة بذعر: «آه، لا، لا تقولى إننى سأضطر لكتابة كل شىء من جديد!».

قالت (هرميون) وهى تسحب المقال ناحيتها وتخرج عصاها السحرية: «لا بأس، يمكننا أن نصلحه».

قال (رون) وهو يغوص فى مقعده ويَحُكُّ عينيه بتعب: «كم أحبك يا (هرميون)».

احمر وجه (هرميون) بشحوب، ولكنها لم تقل سوى: «لا تدع (لافيندر) تسمعك تقول ذلك».

قال (رون) فى كفيه: «لن أفعل، أو لعلى أفعل.. وحينها ستقطع علاقتها بى..».

سأله (هارى): «لِمَ لا تتركها أنت إن شئت أن تنهى الأمر؟».

قال (رون): «لم يحدث لك أن تركتَ أحدًا، أليس كذلك؟ فأنت و(تشو) مجرد...».

قال (هارى): «افترقنا، نعم».

قال (رون) بكآبة وهو يراقب (هرميون) وهى تنقر بطرف عصاها السحرية فى صمت على كل كلمة أخطأ فى هجائها بحيث تصحح نفسها فى الصفحة: «أتمنى لو حدث هذا بينى وبين (لافيندر)، ولكننى كلما لمّحتُ بأنى أود أن أنهى المسألة تزداد هى تمسكًا؛ المسألة تشبه الخروج مع (الحبارَ الأعظم)».

قالت (هرميون) بعد حوالى عشرين دقيقة وهى تعيد المقال لـ(رون): «ها هو».

قال (رون): «أشكرك مليون مرة. هل لى أن أستعير ريشتك لكتابة الخاتمة؟».

وعندما لم يجد (هارى) شيئًا مفيدًا فى ملاحظات الأمير الهجين، نظر حوله؛ لم يبق غير ثلاثتهم فى الغرفة العامة الآن، بعد أن غادرها (سيموس) لتوه ليأوى إلى فراشه وهو يلعن (سناب) ومقاله. كانت الأصوات الوحيدة المسموعة هى طقطقة النار وصوت الشطب الذى يقوم به (رون) أثناء كتابته للفقرة الأخيرة فى مقاله عن (الدمينتور) مستخدمًا ريشة (هرميون)، وكان (هارى) قد أغلق لتوِّه كتاب الأمير الهجين وأخذ يتثاءب وفجأة...

كراك.

أطلقت (هرميون) صرخة صغيرة، وسكب (رون) الحبر على مقاله وقال (هارى): «(كريتشر)!» انحنى (قزم المنزل) لأسفل مواجهًا أصابع قدمه الشائهة وقال: «قال سيدى إنه يريد تقارير منتظمة عما يعمله الصبى (مالفوى)؛ ولذا جاء (كريتشر) ليقدم...». كراك.

ظهر (دوبى) بجوار (كريتشر) وقد اعوجت قبعته التى تشبه غطاء إبريق شاى.

ورمى (كريتشر) بنظرة امتعاض وصرَّ قائلاً: «كان دوبى يساعد أيضًا يا (هارى بوتر)! ويجب على (كريتشر) أن يبلغ (دوبى) حين يكون آتيًا لمقابلة (هارى بوتر)؛ حتى يقدما تقريريها معًا!».

سألت (هرميون) وهى لا تزال مصدومة بسبب هذين الظهورين المفاجئين: «ما هذا؟ ماذا يحدث يا (هارى)؟».

تردد (هارى) قبل إن يجيبها؛ لأنه لم يكن قد أبلغها بتعيين كل من (كريتشر) و(دوبى) لتتبع (مالفوى)؛ وموضوع أقزام المنازل كان دائمًا حساسًا بالنسبة لها.

قال: «حسنًا... كلاهما يتتبعان (مالفوى) لأجلى».

صرَّ (كريشتر) قائلاً: «ليل نهار».

قال (دوبى) بفخر وهو يتمايل فى مكان وقوفه: «(دوبى) لم ينم لمدة أسبوع يا (هارى بوتر)!».

بدت (هرميون) ساخطة.

«أنت لم تنم يا (دوبى)؟ ولكن من المؤكد يا (هارى) أنك لم تطلب منه ألا...».

قال (هارى) بسرعة: «لا، بالطبع، لم أفعل، يمكنك أن تنام يا (دوبى)، أتسمعنى؟»، ثم بادر بسؤالهما قبل أن تتدخل (هرميون) مرة أخرى: «ولكن هل عثر أى منكما على أى شىء؟».

قال (كريتشر) بصوته المتحشرج على الفور: «السيد (مالفوى) يتنقل مع نبيل يليق بدمه الخالص، ملامحه تشبه عظام سيدتى الراقية وطباعه كطباع...».

صرَّ (دوبى) بغضب قائلاً: «(دراكو مالفوى) فتى سيئ! فتى سيئ يـ... يـ...».

وارتعد من شرابة قبعته التى تشبه غطاء إبريق الشاى إلى أصابع جوربه، ثم أسرع نحو المدفأة وكأنه سيغوص فيها؛ فأمسك (هارى) بخصره بسرعة وتشبث به رغم أن الأمر كان مفاجئًا تمامًا بالنسبة له.. أخذ (دوبى) يجاهد لبضع ثوانٍ ثم توقف.

وقال وهو يلهث: «شكرًا يا (هارى بوتر). (دوبى) لا يزال يجد صعوبة فى ذكر سادته القدامى بسوء...».

أطلقه (هارى)؛ فعدل (دوبى) غطاء الإبريق على رأسه، وقال لـ(كريتشر) بتحدٍّ: «لكن (كريتشر) ينبغى أن يعرف أن (دراكو مالفوى) لا يصلح سيدًا لقزم منزل!».

قال (هارى) لـ(كريتشر): «نعم، لسنا فى حاجة لأن نسمع عن غرامك بـ(مالفوى)، دعنا نتحدث عن الأماكن التى يذهب إليها».

انحنى (كريتشر) مرة أخرى وقد بدا عليه الغيظ ثم قال: «سيدى (مالفوى) يأكل فى البهو العظيم، وينام فى المهجع بالزنازين، ويحضر حصصه فى العديد من...»

قال (هارى) مقاطعًا (كريتشر): «قل لى أنت يا (دوبى)، هل ذهب إلى أى مكان لا ينبغى له أن يذهب إليه؟».

صرّ (دوبى) قائلاً وقد ومضت عيناه الكبيرتان الشبيهتان بالكرة فى ضوء النار: «سيدى (هارى بوتر)، الفتى (مالفوى) لا يخالف أية قواعد يمكن لـ(دوبى) أن يكتشفها، لكنه لا يزال يحرص على تجنب أن يكشفه أحد، وهو يتردد بانتظام على الطابق السابع مع عدد من الطلاب الآخرين يراقبون له المكان حين يدخل».

قال (هارى) وهو يضرب على جبينه بقوة بكتاب (تحضير الوصفات السحرية: المستوى المتقدم): غرفة الاحتياجات! حدق إليه (رون) و(هرميون)؛ «هذا هو المكان الذى يتسلل إليه دومًا! هذا هو المكان الذى يعمل فيه... أيًا كان ما يعمله! وأنا واثق أن هذا سبب

اختفائه من الخارطة.. كان لابد أن أفكر فيها، فأنا لم أر غرفة الاحتياجات فيها!».

قال (رون): «لعل مجموعة (المارودر) لم يعرفوا بوجود الغرفة هناك!».

قالت (هرميون): «أعتقد أن هذا جزء من سحر الغرفة، لو شئتَ لها أن تكون خفية تصبح كذلك».

قال (هارى) بلهفة: «(دوبى)، هل نجحت فى الدخول لترى ما يعمله (مالفوى)؟».

قال (دوبى): «لا يا (هارى بوتر)، هذا مستحيل».

قال (هارى) على الفور: «لا، ليس مستحيلاً، دخل (مالفوى) مقرّنا هناك فى السنة الماضية، وبالتالى سأتمكن من الدخول والتجسس عليه، ليست هناك مشكلة».

قالت (هرميون) ببطء: «لكننى لا أظنك ستفعل يا (هارى)؛ لأن (مالفوى) عرف بالضبط كيف كنا نستعمل الغرفة، أليس كذلك؟ فالحمقاء (مارييتا) ثرثرت بالكلام، لقد احتاج أن تكون الغرفة مقرًّا لجيش دمبلدور (د.ج)، وهكذا أصبحت فعلاً. ولكنك لا تعرف ما تتحول إليه الغرفة حين يدخلها (مالفوى)، ومن ثم فأنت لا تعلم ما ستطلب منها أن تتحول إليه».

قال (هارى) بإباء: «لابد أن هناك طريقة لذلك، أحسنتَ يا (دوبى)».

قالت (هرميون) بلطف: «و(كريتشر) أحسنَ أيضًا». إلا أن (كريتشر) تحول بعينيه الكبيرتين المحتقنتين إلى السقف دون أن يبدو عليه العرفان، وأخذ يصرّ: «طينية الدماء تتحدث إلى (كريتشر) و(كريتشر) سيتظاهر بأنه لا يسمع». نهرَه (هارى) قائلاً: «توقف حالاً»؛ فانحنى (كريتشر) انحناءة قوية أخيرة ثم اختفى واستطرد (هارى) قائلاً: «يستحسن أن تذهب وتنام قليلاً أنت أيضًا يا (دوبى)».

صرَّ (دوبى) بسعادة وقال: «شكرًا يا سيدى (هارى بوتر)!»، واختفى هو أيضًا.

قال (هارى) بحماس وهو يلتفت إلى (رون) و(هرميون) فى اللحظة التى خلت فيها الغرفة من أقزام المنازل مرة أخرى: «ما أحسن ذلك! لقد عرفنا أين يذهب (مالفوى)! ضبطناه أخيرًا!».

قال (رون) بكآبة وهو يحاول أن ينظف البقعة المبللة بالحبر التى كادت منذ قليل تصبح مقالاً مكتملاً: «نعم، هذا عظيم». فجذبتها (هرميون) إليها وشرعت فى شفط الحبر بعصاها السحرية.

قالت (هرميون): «ولكن ما هذا الحديث عن ذهابه إلى هناك مع عدد من الطلاب؟ كم من الناس فى هذه العملية؟ لا أظنك تعتقد أنه سيثق بكثير من الناس أن يعرفوا ما يعمل...».

قال (هارى) وهو مقطب: «نعم، هذا شىء غريب، سمعته يقول لـ(كراب): إنه ليس من شأنه ما يعمله.. فماذا يقول لكل هؤلاء... كل هؤلاء...».

وخفت صوت (هارى)؛ كان يحدق إلى نار المدفأة.

قال بهدوء: «يا ربى! كم كنتُ غبيًّا، المسألة واضحة، أليست كذلك؟ كان هناك وعاء ضخم منها فى الزنزانة.. لعله أخذ بعضًا منها فى أى وقت أثناء تلك الحصة».

قال (رون): «أخذ ماذا؟».

قال (هارى) وهو يقفز واقفًا ويبدأ فى ذرع المكان جيئةً وذهابًا أمام المدفأة: «وصفة التخفى. سرق بعضًا من وصفة التخفى التى أرانا إياها (سلجهورن) فى أولى حصص الوصفات.. ليس هناك عدد كبير من الطلاب يقفون لمراقبة المكان من أجل (مالفوى)... فقط (كراب) و(جويل) كالمعتاد.. نعم، كل شىء مرتبط ببعضه! فلديهما من الغباء ما يكفى لأن يعملا ما يُطلب منهما، حتى وإن لم يخبرهما بما يقوم به.. ولكنه لا يريد أن يراهما أحد وهما يتسكعان خارج غرفة الاحتياجات؛ لذا فقد دفعهما لتناول وصفة التخفى، ليجعلهما يبدوان كسائر الناس.. هاتان البنتان اللتان رأيتهما معه عندما غاب عن مباراة الـ(كويدتش).. آه! كانتا (كراب) و(جويل)!».

قالت (هرميون) بهمس: «هل تقصد أن تقول: إن تلك البنت الصغيرة التى أصلحتُ لها ميزانها؟».

قال (هارى) بصوت عال وهو يحدق إليها: «نعم، طبعًا! طبعًا! لابد أن (مالفوى) كان داخل الغرفة فى ذلك الوقت، وهى ـ ما هذا الذى أقوله؟ ـ هو أوقع الميزان؛ لينبه (مالفوى) ألا يخرج؛ لأن هناك أحدًا بالخارج! وكانت هناك تلك البنت التى أوقعت بيض الضفدع أيضًا! كنا نمر به طوال الوقت دون أن ندرك!».

قهقه (رون) قائلاً: «هل يحول (كراب) و(جويل) إلى بنتين؟ لا عجب، أنهما لا تبدو عليهما السعادة كثيرًا هذه الأيام... أنا مندهش إنهما لا يطلبان منه أن يتوقف...».

قال (هارى): «حسنًا، لم يكن بإمكانهما، أليس كذلك؟ لو أراهما (علامة الظلام) الخاصة به».

قالت (هرميون) بتشكك وهى تلف مقال (رون) الذى جف قبل أن يلحق به أى أذى آخر وتناوله له: «أمممم.. (علامة الظلام)، لا نعلم إن كان لها وجود».

قال (هارى) بثقة: «سنرى».

قالت (هرميون) وهى تنهض وتتمطَّى: «نعم، سنرى. ولكن قبل أن تفرح كثيرًا يا (هارى)، أنا ما زلت أظن أنك لن تستطيع أن تدخل غرفة الاحتياجات دون أن تعرف ما بها أولاً. وأظن أنه لا ينبغى لك أن تنسى»، ورفعت حقيبتها إلى كتفها ورمته بنظرة شديدة الجدية وقالت: «إن ما يفترض بك أن تركز عليه هو أن تأتى بتلك الذاكرة من (سلجهورن).. طاب مساؤك».

نظر إليها (هارى) وهى ذاهبة وهو يشعر بشىء من الاستياء، وما إن أوصد الباب المؤدى إلى مهجع البنات وراءها حتى استدار إلى (رون)، وسأله: «ما رأيك؟».

قال (رون) وهو يحدق إلى النقطة التى اختفى عندها (دوبى): «ليتنى أستطيع أن أختفى كأقزام المنازل؛ حينها كنت سأضمن امتحان الانتقال الآنى فى جيبى».

لم ينم (هارى) جيدًا تلك الليلة، بل ظل يقظًا ـ طوال ما بدا وكأنه ساعات ـ يفكر فى كيفية استغلال (مالفوى) لغرفة الاحتياجات وما سيراه هو نفسه حين يدخلها غداة ذلك اليوم. فرغم ما قالته (هرميون)، كان (هارى) على يقين من أنه إن كان بمقدور (مالفوى) رؤية مقر جيش دمبلدور (د.ج) فإن بإمكانه هو رؤية ما عند (مالفوى).. تُرى ما هو؟ غرفة اجتماعات؟ مخبأ؟ مخزن؟ ورشة؟ أخذ عقل (هارى) يعمل بشكل مُتَّقد، وحين غلبه النوم فى النهاية، كانت أحلامه متقطعة ومشوشة وقد امتلأت بصور (مالفوى) وهو يتحول إلى (سلجهورن) ويتحول إلى (سناب)...

كان (هارى) فى حالة ترقب شديد على الإفطار فى صباح اليوم التالى؛ كان لديه وقت فراغ قبل مادة الدفاع ضد فنون الظلام، وكان عازمًا على قضائها فى محاولة دخول غرفة الاحتياجات، أما (هرميون) فلم تكن تبدى أى اهتمام بخططه الهامسة لدخول الغرفة عَنوة، وهو ما ضايق (هارى)؛ لأنه كان يعتقد أنها يمكن أن تساعده كثيرًا لو أرادت.

قال بهدوء وهو يميل إلى الأمام ويضع يدًا على جريدة (المتنبئ اليومى) التى كانت قد أخذتها لتوِّها من بومة البريد؛ ليمنعها من فتحها والاختفاء وراءها: «لم أنس مسألة (سلجهورن)، ولكن ليس لدىَّ أية فكرة عن كيفية الحصول على تلك الذاكرة منه، وإلى أن تراودنى فكرة مفاجئة، لِمَ لا أستكشف ما يعمله (مالفوى)؟».

قالت (هرميون): «سبق أن قلت لك: لابد أن تقنع (سلجهورن). المسألة ليست أن تخدعه أو أن تسحره، وإلا لتمكن (دمبلدور) من إتمامها فى

لحظة، وبدلاً من التسكع خارج غرفة الاحتياجات»، وانتزعت الجريدة من يد (هارى) وفتحتها لتنظر فى الصفحة الأولى وأضافت: «عليك أن تذهب وتعثر على (سلجهورن) وتبدأ فى التماس أفضل حالاته المزاجية».

سألها (رون) وهى تبحث فى العناوين الرئيسية: «أى أحد نعرفه...؟».

قالت (هرميون): «نعم!»، فتوقف (هارى) و(رون) عن إكمال إفطارهما، وأكملت قائلة: «ولكن لا بأس، فهو لم يمت، إنه (مندنجس)، تم القبض عليه وأُرسل إلى (أزكابان)! مسألة لها صلة بتشبهه بـ(الأنفيرى) أثناء محاولة سطو.. وشخص يدعى (أكتافيوس بيبر) اختفى.. آه، شىء مريع، تم القبض على صبى فى التاسعة؛ لمحاولته قتل جديْه، يُعتقد أنه كان تحت تأثير تعويذة التحكم».

أنهوا إفطارهم فى صمت، ثم انطلقت (هرميون) من فورها إلى حصة مادة الكتابات القديمة، بينما ذهب (رون) إلى الغرفة العامة؛ حيث كان لا يزال عليه أن ينهى خاتمة مقال (سناب) عن (الدمينتور)، أما(هارى) فقد ذهب إلى دهليز الطابق السابع وامتداد الجدار المقابل للوحة المطرزة التى تمثل (برنابة) المجنون وهو يعلِّم الغيلان رقص الباليه.

ارتدى (هارى) عباءة الإخفاء بمجرد أن عثر على دهليز خالٍ، ولكنه لم يكن فى حاجة لأن يكلف نفسه عناء ارتدائها، فحين بلغ وجهته وجد الدهليز مهجورًا. لم يكن (هارى) متأكدًا ما إذا كانت فرص دخول الغرفة أفضل حين يكون (مالفوى) داخل الغرفة أم خارجها، ولكن على الأقل لن تتعقد محاولته الأولى لدخول الغرفة بوجود (كراب) أو (جويل) فى شكل فتاة فى الحادية عشرة من عمرها.

أغمض عينيه وهو يدنو من المكان الذى كان يختفى عنده باب غرفة الاحتياجات.

كان يعرف ما عليه عمله؛ كان قد نجح فى الأمر فى السنة الماضية؛ ركز كل قوته فى التفكير، أحتاج لرؤية ما يعمله (مالفوى) بالداخل..

أحتاج لرؤية ما يعمله (مالفوى) بالداخل.. أحتاج لرؤية ما يعمله (مالفوى) بالداخل.

مشى ثلاث مرات مارًا بالباب، ودق قلبه بشدة من الإثارة، ثم فتح عينيه وواجهه، ولكنه كان لا يزال ينظر إلى جدار صلب ممتد وخال.

خطا إلى الأمام ودفعه دفعة تجريبية. لكن الأحجار ظلت صماء لا تلين.

قال (هارى) بصوت عال: «لا بأس، لا بأس.. فكرتُ بصورة خطأ».

فكر للحظة، ثم انطلق من جديد، أغمض عينيه وركز قدر إمكانه قائلاً:

«أريد أن أرى المكان الذى يواظب (مالفوى) على دخوله سرًّا.. أريد أن أرى المكان الذى يواظب (مالفوى) على دخوله سرًّا..».

وبعد ثلاث مرات من المرور أمام الباب، فتح عينيه وهو يترقب.

لم يكن هناك باب.

قال للجدار بضيق: «آه، دعك من هذا، كان هذا توجيهًا واضحًا.. ليكن...».

ظل يعتصر فكره لعدة دقائق قبل أن يذرع المكان مرة أخرى.

..أريد منك أن تتحول إلى المكان الذى تكونه بالنسبة لـ(دراكو مالفوى)..

لم يفتح عينيه على الفور بعد أن أنهى تحركه فى المكان جيئةً وذهابًا؛ كان يصغى بشدة كأنه سيسمع الباب وهو يظهر فجأة إلى الوجود، لكنه لم يسمع شيئًا عدا تغريد الطيور بالخارج، ففتح عينيه..

لم يكن هناك باب أيضًا.

سبَّ (هارى)، ثم سمع أحدهم يصرخ فتلفَّت حوله ليرى جماعة من طلاب السنة الأولى يعودون أدراجهم ركضًا حول الركن متصورين - على ما يبدو - أنهم قد التقوا حالاً بشبح بذىء اللسان.

جرب (هارى) كل تنويعة وردت على خاطره من عبارة: «*أريد أن أرى ما يعمله (دراكو مالفوى) بداخلك*» *لمدة ساعة كاملة*، ثم *اضطر فى النهاية للتسليم بأن (هرميون) كانت على حق، وأن الغرفة ببساطة لم تشأ أن تفتح له*. فانطلق محبطًا ومنزعجًا *إلى حصة مادة الدفاع ضد فنون الظلام*، وخلع عنه عباءة *الإخفاء* وحشرها *فى* حقيبته *أثناء* مشيه.

قال (سناب) ببرود بينما كان (هارى) يسرع إلى داخل الفصل المضاء بالشموع: «تأخرتَ مرة أخرى يا (بوتر). عشر درجات من (جريفندور)».

نظر (هارى) مقطبًا لـ(سناب) وهو يلقى بنفسه فى المقعد بجوار (رون)؛ كان نصف الفصل لا يزال واقفًا يخرج الكتب وينظم أشياءه؛ لم يكن متأخرًا كثيرًا عن أى منهم.

قال (سناب) وهو يلهو بعصاه السحرية غير مكترثٍ: «قبل أن نبدأ، أريد مقالات الدمينتور»، فحلقت خمس وعشرون رقعة جلدية ملفوفة فى الهواء وهبطت فى شكل كومة منتظمة على مكتبه، «وأتمنى من أجل صالحكم أن تكون أفضل من التفاهات التى كان علىَّ أن أتحملها فى مقالة مقاومة تعويذة التحكم. والآن، هلا فتحتم الكتاب جميعًا على صفحة... ما الخطب يا سيد (فينيجان)؟».

قال (سيموس): «سيدى، كنت أتساءل، كيف تفرق بين (الأنفيرى)، والأشباح؟؛ لأنه كان هناك شىء فى جريدة (المتنبئ) عن (الأنفيرى)».

قال (سناب) بصوت ملول: «لا، لم يكن»

«ولكن يا سيدى، سمعتُ الناس يتكلمون...».

«لو كنت قرأت المقال المقصود فعلاً يا سيد (فينيجان) لعرفت أن ما أطلق عليه (أنفيرى) لم يكن سوى لص متسلل كريه الرائحة يُدعى (مندنجس فلتشر)».

غمغم (هارى) لكل من (رون) و(هرميون) قائلاً: «كنت أحسب أن (سناب) و(مندنجس) متحالفان. ألا ينبغى لـ(سناب) أن ينزعج لإلقاء القبض على (مندنجس) ـ؟».

قال (سناب) وهو يشير فجأة إلى خلف الغرفة وعيناه السوداوان مثبتتان على (هارى): «ولكن يبدو أن (بوتر) لديه الكثير مما يقوله عن الموضوع. دعونا نسأل (بوتر) كيف نفرق بين (الأنفيرى) والأشباح؟».

التفت الفصل كله نحو (هارى) الذى حاول بسرعة أن يتذكر ما قاله له (دمبلدور) ليلة أن ذهبا لزيارة (سلجهورن).

قال: «آه، حسنا... *الأشباح شفافة*».

قاطعه (سناب) وهو يلوى شفتيه: «آه، جيد جدًّا، نعم، من السهل أن نرى أن ست سنوات تقريبًا من تعليم السحر لم تضع هباءً عليك يا (بوتر). الأشباح شفافة!».

أطلقت (بانسى باركنسون) ضحكة عالية مجلجلة، وابتسم عدد آخر من الطلاب ابتسامة متكلفة، وأخذ (هارى) نفَسًا عميقًا وواصل كلامه بهدوء رغم أنه كان يغلى فى داخله: «نعم، الأشباح شفافة، أما (الأنفيرى) فأجسام ميتة، أليس كذلك؟ إذن فهى صلبة...».

قال (سناب) ساخرًا: «أى طفل فى الخامسة كان يمكن أن يقول لنا هذا. (الأنفيرى) جثث أعيدت إلى الحياة بتعاويذ أحد سحرة الظلام؛ فهو ليس حيًا، بل مجرد شىء يُسْتَغل كدمية لتنفيذ أمر الساحر، أما الشبح فكما أنا على ثقة من أنكم جميعًا تعرفون الآن، فأثرٌ من روح صعدت، باقٍ على الأرض.. وهو بالطبع شفاف كما يقول لنا (بوتر) بحكمته».

قال (رون): «حسنًا، ما قاله (هارى) هو الأكثر فائدة لو كنا نحاول أن نفرق بينهما! فحين نواجه أحدهما فى حارة مظلمة سيكون معنا

مجسٌّ لنعرف ما إذا كان صُلبًا، أليس كذلك؟ لن نسأل قائلين: لو سمحت، هل أنت أثرٌ من روح صعدت؟».

علت موجة من الضحك أخمدتها على الفور نظرة وجَّهها (سناب) للفصل.

قال (سناب): «عشر درجات أخرى من (جريفندور). ما كنت لأتوقع منك شيئًا أكثر ثقافة، يا (رونالد ويسلى)، وماذا نتوقع من الصبى الأصم لدرجة أنه لا يستطيع الانتقال آنيًا مسافة نصف بوصة عبر الغرفة».

همست (هرميون) وهى تشد ذراع (هارى) وهو يفتح فمه بغيظ قائلة: «لا! لا جدوى من ذلك، سينتهى بك الحال فى الحجز مرة أخرى، دعك منه!».

قال (سناب) وهو يتكلف الابتسام قليلاً: «والآن افتحوا كتبكم على الصفحة الثالثة عشرة بعد المائتين، واقرءوا الفقرتين الأوليين عن تعويذة التعذيب».

ظل (رون) مكبوتًا طول الحصة.. وعندما دق الجرس معلنًا نهاية الحصة، لحقت (لافيندر) بـ(رون) و(هارى)، أما(هرميون) فقد اختفت عن الأنظار بصورة غامضة مع اقترابها وأخذت (لافيندر) تسب (سناب) بحرارة لتحوله إلى مسألة انتقال (رون) آنيًا، لكن هذا لم يؤدِّ إلا إلى زيادة ضيق (رون) على ما يبدو، فأبعدها عنه بأن انعطف متجهًا إلى حمام الأولاد مع (هارى).

قال (رون) بعد أن حدق إلى مرآة مهشَّمة لمدة دقيقة أو دقيقتين: «سناب على حق مع ذلك، أليس كذلك؟ لا أدرى ما إذا كان الأمر يستحق منى أن أدخل الامتحان. أنا لا أستطيع أن أدرك مغزى الانتقال الآنى».

قال (هارى) بتعقل: «يمكنك أيضًا أن تحضر جلسات التمرين الإضافية فى (هوجسميد) وترى إلى أين يصلون بك. سيكون هذا أفضل

من محاولة الدخول فى طوق غبى على أية حال. وإذا كنتَ لا تزال دون المستوى الذى تريده بعدها، فإنه يمكنك أن ترجئ الامتحان، أدخله معى فى الصد ـ (ميرتل)، هذا حمام الأولاد!».

خرج شبح فتاة من المرحاض فى أحد الحمامات وراءهما، وكان يطفو فى الهواء محدقًا إليهما من خلال نظارة سميكة بيضاء مستديرة.

قالت بكآبة: «آه، أنتما».

قال (رون) وهو ينظر إليها فى المرآة: «ومن كنتِ تتوقعين؟».

قالت (ميرتل) فى كآبة وهى تحك موضعًا فى ذقنها: «لا أحد، قال إنه سيعود ويلقانى، ولكن أنت أيضًا قلتَ إنك ستأتى وتزورنى...»، ورمت (هارى) بنظرة عتاب: « ولم أرك منذ أشهر وأشهر. تعلمت ألا أتوقع الكثير من الصبيان».

قال (هارى) الذى كان يحرص على الابتعاد عن المكان منذ سنوات: «كنت أظن أنكِ تسكنين حمام البنات هذا».

قالت بهزة كتف خفيفة لا مبالية: «أنا أسكنه فعلاً، لكن هذا ليس معناه ألا أزور أماكن أخرى. أتيتُ ورأيتك فى حمامك مرة، أتتذكر؟».

قال (هارى): «بكل وضوح».

قالت بحزن: «لكننى كنت أظنه أعجب بى. ربما لو خرجتما يعود مرة أخرى.. كان هناك الكثير من السمات التى تجمع بيننا.. أنا متأكدة من أنه أحسَّ بذلك...».

ونظرت تجاه الباب يحدوها الأمل.

قال (رون) وهو يبدو أكثر بهجة الآن: «حين تقولين: إن هناك الكثير مما يجمع بينكما فهل تقصدين أنه يسكن حمامًا أيضًا؟».

قالت (ميرتل) بتحدٍّ وصدى صوتها يتردد عاليًا فى أرجاء الحمام القديم المكسو بالقرميد: «أقصد أنه حساس، والناس يستأسدون عليه

أيضًا، ويشعر بالوحدة، وليس لديه أحد يتكلم معه، وهو لا يخاف من التعبير عن أحاسيسه ويبكى!».

قال (هارى) فى بفضول: «صبى كان يبكى هنا؟ أهو صبى صغير؟».

قالت (ميرتل) وعيناها الصغيرتان الراشحتان مثبتتان على (رون) الذى كان يبتسم بشكل واضح الآن: «لا تبالِ! وعدته بألا أخبر أحدًا وسآخذ سره إلى الـ....».

قال (رون) بصوت كالشخير: «ليس إلى القبر بكل تأكيد؟ ربما إلى المجارى..».

أطلقت (ميرتل) صرخة غضب، وغاصت فى المرحاض من جديد، ففاض الماء على الأجناب ومنها إلى الأرضية؛ يبدو أن مشاكسة (ميرتل) بثت روحًا جديدة فى (رون).

قال وهو يلقى بحقيبته المدرسية فوق كتفه: «أنتَ على حق، سأحضر جلسات التمرين فى (هوجسميد) قبل أن أحدد موقفى من دخول الامتحان».

وهكذا ففى العطلة الأسبوعية التالية، انضم (رون) إلى (هرميون) وبقية طلاب السنة السادسة ممن كانوا سيبلغون السابعة عشرة فى الوقت المحدد لدخول الامتحان الذى سيعقد فى غضون أسبوعين. وشعر (هارى) بالغيرة إلى حد ما وهو يشاهدهم جميعًا يستعدون للذهاب إلى القرية؛ فقد افتقد القيام برحلات إليها، خاصة أنه كان يومًا ربيعيًّا جميلاً، أحد أوائل الأيام التى رأوا فيها السماء صافية منذ مدة طويلة، ولكنه كان قد قرر استغلال الوقت فى محاولة شن غارة أخرى على غرفة الاحتياجات.

قالت (هرميون) حين أفضى لـ(رون) ولها بتلك الخطة فى بهو الدخول: «يُستحسن أن تذهب مباشرةً إلى مكتب (سلجهورن) وتحاول أن تأخذ منه تلك الذاكرة».

قال (هارى) بنزق: «لقد حاولتُ!» وكان هذا صحيحًا تمامًا؛ فقد أخذ يتلكأ بعد كل حصة من حصص الوصفات السحرية خلال ذلك الأسبوع بـ(سلجهورن) محاولاً الانفراد إلا أن أستاذ الوصفات السحرية كان يغادر الزنزانة بسرعة كبيرة حتى أن (هارى) لم يكن يتمكن من اللحاق به، وذهب (هارى) مرتين إلى مكتبه ودق الباب، ولكن لم يُجبه أحد، رغم أنه فى المرة الثانية كان متأكدًا من أنه سمع صوت جراموفون قديم يغلق بسرعة.

«إنه لا يريد التحدثِ إلىَّ يا (هرميون)! فهو يعرف أننى أحاول الانفراد به مرة أخرى، ولن يدع ذلك يحدث!».

«حسنًا، كل ما عليك هو أن تواصل المحاولة، أليس كذلك؟».

تحرك الطابور القصير الذى ينتظر المرور أمام (فيلتش) الذى كان يقوم بعملية التفتيش المعتادة بمجسّه الكاشف - بضع خطوات فلم يردّ (هارى) خشية أن يسمعه الناظر. وتمنَّى التوفيق لـ(رون) و(هرميون)، ثم استدار وتسلق الدرج الرخامى مرة أخرى؛ عازمًا رغم ما قالته (هرميون) - على تخصيص ساعة أو ساعتين لغرفة الاحتياجات.

وما إن غاب عن أنظار الموجودين ببهو الدخول، حتى جذب (هارى) خارطة (مارودر) وعباءة الإخفاء من حقيبته، وبعد أن أخفى نفسه نقر على الخارطة وغمغم قائلاً: «أقسم بكل وقار أنى مُقدم على شر»، ثم تفحصها بعناية.

كان صباح يوم الأحد، وبالتالى كان معظم الطلاب تقريبًا داخل الغرف العامة المختلفة؛ طلاب (جريفندور) فى برج؛ وطلاب (رافينكلو) فى برج آخر؛ وطلاب (سليذرين) فى الزنازين؛ وطلاب (هافلباف) فى البدرون بجوار المطابخ. وكان هناك أفراد قلائل هنا وهناك يتسكعون حول المكتبة أو بأحد الدهاليز، أو موجودون فى الملاعب بالخارج.. وكان (جريجورى جويل) يقف وحيدًا فى دهليز الطابق السابع.. لم يكن

هناك أثر لغرفة الاحتياجات، ولكن (هارى) لم يكن قلقًا لذلك.. فلو كان (جويل) واقفًا للمراقبة خارجها، فإن الغرفة مفتوحة سواء أكانت الخارطة مدركة لذلك أم لم تكن؛ لذا فقد صعد السلم مسرعًا ولم يبطئ إلا حين بلغ ركن الدهليز حيث بدأ يتحرك ببطء شديد نحو نفس البنت الصغيرة الممسكة بالميزان النحاسى الثقيل التى ساعدتها (هرميون) بلطف قبل أسبوعين، وانتظر حتى أصبح وراءها تمامًا، ثم انحنى بشدة وقال هامسًا: «أهلاً.. أنت جميلة جدًّا، ألستِ كذلك؟».

أطلق (جويل) صرخة رعب مدوية، ورمى الميزان لأعلى فى الهواء وانطلق يجرى واختفى عن الأنظار قبل أن يتوقف صدى صوت تحطم الميزان من التردد فى الدهليز بمدة طويلة، واستدار (هارى) ضاحكًا ليتأمل الجدار الخالى الذى كان متأكدًا من أن (دراكو مالفوى) يقف وراءه متجمدًا وواعيًا بأن هناك شخصًا دخيلاً بالخارج، ولكنه لا يجرؤ أن يظهر. ساور (هارى) شعور طيب بالقوة وهو يحاول أن يتذكر أى أشكال الكلمات لم يجربه بعد.

إلا أن المزاج المتفائل لم يدُم طويلاً؛ فبعد نصف ساعة من تجربة عدة تنويعات على طلبه بأن يرى ما يدبره (مالفوى) ظل الجدار بلا باب كما هو، وشعر (هارى) بإحباط لا يصدق؛ فقد يكون (مالفوى) على بُعد أقدام منه، ولم يكن هناك أدنى دليل على ما يفعل بالداخل بعد، وحين نفد صبر (هارى) تمامًا ركض نحو الباب وركله.

«آى!».

ظن أنه كسر إصبع قدمه، وبينما هو ممسك به ويقفز على قدم واحدة انزلقت عباءة الإخفاء من عليه.

«(هارى)؟».

استدار على ساق واحدة فسقط. ولدهشته الشديدة، وجد (تونكس) قادمة نحوه كأنها كانت دائمة التجوال فى هذا الدهليز.

قال وهو يعتدل واقفًا على قدميه مرة أخرى: «ماذا تفعلين هنا؟»، وتعجب: لماذا يتصادف أن تجده دائمًا وهو مستلقٍ على الأرض؟!

قالت (تونكس): «جئت؛ لأرى (دمبلدور)».

ظن (هارى) أنها بدت مريعة؛ أنحف من المعتاد، وشعرها «الفيرانى» اللون مسترسلاً.

قال (هارى): «مكتبه ليس هنا، إنه بالجانب الآخر من القلعة، خلف المزراب».

قالت (تونكس): «أعرف، وهو ليس هناك.. من الواضح أنه خرج مرة أخرى».

قال (هارى) وهو يعيد قدمه المجروحة إلى الأرض مرة أخرى: «خرج؟ أنت لا تعلمين أين يذهب على ما أظن».

قالت (تونكس): «لا».

«لمَ كنتِ تريدين مقابلته؟».

قالت (تونكس) وهى تنتش كُمَّ ثوبها لاإراديًا على ما يبدو: «لا شىء مهم. ظننت أنه قد يعرف ما يحدث.. سمعت شائعات... أناس يتعرضون للأذى...».

قال (هارى): «نعم، أعلم، كل شىء نشر فى الجرائد. ذلك الصبى الصغير الذى حاول قتل...».

قالت (تونكس) وقد بدت غير مصغية له: «الأخبار تصل إلى جريدة (المتنبئ) متأخرة غالبًا، لم تصلك أيةّ خطابات من أحد فى الجماعة مؤخرًا؟».

قال (هارى): «لم يعد أحد من الجماعة يكتب لى بعد (سيريوس)».

رأى عينيها تملؤهما الدموع.

غمغم وهو يشعر بالإحراج: «أنا آسف، أقصد... أنا أيضًا أفتقده».

قالت (تونكس) مشدوهة كأنها لم تسمعه: «ماذا؟ حسنًا، سأراك فيما بعد يا (هارى)...».

ثم استدارت فجأة وعادت تسير فى الدهليز تاركةً (هارى) يتتبعها بنظره. وبعد دقيقة، وضع عباءة الإخفاء مرة أخرى واستأنف جهوده لدخول غرفة الاحتياجات، إلا أنه كان قد فقد حماسه، وأخيرًا جعله إحساسه بخواء معدته وعلمه بأن(رون) و(هرميون) سرعان ما يعودان لتناول الغداء - جعله يتخلى عن المحاولة ويترك الدهليز لـ(مالفوى) آملاً أنه سيظل خائفًا من الخروج لبضع ساعات قادمة.

وجد (رون) و(هرميون) فى البهو العظيم فى منتصف غداء مبكر.

قال (رون) لـ(هارى) بحماس حين رآه: «فعلتها، حسنًا، نوعًا ما! كان يُفترض أن أنتقل آنيًا إلى خارج مقهى مدام (بديفوت) فتجاوزته قليلاً، وانتهى بى الحال بالقرب من محل (سكريفنشافت)، لكننى تحركت على الأقل!».

قال (هارى): «أحسنتَ، ماذا فعلتِ يا (هرميون)؟».

قال (رون) قبل أن تتمكن (هرميون) من الرد: «كانت رائعة بالطبع، تروٍّ رائع! وتنبؤ رائع! أو أيًا كانت هذه اللعنة - ذهبنا جميعًا لتناول مشروب سريع فى مقهى (عصى المكانس الثلاث) كان يجب أن تسمع (توايكروس) وهو يتكلم عنها - سأندهش لو أنه لم يتقدم لخِطبتها قريبًا».

سألته (هرميون) متجاهلة (رون): «وماذا عنك أنت؟ هل كنتَ بأعلى عند غرفة الاحتياجات كل هذا الوقت؟».

قال (هارى): «نعم، وخمِّنى من الذى قابلته بأعلى؟ (تونكس)!».

ردد (رون) و(هرميون) معًا بدهشة: «تونكس؟!».

«نعم، قالت إنها جاءت لزيارة (دمبلدور)...».

وما إن انتهى (هارى) من سرد حواره مع (تونكس) حتى قال (رون): «لو سألتنى لقلتُ لك إنها محطمة قليلاً؛ فقدت أعصابها بعد ما حدث فى الوزارة».

قالت (هرميون) التى بدا عليها الاهتمام الشديد لسبب ما: «هذا غريب بعض الشيء؛ فمن المفترض أنها تحرس المدرسة، فلماذا تخلى موقعها فجأة وتأتى لمقابلة (دمبلدور)، وفى وقت ليس حتى موجودًا فيه هنا؟».

قال (هارى) بتردد: «ساورتنى فكرة»، وأحس بالغرابة فى أن يقول ذلك؛ فهذا أقرب إلى أسلوب (هرميون) منه إلى أسلوبه هو: «ألا تظنين أنها ربما كانت... أتعرفين... مغرمة بـ(سيريوس)؟».

فحدقت (هرميون) إليه.

«ما الذى دفعك لهذا الظن؟».

قال (هارى) وهو يهز كتفيه: «لا أعلم، ولكنها كادت تبكى حين ذكرتُ اسمه.. وقد أصبح (الباتروناس) شيئًا ضخمًا ذا أربع أرجل الآن.. إنى لأتساءل إذا كان لم يصبح.. أنت تعرف.. هو».

قالت (هرميون) ببطء: «هى فكرة، ولكننى مازلت لا أدرى ما الذى جعلها تندفع إلى داخل القلعة لمقابلة (دمبلدور) لو كان هذا فعلاً سبب مجيئها».

قال (رون) وهو يضع البطاطس المهروسة فى فمه: «هذا يعيدنا إلى ما سبق أن قلته، أليس كذلك؟ أصبحت غريبة قليلاً؛ فقدت أعصابها، النساء...»، ثم قال لـ(هارى) بتعقل: «سريعات الاضطراب».

قالت (هرميون) وهى تخرج من استغراقها فى التفكير: «ومع ذلك، فأنا أشك فى أن تجد امرأة تظل عابسة لمدة نصف ساعة لمجرد أن مدام (روزمرتا) لم تضحك على نكتة قالتها عن الجنية الشريرة والمداوى و(ميمبولوس ممبليتونيا)».

فعبس (رون).

٢٢ بعد الدفن

بدأت رقع من السماء الزرقاء الصافية تظهر فوق أبراج القلعة، إلا أن هذه البوادر التى تشير إلى اقتراب فصل الصيف لم تعدل مزاج (هارى)؛ فقد فشلت كل محاولاته سواء لاكتشاف ما يفعله (مالفوى) أو لبدء حوار مع (سلجهورن) قد يُؤدى بصورة ما لأن يسلم له (سلجهورن) الذاكرة التى يبدو أنه أبقاها مخفية لعشرات السنين.

قالت (هرميون) لـ(هارى) بحزم: «لآخر مرة، انسَ أمر (مالفوى)».

كانا جالسيْن مع (رون) فى ركن مشمس من الفناء عقب الغداء، وكان (رون) و(هرميون) ممسكيْن بملزمة خاصة بوزارة السحر، عنوانها: (أخطاء شائعة فى الانتقال الآنى وكيف تتجنبها)؛ إذ كانا سيدخلان امتحاناتهما بعد ظهر ذلك اليوم، ولكن تبين أن المَلازم وحدها لم تكن لتهدِّئ الأعصاب. وثب (رون) وحاول أن يختبئ وراء (هرميون) حين ظهرت فتاة حول الركن.

قالت (هرميون) بضجر: «إنها ليست (لافيندر)».

قال (رون) بارتياح: «حسنًا».

قالت الفتاة: «(هارى بوتر)، طُلب منى أن أسلمك هذه».

«شكرًا».

غاص قلب (هارى) وهو يتناول لفافة الرق الصغيرة، وما إن خرجت الفتاة من مرمى السمع حتى قال: «قال لى (دمبلدور): إنه لن تكون هناك دروس أخرى إلا بعد أن أحصل على الذاكرة!».

قالت (هرميون) بينما كان (هارى) يفض لفافة الرق: «ربما كان يريد أن يطمئن على ما تفعله»، ولكنه بدلاً من أن يجد خط (دمبلدور)

المائل الدقيق وجد كتابة غير مرتبة يصعب قراءتها؛ نظرًا لوجود بقع كبيرة من الحبر الذى سال على الورق.

أعزائى (هارى).. (رون).. (هرميون):

مات (أراجوج) ليلة أمس، قابلته يا (هارى) أنت و(رون)، وتعرفان كم كان مميزًا، وأنا أعرف يا (هرميون) أنكِ كنتِ ستحبينه. وحضوركم دفنه هذا المساء سيعنى لى الكثير، أنا أنوى أن يكون ذلك فى وقت الغروب تقريبًا؛ فقد كان هذا وقته المفضل من اليوم، أنا أعرف أنكم لا ينبغى أن تظلوا بالخارج حتى وقت متأخر، ولكن يمكنكم أن تستعينوا بالعباءة، لم أكن لأطلب منكم ذلك لولا أننى لا أستطيع مواجهة الموقف وحدى.

(هاجريد).

قال (هارى) وهو يناول الرقعة لـ(هرميون): «انظرى إلى هذه».

قالت وهى تقرؤها بسرعة: «آه، يا للسماء!» وناولتها لـ(رون) الذى قرأها والشك بادٍ عليه.

ثم قال بغيظ: «إنه مختل! هذا الشىء قال لرفاقه أن يلتهمونى أنا و(هارى)! وقال لهم هيا تفضلوا! والآن يتوقع منا (هاجريد) أن ننزل ونبكى على جثته المشعرة المخيفة!».

قالت (هرميون): «ليس هذا فحسْب، إنه يطلب منا أن نغادر القلعة ليلاً وهو يعلم أن إجراءات الأمن أصبحت أكثر إحكامًا مليون مرة ويعرف كَمّ المتاعب التى قد نقع فيها لو تم الإمساك بنا».

قال (هارى): «نزلنا للقائه ليلاً من قبل».

قالت (هرميون): «نعم، ولكن ليس من أجل شىء كهذا، لقد جازفنا بالكثير لمساعدة (هاجريد)، ولكن على أى حال ـ أراجوج مات الآن. ربما كنا لنذهب لو كان الأمر يتعلق بإنقاذه مثلاً...».

قال (رون) بحزم: «..لكانت رغبتى فى الذهاب أقل، أنتِ لم تقابليه يا (هرميون). صدقينى، كونه ميتًا يجعله فى حالة أفضل كثيرًا».

استعاد (هارى) الرقعة وحدق إلى بقع الحبر فى أنحائها؛ يبدو أن الدموع قد انهمرت ثخينة وسريعة على الرقعة.

قالت (هرميون): «(هارى)، لا يمكن أن تفكر فى الذهاب؛ فالأمر لا يستحق أن تُحتجز بسببه».

تنهد (هارى).

وقال: «نعم، أعرف. أظن أن (هاجريد) سيضطر لدفن (أراجوج) بدوننا».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها الارتياح: «نعم، سيفعل.. اسمع، ستكون حصة الوصفات السحرية خالية تقريبًا بعد الظهر؛ بما أننا جميعًا سنذهب إلى امتحاناتنا.. انتهز الفرصة وحاول أن تليِّن (سلجهورن) قليلاً!».

قال (هارى) بمرارة: «المرة السابعة والخمسون تجلب الحظ فى رأيك؟».

قال (رون) فجأة: «الحظ يا (هارى)، هذا هو الحل.. كن محظوظًا!».

«ماذا تقصد؟».

«استعمل وصفتك السحرية المحظوظة!».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها الذهول: «(رون)، هذا... هذا هو الحل! بالطبع! لِمَ لم يرد ذلك على خاطرى؟».

حدق (هارى) إليهما وقال: «(فليكس فلسيس). لا أدرى... كنت أدخرها...».

سأله (رون) بشك: «لأى شىء كنت تدخرها؟».

وسألته (هرميون): «أى شىء أهم من هذه الذاكرة يا (هارى)؟».

لم يجبهما (هارى)؛ فقد كانت فكرة تلك الزجاجة الذهبية الصغيرة تحوم أحيانا بحواف خياله؛ كانت هناك خطط غامضة ـ غير متبلورة متعلقة بافتراق (جينى) عن (دين)، وسعادة (رون) برؤيتها مع صديق

جديد ـ تعتمل فى أعماق عقله وإن ظلت غير معترف بها إلا فى الأحلام أو الوقت الذى يكون فيه بين النوم واليقظة.

سألت (هرميون): «(هارى)، هل مازلتَ معنا؟».

قال وهو يستجمع شتات نفسه: «ماذا...؟ نعم، طبعًا، حسنًا، لا بأس، إذا لم أتمكن من حمل (سلجهورن) على الكلام بعد ظهر اليوم فسآخذ بعضًا من الـ(فليكس) وأحاول مرة أخرى فى المساء».

قالت (هرميون) بخفة: «حُسم الأمر إذن»، ثم نهضت ودارت على أصابع قدميها برشاقة وهى تغمغم: «الهدف... العزم... التروِّى...».

توسل إليها (رون) قائلاً: «آه، كُفِّى عن هذا، أنا أشعر بالغثيان بما فيه الكفاية. بسرعة، خبئينى!».

قالت (هرميون) متبرمة: «إنها ليست (لافيندر)!»، بينما ظهرت فتاتان بالفناء وأختبأ (رون) وراءها.

قال (رون) وهو ينظر من فوق كتف (هرميون) كى يتحقق: «جيد، ولكن لِمَ يبدو عليهما الحزن هكذا؟»

قالت (هرميون): «إنهما الشقيقتان (مونتجمرى)، ومن الطبيعى أن يبدو عليهما الحزن، ألم تسمع بما حدث لشقيقهما الصغير؟».

قال (رون): «لقد انقطعتُ عن متابعة ما يحدث لأقارب الجميع، صدقًا».

«حسنًا، هاجم مستذئب شقيقهما. هناك شائعة بأن أمهم رفضت أن تساعد (آكلى الموت). على أىٍّ، لم يكن إلا صبيًا فى الخامسة ومات فى (سان مونجو).. لم يتمكنوا من إنقاذه».

ردد (هارى) بصدمة: «مات؟! ولكنَّ المستذئبين لا يقتلون، بل يحيلون المرء إلى واحد منهم!».

قال (رون) وقد بدا عليه الوقار على غير العادة: «هم يقتلون أحيانًا. سمعت أن هذا يحدث عندما يكون المستذئب هائجًا أكثر من المعتاد».

قال (هارى) بسرعة: «ماذا كان اسم هذا المستذئب؟».

قالت (هرميون): «حسنًا، تقول الشائعة إنه كان (فنرير جريباك)».

قال (هارى) غاضبًا: «هذا ما اعتقدته.. إنه ذلك المخبول الذى يهوى مهاجمة الأطفال، الذى أخبرنى (لوبين) عنه!».

نظرت إليه (هرميون) بكآبة، وقالت: «لابد إن تحصل على تلك الذاكرة يا (هارى). أن الأمر كله يتعلق بوقف (فولدمورت)، أليس كذلك؟ إنه السبب فى حدوث كل هذه الأشياء المروعة...».

دق الجرس فوق الرءوس بالقلعة فانتفض كل من (هرميون) و(رون) واقفيْن وقد بدا عليهما الرعب.

قال (هارى) لكليْهما وهما فى طريقهما إلى بهو الدخول للقاء بقية الطلاب الذاهبين إلى اختبارات الانتقال الآنى: «ستؤديانه بنجاح، حظًا سعيدًا».

قالت (هرميون) بنظرة لها مغزاها، بينما توجه (هارى) نحو الزنازين: «ولك أيضًا!».

لم يكن هناك إلا ثلاثة طلاب فقط فى حصة الوصفات السحرية بعد ظهر ذلك اليوم: (هارى) و(إيرنى) و(دراكو مالفوى).

قال (سلجهورن) بلطف: «أنتم جميعًا أصغر من أن تقوموا بالانتقال الآنى؛ ألم تبلغوا السابعة عشرة بعد؟».

هزوا رءوسهم.

قال (سلجهورن) بمرح: «آه، حسنًا، بما أن عددنا قليل هكذا فلنعمل شيئًا مرحًا. أريدكم جميعًا أن تحضروا لى شيئًا مسليًا!».

قال (إيرنى) متملقًا وهو يحك يديه معًا: «يبدو هذا طيبًا يا سيدى!»، أما (مالفوى) فلم يبتسم، وقال متبرمًا: «ماذا تقصد بشىء مسلٍ؟».

قال (سلجهورن) بحيوية: «آه، أريد شيئًا مفاجئًا».

فتح (مالفوى) نسخته من كتاب تحضير الوصفات السحرية وهو عابس؛ كان من الواضح جدًّا أنه يعتقد أن هذه الحصة ليست سوى مضيعة للوقت. وفكر (هارى) وهو يراقبه من فوق طرف كتابه أن (مالفوى) كان بالطبع يضن بالوقت الذى كان يمكن أن يقضيه فى غرفة الاحتياجات بدلاً من ذلك».

هل كان يتخيل أم أن (مالفوى) أيضًا قد أصبح أكثر نحافة مثل (تونكس)؟ كان بالطبع يبدو أكثر شحوبًا؛ كانت بشرته لا تزال بها تلك المسحة الخفيفة من اللون الرمادى؛ ربما لأنه نادرًا ما كان يرى ضوء النهار فى هذه الأيام. ولكن لم يكن يبدو عليه الكبر أو الاعتداد بالنفس أو الإحساس بالتفوق؛ لا وجود للخيلاء التى كانت بادية عليه فى قطار (هوجوورتس) السريع حين تفاخر علانيةً بالمهمة التى كلفه بها (فولدمورت).. وفكر (هارى) أن هذا كله لا يمكن أن يكون له إلا سبب واحد: المهمة - أيًّا كانت - كانت تسير على غير ما يرام.

تهلَّل وجه (هارى) بهذه الفكرة وأخذ يتصفح نسخته من كتاب تحضير الوصفات السحرية، وعثر على صيغة منقَّحة قام الأمير الهجين بعمل تعديلات كثيرة عليها لإكسير يسبب الشعور بالمرح، وهو ما بدا ليس موافقا لتعليمات (سلجهورن) وحسب، بل ربما - وقفز قلب (هارى) حين واتته الفكرة - يُحسّن من مزاج (سلجهورن) ويجعله مستعدًا لتسليمه تلك الذاكرة لو استطاع (هارى) إقناعه بتذوق بعض منه...

وبعد مرور ساعة ونصف، قال (سلجهورن) وهو يحدق إلى المحتوى الأصفر البراق فى مرجل (هارى) ويصفق بيديه معًا: «حسنًا، الآن، هذا يبدو رائعًا حقًا، وصفة المرح، أنا أتناولها؟ وما تلك الرائحة التى أشم؟ أضفتَ إليه ذرة نعناع، أليس كذلك؟ مبتكر، ولكن يا له من إلهام مفاجئ يا (هارى)! هذا بالطبع سيقلل الآثار الجانبية للإفراط فى الغناء

وقرص الأنوف من حين لآخر.. حقيقةً، أنا لا أدرى من أين تواتيك تلك الأفكار البارعة المفاجئة يا بنى... ما لم...».

دفع (هارى) كتاب الأمير الهجين بقدمه ليختفى أكثر داخل حقيبته.

«... تكن تلك جينات أمك تظهر فيك!».

قال (هارى) بارتياح: «آه...نعم، ربما».

كان (إيرنى) يبدو متضايقًا؛ كان عازمًا على التفوق على (هارى) ولو لمرة، فابتكر بأسرع ما يمكن وصفة سحرية خاصة به، ولكنها تخثرت وكوّنت كتلة بنفسجية فى قاع مرجله. كان (مالفوى) قد حزم حقيبته بالفعل وقد بدا الحزن على وجهه؛ بعد أن وصف (سلجهورن) محلول الفواق الذى حضره بأنه «مقبول».

دق الجرس فخرج كل من (إيرنى) و(مالفوى) على الفور.

بدأ (هارى) كلامه: «سيدى»، ولكن (سلجهورن) ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه على الفور، وحين رأى أنه لا يوجد بها أحد إلا هو و(هارى) عجل بالخروج بأسرع ما يمكنه.

فناداه (هارى) بيأس: «أستاذ... أستاذ، ألا تريد أن تتذوق وصـ؟».

إلا أن (سلجهورن) كان قد مضى. أفرغ (هارى) المرجل محبطًا، وحزم أشياءه وغادر الزنزانة وسار على مهل عائدًا إلى أعلى؛ إلى الغرفة العامة.

وعاد (رون) و(هرميون) فى وقت متأخر من بعد الظهر.

نادت (هرميون) وهى تتسلق عبر ثقب اللوحة: «(هارى)! (هارى)، نجحت».

قال: «أحسنتِ! و(رون)؟».

همست (هرميون) بينما دخل (رون) إلى الغرفة وقد تهدلت قامته وبدا واجمًا: «لقد... رسب.. سوء حظ حقيقى، شىء بسيط؛ اكتشف الممتحن أنه ترك نصف حاجب وراءه.. كيف سارت الأمور مع (سلجهورن)؟».

قال (هاري) بينما انضم إليهما (رون): «لا شيء يسرُّ، سوء حظ يا صديقي، لكنك ستنجح في المرة القادمة.. يمكننا أن ندخل الامتحان معًا».

قال (رون) متبرمًا: «نعم، أعتقد ذلك. ولكن نصف حاجب! كأن هذا يهم!».

قالت (هرميون) وهي تهدئه: «أعرف، الأمر يبدو مؤلمًا فعلاً...».

وقضوا معظم عشائهم وهم يسبُّون ممتحن مادة الانتقال الآني. وكان (رون) يبدو أكثر مرحًا إلى حد ما حين انطلقوا عائدين إلى الغرفة العامة وهم يتناقشون حول مشكلة (سلجهورن) المستمرة، والذاكرة.

سأله (رون): «إذن يا (هاري).. هل ستستخدم الـ(فليكس فلسيس) أم ماذا؟».

قال (هاري): «نعم، أظن أنه يستحسن أن أفعل، لا أعتقد أنني سأحتاج إليها كلها، فالأمر لا يستحق اثنتي عشرة ساعة، لا يمكن أن تستغرق الليل بطوله.. سأكتفي بأخذ حفنة.. ساعتان أو ثلاث ساعات تكفي».

قال (رون) وهو يتذكر: «إنه إحساس عظيم حين تتناولها؛ كأنك يستحيل أن تفعل شيئًا خطأً».

قالت (هرميون) وهي تضحك: «عم تتكلم؟ لم يسبق لك أن تناولت منها؟!».

قال (رون) وكأنه يفسر ما لا يحتاج لتفسير: «نعم، ولكنني ظننت أنني تناولتها، أليس كذلك؟ والفارق بينهما ليس...».

وبما أنهم رأوا (سلجهورن) يدخل البهو العظيم لتوِّه وكانوا يعرفون أنه يحب أن يأخذ وقته في تناول الوجبات؛ لذا فقد تلكئوا لبعض الوقت في الغرفة العامة؛ إذ كانت الخطة أن يذهب (هاري) إلى مكتب (سلجهورن) بعد أن يعود إلى مكتبه، وحين غاصت الشمس حتى

مستوى قمم الشجر فى الغابة المحرمة، قرروا أن اللحظة قد حانت، وبعد أن تأكدوا من أن (نيفيل) و(دين) و(سيموس) كانوا جميعًا بالغرفة العامة تسللوا إلى مهجع الأولاد.

أخرج (هارى) الجورب الملفوف بقاع صندوقه، وأخذ منه الزجاجة الصغيرة اللامعة.

قال (هارى) وهو يرفع الزجاجة الصغيرة ويأخذ منها جرعة دقق فى معايرتها: «حسنًا، ها هى».

همست (هرميون)،قائلة: «تُرَى، كيف يكون الإحساس بها؟».

لم يُجبها (هارى) لبرهة؛ تسلل إليه ببطء إحساس مبهج بالفرص اللانهائية؛ أحس كأنه يستطيع أن يعمل أى شىء؛ أى شىء على الإطلاق.. وفجأة بدا أن الحصول على الذاكرة من (سلجهورن) ليس ممكنًا وحسب، بل سهلاً للغاية أيضًا..

نهض على قدميه وهو يبتسم مفعمًا بالثقة.

قال: «رائع، رائع فعلاً.. سأذهب إلى كوخ (هاجريد)».

قال (رون) و(هرميون) معًا وهما مشدوهان: «ماذا؟».

قالت (هرميون): «لا يا (هارى)... يجب أن تذهب وتقابل (سلجهورن)، أتتذكر؟».

قال (هارى) بثقة: «لا، أنا ذاهب إلى كوخ (هاجريد)، يخامرنى إحساس طيب بأن أذهب عند (هاجريد)».

سأله (رون) بذهول: «أيخامرك إحساس طيب بأن تدفن عنكبوتًا عملاقًا؟».

قال (هارى) وهو يجذب عباءة الإخفاء من حقيبته: «نعم، أشعر أنه المكان الذى ينبغى أن أكون فيه الليلة، أتدرك مقصدى؟».

قال (رون) و(هرميون) معًا وقد بدا عليهما الانزعاج الآن: «لا».

قالت (هرميون) بقلق وهى ترفع الزجاجة لأعلى لتراها فى الضوء: «هذه هى الـ(فليكس فلسيس) على ما أظن؟ أليس لديك زجاجة أخرى صغيرة ممتلئة بالـ... لا أدرى...».

قال (رون) مقترحًا بينما كان (هارى) يضع العباءة على كتفيه: «خلاصة الجنون؟».

ضحك (هارى) وبدا كل من (رون) و(هرميون) أكثر انزعاجًا.

قال: «ثِقا بى، أنا أعرف ما أفعله... أو على الأقل... (فليكس) يعرف»، ومشى بكل ثقة نحو الباب.

وجذب عباءة الإخفاء فوق رأسه وانطلق يهبط الدرج، وأسرع (رون) و(هرميون) وراءه. وعبر (هارى) الباب المفتوح فى أدنى الدرج.

صرخت (لافيندر براون) وهى تحدق من خلال (هارى) (رون) و(هرميون) وهما خارجان معًا من مهاجع الأولاد، وقالت: «ماذا كنتَ تعمل معها بأعلى؟»، سمع (هارى) (رون) يغمغم من ورائه وهو مندفع عبر الغرفة مبتعدًا عنهم.

كان اجتياز ثقب اللوحة سهلاً، ومع اقترابه منه جاء كل من (جينى) و(دين) واجتازاه وتمكن (هارى) من المرور بينهما، ومس (جينى) دون قصد وهو يمر بجوارها.

قالت بضيق: «لا تدفعنى يا (دين) من فضلك. أنت دائمًا تفعل ذلك، يمكننى اجتيازه بدون مساعدتك».

وتأرجحت اللوحة وانغلقت وراء (هارى)،ولكن بعد أن سمع (دين) يرد عليها غاضبًا ازداد إحساس (هارى) بالزهو ومشى بخُطا واسعة عبر القلعة. لم يكن مضطرًا للتسلل؛ إذ لم يقابل أحدًا فى طريقه، لكن هذا لم يدهشه على الإطلاق؛ ففى هذا المساء كان هو أسعد الناس حظًا فى (هوجوورتس).

لم تكن لديه فكرة لماذا يشعر بأنه ينبغى عليه الذهاب إلى كوخ (هاجريد). وكأن الجرعة السحرية كانت تضىء بضع خطوات من الطريق فقط فى كل مرة؛ لم يكن يعرف إلى أين سيقوده هذا الطريق، ولم يفهم ما علاقة (سلجهورن) بهذا، ولكنه كان يعرف أنه يمضى فى الطريق الصحيح للحصول على تلك الذاكرة. وعندما بلغ بهو الدخول، وجد أن (فيلتش) كان قد نسى أن يوصد الباب الأمامى. دفع (هارى) الباب وهو مبتسم ففتحه واستنشق رائحة الهواء النظيف والعشب لبرهة قبل أن يبدأ فى هبوطٍ درجات السلم إلى الغسق.

وعندما بلغ الدرجة الأخيرة، خطر له أنه من الممتع أن يمر خلال مزرعة الخضراوات فى طريقه إلى كوخ (هاجريد)، ولم تكن فى طريقه تمامًا، ولكن بدا واضحًا لـ(هارى) أنها نزوة عليه أن يلبيها، فتوجه من فوره نحو مزرعة الخضراوات حيث أسعده، وإن لم يفاجئه تمامًا أن وجد الأستاذ (سلجهورن) هناك يتحدث مع الأستاذة (سبراوت). توارَى (هارى) وراء جدار حجرى منخفض وأخذ يصغى لحوارهما وهو يشعر بسلام مع الدنيا.

كان (سلجهورن) يقول بدماثة: «...أشكر لكِ ما قضيتِ من وقت يا (بومونا). معظم المراجع تتفق على أنها تبلغ ذروة فعاليتها إذا قُطفت وقت الشفق».

قالت الأستاذة (سبراوت) بودٍّ: «آه، أوافقك تمامًا؛ أيكفيك هذا؟».

قال (سلجهورن) الذى رآه (هارى) يحمل ملء ذراعيه من نباتات مورقة: «هذا كثير، كثير. سيسمح هذا بإعطاء بضع وريقات لكل طالب من طلابى فى السنة الثالثة والاحتفاظ بقدر منه لأعطيه لمن يقوم منهم بغليها زيادة على اللزوم... حسنًا، طاب مساؤكِ وشكرًا لكِ مرة أخرى!».

انطلقت الأستاذة (سبراوت) فى الظلام المتجمع فى اتجاه مزرعتها ووجه (سلجهورن) خُطاه نحو البقعة التى وقف فيها (هارى) غير مرئى.

تملَكت (هارى) رغبة فورية فى الكشف عن نفسه فجذب العباءة بحركة متأنقة.

«مساء الخير يا أستاذ».

قال (سلجهورن) وقد تسمر فى مكانه وبدا قلقًا: «يا للسماء! (هارى)! لقد أفزعتنى. كيف خرجتَ من القلعة؟!».

قال (هارى) بمرح وقد فرح لرؤية (سلجهورن) وهو يجفل: «أعتقد أن (فيلتش) نسى أن يوصد الأبواب».

«سأبلغ عن هذا الرجل، فهو يهتم بأوراق الشجر الميتة أكثر من الأمن لو سألتنى.. ولكن ما الذى أتى بك إلى هنا يا (هارى)؟».

قال (هارى) الذى أدرك أن ما ينبغى عليه فعله الآن هو قول الحقيقة: «حسنًا يا سيدى، إنه (هاجريد)، فهو منزعج جدًّا.. ولكنك لن تخبر أحدًا يا أستاذ؛ فأنا لا أريد أن أجلب عليه المتاعب...».

ثار فضول (سلجهورن) بصورة واضحة.

قال بفظاظة: «حسنًا، لا أستطيع أن أعدك بذلك. لكننى أعرف أن (دمبلدور) يثق فى (هاجريد) تمام الثقة؛ لذا فأنا متأكد من أنه لن يُقدِم على شىء فظيع...».

«حسنا، إنه ذلك العنكبوت العملاق، فهو بحوزته منذ سنين.. كان يعيش بالغابة... وهو يتكلم، وكل شىء...».

قال (سلجهورن) برقة وهو يلقى نظرة إلى تجمع الأشجار السوداء: «سمعتُ شائعات عن وجود عنكبوت من نوعية (أكرومنتولا) فى الغابة. إنها حقيقة إذن؟».

قال (هارى): «نعم، إلا أن (أراجوج) هذا أول عنكبوت يربيه (هاجريد)، وقد مات ليلة أمس. إنه حزين عليه جدًّا، ويريد صحبة معه وهو يدفنه، وقد وعدتُه بالحضور».

قال (سلجهورن) وهو شارد الذهن وعيناه الكبيرتان الذابلتان مركزتان على الأضواء البعيدة الصادرة عن كوخ (هاجريد): «هذا أمر مؤثر. لكنَّ سم عنكبوت (أكرومنتولا) قيم جدًّا.. لو كان هذا الوحش قد مات لتوِّه فلعل سمه لم يجف بعد.. طبعًا ما كنتُ لأقدم على شيء يؤلم (هاجريد) خاصة وهو حزين.. ولكن لو كانت ثمة طريقة نحصل بها على بعضه؛ أقصد من المستحيل الحصول على السم من عنكبوت (أكرومنتولا) وهو حى...».

كان يبدو أن (سلجهورن) يكلم نفسه أكثر من (هارى) الآن.

«... خسارة كبيرة ألا نجمعه.. يمكن أن نحصل على مائة جالون لكل جرام... لأكون صريحًا معك، راتبى ليس كبيرًا...».

وعرف (هارى) الآن بوضوح ما ينبغى عليه فعله.

قال بتردد مقنع للغاية: «حسنًا، لو أردتَ أن تأتى يا أستاذ، لربما فرح (هاجريد) فعلاً.. يودع (أراجوج) وداعًا لائقًا، تعرف...».

قال (سلجهورن) وقد لمعت عيناه بالحماس: «نعم، طبعًا، اسمع يا (هارى)، سألقاك هناك ومعى زجاجة أو زجاجتان من الشراب.. الوحش المسكين.. سنشرب.. حسنًا.. ليس نخبه.. ولكن سنودعه وداعًا أنيقًا، على أية حال، بمجرد أن يتم الدفن، سأذهب لتغيير ربطة عنقى؛ فهى بهيجة قليلاً على المناسبة...».

وانطلق عائدًا إلى القلعة وأسرع (هارى) إلى (هاجريد) فرحًا بنفسه.

قال (هاجريد) بصوت أجش حين فتح الباب ورأى (هارى) خارجًا من عباءة الإخفاء أمامه: «أجئت؟».

قال (هارى): «نعم، لكن (رون) و(هرميون) لم يستطيعا المجىء، وهما فى غاية الأسف».

«لا... لا يهم... ولكنه كان سيتأثر بمجيئك يا (هارى)...».

وأطلق (هاجريد) نشيجًا حارًا؛ كان قد صنع لنفسه عصابة سوداء ربطها على ذراعه؛ مما بدا كأنه خرقة بالية غمست فى ورنيش أحذية،

وكانت عيناه منتفختين وحمراويْن ومتورمتين. عزَّاه (هارى) بأن أخذ يربت على مرفقه وهو أعلى نقطة من (هاجريد) أمكنه أن يطولها بسهولة.

وسأله «أين سندفنه؟ فى الغابة؟».

قال (هاجريد) وهو يمسح عينيه الدامعتين بطرف قميصه: «يا إلهى! لا، العناكب الأخرى لن تدعنى أقترب من شباكها بعد أن مات (أراجوج)، تبين أنه امتنع عن التهامى بأوامر منها فقط! هل تصدق ذلك يا (هارى)؟».

كانت الإجابة الصادقة: «نعم».. وتذكر (هارى) بسهولة مؤلمة ذلك المشهد حين اضطر هو و(رون) لمواجهة عناكب (أكرومنتولا)، وكان واضحًا أن (أراجوج) هو الشىء الوحيد الذى منعها من التهام (هاجريد).

قال (هاجريد) وهو يهز رأسه: «ما من مكان فى الغابة كنت أعجز عن دخوله من قبل. لم يكن من السهل الخروج بجثة (أراجوج) منها؛ فهذه العناكب عادةً ما تلتهم موتاها، أتفهمنى؟ ولكننى أردت أن أعد لها جنازة لطيفة... وداعًا لائقًا...».

وانفجر فى النشيج من جديد وواصل (هارى) الربت على مرفقه وهو يقول (لأن الجرعة على ما يبدو كانت تشير إلى أن هذا هو ما ينبغى عمله): «الأستاذ (سلجهورن) قابلنى وهو آتٍ إلى هنا يا (هاجريد)».

قال (هاجريد) وهو ينظر لأعلى بانزعاج: «أنت لم تقع فى متاعب، أليس كذلك؟ لا ينبغى لك أن تخرج من القلعة فى المساء، أعرف ذلك، الذنب ذنبى...».

قال (هارى): «لا، لا، عندما استمع إلىَّ قال إنه يود أن يجىء ويلقى نظرة وداع على (أراجوج) هو أيضًا، وذهب ليلبس ثيابًا لائقة على ما أظن.. وقال إنه سيأتى ببعض الزجاجات؛ حتى يتسنى لنا أن نشرب فى ذكرى (أراجوج)...».

قال (هاجريد) وهو يبدو مندهشًا ومتأثرًا فى وقت واحد: «حقًا؟ هذا... هذا لطف منه، هذا، كما أنه لن يبلغ عنك أيضًا. حقيقةً لم يكن لى صلة كبيرة بـ(هوريس سلجهورن) من قبل.. ومع ذلك فهو آتٍ لوداع (أراجوج)، ها؟ حسنًا، كان سيعجبه ذلك، كان سيعجب (أراجوج)...».

فكر (هارى) داخل نفسه بأن ما كان سيعجب (أراجوج) أكثر فى (سلجهورن) هو كم اللحم الطرى الوافر الذى كان سيمكنه أن يأكله، ولكنه اكتفى بالانتقال إلى جانب نافذة كوخ (هاجريد)؛ حيث رأى المشهد الرهيب: العنكبوت النافق الضخم مستلقيًا على ظهره بالخارج وقد عُقصت قوائمه وتشابكت.

«هل سندفنه هنا يا (هاجريد)، فى حديقتك؟».

قال (هاجريد) بصوت مخنوق: «وراء زرع اليقطين مباشرةً، هكذا فكرتُ. وحفرتُ الـ... أتعرف... القبر فعلاً. فكرتُ فى أننا يمكننا أن نقول بضعة أشياء لطيفة عنه... ذكريات سعيدة، أتعرف...».

وارتعش صوته وتكسر.. ودق الباب فاستدار ليجيبه وهو يُمخط أنفه فى منديله الكبير المنقوط، وأسرع (سلجهورن) بعبور عتبة الباب وفى ذراعيه عدد من الزجاجات وقد ارتدى ربطة عنق سوداء.

قال بصوت عميق وقور: «(هاجريد)، أسفتُ جدًا لسماع نبأ خسارتك الفادحة».

قال (هاجريد): «هذا لطف كبير منك، شكرًا، كما أشكرك لعدم إقدامك على احتجاز (هارى) أيضًا...».

قال (سلجهورن): «ما كان هذا ليرد على خاطرى، يا لها من ليلة حزينة! ليلة حزينة! أين هو المخلوق المسكين؟».

قال (هاجريد) بصوت مرتعش: «بالخارج، تفضَّلا... لنقمْ باللازم إذن».

خرج ثلاثتهم إلى الحديقة الخلفية، كان القمر يتلألأ فى شحوب خلال الأشجار فتمتزج أشعته بالضوء الصادر عن نافذة (هاجريد) ليضىء

جثة (أراجوج) المستلقية على حافة حفرة هائلة بجوار كومة بارتفاع عشرة أقدام من تراب حُفر حديثًا.

قال (سلجهورن) وهو يقترب من رأس العنكبوت حيث كانت ثمانى أعين بلون الحليب تحدق مشدوهة فى السماء وكلابتان مقوستان ضخمتان تلمعان بلا حراك فى نور القمر: «رائع»! ظن (هارى) أنه سمع رنين الزجاجات عندما انحنى (سلجهورن) على الكلابتين يتأمل الرأس المشعر الضخم على ما يبدو.

قال (هاجريد) لظهر (سلجهورن) والدموع تنساب من طرفى عينيه المغضنين: «ليس كل الناس يقدرون جمالها. لم أكن أعلم أنك تهتم بمخلوقات مثل (أراجوج) يا (هوريس)».

قال (سلجهورن) وهو يتراجع عن الجثة: «أهتم! أنا أجلّها يا عزيزى (هاجريد)».

لمح (هارى) وميض زجاجة يختفى تحت عباءته، ولو أن (هاجريد) وهو يمسح عينيه مرة أخرى لم يلحظ شيئًا. «والآن.. هلا بدأنا الدفن؟»

أومأ (هاجريد) برأسه وتقدم، وأحاط العنكبوت العملاق بذراعيه، وبصرخة مدوية دفعه إلى الحفرة المظلمة، فارتطم بالقاع بصوت مدوٍّ رهيب، وبدأ (هاجريد) فى البكاء من جديد.

قال (سلجهورن) الذى كان مثل (هارى) لا يصل من (هاجريد) إلا إلى مرفقه فأخذ يربت عليه: «بالطبع، الأمر صعب عليك؛ لأنه كان صديقك، لمَ لا أقول بضع كلمات عزاء؟»

فكر (هارى) فى أنه لابد أن يكون قد حصل على كثير من السم العالى الجودة من (أراجوج)؛ لأن (سلجهورن) رسم على وجهه ابتسامة رضا متكلفة وهو يخطو نحو حافة الحفرة وقال بصوت بطىء مؤثر: «وداعًا يا (أراجوج) يا ملك العناكب، يا من لن ينسى من عرفوك صداقتك الطويلة المخلصة! وإن كانت جثتك سوف تتحلل فإن روحك ستظل

باقية فى البقاع الهادئة وبشباك بيتك فى الغابة. عسى أن يزدهر نسلك من متعددى الأعين وأن يجد أصدقاؤكَ من البشر السلوان على ما حلَّ بهم من مُصاب».

ولْوَل (هاجريد) قائلاً: «كان هذا... كان هذا... جميلاً!» وارتمى على كومة الروث وهو يبكى بحرارة أكثر من أى وقت مضى.

قال (سلجهورن) وهو يلوح بعصاه السحرية: «هناك، هناك» فارتفعت كومة التراب الكبيرة، ثم هوت بصوت ارتطام مكبوت نوعًا ما فوق العنكبوت النافق فشكل رابية ملساء، وأضاف: «لندخل ونشرب شيئًا. أمسك جانبه الآخر يا (هارى)... نعم هكذا... انهض يا (هاجريد)... أحسنت...».

وأودعَا (هاجريد) فى مقعد إلى المائدة، وجاء (فانج) الذى كان يتوارَى؛ خوفًا فى سلته أثناء الدفن ـ إليهم يمشى بهوادة ووضع رأسه الثقيل فى حجر (هارى) كالمعتاد. ونزع (سلجهورن) سدادة إحدى زجاجات النبيذ التى أحضرها معه.

اطمأن (هارى) وهو يصب معظم الزجاجة الأولى فى أحد أكواب (هاجريد) التى كانت فى حجم الدلو ويناولها لـ(هاجريد) قائلاً: «تأكدت من خلوها جميعًا من السم؛ جعلتُ أحد جن البيوت يتذوق كل زجاجة على حدة بعد ما حدث لصديقك المسكين (روبرت)».

رأى (هارى) بعين عقله التعبير على وجه (هرميون) لو سمعت بسوء استغلال جن البيوت بهذه الصورة؛ وقرر ألا يحكى لها عن ذلك أبدًا.

قال (سلجهورن) وهو يقسّم زجاجة أخرى على كوبين: «واحد لـ(هارى).. وواحد لى، حسنًا»، ثم رفع كوبه لأعلى قائلاً: «نخب (أراجوج)».

قال (هارى) و(هاجريد) معًا: «أراجوج».

أفرط كل من (سلجهورن) و(هاجريد) فى الشراب، أما (هارى) فقد عرف أنه يجب ألا يشرب؛ حيث أرشدته الـ(فليكس فلسيس) أن هذا ما يجب فعله، فاكتفى بالتظاهر باحتساء رشفة، ثم أعاد الكوب إلى المائدة أمامه.

قال (هاجريد) بكآبة: «اقتنيته وهو بيضة، أتعرف؟! كانت مخلوقًا صغيرًا جميلاً حين فقس، كان فى حجم بطة بكينى تقريبًا».

قال (سلجهورن): «جميل».

«كنتُ أحتفظ به فى خزانة بالمدرسة إلى أن... حسنا...».

وأظلم وجه (هاجريد) وكان (هارى) يعرف السبب: كان (توم ريدل) قد احتال لطرد (هاجريد) من المدرسة بتهمة فتح (غرفة الأسرار)، إلا أن (سلجهورن) لم يبدُ عليه أنه كان منصتًا؛ فقد كان ينظر لأعلى فى السقف حيث تدلى عدد من الأوانى النحاسية وخصلة حريرية طويلة من شعر أبيض براق.

«أليس هذا شعر (اليونيكورن) يا (هاجريد)؟».

قال (هاجريد) بغير اكتراث: «بلى، يتم انتزاعه من ذيولها حين تتعلق بالأغصان، وما إلى ذلك بالغابة، أتعرف...».

«ولكن يا فتاى العزيز، ألا تدرى كم يساوى هذا؟».

قال (هاجريد) وهو يهز كتفيه: «أنا أستعمله فى الربط على الضمادات، وهذه الأشياء حين يصاب مخلوق بأذى، إنه مفيد تمامًا... قوى جدًّا، أتعرف...؟».

تناول (سلجهورن) رشفة أخرى كبيرة من كوبه، وأخذت عيناه تتنقلان فى أنحاء الكوخ بعناية؛ باحثًا ـ كما أدرك (هارى) ـ عن المزيد من الكنوز التى قد يتمكن من تحويلها إلى مئونة وافرة لخمر السنديان المعتَّق والأناناس المبلور وسترات المنزل القصيرة المخملية. أعاد ملء كوب (هاجريد) وكوبه، واستجوبه عن المخلوقات التى تعيش فى الغابة هذه الأيام، وكيف تمكن (هاجريد) من رعايتها جميعًا. وبعد أن أصبح (هاجريد) أكثر استرخاءً تحت تأثير الشراب واهتمام (سلجهورن) المتملق، توقف عن مسح عينيه واندمج سعيدًا فى شرح مطول عن رعاية الحيوانات وتدجينها.

وهنا لكزت الـ(فليكس فلسيس) (هارى) بوخزة خفيفة، ولاحظ هو أن مئونة الشراب التى جاء (سلجهورن) بها كانت تنفد بسرعة. ولم يكن (هارى) قد تمكن بعد من أداء تعويذة إعادة الملء بدون نطق كلمات التعويذة بصوت مسموع، إلا أن فكرة أنه قد لا يتمكن من أدائها الليلة كانت تثير الضحك.. وبالفعل، ابتسم(هارى) لنفسه وأشار بعصاه السحرية من تحت المائدة إلى الزجاجات التى كادت تفرغ فبدأت تُملأ من جديد على الفور دون أن يلاحظه (هاجريد) أو(سلجهورن) الذى كان يحكى عن تجارة بيضِ التنين غير المشروعة.

وبعد ساعة أو نحو ذلك، بدأ (هاجريد) و(سلجهورن) يتبادلان أنخاب هزلية: نخب (هوجوورتس)، ونخب (دمبلدور) ونخب النبيذ الذى تصنعه الجن ونخب...

صاح (هاجريد) وهو يريق بعضًا من دلو نبيذه الرابع عشر على ذقنه وهو يتجرعه: «(هارى بوتر)!».

صاح (سلجهورن) بصوت أكثر غلظة وهو يغمغم قائلاً: «نعم، بالطبع، (بارى أوتر) الفتى المختار الذى.. حسنًا ـ شىء من هذا القبيل»، وتجرع كوبه أيضًا.

بعد ذلك بوقت قصير، شرع (هاجريد) فى البكاء مرة أخرى وأعطى شعر ذيل (اليونيكورن) كله إلى (سلجهورن) الذى وضعه فى جيبه وهو يصيح قائلاً: «نخب الصداقة! نخب الكرم! نخب عشرة جالونات للشعرة!».

ولفترة بعد ذلك، ظل كل من (هاجريد) و(سلجهورن) جالسيْن جنبًا إلى جنب، وكلٌّ يحيط الآخر بذراعه، وأخذا يرددان أغنية حزينة بطيئة عن ساحر يحتضر اسمه (أودو).

غمغم (هاجريد) وقد انحنى على المائدة زائغ العينين قليلاً وهو يقول: «الطيبون يموتون شبابًا، أبى لم يكن فى سن الموت.. ولا كانت

أمك وأبوك يا (هارى)...»، وبينما واصل (سلجهورن) الترنم بلازمة الأغنيةانسابت دموع ثخينة كثيفة من طرفى عينى (هاجريد) المغضنتين مرة أخرى، وشد ذراع (هارى) وأخذ يهزه.

«أحسن ساحر وساحرة عرفتهما فى عصرهما... شىء رهيب... شىء رهيب...».

وأخذ (سلجهورن) يغنى بأسى ويقول: «وحملوا (أودو) البطل وعادوا به إلى بلده إلى المكان الذى عرفه صبيًاوأنزلوه ليستريح وقبعته مقلوبة وعصاه السحرية انكسرت إلى قطعتين، كم كان هذا محزنًا».

تجهم (هاجريد) وقال: «رهيب»، وتدحرج رأسه الأشعث الضخم جانبًا على ذراعيه، وغلبه النوم، وأخذ يغطُّ غطيطًا عاليًا.

قال (سلجهورن) وقد أصابه الفواق: «آسف، لا أستطيع أن أغنِّى لحنًا لأنقذ حياتى».

قال (هارى) بهدوء: «لم يكن (هاجريد) يقصد غناءك، بل كان يتحدث عن موت أبى وأمى».

قال (سلجهورن) وهو يكبح تجشؤًا قويًا: «آه يا عزيزى، نعم، هذا كان... كان شيئًا رهيبًا فعلاً، رهيبًا... رهيبًا...».

وكان يبدو فى حيرة تامة ولا يعرف ماذا يقول، فعاد إلى ملء كوبيْهما.

ثم سأل بارتباك: «أنا لا... لا أعتقد أنك تتذكر ما حدث يا (هارى)!».

قال (هارى) وعيناه على لهب الشمعة الذى يخفق من غطيط (هاجريد) الشديد: «لا.. حسنًا، كان عمرى سنة واحدة عندما توفيا. ولكننى اكتشفت الكثير عما حدث منذ ذلك الحين.. أبى توفى أولاً.. هل كنتَ تعلم ذلك؟».

قال (سلجهورن) بصوت خافت: «لا.. لم أكن أعلم».

قال (هاري): «نعم.. قتله (فولدمورت) ثم داس على جثته واتجه إلى أمي».

انتفض (سلجهورن) انتفاضة شديدة، ولكنه لم يستطع أن ينتزع نظرته المحدقة المذعورة عن وجه (هاري).

قال (هاري) بقسوة: «أمرها أن تتنحى عن الطريق، قال لي: إنه لم يكن هناك داعٍ لموتها، لم يكن يريد سواي، كان بوسعها أن تهرب».

تنهد (سلجهورن) وقال: «يا إلهي! كان يمكن أن... لم يكن ثمة داعٍ! هذا شيء بشع!».

قال (هاري) بصوت يزيد بالكاد على الهمس: «فعلاً، أليس كذلك؟ ولكنها لم تتحرك، كان أبي قد مات فعلاً، ولكنها لم تُرد لي أن أموت أنا أيضًا، حاولت أن تتوسل إلى (فولدمورت)، ولكنه أخذ يضحك...».

قال (سلجهورن) فجأة وهو يرفع يدًا ترتعش: «كفى! فعلاً يا ولدي العزيز، كفى... فأنا شيخ... ولا داعي لأن أسمع... لا أريد أن أسمع...».

قال (هاري) حيث كانت الـ(فليكس فلسيس) تقوده: «نسيتُ.. كنتَ معجبًا بها، أليس كذلك؟».

قال (سلجهورن) وعيناه مغرورقتان بالدموع مرة أخرى: «معجب بها؟ لا أتصور أن أحدًا قابلها ولم يعجب بها؛ كانت شجاعة جدًّا... مرحة جدًّا... كان أبشع شيء...».

قال (هاري): «ولكنك لن تساعد ابنها.. هي وهبتني حياتها ولكنك لن تعطيني ذاكرة».

كان غطيط (هاجريد) المدمدم يملأ الكوخ، نظر (هاري) بثبات في عيني (سلجهورن) اللتين ملأتهما الدموع.. بدا أستاذ الوصفات السحرية عاجزًا عن تحويل عينيه بعيدًا.

همس قائلاً: «لا تقل هذا، ليست مسألة... لو كانت ستساعدك فعلاً... ولكنها لن تجدي نفعًا...».

قال (هارى) بوضوح: «قد تُجدى.. (دمبلدور) فى حاجة لمعلومات.. أنا فى حاجة لمعلومات».

كان يعلم أنه فى أمان؛ (فليكس) كان يقول له: إن (سلجهورن) لن يتذكر شيئًا من هذا فى الصباح. مال (هارى) إلى الأمام قليلاً وهو ينظر إلى (سلجهورن) فى عينه مباشرةً.

«أنا المختار. لابد أن أقتله. أنا فى حاجة لهذه الذاكرة».

ازداد (سلجهورن) شحوبًا عن أى وقت مضى؛ جبهته اللامعة ومضت بالعرق.

«أأنت المختار؟».

قال (هارى) بهدوء: «طبعًا أنا».

«ولكن... يا ولدى العزيز... أنت تطلب الكثير... أنت تطلب منى فى الحقيقة أن أعينك فى سعيك للقضاء على...».

«ألا تريد أن تتخلص من الساحر الذى قتل (ليلى إيفانز)؟».

«(هارى)، (هارى)، بالطبع أريد ولكن...».

«أنت تخاف أن يُكتشف أنك ساعدتنى».

لم يُجِر (سلجهورن) جوابًا؛ وبدا عليه الهلع.

«كن شجاعًا كأمى يا أستاذ...».

رفع (سلجهورن) يدًا قصيرة وممتلئة وضغط بأصابعه المرتعشة على فمه؛ بدا للحظة كطفل أفرط فى النمو وتضخم كثيرًا.

وهمس من خلال أصابعه قائلاً: «أنا لست فخورًا...أنا أخجل مما... مما تبينه هذه الذاكرة... أعتقد أننى ربما تسببت فى أذى كبير فى ذلك اليوم...».

قال (هارى): «ستصحح كل ما فعلته بإعطائى تلك الذاكرة.. سيكون هذا منتهى الشجاعة والنبل منك».

انتفض (هاجريد) فى نومه، ثم واصل غطيطه. كان (سلجهورن) و(هارى) يحدق كل منهما إلى الآخر فوق الشمعة الذائبة. وساد صمت طويل طويل، إلا أن الـ(فليكس فلسيس) قالت لـ(هارى) ألا يكسره وأن ينتظر.

ثم ببطء شديد، مد (سلجهورن) يده فى جيبه وجذب عصاه السحرية، ووضع يده الأخرى داخل عباءته وأخرج زجاجة صغيرة خاوية. ومس (سلجهورن)، وهو لا يزال ينظر فى عينى (هارى)، صدغه بطرف عصاه السحرية، ثم جذبها فخرج معها خيط فضى طويل من الذاكرة ملتصق بطرف العصا، وأخذت الذاكرة تتمدد وتطول إلى أن انقطعت وتدلت من العصا متلألئة بلون فضى، فأدخلها (سلجهورن) فى الزجاجة حيث التفت، ثم تمددت وأخذت تموج كالدخان. وسد الزجاجة بسدادة بيد ترتعد وناولها لـ(هارى) عبر المائدة.

«أشكرك كثيرًا يا أستاذ».

قال الأستاذ (سلجهورن) والدموع تسيل على خديه الممتلئين إلى شاربه الكث: «أنت صبى طيب، وعيناك كعينيها... ولكن لا تسئ الظن بى حين تراها...».

ووضع هو أيضًا رأسه على ذراعيه وأطلق تنهيدة عميقة، ثم راح فى النوم.

■ ■ ■

٢٣ آل (هوركروكس)

شعر (هارى) ببدء زوال مفعول الـ(فليكس فلسيس) وهو يتسلل عائدًا إلى القلعة، كان الباب الأمامى مازال غير موصد لأجله، إلا أنه التقى بـ(بيفز) فى الطابق الثالث ونجح بصعوبة فى تجنب اكتشاف أمره بالتسلل إلى إحدى طرقه المختصرة، وعندما بلغ لوحة السيدة البدينة وخلع عباءة الإخفاء لم يفاجأ أن يجدها فى مزاج سيئ جدًّا.

«أية مواعيد هذه؟».

«أنا فعلاً آسف.. اضطررت إلى الخروج لأمر غاية فى الأهمية».

«حسنًا، تغيرت كلمة السر فى منتصف الليل؛ لذا فلا مفر من أن تنام بالدهليز الليلة».

قال (هارى): «أنتِ تمزحين! وما الداعى لتغييرها فى منتصف الليل؟».

قالت السيدة البدينة: «هذا ما حدث؛ لو كنتَ غاضبًا فاذهب وتكلم مع الناظر، فهو الذى شدد إجراءات الأمن».

قال (هارى) بمرارة وهو يوجه نظره إلى الأرض: «رائع! جميل فعلاً. حسنا، كنت سأذهب وأتكلم مع (دمبلدور) لو كان هنا؛ لأنه هو الذى أرادنى أن...».

قال صوت من وراء (هارى): «إنه هنا، لقد عاد الأستاذ (دمبلدور) إلى المدرسة منذ ساعة».

كان (نيك شبه مقطوع الرأس) ينزلق فى الهواء متجهًا نحو (هارى) ورأسه يتمايل فوق رقبته كالمعتاد.

قال (نيك): «لقد أخبرني (البارون الدامى) بذلك؛ فقد رآه عند وصوله، وقال لى إنه كان يبدو فى حالة معنوية جيدة وإن كان مرهقًا قليلاً بالطبع».

قال (هارى) وقلبه يثب من مكانه: «أين هو؟».

«يئن ويدمدم بأعلى برج الفلك، فهذا أكثر شيء يفضله».

«لا أقصد (البارون الدامى)، بل (دمبلدور)!».

قال (نيك): «آه.. بمكتبه. أعتقد مما قاله (البارون) أنه سيقوم ببعض الأعمال قبل أن يخلد للنوم».

قال (هارى) وقد أشعلت فكرة إخبار (دمبلدور) بحصوله على الذاكرة الحماس فى صدره: «أجل، لديه بعض الأعمال»، ثم استدار وانطلق مرة أخرى متجاهلاً السيدة البدينة التى أخذت تناديه.

«عُد! لا بأس، كنت أكذب! كنت متضايقة؛ لأنك أيقظتنى من نومى! كلمة السر مازالت كما هى: «دودة شريطية»!».

إلا أن (هارى) كان قد اندفع عائدًا عبر الدهلين، وفى غضون دقائق كان يقول *(طوفى إكليرز)* للتمثال الحجرى (مزراب) على باب (دمبلدور) الذى وثب جانبًا ليسمح لـ(هارى) بالدخول إلى السلم الحلزونى.

قال (دمبلدور) حين دق (هارى) الباب: «ادخل»، وكان الإرهاق باديًا على صوته.

دفع (هارى) الباب ففتحه؛ كان مكتب (دمبلدور) يبدو كعهده أبدًا، لكن السماء خلف نوافذه كانت سوداء تنتثر فيها النجوم.

قال (دمبلدور) بدهشة: «ياللسماء يا (هارى)! ما سبب زيارتك المتأخرة هذه؟!».

«سيدى، حصلتُ عليها.. جئتك بالذاكرة من (سلجهورن)».

وأخرج (هارى) الزجاجة الصغيرة وأراها لـ(دمبلدور).. بدا الناظر مذهولاً للحظة أو لحظتين، ثم انبسط وجهه بابتسامة عريضة:

«هذا خبر رائع! أحسنتَ يا (هارى)! كنت أعلم أنك تستطيع عمل ذلك!».

ونسى كل تفكيره عن تأخر الوقت، وأسرع بالدوران حول مكتبه وتناول زجاجة ذاكرة (سلجهورن) بيده غير المصابة وهرول إلى الخزانة التى يحتفظ فيها بـ(البنسيف).

قال (دمبلدور) وهو يضع الحوض الحجرى فوق مكتبه ويفرغ محتوى الزجاجة فيه: «والآن، الآن أخيرًا، سنرى. أسرع يا (هارى)....».. انحنى (هارى) بطاعة فوق (البنسيف) وأحس بقدميه تغادران أرضية المكتب... وشعر مرة أخرى بأنه يسقط عبر الظلام وهبط فى مكتب (هوريس سلجهورن) قبل سنوات عديدة.

كان (هوريس سلجهورن) الأصغر كثيرًا ـ بشعره الأصفر الكثّ اللامع، وشاربه الأشقر المائل للبنى ـ جالسًا مرة أخرى فى المقعد المجنح الوثير بمكتبه، واضعًا قدميه على مسند مخملى، وممسكًا بكأس نبيذ صغيرة فى يدٍ بينما يفتش بالأخرى فى علبة الأناناس الكريستالى. وكان هناك ستة مراهقين جالسين حوله بينهم (توم ريدل)، وخاتم (مارفولو) الذهبى والأسود يلمع على إصبعه.

هبط (دمبلدور) بجانب (هارى) فى اللحظة التى سأل فيها (ريدل) قائلاً: «أصحيح يا سيدى أن الأستاذ (ميريثوت) سيتقاعد؟».

قال (سلجهورن) وهو يشير بإصبعه إلى (ريدل) معنِّفًا ولكنه يغمز بعينه فى الوقت نفسه: «(توم)، (توم)، حتى لو كنت أعرف لما استطعت إخبارك. ولكنى أتساءل، وأود أن أعرف من أين تأتى بمعلوماتك يا فتى؛ فأنت تعرف أكثر مما يعرفه نصف أعضاء هيئة التدريس».

فابتسم (ريدل)؛ وضحك الصبية الآخرون ورمقوه بنظرات إعجاب.

«كم من أمور تعرفها بقدراتك الخارقة وتملقك المنمق لأصحاب الشأن ولا ينبغى لك أن تعرفها.. شكرًا على الأناناس، بالمناسبة أنت على حق تمامًا، فهو المفضل عندى».

فضحك عدد من الصبية ضحكة مكبوتة مرة أخرى.

«..أنا أتوقع لك بكل ثقة أنك سوف تصبح وزير السحر فى غضون عشرين سنة.. بل خمس عشرة لو داومت على إرسال الأناناس لى. فلدىَّ اتصالات ممتازة بالوزارة».

اكتفى (توم ريدل) بالابتسام، بينما ضحك الآخرون مرة أخرى. ولاحظ (هارى) أنه لم يكن أكبر مجموعة الصبية سنًّا، ومع ذلك كان يبدو أنهم جميعًا يعتبرونه زعيمَهم.

قال بعد أن خفتِ الضحك: «لا أدرى إن كانت السياسة تلائمنى يا سيدى. فليست لدىَّ الخلفية المناسبة، هذا من ناحيةٍ».

ابتسم اثنان من الصبية حوله لبعضهما فى تكلُّف؛ كان (هارى) على يقين من أنهما كانا يتبادلان مزحة خاصة بينهما؛ عما يعرفان بلا شك، أو يتشككان فيه عن الجد الشهير لزعيم عصبتهم. قال (سلجهورن) بخفة: «هراء، فمما لا شك فيه أنك منحدر من سلالة عريقة من السحرة؛ بقدرات كقدراتك. لا، ستبلغ شأنًا عظيمًا يا (توم)، لم تخطئ تقديراتى لأحد الطلاب بعد».

دقت الساعة الذهبية الصغيرة الموجودة على مكتب (سلجهورن) معلنةً الحادية عشرة فالتفت إليها.

«يا إلهى! هل مر الوقت بهذه السرعة؟ يستحسن أن تنصرفوا أيها الفتيان وإلا تعرضنا جميعًا للمتاعب. (ليسترانج)، أريد مقالتك غدًا وإلا فأنت محتجَز. وأنت أيضًا يا (إفرى)».

غادر الصبية الغرفة واحدًا تلو الآخر، ونهض (سلجهورن) من مقعده وأخذ معه كأسه الفارغة إلى مكتبه، وجعلته حركة من ورائه يلتفت؛ كان (ريدل) لا يزال واقفًا فى مكانه.

«انتبه يا (توم)! لا ينبغى أن تُضبط خارج مخدعك بعد الموعد المحدد، خاصة أنك رائد الفصل...».

«سيدى، أردت أن أسألك عن شيء».
«سل إذن يا ولدى، اطرح سؤالك...».
«كنت أتساءل يا سيدى، ماذا تعرف عن... عن الـ(هوركروكس)؟».
حدق إليه (سلجهورن) وربت بأصابعه الغليظة شاردًا على قاعدة كأسه.
«بحث لمادة الدفاع ضد فنون الظلام، أليس كذلك؟».
ولكن (هارى) كان واثقًا أن (سلجهورن) يعلم أنه ليس عملاً مدرسيًّا.
قال (ريدل): «ليس تمامًا يا سيدى؛ مرت بى التسمية وأنا أقرأ ولم أفهمها تمامًا».
قال (سلجهورن): «لا... حسنًا... أشك فى أن تجد كتابًا فى (هوجوورتس) يمدك بتفاصيل كثيرة عن آل (هوركروكس) مهما بحثت يا (توم)؛ فهى من السحر الأسود المتقدم؛ المتقدم جدًّا فى الواقع».
«ولكن من الواضح أنك تعرف كل شيء عنهم يا سيدى! أقصد أن ساحرًا مثلك - آسف، أقصد لو لم يكن بوسعك أن تخبرنى فمن الواضح... لقد عرفتُ أنه لو كان هناك من يستطيع أن يخبرنى عنها، فهو أنت؛ لذلك فكرت فى أن أسألك».
فكر (هارى) فى نفسه أنه أحسن عمله فعلاً.. التردد والنبرة المتقطعة والتملق الحذر، لا شيء منها كان مبالغًا فيه. فقد كانت لديه - لدى (هارى) - خبرة كبيرة فى محاولة الحصول بالتملق على معلومات من أناس يتمنعون وكان قادرًا على تمييز المتمكن فى ذلك المجال حين يراه. وأدرك أن (ريدل) فى حاجة ماسة للمعلومات، وأنه ربما ظل يخطط لهذه اللحظة منذ أسابيع.
قال (سلجهورن) وهو يعبث بالشريط الذى يعلو علبة الأناناس الكريستالى دون أن ينظر إلى (ريدل): «حسنًا، لا ضرر من أن أعطيك فكرة عامة لمجرد أن تفهم التسمية: يطلق لفظ الـ(هوركروكس) على شيء أخفى أحدهم جزءًا من روحه فيه».

قال (ريدل): «ولكننى لا أفهم تمامًا كيف يتم ذلك يا سيدى».

كان يتحكم فى صوته بعناية، إلا أن (هارى) أحس بنبرة الإثارة فيه.

قال (سلجهورن): «حسنًا، أنت تقسِّم روحك، أتعرف؟ وتخفى جزءًا منها فى شىء خارج جسدك، وهكذا فحتى لو هوجم جسدك أو هلك فإنك لا تموت؛ لأن جزءًا من روحك يظل مرتبطًا بالأرض ولا يلحق به أذى، إلا أن الوجود فى صورة كهذه بالطبع...».

وتغضن وجه (سلجهورن) ووجد (هارى) نفسه يتذكر كلمات كان قد سمعها قبل سنتين تقريبًا.

«لقد انتُزعت من جسدى، كنت أقل من روح، أقل من أحقر شبح.. ولكننى مازلتُ حيًّا».

«... قليل من الناس من يتمنى ذلك يا (توم)، قليل جدًّا، الموت يبدو أفضل منه».

إلا أن نهم (ريدل) تبدَّى الآن؛ تعبيرات وجهه أصبحت تنمُّ عن نهمٍ لم يعد يستطيع أن يخفى لهفته.

«وكيف تقسِّم روحك؟».

قال (سلجهورن) متبرمًا: «حسنًا، لابد أن تفهم أن الروح يفترض أن تظل سليمة ومكتملة، وتقسيمها يعد عملاً مخالفًا؛ إنه ضد الطبيعة».

«ولكن، كيف يتم ذلك؟».

«بعمل شرير ـ قمة أعمال الشر؛ بالقتل؛ فالقتل يمزق الروح، والساحر الذى يريد عمل (هوركروكس) يستغل الضرر لمصلحته؛ ويغلف القطعة الممزقة...».

«يغلفها؟ لكن، كيف؟».

قال (سلجهورن) وهو يهز رأسه كفيل عجوز ضايقه البعوض: «هناك تعويذة، ولكن لا تسلنى عنها، فأنا لا أعرف! هل أبدو كمن جربها من قبل.. هل أبدو كقاتل؟».

قال (ريدل) بسرعة: «لا يا سيدى، بالطبع لا. أنا آسف.. لم أقصد أن أضايقك».

قال (سلجهورن) بفظاظة: «مطلقًا، مطلقًا، لم أتضايق، من الطبيعى أن يراودك بعض الفضول عن هذه الأشياء.. وبعض السحرة ذوو القدرات الخاصة ينجذبون دومًا لهذا الجانب من السحر...».

قال (ريدل): «نعم يا سيدى. لكن ما لا أفهمه ـ مجرد فضول ـ أقصد هل يستخدم الـ(هوركروكس) أكثر من مرة؟ هل بإمكان المرء أن يقسم روحه مرة واحدة فقط؟ ألا يستحسن.. ألا يقويك أن تقسِّم روحك إلى أكثر من قطعة؟ أقصد مثلاً: أليست السبعة أقوى الأعداد السحرية، ألا يمكن للسبعة..؟».

قال (سلجهورن) بصوت خشن: «يا للسماء يا (توم)! سبعة! ألا يكفيك سوءًا التفكير فى قتل إنسان واحد؟ وعلى أية حال فإن تقسيم الروح عمل شرير بما فيه الكفاية.. ولكن أن تمزقها إلى سبعة أجزاء...».

بدا الضيق الشديد على (سلجهورن) الآن؛ كان يحدق إلى (ريدل) كأنه لم يسبق أن رآه بوضوح من قبل، وأدرك (هارى) أنه ندم على بدء هذا الحوار أصلاً.

وغمغم قائلاً: «طبعًا، ما نناقشه، هذا كله افتراضى، أليس كذلك؟ كله أكاديمى...».

قال (ريدل) بسرعة: «بلى يا سيدى، طبعًا».

«ولكن على أية حال يا (توم)، لا تذكر الأمر لأحد، كل ما قلته لك ـ أى ما ناقشناه ـ إذا عرف الناس أننا كنا نتحدث عن الـ(هوركروكس)، فلن يعجبهم الأمر؛ فهو موضوع محظور فى (هوجوورتس)، أتعرف؟ و(دمبلدور) لا يتسامح أبدًا فى هذا الصدد».

قال (ريدل): «لن أبوح بكلمة يا سيدى»، ثم مضى ولكن بعد أن ألقى (هارى) نظرة خاطفة على وجهه الذى كان مفعمًا بتلك السعادة نفسها

التى اكتسى بها أول ما اكتشف أنه ساحر؛ نوع من السعادة لم يعزز ملامحه الوسيمة، بل جعلها بصورة ما أقل إنسانية.

قال (دمبلدور) بهدوء: «شكرًا يا (هارى). هيا بنا».

عندما هبط (هارى) مجددًا على أرضية المكتب، كان (دمبلدور) جالسًا بالفعل وراء مكتبه، وجلس (هارى) أيضًا وانتظر (دمبلدور) حتى يتكلم. أخيرًا قال (دمبلدور): «كنت أتطلع إلى الحصول على هذا الدليل منذ أمد بعيد؛ فهو يؤكد النظرية التى أعمل عليها، وعرفت منه أننى على حق وأنه مازال هناك طريق طويل ينبغى السير فيه».

ولاحظ (هارى) فجأة أن كل النظّار والناظرات السابقين الموجودين فى اللوحات المعلقة على الجدران من حوله كانوا يقظين ومنصتين لحوارهما. ورأى ساحرًا بدينًا أحمر الأنف قد أخرج بوقًا ووضعه على إحدى أذنيه ليسمع جيدًا.

قال (دمبلدور): «حسنا يا (هارى)، أنا متأكد أنك أدركتَ مدى أهمية ما سمعناه لتونا، ففى سنك أو أكبر ببضعة أشهر أو أصغر كان (توم ريدل) يعمل كل ما بوسعه ليحقق لنفسه الخلود».

سأله (هارى): «إذن فأنت تظن أنه أفلح يا سيدى؟ هل صنع (هوركروكس)؛ ولذلك لم يمُت عندما هاجمنى؟ كان لديه (هوركروكس) مخبأ فى مكان ما؟ جزء من روحه كان آمنًا؟».

قال (دمبلدور): «جزء أو أكثر، أنت سمعتَ (فولدمورت)؛ ما أراده بصفة خاصة من (هوريس) كان رأيه فيما يحدث للساحر إذا خلق أكثر من (هوركروكس) واحد؛ أى ما يحدث لساحر يصل عزمه على تفادى الموت إلى حد أن يكون مستعدًّا للقتل عدة مرات وأن يمزق روحه مرارًا وتكرارًا؛ حتى يخزنها فى العديد من الـ(هوركروكس)، مخبأة كل على حدة، وما من كتاب كان سيمده بهذه المعلومات. وعلى حد علمى - وعلى حد علم (فولدمورت) أيضًا بكل تأكيد - ما من ساحر قام بما هو أكثر من شطر روحه إلى نصفين».

توقف (دمبلدور) لبرهة يرتب أفكاره، ثم قال: «منذ أربع سنوات تسلمت ما اعتبرته دليلاً قاطعًا على أن (فولدمورت) كان قد شطر روحه».

سأله (هارى): «أين؟ وكيف؟».

قال (دمبلدور): «أنت سلمتنى إياه يا (هارى): المفكرة؛ مفكرة (ريدل)، تلك التى تتضمن تعليمات عن كيفية إعادة فتح (غرفة الأسرار)».

قال (هارى): «لا أفهم يا سيدى».

«مع أننى لم أرَ (ريدل) الذى خرج من المفكرة فإن ما وصفتَ لى كان ظاهرة لم أشهدها من قبل، لا يمكن أن تكون مجرد ذاكرة عادية؛ تلك الذاكرة التى تتصرف وتفكر من تلقاء نفسها، وتمتص الحياة من الفتاة التى وقعت فى يدها المفكرة. لا، هناك شىء أعظم شرًّا كان يحيا داخل ذلك الكتاب؛ شطرة من روح، كنت متأكدًا من ذلك؛ المفكرة كانت عبارة عن (هوركروكس). ولكن معرفتى لهذا أثارت من التساؤلات بقدر ما أجابت، ولكن أكثر ما أثار استغرابى وأقلقنى أن القصد من تلك المفكرة هو أن تكون سلاحًا بقدر كونها ضمانًا».

قال (هارى): «مازلتُ لا أفهم».

«حسنًا، لقد حققتْ تلك المفكرة ما ينبغى لأية (هوركروكس) أن يحققه؛ أى أن ذلك الجزء من الروح المخبأ بداخلها ظل آمنًا ولعب دوره فى الحيلولة دون موت صاحبه، ولكن لم يكن ثمة شك فى أن (ريدل) كان يريد لتلك المفكرة أن تُقرأ فعلاً؛ كان يريد لذلك الجزء من روحه أن يسكن ويسيطر على شخص غيره حتى ينطلق وحش (سليذرين) من جديد».

قال (هارى): «حسنًا، لم يكن يريد لجهده أن يضيع سدًى. كان يريد للناس أن يعلموا أنه وريث (سليذرين)؛ لأنه لم يكن يحظى بذلك الشرف آنذاك».

قال (دمبلدور) وهو يومئ برأسه: «هذا صحيح، ولكن ألا ترى يا (هارى) أنه لو كان يخطط لأن تنتقل المفكرة أو تسكن أحد طلاب

(هوجوورتس) فى المستقبل، فإنه كان غير مكترث بتلك القطعة الثمينة من روحه والمخبأة فيها، فالهدف من أى (هوركروكس) كما أوضح الأستاذ (سلجهورن) هو أن تحفظ جزءًا من النفس مخبأ وآمنًا، لا أن تلقى به فى طريق شخص آخر؛ مما قد يعرضه لاحتمال التدمير ـ كما حدث فعلاً؛ فتلك القطعة من الروح لم يعد لها وجود، وقد رأيتَ ذلك بنفسك.

«كانت اللامبالاة التى تعامل بها (فولدمورت) مع هذا الـ(هوركروكس) نذيرَ شرٍّ، فقد أوحت لى بأنه لابد أنه صنع ـ أو كان يخطط لصنع ـ المزيد من الـ(هوركروكس) بحيث لا يضيره ضياع الأولى.. لم أكن أود أن أصدق ذلك، ولكن لا شيء آخر كان يبدو معقولاً».

«ثم أخبرتنى أنت بعد ذلك بعامين أن (فولدمورت) ليلة عودته إلى جسده قال كلامًا خطرًا وقد كشف عن الكثير عندما قال لـ(آكلى الموت): «أنا الذى وصل الى أفاق لم يصل لها أحد قبلى على الطريق المُفضى للخلود»؛ هذا ما قلتَ لى إنه قاله.

«آفاق لم يصل لها أحد قبله»، وأعتقد أننى فهمت معنى هذه العبارة، مع أن (آكلى الموت) لم يفهموا، كان يقصد الـ(هوركروكسات) الخاصة به؛ أى أكثر من (هوركروكس) يا (هارى)، وهو ما لا أظن أن ساحرًا آخر حصل عليه من قبل. ولكن الأمر كان يبدو منطقيًا؛ فآدمية اللورد (فولدمورت) التى قلَّتْ بمرور السنين، والتحول الذى تعرض له لم يكن لهما تفسير إلا أن روحه تشوهت بصورة تعدت حيز ما يمكن أن نسميه الشر العادى...».

قال (هارى) «إذن فقد جعل نفسه محصنًا ضد القتل بقتله الآخرين؟ ولكن، لمَ لم يصنع حجر فيلسوف أو يسرق واحدًا مادام مهتمًا بالخلود إلى هذه الدرجة؟».

قال (دمبلدور): «حسنًا، نحن نعلم أنه حاول أن يفعل هذا منذ خمس سنوات، لكنّ فى اعتقادى هناك عدة أسباب عدة تجعل حجر الفيلسوف

أقل جاذبية من قطع الـ(هوركروكس) بالنسبة للّورد (فولدمورت)..

«ففى حين أن إكسير الحياة يطيل العمر فعلاً فإنه لابد من تناوله بانتظام وإلى الأبد لو أراد شاربه أن يبقى على خلوده، من ثَمَّ كان (فولدمورت) سيضطر للاعتماد على الإكسير، وإن نفد منه أو تلوث أو سُرق الحجر فإنه سوف يموت كأى إنسان عادى. و(فولدمورت) يحب أن يعمل وحده؛ تذكَّر ذلك. وأظن أنه كان سيعتبر فكرة الاعتماد ولو على الإكسير غير محتملة، كان بالطبع مستعدًّا لتناوله لو كان سينقله من حالة الحياة الجزئية التى حُكم عليه بها بعد مهاجمتك، ولكن لا لشىء إلا لكى يحصل على جسد، ولكننى على يقين من أنه عازمٌ على مواصلة الاعتماد على الـ(هوركروكس) بمجرد عودته إلى الهيئة البشرية؛ ما كان ليحتاج لشىء آخر بعد ذلك؛ فقد كان خالدًا بالفعل.. أو أقرب ما يمكن لبشر أن يبلغه من الخلود.

«أما الآن يا (هارى) وقد تسلحنا بهذه المعلومة من الذاكرة الحاسمة التى نجحتَ فى الحصول عليها، فقد أصبحنا أقرب إلى سر القضاء على لورد (فولدمورت) أكثر من أى شخص، لقد سمعته يا(هارى) وهو يقول: «ألا يستحسن، ألا يقويك أن تقسِّم روحك إلى أكثر من قطعة؟ *أليست السبعة أقوى الأعداد السحرية؟*» بلى، أعتقد أن فكرة الروح المقسمة إلى سبعة أجزاء كانت ستروق كثيرًا للورد (فولدمورت)».

قال (هارى) بهلعٍ بينما أحدث عدد من الصور المُعلَّقة على الجدران ضجيجًا يشى بالصدمة والغضب: «أتراه صنع سبعة من الـ(هوركروكس)؟ ولكنها قد تكون فى أى مكان فى العالم مخبأة أو مدفونة أو خفية..».

قال (دمبلدور) بهدوء: «يسرنى أنك تقدر فداحة المشكلة. ولكن أولاً، لا يا (هارى)، لم يصنع سبعة أجزاء من روحه، بل ستة.. أما الجزء السابع من روحه فمهما تشوَّه فهو باقٍ داخل جسده الذى بُعث من جديد،

وهذا الجزء منه هو الذى عاش حياة طيفية طوال هذه السنين فى منفاه؛ وبدونه لا ذات له على الإطلاق، هذه القطعة السابعة من الروح ستكون آخر ما ينبغى لأى شخص يريد قتل (فولدمورت) أن يهاجمها؛ إنها القطعة التى تحيا فى جسده».

قال (هارى) بشيء من اليأس: «ولكن الستة (الهوركروكسات).. كيف لنا أن نعثر عليها؟».

«أنت تنسى.. أنت قضيتَ على واحد منها فعلاً، وقضيتُ أنا على جزء آخر».

قال (هارى) بلهفة: «أنت فعلتَ؟».

قال (دمبلدور): «نعم فعلت»، ورفع يده الداكنة التى تبدو كالمحروقة: «الخاتم يا (هارى)، خاتم (مارفولو). كانت هناك لعنة رهيبة عليه أيضًا. ولولا براعتى الخارقة - اغفر لى عدم تواضعى - ولولا تصرف الأستاذ (سناب) السريع حين عدتُ إلى (هوجوورتس) مجروحًا جرحًا خطيرًا لما عشتُ لأحكى هذه الحكاية. ومع ذلك، فإن يدًا محروقة تعد ثمنًا باهظًا لسابع أجزاء روح (فولدمورت)؛ فالخاتم لم يعد (هوركروكس)».

«ولكن كيف عثرتَ عليه؟».

«حسنًا، كما تعلم الآن جعلتُ شغلى الشاغل لسنين طويلة أن أكتشف أكبر قدر ممكن عن حياة (فولدمورت) الماضية. سافرتُ كثيرًا وزرت الأماكن التى كان يعرفها، وعثرت على الخاتم مخبأ بين أطلال بيت آل (جاونت)، ويبدو أنه ما إن أفلح (فولدمورت) فى إيداع قطعة من روحه فيه حتى لم يعد يريد أن يضعه فى إصبعه. فخبأه فى الكوخ الذى عاش فيه أسلافه وحماه بالعديد من التعاويذ السحرية القوية. كان (مورفين) قد نُقل إلى (أزكابان) بالطبع ولم يخطر بباله طبعًا أننى سأكلف نفسى عناء زيارة الأطلال فى أحد الأيام، أو أننى قد أكون منتبهًا لآثار تعاويذ الإخفاء السحرى.

«ومع ذلك، فلا ينبغى أن نهنئ أنفسنا بحماس أكثر من اللازم؛ أنت حطمت المفكرة وأنا الخاتم، ولكن لو صحَّتْ نظريتنا عن روح من سبعة أجزاء فإنه لايزال هناك أربعة (هوركروكسات) أخرى».

قال (هارى): «ويمكن أن تكون أى شىء؟ قد تكون علب صفيح قديمة أو... لا أدرى، زجاجات وصفات فارغة...؟».

«أنت تفكر فى أدوات الانتقال يا (هارى) التى لابد أن تكون أشياء عادية يسهل تجاهلها.. ولكن، هل تعتقد أن يستعين اللورد (فولدمورت) بعلب صفيح أو زجاجات وصفات قديمة لحفظ روحه الغالية؟ أنت تنسى ما أريتك إياه؛ إن لورد (فولدمورت) كان يهوى جمع التذكارات، وكان يفضل الأشياء التى لها تاريخ سحرى قوى، بالإضافة طبعًا إلى كبريائه وإيمانه بتفوقه وإصراره على أن يحفر لنفسه مكانًا فى تاريخ السحر؛ هذه الأمور كلها توحى بأن (فولدمورت) اختار قطع الـ(هوركروكسات) الخاصة به بعناية مفضلاً الأشياء التى تستحق هذا الشرف».

«ولكن المفكرة لم تكن شيئًا مميزًا لهذا الحد».

«المفكرة - كما قلتَ أنت نفسك - كانت دليلاً على أنه وريث (سليذرين)، وأنا متأكد من أن (فولدمورت) اعتبرها مهمة جدًّا».

قال (هارى): «إذن، ماذا عن قطع الـ(هوركروكس) الأخرى؟ هل تعتقد أنك تعرف ما هى يا سيدى؟».

قال (دمبلدور): «لا يسعنى إلا أن أخمن، فللأسباب التى ذكرت، اعتقدت أن اللورد (فولدمورت) سيفضل الأشياء التى تتسم فى حد ذاتها بدرجة ما من الجلال؛ لذا فقد بحثت فى ماضى (فولدمورت) عسى أن أعثر على دليل على وجود أشياء كهذه اختفت من حوله».

قال (هارى) بصوت مسموع: «المدلاة، وكأس (هافلباف)!».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «نعم، وأنا مستعد للمراهنة لا على يدى الأخرى، بل على إصبعين منها على أنهما أصبحتا قطعتى الـ(هوركروكس) الثالثة

والرابعة، أما الاثنتان الباقيتان مرة أخرى على افتراض أنه صنع ستًا، فهما يمثلان مشكلة أكبر، ولكننى سأجازف بحدس.. فبعد أن أمَّن الأشياء التى حصل عليها من (هافلباف) و(سليذرين)، انطلق يبحث عن أشياء يمتلكها (جريفندور) أو(رافينكلو). أربعة أشياء من المؤسسين الأربعة لابد أن كانت لها جاذبية قوية فى مخيلة (فولدمورت). لا أستطيع أن أجيب عما إذا كان قد أفلح فى العثور على شىء من ممتلكات (رافينلكو)، ولكننى واثق من أن التذكار الوحيد المعروف من (جريفندور) ظل آمنًا».

وأشار (دمبلدور) بأصابعه الداكنة إلى الجدار من ورائه؛ حيث كان هناك سيف مرصع بالياقوت يرقد فى علبة زجاجية.

قال (هارى): «هل تعتقد أن هذا هو سبب رغبته الشديدة فى العودة إلى (هوجوورتس) يا سيدى؟ ليحاول أن يجد شيئًا من ممتلكات المؤسسين الأربعة؟».

قال (دمبلدور): «هذا ما فكرت فيه تمامًا، ولكن هذا للأسف لا يأخذنا خطوة للأمام؛ لأن طلبه قد رُفض دون أن تسنح له الفرصة للبحث فى المدرسة. لذا فأنا مضطر لاستنتاج أنه لم يحقق أمله فى جمع أربعة أشياء من ممتلكات المؤسسين الأربعة، المؤكد أنه حصل على شيئين ـ ربما عثر على ثلاثة أشياء ـ وهذا أفضل ما بوسعنا التوصل إليه الآن».

قال (هارى) وهو يعدّ على أصابعه: «حتى لو حصل على شىء يخص (رافينكلو) أو (جريفندور)، فيبقى هناك (هوركروكس) سادس، ما لم يكن اثنان منها معه؟».

قال (دمبلدور): «لا أعتقد ذلك، أظننى أعرف ما هو الـ(هوركروكس) السادس، وإننى لأتساءل عما ستقول حين أعترف بأننى كنتُ مهتمًا لبعض الوقت بسلوك الأفعى (نايجينى)؟».

قال (هارى) مذهولاً: «الأفعى؟! هل يمكن الاستعانة بحيوانات لتكون (هوركروكس)؟»

قال (دمبلدور): «حسنًا، لا يُنصح بذلك؛ لأن إيداعك جزءًا من روحك فى شىء يفكر ويتحرك بذاته هو أمر يعد من قبيل المجازفة.. ولكن لو صحت حساباتى، فإن (فولدمورت) كان ينقصه (هوركروكس) واحد ليصل إلى هدفه بإيجاد ستة منها حين دخل بيت والديْك بنِية قتلك.

«ويبدو أنه احتفظ بعملية صنع قطع الـ(هوركروكس) لميتات ذات أهمية خاصة، وكنتَ أنت إحداها بكل تأكيد؛ إذ كان يؤمن بأنه بقتلك يقضى على الخطر الذى أنذرته به النبوءة؛ كان يعتقد أنه سيجعل من نفسه ساحرا لا يُقهر، وأنا على يقين من أنه كان يعتزم أن يصنع قطعة الـ(هوركروكس) الأخِيرة بموتك».

«وقد أخفق كما نعلم.. لكنه بعد مرور عدة سنوات، استعان بـ(نايجينى) لقتل رجل مسن من العامَّة، وربما عنَّ له أن يحولها إلى آخر قطع الـ(هوركروكس)؛ فهى تؤكد مسألة علاقته بـ(سليذرين) ويزيد الإحساس بالهيبة نحو لورد (فولدمورت)، وأظن أنه مغرم بهذه الأفعى لأقصى حد، ويفضل بالتأكيد أن يبقيها قريبةً منه، ويبدو أنه له سيطرة كبيرة عليها تفوق السيطرة المعتادة للسحرة المتكلمين بـ(لغة الثعابين)».

قال (هارى): «إذن فقد انتهى أمر المفكرة وكذلك الخاتم. ولاتزال الكأس والمدلاة والأفعى سليمة، وأنت تعتقد أنه قد تكون هناك قطعة (هوركروكس) ممثلة فى شىء يخص (رافينكلو) أو(جريفندور)؟!».

قال (دمبلدور) وهو يحنى رأسه: «إيجاز بارع ودقيق جدير بالإعجاب، نعم».

«إذن فأنت مازلتَ تبحث عنها يا سيدى؟ ألهذا السبب كنتَ تغيب عن المدرسة؟».

قال (دمبلدور): «هذا صحيح، فأنا أبحث منذ مدة طويلة، وأعتقد أننى... ربما أكون على وشك العثور على قطعة أخرى، فهناك أمارات تبشر بالأمل».

قال (هارى) بسرعة: «وإذا وجدتها، فهل هل يمكننى أن آتى معك لأساعدك فى التخلص منها؟».

نظر (دمبلدور) إلى (هارى) بتركيز شديد قبل أن يجيب قائلاً: «نعم، أعتقد ذلك».

قال (هارى) وقد تفاجأ تمامًا: «أحقًا يمكننى ذلك؟».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم قليلاً: «أجل، فأنا أظن أنك استحققت ذلك».

أحس (هارى) بقلبه يطير فرحًا؛ طاب له ألا يسمع كلمات تحذير وحماية ولو لمرة واحدة، بدت صور النُّظَّار والناظرات المعلَّقة على الجدران أقل انبهارًا بقرار (دمبلدور)؛ رأى (هارى) ثلة منهم يهزون رءوسهم، بل إن (فينياس نيجيلاس) أصدر صوتًا يعبر عن سخطه.

سأل (هارى) متجاهلاً الصور: «هل يعلم (فولدمورت) حين يتم القضاء على إحدى قطع الـ(هوركروكس) يا سيدى؟ هل يشعر بتحطمها؟».

«هذا سؤال فى غاية الأهمية يا (هارى)، لا أعتقد ذلك، أظن أن (فولدمورت) أصبح الآن منغمسًا فى الشر لدرجة كبيرة، وقد انفصلت عنه هذه الأجزاء الحيوية من نفسه منذ أمد بعيد؛ لدرجة أنه لا يحس حين نحطمها، ربما يدرك خسارته عند لحظة الموت.. ولكنه لم يدرك مثلاً أن المفكرة تم تدميرها إلا حين انتزع الحقيقة من (لوكيوس مالفوى). وعندما اكتشف (فولدمورت) أن المفكرة قد دمرت وجُردت من جميع قواها، بلغنى أن غضبه كان مخيفًا ورهيبًا جدًّا».

«ولكننى ظننتُ أنه قصد أن يقوم (لوكيوس مالفوى) بتهريبها إلى داخل (هوجوورتس)؟».

«نعم، كان هذا قصده قبل سنين حين أيقن أنه سيتمكن من خلق المزيد من الـ(هوركروكس)، ولكن مع ذلك كان يفترض من (لوكيوس) أن ينتظر أمرًا مباشرًا من (فولدمورت)، ولكن هذا الأمر لم يصله قط؛ إذ سرعان ما اختفى (فولدمورت) بعد إعطائه المفكرة. لا شك أنه ظن أن

(لوكيوس) لن يجرؤ على الإقدام على عمل شيء بالـ(هوركروكس) سوى حراستها بكل عناية، ولكنه كان يعتمد أكثر من اللازم على خوف (لوكيوس) من سيد اختفى لمدة سنين، وظن (لوكيوس) أنه مات. ولم يكن (لوكيوس) يعرف كنه المفكرة وحقيقتها بالطبع، وقد فهمت أن (فولدمورت) أبلغه أن المفكرة ستؤدى إلى إعادة فتح حجرة الأسرار؛ لبراعة السحر الموجود بها. ولو علم (لوكيوس) أنه يمتلك بين يديه جزءًا من روح سيده فلا شك أنه كان سيعاملها بجلال أكبر، ولكنه بدلاً من ذلك أكمل تنفيذ الخطة القديمة بطريقته؛ سعيًا لمصلحته الخاصة؛ فقام بوضع المفكرة بين أمتعة ابنة (آرثر ويسلى)؛ بهدف تشويه سمعة (آرثر)، والتسبب فى طردى من (هوجوورتس)، والتخلص من شيء إجرامى للغاية بضربة واحدة. آه يا (لوكيوس) المسكين! لقد أغضب إهداره لـ(هوركروكس) من أجل مصلحته الخاصة (فولدمورت) بشدة، بالإضافة إلى فشله فى الوزارة السنة الماضية، لن أندهش إن كان سعيدًا بوجوده فى أمان بـ(أزكابان) فى هذه اللحظة».

ظل (هارى) يفكر لبرهة، ثم سأل قائلاً: «إذا تم القضاء على جميع الـ(هوركروكسات) الخاصة بـ(فولدمورت) فهل يمكن قتله؟».

قال (دمبلدور): «نعم، أظن ذلك. فبدون قطع الـ(هوركروكس) يصبح (فولدمورت) بشرًا فانيًا بروح مشوهة ناقصة، ولكن لا تنسَ أن روحه قد تكون أصيبت بأذى يستحيل إصلاحه، لكن عقله وقوته السحرية يظلان سليميْن. والأمر يحتاج إلى براعة وقوة فائقتين لقتل ساحر مثل (فولدمورت)، حتى بدون قطع الـ(هوركروكس)».

قال (هارى) قبل أن يتمكن من منع نفسه: «ولكننى ليس لدىَّ براعة وقوة فائقتان».

قال (دمبلدور) بحزم: «نعم لديك، لديك قوة لم يحظَ بها (فولدمورت) فى حياته، يمكنك...».

قال (هارى) متبرمًا: «أعرف، يمكننى أن أحب!» ومنع نفسه بصعوبة من أن يضيف قائلاً: «وما الفائدة؟».

بدا (دمبلدور) كأنه يعلم تمام العلم ما أحجم (هارى) عن قوله، فقال: «نعم يا (هارى)، يمكنك أن تحب، وهذا شىء عظيم ومتميز لو أخذنا كل ما حدث لك فى الحسبان، إنك لاتزال أصغر من أن تدرك مدى تميزك يا (هارى)».

سأله (هارى) وقد يشعر ببعض خيبة الأمل: «إذن، فحين تقول النبوءة إننى سأحظى «بقوة لا يعرفها سيد الظلام» فإنها تعنى.. الحب؟».

قال (دمبلدور): «نعم.. مجرد الحب. ولكن لا تنس يا (هارى) أن ما تقوله النبوءة لا أهمية له إلا لأن (فولدمورت) شاء ذلك. لقد أخبرتك بهذا فى أواخر السنة الماضية، لقد ميزك (فولدمورت) من بين جميع السحرة على أنك أخطر شخص عليه؛ وبذلك جعلك دون غيرك أخطر شخص عليه!».

«لكن المحصلة واحدة».

قال (دمبلدور) الذى بدا عليه نفاد الصبر الآن: «لا، ليست واحدة!»، ثم أشار إلى (هارى) بيده الداكنة المشلولة وقال: «أنت تولى النبوءة أهمية أكبر من اللازم!».

فغمغم (هارى) قائلاً: «ولكن... ولكنك قلتَ إن النبوءة تعنى...».

«لو لم يسمع (فولدمورت) بأمر هذه النبوءة قط، فهل كانت ستتحقق؟ هل كانت ستعنى أى شىء؟ بالطبع لا! هل تعتقد أن كل نبوءة فى (قاعة النبوءات) تتحقق؟».

قال (هارى) بحيرة: «ولكن... ولكنك قلتَ فى العام الماضى إنه سيكون على أحدنا قتل الآخر». «(هارى)، (هارى)، هذا لمجرد أن (فولدمورت) وقع فى خطأ جسيم، وتصرف بناءً على كلمات الأستاذة (تريلاونى)! لو لم يكن (فولدمورت) قد قتل أباك؛ فهل كان سيضرم

فيك رغبة عارمة فى الثأر؟ بالطبع لا! لو لم يكن قد أرغم أمك على الموت من أجلك؛ فهل كان سيضفى عليك حماية سحرية يعجز عن اختراقها؟ بالطبع لا يا (هارى)! ألا تدرك؟ أوجد (فولدمورت) ألد أعدائه بنفسه كما يفعل الطغاة فى كل مكان! هل تعلم مدى خوف الطغاة من الناس الذين يقهرونهم؟ كلهم يدركون أن اليوم سيأتى ليظهر شخص من بين ضحاياهم الكثيرين ليثور ويثأر! و(فولدمورت) لا يختلف عنهم؛ فقد كان دائمًا يبحث عمن سيتحداه، وحين سمع النبوءة أسرع للعمل، والنتيجة أنه انتقى أرجح من سيقضى عليه وأعطاه أسلحة فتاكة فريدة من نوعها!».

«ولكن...».

قال (دمبلدور): «من الضرورى أن تدرك ذلك!»، ثم نهض وأخذ يذرع الغرفة جيئةً وذهابًا وثوبه اللامع يزحف فى أثره. ولم يسبق لـ(هارى) أن رآه بهذا التوتر، وأضاف: « حين حاول (فولدمورت) قتلك، قام بنفسه باختيار الشخص المتميز الذى يجلس هنا أمامى وأعطاه الأدوات اللازمة لإنهاء مهمته! الذنب ذنب (فولدمورت) فى أنك صرتَ قادرًا على اختراق أفكاره وطموحه، بل وفهْمك للغة الأفاعى التى يصدر بها أوامره، ومع ذلك يا (هارى) وعلى الرغم من بصيرتك الفذة داخل عالم (فولدمورت) (وهى هبة يُقدِم أى ساحر من (آكلى الموت) على القتل حتى يحظى بها) فإنك لم تخضع قطُّ لإغراءات السحر الأسود ولم تساورك - ولو للحظة - أدنى رغبة فى أن تصبح من أتباع (فولدمورت)!».

قال (هارى) بسخط: «بالطبع لا! فهو قاتل أمى وأبى!».

قال (دمبلدور) بصوت مسموع: «أنت بإيجاز محمىٌّ بقدرتك على الحب؛ وهى الحماية الوحيدة التى يمكن أن تصد إغراء قوة كقوة (فولدمورت)! فعلى الرغم من الإغراءات التى تعرضتَ لها وكل

المعاناة التى تحملتَها، ظلَّ قلبك على صفائه؛ نفس الصفاء الذى كنتَ عليه فى الحادية عشرة من عمرك وحدقتَ إلى مرآة عكست رغبة قلبك ولم تر فيها إلا الطريقة الوحيدة لهزيمة (فولدمورت) وليس الخلود أو الثراء. (هارى)، هل تعلم قلة عدد السحرة الذين بإمكانهم رؤية ما رأيتَ فى تلك المرآة؟ كان على (فولدمورت) أن يعرف قوة عدوه وقتها، لكنه لم يفعل!

«ولكنه يعرف الآن. أنت حلقتَ فى عقل اللورد (فولدمورت) دون أن تلحق بنفسك أذًى، ولكنه لا يستطيع أن يستحوذ عليك دون التعرض لمحنة الفناء كما اكتشف بالوزارة. أنا لا أعتقد أنه فهم السبب يا (هارى)، ولكنه تعجَّل كثيرًا فى تمزيق روحه، فلم يتوقف ليدرك القوة التى لا تقارن للروح حين تكون نقية مكتملة».

قال (هارى) وهو يبذل جهودًا مضنية لكيلا يبدو مولعًا بالجدل: «ولكن يا سيدى، النتيجة واحدة، أليس كذلك؟ ينبغى لى أن أحاول وأقتله، وإلا...».

قال (دمبلدور): «ينبغى لك! بالطبع ينبغى لك! ولكن ليس بسبب النبوءة؛ بل لأنك ـ أنت نفسك ـ لن تستريح إلا بعد أن تحاول! كلانا يعلم هذا! تصور من فضلك للحظة واحدة أنك لم تسمع بتلك النبوءة قط! ما شعورك تجاه (فولدمورت) الآن؟ فكر!».

أخذ (هارى) ينظر إلى (دمبلدور) وهو يذرع المكان جيئةً وذهابًا أمامه وراح يفكر، فكر فى أمه وفى أبيه وفى (سيريوس)، فكر فى (سيدريك ديجورى)، فكر فى كل الأفعال الرهيبة التى يعرف أن اللورد (فولدمورت) اقترفها، وشعر كأن لهيبًا اتَّقد فى صدره ولفح حلقه.

قال (هارى) بهدوء: «أريد القضاء عليه، وأود أن أكون أنا من يقوم بذلك».

صاح (دمبلدور): «بالطبع سيكون أنت! أرأيتَ؟ النبوءة لا تعنى أن عليك أن تفعل أى شيء! لكن النبوءة جعلت اللورد (فولدمورت) يتخذك ندًّا له؛ بعبارة أخرى أنت حر فى اختيار طريقك، حر تمامًا فى أن تدير ظهرك للنبوءة! لكن (فولدمورت) سيواصل الالتزام بالنبوءة، سيواصل مطاردتك.. وهو ما يجعل من المؤكد فعلاً أن...».

قال (هارى): «إن أحدنا سينتهى به الحال بقتل الآخر».

ولكنه فهم أخيرًا ما كان (دمبلدور) يحاول قوله، وفكر فى مدى الفارق بين أن يُدفع به دون اختيار إلى الساحة ليواجه معركة حتى الموت وبين أن ينزل إلى الساحة برغبته ورأسه مرفوع.. قد يقول البعض: إن الفارق بين الأمرين ضئيل، إلا أن (دمبلدور) يعلم ـ وفكر (هارى) بفخر شديد: وأنا أيضا أعلم، وكذلك والداى ـ أن الفارق كبير جدًّا بين الأمرين.

■ ■ ■

٢٤ سيكتومسيمبرا

كان (هارى) مرهقًا ولكنه سعيد بما قام به ليلاً، وأخبر (رون) و(هرميون) بما جرى أثناء حصة التعاويذ فى صباح اليوم التالى (بعد أن ألقى أولاً تعويذة *(موفلياتو)* على أقرب من كانوا حولهم). فانبهرا تمامًا بالأسلوب الذى حصل به على الذاكرة من (سلجهورن) وروعا حين أخبرهما بقطع لـ(هوركروكس) الخاصة بـ(فولدمورت) ووعد (دمبلدور) باصطحاب (هارى) معه لو عثر على قطعة أخرى منها.

وعندما انتهى (هارى) من إطلاعهما على كل شىء، قال (رون) بينما كان يلوح بعصاه السحرية بصورة غامضة تمامًا فى اتجاه السقف دون أن ينتبه لما يفعل: «ياه! ستذهب فعلاً مع (دمبلدور).. وتحاول وتدمر.. رائع!».

قالت (هرميون) بصبر وهى تجذب معصمه وتوجه عصاه بعيدًا عن السقف الذى بدأت تنهمر منه رقائق بيضاء كبيرة: «(رون)، أنت تجعل الثلج ينزل». كانت (لافيندر براون) كما لاحظ (هارى) تحملق فى (هرميون) من مائدة مجاورة بعينين حمراوين فتركت (هرميون) ذراع (رون) على الفور.

قال (رون) وهو ينظر إلى كتفيه بدهشة: «آه، نعم، آسف.. كأننا جميعًا نعانى قشرة الشعر الرهيبة الآن...».

وأزال بعضًا من الثلج الزائف من فوق كتف (هرميون)، فانخرطت (لافيندر) فى البكاء، فبدا على (رون) الشعور الشديد بالذنب، ثم أدار ظهره لها.

وقال لـ(هارى) بطرف فمه: «انفصلنا ليلة أمس؛ عندما رأتنى خارجًا من المهجع بصحبة (هرميون)، بالطبع لم تستطع رؤيتك، فظنت أننا كنا وحدنا».

قال (هارى): «آه، حسنًا، ولكنك لا تبالى بانتهاء المسألة، أليس كذلك؟».

أقر (رون) قائلاً: «كان الأمر فى غاية السوء حين كانت تصرخ، ولكن على الأقل لم أكن أنا الذى أنهيتها».

قالت (هرميون): «جبان». ولو أنها بدت مستمتعة وأضافت: «حسنًا، لم تكن ليلة طيبة للعواطف بالنسبة للكل؛ (جينى) و(دين) انفصلا أيضًا».

لمح (هارى) فى عينيها نظرة تشى بعلمها وهى تخبره بذلك، ولكن كيف لها أن تعلم أنه أحس أن قلبه فجأة أخذ يرقص رقصة (الكونغا)، فسألها وهو يحاول أن يظل وجهه جامدًا وصوته غير مبالٍ قدر الإمكان قائلاً: «لمَ؟».

«شىء تافه فعلاً.. قالت إنه كان دائمًا يحاول مساعدتها وهى تجتاز ثقب اللوحة كأنها عاجزة عن اجتيازه دون عون منه.. ولكن علاقتهما كانت متوترة منذ أمد بعيد».

ألقى (هارى) نظرة خاطفة على (دين) فى الجانب الآخر من الفصل؛ كان يبدو تعيسًا دون شك.

قالت (هرميون): «وهذا بالطبع يضعك فى مشكلة نوعًا ما، أليس كذلك؟».

قال (هارى) بسرعة: «ماذا تقصدين؟».

قالت (هرميون): «فريق الـ(كويدتش)» إذا كان (جينى) و(دين) لا يتكلمان معًا...».

قال (هارى): «آه ـ آه، نعم».

قال (رون) بنبرة تحذيرية: «(فليتويك)». كان أستاذ التعاويذ السحرية بحجمه الضئيل آتيًا يتمايل ناحيتهم، وكانت (هرميون) الوحيدة التى نجحت فى تحويل الخل إلى نبيذ، كان دورقها الزجاجى مليئًا بسائل قرمزى داكن بينما كان محتوى دورقَى (هارى) و(رون) لايزال بنيًّا قاتمًا.

قال الأستاذ (فليتويك) معنِّفًا بصوت كالصرير: «والآن، الآن يا أولاد، كلام أقل وفعل أكثر.. دعانى أراكما تحاولان...» رفعا عصويْهما السحريتين معًا مركزيْن كل قوتهما، وأشارا إلى دورقيْهما؛ فتحول خل (هارى) إلى ثلج بينما انفجر دورق (رون).

قال الأستاذ (فليتويك) وقد عاود الظهور من تحت المنضدة وهو يلملم قطع الزجاج من فوق قبعته: «نعم... الواجب... تمرنا».

سنحت لهما واحدة من فترات الراحة المشتركة النادرة بعد حصة التعاويذ فسارا عائديْن إلى الغرفة العامة معًا. كان (رون) يبدو فرحًا؛ لانتهاء علاقته بـ(لافيندر)، وكانت (هرميون) تبدو مبتهجة أيضًا، مع أنها حين سُئلت عن سبب ابتسامتها قالت ببساطة: «إنه يوم لطيف». لم يبدُ على أيهما أنه لاحظ أن المعركة الشرسة كانت مستعرة داخل عقل (هارى):

إنها شقيقة (رون)،

لكنها انفصلت عن (دين)!

مازالت شقيقة (رون)،

وأنا أقرب رفاقه إليه!

هذا سيزيد الأمر سوءًا.

ماذا لو تكلمت معه أولاً.

سيضربك.

وماذا لو لم أهتم؟

إنه أقرب رفاقك إليك!

بالكاد لاحظ (هارى) أنهما كانوا يجتازون ثقب اللوحة داخلين إلى الغرفة العامة المشمسة، ولاحظ بشكل مبهم مجموعة صغيرة من طلاب السنة السابعة وهم متجمعون معًا هناك، إلى أن صاحت (هرميون): «(كاتى)، لقد عدتِ؟ هل أنتِ بخير؟».

حدَّق (هارى): كانت فعلاً (كاتى بيل) وهى تبدو بصحة تامة ويحيط بها الأصدقاء مبتهجين.

قالت بسعادة «أنا بخير فعلاً. سمحوا لى بالخروج من (سان مونجو) يوم الإثنين، فقضيتُ يومين مع أمى وأبى، ثم عدت صباح اليوم. كانت (ليان) تخبرنى لتوِّها عن (ماكلاجين) والمباراة الأخيرة يا (هارى)...».

قال (هارى): «نعم، حسنًا، ولكن الآن بعد أن عدتِ وأصبح (رون) مستعدًّا، ستتاح لنا فرصة طيبة لهزيمة (رافينكلو)؛ وهو ما يعنى أننا يمكن أن نظل نتسابق على الكأس. اسمعى يا (كاتى)...».

كان عليه أن يطرح السؤال عليها فورًا؛ حتى أن فضوله أبعد (جينى) عن ذهنه مؤقتًا. فخفض صوته، إذ بدأ رفاق (كاتى) يجمعون أشياءهم؛ كان من الواضح أنهم تأخروا على حصة مادة التحويل».

«... هذا العقد... هل تتذكرين الآن من أعطاه لكِ؟».

قالت (كاتى) وهى تهز رأسها بحزن: «لا، الكل يسألنى، ولكن ليست لدىّ فكرة، آخر ما أتذكره هو دخول حمام السيدات فى حانة المكانس الثلاث».

قالت (هرميون) «إذن فقد دخلتِ الحمام فعلاً؟».

قالت (كاتى): «حسنًا، ما أعرفه هو أننى فتحتُ الباب، وبالتالى أظن أن من رمى تعويذة التحكم علىَّ - أيًا كان - كان واقفًا وراءه، بعد ذلك ظلت ذاكرتى بيضاء حتى أسبوعين مضيَا تقريبًا فى (سان مونجو).

اسمع، يستحسن أن أذهب، لا أستبعد أن تعاقبنى (ماكجونجال) على التأخير حتى وإن كان هذا أول يوم أعود فيه...».

والتقطت حقيبتها وكُتبها وأسرعت فى أثر رفاقها تاركةً (هارى) و(رون) و(هرميون) الذين جلسوا على مائدة بجانب النافذة وأخذوا يفكرون فيما قالت لهم.

قالت (هرميون): «إذن فلابد أن من أعطت (كاتى) العقد فتاة أو امرأة بما أنها كانت فى حمام السيدات».

قال (هارى): «أو شخص كان يتخذ مظهر فتاة أو امرأة. لا تنسى أنه كان هناك ملء مرجل من وصفة التخفى فى (هوجوورتس). ونحن نعلم أن بعضًا منه سُرق...».

وشاهد بعين خياله موكبًا من نسخ من (كراب) و(جويل) يتبخترون أمامه وقد بدلوا مظهرهم متخذين شكل فتيات.

قال (هارى): «أظننى سأتناول جرعة أخرى من الـ(فليكس) وأقوم بزيارة غرفة الاحتياجات مرة أخرى».

قالت (هرميون) وهى تضع نسخة من كتاب *(أبجدية سبيلمان المقطعية)* كانت قد أخرجتها لتوِّها من حقيبتها: «سيكون هذا تبديدًا تامًّا للوصفة. لن يذهب بك الحظ إلى أبعد من ذلك يا (هارى). الوضع مع (سلجهورن) كان مختلفًا؛ كانت لديك دائمًا القدرة على إقناعه، ولم تكن تحتاج إلا لدفع الظروف قليلاً. لكن الحظ لا يكفى لكى تفلت من سحر قوى. فلا تذهب وتهدر ما تبقَّى من تلك الوصفة!»، وأضافت بصوت هامس: «كما أنك ستحتاج إلى كل الحظ الذى يمكنك الحصول عليه لو اصطحبك (دمبلدور) معه...».

سأل (رون) (هارى) متجاهلاً (هرميون): «ألا يمكننا أن نصنع المزيد منها؟ سيكون رائعًا أن يكون لدينا مخزون منها.. ألقِ نظرة فى الكتاب...».

أخـرج (هـارى) نسـخـتـه مـن كـتـاب (*تـحـضـير الـوصـفـات: الـمستوى المتقدم*) من حقيبته وبدأ يبحث عن وصفة الـ(فليكس فلسيس)».

قال وهو يمر بعينيه على قائمة المكونات: «يا إلهى! أنها معقدة جدًّا! ويستغرق صنعها ستة أشهر.. لابد من تركها تُطهَى بالغلى البطىء...».

قال (رون): «رائع!».

كان (هارى) على وشك أن يعيد كتابه إلى حقيبته، لكنه لاحظ ركن صفحة مطويًا؛ فتحها فوجد تعويذة (سيكتومسيمبرا) وعليها تعليق نصه: «للأعداء» كان قد ثنى ركن الصفحة منذ عدة أسابيع ومازال لم يكتشف ما تفعله؛ لأنه لم يُرِد أن يجربها فى وجود (هرميون)، لكنه كان يفكر فى تجربتها على (ماكلاجين) فى المرة القادمة التى يفاجئه فيها من وراء ظهره.

كان الشخص الوحيد الذى لم تسعده عودة (كاتى بيل) إلى المدرسة هو (دين توماس)؛ لأنه لن يُطلب منه بعد ذلك أن يحل محلها كمطارِد، وقد تلقى الصدمة برزانة تامة حين أخبره (هارى)، فلم يكن منه إلا أن أخذ ينخر ويهز كتفيه استخفافًا، إلا أن (هارى) ساوره شعور غريزى وهو يبتعد بأن (دين) و(سيموس) أخذا يتذمران تبرمًا من وراء ظهره.

شهد الأسبوعان التاليان أفضل تمارين لعبة الـ(كويدتش) التى عرفها (هارى) كقائد للفريق. كان فريقه فرحًا بالخلاص من (ماكلاجين) وبعودة (كاتى) أخيرًا حتى إنهم كانوا يحلقون بصورة رائعة للغاية.

لم يبد على (جينى) أى قلق بسبب انفصالها عن (دين)؛ بل على العكس، كانت حياة الفريق وروحه، وكانت محاكاتها لـ(رون) وهو يقفز لأعلى وأسفل أمام قوائم المرمى ـ كلما أسرعت الكوافل نحوه ولـ(هارى) وهو يصرخ فى (ماكلاجين) بالأوامر قبل أن يضربه ويفقد وعيه ـ تسعد الفريق إلى حد كبير. وكان (هارى) يضحك سعيدًا مع الآخرين بأن يكون لديه سبب برىء لينظر إلى (جينى)، وكان قد تلقى

عدة إصابات بالبلادجر فى أثناء التمرين؛ لأنه لم يكن يُبقى عينيه على الكرة الذهبية(السنيتش).

كانت المعركة لاتزال مشتعلة داخل رأسه؛ (جينى) أم (رون)؟ كان أحيانًا يظن أن (رون) بعد (لافيندر) لم يكن ليهتم كثيرًا لو دعا (جينى) للخروج معه، ولكنه كان يتذكر بعدها تعبيرات وجه (رون) حين رآها تقبِّل (دين)، وكان متأكدًا من أن (رون) سيعتبر مجرد إمساك (هارى) ليدها خيانة كبرى..

مع ذلك، لم يستطِع (هارى) أن يمنع نفسه من الحديث إلى (جينى) والضحك معها والسير معها فى طريق العودة من التمرين؛ ومهما أنَّبه ضميره فقد كان يجد نفسه يتساءل عن الطريقة التى تجعله يلتقى بها وحدها؛ سيكون الأمر رائعًا لو أقام (سلجهورن) واحدة من حفلاته الصغيرة؛ لأن (رون) لا يحضرها ـ ولكن لسوء الحظ، يبدو أن (سلجهورن) توقف عن إقامتها. فكر (هارى) مرة أو مرتين فى طلب مساعدة (هرميون)، لكنه لم يعتقد أنه يستطيع أن يقف ويرى نظرة الاغتباط بالنفس على وجهها؛ وفكر فى أنه كان يلمحها أحيانًا حين تضبطه (هرميون) وهو يحدق إلى (جينى) أو يضحك لنكاتها. ومما زاد الأمور تعقيدًا القلق المزعج الذى ساوره من أنه لو لم يُقدِم على دعوة (جينى) للخروج لأقدمَ غيره على ذلك قريبًا بالتأكيد؛ فكان هو و(رون) يتفقان على الأقل على أن شعبيتها الكبيرة ليست فى صالحها.

وهكذا كان إغراء تناول جرعة أخرى من الـ(فليكس فلسيس) يزداد قوة كل يوم؛ فقد كانت هذه حالة من الحالات التى تحتاج إلى «دفع للظروف» ـ كما تقول (هرميون). ومرت أيام مايو بجوها المعتدل بهدوء، وبدا كأن (رون) كان يذهب دائمًا وراء (هارى) فى كل مرة يرى فيها (جينى). فوجد (هارى) نفسه فى شوق لضربة حظ تجعل (رون) يدرك بشكل ما أن لا شىء سيسعده أكثر من علاقة حب تجمع بين أقرب

أصدقائه وأخته وتركهما معًا لمدة أطول من بضع ثوان. وبدا أن لا فرصة لأى من الأمرين مع اقتراب مباراة الموسم لـ(الكويدتش)؛ وكان (رون) يريد التحدث مع (هارى) عن التكتيكات طوال الوقت، ولم يكن يفكر فى أى شيء آخر.

لم يكن (رون) فريدًا فى ذلك؛ فالاهتمام بمباراة (جريفندور) ضد (رافينكلو) كان يتزايد بشدة فى أرجاء المدرسة؛ لأن المباراة ستحدد نتيجة البطولة، التى لاتزال مفتوحة لكل الاحتمالات. فإذا تمكن (جريفندور) من هزيمة (رافينكلو) بهامش ثلاثمائة نقطة - (وهو أمر مستبعد رغم أن (هارى) لم ير فريقه يطير بشكل أفضل من هذا من قبل - فإنه سيفوز بالبطولة، وإذا فاز بأقل من ثلاثمائة نقطة فإنه يصبح الثانى فى الترتيب بعد (رافينكلو)، وإذا خسر بمائة نقطة فإنه يأتى الثالث بعد (هافلباف)، وإذا خسر بأكثر من مائة يصبح الرابع، وفكر (هارى) أنه لو حدث ذلك فإنه لا أحد سيسمح له بأن ينسى أنه هو الذى قاد فريق (جريفندور) إلى أول هزيمة ساحقة له منذ قرنين.

كان الاستعداد للمباراة الحاسمة يتسم بجميع السمات المعتادة؛ أعضاء المنازل المتنافسة يحاولون ترهيب الفرق الأخرى فى الدهاليز: أغان متهكمة عن اللاعبين يتم التدريب عليها بصوت مسموع وهم يمرون؛ وأعضاء الفريق أنفسهم إما يختالون بأنهم يحظون بكل الاهتمام أو يهرعون إلى الحمامات بين الحصص ليتقيأوا. فارتبطت المباراة فى ذهن (هارى) - بصورة ما - بالنجاح أو الفشل فى خططه بالنسبة لـ(جينى). فلم يتمكن من منع نفسه من الشعور بأنهم إذا فازوا بأكثر من ثلاثمائة نقطة فإن مشاهد الفرح وإقامة حفل صاخب لطيف بعد المباراة قد لا يقل تأثيرها عن جرعة كبيرة من الـ(فليكس فلسيس).

ولم ينس (هارى) وسط كل مشاغله طموحه الآخر لاكتشاف ما يدبره (مالفوى) فى غرفة الاحتياجات؛ كان لايزال ينظر فى خارطة (مارودر)،

وكثيرًا ما لم يكن يتمكن من تحديد مكان (مالفوى) فيها؛ لذا فقد استنتج أن (مالفوى) كان لايزال يقضى وقتًا طويلاً داخل الغرفة، ومع أن (هارى) بدأ يفقد الأمل فى النجاح فى دخول الغرفة فقد ظل يحاول كلما كان بالقرب منها، ولكن الجدار ظل بلا باب مهمًا كان يعيد صياغة كلمات الطلب.

وقبل بضعة أيام من المباراة ضد (رافينكلو)، وجد (هارى) نفسه ينزل لتناول العشاء وحده من الغرفة العامة، حيث أسرع (رون) بدخول حمام قريبٍ ليتقيأ مرة أخرى، وانطلقت (هرميون) لمقابلة الأستاذ (فيكتور) بشأن غلطة ظنت أنها وقعت فيها فى مقالها الأخير لمادة الرياضيات السحرية. وجريًا على العادة أكثر من أى شىء آخر، انعطف (هارى) كالمعتاد حول دهليز الطابق السابع وهو يتفقد خارطة (مارودر) وهو سائر. ولم يتمكن للحظة من العثور على (مالفوى) فى أى مكان، وافترض أنه داخل غرفة الاحتياجات مرة أخرى، ولكن بعدها رأى نقطة (مالفوى) الصغيرة المميزة فى أحد حمامات الأولاد بالطابق الذى تحته ولم يكن برفقته (كراب) و(جويل)، بل (ميرتل) الباكية.

توقف (هارى) عن التحديق إلى هذا الثنائى المستبعد بعد أن اصطدم ببزة مدرعة؛ فأخرجه صوت الارتطام المدوى من استغراقه فى التفكير، وأسرع بالابتعاد عن المكان؛ خشية ظهور (فيلتش) فجأة، واندفع يهبط الدرج الرخامى واجتاز الممر أسفله، ووضع أذنه على باب الحمام من الخارج فلم يتمكن من سماع شىء، فدفع الباب بهدوء شديد ففتحه.

كان (دراكو مالفوى) واقفًا وظهره للباب ويداه ممسكتان بجانبى الحوض ورأسه الأشقر محنىٌّ.

ترنَّم صوت (ميرتل) الباكية من إحدى كبائن الحمام قائلاً: «لا.. لا تفعل.. قل لى ماذا حدث؟ فبوسعى أن أساعدك...».

قال (مالفوى): «ليس بوسع أحد أن يساعدنى». كان جسمه كله يرتعش «لا أستطيع أن أفعل ذلك.. لا أستطيع.. لا فائدة.. وإن لم أفعل ذلك سريعًا.. يقول إنه سيقتلنى...».

وأدرك (هارى) بصدمة بلغت حد أن تسَمَّرَ فى مكانه - أن (مالفوى) كان يبكى - يبكى فعلاً - والدموع تنساب من وجهه الشاحب وتنزل فى الحوض القذر. وتنشج (مالفوى) وبلع ريقه، ثم رفع رأسه برعدة كبيرة ونظر فى المرآة المشروخة فرأى (هارى) يحملق فيه من فوق كتفه.

استدار (مالفوى) وسحب عصاه السحرية، فأسرع (هارى) بإخراج عصاه بصورة غريزية. أخطأت تعويذة (مالفوى) (هارى) ببضع بوصات فحطمت المصباح المعلق على الحائط بجانبه، وألقى (هارى) بنفسه على الجنب وفكر فى *(ليفيكوربس)*! فنقر بإصبعه على عصاه السحرية، إلا أن (مالفوى) صد التعويذة، ورفع عصاه السحرية؛ ليلقى تعويذة أخرى.

أطلقت (ميرتل) الباكية صرخة مدوية تردد صداها مدويًا فى أرجاء الغرفة المكسوة بالبلاط وقالت: «لا.. لا.. توقفا! توقفا! توقفا!».

وقعت ضربة مدوية وانفجر الصندوق وراء (هارى)، وحاول (هارى) أن يرميه بلعنة تثبيت الأرجل فأصابت الحائط وراء أذن (مالفوى) وهشمت صهريج الماء تحت (ميرتل) الباكية؛ فأخذت تطلق صرخات مدوية، وانساب الماء فى كل مكان، فانزلق (هارى) بينما التوت قسمات وجه (مالفوى) من الألم وصاح قائلاً: «كروسيـــو».

وصاح (هارى) وهو على الأرض قائلاً وهو يصوب عصاه السحرية بشراسة: «سيكتومسيمبرا!».

تدفق الدم من وجه (مالفوى) وصدره كأنه تلقى طعنة من سيف خفى وترنح إلى الوراء، ثم سقط على الأرض التى غطاها الماء فأحدث تناثرًا كبيرًا للمياه وسقطت عصاه السحرية من يده اليمنى المرتخية.

وقال (هارى) وهو يلهث: «لا ...».

ونهض (هارى) على قدميه وهو ينزلق ويجأر بصوته واندفع صوب (مالفوى) الذى كان وجهه قد تحول إلى اللون القرمزى الفاتح ويداه البيضاوان تخربشان على صدره المشبع بالدم.

«لا ... أنا لم...».

لم يعرف (هارى) ما كان يقوله؛ فجثا على ركبتيه بجانب (مالفوى) الذى أخذ يرتعش بصورة لا إرادية وسط بركة من دمه، وأطلقت (ميرتل) الباكية صرخة تصم الآذان:

«قتيل! جريمة قتل فى الحمام! قتيل!»

انفتح الباب بصوت مدوٍّ من وراء (هارى) فرفع رأسه ينظر بهلع، اندفع (سناب) إلى الغرفة بوجه شاحب، ودفع (هارى) جانبًا بخشونة وجثا فوق (مالفوى) وجذب عصاه السحرية ومر بها على الجروح الغائرة الناجمة عن لعنة (هارى) وهو يغمغم بتعويذة بدت كأغنية: فخف تدفق الدم، ومسح (سناب) البقايا عن وجه (مالفوى) وكرر تعويذته فبدأت الجروح تلتئم.

كان (هارى) لايزال ينظر بذعر إلى ما فعل غير مدرك أنه هو أيضًا كان مبتلاً بالدم والماء، وكانت (ميرتل) الباكية لاتزال تنشج بالبكاء والنواح من أعلى. وبعد أن أتم (سناب) تعويذته المضادة للمرة الثالثة رفع (مالفوى) نصف رفعة فى وضع الوقوف.

«أنت بحاجة للذهاب إلى جناح المستشفى. قد تكون هناك بعض الندب، ولكنك لو تناولتَ بعض الدواء على الفور فقد نتفادى ذلك أيضًا... تعال...».

وأعان (مالفوى) فى الخروج من الحمام، ثم استدار عند الباب ليقول بصوت يشى بحنق بارد: «وأنت يا (بوتر).. انتظرنى هنا»، لم يخطر على

بال (هارى) ولو للحظة أن يعصى الأمر؛ فظل واقفًا يرتعش وينظر لأسفل إلى الأرضية المبللة. كانت هناك بقع دم طافية كزهور قرمزية على سطحها. لم يقوَ حتى على أن يقول لـ(ميرتل) الباكية أن تهدأ حيث واصلت نواحها ونشيجها باستمتاع واضح.

وعاد (سناب) بعد عشر دقائق، ودخل الحمام وأوصد الباب وراءه.

قال لـ(ميرتل): «اذهبى» فغاصت فى المرحاض على الفور تاركة صمتًا يرن وراءها.

قال (هارى) على الفور: «أنا لم أقصد أن يحدث ذلك». وتردد رجْع صوته فى الفراغ المائى البارد، واستطرد: «لم أكن أعرف ما تفعله هذه التعويذة»،

إلا أن (سناب) تجاهل ذلك.

قال بهدوء: «يبدو أننى لم أكن أقدرك حق قدرك يا (بوتر)؛ من ذا الذى كان يظن أنك تعرف مثل هذا السحر الأسود؟ من علمك هذه التعويذة؟».

«قرأتُ عنها فى مكان ما».

«أين؟».

قال (هارى) مُختلقًا من خياله: «كان... كتابًا من المكتبة، لا أتذكر عنوانه...».

قال (سناب) «كذاب»؛ فجفَّ حلق (هارى). كان يعلم ما سيفعله (سناب) ولم يسبق له أن تمكن من منعه.

بدا الحمام كأنه يومض أمام عينيه، وحاول جاهدًا أن يتوقف عن التفكير؛ ولكن ليحاول كما شاء، أخذت نسخة كتاب (تحضير الوصفات: المستوى المتقدم) الخاصة بالأمير الهجين تسبح على نحو غائم فى مقدمة ذهنه.. ثم أخذ يحدق إلى (سناب) من جديد وسط هذا الحمام المحطم المبلل، وحملق فى عينى (سناب) الداكنتين وهو يتمنى ألا يكون

(سناب) قد رأى ما كان يخشى أن يرى، ولكن قال (سناب) بهدوء: «هات حقيبتك المدرسية وجميع كتبك المدرسية كلها... هاتها كلها هنا!»

لم يكن ثمة فائدة من الجدل، استدار (هارى) على الفور وانطلق خارجًا من الحمام. وما إن وصل إلى الدهليز حتى أطلق ساقيه للريح باتجاه برج (جريفندور). كان معظم الناس يسيرون فى الاتجاه الآخر، وأخذوا يحدقون إليه بدهشة وهو مبلل بالماء والدم، ولكنه لم يرد على أىٍّ من الأسئلة التى أطلقت عليه وهو يمر بهم.

أحس بالذهول؛ كأن حيوانًا أليفًا تحوَّل فجأة إلى وحش. ما الذى كان الأمير يفكر فيه حتى ينسخ تعويذة كهذه فى كتابه؟ وماذا كان سيحدث لو رآها (سناب)؟ هل سيبلغ (سلجهورن)؛ تقلصت معدة (هارى) ـ كيف كان (هارى) يحقق هذه النتائج الطيبة فى حصة الوصفات طوال السنة؟ هل سيصادر الكتاب الذى علَّم (هارى) الكثير أو يدمره الكتاب الذى أصبح مرشدًا وصديقًا له؟ ما كان بوسع (هارى) أن يدع ذلك يحدث... لا يستطيع ذلك...

«أين؟ لمَ أنت مبلل؟ هل هذا دم؟».

كان (رون) واقفًا بأعلى الدرج ينظر مشدوهًا إلى منظر (هارى).

قال (هارى) لاهثًا: «أحتاج إلى كتابك؛ كتاب الوصفات بسرعة... أعطنى إياه...».

«ولكن ماذا عن الأمير الـ...؟».

«سأشرح لك فيما بعد!».

أخرج (رون) نسخته من (تحضير الوصفات: المستوى المتقدم) من حقيبته وناوله إياها؛ فانطلق (هارى) من جانبه عائدًا إلى الغرفة العامة، وهناك أمسك حقيبته المدرسية متجاهلاً النظرات المندهشة ممن كانوا قد فرغوا من عشائهم، ثم انطلق عبر ثقب اللوحة وانطلق يركض فى دهليز الطابق السابع.

وانزلق ليتوقف بجانب لوحة الغيلان الراقصة وأغمض عينيه وبدأ يمشى، قائلاً: «أحتاج لمكان أخبئ فيه كتابى... أحتاج لمكان أخبئ فيه كتابى... أحتاج لمكان أخبئ فيه كتابى...» قطع المكان جيئةً وذهابًا ثلاث مرات أمام امتداد الجدار الخالى. وحين فتح عينيه ظهر أخيرًا باب غرفة الاحتياجات. دفعه (هارى) ليفتحه وزج بجسمه إلى الداخل ثم دفعه بقوة فأغلقه.

وأخذ يلهث، وعلى الرغم من تعجُّله وفزعه وخوفه مما ينتظره فى الحمام، لم يتمالك نفسه من الإحساس بهول ما يرى. كان واقفًا فى غرفة بحجم كاتدرائية كبيرة ترسل نوافذها أعمدة من نور إلى أسفل على ما بدا كأنه مدينة بأسوار شاهقة مشيَّدة؛ مما أدرك (هارى) أنه لابد أن يكون أشياء قد خبأتها أجيال من سكان (هوجوورتس). كانت هناك أزقة وطرق تحفُّها أكوام تتمايل من الأثاث المهشم والمعطوب ربما تم تكديسه؛ لإخفاء أدلة سحر أسىء استغلاله، أو خبأه جن منازل فخورون بالقلعة. كان هناك آلاف وآلاف من الكتب، محظورة أو محشوة أو مسروقة بلاشك. وكانت هناك مجانيق مجنحة ونحل عملاق بأنيابٍ، لايزال فى بعضه من الروح ما يكفى لكى يرفرف بوهن فوق جبال من أشياء أخرى ممنوعة؛ وكانت هناك زجاجات وصفات مختثرة مهشمة وقبعات وجواهر وعباءات؛ وكان هناك ما بدا كأنه قشر بيض تنين وزجاجات مغلقة بسدادات لاتزال محتوياتها تومض بشكل شرير؛ وعدد من سيوف صدئة وبلطة ثقيلة عليها بقع دم. تقدم (هارى) إلى أحد الأزقَّة العديدة التى تتخلل هذا الكنز المخبأ. وانعطف يمينًا واجتاز غولاً منتفخًا وركض لمسافة قصيرة، ثم انعطف يسارًا عند خزانة الاختفاء المكسورة التى تاه فيها (مونتاجيو) السنة الماضية، وتوقف أخيرًا بجوار صوان كبير يبدو من سطحه الملىء بالقروح أن أحدهم قد ألقى عليه ماء نار. وفتح أحد مصاريع الصوان،

كان قد استخدم من قبل كمخبأ لكائن فى قفص نَفَقَ منذ أمد بعيد، هيكله له خمس أرجل. حشر كتاب الأمير الهجين وراء القفص وأغلق المصراع. وتوقف للحظة، وقلبه يخفق بصورة رهيبة، يحدق حوله إلى الركام.. هل سيتمكن من الوصول إلى هذه النقطة مرة أخرى، وسط كل هذا الركام؟ أمسك بحطام تمثال نصفى لعرَّاف عجوز قبيح من فوق قفص خشبى قريب ووضعه فوق الصوان الذى خبأ فيه الكتاب وطرح على رأس التمثال جمة شعر مستعار قديمة مغبرة وعمامة ملطخة بالبقع ليميزه، ثم انطلق عائدًا عبر أزقة الركام المخبأ بأسرع ما يمكن، وعاد إلى الباب، ومنه خرج إلى الدهليز وصفَق الباب وراءه؛ فتحول من فوره إلى حجر من جديد.

ركض (هارى) باتجاه الحمَّام بالطابق الذى تحته وهو يحشر نسخة (رون) من كتاب (تحضير الوصفات: المستوى المتقدم) فى حقيبته. وبعد دقيقة كان واقفًا أمام (سناب) الذى مدّ يده بصمت يطلب حقيبة (هارى) المدرسية، فناوله (هارى) إياها وهو يلهث ويحس ألمًا لافحًا فى صدره وانتظر.

أخرج (سناب) كتب (هارى) واحدًا تلو الآخر وتفحصها. وفى النهاية كان الكتاب الوحيد المتبقى هو كتاب الوصفات، فتفقده بعناية قبل أن يتكلم. «هذه نسختك من كتاب *(تحضير الوصفات: المستوى المتقدم)*، أليس كذلك يا (بوتر)؟».

قال (هارى) وهو لايزال يتنفس بصعوبة: «بلى».

«أنت متأكد من ذلك تمامًا، أليس كذلك يا (بوتر)؟».

قال (هارى) بنبرة أكثر تحديًا: «بلى».

«هل هذه نسخة *(تحضير الوصفات: المستوى المتقدم)* التى اشتريتها من (فلوريش وبلوتس)؟».

قال (هارى) بحزم: «نعم».

فسأله (سناب): «إذن لماذا كُتب اسم (رونيل وأزليب) على الغلاف الأمامى من الداخل؟».

شعر(هارى) أن قلبه توقف عن الخفقان للحظة.

قال: «هذا اسم التدليل الخاص بى».

ردد (سناب): «اسم تدليل؟!».

قال (هارى): «نعم.. هذا ما ينادينى به أصحابى».

قال (سناب): «أنا أعرف ما هو اسم التدليل. وحدقت العينان السوداوان الباردتان مرة أخرى فى عينى (هارى) الذى أخذ يحاول تفادى النظر إليهما. *أغلق ذهنك... أغلق ذهنك*... ولكنه لم يكن قد تعلم كيف يفعل ذلك بالطريقة الصحيحة.

قال (سناب) بهدوء شديد: «أوَ تدرى ماذا أظن يا (بوتر)؟ أظن أنك كاذب وغشاش وأنك تستحق الاحتجاز معى كل سبت حتى نهاية الفصل الدراسى.. فما قولك يا (بوتر)؟»

قال (هارى) وهو لايزال يرفض النظر فى عينى (سناب): «أنا... أنا غير متفق معك يا سيدى».

قال (سناب): «حسنًا، سنرى ما تقول بعد الاحتجاز.. العاشرة صباح السبت يا (بوتر)، فى مكتبى».

قال (هارى) وهو يرفع رأسه يائسًا: «ولكن سيدى... الـ(كويدتش)... آخر مباراة فى الـ...».

همس (سناب) قائلاً بابتسامة كشفت عن أسنانه الصفراء: «الساعة العاشرة.. مسكين يا (جريفندور).. الرابع هذا العام، للأسف!».

وغادر الحمام دون كلمة أخرى تاركًا (هارى) يحدق إلى المرآة المشروخة ويشعر بغثيان أكبر من أى غثيان شعر به (رون) فى حياته.

قالت (هرميون) بعد ذلك بساعة فى الغرفة العامة: «لن أقول لك إننى حذرتك من قبل».

قال (رون) بغضب: «كفى يا (هرميون)». ولم يتمكن (هارى) من النزول لتناول العشاء، فلم تكن لديه شهية على الإطلاق. كان قد انتهى لتوِّه من إبلاغ كل من (رون) و(هرميون) و(جينى) بما حدث. وطار النبأ بسرعة، يبدو أن (ميرتل) الباكية أخذت على عاتقها أن تظهر فى كل حمام بالقلعة لتحكى الحكاية، وكان (مالفوى) قد تلقى زيارة بالفعل بجناح المستشفى من (بانسى باركنسون) التى لم تدخر وقتًا فى فضح (هارى) فى كل مكان، وكان (سناب) قد أبلغ هيئة التدريس بما حدث، وكان (هارى) قد نودى عليه من الغرفة العامة ليواجه خمس عشرة دقيقة غير سارة بالمرة بصحبة الأستاذة (ماكجونجال) التى أبلغته أنه محظوظ أن لم يتم طرده، وأنها أيدت (سناب) بكل قلبها فى معاقبته إياه بالاحتجاز كل سبت حتى نهاية الفصل الدراسى.

قالت (هرميون) وبدا أنها لم تتمكن من منع نفسها: «قلتُ لك: إن هناك شيئًا ما خطأ فى هذا (الأمير)، وتبين أننى على حق، أليس كذلك؟».

قال (هارى) بعناد: «لا أعتقد أنكِ كنتِ على حق».

كان لديه ما يكفيه من الضيق دون محاضرة (هرميون)؛ وكانت النظرات على وجوه فريق (جريفندور) عندما أبلغهم بأنه لن يتمكن من اللعب يوم السبت ـ أسوأ عقاب أنزل به. كان يشعر بعينى (جينى) عليه الآن، ولكنه لم يَنظر إليها؛ فلم يشأ أن يرى فيهما الغضب أو الإحباط. كان قد أبلغها لتوِّه أنها ستلعب فى مركز الباحث يوم السبت وأن (دين) سيعود للانضمام للفريق كمطارد بدلاً منها. فلو فاز الفريق فلعل (جينى) و(دين) يتصالحان فى فورة حماس ما بعد المباراة.. سرت

الفكرة فى (هارى) كسكين باردة. قالت (هرميون): «كيف يمكن لك أن تتمسك بهذا الكتاب مادامت تلك التعويذة...».

قاطعها (هارى) بحدة قائلاً: «هل لك أن تَكُفِّى عن الإلحاح بشأن هذا الكتاب؟! لم يفعل الأمير أكثر من نسخ التعويذة! وليس الأمر كأنه يحث أحدًا على استعمالها! فكل ما نعرفه أنه كان يدوِّن ملحوظة عن شىء استُعمل ضده!».

قالت (هرميون): «أنا لا أصدق ذلك، أنت فى الحقيقة تدافع...».

قال (هارى) بسرعة: «أنا لا أدافع عما فعلتُ! ليتنى ما فعلته، وليس هذا لمجرد أنى تلقيت ما يناهز اثنى عشر احتجازًا. فأنتِ تعلمين أننى ما كنتُ لأستعمل تعويذة كهذه ولا حتى ضد (مالفوى)، ولكن لا يمكنكِ أن تلقى باللائمة على الأمير، فهو لم يكتب: «جرب هذه، فهى جيدة بحق»، بل كان يدون ملاحظات لنفسه، لا لأحد غيره.. أليس كذلك؟».

قالت (هرميون): «هل تقصد أنك ستعود...؟».

قال (هارى) بحزم: «وآتى بالكتاب؟ نعم، سأعود. اسمعى، بدون الأمير ما كنتُ سأحظى بالـ(فليكس فلسيس). ما كنتُ سأعرف كيف أنقذ (رون) من التسمم، وما كنت...».

قالت (هرميون) باشمئزاز: «...ستكتسب سمعة بالتفوق فى مادة الوصفات لا تستحقها».

قالت (جينى): «على مهلكِ يا (هرميون)!» فاندهش (هارى) وأحس بالعرفان حتى أنه رفع رأسه: «يبدو أن (مالفوى) كان يجرب استعمال لعنة لا تُغتفر، وكان أحرى بكِ أن تفرحى أن (هارى) كان لديه شىء نافع فى جعبته!».

قالت (هرميون) وقد شعرت بوخز: «بالطبع فرحتُ بأن (هارى) لم يصب بلعنة! ولكن لا يمكن وصف تعويذة الـ«سيكتومسيمبرا» هذه بأنها نافعة

يا (جينى)؛ انظرى، إلام أدت به! وكنت سأظن وأنا أرى ما جرَّته على فرصك فى المباراة...». قاطعتها (جينى) بحدة وقالت: «لا تبدئى فى التصرف كأنكِ تفهمين الـ(كويدتش)، فلن يكون منكِ إلا أن تحرجى نفسك».

حدق كل من (هارى) و(رون)، فالفتاتان (هرميون) و(جينى) اللتان كانتا دائمًا على وفاق جالستان الآن وقد طوت كل منهما ذراعيها وتحدقان إلى اتجاهين متضادين. نظر (رون) إلى (هارى) بعصبية ثم التقط كتابًا بصورةٍ عشوائية واختبأ وراءه. أما (هارى) فمع علمه بأنه لم يكن يستحق كل هذا، فقد شعر بفرحة لا تصدق فجأة، مع أنهما لم يتكلما معًا مرة أخرى طوال ما تبقّى من المساء. إلا أن فرحته لم تستمر طويلاً؛ إذ كان عليه أن يتحمل تعنيف (سليذرين) فى اليوم التالى، ناهيك عن غضب زملائه فى منزل (جريفندور) الذين أحزنهم أن ينقطع قائد فريقهم عن نهائى مباريات الموسم. وفى صباح السبت ـ وعلى الرغم من كل ما قاله لـ(هرميون) ـ كان (هارى) مستعدًّا للتضحية بكل ما فى الدنيا من (فليكس فلسيس) فداءً للنزول إلى ملعب الـ(كويدتش) مع (رون) و(جينى) والآخرين. كان صعبًا عليه أن ينصرف عن جموع الطلاب المتدفقين تحت الشمس المشرقة وجميعهم يضعون الورود ويرتدون القبعات ويلوحون بالشعارات والوشاحات، وأن ينزل على المدرجات الحجرية إلى الزنازين ويمشى حتى تخفت أصوات الجموع البعيدة، مع علمه بأنه لن يتمكن من سماع كلمة تعليق أو هُتاف أو استنكار.

قال (سناب) عندما دق (هارى) بابه ودخل متضايقًا إلى غرفة المكتب المألوفة التى لم يتركها (سناب)، على الرغم من أن الفصل الذى يدرس فيه أصبح أعلاها بعدة طوابق الآن: «آه، (بوتر)»؛ كان الضوء فيه خافتًا كالمعتاد والأشياء الميتة المغبرة نفسها لاتزال معلقة فى

جرعات ملونة على الجدران، وكان هناك العديد من العلب تكسوها خيوط العنكبوت تكدست على منضدة كان يفترض أن يجلس عندها (هارى) كما هو واضح، وكان يحيط بها جو عمل ممل وشاق وبلا هدف.

قال (سناب) برقة: «كان السيد (فيلتش) يبحث عمن يفرغ هذه الملفات القديمة. سجلات مذنبى (هوجوورتس) الآخرين وعقوباتهم. حيثما بهت الحبر أو تضررت البطاقات بفعل الجرذان، نريدك أن تنسخ الجرائم والعقوبات من جديد وترتبها حسب الترتيب الأبجدى وتضعها فى العلب، ولن تلجأ للسحر فى عملك».

قال (هارى) بأكبر قدر ممكن من الازدراء فى المقاطع الثلاثة الأخيرة: «سمعًا يا أستاذ».

قال (سناب) بابتسامة ماكرة على شفتيه: «أظنك يمكن أن تبدأ بالعلب من ألف واثنتى عشرة إلى ألف وست وخمسين؛ ستجد بها أسماء مألوفة؛ مما سيضفى بعض التشويق على المهمة. هنا، أترى...؟».

أخرج بطاقة من إحدى العلب العليا بتأنق وأخذ يقرأ: «*(جيمس بوتر) و(سيريوس بلاك).. قبض عليهما وهما يرميان تعويذة غير مشروعة على (بترام أوبرى). رأس (أوبرى) ضعف الحجم العادى. احتجاز مضاعف*»، ثم ضحك (سناب) بسخرية وقال: «من المريح أن تجد سجلاً بإنجازاتهم العظيمة باقيًا مع أنهم رحلوا...».

شعر (هارى) بإحساس الغليان المعهود بتجويف معدته؛ فعض لسانه؛ حتى يمنع نفسه من الثأر لنفسه بالرد وجلس أمام العلب وجذب واحدة نحوه.

كانت المهمة ـ كما توقع (هارى) ـ عقيمة ومملة تخللها ـ كما خطط (سناب) ـ التقلص المعتاد فى المعدة، والذى كان يعنى أنه قرأ لتوِّه اسم أبيه أو اسم (سيريوس) مقترنيْن معًا عادةً فى العديد من الأعمال الشريرة التافهة ومعهما من حين لآخر أسماء (ريموس لوبين) و(بيتر

بتيجرو). وبينما كان ينسخ جميع تهمهم وعقوباتهم المختلفة كان يتساءل عما يحدث بالخارج؛ حيث بدأت المباراة لتوِّها... (جينى) تلعب «باحثة» ضد...».

نظر (هارى) مرات ومرات إلى الساعة الكبيرة التى تتكتك على الحائط، كان يبدو أنها تتحرك بنصف سرعة الساعة العادية؛ لعل (سناب) سحرها لتمشى ببطء زائد! فلا يمكن أن يكون الوقت الذى قضاه هنا نصف ساعة فقط... ساعة... ساعة ونصف الساعة..

بدأ بطن (هارى) يقرقر حين أشارت الساعة إلى الثانية عشرة والنصف. وبعد أن ظل (سناب) صامتًا منذ أن حدد لـ(هارى) المهمة، رفع رأسه أخيرًا فى الواحدة وعشر دقائق.

وقال ببرود: «أظن هذا يكفى.. علِّم المكان الذى وصلتَ إليه، ستواصل فى العاشرة من صباح السبت القادم».

«نعم يا سيدى».

حشر (هارى) بطاقة مطوية فى العلبة بصورة عشوائية وأسرع خارجًا من الباب قبل أن يغير (سناب) رأيه وانطلق يصعد الدرج الحجرى مطرقًا أذنيه علَّه يسمع صوتًا من الملعب، لكن كل شىء كان هادئًا... انتهت إذن...

تردد خارج البهو العظيم المزدحم، ثم اندفع على الدرج الرخامى؛ فسواء أفاز (جريفندور) أم خسر، كان الفريق يحتفل عادةً أو يجتمع للمواساة بالغرفة العامة.

قال بتردد للسيدة البدينة: «كيد أجيس؟» وهو يتساءل عما قد يجد بالداخل.

كانت ملامح وجهها جامدة وهى ترد قائلة: «سترى».

ثم تأرجحت إلى الأمام.

انطلقت جلبة احتفال صاخب من الثقب وراءها. شهق (هارى) حين بدأ الناس فى الصراخ لمرآه؛ أيادٍ كثيرة شدته إلى داخل الغرفة.

وثب (رون) أمامه وهو يلوح بالكأس الفضية لـ(هارى) قائلاً: «فزنا! فزنا! أربعمائة وخمسون إلى مائة وأربعين! فزنا!».

تلفت (هارى) حوله، كانت (جينى) تجرى نحوه، كان على وجهها نظرة متقدة وهى ترمى ذراعيها حوله. وبدون تفكير أو تخطيط، وبدون قلق من أن خمسين شخصًا كانوا ينظرون، قبلّها (هارى).

وبعد لحظات طويلة - أو ربما نصف ساعة - أو ربما أيام مشرقة عديدة - انفصلا؛ كانت الغرفة قد هدأت تمامًا، ثم صفر عدد من الناس وانفجرت قهقهات عصبية. نظر (هارى) من فوق رأس (جينى) ليرى (دين توماس) ممسكًا بكأس مكسورة فى يده و(روميلدا فان) تنظر كأنها سترمى شيئًا. كانت (هرميون) تبتسم، ولكنَّ عينى (هارى) كانتا تبحثان عن (رون)، وأخيرًا عثر عليه، كان لايزال ممسكًا بالكأس وعلى وجهه تعبير يلائم من تلقَّى ضربة هراوة على أم رأسه. نظر كل منهما للآخر لبضع ثوانٍ، ثم هز (رون) رأسه هزة خفيفة، فهم (هارى) أنه يقصد بها «حسنا... إن لم يكن من بُد».

كان المخلوق فى صدر (هارى) يمور بفرحة النصر، فابتسم لـ(جينى) وأشار إليها دون كلمة ليخرجا من ثقب اللوحة، تمشية فى الملاعب بدت ضرورية وفى أثنائها - إن سمح الوقت - قد يناقشان المباراة.

■ ■ ■

٢٥ التنصُّت على نبوءة العرّافة

أثار خروج (هارى) مع (جينى ويسلى) اهتمام عدد كبير من الناس معظمهم من الفتيات، إلا أن (هارى) وجد نفسه طوال الأسابيع القليلة التالية غير متأثر، بل إلى حد ما سعيدًا بالنميمة المثارة حوله وهو شعور جديد بالنسبة له. فعلى أية حال، كان من قبيل التغيير أن يتحدث عنه الناس بسبب شىء يُشعره بسعادة كبيرة لا يستطيع تذكر شعوره بمثلها منذ أمد بعيد، وليس بسبب تورطه فى مواقف مرعبة متعلقة بالسحر الأسود.

قالت (جينى) وهى تجلس على أرضية الغرفة العامة وتستند إلى ساقى (هارى) بينما تطالع جريدة (المتنبئ): «كنت أظن أن الناس لديهم أشياء أهم يتحدثون عنها. حدثت ثلاث هجمات لـ(الدمينتورات) فى أسبوع واحد، وكل ما تفعله (روميلدا فان) هو أن تسألنى عما إذا كان صحيحًا أن لديك وشمًا على شكل هيبوجراف على صدرك».

انفجر كل من (رون) و(هرميون) فى الضحك وتجاهلهما (هارى).

«وماذا قلتِ لها؟».

قالت (جينى) وهى تقلب صفحة من الجريدة بكسل: «قلتُ لها: إنه تنين مَجرِى. شىء أكثر رجولة».

قال (هارى) وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «شكرًا. وماذا قلتِ لها عما لدى (رون)؟».

«بيجمى باف، ولكننى لم أقل لها أين».

قطب (رون) بينما استمرت (هرميون) تضحك. قال وهو يشير محذرًا إلى كل من (هارى) و(جينى): «احذرا! كَوْنى قد أعطيْتكما إذنى ليس معناه أننى لا أستطيع أن أسحبه...».

قالت (جينى) ساخرة: «إذنك، منذ متى كنتَ تعطينى الإذن بأن أفعل أى شيء؟ وعلى كل حال، أنت قلتَ إنك تفضل أن يكون (هارى) وليس (مايكل) أو(دين)».

قال (رون) متبرمًا: «نعم، هذا صحيح. بشرط ألا تبدأا فى العناق أمام الناس...».

قالت (جينى): «أيها المنافق القذر! ماذا عنك أنت و(لافيندر) والتصاقكما معًا كزوج من ثعابين البحر فى كل مكان؟».

إلا أن تسامح (رون) لم يكن ليُختبر كثيرًا بحلول شهر يونية؛ حيث أصبحت لقاءات (هارى) و(جينى) محدودة؛ بسبب اقتراب موعد (امتحانات السحر العامة) الخاصة بـ(جينى)، واضطرارها للمراجعة لساعات بعد منتصف الليل. وفى إحدى تلك الليالى، كانت (جينى) تجلس فى المكتبة، بينما يجلس (هارى) بجانب نافذة الغرفة العامة، كان من المفترض أنه ينهى واجب مادة علم النباتات، ولكنه فى الحقيقة كان يسترجع ذكرى ساعة سعيدة قضاها عند البحيرة مع (جينى) فى وقت الغداء، فجاءت (هرميون) وجلست على المقعد بينه وبين (رون) وعلى وجهها نظرة ذات مغزى غير سار.

«أريد أن أتكلم معك يا (هارى)».

قال (هارى) بريبة: «عمَّ؟».. فى اليوم السابق كانت (هرميون) قد قالت له أن يبتعد عن (جينى)؛ لأنه يشتت انتباهها بينما ينبغى لها أن تذاكر بجد للامتحانات.

«عمَّا يسمى بالأمير الهجين».

فغمغم قائلاً: «آه، ليس ثانية، هلا كففتِ عن ذلك من فضلك؟».

لم يكن قد جرؤ على العودة إلى غرفة الاحتياجات لاستعادة كتابه، وبالتالى تأثر أداؤه فى حصة الوصفات (ومع أن (سلجهورن) كان يستحسن اختياره لـ(جينى) إلا أنه عزا ذلك الانخفاض فى مستوى (هارى) إلى وقوعه فى الحب). وكان (هارى) على يقين من أن (سناب) لم يفقد الأمل فى الوصول إلى كتاب الأمير وقرر تركه فى مكانه مادام (سناب) يترقب.

قالت (هرميون) بحزم: «لن أكف حتى تسمعنى أولاً. لقد كنت أحاول أن أعرف المزيد عن الشخص الذى قد يتخذ من ابتكار تعاويذ السحر الأسود هواية له...».

«هو لم يتخذ منها هواية...».

«هو، هو... من قال: إنه رجل؟».

قال (هارى) بنزقٍ: «خضنا فى هذا النقاش من قبل؛ أمير يا (هرميون)، أمير!».

قالت (هرميون) وقد اتقدت بقع حمراء على وجنتيْها وهى تُخرج قطعة قديمة جدًّا من ورق الصحف من جيبها وصفعتها على المنضدة أمام (هارى): «صحيح! انظر إلى هذه! انظر فى الصورة!».

التقط (هارى) الورقة الهشَّة وحدق إلى الصورة المتحركة المصفرة من شدة القِدَم، ومال (رون) نحوه لينظر أيضًا. كان فى الصورة فتاة هزيلة فى الخامسة عشرة تقريبًا. لم تكن جميلة، وكان يبدو عليها الطيش والحزن فى آنٍ واحد، وكان لها حاجبان كثيفان ووجه طويل شاحب. وتحت الصورة عبارة: «(أيلين الأمير)، قائد فريق (هوجوورتس جوبتسونز)».

قال (هارى) وهو يتفقد الخبر القصير الذى وضعت عليه الصورة: «ماذا؟» كانت قصة مملة عن المنافسات بين المدارس.

«كان اسمها (أيلين الأمير)، الأمير يا (هارى)».

نظر كل منهما للآخر وأدرك (هارى) ما كانت (هرميون) تحاول أن تقوله، وانفجر فى الضحك.

«مستحيل».

«ما هو؟».

«تعتقدين أنها كانت الأمير الهجين...؟ كفِّى عن هذا».

«حسنًا، لمَ لا؟ يا (هارى)، ليس هناك أمراء حقيقيون فى عالم السحر! فهو إما يكون اسم تدليل أو لقبًا أعطاه أحدهم لنفسه، أو يمكن أن يكون اسمه الحقيقى، أليس كذلك؟ اسمع، لو كان أبوها مثلاً ساحرًا لقبه (الأمير) وأمها من العامَّة، فإن هذا يجعلها (أميرًا هجينًا)!».

«نعم، تصور بارع يا (هرميون)...».

«ولكنه ممكن! لعلها كانت فخورة بأنها نصف أمير!».

«اسمعى يا (هرميون)، أنا أستطيع أن أقول: إنها ليست فتاة، يمكننى أن أجزم».

قالت (هرميون) بغضب: «الحقيقة أنك تعتقد أن البنت لا يمكن أن تكون بارعة بما يكفى».

قال (هارى) وقد صدمه كلامها: «كيف نكون معًا لخمس سنوات دون أن أعتقد أن البنات بارعات؟ المسألة هى طريقته فى الكتابة. أنا أعرف أن الأمير كان رجلاً، يمكننى أن أدرك هذا. وهذه الفتاة ليست لها صلة بالموضوع. من أين جئتِ بهذه على أية حال؟».

قالت (هرميون) بتأكيد: «من المكتبة. هناك مجموعة كاملة من أعداد جريدة (المتنبئ) القديمة بها. حسنًا، وسآتى بمزيد من المعلومات عن (أيلين الأمير) إن استطعت».

قال (هارى) بسخرية: «استمتعى بوقتك».

قالت (هرميون): «سأفعل»، ثم قالت له حين بلغت ثقب اللوحة: «وأول مكان سأبحث فيه هو سجلات جوائز الوصفات القديمة!».

قطب (هارى) بعد ذهابها للحظة، ثم واصل تأمله للسماء وهى تظلم.

قال (رون) وهو يعود إلى نسخته من كتاب (ألف عشب وفطر سحرى): «إنها لا تغفر لك تفوقك عليها فى مادة الوصفات السحرية».

«أنت لا تعتقد أننى مجنون؛ لأننى أريد أن أستعيد ذلك الكتاب، أليس كذلك؟».

قال (رون) بقوة: «بلى، كان عبقريًا، أقصد الأمير. على أى... فبدون معلومته عن الحصاة...» ومر بإصبعه على حلقه وأضاف: «ما كنت لأحضر هنا الآن لأناقِشك، أليس كذلك؟ أقصد أننى لا أقول: إن التعويذة التى استعنتَ بها مع (مالفوى) كانت عظيمة».

قال (هارى) بسرعة: «ولا أنا».

«ولكنه شفى تمامًا، أليس كذلك؟ وسرعان ما ينهض على قدميه معافى».

قال (هارى): «بلى، والفضل لـ(سناب)...»؛ وكان هذا حقيقيًّا تمامًا ولو أن ضميره أنَّبه قليلاً.

واصل (رون) قائلاً: «لايزال لديك احتجاز مع (سناب) السبت القادم؟».

تنهد (هارى) وقال: «نعم، والسبت التالى والسبت الذى يليه. وهو يلمح الآن إلى أننى إذا لم أفرغ من كل العلب مع نهاية الفصل الدراسى فسأواصل العمل عليها السنة القادمة».

كان الاحتجاز فى نظره مضجرًا؛ لأنه يحد من الوقت المحدود ـ أصلاً ـ الذى كان سيقضيه مع (جينى). وكان يتساءل من حين لآخر فى الآونة الأخيرة عما إذا كان (سناب) يعلم بذلك، إذ كان يبقى (هارى) لوقت أطول وأطول فى كل مرة، وكان يلمح إلى افتقاد (هارى) الجو الجميل وما يتيحه من فرص.

أفاق (هارى) من هذه التأملات المريرة بظهور (جيمى بيكس) بجانبه ممسكًا برقعة ملفوفة.

قال (هارى) بإثارة وهو يفض الرقعة ويتفقدها: «شكرًا يا (جيمى).. آه، إنها من (دمبلدور)! يريدنى أن أذهب لمكتبه بأسرع ما يمكن!».

حدق كل منهما إلى الآخر.

همس (رون) قائلاً: «يا إلهى! أنت لا تظن... لم يجد...؟».

قال (هارى) وهو يثب على قدميه: «يستحسن أن أذهب لأعرف، أليس كذلك؟».

وأسرع بالخروج من الغرفة العامة عابرًا الطابق السابع بأسرع ما يمكن، ولم يمر بأحد سوى (بيفز) الذى كان مندفعًا فى الاتجاه الآخر وهو يرمى قطعًا من الطباشير على (هارى) كالمعتاد ويقهقه بصوت عالٍ وهو يتفادى تعاويذ (هارى) الدفاعية. وما إن اختفى (بيفز) حتى ساد الصمت فى الدهاليز؛ كان الطلاب قد عادوا إلى الغرف العامة بمنازلهم حيث لم يتبق سوى خمس عشرة دقيقة على حظر التجول.

ثم سمع (هارى) صرخة وارتطامًا؛ فتوقف فى مكانه مُصغيًا.

«كيف... تجرؤ... على... ذلك!».

كان الضجيج صادرًا من دهليز قريب؛ فأسرع (هارى) نحوه وعصاه السحرية فى وضع الاستعداد، واستدار حول منعطف آخر ورأى الأستاذة (تريلاونى) ممددة على الأرض ورأسها مُغطى بأحد شيلانها العديدة ويجانبها عدد من زجاجات الخمر، إحداها مكسورة.

«أستاذة...».

وهرع (هارى) ليعين الأستاذة (تريلاونى) على النهوض. كانت بعض خرزات عقودها اللامعة متشابكة مع نظارتها. كانت تطلق فواقًا بصوت مسموع، وربتت على شعرها وهى تنهض بمساعدة ذراع (هارى).

«ماذا حدث يا أستاذة؟».

قالت بصوت حاد: «لك أن تتساءل! كنتُ أتجول وأنا أفكر فى بعض نذر السحر الأسود التى تصادف أن رأيتها...».

إلا أن (هارى) لم يكن يولى انتباهًا لما تقول. كان قد لاحظ أين يقفان، إلى اليمين كانت لوحة الغيلان الراقصة، وإلى اليسار هذا الجدار الحجرى الذى لا يُخترق... الذى يخفى...

«هل كنتِ تحاولين دخول غرفة الاحتياجات يا أستاذة؟».

«... نذر شر كنت أحاول أن أخففها... ماذا؟».

وفجأة بدت متغيرة.

كرر (هارى): «غرفة الاحتياجات، هل كنتِ تحاولين دخولها؟».

«أنا... حسنًا... لم أكن أعلم أن الطلبة يعرفون شيئًا عن...».

قال (هارى): «ليس كل الطلبة يعرفون، ولكن ماذا حدث؟ أنتِ صرخت... بدا كأنكِ أصبت...».

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهى تلف الشيلان حولها بصورة دفاعية وتحدق إليه بعينيها المكبرتين: «أنا... حسنا، كنت أريد أن... آه... أودع بعض الـ... الأشياء الخاصة فى الغرفة...»، وغمغمت بشىء عن «الاتهامات المقززة».

قال (هارى) وهو يلقى نظرة على زجاجات الخمر: «نعم، ولكنكِ لم تتمكنى من الدخول ومن إخفائها؟».

رأى أن هذا غريب جدًّا؛ فالغرفة انفتحت له، على أية حال عندما أراد أن يخبئ كتاب (الأمير الهجين).

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهى تحملق فى الجدار: «آه، دخلتُ فعلاً، ولكن كان هناك أحد بالداخل».

سألها (هارى): «أحد فى...؟ من؟ من الذى كان بها؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) وهى تبدو مشدوهة قليلاً؛ بسبب الإلحاح فى صوت (هارى): «ليست لدىَ فكرة. أنا دخلت الغرفة وسمعت صوتًا،

وهو ما لم يحدث من قبل طوال سنوات إخفائى.. أقصد استعمالى للغرفة...».

«صوت؟ ماذا يقول؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى): «لا أدرى ما إذا كان يقول أى شىء، كان... يهتف».

«يهتف؟».

قالت وهى تهز رأسها: «بفرح».

حدق (هارى) إليها.

«أكان صوت ذكر أم أنثى؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى): «يمكننى أن أخمِّن أنه كان لذكر».

«وكان يبدو فرحًا؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) بازدراء: «فرحًا جدًّا».

«كأنه يحتفل؟».

«بكل تأكيد».

«وبعد...؟».

«وبعد، ناديتُ من هناك؟».

سألها (هارى) بشىء من الإحباط: «أما كان يمكنكِ أن تعرفى دون أن تسألى؟».

قالت الأستاذة (تريلاونى) باعتزاز وهى تعدل شيلانها والعديد من عقودها اللامعة: «عينى الداخلية كانت مركزة على أمور خارج العوالم الدنيوية المحسوسة، أشياء لا علاقة لها بالأصوات الهاتفة».

قال (هارى) بعجلة: «صحيح، وهل أجابكِ الصوت وأخبركِ من هو؟»، كان قد سمع عن عين الأستاذة (تريلاونى) الداخلية كثيرًا من قبل. قالت: «لا، لم يقل. أظلم العالم من حولى تمامًا فجأة، وما أعرفه بعدها هو أنه تم رميى خارج الغرفة».

قال (هاري) دون أن يتمكن من كبح نفسه: «ولم تريه وهو آتٍ نحوك؟».

«لا، لم أر، فكما قلتُ كان الظلام...» ثم توقفت وحدقت إليه بارتياب.

قال (هاري): «أعتقد أنه يستحسن أن تخبري الأستاذ (دمبلدور). ينبغي أن يعلم أن (مالفوي) يحتفل... أقصد أن أحدًا رمى بكِ خارج الغرفة».

ومما أدهشه أن الأستاذة (تريلاوني) انتبهت لهذا الاقتراح وبدت عليها الغطرسة.

وقالت ببرود: «الناظر صرح بأنه يفضل أن أقلل من زياراتي له. ولست أنا من تفرض صحبتها على من لا يقدرونها. لو أختار (دمبلدور) أن يتجاهل التحذيرات التي أظهرتها أوراق الكوتشينة...».

وأطبقت يدها العجفاء فجأة على رسغ (هاري).

«مرارًا وتكرارًا، مهما أعدتُ ترتيبها...».

وسحبت ورقة بصورة درامية من تحت شيلانها.

وهمست قائلة: «...البرج الذي ضربته الصاعقة، مصيبة، كارثة.. تقترب باستمرار...».

ردد (هاري): «صحيح، حسنًا... مازلتُ أعتقد أنكِ يجب أن تبلغي (دمبلدور) بهذا الصوت وبإظلام كل شيء من حولك ورميك خارج الغرفة...».

«أتعتقد هذا؟»، وبدا عليها أنها تفكر في الأمر للحظة، إلا أن (هاري) أدرك أن فكرة إعادة سرد مغامرتها الصغيرة راقتها.

قال (هاري): «سأذهب لمقابلته حالاً. فلديَّ اجتماع معه، يمكننا أن نذهب معًا».

قالت الأستاذة (تريلاوني) وهي تبتسم: «آه، حسنًا، في هذه الحالة»، ثم انحنت وأمسكت بزجاجات الخمر وألقت بها دون اعتناء في زهرية كبيرة أزرق في أبيض تقف في مكان مجاور. ثم قالت بعاطفة جياشة

وهما ينطلقان معًا: «أفتقد وجودك فى فصلى يا (هارى). صحيح أنك لم تكن قطُّ عرَّافًا جيدًا.. لكنك كنتَ هدفًا جيدًا للتنبؤات...».

لم يُجبها (هارى)؛ كان قد اشمأز من كونه هدفًا دائمًا لتنبؤات الأستاذة (تريلاونى) المشئومة.

واصلت قائلة: «للأسف إن الفرس... آسفة، القنطور... لا يعلم شيئًا عن التكهن بورق الكوتشينة. سألته: من عراف لآخر.. إن كان قد شعر هو أيضًا بالذبذبات البعيدة للمصيبة القادمة؟ ولكن كان يبدو أنه وجدنى مضحكة، نعم، مضحكة!».

وعلا صوتها بصورة هستيرية واشتمَّ (هارى) لفحة قوية من الخمر مع أن الزجاجات كانت قد تُركت وراءهما.

«ربما سمع الحصان الناس يقولون: إننى لم أرث موهبة جدة جدة جدة أمى. هذه شائعات يرددها الحاسدون منذ سنوات. أوَ تدرى ماذا أقول لأمثال هؤلاء الناس يا (هارى)؟ هل كان (دمبلدور) سيتركنى أدرِّس بهذه المدرسة العظيمة ويولينى ثقة كبيرة طوال هذه السنوات لولا أننى أثبت له نفسى؟».

غمغم (هارى) بشىء غير مفهوم.

واصلت الأستاذة (تريلاونى) بنبرات حلقية قائلة: «أتذكر جيدًا أول مقابلة لى مع (دمبلدور). كان منبهرًا بشدة بالطبع؛ منبهرًا بشدة...كنت أقيم فى حانة (رأس الخنزير)، وهو ما لا أنصح به بالمناسبة... حشرات الفراش يا ولدى العزيز... لكنَّ المال كان قليلاً. وتفضل (دمبلدور) علىَّ بأن زارنى فى غرفتى بالنُّزُل. وسألنى.. ولابد أن أقر بأننى ظننت فى بادئ الأمر أنه يبدو غير ميال للإيمان بالعرافة.. وأتذكر أننى بدأت أشعر بقدر من الغرابة، ولم أكن قد أكلت كثيرًا فى ذلك اليوم... ولكن حينها...».

كان (هارى) الآن منتبهًا لأول مرة؛ لأنه كان يعرف ما حدث آنذاك: باحت الأستاذة (تريلاونى) بالنبوءة التى غيَّرت مجرى حياته تمامًا، النبوءة عنه هو و(فولدمورت).

«... ولكن حينها قاطعنا (سيفيروس سناب) بكل سخافة!».

«ماذا؟».

«نعم، كانت هناك ضجة خارج الباب، ثم دفع به فانفتح، وهناك كان يقف سائق رث الهيئة إلى حدٍّ ما مع (سناب) الذى كان يجادله فى أنه أخطأ الطريق إلى أعلى الدرج، مع أننى ظننت أنه قُبض عليه يتنصَّتَ على مقابلتى مع (دمبلدور)... أتعرف؟ كان هو نفسه يبحث عن عمل فى ذلك الوقت وكان يتمنى - دون شك - أن يحصل على الملاحظات التى تفيده! حسنًا، وبعد ذلك، أتعرف؟ بدا (دمبلدور) ميالاً لإعطائى عملاً، ولم أستطع إلا أن أفكر فى أن هذا يرجع إلى أنه قدر التناقض الشديد بين طبعى الهادئ وموهبتى الواضحة مقارنةً بالشاب الأرعن المندفع الذى لم يتورع عن استراق السمع من ثقوب الأبواب... يا عزيزى (هارى)».

والتفتت حين أدركت لتوِّها أن (هارى) لم يعد معها؛ كان قد توقف عن السير وكان يفصل بينهما حينذاك عشرة أقدام.

كررت نداءها بشك قائلة: «(هارى)!».

لعل وجهه كان شاحبًا حتى تبدو هى بهذا القدر من القلق والخوف، كان (هارى) يقف دون حراك؛ إذ نزلت عليه أمواج من الصدمات؛ موجة تلو الأخرى طامسةً كل شىء عدا المعلومات التى حُجبت عنه طوال تلك المدة..

كان (سناب) هو الذى تنصَّت على النبوءة، وهو الذى أبلغ خبر النبوءة لـ(فولدمورت). (سناب) و(بيتر بتيجرو) معًا أرسلا (فولدمورت)؛ ليطارد (ليلى) و(جيمس) وابنهما.

لا شيء آخر كان يهم بالنسبة لـ(هارى) الآن.

نادت الأستاذة (تريلاونى) مرة أخرى قائلة: «(هارى) (هارى)... كنت أحسب أننا ذاهبان لمقابلة الناظر معًا؟».

قال (هارى) من خلال شفتيه المرتجفتين: «انتظرى هنا!».

«ولكن يا عزيزى.. كنت ذاهبة لأخبره كيف هوجمتُ فى غرفة الـ...».

ردد (هارى) بغضب: «انتظرى هنا!».

بدا عليها الانزعاج وهو يندفع بجوارها راكضًا وملتفًا حول المنعطف إلى دهليزِ (دمبلدور) حيث يقف التمثال البشع وحده للحراسة. صاح (هارى) بكلمة السر أمام التمثال وانطلق يصعد الدرج اللولبى المتحرك ثلاث درجات فى القفزة الواحدة، ولم يدق على باب (دمبلدور)، بل أخذ يطرق عليه بقوة؛ فأجابه الصوت الهادئ: «ادخل» بعد أن كان (هارى) قد دخل الغرفة مندفعًا.

التفت طائر العنقاء (فاوكس) بعينيه السوداوين اللامعتين اللتين تومضان بلون ذهبى منعكس من غروب الشمس وراء النافذة. وكان (دمبلدور) يقف عند النافذة يتأمل الملاعب بالخارج وعلى ذراعيه عباءة طويلة سوداء فضفاضة.

«حسنًا، وعدتك يا (هارى) بأنك ستأتى معى».

للحظة أو لحظتين لم يفهم (هارى)؛ كان حديثه مع (تريلاونى) قد طرد من رأسه كل ما عداه وبدا أن عقله يتحرك ببطء شديد.

«آتى... معك...؟».

«لو شئتَ بالطبع».

«لو...».

وحينها تذكر (هارى) سبب لهفته على المجىء إلى مكتب (دمبلدور) أصلاً.

«أعثرتَ على واحدة؟ هل عثرتَ على قطعة (هوركروكس)؟».

«أعتقد ذلك».

الغضب والغيظ قاتلا الصدمة والإثارة.. ولعدة لحظات، عجز (هاری) عن الكلام.

قال (دمبلدور): «من الطبيعى أن تخاف».

فقال (هارى) على الفور: «أنا لست خائفًا!» وكان هذا صحيحًا تمامًا؛ فالخوف شعور لم يكن يساوره على الإطلاق. «أى قطع الـ(هوركروكس) هذه؟ أين هى؟».

«لا أعلم أيها هى.. ولو أننى أعتقد أننا يمكن أن نستبعد الأفعى... ولكننى أظنها مخبأة فى كهف على الشاطئ على بُعد أميال عديدة من هنا، كهف كنت أحاول أن أحدد مكانه منذ مدة طويلة جدًّا؛ الكهف الذى أدخل فيه (توم ريدل) الرعب فى قلوب طفلَيْن من ملجئه فى رحلتهم السنوية.. أتتذكر؟».

قال (هارى): «نعم، ما مدى حمايته؟».

«لا أعلم؛ لدىَّ شكوك قد تكون مخطئة تمامًا»، ثم تردد (دمبلدور)، ثم قال: «وعدتك يا (هارى) أنك يمكن أن تأتى معى، وأنا عند وعدى، ولكن سيكون من الخطأ ألا أحذرك من أنه قد يكون فى ذلك خطر عظيم».

قال (هارى) قبل أن ينهى (دمبلدور) كلامه: «سآتى معك». ففى خلال الدقائق القليلة الماضية، تضاعفت رغبته فى أن يعمل شيئًا يائسًا ينطوى على مخاطرة عشر مرات؛ بسبب غليانه بالغضب على (سناب). ولعل هذا الشعور بدا واضحًا على وجه (هارى)؛ إذ تحرك (دمبلدور) من عند النافذة ونظر إلى (هارى) عن قرب، وبين حاجبيه الفضيين تجعيدة خفيفة.

«ماذا جرى لك؟».

كذب (هارى) على الفور وقال: «لا شىء».

«ما الذى أزعجك؟».

«لستُ منزعجًا».
«(هـارى)، لم يسبق لك أن كنتَ بـارعًـا فى الأوكلومنسى...».
كـانت الكلمة بمثابـة شرارة أضرمت النقمة فى قلب (هـارى).
قـال بصوت عـالٍ جدًّا: «(سنـاب)!». فـأطلق (فـاوكس) صرخة رقيقة من ورائه: «(سنـاب) هـو مـا جرى! هـو الذى أنبـأ (فولدمورت) بـالنبوءة، هـو الذى فعل، هـو الذى تنصَّت خـارج البـاب، (تريلاونـى) أبـلغتنى!».
لم تتغير تعبيرات وجه (دمبلدور)، ولكن تراءى لـ(هـارى) أن وجهه ازداد بيـاضًـا تـحت مِسحة الاحمرار الـخفيفة التى ألقتهـا شمس الغروب عليه، ولم ينبس (دمبلدور) بكلمة للحظة طويلة.
وأخيرًا سأله: «متى اكتشفت ذلك؟».
قـال (هـارى) وهـو يمنـع نفسه بصعوبـة بـالغة من الصراخ: «الآن»، ثم فجأة لم يتمـالك نفسه وقـال: «وأنت تركته يدرِّس هنـا، وهـو الذى جعل (فولدمورت) يطـارد أمى وأبى!».
كـان (هـارى) يتنفس بصعوبـة كمن يقـاتل، وأدار ظهره لـ(دمبلدور) الذى لم يحرِّك ساكنًا، وأخذ يذرع المكتب جيئةً وذهـابًـا وهـو يضغط على مفـاصل أصابعه بيده؛ محـاولاً كبت غضبه؛ حتى يمنـع نفسه من تـحطيم الأشيـاء. كـان يريد أن يصبَّ جـامَ غضبه فى (دمبلدور)، ولكنه كـان يريد أن يذهب معه أيضًـا؛ كى يحـاول القضـاء على قطعة الـ(هوركروكس)؛ كـان يود أن يقول لـه: إنه شيخ أخرق؛ إذ وثق فـى (سنـاب)، ولكنه كـان خـائفًـا ألا يـأخذه (دمبلدور) معه مـا لم يكبح جمـاح غضبه.
قـال (دمبلدور) بـهدوء: «(هـارى)، اسمعنى من فضلك».
ولم يكن التوقف عن ذرع المكـان جيئةً وذهـابًـا بـأقل صعوبـة من الامتنـاع عن الصراخ، ثم توقف (هـارى) وهـو يعضُّ على شفتيه ونظر فى وجه (دمبلدور) ذى التجـاعيد.
«الأستـاذ (سنـاب) ارتكب...».

«لا تقل لى إنها كانت غلطة يا سيدى، كان يسترق السمع على الباب!».

قال (دمبلدور): «أرجوك دعنى أنهى كلامى»، ثم انتظر (دمبلدور) حتى هز (هارى) رأسه بفظاظة ليواصل قائلاً: «الأستاذ (سناب) ارتكب خطأ جسيمًا. كان لايزال فى خدمة اللورد (فولدمورت) ليلة أن سمع النصف الأول من نبوءة الأستاذة (تريلاونى)، واستعجل بالطبع، لينبئ أستاذه بما سمع؛ لأن الأمر كان يهم أستاذه بشدة. ولكنه لم يكن يعلم - لم يكن ثَمَّ طريقة لكى يعلم - أى الصبية سيكون على (فولدمورت) أن يطارد منذ ذلك الحينٍ فصاعدًا، أو أن الأبوين اللذين كان عليه أن يقضى عليهما فى مهمته القاتلة كانا ممن يعرفهم الأستاذ (سناب)، وأنهما أمك وأبوك...».

أطلق (هارى) صرخة ضحك لا فرحة فيها.

«كان يكره أبى كما كان يكره (سيريوس)! ألم تلاحظ يا أستاذ أن من يكرههم (سناب) ينتهى أمرهم بالموت؟».

«أنت لا تدرى شيئًا عن مقدار الندم الذى شعر به (سناب) حين أدرك كيف فسر اللورد (فولدمورت) النبوءة يا (هارى). أنا أعتقد أنه أعظم ندم أحس به فى حياته وكان السبب فى عودته...».

قال (هارى) بصوت يرتعش ويحاول أن يبقى عليه ثابتًا: «ولكنه بارعٌ فى الأوكلومنسى، أليس كذلك يا سيدى؟ أليس (فولدمورت) مقتنعًا بأن (سناب) فى صفه الآن أيضًا يا أستاذ.. كيف تتيقن من أن (سناب) فى صفنا؟»، لم ينطق (دمبلدور) بكلمة للحظة؛ نظر كمن يحاول أن يقرر شيئًا، وفى النهاية، قال: «أنا متأكد، أنا واثق فى (سيفيروس سناب) تمامًا».

وتنفس (هارى) بعمق لبضع لحظات؛ محاولاً الاحتفاظ بثباته، لكنه لم يفلح ثم قال بصوت عالٍ كما كان من قبل: «حسنًا، أنا لا أثق به! فهو يدبر أمرًا مع (دراكو مالفوى) الآن، من وراء ظهرك، وأنت مازلتَ...».

قال (دمبلدور) وقد بدا متجهمًا مرة أخرى: «سبق أن ناقشنا ذلك يا (هارى) وقلتُ لك رأيى».

«ستغادر المدرسة الليلة وأنا متأكد من أنك لم تفكر حتى فى أن (سناب) و(مالفوى) قد يقرران أن...».

سأله (دمبلدور) رافعًا حاجبيه: «أن ماذا؟ ما الذى تشتبه فى أنهما يفعلانه تحديدًا؟».

قال (هارى) وقد كور قبضته وهو يتكلم: «إنـ... إنهما يدبران أمرًا! الأستاذة (تريلاونى)كانت الآن فى غرفة الاحتياجات تحاول أن تخبئ زجاجات الخمر وسمعت (مالفوى) يهتف ويحتفل! إنه يحاول أن يصلح شيئًا خطيرًا بالداخل وإن سألتنى لقلت: إنه أصلحه فى النهاية وأنت على وشك أن تغادر المدرسة دون...».

قال (دمبلدور) بهدوء: «كفى»؛ ومع ذلك فقد لاذ (هارى) بالصمت على الفور؛ فقد عرف أنه أخيرًا تجاوز خطًّا ما غير مرئى. «أتعتقد أننى سبق أن تركت المدرسة مرة دون حماية فى أثناء غيابى هذا العام؟ لا. والليلة حين أغادرها ستكون هناك حماية إضافية عليها. أرجوك، لا تفترض أننى لا آخذ أمن طلابى مأخذ الجد يا (هارى)».

غمغم (هارى) قائلاً بشىء من الخجل: «لم أفترض ذلك...»، إلا أن (دمبلدور) قاطعه وقال: «أنا لا أرغب فى مناقشة الموضوع أكثر من ذلك».

كبح (هارى) رده؛ خشية أن يكون قد تعدَّى حدوده وأن يكون قد قضى على فرصته فى مصاحبة (دمبلدور)، إلا أن (دمبلدور) واصل قائلاً: «هل تود أن تأتى معى الليلة؟». قال (هارى) على الفور: «نعم»، «حسنا جدًّا إذن، اسمع».

وانتصب (دمبلدور) بكامل قامته:

«سآخذك معى بشرط واحد؛ أن تطيع أى أمر أصدره على الفور ودون نقاش».

«طبعًا».

«افهمنى جيدًا يا (هارى). أقصد أنك يجب أن تنفذ أوامر من قبيل «اجر» أو «اختبئ» أو «عُد». هل تعدنى؟».

«أنا... نعم، طبعًا».

«لو قلتُ لك: اختبئ. فهل تفعل؟».

«نعم».

«لو قلتُ لك: اهرب. فهل تستطيع؟».

«نعم».

«لو قلتُ لك: اتركنى وانجُ بنفسك. فهل تفعل كما أقول لك؟».

«...أنا».

«(هارى)؟».

ونظر كل منهما للآخر للحظة.

«نعم يا سيدى».

«حسنًا جدًّا. إذن أريدك أن تذهب وتأتى بعباءتك وتلقانى ببهو الدخول فى غضون خمس دقائق».

ثم استدار (دمبلدور) لينظر خارج النافذة المخضبة باللون الأحمر؛ كانت الشمس قد صارت الآن وهجًا أحمر ياقوتيًّا بطول الأفق. أسرع (هارى) بالخروج من المكتب وهبط الدرج الحلزونى. صفا ذهنه فجأة. كان يعرف ما عليه أن يفعله.

كان كل من (رون) و(هرميون) جالسيْن بالغرفة العامة حين عاد. فقالت له (هرميون) على الفور: «ماذا يريد (دمبلدور)؟»، ثم أردفت بقلق: «(هارى)، هل أنت بخير؟».

قال (هارى) باقتضاب وهو يجرى: «أنا بخير»، ثم انطلق يصعد السلم إلى مهجعه حيث دفع صندوقه فانفتح وأخرج منه خارطة (المارودر) وزوجًا من الجوارب المكورة، ثم أسرع عائدًا فنزل الدرج ودخل الغرفة العامة وانزلق ليتوقف فجأة حيث كان (رون) و(هرميون) جالسيْن وقد بدا عليهما الذهول.

قال (هارى) وهو يلهث: «ليس لدىَّ وقت. (دمبلدور) يحسب أننى ذهبت لآتى بعباءة الإخفاء. اسمعا...»، وأبلغهما على عجلٍ عن وجهته والسبب. ولم يتوقف لشهقة الرعب التى صدرت من (هرميون) أو لإجابة أسئلة (رون) المتعجلة؛ إذ يمكن لهما أن يدركا التفاصيل الدقيقة بنفسيْهما فيما بعد.

واختتم (هارى) كلامه متعجِّلاً: «... فهل فهمتما معنى ذلك؟ (دمبلدور) لن يكون هنا الليلة، ومن ثم فإن (مالفوى) سيكون لديه الفرصة ليقوم بما يخطط له»، ثم همس بغضب حين حاول (رون) و(هرميون) مقاطعته: «لا، اسمعانى! أنا أعلم أن (مالفوى) هو الذى كان يحتفل فى غرفة الاحتياجات. خذا...»، ودفع بخارطة (المارودر) فى يد (هرميون) وأضاف: «عليكما أن تراقباه وأن تراقبا (سناب) أيضًا. واستعينا بأى أحد يمكنكما الوصول إليه من أعضاء (جيش دومبلدور). جالونات الاتصال هذه لاتزال تعمل، أليس كذلك يا (هرميون)؟ (دمبلدور) يقول إنه وضع حماية إضافية فى المدرسة، ولكن لو تدخل (سناب) سيعرف ما هى حماية (دمبلدور) وكيف يتفاداها، لكنه لن يتوقع منكما أن تراقباه، أليس كذلك؟».

وبدأت (هرميون) الكلام بعينين ملؤهما الفزع: «(هارى)...».

قال (هارى) بحدة: «ليس لدىَّ وقت للنقاش، خذا هذه أيضًا...» ودفع بالجوربين فى يدى (رون).

قال (رون): «شكرًا ولكن، ما حاجتى للجوارب؟».

«أنت بحاجة لما كوِّر فيهما، إنها الـ(فليكس فلسيس). اقتسماها بينكما مع (جينى). أيضًا. بلغاها سلامى. يستحسن أن أذهب، (دمبلدور) منتظر...».

قالت (هرميون) بينما أخذ (رون) يفض زجاجة الوصفة الذهبية الصغيرة وينظر إليها برهبة: «لا، نحن لا نريدها، خذها أنت، من يدرى ما سيكون عليك أن تواجهه؟».

قال (هارى): «سأكون بخير، سأكون مع (دمبلدور). أريد أن أتأكد من أن ثلاثتكم بخير.. لا تنظرى إلىَّ هذه النظرة يا (هرميون)، سأراكم فيما بعد...».

وانطلق عائدًا عبر ثقب اللوحة باتجاه بهو الدخول.

كان (دمبلدور) منتظرًا بجانب الأبواب الأمامية المصنوعة من خشب السنديان، والتفت حين أتى (هارى) منزلقًا إلى الدرجة الحجرية العليا وهو يلهث بشدة ويشعر بوخز لافح فى جنبه.

قال (دمبلدور): «أريدك أن ترتدى عباءتك من فضلك»، وانتظر إلى أن لبسها (هارى) ثم قال: «حسنًا جدًّا، لننطلق إذن».

وانطلق (دمبلدور) من فوره يهبط الدرج الحجرى وعباءة سفره لا تكاد تتحرك فى سكون هواء الصيف، وأسرع (هارى) محاذيًا له مرتديًا عباءة الإخفاء وهو لايزال يلهث ويتصبب عرقًا غزيرًا.

سأل (هارى) وفى ذهنه (مالفوى) و(سناب): «ولكن، ماذا سيظن الناس حين يرونك تغادر يا أستاذ؟».

قال (دمبلدور) بخفة: «سيحسبوننى خرجت إلى (هوجسميد) لأتناول شرابًا؛ فأنا أتردد على (روزمرتا) أحيانًا، أو أقوم بزيارة حانة (رأس الخنزير)، أو أتظاهر بذلك؛ إنها طريقة فعالة يموِّه بها المرء على وجهته الحقيقية».

واتخذا طريقهما هبوطًا فى المدخل فى الشفق المتجمع. كان الهواء مفعمًا بروائح العشب الدافئ وماء البحيرة ودخان الخشب المحترق المتصاعد من كوخ (هاجريد). كان من الصعب تصديق أنهما متجهان صوب أى شىء خطير أو مخيف.

قال (هارى) بينما ظهرت البوابات فى نهاية الطريق: «أستاذ، هل سنذهب بالانتقال الآنى؟».

قال (دمبلدور): «نعم، يمكنك أن تنتقل آنيًا الآن على ما أظن».

قال (هارى): «نعم، ولكن ليس معى تصريح بعد».

شعر أنه من الأفضل أن يكون أمينًا؛ فماذا لو أفسد كل شىء بانتقاله آنيًا على بعد مائة ميل من المكان الذى يفترض أن يذهبا إليه؟

قال (دمبلدور): «لا يهم، يمكننى أن أساعدك مرة أخرى».

خرجا من البوابات ودلفا إلى الزقاق المهجور المُفضى إلى (هوجسميد). وهبط الظلام بسرعة وهما يمشيان، وحين بلغا الطريق العام كان الليل قد أرخى سدوله فعلاً، وتلألأت الأضواء من النوافذ التى تعلو المحالَّ، ومع اقترابهما من حانة (المكانس الثلاث) سمعا صياحًا أجش.

صاحت مدام (روزمرتا) وهى تطرد ساحرًا رث الهيئة قائلةً: «...وابق بالخارج! آه، أهلاً يا (ألباس).. أنت بالخارج فى هذا الوقت المتأخر...».

«مساء الخير يا (روزمرتا)، مساء الخير... سامحينى، أنا فى طريقى إلى (رأس الخنزير).. لا تستائى، ولكننى أحس برغبة فى جو هادئ الليلة...».

وبعد دقيقة، انعطفا إلى الشارع الجانبى حيث كانت لافتة (رأس الخنزير) تُحدث صريرًا طفيفًا على الرغم من عدم وجود نسيم. وعلى عكس الحال، فى (المكانس الثلاثة) بدت الحانة خالية تمامًا.

غمغم (دمبلدور) وهو يتلفت حوله: «لن يكون ضروريًا أن ندخل. مادام ليس هناك من يرانا نذهب.. والآن، ضع يدك على ذراعي يا (هارى)، ولا داعى لأن تقبض عليه بشدة، فأنا أرشدك وحسب. سأعدُّ إلى ثلاثة: واحد... اثنان... ثلاثة...».

دار (هارى)، وعلى الفور كان هناك ذلك الإحساس الرهيب بأنه يُعتصر داخل أنبوب مطاطى سميك؛ لم يتمكن من الشهيق، كان هناك ضغط يفوق الاحتمال على كل جزء من جسمه، وفى اللحظة التى ظن فيها أنه سيختنق بدا كأن الأربطة الخفية انحلت، وكان واقفًا فى ظلام بارد يتنفس ملء رئتيه هواءً منعشًا مالحًا.

■ ■ ■

٢٦ الكهف

كان (هارى) يشم رائحة الملح ويسمع هدير الأمواج المتدافعة. شوشت نسمة خفيفة باردة شعره حين نظر إلى البحر الذى أضاءه القمر، والسماء التى انتثرت فيها النجوم. كان واقفًا على صخرة سوداء عالية تتلاطم الأمواج وتزبد أسفلها. ونظر فوق كتفه ليرى جرفا صخريًّا ينتصب شاهقًا وراءه، كتلة صماء سوداء بلا معالم. كانت هناك بضع كتل ضخمة من الصخر كتلك التى كان (هارى) و(دمبلدور) يقفان عليها، بدت كأنها انفصلت عن الجرف الصخرى فى وقت ما فى الماضى؛ كان مشهدًا قاسيًا كئيبًا؛ البحر والصخر، فقط، لا يخفف من قسوتهما شجر أو عشب أو رمال.

سأل (دمبلدور) قائلاً: «ما رأيك؟» لعله كان يسأل (هارى) عن رأيه فيما إذا كان المكان يصلح كمتنزه.

فسأله (هارى) الذى لم يتصور مكانًا أقل حميمية لرحلة نهارية: «هل جاءوا بالأطفال من الملجأ إلى هنا؟».

قال (دمبلدور): «ليس هنا تحديدًا. هناك قرية صغيرة تقع فى منتصف الجرف الصخرى وراءنا. أعتقد أن الأيتام أُخذوا إلى هناك لاستنشاق هواء البحر ومشاهدة الأمواج. لا، أعتقد أن (توم ريدل) وضحاياه الصغار كانوا الوحيدين الذين زاروا هذه البقعة. فلا يمكن لأحد من العامَّة الوصول إلى هذه الصخرة ما لم يكن من متسلقى الجبال المهرة، والقوارب لا تستطيع الاقتراب من الجرف؛ فالماء حوله خطير جدًّا. أتصور أن (ريدل) هبط إلى أسفل؛ وربما ساعده السحر أكثر

من الحبال. وأتى معه بطفلين؛ ربما ليتمتع بترويعهما. أعتقد أن الرحلة وحدها كانت كفيلة بذلك، ألا تعتقد ذلك؟».

نظر (هارى) لأعلى الجرف مرة أخرى وأحس بقشعريرة.

«لكن وجهته الأخيرة ـ ووجهتنا ـ تقع على بعد يسير.. تعال».

دعا (دمبلدور) (هارى) نحو حافة الصخرة؛ حيث كانت هناك سلسلة من الفتحات المسننة تصلح موطئًا للأقدام، وتؤدى إلى كتل صخرية نصفها غاطس فى الماء وأقرب إلى الجرف. كان هبوطًا محفوفًا بالخطر، وتحرك (دمبلدور) ببطء؛ حيث أعاقته يده المتيبسة قليلاً، وكانت الصخور السفلية زلقة بماء البحر، وشعر (هارى) برذاذ الماء المالح البارد يرتطم بوجهه.

قال (دمبلدور) حين بلغ الصخرة الأقرب إلى الجرف: «لوموس»، فومضت ألف نقطة من النور الذهبى على سطح الماء المعتم على بعد بضعة أقدام لأسفل من حيث هبط، وكان جدار الصخرة الأسود إلى جانبه مُضاءً أيضًا.

قال (دمبلدور) بهدوء وهو يرفع عصاه السحرية لأعلى قليلاً: «هل ترى؟» ورأى (هارى) صدعًا فى الجرف، كان الماء المعتم يدور فيه على شكل دوامة.

«لا أظنك تعترض على قليل من البلل؟».

قال (هارى): «لا».

«إذن، اخلع عنك عباءة الإخفاء ـ فلا داعى لها الآن ـ وهيا بنا نغطس».

وبرشاقة مفاجئة لرجل أصغر سنًا بكثير، انزلق (دمبلدور) من الجلمود الصخرى ونزل فى البحر وبدأ يسبح بضربات صدر متقنة نحو الشق المعتم بوجه الصخرة ممسكًا عصاه السحرية المضيئة بين أسنانه، وخلع (هارى) عباءته وحشرها فى جيبه وتبعه.

كان الماء فى برودة الثلج؛ فانتفخت ثياب (هارى) المبللة من حوله وأثقلته، فاستنشق أنفاسًا عميقة ملأت فتحتى أنفه برائحة الملح والطحالب، وأخذ يضرب الماء تابعًا الضوء الواهن الذى أخذ يخفت وهو يهبط إلى داخل الجرف.

وسرعان ما اتسع الشق وأصبح نفقًا مظلمًا أدرك (هارى) أنه سيمتلئ بالماء مع ارتفاع المد. وكانت المسافة التى تفصل الجدران اللزجة عن بعضها لا تزيد على ثلاثة أقدام وكانت تومض كالقار الرطب فى ضوء عصا (دمبلدور) السحرية حين يمر بها. وعندما دخلوا قليلاً بالممر وجدوه ينعطف إلى اليسار، ورأى (هارى) أنه يمتد لمسافة بعيدة داخل الجرف، فواصل السباحة فى أعقاب (دمبلدور) وكانت أطراف أصابعه الخدرة تمس الصخر القاسى المبلل.

ثم رأى (دمبلدور) يخرج من الماء أمامه وشعره الفضى وثيابه الداكنة تتلألأ. وعندما بلغ (هارى) مكانه وجد درجات تؤدى إلى داخل مغارة كبيرة فتسلقها بمشقة والماء ينساب من ثيابه المبللة، وخرج يرتعش رغمًا عنه إلى الهواء الساكن المتجمد.

كان (دمبلدور) واقفًا وسط الكهف رافعًا عصاه السحرية لأعلى وهو يطوف المكان ببطء يتفقد الجدران والسقف.

قال (دمبلدور): «نعم، هذا هو المكان».

قال (هارى) همسًا: «كيف تتأكد؟».

قال (دمبلدور) ببساطة: «المكان عرف السحر».

لم يدرك (هارى) ما إذا كانت الرعشة التى يعانيها ترجع لإحساسه العميق بالبرودة، أم إلى إحساسه بالسحر الموجود فى المكان وأخذ يدقق النظر أثناء مواصلة (دمبلدور) التجوال بالمكان، مركزًا على أشياء لا يستطيع (هارى) رؤيتها.

قال (دمبلدور) بعد لحظة أو لحظتين: «ليست هذه سوى الحجرة الأمامية، قاعة المدخل. لابد أن نخترق المكان من الداخل.. عقبات اللورد (فولدمورت) هى التى تقف فى طريقنا الآن وليست تلك التى من صنع الطبيعة...».

اقترب (دمبلدور) من جدار الكهف وربت عليه بأطراف أصابعه الذابلة وهو يغمغم بكلمات بلغة غريبة لم يفهمها (هارى). جال (دمبلدور) المغارة كثيرًا ملامسًا أكبر قدر ممكن من الصخر الصلب وكان يتوقف أحيانًا ويتنقل بأصابعه إلى الوراء وإلى الأمام عند نقطة بعينها، إلى أن توقف فى النهاية حيث انجذبت عصاه السحرية مستوية على الجدار.

قال: «هنا، سندخل من هنا، المدخل مخفى».

لم يسأل (هارى) (دمبلدور) كيف عرف. لم يسبق له أن رأى ساحرًا يتعامل مع الأشياء على هذا النحو، بمجرد النظر أو اللمس، إلا أن (هارى) كان قد تعلم منذ مدة طويلة أن الضربات القوية والدخان غالبًا ما تكون من أمارات السذاجة لا الخبرة.

تراجع (دمبلدور) خطوات عن جدار المغارة وصوب عصاه السحرية إلى الصخرة؛ فظهر فيه للحظة خط مقوس توهج باللون الأبيض كأن هناك ضوءًا قويًا وراءه.

قال (هارى) من بين أسنان تصطك: «أنت نـ...نجحت!» ولكن قبل أن تفارق الكلمات شفتيه، كان الخط قد اختفى تاركًا الصخرة خالية وصلبة كما كانت.. تلفت (دمبلدور) حوله.

قال: «أنا آسف يا (هارى)، نسيت»، ثم صوب عصاه السحرية نحو (هارى)، وفى التوِّ صارت ثياب (هارى) دافئة وجافة كما لو كانت معلقة أمام مدفأة متقدة.

قال (هارى) بعرفان: «شكرًا»، إلا أن (دمبلدور) كان قد عاد وركز انتباهه على جدار المغارة الصلب.. لم يجرب المزيد من السحر، بل اكتفى

بالوقوف أمامه يحدق إليه بتركيز؛ كأن شيئًا مهمًا كان مكتوبًا عليه. وظل (هارى) واقفًا بهدوء وسكون؛ لم يرد أن يشتت تركيز (دمبلدور).

وبعد لحظتين جامدتين، قال (دمبلدور) بهدوء: «آه، طبعًا، ياله من شيء فج!».

«ما الخطب يا أستاذ؟».

قال (دمبلدور) وهو يضع يده السليمة داخل ثيابه ويخرج سكينًا فضية قصيرة من النوع الذى يستعمله (هارى) فى تقطيع مكونات الوصفات: «أظن أننا لابد أن ندفع حتى نمرَّ».

قال (هارى): «ندفع؟ لابد أن تعطى للباب شيئًا؟».

قال (دمبلدور): «نعم، دم، إن لم أكن مخطئًا».

«دم؟!».

قال (دمبلدور) باستخفاف، أو ربما بخيبة أمل كأن (فولدمورت) لم يصل إلى مستوى المعايير التى توقعها (دمبلدور) منه: «قلتُ إنه شيء فج؛ لأن الفكرة كما ستدركها هى أن خصمك لابد أن يضعف نفسه؛ لكى يدخل. مرة أخرى يخفق اللورد (فولدمورت) فى فهم أن هناك أشياء أبشع كثيرًا من الإصابة الجسمانية».

قال (هارى) الذى كان قد عانى الكثير من الآلام؛ مما جعله غير راغب فى المزيد: «نعم ولكن لو استطعتَ أن تتفاداها...».

قال (دمبلدور) وهو يشمر كُمَّ ثوبه ويكشف عن ساعد ذراعه المصاب: «ومع ذلك فلا يمكنك تفاديها أحيانًا».

اعترض (هارى) وهو يتقدم بسرعة حين رفع (دمبلدور) سكينه قائلاً: «أستاذ! سأقوم أنا بذلك، فأنا...».

لم يكن يعرف ماذا سيقول... أصغر سنًا، أنسب؟ لكن (دمبلدور) اكتفى بالابتسام. كان هناك وميض فضى وتوهج قرمزى، وامتلأ وجه الصخرة بنقط متلألئة داكنة.

قال (دمبلدور) وهو يمرر طرف عصاه السحرية على الجرح الغائر الذى أحدثه فى ذراعه فبرأ على الفور كما أبرأ (سناب) جروح (مالفوى): «أنت عطوف جدًّا يا (هارى)، لكن دمك أغلى من دمى. آه، يبدو أن هذه الحيلة نجحت، أليس كذلك؟».

كان الخط الفضى المتوهج المقوس قد ظهر على الجدار مرة أخرى، ولكنه لم يخفت هذه المرة، بل اختفت الصخرة التى رُشت بالدم داخله تاركةً وراءها فتحة وسط ظلام تام.

قال (دمبلدور): «اتبعنى»، ومشى عبر المدخل و(هارى) من ورائه مضيئًا عصاه السحرية أينما ذهب.

صدم أعينهما منظر مخيف، كانا واقفيْن على حافة بحيرة سوداء كبيرة كما أن (هارى) لم يتمكن من رؤية شطآنها البعيدة داخل مغارة عالية حتى أن سقفها أيضًا لم يكن مرئيًا. وسطع ضوء ضبابى يميل إلى الاخضرار من بعيد فيما بدا كأنه وسط البحيرة، وانعكس فى الماء الساكن تمامًا تحته. كان الوهج الأخضر والضوء الصادر عن العصوين السحريتين ـ الشيئين الوحيدين اللذين كسرا العتمة الحالكة، ولو أن شعاعهما لم يخترق المسافة التى توقعها (هارى)؛ كان الظلام أشد كثافة من الظلام المعتاد.

قال (دمبلدور) بهدوء: «هيا بنا نسير. حذارِ أن تخطو فى الماء. وابقَ قريبًا منِّى».

وانطلق حول حافة البحيرة وتبعه (هارى) على مسافة قريبة من ورائه. كان لوقْع أقدامهما صدًى يتردد على حافة الصخرة المحيطة بالماء، وظلا يسيران.. لكن المشهد ظل كما هو: جدار المغارة الصلب من جانب، وامتداد الظلام الكثيف اللانهائى من الجانب الآخر وفى وسطه ذلك الوهج الأخضر الغامض؛ كان المكان والصمت فى نظر (هارى) ثقيليْن مُقبضيْن ويثيران الأعصاب.

في النهاية قال: «أستاذ، أتعتقد أن قطعة الـ(هوركروكس) هنا؟».

قال (دمبلدور) «نعم، نعم، أنا على يقين من ذلك. السؤال هو كيف نصل إليها؟».

قال (هارى) وهو موقن أنه اقتراح أخرق، ولكنه كان أكثر رغبة فى الخروج من هذا المكان بأسرع ما يمكن: «ألا نستطيع... ألا نستطيع أن نجرب تعويذة استدعاء؟».

قال (دمبلدور) وقد توقف فجأة حتى إن (هارى) كاد يصطدم به: «طبعًا نستطيع، لمِ لا تقوم أنت بذلك؟».

«أنا؟ آه... لا بأس...».

لم يكن (هارى) يتوقع ذلك، ولكنه نقى حلقه وقال بصوت عال وهو رافع عصاه السحرية: «أسيو هوركروكس!».

بضجة أشبه بانفجار خرج من الماء المعتم شىء شاحب شديد الضخامة على بعد حوالى عشرين قدمًا منهما، وقبل أن يتمكن (هارى) من رؤية ما هو، كان قد اختفى مرة أخرى بارتطام حاد أحدث تموجات عميقة هائلة على السطح الأملس. قفز (هارى) إلى الوراء من الصدمة فاصطدم بالجدار؛ كان قلبه لايزال يرتعد حين التفت إلى (دمبلدور) وقال: «ما هذا؟».

«أظنه شيئًا مستعدًا للرد لو حاولنا الإمساك بقطعة الـ(هوركروكس)».

عاد (هارى) ينظر إلى سطح البحيرة الذى أصبح أشبه بمرآة سوداء ساطعة مرة أخرى، كانت التموجات قد اختفت بسرعة غير طبيعية، ومع ذلك ظل قلب (هارى) يخفق بشدة.

«هل كنتَ تظن أن هذا سيحدث يا سيدى؟».

«كنت أعرف أن شيئًا سيحدث لو حاولنا أن نضع يدنا على الـ(هوركروكس). كانت هذه فكرة بارعة جدًا يا (هارى)؛ أبسط طريقة لمعرفة ما نواجه».

قال (هاری) وهو ينظر إلى الماء الأملس الشرير: «لكننا لا ندرى ماذا كان هذا الشيء؟».

قال (دمبلدور): «تقصد ما الأشياء؟ أنا أشك فى أنها شيء واحد. هلا مشينا».

«أستاذ!».

«نعم يا (هاری)».

«هل تظن أننا سنضطر للنزول فى البحيرة؟».

«فيها؟ سيكون من قبيل سوء الحظ الشديد لو اضطررنا إلى ذلك».

«أنت لا تعتقد أن قطعة الـ(هوركروكس) فى القاع».

«لا.. أعتقد أنها فى الوسط».

وأشار (دمبلدور) نحو الضوء الضبابى الأخضر بوسط البحيرة:

«سنضطر إذن لعبور البحيرة لنصل إليها؟».

«نعم، أعتقد ذلك».

لم يقل (هارى) شيئًا؛ كانت كل أفكاره تنحصر فى وحوش الماء والأفاعى العملاقة والعفاريت وجان البحر والأشباح.

قال (دمبلدور) وقد توقف مرة أخرى: «آه»، وفى هذه المرة اصطدم به (هارى) فعلاً. وللحظة، زل على حافة الماء المعتم فقبضت يد (دمبلدور) السليمة على أعلى ذراعه بشدة وجذبته لأعلى: «أنا آسف يا (هارى)، كان علىَّ أن أنبهك. استند إلى الجدار من فضلك، أعتقد أننى عثرت على المكان».

لم تكن لدى (هارى) أية فكرة عما يقصده (دمبلدور)في فهذه البقعة من الشاطئ المظلم كانت كغيرها فى نظره، ولكن كان يبدو أن (دمبلدور) وجد فيها شيئًا مختلفًا؛ هذه المرة لم يكن يمر بيده على الجدار الصخرى، بل فى الهواء، كأنه يتوقع أن يعثر على شيء خفى ويقبض عليه.

قال (دمبلدور) بسعادة بعد لحظات: «آه». كانت يده قد قبضت على شيء وسط الهواء لم يتمكن (هارى) من رؤيته، ثم اقترب (دمبلدور) من الماء، وأخذ (هارى) يحدق متوترًا حين لامس طرفا حذاء (دمبلدور) الملتوى أقصى طرف الحافة الصخرية. أبقى (دمبلدور) يده مطبقة فى الهواء ورفع عصاه السحرية بالأخرى ونقر بطرفها على قبضته.

وعلى الفور، ظهرت فى الهواء سلسلة نحاسية خضراء سميكة تمتد من أعماق الماء إلى قبضة (دمبلدور). نقر (دمبلدور) على السلسلة فبدأت تنزلق من قبضته كالأفعى وتلتف حول نفسها على الأرض مُحدثةً صلصلة تردد صداها مدويًا على الجدران الصخرية، جاذبة وراءها شيئًا من أعماق الماء حالك السواد. وشهق (هارى) حين انشق السطح عن مقدمة شبح قارب صغير، متوهج بلون أخضر مثل السلسلة وطفا مُحدثًا موجة خفيفة اتجهت صوب المكان الذى يقف فيه (هارى) و(دمبلدور).

سأله (هارى) بدهشة: «كيف عرفتَ بوجوده؟».

قال (دمبلدور) بينما ارتطم القارب بالشاطئ ارتطامًا خفيفًا: «الساحر دائمًا يترك آثارًا تدل عليه؛ آثارًا ظاهرة جدًّا أحيانًا. أنا الذى علم (توم ريدل)، وأعرف أسلوبه».

«هل... هل هذا القارب آمن؟».

«نعم، أعتقد ذلك. كان على (فولدمورت) أن يخلق وسيلة يعبر بها البحيرة دون أن يجتذب نقمة المخلوقات التى وضعها بداخلها فى حالة ما إذا أراد يومًا أن يزور قطعة الـ(هوركروكس) الخاصة به أو أن ينقلها».

«إذن، فالأشياء التى فى الماء لن تفعل بنا شيئًا لو عبرنا فى قارب (فولدمورت)».

«أعتقد أن علينا أن نفترض أنها عند نقطة ما ستدرك أننا لسنا اللورد (فولدمورت)، لكننا نسير على ما يرام حتى الآن؛ فقد سمحت لنا بأن نرفع القارب».

فسأله (هارى) الذى لم يستطع منع نفسه من تصور مجسات تخرج من الماء المظلم بمجرد ابتعادهما عن الشاطئ واختفائه من مجال نظرهم: «ولكن لمّ سمحت لنا؟».

قال (دمبلدور): «أظن أن (فولدمورت) كان واثقًا من أنه لا أحد سوى ساحر عظيم جدًّا يمكنه العثور على القارب، وبالتالى كان مستعدًّا للمجازفة باحتمال وجود مثل هذا الساحر ومجيئه إلى هنا، وهو احتمال بدا له أبعد من أن يتحقق، خاصة أنه وضع عراقيل أخرى لن يتمكن غيره من اختراقها، سنرى إن كان ظنه صحيحًا».

نظر (هارى) فى القارب من أسفل، كان صغيرًا جدًّا.

«لا يبدو أنه قد صُنع لشخصيْن. فهل سيتحملنا معًا؟ هل سيكون وزننا ثقيلاً عليه؟».

فضحك (دمبلدور).

«لم يكن الوزن ليهم (فولدمورت)، بل يهمه مقدار القوة السحرية التى تعبر بحيرته. أظن أن هناك تعويذة سحرية ستكون فى قاربه بحيث لا يتمكن من الإبحار به إلا ساحر واحد فى المرة الواحدة».

«ولكن...».

«لا أظن أن وزنك يُحتسب يا (هارى)، فأنت قاصر وغير مؤهل. ما كان (فولدمورت) ليتوقع من صبى فى السادسة عشرة من عمره أن يصل إلى هذا المكان. أظن من المستبعد أن تُحتسب قواك مقارنةً بقواى».

لم تفلح هذه الكلمات فى رفع روح (هارى) المعنوية، ولعل (دمبلدور) أدرك ذلك؛ إذ أردف قائلاً: «إنه خطأ (فولدمورت) يا (هارى)، خطأ (فولدمورت).. يصبح كبر السن غباء وغفلة حين يبخس الشباب حقه.. والآن تفضل أنت أولاً هذه المرة وحذارِ أن تلمس الماء».

تـنـحَّـى (دمبلـدور) جـانـبًـا، وركب (هـارى) القـارب بـحـذر. ونـزل فيـه (دمبلدور) أيضًا والسلسلة تلف على الأرضية، وحُشرا معًا، فلم يتمكن (هـارى) من الجلوس بشكل مريح، ولكنه انثنى فصارت ركبتاه فوق حافة القارب الذى بدأ يتحرك على الفور. لم يكن ثَمَّ صوت سوى حفيف مقدمة القارب وهى تشق الماء، كان يتحرك دون عون منهما كأن حبالاً خفية تشده إلى الأمام نحو الضوء الأخضر وسط البحيرة. وسرعان ما اختفت جدران المغارة عن ناظريهما؛ كأنهما كانا فى بحر، إلا أنه بحر بلا أمواج.

نظر (هـارى) لأسفل فرأى انعكاس الضوء الذهبى لعصاه السحرية يتلألأ ويومض على صفحة الماء المعتم وهما يمران. كان القارب يُحدث تموجات عميقة على السطح الزجاجى كأنها أخاديد فى المرآة السوداء..

ثـم رآهـا (هـارى)، بـيـضـاء كـالـمـرمـر تـطـفـو عـلـى بـعـد بـوصـات تـحـت السطح.

قـال: «أستـاذ!» وتردد رجع صوتـه الخـائف عـاليًا فوق المـاء الصـامت.

«(هـارى)؟».

«أحسبنى رأيت يدًا فى المـاء؛ يدًا بشريـة».

قـال (دمبلدور) بـهدوء: «نعم، أنـا واثق أنك رأيتـهـا».

وحدق (هـارى) الماء من تحته يبحث عن اليد التى اختفت، وشعر بغثيان يتصاعد فى حلقه.

«هذا الشيء الذى قفز من المـاء.....».

لكن (هـارى) تلقى الرد قبل أن يجيبه (دمبلدور)، فكان ضوء العصا قد انزلق على بقعة جديدة من المـاء، فرأى هذه المرة رجلاً ميتًا مستلقيًا على ظهره على بُعد بوصات تحت السطح، عيناه المفتوحتان عليهما غشاوة تشبه نسيج العنكبوت، وشعره وثيابه يدوران حوله فى دوامة كالدخان.

قال (هارى) وكان صوته أعلى من المعتاد ومختلفًا جدًا عن صوته العادى: «توجد جثث هنا!».

قال (دمبلدور) بهدوء: «نعم، ولكن لا داعى للقلق منها الآن».

ردد (هارى) وقد تحول بعينيه عن الماء إلى (دمبلدور) وقال: «الآن؟».

قال (دمبلدور): «مادام كل ما تفعله هو أن تطفو فى سلام تحتنا، فالجثة ليس فيها ما يخيف يا (هارى)، كما أن الظلام ليس فيه ما يخيف. واللورد (فولدمورت) قد لا يتفق معى فى ذلك، فهو يحمل فى داخله خوفًا سريًا من كليهما ولكنه مرة أخرى يكشف عن افتقاره للحكمة. فكل ما نخشاه حين ننظر إلى الموت والظلام هو المجهول، ولا شيء أكثر من ذلك».

لم يقل (هارى) شيئًا؛ إذ لم يشأ أن يجادل، لكن فكرة وجود جثث طافية حولهما ومن تحتهما كانت مخيفة بالنسبة له، بل إنه لم يكن يصدق أنها لا تشكل خطرًا.

قال وهو يحاول أن يجعل صوته عاديًا وهادئًا كصوت (دمبلدور): «لكن واحدة منها قفزت... عندما حاولتُ أن أستدعى الـ(هوركروكس) قفزت جثة من البحيرة».

قال (دمبلدور): «نعم، أنا متأكد أننا بمجرد أن نأخذ الـ(هوركروكس) سنجدها أقل مسالمة. ومع ذلك، فهى كغيرها من المخلوقات التى تعيش فى الظلام والبرد، تخشى النور والدفء. ولسوف نستعين بهما لنجدتنا حين تستدعى الحاجة»، ثم أضاف وهو يبتسم ردًا على تعبير وجه (هارى) المحتار: «النار يا (هارى)».

قال (هارى) بسرعة: «آه... صحيح...». واستدار برأسه لينظر إلى الوهج الأخضر الذى كان القارب لايزال يبحر نحوه بعناد. لم يكن بإمكانه الآن أن يدعى أنه غير خائف؛ فقد جعلته البحيرة السوداء الشاسعة التى تعج بالموتى يشعر كأن ساعات طويلة مضت منذ أن

التقى بالأستاذة (تريلاوني)، ومنذ أن أعطى (رون) و(هرميون) الـ(فليكس فلسيس).. تمنى فجأة لو كان قد ودعهما وداعًا أفضل.. كما أنه لم يرَ (جيني)..

قال (دمبلدور) بمرح: «كدنا نصل».

أخيرًا بدا الضوء الأخضر كأنه يكبر، وفي غضون دقائق توقف القارب مرتطمًا بهدوء بشيء لم يتمكن (هاري) من رؤيته في البداية، ولكنه حين رفع عصاه السحرية المضيئة وجد أنهما وصلا إلى جزيرة صغيرة، صخورها مستوية بوسط البحيرة.

قال (دمبلدور) مرة أخرى بينما كان (هاري) خارجًا من القارب: «إياك أن تلمس الماء!».

لم تكن الجزيرة أكبر من مكتب (دمبلدور)، كانت عبارة عن امتداد حجري مستوٍ داكن لا شيء فوقه سوى مصدر ذلك الضوء الأخضر الذي بدا أكثر سطوعًا عندما شاهدوه عن قرب. حدق (هاري) إليه، ظنه في بادئ الأمر مصباحًا من نوع ما، لكنه وجد النور آتيًا من حوض حجري أشبه بـ(البنسيف) وضع على قاعدة.

اقترب (دمبلدور) من الحوض وتبعه (هاري)، ونظرا جنبًا إلى جنب إلى ما بداخله. كان الحوض مليئًا بسائل زمردي اللون ينبعث منه ذلك الوهج الفسفوري.

سأل (هاري) بهدوء قائلاً: «ما هذا؟».

قال (دمبلدور): «لا أعلم، لكنه شيء أكثر رهبة من الدم والجثث».

رفع (دمبلدور) كُمَّ ثوبه عن اليد المسودَّة، ومد أطراف أصابعه المحروقة نحو سطح السائل.

«سيدي، لا، لا تلمس...!».

قال (دمبلدور) بابتسامة شاحبة: «لا أستطيع أن ألمس، أترى؟ لا أستطيع أن أدنو أكثر من ذلك.. حاول أنت»، مد (هاري) يده في

الحوض وهو يحدق وحاول أن يلمس السائل؛ فاعترضه حاجز خفى منعه من الاقتراب منه لأكثر من بوصة. وكلما حاول أن يدفعه كانت أصابعه لا تجد إلا ما بدا كأنه هواء صلب غير مرن.

قال (دمبلدور): «تنحَّ جانبًا من فضلك يا (هارى)».

ورفع عصاه السحرية وأدى حركات معقدة فوق سطح السائل وهو يغمغم بلا صوت، ولم يحدث شىء عدا أن توهج السائل قليلاً. وظل (هارى) على صمته، بينما كان (دمبلدور) يعمل، ولكن بعد قليل سحب (دمبلدور) عصاه وأحس (هارى) بالأمان لأن يتكلم مرة أخرى.

«أتظن أن الـ(هوركروكس) فيه يا سيدى؟».

اقترب (دمبلدور) من الحوض وأمعن النظر داخله وقال: «نعم». ورأى (هارى) انعكاس وجهه مقلوبًا على سطح السائل الأخضر الأملس.

«ولكن كيف الوصول إليه؟ فهذا السائل يستحيل اختراقه باليد أو إخفاؤه أو شقه أو جرفه أو شفطه، كما أنه لا يمكن تغيير صورته أو سحره أو تغيير طبيعته».

ورفع (دمبلدور) عصاه السحرية مرة أخرى وهو شارد وأدارها مرة فى الهواء ثم أمسك بكأس بلورية استحضرها من العدم.

«كل ما يمكن أن أتوصل إليه هو أن هذا السائل يفترض أن يُشرب».

قال (هارى): «ماذا؟ لا!».

«نعم، أعتقد ذلك، فلا مجال لتفريغ الحوض ورؤية ما فى أعماقه إلا بشربه».

«ولكن ماذا لو... ماذا لو قتلك؟».

قال (دمبلدور) باستخفاف: «أشك فى أن يعمل على هذا النحو. فاللورد (فولدمورت) ما كان ليقتل من يصل إلى هذه الجزيرة».

لم يتمكن (هارى) من تصديق ذلك؛ فهل كان هذا ضمن إصرار (دمبلدور) الجنونى على رؤية الخير فى كل الناس؟

قال (هارى) وهو يحاول أن يبقى صوته هادئًا: «سيدى، سيدى، هذا (فولدمورت) الذى...».

صحح (دمبلدور) لنفسه وقال: «آسف يا (هارى)، كان ينبغى أن أقول إنه ما كان ليقتل على الفور من يصل إلى هذه الجزيرة. بل سيود أن يبقيه حيًّا؛ حتى يعرف كيف أفلح فى اختراق دفاعاته إلى هذا الحد، والأهم من ذلك سبب تصميمه على تفريغ الحوض. ولا تنسَ أن اللورد (فولدمورت) يظن أنه الوحيد الذى يعلم بوجود قطع الـ(هوركروكس) الخاصة به».

وحاول (هارى) أن يتكلم مرة أخرى، لكن (دمبلدور) رفع عصاه السحرية مشيرًا إليه بالسكوت هذه المرة وقطب قليلاً وهو يحدق إلى السائل الزمردى، كان واضحًا أنه يفكر بتركيز.

وفى النهاية قال: «لا شك أن هذا السائل يعمل بحيث يمنعنى من أخذ الـ(هوركروكس). قد يشلنى أو ينسينى سبب وجودى هنا أو يصيبنى بقدر من الألم يلهينى به أو يعجزنى بصورة ما غير ذلك. ومادام الحال كذلك يا (هارى) فستكون مهمتك أن تتأكد من أننى أظل أشرب حتى وإن اضطررتَ إلى سكب السائل فى فمى إن توقفت عن شربه، أتفهم؟».

والتقت عيناهما على الحوض، كان وجه كل منهما الشاحب يضيئه ذلك الوهج الأخضر الغريب. ولم ينطق (هارى) بكلمة. ألهذا دعى لهذه الرحلة حتى يرغم (دمبلدور) على تناول وصفة قد تتسبب له فى ألم لا يحتمل؟!

قال (دمبلدور): «هل تتذكر الشرط الذى أتيتُ بك عليه؟».

تردد (هارى) ونظر فى العينين الزرقاوين اللتين تحولتا إلى خضراوين فى النور المنعكس من الحوض.

«ولكن ماذا لو...؟».

«أنت أقسمتَ، أن تطيع أى أمر أصدره إليك أليس كذلك؟».

«بلى، ولكن...».

«أنا حذرتك من أنه قد يكون ثمَّ خطر، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «بلى، ولكن...».

قال (دمبلدور) وهو يهز كُميّه مرة أخرى ويرفع الكأس الفارغة: «حسنا، أنا أمرتك».

سأله (هارى) بنبرة يائسة: «لمَ لا أشرب أنا الوصفة بدلاً منك؟».

قال (دمبلدور): «لأننى أكبر منك عمرًا وأكثر منك براعة وأقل منك قيمة. لآخر مرة يا (هارى)، هل تعدنى بأن تفعل كل ما بوسعك؛ حتى لا أتوقف عن الشرب؟».

«أما يمكن...؟».

«أتعدنى؟».

«ولكن...».

«عدنى يا (هارى)».

«أنا... لا بأس، ولكن...».

وقبل أن يتمكن (هارى) من إبداء المزيد من الاعتراض، كان (دمبلدور) قد أنزل الكأس البلورية فى السائل. لجزء من الثانية، تمنى (هارى) ألا يتمكن من لمس السائل بالكأس، إلا أن البلور غاص فى السطح دون غيره، وعندما امتلأت الكأس إلى حافتها رفعها (دمبلدور) إلى فمه.

«فى صحتك يا (هارى)».

وتجرع الكأس، وظل (هارى) ينظر بهلعٍ ويده قابضة على حافة الحوض بشدة حتى خدرت أطراف أصابعه.

قال بقلق حين أنزل (دمبلدور) الكأس الفارغة: «أستاذ! ما شعورك؟».

هز (دمبلدور) رأسه مغمض العينين، وتساءل (هارى) عما إذا كان يتألم. وعاد (دمبلدور) وغمر الكأس فى الحوض بدون أن يفتح عينيه فامتلأت من جديد وتناولها.

تجرع (دمبلدور) ملء ثلاث كئوس من السائل فى صمت، ولكنه ترنح فى منتصف الكأس الرابعة ومال نحو الحوض. كانت عيناه لاتزالان مغمضتين وأنفاسه متثاقلة.

قال (هارى) ومد صوته: «أستاذ (دمبلدور)! هل تسمعنى؟».

لم يجبه (دمبلدور)، كان وجهه ينتفض كأنه مستغرق فى النوم ولكنه يرى رؤيا رهيبة. بدأت قبضته على الكأس ترتخى، وكاد السائل ينسكب منها؛ فتقدم (هارى) وأمسك بالكأس البلورية وعدلها.

وردد بصوت عال تردد رجْع صداه فى أرجاء المغارة: «أستاذ، هل تسمعنى؟».

شهق (دمبلدور)، ثم تكلم بصوت لم يعرفه (هارى)؛ إذ لم يسبق له أن سمع (دمبلدور) وهو خائف هكذا:

«لا أريد... لا ترغمنى...».

حدق (هارى) إلى الوجه الأبيض الذى كان يعرفه جيدًا وفى الأنف المعقوف والنظارة الهلالية الشكل ولم يعرف ماذا يفعل.

لوّح (دمبلدور) قائلاً: «... لا أود... أريد أن أتوقف...».

قال (هارى): «أنت... لا يمكن أن تتوقف يا أستاذ. يجب عليك أن تواصل الشرب، أتتذكر؟ أنت قلتَ لى إنك لابد أن تستمر فى الشرب، إليك...».

أعاد (هارى) الكأس إلى فم (دمبلدور) كارهًا نفسه ومستاءً مما يفعل، وسكبها فيه، فتجرع (دمبلدور) ما بقى فيها من السائل.

وتأوه حين أنزل (هارى) الكأس مرة أخرى فى الحوض وأعاد ملئها له وقال: «لا... لا أريد أن... لا أريد أن... دعنى أذهب...».

قال (هارى) ويداه ترتعشان: «لا بأس يا أستاذ، لا بأس، أنا معك...».

تأوه (دمبلدور) وقال: «أوقفه، أوقفه».

قال (هارى) كاذبًا: «نعم... نعم، هذا سيوقفه»، وسكب محتوى الكأس فى فم (دمبلدور) المفتوح.

صرخ (دمبلدور)، وتردد رجْع صوته فى أرجاء الحجرة الشاسعة فوق الماء الأسود الميت:

«لا، لا، لا... لا... لا أستطيع... لا أستطيع، لا ترغمنى، أنا لا أريد أن...».

قال (هارى) بصوت عالٍ ويداه ترتعشان حتى كاد يعجز عن ملء الكأس السادسة: «لا بأس يا أستاذ، لا بأس!» كان نصف الحوض وقتئذ فارغًا: «لا شىء يحدث لك، أنت فى أمان، هذا ليس حقيقيًا، أقسم لك بأن هذا ليس حقيقيًّا... تناول هذا الآن، خذ هذا...».

وتجرع (دمبلدور) بطاعة كأنه ترياق يقدمه له (هارى)، ولكنه جثا على ركبتيه وهو يتجرع الكأس وأخذ ينتفض لاإراديًّا:

«الذنب كله ذنبى، خطئى أنا، أرجوك أوقفه، أنا أعلم أننى أخطأتُ، آه، أرجوك أوقفه ولن أعود أبدًا أبدًا...».

قال (هارى) بصوت متقطع وهو يسكب الكأس السابعة من السائل فى فم (دمبلدور): «هذا سيوقفه يا أستاذ».

وبدأ (دمبلدور) ينكمش كأن عذابًا خفيًّا يحيط به، وكادت يده توقع الكأس المترعة فى يدى (هارى) المرتعشتين وهو ينوح قائلاً: «لا تؤذهم، لا تؤذهم، أرجوك، أرجوك، الذنب ذنبى، ائذنى أنا بدلاً منهم...».

قال (هارى) يائسًا: «إليك، اشرب هذا، اشرب هذا، ستكون على ما يرام»، ومرة أخرى أطاعه (دمبلدور) فاغرًا فمه، مغمضًا عينيه بينما يرتعد من رأسه إلى قدميه، ثم سقط إلى الأمام وأخذ يصرخ مرة أخرى ويضرب الأرض بقبضتيه، بينما كان (هارى) يملأ الكأس الثامنة.

«أرجوك، أرجوك، أرجوك، لا.. ليس هذا، ليس هذا، سأفعل أى شىء...».

«اشرب يا أستاذ، اشرب...».

وتجرع (دمبلدور) كأنه طفل يكاد يموت عطشًا، ولكنه حين انتهى أخذ يصيح من جديد كأن نارًا تستعر فى جوفه:

«كفى، أرجوك، كفى...».

وسكب (هارى) كأسًا تاسعة من السائل وأحس أن البلور يحك فى قاع الحوض:

«كدنا ننتهى يا أستاذ، اشرب هذا، اشرب هذا...».

وسند منكبى (دمبلدور) ومرة أخرى تجرع (دمبلدور) الكأس، ونهض (هارى) مرة أخرى وأعاد ملء الكأس، بينما بدأ (دمبلدور) يصرخ بألم أكبر مما سبق قائلاً: «أريد أن أموت! أريد أن أموت! أوقفه، أوقفه، أريد أن أموت!».

«اشرب هذا يا أستاذ، اشرب هذا...».

وتجرع (دمبلدور)، وما إن انتهى حتى صاح قائلاً: «اقتلنى!».

قال (هارى) وهو يلهث: «هذا... هذا سيقتلك! اشرب هذا... وسينتهى الأمر... سينتهى!».

تجرع (دمبلدور) الكأس وبلع كل نقطة فيها، ثم تمدد على وجهه وشهق شهقة عظيمة.

فصاح (هارى) قائلاً: «لا...» كان قد نهض ليملأ الكأس من جديد، فأسقط الكأس فى الحوض واندفع لأسفل بجانب (دمبلدور) وطرحه على ظهره، فاعوجت نظارة (دمبلدور) وكان فمه مفتوحًا وعيناه مغمضتيْن. فقال (هارى) وهو يهز (دمبلدور): «لا، لا، إنك لست ميتا، أنت قلتَ إنه ليس سُمًا، استيقظ، استيقظ...»، ثم صاح قائلاً: «رينرفاتِ!» مصوبًا عصاه إلى صدر (دمبلدور)، فظهرت ومضة ضوء أحمر ولكن لم يحدث شىء.

«رينرفات... سيدى... أرجوك...».

رفرفت أهداب (دمبلدور) وخفق قلب (هارى):

«أستاذ، أنت...».

همس (دمبلدور) قائلاً: «أريد ماء».

قال (هارى) وهو يلهث: «ماء... نعم...».

وقفز على قدميه وأمسك بالكأس التى وقعت فى الحوض وكادت تلمس القلادة الذهبية الملفوفة تحته.

صاح (هارى) وهو ينقر الكأس بعصاه قائلاً: «أجوامنتى!».

وامتلأت الكأس بماء زلال، ثم جثا (هارى) على ركبتيه بجانب (دمبلدور) ورفع رأسه وقرّب الكأس من شفتيه.. لكنها كانت فارغة، فتأوه (دمبلدور) وبدأ يلهث.

قال (هارى) مرة أخرى مصوبًا عصاه إلى الكأس: «ولكن كان لدىَّ بعض... انتظر... أجوامنتى!»، ومرة أخرى ومض الماء الزلال فيها، ولكن ما إن قربه من فم (دمبلدور) حتى اختفى الماء من جديد.

قال (هارى) بيأس: «سيدى، أنا أحاول، أنا أحاول!»، ولكنه لم يحسب أن (دمبلدور) يسمعه، كان قد تكور على جنبه وأخذ يشهق مستنشقًا الهواء بصعوبة بصوت مبرح وكرر (هارى): «أجوامنتى - أجوامنتى - أجوامنتى!».

فامتلأت الكأس وفرغت مرة أخرى. وأخذت أنفاس (دمبلدور) تخفت. فأخذ عقل (هارى) يفكر بذعر، وأدرك بالغريزة السبيل الوحيد الباقى لإحضار الماء؛ لأن (فولدمورت) هكذا خطط لها...

فاندفع إلى حافة الصخرة وغمر الكأس فى البحيرة وخرج بها مترعة إلى حافتها بماء مثلجٍ لم يختفِ.

صاح (هارى) قائلاً: «سيدى... ها هو!»، ومال إلى الأمام قليلاً فسكب الماء على وجه (دمبلدور).

كان هذا أفضل ما يستطيعه، فالإحساس بالتجمد فى ذراعه التى لا يمسك بها الكأس لم تكن بسبب برودة الماء. كانت هناك يد بيضاء قذرة قابضة على رسغه وأخذ المخلوق الذى تنتمى إليه يشده ببطء إلى الوراء عبر الصخرة. لم يعد سطح البحيرة أملس كالمرآة، بل أخذ يزبد، وحيثما نظر (هارى) وجد رءوسًا وأيادى تخرج من الماء القاتم؛ رجالاً ونساء وأطفالاً بعيون غائرة لا تبصر، أخذوا يتحركون نحو الصخرة؛ جيشًا من الموتى بُعث من الماء الأسود.

صاح (هارى) قائلاً: «بتريفيكوس توتالوس!» وهو يحاول جاهدًا التشبث بسطح الجزيرة الأملس المبلل وصوب عصاه السحرية نحو الجثة المتشبثة بذراعه، فأفلتها وسقط إلى الخلف فى الماء مُحدثًا تناثرًا للماء. فنهض (هارى) على قدميه، لكن المزيد من (الأنفيرى) أخذوا يتسلقون الصخرة وينشبون أياديهم الهزيلة فى سطحها الأملس. كانت لهم وجوه غائرة وعيون خاوية متجمدة مركزة عليه، بينما يجرون وراءهم أسمالاً مبللة.

صاح (هارى) مرة أخرى قائلاً: «بتريفيكوس توتالوس!» وهو يتراجع ويضرب بعصاه السحرية الهواء؛ فانهار ستة منهم أو سبعة، إلا أن المزيد منهم أخذوا يتقدمون نحوه: «إمبيديمنتا! إنكارسيروس!».

تعثر بعضهم، ولُفت الحبال حول واحد أو اثنين منهم، أما من كانوا يتسلقون الصخرة من ورائهم فقد داسوا على الجثث التى سقطت أو عبروا فوقها. وصاح (هارى) وهو لايزال يضرب بعصاه الهواء قائلاً: «سيكتو مسيمبرا! سيكتو مسيمبرا!».

ولكن على الرغم من ظهور حروق فى أسمالهم المشبعة بالماء وجلودهم الباردة فلم يكن لديهم دم ينزفونه، وواصلوا السير دون شعور وأيديهم المنكمشة ممتدة نحوه، وبينما كان يتراجع مبتعدًا أحس بأذرع تطوقه من الخلف؛ أذرع نحيلة عجفاء باردة كالموت، وارتفعت

قدماه عن الأرض وحملته الأذرع عائدة به إلى الماء ببطء لكن بثبات، وأدرك أنه لا خلاص له، وأنه غارق لا محالة ليصبح حارسًا ميتًا آخر لقطعة من روح (فولدمورت) المفتتة.

ولكن من وسط الظلام اشتعلت نار قرمزية وذهبية؛ حلقة من النار أحاطت بالصخرة فتعثرت (الأنفيرى) الممسكة بـ(هارى) بشدة وترنحت، ولم تجرؤ على اجتياز اللهب لتنزل الماء. فأسقطت (هارى)، الذى خبطت قدماه الأرض فانزلق على الصخرة الملساء وسقط، واحتكّت ذراعاه بالأرض، ولكنه أسرع واقفًا مرة أخرى، رافعًا عصاه السحرية وهو يحدق حوله.

كان (دمبلدور) قد نهض على قدميه من جديد، وكان لا يقل شحوبًا عن (الأنفيرى) المحيطة بهم ولكنه أطول من أى منها، وكانت النار ترقص فى عينيه، وقد ارتفعت عصاه السحرية كشعلة ومن طرفها خرجت ألسنة النار كأنها حبل صيد يلفهم بالدفء.

تكالبت (الأنفيرى) وتصادمت بعضها ببعض؛ محاولة الفرار من النار التى أحاطت بها..

وأمسك (دمبلدور) القلادة من قاع الحوض الحجرى ودسها فى ثوبه، وأشار إلى (هارى) بلا كلمات بأن يأتى بجانبه. وبدت (الأنفيرى) غير مدركة أن طريدتها راحلة؛ إذ اقتاد (دمبلدور) (هارى) نحو القارب ودائرة النار تتحرك معهما ومن حولهما (الأنفيرى) المرتبكة ترافقهما إلى حافة الماء حيث انزلقت شاكرة وعادت إلى مائها الأسود.

فكر (هارى) وهو يرتعش من رأسه إلى قدميه للحظة فى أن (دمبلدور) قد لا يتمكن من التسلق إلى داخل القارب فقد ترنح قليلاً وهو يحاول، واتجهت كل جهوده إلى الحفاظ على حلقة اللهب الوقائية حولهما. وأمسك (هارى) به وأعانه حتى عاد إلى مقعده. وما إن أصبح كلاهما فى أمان وانحشرا معًا حتى بدأ القارب يتحرك عائدًا عبر الماء الأسود

مبتعدًا عن الصخرة، ولاتزال حلقة النار محيطة به، وبدا أن (الأنفيرى) المحتشدة من تحتهما لم تجرؤ على الخروج إلى السطح.

قال (هارى) وهو يلهث: «سيدى، سيدى، نسيتُ.. النار.. تكالبوا جميعًا علىَّ فخفت..».

غمغم (دمبلدور) قائلاً: «مفهوم تمامًا»، وانتبه (هارى) إلى مدى ضعف صوته.

بلغا الشاطئ بارتطام خفيف وقفز (هارى) خارج القارب، ثم استدار بسرعة؛ ليساعد (دمبلدور). وفى اللحظة التى صعد فيها (دمبلدور) إلى الشاطئ أنزل يده التى تمسك بالعصا السحرية فاختفت دائرة النار، إلا أن (الأنفيرى) لم تخرج مرة أخرى من الماء. وغاص القارب الصغير فى الماء من جديد مقعقعًا ومحدثًا رنينًا وانزلقت سلسلته وعادت إلى البحيرة أيضًا، فأطلق (دمبلدور) تنهيدة عظيمة واستند إلى جدار الكهف.

قال: «أشعر بالضعف...».

فقال (هارى) على الفور بجزع على امتقاع (دمبلدور) الشديد وإعيائه الحاد:

«لا تقلق يا سيدى، لا تقلق، سنعود... استند إلىَّ يا سيدى».

وجذب ذراع (دمبلدور) السليمة حول كتفيه وأخذه حول البحيرة حاملاً معظم وزنه.

قال (دمبلدور) بإعياء: «الحماية كانت... على كل حال... جيدة التصميم، لم يكن لأحد أن يقوم بذلك وحده... أحسنتَ، أحسنتَ يا (هارى)...».

قال (هارى) وهو خائف من تثاقل صوت (دمبلدور) وقدميه: «لا تتكلم الآن، وفر مجهودك يا سيدى... سنخرج من هنا حالاً...».

«الممر سيكون قد أوصد من جديد... السكين...».

قال (هارى) بحزم: «لا داعى لها، أصبتُ بجرح على الصخرة، فقط قل لى أين...؟».

«هنا...».

مسح (هارى) ساعده المجروح على الحجر فانفتح الباب على الفور بعد أن حصل على الإتاوة التى يريدها من الدماء.

عبرا الكهف الخارجى وساعد (هارى) (دمبلدور) فى العودة إلى ماء البحر المثلج الذى ملأ الصدع داخل الجرف.

أخذ (هارى) يكرر وهو شديد القلق من صمت (دمبلدور) أكثر من قلقه على ضعف صوته: «لقد وصلنا تقريبًا، سيكون الأمر على ما يرام يا سيدى، أستطيع أنِ أنتقل آنيًا لنعود نحن الاثنان... لا تقلق...».

قال (دمبلدور) وصوته أقوى بعض الشىء على الرغم من الماء المثلج: «لست قلقًا يا (هارى)، فأنا معك».

■ ■ ■

٢٧ البرج الذى ضربته الصاعقة

ما إن عادا تحت السماء ذات النجوم حتى طرح (هارى) (دمبلدور) فوق أقرب صخرة، ثم نهض على قدميه. كان مبللاً ويرتعش ولايزال يشعر بوزن (دمبلدور) فوقه، وأخذ يفكر بتركيز أكبر من أى وقت مضى على وجهته؛ أى (هوجسميد)؛ فأغمض عينيه وقبض على ذراع (دمبلدور) بكل قوته، ثم تقدم للإمام وبدأ يشعر بذلك الضغط الرهيب.

عرف أنه نجح قبل أن يفتح عينيه، فقد زالت رائحة الملح ونسيم البحر. وكان هو و(دمبلدور) يرتجفان ويقطران ماءً وسط الطريق المظلم فى (هوجسميد). ومرت لحظة مخيفة تخيل فيها (هارى) المزيد من (الأنفيرى) تزحف نحوه على جوانب الحوانيت، إلا أنه أغمض عينيه وفتحهما ورأى أن لا شىء يتحرك؛ كل شىء كان ساكنًا، والظلام تام لا ينيره إلا القليل من مصابيح الشوارع والنوافذ العلوية المضاءة.

همس (هارى) بمشقة قائلاً: «نجحنا يا أستاذ!»؛ وأدرك فجأة أن لديه ألمًا مبرحًا فى صدره. «نجحنا! حصلنا على الـ(هوركروكس)!»

ترنح (دمبلدور) ومال عليه. وظن (هارى) للحظة أن انتقاله آنيًا بصورة غير ماهرة قد أخل بتوازن (دمبلدور)؛ ثم رأى وجهه أكثر شحوبًا ووهنًا من أى وقت مضى فى الضوء البعيد لأحد مصابيح الشوارع.

«سيدى، هل أنت بخير؟».

قال (دمبلدور) بضعفٍ - ولو أن طرفى فمه كانا يرتعشان: «ليس تمامًا؛ ذلك السائل، لم يكن شرابًا صحيًا».

وسيطر الخوف على (هارى) حين سقط (دمبلدور) على الأرض. «سيدى، لا بأس يا سيدى، ستكون بخير، لا تقلق». وتلفت حوله بيأس التماسًا للعون، ولكن لم يكن هناك أحد، وكان كل ما جال بخاطره أن عليه أن ينقل (دمبلدور) إلى جناح المستشفى على وجه السرعة.

«لابد أن أصل بك إلى المدرسة يا سيدى.. مدام (بومفرى)...».

قال (دمبلدور): «لا، أنا بحاجة للأستاذ (سناب)... ولكننى لا أظن أن بوسعى المشى لمسافة بعيدة بعد...».

«لا بأس يا سيدى، اسمع.. سأطرق أى باب وأجد لك مكانًا تمكث به... ثم أسرع وآتى بمدام...».

قال (دمبلدور) بوضوح: «(سيفيروس)، أحتاج إلى (سيفيروس)...».

«لا بأس إذن، (سناب)... ولكننى بحاجة لأن أتركك للحظة حتى أتمكن...». ولكن قبل أن يأتى (هارى) بأية حركة سمع وقع أقدام تركض؛ خفق قلبه، هناك من رآهما، وأدرك أنهما بحاجة للعون، وتلفَّت فرأى مدام (روزمرتا) تهرع نحوهما فى الشارع المظلم بخُفٍّ عالى الكعبين، فوقه زغب، وترتدى فستانًا حريريًّا مطرزا بصور تنينات.

«رأيتكما تظهران وأنا أسدل ستائر غرفة نومى! الحمد لله، الحمد لله، لم أتمكن من... ولكن ما خطب (ألباس)؟».

توقفت وأخذت تلهث وحدقت لأسفل باتساع عينيها إلى (دمبلدور).

قال (هارى): «إنه مصاب، يا مدام (روزمرتا)، هل يمكن له أن يمكث فى حانة المكانس الثلاث إلى أن أذهب إلى المدرسة وآتى بالعون له؟».

«لا تستطيع أن تذهب هناك وحدك! ألا تدرك... ألم تر...؟».

قال (هارى) وهو غير مُصغٍ إليها: «لو ساعدتِنى فى حمله سأستطيع أن أصل به للداخل...».

سألها (دمبلدور): «ماذا جرى يا (روزمرتا)؟ ما الخطب؟».

«عـ... علامة الظلام يا (ألباس)».

ثم أشارت إلى السماء فى اتجاه (هوجوورتس). غمر الخوف (هارى) لوقْع كلماتها.. فالتفت ونظر.

كانت هناك، معلقة فى السماء فوق المدرسة: الجمجمة الخضراء المتوهجة بلسانها الأفعوانى، العلامة التى يتركها (آكلو الموت) وراءهم كلما دخلوا مبنى... كلما قتلوا..

سألها (دمبلدور) وقبض بيده على كتف (هارى) وهو يحاول بألم أن يقف على قدميه: «متى ظهرت؟».

«منذ دقائق، لم تكن هناك حين أخرجتُ القطة، ولكن حين صعدت الدرج...».

قال (دمبلدور): «لابد أن نعود إلى القلعة فورًا». ومع أنه ترنح قليلاً إلا أنه بدا مسيطرًا على الموقف تمامًا وأضاف: «نحن بحاجة لوسيلة مواصلات يا(روزمرتا)؛ مكانس...».

قالت وقد بدا عليها الفزع: «لدىَّ اثنتان خلف البار. فهل أسرع وآتى بهما...؟».

«لا، (هارى) يستطيع أن يقوم بذلك».

فرفع (هارى) عصاه السحرية على الفور.

«أحضروا مكانس (روزمرتا)».

وبعد لحظة، سمعوا صوتًا مدويًا بينما انفتح باب الحانة؛ واندفعت مكنستان إلى الشارع وتسابقتا نحو (هارى) حيث توقفتا تهتزان قليلاً بارتفاع الخصر.

قال (دمبلدور) وهو يركب المكنسة الأقرب إليه: «(روزمرتا)، من فضلك ابعثى رسالة إلى الوزارة، فلعل أحدًا داخل (هوجوورتس) لم يدرك الأمر بعد.. (هارى)، ارتدِ عباءة الإخفاء».

أخرج (هاري) عباءته من جيبه وألقاها على نفسه قبل أن يركب المكنسة، وكانت مدام (روزمرتا) قد مشت تتمايل عائدة إلى حانتها بينما انطلق (هاري) و(دمبلدور) من الأرض وارتفعا في الهواء. وبينما كانا يسرعان نحو القلعة أبقى (هاري) نظره بجانبه على (دمبلدور)؛ استعدادًا لشدِّه إن سقط، إلا أن مرأى العلامة السوداء كان له تأثير منشط على (دمبلدور)؛ كان منحنيًا على مكنسته وعيناه على العلامة، وشعره الفضي المسترسل ولحيته يطيران وراءه في هواء الليل. وكان (هاري) أيضًا ينظر أمامه إلى الجمجمة، بينما الخوف يتنامى بداخله كفقاعة سامة تضغط على رئتيه طاردةً عن ذهنه أي شعور آخر بالقلق..

كم طالت غيبتهما؟ وهل تخلَّى الحظ عن (رون) و(هرميون) و(جيني) بعد؟ هل كان موت أحدهم هو سبب ظهور العلامة فوق المدرسة، أم هو (نيفيل) أو (لونا)، أو أنه عضو آخر من أعضاء جيش (دمبلدور)؟ ولو كان... فإنه هو الذي قال لهم أن يراقبوا الدهاليز، وطلب منهم أن يتخلوا عن أمان أسرتهم.. هل سيكون مسئولاً مرة أخرى عن موت أحد أصدقائه؟

وبينما كانا يحلقان في الظلام فوق الطريق الذي كانا يمشيانه منذ قليل، بلغ أذن (هاري) مع صفير هواء الليل غمغمة (دمبلدور) بلغة غريبة مرة أخرى؛ فظن أنه فهم سبب إحساسه باهتزاز مكنسته للحظة حين حلقًا فوق السور نحو الملاعب، كان (دمبلدور) يحل السحر الذي وضعه هو نفسه حول القلعة؛ حتى يتمكنا من الدخول بسرعة. كانت علامة الظلام تتلألأ مباشرةً فوق برج الفلك وهو أعلى نقطة بالقلعة.. هل هذا يعني أن هناك حالة قتل حدثت؟

كان (دمبلدور) قد اجتاز أسوار البرج ذات الشرفات وأخذ يهبط، وهبط (هاري) بجانبه بعد لحظات وأخذ يتلفت.

كانت الأسوار مهجورة، وكان الدرج الحلزوني المؤدي إلى القلعة موصدًا.. لم تكن ثمة علامة لقتال أو شِجار حتى الموت، أو لجثة.

سأل (هـارى) (دمبلدور) وهـو ينظر لأعلى إلى الجمجمة الخضراء بلسانها الأفعوانى الذى يتلألأ بصورة شريرة فوقهما وقال: «ماذا تعنى؟ هل العلامة الحقيقية؟ هل هناك أحد... يا أستاذ؟».

رأى (هـارى) (دمبلدور) يقبض على صدره بيده الذابلة فى الوهج الأخضر الباهت الصادر عن العلامة.

قال (دمبلدور) بإعياء ولكن بوضوح: «اذهب وأيقظ (سيفيروس)، قُص عليه ما حدث وائتِ به إلىَّ. لا تفعل أكثر من ذلك، ولا تتكلم مع أحد غيره ولا تخلع عباءتك، وسأنتظر هنا».

«ولكن...».

«أنت أقسمتَ أن تطيعنى يا (هارى)... اذهب!».

أسرع (هـارى) إلى الباب المفضى إلى السلم الحلزونى، ولكن لم تكد يده تمسك بحلقة الباب الحديدية حتى سمع وقْع أقدام تركض على الجانب الآخر؛ فالتفت إلى (دمبلدور) فأشار إليه بأن يتراجع؛ فابتعد (هارى) ساحبًا عصاه السحرية.

وانفتح الباب بصوت مدوٍّ واندفع منه أحدهم وصاح قائلاً «إكسبليارموس!».

تجمد جسد (هارى) على الفور وتسمَّر فى مكانه وأحس بأنه يتراجع فى اتجاه جدار البرج؛ كأنه تمثال غير ثابت، عاجزًا عن الحركة أو الكلام. ولم يستطع أن يفهم كيف حدث ذلك، فتعويذة «إكسبليارموس» ليست تعويذة تجميد.

ثم رأى (هارى) على ضوء العلامة عصا (دمبلدور) تطير على شكل قوس فوق حافة الأسوار، وفهم.. كان (دمبلدور) قد رمى عليه تعويذة التجميد بدون نطقها، واللحظة التى استغرقته حتى يؤدى التعويذة كلفته فرصة الدفاع عن نفسه.

كان (دمبلدور) يقف أمام الأسوار بوجه شاحب جدًّا، ولايزال لا تبدو عليه أى من أمارات الخوف أو الضيق. بل اكتفى بأن نظر إلى من نزع منه عصاه وقال: «مساء الخير يا (دراكو)».

تقدم (مالفوى) وتلفت حوله على عجل؛ ليتأكد من أنه هو و(دمبلدور) وحدهما، ووقعت عيناه على المكنسة الثانية.

«مَن غيرك هنا؟».

«هذا سؤال أطرحه أنا عليك. أم تراك تعمل وحدك؟».

ورأى (هارى) عينِى (مالفوى) الشاحبتين تتحولان عائدتيْن إلى (دمبلدور) فى وهج العلامة الأخضر.

قال: «لا، معى من يدعمنى. (آكلو الموت) هنا فى مدرستك الليلة».

قال (دمبلدور) كأن (مالفوى) يعرض عليه مشروعًا مدرسيًّا طموحًا: «حسنًا حسنًا، جيد جدًّا فعلاً. وجدتَ طريقة لإدخالهم، أليس كذلك؟».

قال (مالفوى) وهو يلهث: «بلى، تحت أنفك مباشرةً ودون أن تدرى!».

قال (دمبلدور): «منتهى البراعة، ولكن... لا تؤاخذنى... أين هم الآن؟ يبدو أنك بلا دعم يساندك».

«قابلهم بعض من حرسك. وهم منشغلون بالقتال بأسفل. لن يتأخروا... أنا سبقتهم. فأنا... لدىَّ عمل أؤديه».

قال (دمبلدور) برقة: «حسنًا إذن، لابد أن تمضى وتؤديه يا ولدى العزيز».

وساد الصمت. وقف (هارى) حبيسًا فى جسده الخفى مشلول الحركة يحدق فى إليهما، وأذناه تجاهدان؛ حتى تسمعا أصوات قتال (آكلى الموت) من بعيد، وأمامه (دراكو مالفوى) لا يفعل شيئًا سوى أن يحدق إلى (ألباس دمبلدور) الذى ـ وياللغرابة ـ كان مبتسمًا!

«(دراكو)، (دراكو) إنك لستَ قاتلاً».

فأجابه (مالفوى) على الفور: «ما أدراك؟». ويبدو أنه أدرك كم كانت كلماته تنمُّ عن طفولية ساذجة؛ فقد رأى (هارى) وجهه يحمر فى ضوء العلامة الأخضر.

قال (مالفوى) بحزم أكبر: «أنت لا تعلم ما أستطيع فعله؛ أنت لا تعلم ما فعلتُ!».

قال (دمبلدور) بصوت معتدل: «لا، بل أعلم. كدتَ تقتل (كاتى بيل) و(رونالد ويسلى). كنتَ تحاول يائسًا أن تقتلنى طوال السنة. لا تؤاخذنى يا (دراكو)، ولكنها كانت محاولات واهنة... واهنة لدرجة دفعتنى للتساؤل عما إذا كنتَ متحمسًا فعلاً فيها...».

قال (مالفوى) بحدة: «كنتُ متحمسًا! ظللتُ أعمل جاهدًا عليها طوال السنة، والليلة...».

فى مكان ما فى أعماق القلعة بأسفل، سمع (هارى) صرخة مخنوقة. تيبس (مالفوى) ونظر من فوق كتفه.

قال (دمبلدور): «هناك من يخوض قتالاً جيدًا. لكنك كنتَ تقول... نعم، أفلحتَ فى إدخال (آكلى الموت) مدرستى وهو ما أعترف بأننى ظننته مستحيلاً... فكيف فعلتَ ذلك؟».

لكن (مالفوى) لم يُجبه، كان لايزال مُصغيًا لما كان يحدث بأسفل، وبدا مشلول الحركة مثل (هارى).

قال (دمبلدور): «ربما ينبغى لك أن تواصل العملية وحدك. فماذا لو اعترض حرسى أتباعك؟ كما أن بعض أعضاء جماعة العنقاء موجودون هنا الليلة أيضًا، لعلك أدركتَ ذلك. وعلى أية حال، فأنت لستَ بحاجة للعون... فليس معى عصا سحرية الآن... ولا أستطيع أن أدافع عن نفسى».

اكتفى (مالفوى) بأن حدق به.

قال (دمبلدور) بود حين وجد أن (مالفوى) لا يتحرك ولا يتكلم: «فهمتُ، أنت تخاف أن تتصرف إلا حين ينضمون إليك».

زمجر (مالفوى) مع أنه لايزال لم يأتِ بحركة لإيذاء (دمبلدور) وقال: «أنا لست خائفًا! أنت الذى يجب أن يخاف!».

«ولكن لمَ؟ لا أظن أنك ستقتلنى يا (دراكو). فالقتل ليس سهلاً كما يظن الأبرياء.. قل لى إذن بينما نحن فى انتظار رفاقك... كيف أدخلتهم إلى هنا؟ يبدو أنك قضيتَ وقتًا طويلاً حتى توصلت إلى كيفية القيام بذلك».

بدا (مالفوى) كما لو أنه كان يقاوم رغبة فى الصياح أو القىء. بلع ريقه واستنشق عدةِ أنفاس عميقة وهو يحدق إلى (دمبلدور)، بينما يصوب عصاه السحرية إلى قلبه مباشرةً، وقال كأنه مضطر لذلك: «كان علىَّ أن أصلح خزانة الاختفاء المعطلة التى لم يستعملها أحد منذ سنين؛ الخزانة التى تاه فيها (مونتاجيو) السنة الماضية».

«آه...».

كانت تنهيدة (دمبلدور) نصفها تأوه من الألم، وأغمض عينيه للحظة. «منتهى البراعة.. هناك زوج منها على ما أظن؟».

قال (مالفوى): «الأخرى فى (بورجين وبوركس)، وهناك ما يشبه الممر بينهما. أبلغنى (مونتاجيو) أنه حين علق بخزانة (هوجوورتس) حُبس فى البرزخ بينهما ولكنه كان أحيانًا يسمع ما يجرى بالمدرسة، وأحيانًا أخرى ما يحدث بالحانوت كأن الخزانة تتنقل بينهما، ولكنه لم يكن يستطيع أن يجعل أحدًا يسمعه.. وفى النهاية، أفلح فى الانتقال آنيًّا إلى خارجها مع أنه لم يكن وقتها قد نجح فى اجتياز امتحان الانتقال الآنى بعد، وكاد يلقى حتْفه وهو يقوم بذلك. واعتبرها الكل حكاية مسلّيَة فعلاً، ولكننى كنت الوحيد الذى أدرك مغزاها ـ حتى (بورجين) لم يعرف ـ كنت الوحيد الذى أدرك احتمال وجود طريق إلى داخل (هوجوورتس) عبر الخزانتين لو تم إصلاح المعطلة منهما».

غمغم (دمبلدور) قائلاً: «جيد جدًا. وهكذا تمكن (آكلو الموت) من العبور من (بورجين وبوركس) إلى داخل المدرسة لنجدتك.. خطة بارعة؛ خطة فى غاية البراعة... وتحت أنفى كما تقول...».

قال (مالفوى) وقد بدا من الغريب أنه يستمد الشجاعة والطمأنينة من ثناء (دمبلدور) عليه: «نعم، نعم، هو كذلك!».

واصل (دمبلدور) قائلاً: «ولكن جاء عليك وقت لم تكن موقنًا فيه أنك ستفلح فى إصلاح الخزانة؛ فلجأتَ لأفعال ساذجة غير محسوبة؛ كإرسالك إلىَّ عقدًا ملعونًا وصل إلى يد غيرى، وشرابًا مسمومًا كانت فرص تناولى إياه شبه معدومة...».

نخر (مالفوى) وقال: «نعم، ولكنك لم تدرك من كان وراء هذه الأشياء، أليس كذلك؟» فى هذه الأثناء انزلق (دمبلدور) قليلاً أسفل الأسوار، وقد بدأت قوة ساقيه تخور، وظل (هارى) يقاوم التعويذة التى تقيده دون جدوى.

قال (دمبلدور): «فى الحقيقة أدركتُ، كنتُ موقنًا أنه أنت».

فسأله (مالفوى): «لِمَ لَمْ تمنعنى إذن؟».

«حاولتُ يا (دراكو)، كان الأستاذ (سناب) يراقبك بأوامر منى».

«هو لا يتبع أوامرك، فقد وعد أمى...».

«طبعًا هذا ما كان سيقوله لك يا (دراكو)، ولكن...».

«هو عميل مزدوج، أيها الشيخ الخرف، هو لا يعمل لصالحك، أنت تتخيل ذلك!».

«لابد أن نتفق على أننا نختلف حول ذلك يا (دراكو). فالحقيقة أننى أثق فى الأستاذ (سناب)».

نخر (مالفوى) وقال: «حسنًا، خرجت الأمور عن سيطرتك إذن! فقد كان يعرض علىَّ الكثير من العون - يريد المجد كله لنفسه - يريد نصيبًا من العملية. «ما الذى تفعله؟ هل كنت وراء موضوع العقد؟ كان هذا

سخفًا، كان يمكن أن تدمر كل شيء...» ولكننى لم أخبره بما أعمل بغرفة الاحتياجات، سيستيقظ غدًا ويجد كل شيء منتهيًا، ولن يكون الأثير عند سيد الظلام بعدها. سيكون لا شيء مقارنةً بى، لا شيء!»».

قال (دمبلدور) بصوت معتدل: «معقول جدًّا. فكلنا نحب أن يلقَى جهدنا التقدير طبعًا... ولكن لابد أن لك شريكًا؛ شخصًا فى (هوجسميد)؛ شخصًا يستطيع أن يتسلل من وراء ظهر (كاتى) الـ... الـ... آه...».

أغمض (دمبلدور) عينيه مرة أخرى وهز رأسه كمن أوشك النوم أن يغلبه.

«... طبعًا... (روزمرتا). منذ متى وهى خاضعة لتعويذة التحكم؟».

قال (مالفوى) ساخرًا: «أخيرًا فهمتَ، ها؟».

انطلقت صرخة أخرى من أسفل، أعلى من سابقتها. نظر (مالفوى) من فوق كتفه مرة أخرى بعصبية، ثم عاد ينظر إلى (دمبلدور) الذى واصل قائلاً: «وهكذا أُرغمت (روزمرتا) المسكينة على البقاء فى حمامها حتى تمرر ذلك العقد لأى طالبة من طالبات (هوجوورتس) تدخل الحمام وحدها؟ والشراب المسموم...

حسنًا، طبعًا تمكنت (روزمرتا) من تسميمه لك قبل أن ترسل الزجاجة إلى (سلجهورن)؛ ظنًّا منها أن هذه كانت هدية عيد الميلاد إلى... نعم، منتهى البراعة، منتهى البراعة... وما كان السيد (فيلتش) ليفكر بالطبع فى تفتيش إحدى زجاجات (روزمرتا)... قل لى، كيف كنتَ تتصل بـ(روزمرتا)؟ كنت أحسب أننا وضعنا جميع وسائل الاتصال من المدرسة وإليها تحت المراقبة».

قال (مالفوى) كأنه مجبر على مواصلة الكلام وكانت يده الممسكة بالعصا السحرية ترتعش بشدة: «قطعتا عملة معدنية مسحورتان، كانت معى إحداهما والأخرى معها وكان يمكننى أن أبعث لها برسائل...».

فسأله (دمبلدور): «أليست هذه وسيلة الاتصال السرية التى كانت الجماعة التى تسمى نفسها جيش (دمبلدور) تتبعها السنة الماضية؟». كان صوته معتدلاً ووديًا إلا أن (هارى) رآه ينزلق مسافة بوصة على السور وهو يتكلم.

قال (مالفوى) بابتسامة ملتوية: «نعم، أخذت الفكرة منهم. وأخذت فكرة تسميم الشراب من (جرانجر) طينية الدم أيضًا، سمعتها تتحدث فى المكتبة عن (فيلتش) وعدم تعرُّفه الوصفات السحرية...».

قال (دمبلدور): «من فضلك لا تستعمل ذلك اللفظ البغيض أمامى».

أطلق (مالفوى) ضحكة مزعجة.

«كل ما يهمك هو قولى «طينية الدم» وأنا على وشك أن أقتلك؟».

قال (دمبلدور): «نعم»، ورأى (هارى) قدميه تنزلقان قليلاً على الأرض وهو يسعى جاهدًا لأن يظل منتصب القامة. «أما بالنسبة لقتلك إياى يا (دراكو) فقد انقضت دقائق طويلة الآن، ونحن وحدنا، وأنا بلا دفاعات بصورة أكبر مما كنتَ تحلم به، ومازلتَ لم تفعل...».

التوى فم (مالفوى) لا إراديًا كأنه تذوق شيئًا شديد المرارة.

واصل (دمبلدور) قائلاً: «الآن، بل الليلة. أنا فى حيرة قليلاً، كيف حدث ذلك؟ هل كنت تعلم أننى غادرت المدرسة؟» ورد على نفسه قائلاً: «لكن (روزمرتا) رأتنى بالطبع وأنا أغادر، فأبلغتك مستعينة بعُملتيْك العبقريتين، هذا مؤكد...».

قال (مالفوى): «هذا صحيح، ولكنها قالت إنك ذاهب لتناول شراب وستعود...».

غمغم (دمبلدور) قائلاً: «أنا فعلاً تناولت شرابًا... وعدت بعد فترة قصيرة، ثم قررتَ أن تنصب لى فخًا؟».

قال (مالفوى): «قررنا وضع العلامة السوداء فوق البرج ودفعك للتعجيل بالعودة؛ لترى من قُتل، وقد حصل!».

قال (دمبلدور): «حسنا، نعم ولـ... ولكن هل علىَّ أن أفترض أن أحدًا لم يُقتل؟».

قال (مالفوى) بصوت متدرج من الخفيض إلى المرتفع: «هناك شخص قُتل. أحد أفراد جماعتك.. لا أعلم من هو، كان المكان مظلمًا.. وخطوتُ على جثته.. كان يفترض أن أنتظر بأعلى هنا حتى تعود، لم يعترض طريقنا سوى أفراد جماعة العنقاء...».

قال (دمبلدور): «نعم، هم يفعلون ذلك».

كانت هناك أصوات مدوية وصرخات من أسفل، أعلى مما سبق.. كان يبدو أن أناسًا يتقاتلون على الدرج الحلزونى المؤدى إلى المكان الذى يقف فيه كل من (دمبلدور) و(مالفوى) و(هارى)، ودوى قلب (هارى) بصوت غير مسموع فى صدره غير المرئى: مات أحدهم.. (مالفوى) خطا فوق جثته.. ولكن من هو؟

قال (دمبلدور): «بقى قليل من الوقت على أية حال. فدعنا نناقش ما لديك من خيارات يا (دراكو)».

قال (مالفوى) بصوت عال: «خياراتى أنا؟! أنا أقف هنا وبيدى عصا سحرية... أنا على وشك أن أقتلك...»

«يا ولدى العزيز، دعنا نكف عن التظاهر بهذا الشأن، لو كنتَ تنوى قتلى لقتلتنى بمجرد أن جردتنى من عصاى، ما كنتَ لتتوقف من أجل هذا الحديث اللطيف عن الطرق والسبل».

قال (مالفوى) وقد صار وجهه فجأة شاحبًا كوجه (دمبلدور): «ليس لدىَّ خيارات. علىَّ أن أنفذ! سيقتلنى! سيقتل أسرتى كلها!».

قال (دمبلدور): «أنا أقدر صعوبة موقفك، وإلا فلمَ لَمْ أواجهك قبل الآن؟ لأننى كنت أعلم أنك كنت ستُقتل لو أدرك اللورد (فولدمورت) أننى أرتاب فيك».

جفل (مالفوى) لدى سماعه الاسم.

واصل (دمبلدور) قائلاً: «لم أكن أجرؤ على الكلام معك عن المهمة الموكلة إليك فى حالة ما استخدم اللجيليمنسى معك.. ولكن الآن نستطيع أخيرًا أن نتحدث معًا بصراحة.. لم يحدث أى ضرر، أنت لم تؤذ أحدًا، ولو أن الحظ حالفك؛ إذ ظل ضحاياك غير المقصودين على قيد الحياة.. أستطيع أن أساعدك يا (دراكو)».

قال (مالفوى) ويده التى تمسك بالعصا السحرية ترتعش بشدة فعلاً: «لا، لا تستطيع، لا أحد يستطيع؛ هو أمرنى أن أنفذ وإلا قتلنى، ليس لدىً أى خيار».

«تعال إلى جانب الخير يا (دراكو) ويمكننا أن نخفيك بشكل تام وأكثر مما تتخيل، بل يمكننى أن أبعث بأعضاء من المدرسة إلى أمك الليلة لأخفيها هى أيضًا، وأبوك فى أمان الآن بـ(أزكابان).. وحين يحين الوقت بوسعنا أن نحميه هو أيضًا.. تعال إلى جانب الخير يا (دراكو).. لستَ بقاتل...».

حدق (مالفوى) إلى (دمبلدور).

قال ببطء: «ولكننى قطعت شوطًا بعيدًا، أليس كذلك؟ ظنوا أننى سأموت وأنا أحاول، ولكننى هنا... وأنت فى قبضتى... فأنا الذى معه عصا سحرية... وأنت تحت رحمتى...».

قال (دمبلدور) بهدوء: «لا يا (دراكو). رحمتى هى التى تهم الآن، لا رحمتك».

لم يرد (مالفوى). كان فاغرًا فاه ويده التى تمسك بالعصا السحرية لاتزال ترتجف. تراءى لـ(هارى) أنها اختلت قليلاً.. ولكن فجأة أصبح وقْع الأقدام يدوى على الدرج وبعد لحظة تنحَّى (مالفوى) عن الطريق حين اندفع أربعة رجال يرتدون ثيابًا سوداء عبر الباب متجهين صوب الأسوار. أخذ (هارى) يحملق فى الأغراب الأربعة بهلع وهو لايزال

مشلول الحركة وعيناه لا تطرفان؛ بدا كأن (آكلى الموت) انتصروا فى القتال بأسفل.

أطلق رجل بدين ذو عينين مائلتين خبيثتين ضحكة ذات صفير.

وقال: «(دمبلدور) وقع!»، ثم التفت إلى امرأة قصيرة وبدينة بدت كأنها أخته وكانت تضحك بنهم: «(دمبلدور) بلا عصا سحرية، (دمبلدور) وحيدًا! أحسنتَ يا (دراكو)، أحسنتَ!»

قال (دمبلدور) بهدوء كمن يرحب بالرجل فى حفل شاى: «مساء الخير يا (أميكوس). وقد أتيتَ بـ(أليكتو) أيضًا... رائع...».

أطلقت المرأة ضحكة مكبوتة قصيرة.

وقالت ساخرة: «أتحسب أن نكاتك اللطيفة ستساعدك على فراش الموت؟».

أجاب (دمبلدور) قائلاً: «نكات؟ لا، لا، هذا هو الذوق».

قال الغريب الواقف قريبًا من (هارى) وهو رجل ضخم ممشوق القوام ذو شعر رمادى ملبد وشوارب تبدو ثياب (آكلى الموت) السوداء ضيقة عليه بشكل غير مريح: «نفذ!». كان له صوت لا يشبه صوت أى ممن سمعهم (هارى) من قبل؛ صوت أشبه بنباح أجش. واشتم (هارى) مزيجًا قويًا من القذارة والعرق والدم ينبعث منه. يداه القذرتان لهما أظافر صفراء طويلة.

سأل (دمبلدور): «هل هذا أنت يا (فنرير)؟».

قال الآخر بصوته الأجش: «هذا صحيح، أسررتَ لرؤيتى يا (دمبلدور)؟».

«لا، لا أستطيع أن أقول ذلك...».

فابتسم (فنرير جريباك) كاشفًا عن أسنان مدببة، كان الدم يقطر من ذقنه وأخذ يلعق شفتيه ببطء بشكل فاحش.

«ولكن، أنت تعلم كم أحب الأطفال يا (دمبلدور)».

«هل أفترض أنك أصبحتَ تهاجم حتى فى غير ليالى اكتمال البدر الآن؟ هذا شىء غير عادى تمامًا.. صرتَ تتلذذ بلحم البشر ولا تستطيع أن تشبع من مرة فى الشهر!».

قال (جريباك): «هذا صحيح. صُدمتَ من ذلك، أليس كذلك يا (دمبلدور)؟ أيخيفك هذا؟».

قال (دمبلدور) «حسنًا، لا أستطيع أن أزعم أن هذا لا يثير اشمئزازى قليلاً. و... نعم، صُدمتُ قليلاً من أن (دراكو) دعاك من بين كل الناس إلى داخل المدرسة حيث يعيش أصحابه...».

قال (مالفوى) همسًا: «أنا لم أدعه»؛ لم يكن ينظر إلى (جريباك)؛ بدا أنه لا يريد حتى أن يلمحه: «لم أكن أعلم أنه آت».

قال (جريباك) بصوته الأجش: «ما كنتُ لأفوِّت رحلة إلى (هوجوورتس) يا (دمبلدور). مادامت هناك رقاب يجب قطعها.. لذيذ، لذيذ...».

ثم رفع ظفرًا أصفر، وأشار إلى أسنانه الأمامية وهو ينظر شزرًا إلى (دمبلدور).

«يمكننى أن أبقيك لما بعد يا (دمبلدور)...».

فقال (آكل الموت) الرابع بحدة: «لا». كان له وجه ثقيل وحشى. «لدينا أوامر. لابد أن يقوم (دراكو) بذلك. الآن يا (دراكو) وبسرعة».

كان (مالفوى) يبدى عزمًا أقل مما سبق، بدا عليه الفزع وهو يحدق إلى وجه (دمبلدور) الذى كان أكثر شحوبًا وأدنى مما كان؛ إذ انزلق أكثر لأسفل سور الحصن.

قال الرجل ذو الوجه الملووح مسايرًا ضحكات أخته ذات الصفير: «لو سألتنى فإنه لن يبقى طويلاً فى هذه الدنيا على أية حال! انظر إليه.. ماذا جرى لك إذن يا (دمبى)؟».

قال (دمبلدور): «ضعفت مقاومتى، وتباطأت ردود أفعالى يا (أميكوس). موجز القول، الشيخوخة... يومًا ما ربما يحدث لك ذلك... لو حالفك الحظ...».

صاح (آكل الموت) وقد أصبح عنيفًا فجأة: «ما معنى هذا إذن، ما معنى هذا؟ هكذا أنت دائمًا يا (دمبى)، تتكلم ولا تفعل شيئًا، لا شىء، لا شىء. حتى أنا لا أدرى لمَ يهتم سيد الظلام بحياتك أو موتك؟! هيا يا (دراكو)، نفذ!».

ولكن فى تلك اللحظة، تجددت أصوات الهياج من أسفل وصاح صوت قائلاً: «سدوا الدرج ـ (ريدوكتو)! (ريدوكتو)!».

انخلع قلب (هارى)؛ إذن فهؤلاء الأربعة لم يقضوا على المقاومة تمامًا، بل أفلتوا من القتال وصعدوا إلى قمة البرج، ويبدو من الصوت أنهم أقاموا حاجزًا وراءهم.

قال الرجل ذو الوجه الوحشى بغضب: «هيا يا (دراكو) بسرعة!».

إلا أن يد (مالفوى) كانت ترتعش بشدة لدرجة أنه عجز عن التصويب.

زمجر (جريباك) وتقدم صوب (دمبلدور) مادًا يديه كاشفًا عن أسنانه وقال: «سأقوم أنا بالمهمة».

صاح الرجل ذو الوجه الوحشى قائلاً: «قلتُ لا!»، وصدر وميض ضوء دفع بالمستذئب بعيدًا، فارتطم بالأسوار وترنح وبدا عليه الغيظ. أخذ قلب (هارى) يدق كالمطرقة حتى بدا مستحيلاً ألا يسمعه أحد وهو واقف فى مكانه حبيس تعويذة (دمبلدور) ـ لو كان بإمكانه أن يتحرك، لتمكن من تصويب لعنة من تحت العباءة...

أطلقت المرأة صرخة مذعورة قائلة: «(دراكو)، نفِّذْ أو تنحَّ جانبًا لأحدنا؛ حتى...» ولكن فى تلك اللحظة نفسها انفتح باب الحصن مرة أخرى وكان (سناب) واقفًا وراءه هذه المرة ممسكًا بعصاه السحرية فى يده، وجال بعينيه السوداوين فى المكان: من (دمبلدور) الذى سقط على الحائط إلى (آكلى الموت) الأربعة بمن فيهم المستذئب الغاضب و(مالفوى).

قال (أميكوس) البدين القصير وعينه وعصاه السحرية مثبتتان على (دمبلدور): «لدينا مشكلة يا (سناب)؛ الصبى يبدو عاجزًا عن...».

لكنَّ أحدًا غيره نادى اسم (سناب) بهدوء شديد قائلاً:

«(سيفيروس)...».

أدخل الصوت فى قلب (هارى) رعبًا يفوق أى شىء مر به فى تلك الليلة؛ كان (دمبلدور) لأول مرة يتوسل.

لم ينطق (سناب) بكلمة، بل تقدم ودفع (مالفوى) منحيًا إياه جانبًا بقسوة. وتراجع (آكلو الموت) الثلاثة دون كلمة، حتى المستذئب بدا خاضعًا.

حدق (سناب) إلى (دمبلدور) للحظة، وكان البغض والكراهية محفورين فى خطوط وجهه.

«(سيفيروس)... أرجوك...».

رفع (سناب) عصاه السحرية وصوَّبها مباشرةً إلى (دمبلدور) وقال:

«*أفادا كيدافرا!*».

فانطلقت نفثة ضوء أخضر من طرف عصا (سناب) أصابت (دمبلدور) فى صدره، ولم تفارق صرخة الرعب (هارى)؛ كان مجبرًا على المشاهدة وهو صامت لا يتحرك، بينما كان (دمبلدور) يُطاح به فى الهواء.. ولكسر من ثانية، بدا كأنه علق تحت الجمجمة الساطعة، ثم سقط إلى الخلف بهدوء كدُمية كبيرة من القماش مارًّا بجوار الشرفات، ثم اختفى عن النظر.

■ ■ ■

٢٨ هروب الأمير

أحس (هارى) كأنما قد أطيح به فى الفضاء هو أيضًا؛ لا لم يحدث... مستحيل أن يكون هذا قد حدث...

قال (سناب): «اخرجوا من هنا بسرعة».

ثم أمسك (مالفوىَ) من قفاه ودفع به إلى خارج الباب قبل الآخرين، وتبعهما (جريباك) والأخ والأخت القصيران البدينان، وكان الأخيران يلهثان من الإثارة. وما إن اختفوا عبر الباب حتى أدرك (هارى) أن بإمكانه أن يتحرك مرة أخرى؛ لم يكن ما يبقيه مشلول الحركة على الحائط الآن هو السحر، بل الرعب والصدمة. أطاح بعباءة الإخفاء جانبًا مع اختفاء (آكل الموت) ذى الوجه الوحشى الذى كان آخر من غادر قمة البرج من الباب.

«*بتريفيكوس توتالوس!*».

انثنى (آكل الموت) كأنه ضُرب فى ظهره بشىء صُلب وسقط على الأرض متخشبًا كتمثال من شمع، ولم يكد جسده يلامس الأرض حتى تسلق (هارى) فوقه واندفع يهبط الدرج المعتم.

انخلع قلب (هارى) رعبًا.. كان لابد أن يصل إلى (دمبلدور) وكان عليه أن يمسك بـ(سناب).. كان الأمران مرتبطيْن ببعضهما بصورة ما.. وكأن بإمكانه أن يبدل ما جرى لو كان كلاهما أمامه معًا.. ما كان (دمبلدور) ليموت..

قفز الدرجات العشر الأخيرة من السلم الحلزونى، وتوقف حيث هبط رافعًا عصاه السحرية، كان الدهليز ذو الضوء الخافت مليئًا بالغبار، وبدا

كأن نصف السقف قد انهار. وكانت هناك معركة مستعرة أمامه، ولكنه حين حاول تبين مَن يقاتل مَن سمع الصوت البغيض يصيح قائلاً: «انتهى الأمر، حان وقت الرحيل!»، ورأى (سناب) يختفى عند الركن بالطرف البعيد للدهليز؛ بدا أنه هو و(مالفوى) قد شقًا طريقهما خلال المعركة وخرجا سالمين، وعندما اندفع (هارى) فى أثرهما انفصل أحد المتقاتلين عن المعركة وهاجمه؛ كان المستذئب (جريباك) الذى أطبق على (هارى) قبل أن يتمكن الأخير من رفع عصاه السحرية، فسقط (هارى) إلى الخلف وعلى وجهه شعر ملبد قذر، وقد زكمت أنفه وفمه رائحة العرق والدم النتنة، وشعر بالأنفاس الحارة النهمة تخترق حلقه.

«*بتريفيكوس توتالوس!*».

أحس (هارى) بسقوط (جريباك) فوقه؛ وبجهد فائق دفع المستذئب عنه وطرحه أرضًا، فاندفعت صوبه نفثة ضوء أخضر، فأحنى رأسه وانطلق يركض بكل قوته إلى القتال. اصطدمت قدماه بشىء لين وزلق على الأرض فتعثر؛ كانت هناك جثتان ممددتان على ظهريهما فى بركة من دم، ولكن لم يكن هناك وقت للبحث والاستقصاء؛ فقد رأى (هارى) أمامه شعرًا أحمر يتطاير كاللهب؛ كانت (جينى) فى معركة مع (آكل الموت) القصير البدين (أميكوس) الذى كان يرميها بتعويذة إثر أخرى بينما كانت هى تتفاداها؛ كان (أميكوس) يقهقه مستلذًا باللعبة: «كروشيو... كروشيو... لا تستطيعين أن ترقصى للأبد أيتها الجميلة».

صاح (هارى) قائلاً: «*إمبديمنتا!*».

فأصابت تعويذته (أميكوس) فى الصدر؛ فأطلق صرخة ألم كنخير الخنزير؛ إذ طار وارتطم بالحائط المقابل، ثم انزلق وسقط مختفيا عن الأنظار وراء (رون) والأستاذة (ماكجونجال) و(لوبين) حيث كان كل منهم فى معركة منفصلة مع أحد (آكلى الموت)؛ ومن ورائهم رأى (هارى) (تونكس) تقاتل ساحرًا أشقر ضخمًا كان يطلق لعنات تتطاير

فى كل اتجاه وتصيب الجدران من حولهم، ثم ترتد شظايا الحجارة المتصدعة وتصيب نافذة قريبة وتحطمها.

صاحت (جينى) قائلة: «(هارى)، من أين أتيتَ؟» ولكن لم يكن هناك وقت للرد عليها. فمال برأسه وانطلق متفاديًا انفجارًا مر فوق رأسه وأمطرهم جميعًا بوابل من شظايا الحائط. يجب ألا يهرب (سناب)، لابد أن يلحق بـ(سناب)...

صاحت الأستاذة (ماكجونجال) قائلة: «خذى هذه!»، ولمح (هارى) (أليكتو) (آكلة الموت) تنطلق عبر الدهليز وذراعاها فوق رأسها وأخوها من ورائها. وانطلق (هارى) وراءهما، إلا أن قدمه علقت بشىء، وفى اللحظة التالية كان مستلقيًا على ساقى شخص ما. تلفَّت حوله فرأى وجه (نيفيل) الشاحب المستدير منبطحًا على الأرض.

«(نيفيل)، هل أنت...؟».

غمغم (نيفيل) وهو ممسك ببطنه: «أنا بخير يا (هارى)، (سناب) و(مالفوى) ركضا من هنا...».

قال (هارى) وهو يصوب تعويذة من مكانه على الأرض إلى (آكل الموت) الأشقر الضخم الذى كان يسبب معظم الفوضى: «أعرف، سأتولى أمرهما!». أطلق الرجل صرخة ألم؛ إذ أصابته التعويذة فى وجهه فاستدار وترنح، ثم انطلق فى أعقاب الأخ وأخته.

نهض (هارى) من الأرض وانطلق عبر الدهليز متجاهلاً دوى الانفجارات الذى يعلو خلفه، وصرخات الآخرين التى تناديه لكى يعود، والنداء المكتوم من الراقدين على الأرض الذين لم يعرف مصيرهم بعد...

ووتزلق عند الركن بسبب تلطخ حذائه بالدم؛ كان (سناب) قد سبقه بكثير - هل من الممكن أن يكون قد وصل إلى خزانة الاختفاء بغرفة الاحتياجات، أم أن جماعة العنقاء قد اتخذت إجراءات لتأمينها لمنع (آكلى الموت) من الانسحاب من ذلك الطريق؟ لم يكن يسمع شيئًا سوى

وقْع أقدامه وخفقات قلبه، وهو منطلق عبر الدهليز الخالى، ولكنه وجد أثر قدم ملطخة بالدم دلَّه على أن واحدًا على الأقل من (آكلى الموت) الهاربين كان متوجهًا صوب الأبواب الأمامية ـ لعل غرفة الاحتياجات كانت مسدودة فعلاً.

ولفَّ حول ركن آخر وإذا بلعنة تطير عابرة بجواره؛ فتوارَى خلف بزة مدرعة فانفجرت؛ ورأى الأخ وأخته (آكلى الموت) يسرعان بهبوط الدرج الرخامى أمامه فصوب تعاويذ إليهما، ولكنها لم تصب إلا عدة ساحرات يضعن شعرًا مستعارًا فى لوحة على «البسطة» عدون وهنَّ يصرخن إلى لوحات أخرى مجاورة؛ وبينما كان يقفز فوق حطام الدرع، سمع (هارى) المزيد من الصرخات والصيحات؛ يبدو أن أناسًا آخرين داخل القلعة استيقظوا..

وانطلق صوب طريق مختصر؛ على أمل أن يلحق بالأخ وأخته ويُطبق على (سناب) و(مالفوى) اللذين لابد أن يكونا قد وصلا إلى الملاعب الآن؛ وتذكر أن يتخطى الدرجة المختفية فى منتصف الدرج المخفى، ثم مر من خلال لوحة مطرزة أسفل الدرج، ومنها إلى دهليز يقف فيه عدد من طلاب (هافلباف) بمناماتهم ذاهلين.

قال (إيرنى ماكميلان): «(هارى)! سمعنا ضجيجًا، وقال أحدهم شيئًا عن علامة الظلام».

صاح (هارى) قائلاً: «تنحَّوْا عن الطريق!»، ودفع بصبييْن جانبًا وهو منطلق صوب «البسطة»، ومنها إلى بقية السلم الرخامى. كانت الأبواب الأمامية قد انفتحت، وكان هناك بقع دم على البلاط وعدد من الطلاب المذعورين وقفوا محتشدين أمام الحائط، وواحد منهم أو اثنان لايزالان منكمشيْن وأذرعهما على وجهيهما، وكانت ساعة (جريفندور) الرملية العملاقة قد أصيبت بلعنة، ومازال الياقوت الأحمر بداخلها يتساقط على البلاط من تحتها مُحدثًا صلصلةً عالية.

انطلق (هـارى) عبر بهو الدخول ومنـه خرج إلى الملاعب المظلمة؛ كان يستطيع أن يميز ثلاثة أشخاص يتسابقون على العشب متجهين نحو البوابات التى يمكنهم أن ينتقلوا آنيًا خلفها، وبدا من مظهرهم أنهم: (آكل الموت) الأشقر الضخم ويسبقه قليلاً إلى الأمام (سناب) و(مالفوى)..

شق هواء الليل صدر (هارى) وهو منطلق فى أعقابهم، ورأى وميض نور على البعد لمع للحظة ورسم ظلالاً لطرائده؛ لم يكن يعلم ماهيته ولكنه واصل العدْو، حيث لم يكن قريبًا لدرجة كافية كى يصوب عليهم لعنة..

وميض آخر وصرخات وومضات ضوء ثأرية، وفهم (هارى)؛ كان (هاجريد) قد خرج من كوخه، ويحاول منع (آكلى الموت) من الفرار، ومع أن كل نفَس يتنفسه كان يكاد يمزق رئتيه، وعلى الرغم من أن الألم فى صدره كان كالنار فقد أسرع (هارى) حين جاءه هاتف فى رأسه قائلاً: «ليس (هاجريد)... ليس (هاجريد) أيضًا...».

أمسك شىء ما بـ(هارى) من ظهره بشدة، فانكفأ على وجهه وارتطم وجهه بالأرض وسال الدم من فتحتى أنفه؛ وأدرك حتى قبل أن يتدحرج رافعًا عصاه أن الأخ وأخته اللذين كان قد تجاوزهما عبر طريقه المختصر يهاجمانه من الخلف...

صاح وهو يتدحرج مرة أخرى قائلاً: «*إمبديمنتا!*». كان جاثمًا قريبًا من الأرض المظلمة، ومن حسن طالعه أن أصابت رميته أحدهما فتعثر وسقط وتعثر الآخر معه؛ وقفز (هارى) ناهضًا على قدميه وانطلق فى أثر (سناب)..

وأصبح الآن يرى خطوط جسم (هاجريد) الضخم فى نور الهلال الذى بزغ فجأة من وراء السحب؛ كان (آكل الموت) الأشقر الضخم يصوب اللعنة تلو الأخرى عليه، ولكن يبدو أن قوة (هاجريد) الهائلة وجلده

القوى الذى ورثه عن أمه العملاقة كانا يحميانه؛ أما (سناب) و(مالفوى) فكانا لايزالان يركضان؛ ولن يلبثا حتى يتجاوزا البوابات ويتمكنا من الانتقال آنيًا والهرب.

اندفع (هارى) متجاوزا (هاجريد) وغريمه وصوَّب على ظهر (سناب) وصاح قائلاً: «اصعق!».

ولكنه أخطأ هدفه؛ حلقت نفثة الضوء الأحمر متجاوزة رأس (سناب)، وصاح (سناب) قائلاً: «اجرِ يا (دراكو)!»، ثم التفت مواجهًا (هارى)، كانت المسافة بينهما حوالى عشرين ياردة ثم رفع كلاهما عصاه السحرية فى نفس اللحظة.

«كروســ...».

إلا أن (سناب) تفادى اللعنة، وتمكن من إسقاط (هارى) قبل أن يكملها؛ فتدحرج (هارى) ثم نهض مرة أخرى فى اللحظة التى صاح فيها «آكل الموت» الضخم من ورائه قائلاً: «*إنسنديو!*»، وسمع (هارى) دوى انفجار، ونزل عليهم جميعًا ضوء برتقالى يتراقص، ونشبت النار بكوخ (هاجريد).

صاح (هاجريد) قائلاً: «(فانج) بداخله، أيها الشرير...!».

صاح (هارى) للمرة الثانية وهو يصوب على الشخص الذى يسبقه فى ضوء النار المتراقص قائلاً: «كروســ»، إلا أن (سناب) صد التعويذة مرة أخرى؛ ورآه (هارى) وهو يضحك باستهزاء.

وصرخ وسط اندفاع اللهب وصرخات (هاجريد) والعواء الضارى لـ(فانج) المحاصر قائلاً: «لا لعنات لا تغتفر منك يا (بوتر)! ليست لديك الجرأة أو القدرة...».

صاح (هارى) قائلاً: «إنكارســ»، إلا أن (سناب) صد التعويذة بنقرة كسول من ذراعه.

صرخ (هارى) فيه قائلاً: «قاتلنى، قاتلنى أيها الجبان». فصاح

(سناب) قائلاً: «هل وصفتنى بالجبان يا (بوتر)؟ ما كان أبوك ليهاجمنى إلا إذا كان أربعة لواحد، فبم كنتَ ستصفه؟».

«اصعق!».

صد (سناب) اللعنة مرة أخرى وقال ساخرًا: «سأصد تعاويذك الواحدة بعد الأخرى إلى أن تتعلم أن تُبقى فمك ساكتًا وذهنك موصدًا يا (بوتر)!»، ثم صاح فى (آكل الموت) الضخم من وراء (هارى) وقال: «والآن تعال! حان وقت الرحيل قبل أن تثور ثائرة الوزارة».

«إمبديــ».

ولكن قبل أن يكمل التعويذة، داهم (هارى) ألم مبرح؛ فأخذ يتقلب على العشب، وكان هناك أحد يصرخ، سيموت حتمًا من هذا الألم، (سناب) سيعذبه حتى الموت أو الجنون.

علا صوت (سناب) قائلاً: «لا!»؛ فتوقف الألم فجأة كما بدأ؛ كان (هارى) متكورًا على العشب الداكن، ممسكًا عصاه السحرية ويلهث، وفى مكان ما فوقه كان (سناب) يصيح قائلاً: «أنسيتَ الأوامر؟ (بوتر) من نصيب (سيد الظلام)، علينا أن نتركه! اذهب! اذهب!».

أحس (هارى) بالأرض ترتعد تحت وجهه حين انصاع الأخ وأخته و(آكل الموت) الضخم للأمر، وانطلقوا صوب البوابات. أطلق (هارى) صيحة غضب مكتومة.. وفى تلك اللحظة، لم يكن يهتم ما إذا مات أم ظل حيًا، فنهض على قدميه مرة أخرى ومشى يترنح بصورة عمياء نحو (سناب)؛ الرجل الذى أصبح يبغضه قدر بغضه (فولدمورت) نفسه.

«سكتومــ».

نقر (سناب) بعصاه السحرية فارتدت التعويذة مرة أخرى، لكن (هارى) لم يكن يبعد عنه إلا بضعة أقدام، وأخيرًا أصبح يرى وجه (سناب) بوضوح. لم يعد يستهزئ أو يسخر؛ إذ كان بين اللهب وجه ملأه الغضب. فحشد (هارى) كل قوى تركيزه وفكر بينه وبين نفسه قائلاً: *«ليفيــ»*.

صرخ (سناب) وقال: «لا يا (بوتر)!». ووقع دوى هائل وطار (هارى) إلى الخلف، ثم وقع على الأرض بشدة مرة أخرى، وفى هذه المرة طارت عصاه السحرية من يده، وسمع (هاجريد) يصيح و(فانج) يعوى، بينما أطبق عليه (سناب) ونظر إليه من أعلى وهو ممدد بلا عصا سحرية أو دفاعات كما كان (دمبلدور).

وتخضب وجه (سناب) الشاحب فى الضوء الصادر عن اللهب المضطرم بكوخ (هاجريد) ـ بالحقد، كما كان قبل أن يصيب (دمبلدور) باللعنة.

«أوتجرؤ على استعمال تعاويذى ضدى يا (بوتر)؟ أنا الذى أبتكرها؛ أنا الأمير الهجين! أنت تقلب ابتكاراتى علىَّ كأبيك القذر؟ لا... لا أعتقد ذلك!».

وزحف (هارى) مقتربًا من عصاه السحرية؛ فأطلق (سناب) عليها تعويذة جعلتها تطير مبتعدة عدة أقدام وتختفى عن الأنظار فى الظلام.

قال (هارى) وهو يلهث دون أن يشعر بخوف، بل بغضب واحتقار: «اقتلنى إذن. اقتلنى كما قتلته أيها الجبان».

أصبح وجه (سناب) فجأة ذاهلاً قاسيًا كمن أصابه الجنون وبدا كأنه يتألم مثل الكلب الذى يعوى فى البيت المحترق وراءه وصاح قائلاً: «لا تنادِنى بالجبان!».

ثم ضرب بيده فى الهواء، فأحس (هارى) بشىء حارق كالسوط يصيبه على وجهه فارتد إلى الأرض، وانبثقت نقاط من الضوء أمام عينيه، وشعر بأن أنفاسه فارقت جسده للحظة، ثم سمع رفرفة أجنحة فوقه ورأى شيئًا هائلاً يحجب النجوم: كان (باك بيك) قد أطبق على (سناب) فترنح إلى الخلف، بينما نُشبت فيه مخالبه الحادة. ونهض (هارى) فى وضع الجلوس ورأسه لا يزال يترنَّح من آخر ارتطام بالأرض، فرأى (سناب) يركض بكل قوته والوحش الضخم فى أعقابه يصرخ بصوتٍ لم يسمعه (هارى) من قبل.

حاول (هارى) جاهدًا حتى نهض على قدميه، وأخذ يتلفت حوله باحثًا عن عصاه السحرية؛ أملاً أن يبدأ فى المطاردة من جديد، ولكن حتى حين أخذت أصابعه تتحسس العشب وتنبذ الأغصان كان يعرف أن الأوان قد فات، وحين عثر على عصاه التفت ليرى الهيبوجريف يحاصر البوابات؛ كان (سناب) قد نجح فيما خطط له وقام بالانتقال آنيًا خارج حدود المدرسة مباشرةً.

غمغم (هارى) وهو لايزال يشعر بدوار ويتلفت حوله قائلاً: «(هاجريد)، (هاجريد)؟».

ومشى يترنح صوب البيت المشتعل، ورأى كيانًا ضخمًا يبرز من اللهب حاملاً (فانج) على ظهره؛ فجثا (هارى) على ركبتيه بصرخة شكر، كانت أوصاله ترتجف وجسمه يؤلمه وأنفاسه طعنات مبرحة.

«هل أنت بخير يا (هارى)؟ هل أنت بخير؟ كلمنى يا (هارى)...».

كان وجه (هاجريد) الضخم المشعر يجثم فوق (هارى) ويسد عنه النجوم. وشم (هارى) الخشب وشعر الكلب المحروق؛ فرفع يدًا وأحس بجسد (فانج) الدافئ والنابض بالحياة يرتعش بجانبه.

قال (هارى) وهو يلهث: «أنا بخير، هل أنت بخير؟».

«طبعًا بخير.. كان الأمر يتطلب أكثر من ذلك للقضاء علىَّ».

وضع (هاجريد) يديه تحت ذراعى (هارى) ورفعه بقوة فارتفعت قدما (هارى) عن الأرض، ثم أوقفه (هاجريد) على قدميه مرة أخرى. ورأى الدم يقطر من وجنتى (هاجريد) من جرح تحت إحدى عينيه التى كانت تزداد تورمًا بسرعة.

قال (هارى): «يجب أن نطفئ بيتك، التعويذة «*أجوامنتى*...».

غمغم (هاجريد) قائلاً: «كنتُ أعرف أنها شىء كهذا»، ثم رفع مظلة وردية اللون مشجرة تحترق وقال: «*أجوامنتى!*». فانبثق الماء من طرف

المظلة، ورفع (هارى) ذراعه الممسكة بالعصا السحرية بصعوبة وكأنها ممتلئة بالرصاص وغمغم قائلاً: «*أجوامنتى!*» أيضًا، وظلاً معًا يصبان الماء على البيت حتى انطفأ آخر لهب.

بعد بضع لحظات، قال (هاجريد) بتفاؤل وهو ينظر إلى الحطام الذى تصاعد منه الدخان: «ليس الأمر بغاية السوء. ما من شىء يعجز (دمبلدور) عن إصلاحه...».

فأحس (هارى) بألم مبرح فى بطنه لدى سماع الاسم، وانبثق الرعب داخله وسط الصمت والسكون.

«(هاجريد)...».

قال (هاجريد) بحزن وهو لايزال يحدق إلى الكوخ المهدم: «كنتُ أربط سيقان زوج من حيوانات الـ(باوتركل) حين سمعتهم يأتون. سيكون قد احترق تمامًا؛ تلك الكائنات المسكينة...».

«(هاجريد)...».

«ولكن ماذا جرى يا (هارى)؟ أنا رأيت (آكلى الموت) ينزلون مندفعين من القلعة، ولكن ماذا كان (سناب) يعمل معهم بحق الجحيم؟ أين ذهب؟ هل كان يطاردهم؟».

نقى (هارى) حلقه الذى جف من الرعب والدخان وقال: «إنه... (هاجريد) لقد قَتل...».

قال (هاجريد) بصوت عالٍ وهو يحدق إلى (هارى): «قَتل؟ (سناب) قَتل...؟ ماذا تقول يا (هارى)؟».

فقال (هارى): «(دمبلدور)، (سناب) قتل (دمبلدور)».

نظر (هاجريد) إليه بسذاجة، وكان القليل الذى كان يُرى من وجهه ينمُّ عن عدم الإدراك أو الفهم.

«(دمبلدور)؟! ماذا يا (هارى)؟».

«مات...(سناب) قتله».

قال (هـاجريد) بقسوة: «لا تقُل هذا! (سنـاب) قتل (دمبلدور)! لا تكن سخيفًا يا (هـارى)! ما الذى جعلك تقول هذا؟!».

«رأيتُ ذلك يحدث».

«مستحيل!».

«رأيتُ ذلك يا (هـاجريد)».

فهز (هـاجريد) رأسه؛ كان تعبير وجهه يشى بعدم التصديق ولكنه متعاطف، وعرف (هـارى) أن (هـاجريد) يحسب أنه أصيب بضربة فى رأسه وأنه ليس فى وعيه؛ ربما بتـأثير تعويذة سحرية.

قال (هـاجريد) بثقة: « لابد أن ما حدث هو... لابد أن (دمبلدور) قال لـ(سنـاب) أن يذهب معهم (آكلى الموت). أظن أنه كان يجب أن يبقى على سره. اسمع، دعنا نعود بك إلى المدرسة. هيا يا (هـارى)...».

لم يحاول (هـارى) أن يجادل أو يشرح. كان لايزال يرتعش لا إراديًا. وسرعان ما سيعرف (هـاجريد)، أسرع مما يظن.. وبينما توجها عائديْن إلى القلعة، رأى (هـارى) أن العديد من نوافذها أضيئت الآن، وتصور المشاهد بالداخل بوضوح حيث أخذ النـاس يتنقلون من غرفة لأخرى، يتناقلون خبر دخول (آكلى الموت) وأن العلامة تسطع فوق (هوجوورتس) وأن أحدًا لقى حتفه..

كانت الأبواب الأمامية المصنوعة من خشب السنديان مفتوحة أمامهم، والضوء يفيض على المدخل وعلى العشب بالخارج. وأخذ النـاس يزحفون ببطء وشك وهم بملابس النوم، ويهبطون الدرج وهم يتلفتون بتوتر؛ بحثًا عن أثر لـ(آكلى الموت) الذين فروا ليلاً. لكنَّ عينى (هـارى) كانتا مثبتيْن على الأرض تحت أطول برج. تخيل أنه يرى كتلة سوداء جاثمة على العشب هناك، مع أنه كان على مسافة أبعد من أن يرى شيئًا كهذا، حتى حين حدق فى صمت إلى المكان الذى ظن أن جثة (دمبلدور) ترقد به، رأى النـاس قد بدءوا يتحركون صوبه.

قال (هاجريد) حين اقترب هو و(هارى) من واجهة القلعة و(فانج) يحاول أن يظل قريبًا من أقدامهم قدر الإمكان: «إلامَ ينظرون جميعًا؟»، ثم أضاف بحدة وقد توجه الآن نحو برج الفلك حيث احتشد جمع صغير: «ما هذا الذى على العشب؟ أتراه يا (هارى)، تحت البرج مباشرة؟ تحت المكان الذى كانت فيه العلامة... يا إلهى!

أتظن أن أحدًا رُمى...؟».

ثم سكت (هاجريد)، فالفكرة على ما يبدو كانت أبشع من أن يعبر عنها بصوت مسموع. مشى (هارى) بجانبه وهو يشعر بالألم فى وجهه وساقيه حيث أصيب كلاهما بتعاويذ سحرية مختلفة طوال نصف الساعة الأخيرة، ولو أنه كان يحس بها بصورة منفصلة، كأن أحدًا قريبًا منه هو الذى كان يعانيها. أما ما كان حقيقيًا ولا مهرب منه فهو الوخز المريع الذى كان يحسه فى صدره.

مشى هو و(هاجريد) كأنهما فى حلم، وتخللا الجمع المتمتم وتقدما إلى مقدمته حيث ترك الطلاب والمعلمون المذهولون فراغًا فيه.

سمع (هارى) أنين (هاجريد) من الألم والصدمة، ولكنه لم يتوقف، ظل يتقدم ببطء إلى أن بلغ المكان الذى يرقد فيه (دمبلدور) وجثا بجانبه.

كان (هارى) قد فقد أى أمل لنجاته لحظة أن رُفعت عنه تعويذة التجميد التى كان (دمبلدور) قد رماه بها، فقد عرف أنها لم تُرفع إلا لموت من نفذها، ولكنه مع ذلك لم يكن مستعدًا لرؤيته ممددًا مهشَّمًا؛ إنه أعظم ساحر عرفه (هارى) أو سيعرفه.

كانت عينا (دمبلدور) مغمضتين؛ ولكن من وضعية ذراعيه وساقيه كان يبدو كالنائم. مد (هارى) يده وعدل النظارة الهلالية الشكل فوق أنفه المعقوف، ومسح قطرة دم على فمه بكُمِّ ثوبه، ثم أخذ يحدق لأسفل إلى الوجه العجوز الحكيم وحاول أن يستوعب الحقيقة الهائلة الغامضة، وهى أن (دمبلدور) لن يكلمه بعد الآن، لن يتمكن من مساعدته أبدًا.

غمغم الجمع وراء (هارى). وبعدما بدا كأنه مدة طويلة أدرك أنه راكع فوق شيء صلب فنظر لأسفل.

كانت القلادة التى نجحا فى سرقتها قبل عدة ساعات قد سقطت من جيب (دمبلدور) وفُتحت؛ ربما بسبب القوة التى ارتطمت بها بالأرض. ومع أن (هارى) لم يكن ليشعر بصدمة أو خوف أو حزن أكبر مما مر بهما فعلاً؛ فقد علم وهو يلتقطها أن هناك شيئًا خطأ بها..

قلب القلادة فى يديه، لكنها ليست كبيرة كتلك التى يتذكر رؤيتها فى (البنسيف)، ولا توجد عليها أية علامات، لا وجود لحرف «س» المزخرف الذى يفترض أنه رمز (سليذرين)، لم يكن بداخلها سوى قصاصة رق مطوية ومحشورة بإحكام فى المكان الذى يفترض أن تكون به صورة.

وتلقائيًّا ودون أن يفكر فيما يعمل، أخرج (هارى) قصاصة الرق وفضها وقرأ على ضوء العصى السحرية العديدة التى أضيئت الآن وراءه:

إلى سيد الظلام

أعلم أنى سأكون قد متُّ قبل أن تقرأ هذه بوقت طويل، ولكنى أريدك أن تعرف أنى أنا من كشف سرك، وسرق الـ(هوركروكس) الحقيقى الذى أعتزم تدميره بمجرد أن أتمكن من ذلك. إننى أواجه الموت الآن على أمل أنك حين تلقاه أنت يومًا ما، ستكون فانيًا من جديد.

ر.أ.ب

لم يدرك (هارى) مغزى الرسالة ولم يهمه ذلك. شيء واحد كان يهمه، هو أن هذه لم تكن (هوركروكس) حقيقية. أضعف (دمبلدور) نفسه بارتشاف ذلك السائل الرهيب بلا مقابل. طوى (هارى) قصاصة الرق فى يده واحترقت عيناه بالدموع بينما بدأ (فانج) بالعواء من ورائه.

■ ■ ■

٢٩ رثاء العنقاء

«تعال يا (هارى)...».

«لا».

«لا يمكنك البقاء هنا يا (هارى)... هيا، الآن...».

«لا».

لم يكن يريد أن يترك (دمبلدور)، لم يشأ أن يذهب إلى أى مكان. كانت يد (هاجريد) على كتفه ترتعش، ثم قال صوت آخر: «هيا يا (هارى)».

وفجأة، أمسكت بيده يد أصغر وأدفأ، وأخذت تشده لأعلى، فانصاع للضغط دون تفكير. ومشى دون وعى عبر الحشد ولم يدرك إلا بعد أن شم رائحة العطر الوردى فى الهواء - إنها (جينى) التى كانت تقوده عائدًا إلى القلعة. كانت هناك أصوات غير مفهومة تتخبط حوله، نشيج وصراخ وعويل يشق سكون الليل، إلا أن (هارى) و(جينى) واصلا السير وصعدا الدرج ودخلا بهو الدخول، كانت الوجوه تسبح على حواف بصر (هارى)، كان الناس يحدقون إليه ويتهامسون ويتساءلون، وكان ياقوت ساعة (جريفندور) الأحمر يتلألأ على الأرض كقطرات الدم وهما يشقان طريقهما نحو الدرج الرخامى.

قالت (جينى): «سنذهب إلى جناح المستشفى».

قال (هارى): «لستُ مصابًا».

قالت (جينى): «إنها أوامر (ماكجونجال). الكل بأعلى، (رون) و(هرميون) و(لوبين) والجميع...».

وتحرك الخوف فى صدر (هارى) من جديد؛ كان قد نسى الأجسام الخامدة التى تركها وراءه.

«مَن أيضًا لقى حتفه يا (جينى)؟».

«لا تقلق، لم يمت أحد منا».

«لكن علامة الظلام... قال (مالفوى) إنه داس على جثة...».

«داس على (بيل)، ولكنه بخير، لايزال حيًّا».

ومع ذلك، كان هناك شيء فى صوتها أدرك (هارى) أنه ينذر بشر.

«هل أنت متأكدة؟».

«طبعًا متأكدة.. إنه... فى حالة سيئة، ولا شيء أكثر. هاجمه (جريباك). مدام (بومفرى) تقول: «إن شكله لن... لن يكون كما كان...»، وارتعش صوت (جينى) قليلاً: «لا نعلم حقيقةً كيف ستكون الآثار الجانبية... أقصد أنه يمكن أن يصبح مستذئبًا، كـ(جريباك)، ولكنه لم يتحول حتى الآن».

«لكن الآخرين... كانت هناك جثث أخرى على الأرض...».

«(نيفيل) فى جناح المستشفى، لكن مدام (بومفرى) ترى أنه سيَشفَى تمامًا، والأستاذ (فليتويك) أصيب ولكنه بخير، مجرد توعك، وأصر على الخروج لرعاية طلاب (رافينكلو)، وأحد (آكلى الموت) لقى مصرعه؛ أصابته تعويذة قاتلة من التى كان يطلقها (آكل الموت) الأشقر الضخم فى كل مكان... لولا وصفة الـ(فليكس فلسيس) التى تركتها لنا يا (هارى) لكنَّا جميعًا قد لقينا حتفنا، ولكننا نجونا من كل شيء تقريبًا...».

كانا قد بلغا جناح المستشفى، ودفع (هارى) الباب فانفتح، ورأى (نيفيل) راقدًا على سرير بجوار الباب ويبدو نائمًا. وكان (رون) و(هرميون) و(لوبين) و(تونكس) و(لونا) قد تجمعوا حول سرير آخر عند الطرف البعيد من العنبر، وعندما سمعوا صوت الباب وهو ينفتح التفتوا

جميعًا واندفعت (هرميون) صوب (هارى) وعانقته، وتقدم (لوبين) أيضًا وقد بدا عليه القلق.

«هل أنت بخير يا (هارى)؟».

«أنا بخير.. كيف حال (بيل)؟».

لم يُجبه أحد. نظر (هارى) وراء (هرميون) فرأى وجهًا يستحيل التعرف عليه مستلقيًا على وسادة (بيل)، كانت به جروح وتهتكات بالغة جعلته أشبه بمسخ خرافى. كانت مدام (بومفرى) تداوى جروحه بمرهم أخضر نفاذ الرائحة. فتذكر (هارى) كيف عالج (سناب) بعصاه السحرية جروح (مالفوى) التى نجمت عن تعويذة *الـ«سيكتوميسمبرا»* بسهولة.

سأل المشرفة: «ألا تستطيعين معالجته بتعويذة أو ما شابه؟».

فأجابته مدام (بومفرى) قائلة: «ليس هناك تعويذة تفلح مع تلك... جربتُ كل شيء أعرفه، ولكن لا شفاء لعضات المستذئب».

قال (رون) الذى كان يحدق إلى وجه أخيه كأنه كان يستطيع أن يعالجه بصورة ما بمجرد التحديق به: «ولكنه لم يُعض والقمر بدر. (جريباك) لم يكن قد تحول، وبالتالى فمن المؤكد أن (بيل) لن يصبح...؟».

ونظر إلى (لوبين) بشك.

قال (لوبين): «لا، لا أظن أن (بيل) سيصبح مستذئبًا حقيقيًا، لكن هذا لا يعنى أنه لن تصيبه بعض العدوى؛ فهذه جروح ملعونة، ومن المستبعد حتى أن تشفَى تمامًا، و... وقد يصبح لدى (بيل) بعض صفات الذئاب من الآن فصاعدًا».

قال (رون): «لكن (دمبلدور) قد يعرف شيئًا ناجعًا.. أين هو؟ (بيل) قاتل هؤلاء المسعورين بناء على أوامر (دمبلدور)، (دمبلدور) مدين له، ولا يمكن أن يتركه فى هذه الحال..».

قالت (جينى): «(رون)... (دمبلدور) مات».

قال (لوبين): «لا!»، ونقل نظره من (جينى) إلى (هارى) كأنه كان يتمنى أن يكذبها الأخير، وعندما لم يفعل (هارى)، انهار (لوبين) على مقعد بجوار سرير (بيل) ويداه على وجهه. لم يسبق أن رأى (هارى) (لوبين) يفقد تماسكه من قبل؛ فشعر بأنه يتطفل على شىء خاص لا يعنيه، فأبعد عينيه عنه ونظر إلى (رون) وتبادل معه فى صمت نظرة أكدت ما قالته (جينى).

همست (تونكس) قائلة: «كيف مات؟ كيف حدث ذلك؟».

قال (هارى): «قتله (سناب). كنتُ معهما، ورأيت الحادث. وصلنا عائدَين إلى برج الفلك؛ لأن علامة الظلام كانت هناك... وكان (دمبلدور) مريضًا، كان فى حالة ضعف، ولكننى أعتقد أنه أدرك أنه فخ؛ حين سمعنا وقْع أقدام تركض إلى أعلى الدرج، فجمدنى ولم أتمكن من فعل شىء، كنت تحت عباءة الإخفاء.. ثم جاء (مالفوى) عبر الباب وجرده من سلاحه».

صفقت (هرميون) بيدها على فمها، وتأوه (رون)، وارتعش فم (لونا).

«... ثم جاء المزيد من (آكلى الموت)... ثم جاء (سناب)، وفعل فعلته؛ الـ*(أفادا كيدافرا)*» ـ ولم يتمكن (هارى) من مواصلة الكلام.

انخرطت مدام (بومفرى) فى البكاء، ولم يعرها أحد التفاتًا عدا (جينى) التى همست قائلة لها: «ش ش! اسمعى!».

فكتمت مدام (بومفرى) فمها بأصابعها وهى تبلع ريقها وعيناها مفتوحتان على اتساعهما. وفى مكان ما بالخارج فى الظلام، كانت العنقاء تغرد ـ بطريقة لم يسمعها (هارى) من قبل ـ رثاء حزينًا ذا جمال بشع، وأحس (هارى) كما أحس بتغريد العنقاء من قبل بأن الموسيقى نابعة منه لا منها؛ حزنه هو، استحال غناءً، ترددت أصداؤه عبر الملاعب مقتحمةً نوافذ القلعة.

كم من الوقت ظلوا فى أماكنهم يصغون، لم يعرف، ولا عرف لمَ بدا الاستماع إلى موسيقى أحزانهم كأنه يخفف ألمهم قليلاً، ولكنه شعر بأن وقتًا طويلاً مرَّ قبل أن ينفتح باب المستشفى مرة أخرى وتدخل الأستاذة (ماكجونجال) العنبر. كانت تبدو عليها أمارات المعركة الأخيرة كالجميع؛ كانت هناك كدمات على وجهها وكانت ثيابها ممزقة.

قالت: «(مولى) و(آرثر) فى الطريق»، فانقطع سحر الموسيقى؛ انتبه الجميع من غشيتهم، فمنهم من التفت مرة أخرى إلى (بيل)، ومنهم من أخذ يحك عينيه، ومنهم من هز رأسه.

«ماذا جرى يا (هارى)؟ يقول (هاجريد) إنك كنتَ مع الأستاذ (دمبلدور) حين... حين جرى ما جرى. يقول: إن الأستاذ (سناب) كان له دخل فى...».

قال (هارى): «(سناب) قتل (دمبلدور)».

ظلت تحدق إليه للحظة، ثم ترنحت فجأة؛ فأسرعت مدام (بومفرى) التى بدا أنها استجمعت قواها واستحضرت مقعدًا من الهواء ووضعته تحت (ماكجونجال).رددت (ماكجونجال) بإعياء وهى تهوى على المقعد قائلة: «(سناب)، كنا جميعًا نتساءل... ولكنه كان يثق... دائمًا... (سناب)... لا أستطيع أن أصدق...».

قال (لوبين) بصوت أجش: «كان (سناب) بارعًا جدًّا فى (الأوكلومينسى)، كنا جميعًا نعرف ذلك».

وهمست (تونكس) قائلة: «لكن (دمبلدور) أقسم بأنه فى صفنا! كنت دائمًا أعتقد أن (دمبلدور) يعرف شيئًا عن (سناب) لا نعرفه...».

غمغمت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تمسح طرفى عينيها الدامعتين بمنديل مقلّم على حوافه، وقالت: «كان دائمًا يلمِّح إلى أن لديه سببًا حاسمًا يبرر ثقته فى (سناب)، أقصد... ماضى (سناب)... كان من

المحتم أن يتساءل الناس... لكن (دمبلدور) قال لى صراحةً إن توبة (سناب) كانت صادقة بشكل قاطع... ما كان ليستمع لكلمة ضده!».

قالت (تونكس): «أود أن أعرف ما قاله له (سناب) ليقنعه».

قال (هارى): «أنا أعرف». فالتفتوا جميعًا ليحدقوا إليه، بينما أكمل قائلاً: «(سناب) أبلغ (فولدمورت) بالمعلومات التى جعلته يطارد أمى وأبى ليقتلهما، ثم أبلغ (سناب) (دمبلدور) بأنه لم يكن يدرك ما يفعل وأنه آسف على ما فعل، آسف لموتهما».

قال (لوبين) بارتياب: «و(دمبلدور) صدق ذلك؟ (دمبلدور) صدق أن (سناب) نادم على موت (جيمس)؟ (سناب) كان يكره (جيمس)...».

قال (هارى): «ولا كان يرى لأمى أية قيمة أيضًا؛ لأنها مولودة للعامَّة.. كان يسميها «طينية الدم»...».

لم يسأل أحد كيف عرف (هارى) ذلك؛ كانوا جميعًا مصدومين ويحاولون استيعاب الحقيقة البشعة لما جرى.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) فجأة: «أنا السبب فى كل ذلك»، وأخذت تنظر بعينين زائغتين وهى تلوى منديلها المبلل فى يديها، وأضافت: «إنها غلطتى.. أنا التى أرسلتُ (فيليوس) ليأتى بـ(سناب) الليلة، أرسلت فى طلبه ليأتى ويساعدنا! لولا أن نبهت (سناب) لما يجرى لما كان قد انضم إلى (آكلى الموت)، لا أظنه كان يعلم أنهم هنا قبل أن يخبره (فيليوس)، لا أظنه كان يعلم أنهم آتون».

قال (لوبين) بحسم: «لستِ السبب يا (منيرفا)، كلنا كنا نريد المزيد من العون، كنا سعداء بأن نعرف أن (سناب) آتٍ لمساعدتنا...».

كان (هارى) يريد أن يعرف كل تفاصيل ازدواجية (سناب) وسلوكه الشرير؛ حتى يجمع المزيد من الأسباب لبغضه والقسم على أن يثأر منه فسأل: «وحين وصل إلى القتال انضم إلى جانب (آكلى الموت)».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى شاردة: «لا أعلم ما جرى تحديدًا، الأمر كله محير.. (دمبلدور) قال لنا إنه سيغادر المدرسة لبضع ساعات، وأن علينا أن نراقب الدهاليز من باب الاحتياط.. كان يفترض أن ينضم إلينا كل من (ريموس) و(بيل) و(نيمفادورا).. وظللنا نراقب. كل شيء بدا هادئًا، كل ممر يؤدى إلى خارج المدرسة كان مُراقبًا. كنا نعلم أن أحدًا لا يستطيع أن يقتحمها طائرًا؛ كانت هناك تعاويذ قوية على كل مدخل من مداخل القلعة. مازلتُ لا أدرى كيف تمكن (آكلو الموت) من الدخولِ...».

قال (هارى): «أنا أعرف»، وفسر بإيجاز مسألة خزانتى الاختفاء والممر السحرى بينهما، وأكمل قائلاً: «ومن ثم، فقد دخلوا عبر غرفة الاحتياجات».

وتنقل رغمًا عنه بعينيه بين (رون) و(هرميون) اللذين بدا عليهما الذهول.

قال (رون) ببرود: «لقد أخفقت يا (هارى)، تصرفنا كما قلتَ لنا؛ راجعنا خارطة المارودر ولم نعثر على (مالفوى) فيها، فخطر لنا أنه لابد أن يكون فى غرفة الاحتياجات، فذهبت أنا و(جينى) و(نيفيل) لنراقبها.. لكن (مالفوى) تخطانا».

قالت (جينى): «خرج من الغرفة بعد ساعة من بدء مراقبتنا. كان وحده، ممسكًا بذراع متغضنة رهيبة...».

قال (رون): «(يد المجد) لا تضىء إلا لحاملها، أتتذكر؟».

واصلت (جينى) قائلة: «على أية حال، لابد أنه كان يتأكد من خلو الطريق لإخراج (آكلى الموت)؛ لأنه فى اللحظة التى رآنا فيها رمى شيئًا فى الهواء فأظلمت الدنيا...».

قال (رون) بمرارة: «... مسحوق ظلام فورى من بيرو. من محل (فريد) و(جورج). سيكون لى معهما كلام عمن يبيعونه منتجاتهما».

قالت (جينى): «جربنا كل شىء... *(لاموس، إنسنديو)*؛ لا شىء كان يخترق الظلام، كل ما استطعنا أن نفعله هو أن نتلمس طريقنا للخروج من الدهليز مرة أخرى، وفى الوقت نفسه تمكنا من سماع الناس يندفعون حولنا. من الواضح أن (مالفوى) كان يستطيع الرؤية؛ بسبب تلك اليد، وكان يرشدهم، ولكننا لم نجرؤ على الاستعانة بأية تعاويذ؛ حتى لا نصيب بعضنا، وفى الوقت الذى وصلنا فيه إلى دهليز مضىء كانوا قد اختفوا».

قال (لوبين) بصوت أجش: «لحسن الحظ أن (رون) و(جينى) و(نيفيل) قابلونا على الفور وأبلغونا بما جرى. وجدنا (آكلى الموت) بعد دقائق متوجهين صوب برج الفلك. بدا واضحًا أن (مالفوى) لم يكن يتوقع أن يكون هناك المزيد من الناس يراقبون؛ كان يبدو أنه استنفد ما لديه من مسحوق الظلام، ونشب القتال وتفرقوا وطاردناهم، انفصل أحدهم عنهم وهو (جيبون) وصعد درج البرج...».

سأله (هارى): «ليطلق العلامة؟».

قال (لوبين): «لابد أنه فعل ذلك، نعم، لابد أنهم اتفقوا على ذلك قبل أن يغادروا غرفة الاحتياجات، ولكننى أعتقد أن (جيبون) لم يحبذ فكرة انتظار (دمبلدور) وحده بأعلى؛ لأنه عاد يهبط الدرج مسرعًا لينضم للقتال وأصيب بتعويذة قاتلة أخطأتنى بالكاد».

قال (هارى): «إذن، لو كان (رون) يراقب غرفة الاحتياجات مع (جينى) و(نيفيل)...»، ثم استدار لـ (هرميون): «فهل كنتِ...؟».

همست (هرميون) وعيناها تتلألآن بالدموع: «خارج مكتب (سناب)، نعم، مع (لونا). ظللنا لمدة طويلة خارجه ولم يحدث شىء... ولم نكن نعلم ما يجرى بأعلى، كان (رون) قد أخذ خارطة المارودر معه... وكان الوقت يقترب من منتصف الليل حين جاء الأستاذ (فليتويك) يعدو بأقصى سرعته داخلاً إلى الزنازين وهو يصيح محذرًا من وجود (آكلى

الموت) بالقلعة، ولا أظنه لاحظ وجودى أنا و(لونا) هناك على الإطلاق، بل اندفع فى طريقه إلى مكتب (سناب) وسمعناه يقول لـ(سناب) إن عليه أن يعود معه ويساعد، ثم سمعنا صوتًا مدويًا وخرج (سناب) من غرفته مندفعًا ورآنا و... و...».

حثها (هارى) قائلاً: «ثم؟».

قالت (هرميون) بصوت هامس عالى الطبقة: «كنت بغاية الغباء يا (هارى)! قال: إن الأستاذ (فليتويك) انهار وإن علينا أن نذهب ونرعاه بينما... بينما يذهب هو ليساعد فى القتال ضد (آكلى الموت)...».

وغطت وجهها فى خجل وواصلت كلامها من بين أصابعها حتى بدا صوتها مكتومًا.

«دخلنا مكتبه لنرى ما إذا كنا نستطيع إسعاف الأستاذ (فليتويك)، فوجدناه ممددًا على الأرض غائبًا عن الوعى... و... آه، الأمر واضح تمامًا الآن، لابد أن (سناب) خدر (فليتويك)، ولكننا لم نفطن لذلك يا (هارى)، لم نفطن لذلك وتركنا (سناب) يخرج!».

قال (لوبين) بنبرة حاسمة: «لستِ السبب يا (هرميون)، لو لم تطيعى (سناب) وتبتعدى عن طريقه لربما كان قد قتلكِ أنت و(لونا)».

قال (هارى) وهو يتخيل (سناب) صاعدًا الدرج الرخامى وثوبه الأسود منتفخ وراءه كعهده دائمًا بينما يسحب عصاه السحرية من تحت عباءته: «إذن فقد صعد لأعلى، وعثر على المكان الذى كنتم جميعًا تقاتلون فيه...».

قالت (تونكس) بصوت خفيض: «كنا فى مأزق، كدنا نُهزم. سقط (جيبون) لكن بقية (آكلى الموت) بدوا مستعدين للقتال حتى الموت. كان (نيفيل) قد أصيب ووقع (بيل) بعد أن عضه (جريباك).. كان الظلام دامسًا.. والتعاويذ تتطاير فى كل مكان.. وكان الصبى (مالفوى) قد اختفى، لابد أنه تجاوزنا متسللاً وصعد الدرج إلى البرج، ثم لحق به

المزيد منهم، لكنَّ واحدًا منهم أوصد الدرج وراءهم بتعويذة ما، وحاول (نيفيل) اقتحامها، فأطيح به فى الهواء...».

قال (رون): «لم يتمكن أىٌّ منا من اختراقها، وكان (آكل الموت) الضخم لايزال يطلق تعاويذه فى أرجاء المكان، فكانت ترتد عن الحائط وتخطئنا بالكاد...».

قالت (تونكس): «ثم ظهر (سناب) للحظة وبعدها اختفى...».

قالت (جينى): «رأيته يركض صوبنا، لكننى انحنيت بعدها مباشرة لتفادى إحدى تعاويذِ (آكل الموت) الضخم وفقدت أثر كل شىء».

قال (لوبين): «رأيته يعدو مخترقًا تعويذة الحاجز الموضوعة على الدرج وكأنها غير موجودة وحاولت أن أتبعه، ولكن أُطيح بى كما أطيح... بـ(نيفيل)...».

وهمست (ماكجونجال) قائلة: «لابد أنه يعرف تعويذة لا نعرفها؛ فهو مدرس مادة الدفاع ضد فنون الظلام على أية حال.. واعتقدت أنه على عجل ليلحق بـ(آكلى الموت) الذين فروا إلى أعلى البرج...».

قال (هارى) بقسوة: «كان على عجل فعلاً، ولكن ليساعدهم لا ليمنعهم... وأراهنكم أن اختراق هذا الحاجز كان ممكنًا لمن يحمل علامة الظلام فقط.. ثم ماذا جرى حين عاد ونزل؟».

قال (لوبين): «كان (آكل الموت) الضخم قد أطلق تعويذة هدمت نصف السقف، وأبطلت التعويذة التى تسد الدرج أيضًا. فعدوْنا جميعًا... أو بالأحرى من كان لا يزال على قدميه منا ـ ثم ظهر (سناب) والصبى من وسط الغبار.. ولم يهاجمهما أحد منا طبعًا...».

قالت (تونكس) بصوت مكتوم: «تركناهما يمران، ظننا أن (آكلى الموت) يطاردونهما.. وبعد ذلك، عاد (آكلو الموت) الآخرون و(جريباك) وبدأنا القتال من جديد... وخُيِّل لى أننى سمعتُ (سناب) يصيح بشىء ولكننى لا أدرى ماذا قال...».

قال (هارى): «صاح قائلاً انتهى الأمر. كان قد أنجز ما خطط له».

ولاذوا جميعًا بالصمت. كان نواح (فاوكس) لا يزال صداه يتردد عبر الملاعب المظلمة بالخارج، ومع تردد صدى الموسيقى فى الجو جالت بخاطر (هارى) أفكار حزينة: تُرَى، هل رفعوا جثة (دمبلدور) من تحت البرج بعد؟ ماذا سيحدث لها بعد ذلك؟ أين ستدفن؟ أطبق قبضتيْه بشدة داخل جيبيْه؛ فأحس ببرودة قطعة الـ(هوركروكس) الزائفة الصغيرة تلامس مفاصل أصابع يده اليمنى.

وانفتح باب جناح المستشفى بقوة فهبوا جميعًا واقفين، ودخل السيد والسيدة (ويسلى) إلى العنبر ومن ورائهما (فلور) وقد كسا الخوف وجهها الجميل.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد قفزت وهرعت لتحيتهم: «(آرثر)، (مولى) قلبى معكما...».

همست السيدة (ويسلى) وهى تندفع إلى ما وراء الأستاذة (ماكجونجال) حين لمحت وجه (بيل) المشوه: «(بيل)، آه يا (بيل)!».

كان كل من (لوبين) و(تونكس) قد نهضا على عجل وتراجعا؛ حتى يسمحا للسيد والسيدة (ويسلى) بالاقتراب من السرير، وانحنت السيدة (ويسلى) على ابنها وطبعت شفتيها على جبينه الدامى.

سأل السيد (ويسلى) الأستاذة (ماكجونجال) وهو شارد قائلاً: «قلتِ إن (جريباك) هاجمه؟ ولكنه لم يتحول؟ ما معنى هذا؟ ماذا سيحدث لـ(بيل)؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تنظر إلى (لوبين) بعجز: «لا نعلم بعد».

قال (لوبين): «قد يكون هناك بعض العدوَى يا (آرثر)؛ إنها حالة غريبة، ربما فريدة من نوعها.. لا نعرف كيف سيكون سلوكه حين يستيقظ...».

تناولت السيدة (ويسلى) المرهم النفاذ الرائحة من يد مدام (بومفرى) وبدأت تمسح على جروح (بيل).

قال السيد (ويسلى): «و(دمبلدور) يا (منيرفا)، أصحيح... هل حقًّا...؟».

هزت الأستاذة (ماكجونجال) رأسها، شعر (هارى) بـ(جينى) وهى تتحرك بجانبه فنظر إليها؛ كانت عيناها قد ضاقتا قليلاً وقد وقفت تحدق إلى (فلور) التى كانت تحدق إلى (بيل) بملامح جامدة على وجهها.

همس السيد (ويسلى) قائلاً: «مات (دمبلدور)»، أما السيدة (ويسلى) فلم تكن تأبه إلا لابنها البكر؛ فبدأت تنشج بالبكاء ودموعها تنساب على وجه (بيل) المشوه.

«طبعًا لا يهم شكله... ليس الأمر بـ... بهذه الأهمية... ولكنه كان صـ... صبيًّا وسيمًا جدًّا... دائمًا وسيم... وكان سـ... سيتزوج!».

قالت (فلور) فجأة وبصوت عالٍ: «ماذا تقصدين بذلك؟ ماذا تقصدين بقولك كان سيتزوج؟!».

رفعت السيدة (ويسلى) وجهها المبلل بالدموع وهى تنظر بوجل.

«مجرد أن...».

قالت (فلور): «أتظنين أن (بيل) لن يرغب فى الزواج منى بعد الآن؟ أتعتقدين أنه لن يحبنى بعد الآن بسبب هذه العضات؟».

«لا، ليس هذا ما...».

قالت (فلور) وقد شدت قامتها وأطاحت بشعرها الفضى الطويل إلى الوراء: «سيحبنى! لن توقف عضات المستذئب حب (بيل) لى!».

قالت السيدة (ويسلى): «نعم، أنا متأكدة من ذلك ولكننى حسبتُ أنه ربما... نظرًا لـ... أنه...».

قالت (فلور) وقد انتفخت فتحتا أنفها: «حسبتِ أننى لن أرغب فى الزواج به؟ أم تراكِ تمنيتِ ذلك؟ لماذا أهتم بشكله؟ أنا جميلة بما يكفى

كلينا معًا على ما أظن! هذه الندوب تدل على مدى شجاعة زوجى!»، ثم أضافت بشراسة وهى تنحِّى السيدة (ويسلى) جانبًا وتنتزع المرهم منها قائلة: «وأنا التى سأقوم بذلك!».

مالت السيدة (ويسلى) إلى الوراء على زوجها وأخذت تراقب (فلور) وهى تمسح على جروح (بيل) بأغرب تعبير على وجهها. لم ينطق أحد بكلمة، ولم يجروً (هارى) على الحركة - كان كغيره ينتظر الانفجار.

قالت السيدة (ويسلى) بعد فترة صمت طويلة: «عمتى الكبرى (موريل) لديها تاج جميل جدًّا من صنع الأقزام الأسطوريين - أنا متأكدة أن بإمكانى إقناعها بإعارتك إياه فى عرسك؛ فهى تحب (بيل) جدًّا، أتعرفين؟ وسيبدو رائعًا على شعرك».

قالت (فلور) بتشنج: «شكرًا، أنا واثقة من أن هذا سيكون رائعًا».

وبعد.. لم يدرك (هارى) كيف حدث ذلك.. كانت كلتاهما تبكيان وتتعانقان. فالتفت حوله ذاهلاً متسائلاً عما إذا كان الناس قد جنوا، وكان الذهول باديًا على (رون) بالقدر نفسه، بينما تبادلت (جينى) و(هرميون) نظرات ملؤها الوجل.

قال صوت متوتر: «أرأيت؟» كانت (تونكس) تحدق إلى (لوبين).. «لا تزال تريد أن تتزوجه، حتى بعد أن أصيب! لا يهمها ذلك!».

قال (لوبين) وهو لا يكاد يحرك شفتيه وقد بدا عليه التوتر فجأة: «الأمر مختلف؛ (بيل) لن يكون مستذئبًا كاملاً. الحالتان...».

قالت (تونكس) وهى ممسكة بتلابيب ثوب (لوبين) وتهزها: «ولكن أنا أيضًا لا يهمنى، لا يهمنى! قلتُ لك مليون مرة...».

واتضح لـ(هارى) فجأة سبب تغير شكل (الباتروناس) الخاص بـ(تونكس) ولون شعرها «الفيرانى» وسبب مجيئها بحثًا عن (دمبلدور) حين سمعت عن تعرض أحدهم لهجوم (جريباك)؛ لم يكن (سيريوس) هو من أحبته (تونكس) على أية حال.

قال (لوبين) وهو يحدق إلى الأرض متفاديًا النظر إليها: «وأنا قلت لك مليون مرة إننى كبير عليك... وفقير... وخطير...».

قالت السيدة (ويسلى) من وراء (فلور) وهى تربت على ظهرها: «لطالما قلت لك إنك تبالغ فى الأمر لدرجة السخافة يا (ريموس)».

قال (لوبين) بثبات: «أنا لا أبالغ.. تستحق (تونكس) شابًّا بكامل عافيته».

قال السيد (ويسلى) بابتسامة صغيرة: «ولكنها تريدك أنت، كما أن الشباب صحيحى البدن لا يظلون بالضرورة على كمالهم يا (ريموس)»، ثم نظر بحزن إلى ولده الراقد بينهما.

قال (لوبين) وهو يتجنب نظرات الجميع ويجول بعينيه فى شرود: «هذه ليست اللحظة المناسبة لمناقشة ذلك، فقد مات (دمبلدور)...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) باقتضاب: «كان (دمبلدور) - بالتأكيد - يصبح أكثر سعادة من الجميع لو علم أن الدنيا لا يزال بها أشخاص متحابُّون». وفى تلك اللحظة، انفتح باب جناح المستشفى مرة أخرى ودخل (هاجريد).

كان ما تبقى ظاهرًا من وجهه غير محجوب وراء شعره أو لحيته مبللاً ومتورمًا، كان يهتز بالبكاء، وفى يده منديل مبقع.

قال بصوت مخنوق: «أنا... نفذت يا أستاذة... نـ... نقلته، والأستاذة (سبراوت) عادت بالأطفال إلى أسرّتهم، والأستاذ (فليتويك) ممدد، ولكنه يقول: إنه سيكون بخير بعد قليل، والأستاذ (سلجهورن) يقول: إنه تم إبلاغ الوزارة».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «شكرًا يا (هاجريد)»، ثم نهضت على الفور والتفتت لتلقى نظرة على المجموعة حول سرير (بيل) وأضافت: «سيكون علىَّ أن أقابل مسئولى الوزارة عندما يصلون إلى هنا. (هاجريد)،

أرجوك أبلغ رؤساء المنازل.. (سلجهورن) يمكن أن يمثل (سليذرين).. بأنى أريد أن ألتقيهم بمكتبى حالاً، وأريد منك أن تنضم إلينا أيضًا».

وبينما هز (هاجريد) رأسه واستدار وخرج من الغرفة يجر قدميه، نظرت هى إلى (هارى) وقالت: «لى كلمة معك قبل أن ألقاهم يا (هارى)، فهلا أتيتَ معى...».

نهض (هارى) وغمغم قائلاً لكل من (رون) و(هرميون) و(جينى): «سأراكم بعد قليل»، وتبع الأستاذة (ماكجونجال) إلى خارج العنبر. كانت الدهاليز خارجه خالية، ولا يسمع فيها صوت إلا شدو العنقاء. وبعد بضع دقائق، أدرك (هارى) أنهما متوجهان إلى مكتب (دمبلدور)، وليس إلى مكتب الأستاذة (ماكجونجال)، واستغرق الأمر بضع لحظات أخرى حتى أدرك أنها وكيل المدرسة.. وكان من الواضح أنها الناظرة الآن.. وبالتالى فالغرفة وراء التمثال الحجرى أصبحت غرفتها الآن.

صعدا الدرج الحلزونى المتحرك فى صمت ودخلا المكتب المستدير. لم يكن (هارى) يعلم ماذا يتوقع أن يكون شكل الغرفة، ربما تكسوها ستائر سوداء مسدلة، أو ربما تكون جثة (دمبلدور) ممددة بها. ولكنها فى الحقيقة كانت كما تركها هو و(دمبلدور) منذ بضع ساعات تمامًا: الأدوات الفضية تطن وتنبض على موائدها ذات القوائم الطويلة الرفيعة، وسيف (جريفندور) فى علبته الزجاجية يتلألأ فى نور القمر، وقبعة التصنيف على الرف وراء المكتب. لكن مكان (فاوكس) كان خاليًا؛ كان لا يزال يغنى مرثاته بالملاعب، وانضمت لوحة جديدة إلى صف لوحات نظار (هوجوورتس) الراحلين... بدا (دمبلدور) نائمًا داخل إطار لوحته الذهبى فوق المكتب. كانت نظارته هلالية الشكل مثبتة على أنفه المعقوف، وكان يبدو هادئًا لا يقلقه شىء.

بعد أن ألقت نظرة خاطفة على تلك الصورة أتت الأستاذة (ماكجونجال) بحركة غريبة كأنها تشحذ نفسها، ثم استدارت حول المكتب لتنظر إلى (هارى) بوجه مشدود متوتر.

قالت: «(هارى)، أود أن أعرف ما كنتَ تعمل أنت والأستاذ (دمبلدور) هذا المساء حين خرجتما من المدرسة؟».

قال (هارى): «لا يمكننى أن أقول لك يا أستاذة». كان قد توقع السؤال وكانت إجابته حاضرة. فهنا فى هذه الغرفة نفسها قال له (دمبلدور) إن عليه ألا يبوح بفحوى دروسهما لأحد غير (رون) و(هرميون).

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «(هارى)، قد يكون الأمر مهمًّا».

قال (هارى): «إنه أمر مهم جدًّا، ولكنه لم يشأ لى أن أبوح به لأحد».

حدقت الأستاذة (ماكجونجال) إليه.

«(بوتر)».. (لاحظ (هارى) تحولها إلى مناداته بلقبه) «نظرًا لوفاة الأستاذ (دمبلدور) أعتقد أن عليك أن تدرك أن الوضع تغير إلى حد ما...».

قال (هارى) وهو يهز كتفيه استخفافًا: «لا أظن. لم يبلغنى الأستاذ (دمبلدور) بأن أتوقف عن طاعة أوامره فى حالة موته».

«ولكن...».

«لكن هناك شىء واحد ينبغى أن تعرفيه قبل وصول مسئولى الوزارة، وهو أن مدام (روزمرتا) تحت تعويذة التحكم، وكانت تساعد (مالفوى) و(آكلى الموت)؛ ولهذا فإن العُقد والشراب المسموم...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بشك: «(روزمرتا)؟» ولكن قبل أن تواصل كلامها كان هناك طرقٌ على الباب من ورائهما ودخل الأساتذة (سبراوت) و(فليتويك) و(سلجهورن) إلى الغرفة متمهلين ومن خلفهم (هاجريد) الذى كان لايزال يبكى بغزارة بينما يهتز جسمه الضخم حزنًا.

قال (سلجهورن) الذى كان أكثرهم شحوبًا وعرقًا وارتعاشًا: «(سناب)؟! (سناب)؟! أنا علمته! كنت أحسب أننى أعرفه!».

ولكن قبل أن يتمكن أى منهم من الرد نطق صوت حاد من أعلى الحائط: ساحر شاحب الوجه ذو شعر أسود قصير دخل لتوِّه عائدًا إلى صورته الخاوية وقال:

«(منيرفا)، الوزير سيصل إلى هنا فى غضون ثوان، لقد انتقل آنيًا لتوِّه من الوزارة».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «شكرًا يا (إفيرارد)»، ثم التفتت بسرعة لمعلميها وقالت: «أود أن أتحدث عما جرى فى (هوجوورتس) قبل أن يصل»، ثم قالت بسرعة: «أنا شخصيًا غير مقتنعة بإعادة فتح المدرسة السنة القادمة. فموت الناظر على يد أحد زملائنا يعتبر وصمة رهيبة فى تاريخ (هوجوورتس). كان ذلك شيئًا مريعًا».

قالت الأستاذة (سبراوت): «أنا على يقين من أن الأستاذ (دمبلدور) كان سيود للمدرسة أن تظل مفتوحة، أرى أنه لو كان هناك تلميذ واحد يريد أن يأتى، فعلى المدرسة أن تظل مفتوحة لهذا التلميذ».

قال (سلجهورن) وهو يمسح العرق عن حاجبه بمنديل حريرى: «ولكن هل سيأتينا تلميذ واحد بعد ذلك؟ سيريد الآباء أن يبقوا أولادهم فى البيوت ولا لوم عليهم فى ذلك. أنا شخصيًا لا أعتقد أننا معرضون للخطر فى (هوجوورتس) أكثر من الخطر فى غيرها، ولكن لا تتوقعوا أن تفكر الأمهات على هذا النحو، بل سيردن أن يحفظن أسرهن معًا، وهذا أمر طبيعى».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «أوافقك الرأى، وعلى أية حال، فغير صحيح أن (دمبلدور) لم يتصور موقفًا يُحتمل فيه إغلاق (هوجوورتس). فعندما فُتحت غرفة الأسرار مرة أخرى فكر فى إغلاق المدرسة، ولابد أن أقول: إن مقتل الأستاذ (دمبلدور) أبشع فى رأيى من فكرة وجود وحش (سليذرين) فى قلب القلعة دون أن يُكتشف مكانه...»».

قال الأستاذ (فليتويك) بصوته الذى يشبه صرير الباب: «علينا أن نستشير مجلس المحافظين، علينا أن نتبع الإجراءات المتعارف عليها، لا ينبغى التسرع فى اتخاذ قرار»؛ كانت هناك كدمة كبيرة على جبهته وما عدا ذلك بدا أنه لم يصب بأى شىء نتيجة لانهياره فى مكتب (سناب).

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «(هاجريد)، أنت لم تقل شيئًا، ما رأيك.. هل تظل (هوجوورتس) مفتوحة؟».

رفع (هاجريد) وجهه. كان قد ظل يبكى فى صمت ويمسح عينيه المنتفختين الحمراوين فى منديله المبقع الكبير طوال هذا الحوار، وقال بصوت أجش: «لا أعلم يا أستاذة.. هذا أمر يقرره رؤساء المنازل والناظرة...».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بود: «كان الأستاذ (دمبلدور) يقدر رأيك دائمًا، وكذلك أنا».

قال (هاجريد) ولا تزال الدموع الثخينة تقطر من طرفى عينيه وتنساب على لحيته الكثة: «أنا باقٍ هنا؛ فهنا بيتى؛ هو بيتى منذ أن كنت فى الثالثة عشرة. وإذا كان هناك أولاد يريدون أن أعلمهم فسأفعل، ولكن... لا أدرى... (هوجوورتس) بدون (دمبلدور)...».

ثم غص واختفى وراء منديله مرة أخرى، وساد الصمت.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تنظر إلى الملاعب من النافذة؛ لترى ما إذا كان الوزير قد اقترب: «حسنًا جدًّا، إذن فلابد أن أتفق مع (فيليوس) على أن الصواب هو أن نتشاور مع مجلس المحافظين ليتخذوا القرار النهائى. أما بالنسبة لإعادة الطلاب إلى بيوتهم، فهناك رأى بأن يتم ذلك بأسرع ما يمكن، يمكننا أن نرتب لأن يأتى قطار (هوجوورتس) غدًا لو لزم الأمر...».

وأخيرًا تكلم (هارى) وقال: «ماذا عن جنازة (دمبلدور)؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد فقدت قدرًا من حيويتها باهتزاز صوتها: «حسنًا... أنا... أنا أعلم أن (دمبلدور) كانت له رغبة فى أن يدفن هنا، فى (هوجوورتس)...».

قال (هارى) بقوة: «إذن هذا ما سيتم، أليس كذلك؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «لو اعتبرت الوزارة هذا أمرًا لائقًا، فلم يسبق لأى ناظر أو ناظرة أن...».

قال (هاجريد) متذمرًا: «لم يقدم أىٌّ من النظار السابقين للمدرسة مثل ما قدمه (دمبلدور) لها».

قالت الأستاذة (فليتويك): «ينبغى أن تكون (هوجوورتس) مثوى (دمبلدور) الأخير».

وقالت الأستاذة (سبراوت): «طبعًا».

قال (هارى): «فى هذه الحالة لا ينبغى لكم أن تعيدوا الطلاب لبيوتهم إلا بعد انتهاء الجنازة.. فهم سيرغبون فى أن...».

وانحشرت الكلمة الأخيرة فى حلقه، إلا أن الأستاذة (سبراوت) أكملت الجملة نيابة عنه وقالت: «يودعوه».

فقالت الأستاذة (فليتويك): «أحسنتم، أحسنتم فعلاً! فطلابنا يجب أن يقدموا احتراماتهم، هذا أمر مناسب، ويمكننا أن نرتب انتقالهم لبيوتهم بعدها».

وقالت الأستاذة (سبراوت): «موافقون».

وقال (سلجهورن) بصوت يشوبه قدر من القلق: «أعتقد... نعم...» بينما أطلق (هاجريد) نشيجًا ينمُّ عن الموافقة.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) فجأة وهى تحدق إلى الملاعب: «إنه قادم.. الوزير... ويبدو أنه جاء مع وفد...».

فقال (هارى) على الفور: «أتأذنين لى يا أستاذة؟».

لم يشعر بأية رغبة فى أن يرى (روفوس سكريمجور) أو يخضع لاستجوابه الليلة.

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «تفضل وبسرعة».

وخطت نحو الباب وفتحته له، فأسرع يهبط الدرج الحلزونى ومنه إلى الدهليز الخالى؛ كان قد ترك عباءة الإخفاء أعلى برج الفلك، ولكن

هذا لم يهمه، فلم يكن بالدهليز أحد يراه وهو يجتازه، لا (فيلتش) ولا السيدة (نوريس) ولا (بيفز)، ولم يقابل أحدًا حتى انعطف فى الممر المُفضى إلى الغرفة العامة لـ(جريفندور).

همست السيدة البدينة وهو يدنو منها قائلة: «أصحيح؟ هل صحيح أن (دمبلدور) مات؟».

قال (هارى): «نعم».

فتأوهت وبدون أن تنتظر كلمة السر تأرجحت إلى الأمام لتدخله.

وكما توقع (هارى) كانت الغرفة العامة مزدحمة، وسادها الصمت حين عبر ثقب اللوحة. رأى (دين) و(سيموس) جالسيْن فى جماعة بالقرب منه؛ كان معنى هذا أن المهجع خال أو يكاد. وبدون أن يكلم أحدًا وبدون أن تلتقى عيناه بعينى أحد، مشى (هارى) عبر الغرفة ومنها إلى الباب المؤدى إلى مهاجع البنين.

كان (رون) فى انتظاره كما تمنى، كان لا يزال بكامل ملابسه جالسًا على سريره. فجلس (هارى) على سريره ذى القوائم العالية وظلاَّ للحظة يحدق كل منهما إلى الآخر.

قال (هارى): «يتحدثون عن إغلاق المدرسة».

فقال (رون): «(لوبين) قال: إنهم سيغلقونها».

وتوقفا عن الكلام، ثم قال (رون) بصوت خفيض جدًّا كأن الأثاث قد ينصت: «وبعد؟ هل وجدتَ واحدة؟ هل أتيتَ بها؟ قطعة الـ(هوركروكس)؟».

فهز (هارى) رأسه، بدا كل ما جرى حول تلك البحيرة السوداء ككابوس بعيد الآن؛ هل حدث هذا فى الحقيقة؟ ومنذ ساعات فقط؟

قال (رون) وقد بدت عليه خيبة الأمل: «لم تأتِ بها.. لم تكن موجودة».

قال (هارى): «لا، أخذها أحدهم وترك مكانها شيئًا زائفًا».

«أخذها أحدهم...؟!».

أخرج (هـارى) العلبة الزائفة من جيبه وفتحها، ثم ناوله إياها دون أن يتكلم. القصة الكاملة يمكن أن تنتظر... لا يهم الليلة... لا شىء كان يهم سوى النهاية، نهاية مغامرتهم العقيمة، نهاية حياة (دمبلدور)... همس (رون) قائلاً: «(ر. أ. ب) ولكن من هو؟».

قال (هارى) وقد مال إلى الخلف على سريره بكامل ملابسه وحدق إلى الأمام فى الفراغ: «لا أدرى». لم يشعر بأى فضول تجاه (ر. أ. ب). بل إنه تشكك فى أن يشعر بأى فضول بعد الآن. أدرك فجأة وهو مستلق أن الملاعب أصبحت صامتة.

توقف (فاوكس) عن الشدو.

وأدرك ـ دون أن يعرف كيف أدرك ذلك ـ أن العنقاء رحلت، رحلت عن (هوجوورتس) للأبد، تمامًا كما رحل (دمبلدور) عن المدرسة، كما رحل عن الدنيا.. كما رحل عن (هارى).

■ ■ ■

٣٠ القبر الأبيض

توقفت جميع الحصص، وتأجلت جميع الامتحانات. وأسرع بعض الآباء بأخذ أبنائهم من (هوجوورتس) خلال اليومين التاليين - رحل التوءم (باتيل) قبل الإفطار في صباح اليوم الذى تلا وفاة (دمبلدور)، وحضر والد (زاكريَاس سميث) ذو المظهر المتغطرس إلى القلعة واصطحبه معه. بينما واجه (سيموس فينيجان) أمه ورفض بشدة أن يعود معها إلى البيت، ونشبت بينهما مشادة ببهو الدخول لم تتم تسويتها إلا حين وافقت على بقائه لحين حضور الجنازة ولكنها وجدت صعوبة فى العثور على سرير فى (هوجسميد) كما أخبر (سيموس) (هارى) و(رون)؛ لأن السحرة والساحرات كانوا يتوافدون إلى القرية؛ استعدادًا لحضور جنازة (دمبلدور).

وفى ظهيرة اليوم السابق للجنازة، حلقت عربة زرقاء فى حجم بيت يجرها اثنا عشر فرسًا مجنحة عملاقة فى السماء فوق القلعة، ثم هبطت على حافة الغابة؛ مما أثار قدرًا من الإثارة بين الطلاب الأصغر سنًّا الذين لم يشهدوا شيئًا كهذا من قبل. وكان (هارى) ينظر من إحدى النوافذ حين هبطت على سلم العربة امرأة عملاقة جميلة زيتونية البشرة ذات شعر فاحم وألقت بنفسها بين ذراعى (هاجريد) الذى كان فى انتظارها. وفى الوقت نفسه، كان هناك وفد من مسئولى الوزارة بينهم وزير السحر نفسه يقيم داخل القلعة. وكان (هارى) يتجنب قدر جهده الاتصال بأى منهم؛ إذ كان موقنًا أنه سيُطلب منه مرة أخرى - إن عاجلاً أو آجلاً - أن يعلل رحلة (دمبلدور) الأخيرة من (هوجوورتس).

وكان (هارى) و(رون) و(هرميون) و(جينى) يقضون وقتهم كله معًا. وكان الطقس قد أصبح جميلاً فأحسوا كأن الطبيعة تهزأ بهم؛ تصور (هارى) الحال لو لم يلق (دمبلدور) حتفه، لكان قد قضوا معًا وقتًا طيبًا بعد أن انتهت السنة الدراسية، وأنهت (جينى) امتحاناتها وزالت عنهم ضغوط الواجبات المدرسية... وظل (هارى) يؤجل مرة بعد مرة قول ما كان يعرف أن عليه أن يقوله، وعمل ما كان يعلم أنه أصوب شيء يفعله، كان من الصعب عليه أن يتخلى عن أكبر مصدر لسلواه وعزائه.

كانوا يزورون جناح المستشفى مرتين فى اليوم، وكان (نيفيل) قد خرج من المستشفى، أما (بيل) فظل فى رعاية مدام (بومفرى). كانت ندوبه لاتزال على سوئها؛ والحقيقة أنه أصبح الآن يشبه (ماد إى مودى)، ولكن لحسن الحظ كان لايزال لديه كلتا عينيه وساقيه، أما شخصيته فلم يطرأ عليها أى تغيير باستثناء أنه أصبح الآن يهوى تناول شرائح اللحم النيئ.

قالت (فلور) بسعادة وهى ترتب وسائد (بيل): «... من حسن حظه أنه سيتزوجنى؛ لأن الإنجليز يغالون فى طهى اللحم، ولطالما قلت ذلك».

فيما بعد فى ذلك المساء، تنهدت (جينى) وهى جالسة مع (هارى) و(رون) و(هرميون) بجانب النافذة المفتوحة بالغرفة العامة لـ(جريفندور) يراقبون الملاعب وقت الشفق وقالت: «أظن أننى مضطرة لتقبل فكرة أنه حقًا سيتزوجها».

قال (هارى): «ليست بهذا السوء»، وعندما رفعت (جينى) حاجبيها وأطلقت ضحكة مترددة أردف بسرعة قائلاً: «وإن كانت دميمة».

«جسنا إذا كانت أمى تستطيع تحملها فسأتحملها أنا أيضًا على ما أظن».

سأل (رون) (هرميون) التى كانت تطالع صحيفة (المتنبئ المسائية) قائلاً: «هل مات أحد آخر نعرفه؟».

فجفلت (هرميون) من القسوة التى شابت صوته.

أجابت بصوت يشوبه التوبيخ وهى تطوى الصحيفة: «لا... لايزال البحث جاريًا عن (سناب)، ولكن لا أثر له...».

قال (هارى) الذى كان يغضب كلما فُتح هذا الموضوع: «طبعًا لا أثر له. لن يعثروا على (سناب) إلا إذا عثروا على (فولدمورت)، ومن الواضح أنهم لم يفلحوا فى ذلك طوال هذا الوقت...».

قالت (جينى) وهى تتثاءب: «سأذهب لأنام، لم أنم جيدًا منذ... حسنًا... أنا بحاجة لقدر من النوم». وقبّلت (هارى)، أدار (رون) وجهه بحدة ولوحت للآخرين ومضت إلى مهاجع البنات. وفى اللحظة التى انغلق فيها الباب وراءها، مالت (هرميون) نحو (هارى) وعلى وجهها نظرة هرميونية خالصة:

«(هارى)، اكتشفت شيئًا هذا الصباح، فى المكتبة...».

قال (هارى) وهو يعتدل فى جلسته: «ر. أ. ب.؟».

لم يساوره شعور الإثارة والفضول والتحرق شوقًا للتوصل لحل اللغز الذى كان غالبًا ما يساوره من قبل؛ كان يعرف ببساطة أن مهمة اكتشاف حقيقة قطعة الـ(هوركروكس) الحقيقية لابد أن تتم قبل أن يتحرك قليلاً على الطريق المظلم الملتوى الممتد أمامه؛ الطريق الذى بدأه هو و(دمبلدور) معًا، والذى كان يعرف الآن أن عليه أن يمشيه وحده. قد يكون هناك أربع قطع (هوركروكس) أخرى فى مكان ما، ولابد من العثور على كل منها وتدميرها قبل أن يكون هناك مجرد احتمال أن يموت (فولدمورت). وظل يردد أسماءها بينه وبين نفسه كأنه سيتمكن من الوصول إليها بمجرد ترديد أسمائها: «القلادة... الكأس... الأفعى... أحد متعلقات (جريفندور) أو(رافينكلو)... القلادة... الكأس... الأفعى... أحد متعلقات (جريفندور) أو(رافينكلو)...». كانت هذه

الأفكار تنبض فى ذهن (هارى) كل ليلة حتى يغلبه النوم. وكانت أحلامه متخمة بالكئوس والقلائد والأشياء الغامضة التى لم يتمكن من التوصل إليها مع أن (دمبلدور) أعطاه سُلَّمًا من الحبال ليساعده تحول إلى أفاعٍ لحظة شروعه فى تسلقه.

وكان قد أرى (هرميون) الرسالة التى وجدها داخل القلادة صباح اليوم التالى لوفاة (دمبلدور)، ومع أنها لم تتعرف على الاسم فورًا باعتباره اسم أحد السحرة الذين قرأت عنهم إلا أنها منذ ذلك الوقت أصبحت تتردد على المكتبة أكثر مما يتطلبه الأمر من طالب ليس لديه واجب مدرسى ينهيه.

قالت فى حزن: «لا، حاولت كثيرًا، ولكننى لم أتوصل لشىء يا (هارى).. هناك اثنان من مشاهير السحرة تبدأ أسماؤهم بهذه الأحرف: (روزالين أنتيجون بَنجز) و(روبرت إكسبانجر بروكستانتون)، ولكن لا يبدو أنهما يصلحان على الإطلاق.

ويبدو من الرسالة أن من سرق الـ(هوركروكس) كان يعرف (فولدمورت)، ولا أستطيع أن أعثر على أى دليل على أن (بنجز) أو(إكسبانجر) كان لهما أية صلة به.. لا، فى الحقيقة، المسألة تتعلق بـ(سناب)».

وبدا عليها التوتر وهى تنطق الاسم مرة أخرى.

فسألها (هارى) بتثاقل وهو يسترخى فى مقعده: «ما شأنه؟».

قالت بتردد: «مجرد أننى كنت محقة فيما يتعلق بمسألة الأمير الهجين».

«هل لابد أن تثيرى أعصابى يا (هرميون)؟ ماذا تظنين شعورى إزاء ذلك الآن؟».

فقالت بسرعة وهى تتلفت لتتأكد أن ما من أحد يتنصت عليهما «لا، لا يا (هارى)، لم أقصد ذلك! مجرد أننى كنت على حق فيما يتعلق بكون الكتاب كان يخص (أيلين الأمير). أتعرف؟ فقد كانت أم (سناب)!».

قال (رون): «كانت دميمة» وتجاهلته (هرميون).

«تصفحت بقية الأعداد القديمة من جريدة (المتنبئ) ووجدت إعلانًا صغيرًا عن زواج (أيلين الأمير) من رجل يدعى (توبياس سناب)، ثم بعد ذلك إعلانًا يقول إنها ولدت...».

قال (هارى): «...قاتلاً».

قالت (هرميون): «حسنًا، نعم. وهكذا.. كنتُ على حق. فلابد أن (سناب) كان فخورًا بكونه «نصف أمير»، أترى؟ (توبياس سناب) كان من العامَّة حسب ما ورد بالجريدة».

قال (هارى): «نعم، هذا معقول. يركز على نصفه نقى الدم حتى يدخل فى زمرة (لوكيوس مالفوى) والباقين... إنه مثل (فولدمورت) تمامًا؛ أمٌّ نقية الدم وأبٌ من العوام.. يحس بالخزى من أصله فيحاول أن يضفى على نفسه الرهبة مستعينًا بالسحر الأسود ويتخذ اسمًا جديدًا مبهرًا؛ اللورد (فولدمورت)... الأمير الهجين... كيف فات الأمر على (دمبلدور)...؟».

توقف فجأة وهو ينظر إلى خارج النافذة، لم يستطع أن يمنع نفسه من لوم (دمبلدور) على ثقته غير المبررة فى (سناب)... ولكنه؛ أى (هارى) نفسه انخدع بالصورة نفسها كما ذكَّرته (هرميون) بدون قصد.. فعلى الرغم من تزايد خطورة التعاويذ التى كانت مدونة بحواشى الكتاب، ظل يرفض أن يسىء الظن بالصبى البارع الذى ساعده كثيرًا... ساعده... كانت فكرة لا تحتمل، والآن...

قال (رون): «مازلت لا أفهم لماذا لم يوقفك ويبلغ عنك. لابد أنه كان يعرف من أين تأتى بكل هذا».

قال (هارى) بمرارة: «كان يعرف... كان يعرف عندما استعملت *(سيكتوميسيمبرا)*. لم يكن بحاجة *(للجيليمنسى)*.. بل لعله كان يعرف قبل ذلك من كلام (سلجهورن) عن براعتى فى الوصفات السحرية.. ما كان له أن يترك هذا الكتاب القديم فى قاع تلك الخزانة، أليس كذلك؟».

«ولكن لم تركك تستخدمه؟».

قالت (هرميون): «لا أظنه كان يريد أن يربط نفسه بذلك الكتاب. لا أظن (دمبلدور) كان سيعجبه ذلك لو عرف. وحتى لو ادعى (سناب) أنه لا يخصه فإن (سلجهورن) كان سيتعرف على خطه على الفور. على أية حال، فالكتاب تُرك في فصل (سناب) القديم، وأنا متأكدة من أن (دمبلدور) كان يعرف أن أمه كان لقبها (الأمير)».

قال (هارى): «كان ينبغى علىَّ أن أُرِىَ الكتاب لـ(دمبلدور). ظل طوال هذا الوقت يرينى كيف كان (فولدمورت) شريرًا حتى حين كان بالمدرسة، وكان لدىَّ ما يدل على شر (سناب) أيضًا...».

فقالت (هرميون) بهدوء: «شرير، كلمة كبيرة».

«لقد كنتِ أنتِ من حاولتِ تنبيهى لمدى خطورة الكتاب!».

«ما أريد قوله يا (هارى) هو أنك تحمِّل نفسك ما لا تطيق. كنت أعتقد أن الأمير يتسم بحسٍّ فكاهى مقزز، ولكن لم يخطر ببالى قطُّ أن يكون قاتلاً محتملاً...».

قال (رون): «لا أحد منا كان يمكن أن يجول بخاطره أن (سناب) يمكن أن! أتعرف؟».

وساد الصمت بينهم، وغاص كل منهم فى أفكاره، لكن (هارى) كان موقنًا من أنهما كانا يفكران مثله فى صباح اليوم التالى عندما يتم دفن جثمان (دمبلدور). لم يسبق أن حضر (هارى) جنازة من قبل؛ فلم تكن ثمة جثة تُدفن حين مات (سيريوس). لم يكن يعرف ما ينتظره وساوره قدر من القلق عما قد يرى، وكيف سيكون شعوره. وتساءل عما إذا كانت وفاة (دمبلدور) ستصبح حقيقة بالنسبة له بمجرد انتهاء الجنازة. مرت عليه لحظات كادت فيها حقيقة وفاته المفزعة تسيطر عليه، ولكن مع أن كل من فى القلعة لم يكن لهم حديث إلا عن ذلك، فهو

كان لايزال غير مصدق أن (دمبلدور) رحل فعلاً. فكر (هارى) فى أنه لم يفعل كما فعل حين توفى (سيريوس) وأخذ يبحث يائسًا عن ثغرة؛ عن طريقة ما تدل على أن (دمبلدور) سيعود، ثم تحسس جيبه؛ بحثًا عن السلسلة الباردة لقطعة الـ(هوركروكس) الزائفة التى كان يحملها معه أينما ذهب لا كطلسم لدفع الشر، بل كتذكار على ما كلفته، وعلى ما بقى عليه أن يفعله.

استيقظ (هارى) مبكرًا فى اليوم التالى ليقوم بحزم أمتعته؛ سيغادر قطار (هوجوورتس) بعد الجنازة بساعة واحدة، وعندما نزل إلى الطابق السفلى وجد المزاج مكتئبًا فى البهو العظيم. كان الجميع مرتدين ملابسهم الرسمية ولم يكن أى منهم جائعًا. لم تجلس الأستاذة (ماكجونجال) على المقعد الذى يشبه العرش بوسط مائدة الأساتذة وتركته خاليًا، وكان مقعد (هاجريد) خاليًا أيضًا، ظن (هارى) أنه ربما لم يستطع مواجهة الموقف، أما مكان (سناب) فكان يشغله (روفوس سكريمجور) بدون اهتمام. تجنب (هارى) عينيه الصفراوين وهما تتفقدان القاعة؛ كان (هارى) يساوره شعور مزعج بأن (سكريمجور) كان يبحث عنه. ومن بين حاشية (سكريمجور)، ميز (هارى) شعر (بيرسى ويسلى) الأحمر ونظارته مدببة الحواف. ولم يبدُ على (رون) ما ينمُّ عن أنه مدرك لوجود (بيرسى) بصرف النظر عن طعنه قطع السالمون بغيظ غير معهود.

وعلى مائدة (سليذرين)، كان (كراب) و(جويل) يغمغمان معًا. ومع أنهما صبيان بدينان فقد بَدَوا غريبيْن بدون وجود (مالفوى) الفارع الطول الشاحب بينهما وتحكمه فيهما. لم يكن (هارى) يولى (مالفوى) كثيرًا من فكره؛ كان عداؤه كله موجهًا إلى (سناب)، ولكنه لم ينس الخوف الذى شاب صوت (مالفوى) بأعلى البرج ولا حقيقة أنه أنزل عصاه السحرية قبل وصول (آكلى الموت). لم يصدق (هارى) أن (مالفوى) كان يمكن أن يقتل (دمبلدور)، ولكنه كان لا يزال يبغض

(مالفوى) لافتتانه بالسحر الأسود، وإن كان يكنُّ له قدرًا ضئيلاً من الشفقة ممتزجًا بالكره. تساءل (هارى): أين (مالفوى) الآن؟ وماذا كان (فولدمورت) يدفعه لفعله تحت التهديد بقتله وأبويه؟

قطعت أفكار (هارى) لكزة فى الضلوع من (جينى)؛ حيث كانت الأستاذة (ماكجونجال) قد وقفت فخفتت الهمهمة الحزينة فى القاعة على الفور.

قالت: «لقد حان الوقت. من فضلكم اتبعوا رؤساء منازلكم إلى الملاعب. طلاب (جريفندور) ورائى».

تحركوا من وراء مقاعدهم فى صمت، ولمح (هارى) (سلجهورن) على رأس طابور (سليذرين)، كان يرتدى ثوبًا أخضر زمرديًا طويلاً مهيبًا مطرزا بالفضة. لم يسبق له أن رأى الأستاذة (سبراوت) رئيسة (هافلباف) بهذه النظافة؛ لم تكن هناك أية بقع على قبعتها، وعندما وصلوا إلى بهو الدخول وجدوا مدام (برينس) تقف بجانب (فيلتش) وهى تضع خمارًا أسود سميكًا تدلى حتى ركبتيها، بينما يرتدى هو بزة سوداء عتيقة وربطة عنق تفوح منها رائحة النفتالين.

وعندما خرج (هارى) من الأبواب الأمامية إلى السلم الحجرى، عرف أنهم متوجهون نحو البحيرة. وعانق دفء الشمس وجوههم، بينما يتبعون الأستاذة (ماكجونجال) فى صمت نحو مكان صفت فيه مئات المقاعد، وترك فى وسطها ممشى وكانت هناك مائدة رخامية فى المقدمة وقد صفت المقاعد لتواجهها، وكان اليوم أحد أجمل أيام الصيف طقسًا.

كانت هناك تشكيلة غريبة من الناس قد اتخذوا أماكنهم فى نصف المقاعد: منهم رث الهيئة، ومنهم الأنيق، منهم الشاب، ومنهم العجوز. لم يكن (هارى) يعرف معظمهم، ولكن كانت هناك قلة منهم يعرفهم، بينهم أعضاء جماعة العنقاء: (كينجسلى شاكلبولت) و(ماد آى مودى)

و(تونكس)، وقد عاد شعرها بمعجزة إلى اللون الوردى الزاهى و(ريموس لوبين) الذى كان يبدو أنها ممسكة بيده، السيد والسيدة (ويسلى)، (بيل) تسنده (فلور) ويتبعهما كل من (فريد) و(جورج) يرتديان سترتين من جلد التنين الأسود، وكانت هناك مدام (مكسيم) التى احتلت مقعدين ونصف مقعد وحدها و(توم) صاحب نُزُل (ليكى كاولدرون) و(أرابلا فيج) جارة (هارى) (السكويب)، وعازف الباص المشعر من فرقة (الأخوات غريبات الأطوار)، (إيرنى برانج) سائق حافلة الفارس ومدام (مالكين) من حانوتِ الملابس بحارة (دياجون)، وبعض الناس ممن كان (هارى) لا يعرفهم إلا بوجوههم كساقى حان (رأس الخنزير) والساحرة التى كانت تدفع عربة الطعام بقطار (هوجوورتس). وكان أشباح القلعة موجودين أيضًا وإن كان من الصعب رؤيتهم فى ضوء الشمس الساطع، ولا يمكن تمييزهم إلا حين يتحركون حيث يومضون كأطياف فى الهواء، وجلس كل من (هارى) و(هرميون) و(رون) و(جينى) على مقاعد فى نهاية صف بجوار البحيرة. كان الناس يتهامسون، كان صوت همسهم كصوت النسيم عندما يتخلل العشب، إلا أن شدو الطير كان أعلى بكثير. وظل الحشد يكبر.. ورأى (هارى) (لونا) تعين (نيفيل) على الجلوس فى مقعد فغمره شعور بالامتنان لكليهما فقد كانا الوحيدين من بين جميع أفراد جيش (دمبلدور) اللذين استجابا لدعوة (هرميون) ليلة وفاة (دمبلدور)، وكان (هارى) يعرف سبب ذلك؛ فقد كانا أكثر من افتقد جيش (دمبلدور).. وربما كانا الوحيدين اللذين اعتادا تفقد عملاتهم بانتظام؛ أملاً فى أن يكون هناك التئام شمل آخر...

مر بهم (كورنيليوس فودج) متجهًا نحو الصفوف الأمامية، وكان البؤس باديًا عليه، وهو يدير قبعته المستديرة الخضراء كالعادة، ثم رأى (هارى) (ريتا سكيتر) التى كانت تمسك دائمًا بدفتر فى يدها المخضبة باللون الأحمر، وقد أثارت رؤيتها غيظه، ثم تلقى صدمة حنق

أخرى لدى رؤية (دولوريس أمبريدج) بشعرها الرمادى المصبوغ والمربوط بربطة سوداء مخملية، وكان على وجهها الذى يشبه وجه الضفدع تعبير حزن غير مقنع، وجفلت لدى رؤية القنطور (فيرنز) الذى كان يقف كالخفير قرب حافة الماء وابتعدت مسرعة واتخذت مقعدًا على مسافة بعيدة منه.

وجلس الأساتذة أخيرًا ـ رأى (هارى) (سكريمجور) ـ وقد بدا عليه الوقار والحزن جالسا فى الصف الأمامى مع الأستاذة (ماكجونجال)، وتساءل عما إذا كان (سكريمجور) أو أىٌّ من هذه الشخصيات المهمة حزينًا فعلاً لوفاة (دمبلدور)، ثم سمع الموسيقى؛ موسيقى غريبة تنتمى إلى العالم الآخر، فنسى بغضه للوزارة وهو يتلفت بحثًا عن مصدرها. ولم يكن الوحيد فى ذلك؛ فقد تلفتت رءوس عديدة تبحث بقليل من الانزعاج.

همست (جينى) فى أذن (هارى) قائلة: «هناك».

ورآهم فى الماء الأخضر الصافى تحت ضوء الشمس على بُعد بوصات تحت سطح الماء، فذكره منظرهم لأول وهلة بـ(الأنفيرى) المرعبين؛ كانت هناك جوقة من أناس البحر يغنون بلغة غريبة لم يفهمها، كانت وجوههم الشاحبة تتماوج وشعرهم الأرجوانى ينساب حولهم فى كل اتجاه. جعلت الموسيقى شعر رقبة (هارى) يقف رغم أنها لم تكن منفرة، ولكنها كانت تعبر بوضوح عن الخسارة واليأس. وحين نظر لأسفل إلى وجوه المغنين الحزينة، داخله إحساس بأنهم على الأقل يشعرون بالحزن على رحيل (دمبلدور)، ثم لكزته (جينى) مرة أخرى فالتفت.

كان (هاجريد) يمشى متثاقلاً فى الممشى بين المقاعد وكان يبكى فى صمت تام ووجهه يتلألأ بالدموع وعلى ذراعيه جثة (دمبلدور) ملفوفة فى مخمل بنفسجى مرصع بنجوم ذهبية. فأحس (هارى) بغُصَّة مؤلمة فى حلقه لدى رؤية المشهد؛ للحظة بدا كأن الموسيقى الغريبة ومعرفة أن جثمان (دمبلدور) على هذه المسافة القريبة قد انتزعتا كل دفء من

الجو، وبدا الشحوب والصدمة على وجه (رون)، وكانت الدموع تنساب ثخينة ومتلاحقة من عينى (جينى) و(هرميون).

لم يتمكنوا من رؤية ما يجرى فى المقدمة بوضوح؛ كان (هاجريد) قد وضع الجثمان برفق على المنضدة، ثم تراجع عبر الممشى ينفض أنفه بضجيج عالٍ كصوت البوق مما اجتذب النظرات المشمئزة من البعض، ومنهم (دولوريس أمبريدج).. لكن (هارى) كان يعلم أن (دمبلدور) ما كان ليهمه ذلك. حاول أن يبعث بإيماءة ود إلى (هاجريد) وهو مار، إلا أن عينى (هاجريد) كانتا منتفختين لدرجة تجعل من الصعب عليه رؤية حتى طريقه. وألقى (هارى) نظرة خاطفة على الصف الخلفى الذى كان (هاجريد) متجهًا إليه فأدرك ما كان يرشده إلى الطريق؛ إذ كان يجلس هناك شقيقه العملاق (جراوب) مرتديًا سترة وسروالاً، كل منهما فى حجم خيمة صغيرة وكان رأسه الضخم القبيح الذى يشبه الصخرة محنيًا وقد بدا وديعًا شبيهًا بالبشر. وجلس (هاجريد) بجانب أخيه غير الشقيق، وأخذ (جراوب) يربت على رأس (هاجريد) بقوة؛ حتى غاصت قوائم مقعده فى الأرض.

فألحت على (هارى) رغبة لحظية فى الضحك، لكن الموسيقى توقفت، والتفت ليواجه المقدمة من جديد.

نهض رجل ضئيل الحجم ذو شعر مجدول يرتدى ثيابًا سوداء تمامًا ووقف الآن أمام جثمان (دمبلدور). لم يتمكن (هارى) من سماع ما يقوله بوضوح؛ كلمات غريبة بلغت مسامعهم من فوق مئات الرءوس: «نبل الروح»... «إسهامٍ فكرى»... «عظمة القلب».. لم تكن تعنى الكثير، لم تكن تقول إلا قليلاً عن (دمبلدور) كما عرفه (هارى). وفجأة تذكر بعض الألفاظ التى كان (دمبلدور) يطلقها على نفسه: «مغفل»، «غريب الأطوار»، «منتحب»، «أحمق»، ومرة أخرى كبت ابتسامة راودته.. ماذا دهاه؟

سمع صوت طرطشة فى البحيرة إلى يساره ورأى أناس البحر يخرجون إلى السطح ليسمعوا أيضًا؛ فتذكر (دمبلدور) وهو ينحنى على حافة الماء قبل سنتين بالقرب من المكان الذى كان (هارى) يجلس فيه الآن ويتحاور بلغة أهل البحر مع رئيسة أناس البحر. وتساءل (هارى) أين تعلم (دمبلدور) لغتهم. هناك الكثير مما لم يسأله عنه، الكثير مما كان ينبغى أن يقول.

ثم تبدت له فجأة وبدون سابق إنذار الحقيقة المروعة بصورة واضحة لا سبيل لإنكارها. (دمبلدور) مات، رحل... أمسك بالقلادة الباردة فى يده بإحكام حتى آلمته، ولكنه لم يستطع أن يمنع الدموع الحارة من أن تنساب من عينيه.. أدار وجهه عن (جينى) والآخرين ونظر صوب البحيرة، نحو الغابة، بينما واصل الرجل الضئيل المتشح بالسواد خُطبته الرتيبة.. كانت هناك حركة بين الأشجار؛ جاءت القناطير للعزاء أيضًا، لم تخرج إلى العراء ولكن (هارى) رآها تقف فى سكون، شبه مختبئة فى الظل تشاهد السحرة وأقواسها معلقة على أجنابها. وتذكر (هارى) أولى رحلاته الكابوسية إلى الغابة؛ أول مرة يقابل فيها هذا الشىء الذى أصبح فيما بعد (فولدمورت)، وكيف واجهه، ثم كيف تناقش بعدها بمدة قصيرة مع(دمبلدور) حول خوض المعارك الخاسرة. كان من المهم فى رأى (دمبلدور) أن تقاتل وتقاتل مرة أخرى وأن تظل تقاتل، وحينها فقط يمكن صد الشر وإن لم يُستأصل تمامًا.

وفكر (هارى) وهو جالس فى مكانه تحت الشمس الحارقة فى جميع من أحبوه ودافعوا عنه واحدًا تلو الآخر؛ أمه وأبيه وأبيه الروحى وأخيرًا (دمبلدور)، كانوا جميعًا عازمين على حمايته.. لكن هذا انتهى الآن. لا يستطيع أن يدع أحدًا آخر يحول بينه وبين (فولدمورت)؛ عليه أن يتخلى عن الوهم الذى كان عليه أن يفيق منه منذ كان عمره سنة واحدة، وهو أن كنف والديه يمنع الأذى عنه. فكابوسه لا استيقاظ منه،

ليست هناك همسات تطمئنه في الظلام بأنه في أمان، وأن كل هذا من صنع خياله هو بعد الآن؛ فقد مات آخر حُماته وأعظمهم وأصبح وحيدًا ذلك اليوم أكثر مما كان عليه في أي يوم من حياته.

فرغ الرجل الضئيل المتشح بالسواد من كلمته أخيرًا وعاد إلى مقعده. وانتظر (هاري) أن ينهض غيره؛ توقع خطبًا، ربما من الوزير، ولكن ما من أحد تحرك من مكانه.

ثم صرخ العديد من الناس، وانطلقت شعلات بيضاء براقة حول جثمان (دمبلدور) والمنضدة التي وضع عليها، وارتفعت.. وارتفعت وحجبت الجثمان، وارتفع الدخان الأبيض في الجو ورسم أشكالاً غريبة؛ وتخيل (هاري) لبرهة تخلع القلب أنه رأى عنقاء تطير بمرح في زرقة السماء، لكن النار اختفت في اللحظة التالية وحل محلها قبر رخامي أبيض يغلف جثمان (دمبلدور) والمنضدة التي وضع عليها.

علت بضع صرخات أخرى من الصدمة مع تحليق وابل من السهام في الجو، ولكنها سقطت بالقرب من الجموع. كانت تحية القناطير؛ إذ رآها تلف ذيولها وتختفي بين الأشجار الهادئة. كما غاص أهل البحر ببطء عائدين إلى أعماق المياه الخضراء واختفوا عن الأنظار.

نظر (هاري) إلى كل من (جيني) و(رون) و(هرميون)؛ كان وجه (رون) مغضنًا كأن ضوء الشمس أعماه، وكان وجه (هرميون) يتلألأ بالدموع، أما (جيني) فلم تعد تبكي؛ قابلت نظرة (هاري) بنفس النظرة القوية المتأججة التي رآها حين عانقته بعد الفوز بكأس الـ(كويدتش) في غيابه، وعرف أنهما يفهمان بعضهما تمامًا، وأنه حين يبلغها بما هو مُقدِم عليه لن تقول له: «احذر» أو «لا تقدم على ذلك»، بل ستتقبل قراره؛ لأنها لا تتوقع منه شيئًا أقل من ذلك. فشحذ همته ليقول لها ما اعتبر أن عليه أن يقوله منذ وفاة (دمبلدور).

قال بهدوء شديد بينما علا طنين الحديث من حوله مع بدء تحرك الناس للانصراف: «اسمعى يا (جينى)... لا أستطيع أن أظل معكِ بعد الآن. علينا أن نتوقف عن اللقاءات. لا يمكننا أن نبقى معًا».

فقالت بابتسامة ملتوية غريبة: «لسبب نبيل سخيف، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «هذه الأسابيع القليلة الماضية معك كانت... كانت كأنها مقتطعة من حياة شخص آخر، ولكن لا أستطيع... لا يمكننا... لدىَّ أشياء علىَّ أن أقوم بها وحدى الآن».

لم تبكِ، بل اكتفت بأن رمقته.

«(فولدمورت) يستغل الناس المقربين إلى أعدائه. سبق أن استغلكِ كطعم مرة، ولم يكن هذا إلا لأنكِ شقيقة أعز أصحابى. تصورى كم الخطر الذى ستتعرضين له إذا استمررنا معًا. سيعرف، سيكتشف ما بيننا. وسيحاول أن يصل إلىَّ من خلالك».

قالت (جينى) بحنق: «وماذا لو لم يهمنى ذلك؟».

قال (هارى): «يهمنى أنا. كيف سيكون شعورى فى رأيك لو كانت هذه جنازتك.. ولو كنتُ أنا السبب...».

أشاحت بوجهها عنه ونظرت صوب البحيرة.

وقالت: «أتعرف، لم أيأس من أن تبادلنى المشاعر قطُّ. كنت دائمًا أمنِّى نفسى.. نصحتنى (هرميون) بأن أواصل حياتى، بل أن أخرج مع غيرك، وأن آخذ الأمور ببساطة فى وجودك، لأننى لم أكن أستطيع الكلام وأنت موجود، أتتذكر؟ وقالت إنك قد تولينى بعض الاهتمام لو كنت على طبيعتى قليلاً».

قال (هارى) وهو يحاول أن يبتسم: «فتاة ذكية.. (هرميون) هذه. ليتنى أخبرتك بمشاعرى من قبل. كنا سنقضى معًا عمرًا... شهورًا... سنين ربما...».

قالت (جينى) وهى تكاد تضحك: «ولكنك كنتَ منشغلاً بإنقاذ عالم السحر، حسنًا... لا أستطيع أن أقول إننى فوجئت، كنت أعلم أن هذا

سيحدث فى نهاية الأمر، أعلم أنك لن تكون سعيدًا إلا إذا طاردت (فولدمورت)؛ وربما لهذا أحبك كل هذا الحب».

لم يحتمل (هارى) سماع كل هذا، وخشى أن يلين عزمه لو ظل جالسًا بجانبها. ورأى (رون) وقد احتضن (هرميون) وأخذ يملس بيده على شعرها بينما كانت هى تبكى بحرارة على كتفه، والدموع تنساب من طرف أنفه الطويل. وبإيماءة حزينة نهض (هارى)، وأعطى ظهره لـ(جينى) ولقبر (دمبلدور) وابتعد ماشيًا حول البحيرة. شعر أن الحركة أرحم من الجلوس ساكنًا، كما أن الانطلاق بأسرع ما يمكن للعثور على قطع الـ(هوركروكس) وقتل (فولدمورت) أفضل من الانتظار..

«(هارى)!».

استدار ليجد (روفوس سكريمجور) يهرول ناحيته وهو يعرج على الشاطئ متكئًا على عصاه.

«هل يمكننى أن أتكلم معك للحظة.. هل تمانع فى أن أمشى قليلاً معك؟».

قال (هارى) دون اكتراث: «لا».. ثم واصل السير.

قال (سكريمجور) بهدوء: «كانت هذه مأساة مفجعة يا(هارى). لا أستطيع أن أقول لك كم روعنى أن أسمع بذلك. (دمبلدور) كان ساحرًا عظيمًا، كانت بيننا خلافات كما تعلم، ولكن لا أحد يعرف أفضل منى...»

سأله (هارى) بوضوح: «ماذا تريد؟».

بدا الضيق على (سكريمجور)، ولكنه عدل تعبيرات وجهه بسرعة إلى التفهم الحزين.

وقال: «أنت فى حزن بالغ طبعًا، أعلم أنك كنتَ مقربًا جدًّا لـ(دمبلدور)، بل أظنك تلميذه الأثير، الرباط بينكما...».

توقف (هارى) وكرر قائلاً: «ماذا تريد؟».

فتوقف (سكريمجور) أيضًا ومال على عصاه وحدق إلى (هارى) وقد قست ملامح وجهه.

«يقولون إنك كنتَ معه عندما غادر المدرسة ليلة رحيله».

قال (هارى): «من قال هذا؟».

«هناك من صعق أحد (آكلى الموت) فوق البرج بعد وفاة (دمبلدور). كما تم العثور على مكنستين فى المكان. والوزارة تستطيع أن تجمع اثنين واثنين يا (هارى)».

قال (هارى): «يسعدنى أن أسمع ذلك. حسنًا، المكان الذى ذهبتُ إليه مع (دمبلدور) وماذا فعلنا هو شأنى أنا.فهو لم يشأ للناس أن يعرفوا».

قال (سكريمجور) وقد بدا أنه يكبح غضبه بصعوبة: «هذا الوفاء محمود طبعًا، لكن (دمبلدور) رحل يا (هارى)، رحل».

قال (هارى) وهو يبتسم رغمًا عنه: «لن يرحل عن المدرسة إلا إذا لم يعد أحد فيها وفيًا له».

«يا ولدى العزيز... حتى (دمبلدور) لا يمكنه أن يعود من...».

«لا أقول إنه يستطيع أن يعود. لن تفهم. ولكن ليس لدىَّ ما أقوله لك».

تردد (سكريمجور)، ثم قال فيما يفترض أن يكون نبرة مراعاة للأحاسيس: «يمكن للوزارة أن توفر لك كل أشكال الحماية كما تعلم يا (هارى)، ويسعدنى أن أضع اثنين من المدافعين ضد السحر الأسود فى خدمتك...».

فضحك (هارى).

«(فولدمورت) يريد أن يقتلنى بنفسه، والمدافعون ضد السحر الأسود لن يمنعوه، لذا فإننى أشكر لك عرضك ولكنه لا يلزمنى».

قال (سكريمجور) وقد أصبح صوته باردًا: «إذن، الطلب الذى طلبته منك فى عيد الميلاد...».

«أى طلب؟ آه، نعم... أن أقول للدنيا أى عمل فذ تقوم به فى مقابل...».

قال (سكريمجور) بحدة: «..فى مقابل رفع معنويات الجميع!».

تأمله (هارى) للحظة.

«هل أطلقتَ سراح (ستان شونبيك) بعد؟».

اصطبغ وجه (سكريمجور) بلون بنفسجى بغيض جعله أشبه بالعم (فرنون).

«أرى أنك...».

أكمل (هارى): «رجل (دمبلدور) على طول الخط.. هذا صحيح».

حدق إليه (سكريمجور) لبرهة أخرى، ثم استدار وعاد أدراجه وهو يعرج دون كلمة أخرى. ورأى (هارى) (بيرسى) وبقية وفد الوزارة فى انتظاره، كانوا يرمقون بنظرات متوترة (جراوب) و(هاجريد) الذى كان مازال ينشج بالبكاء واللذان كانا لا يزالان جالسيْن فى مقعديهما. كان (رون) و(هرميون) يهرعان نحو (هارى) ومرًا بـ(سكريمجور) فى الاتجاه المضاد؛ فانعطف (هارى) وواصل سيره على مهل منتظرًا أن يلحقا به، وقد فعلا عند ظل شجرة زان قضوا تحتها أوقاتًا سعيدة فى السابق.

همست (هرميون) قائلة: «ماذا كان (سكريمجور) يريد؟».

هز (هارى) كتفيه استخفافًا وقال: «نفس ما كان يريده فى الكريسماس، كان يريدنى أن أعطيه معلومات عن (دمبلدور) وأن أصبح صبى الوزارة الجديد».

بدا على (رون) أنه يجاهد مع نفسه للحظة، ثم قال بصوت مسموع لـ(هرميون):

«اسمعى، دعينى أعود لأضرب (بيرسى)!».

قالت بإصرار وهى تشده من ذراعه: «لا».

«سأرتاح إن فعلتُ!».

فضحك (هارى)، حتى (هرميون) ابتسمت قليلاً، ولو أن ابتسامتها خفتت حين نظرت لأعلى القلعة.

وقالت برقة: «لا أتحمل فكرة أننا قد لا نعود. كيف يمكن أن تُغلق (هوجوورتس)؟».

قال (رون): «قد لا تُغلق. نواجه نفس الخطر حتى فى بيوتنا، أليس كذلك؟ لم يعد ثمة فرق بين مكان وآخر الآن، بل يمكن أن أقول إن (هوجوورتس) مكان آمن، فبها سحرة يحمون المكان. ما رأيك يا (هارى)؟».

قال (هارى): «لن أعود حتى لو أعيد فتحها».

نظر إليه (رون) مندهشًا، أما (هرميون) فقالت بحزن: «كنت أعلم أنك ستقول ذلك، ولكن ماذا ستفعل؟».

قال (هارى): «سأعود إلى منزل آل (دورسلى) مرة أخرى؛ لأن (دمبلدور) أرادنى أن أذهب، لكنها ستكون زيارة قصيرة، وبعدها سأذهب بلا رجعة».

«ولكن أين ستذهب إن لم تعد للمدرسة؟».

غمغم (هارى) قائلاً: «فكرت فى العودة إلى (جودريكس هولو)». كانت الفكرة تعتمل فى رأسه منذ ليلة وفاة (دمبلدور). «فقد بدأ كل شىء بالنسبة لى هناك، القصة كلها. ساورنى شعور بضرورة أن أذهب إلى هناك. ويمكننى أن أزور قبرى والدىَّ، كم أود ذلك».

قال (رون) «وبعد؟».

قال (هارى): «وبعد، علىَّ أن أتعقب بقية قطع الـ(هوركروكس)، أليس كذلك؟».

كانت عيناه على قبر (دمبلدور) الأبيض المنعكس فى الماء على الجانب الآخر من البحيرة. «هذا ما أرادنى أن أفعله، هذا ما جعله يخبرنى بكل شىء عنها. إذا كان (دمبلدور) على حق ـ وهو ما أنا موقن منه ـ فلايزال هناك أربع قطع منها فى مكان ما. علىَّ أن أعثر عليها وأدمرها وبعد ذلك سيتحتم علىَّ أن أتعقب القطعة السابعة من روح (فولدمورت)، وهى القطعة التى لاتزال فى جسده، وسأكون أنا من يقتله»، ثم أردف قائلاً: «وإن التقيت بـ(سيفيروس سناب) فى طريقى فسيكون هذا من حسن حظى وسوء حظه».

وساد صمت طويل؛ كان الحشد قد اختفى أو كاد، وكانت المجموعة المتفرقة الباقية تحاول أن تبتعد عن هيكل (جراوب) الضخم وهو يعانق (هاجريد) الذى كانت ولولته لايزال يتردد صداها فوق الماء.

قال (رون): «ستكون هناك يا (هارى)».

«ماذا؟».

قال (رون): «فى بيت عمك وعمتك، ثم سنذهب معك أينما ذهبت».

رد (هارى) بسرعة قائلاً: «لا ...». لم يكن يعول على ذلك، بل أراد لهما أن يتفهما أنه عازم على القيام برحلته الخطيرة وحده.

قالت (هرميون) بهدوء: «قلتَ لنا مرة من قبل: إن لدينا وقتًا للتراجع إذا أردنا. وقد مر الكثير من الوقت الآن، أليس كذلك؟».

قال (رون): «نحن معك مهما جرى. ولكن يا صاحبى، سيكون عليك أن تأتى لبيت أمى وأبى قبل أن نفعل أى شىء آخر، حتى فى (جودريكس هولو)».

«لمَ؟».

«عرس (بيل) و(فلور)، أنسيت؟».

فنظر إليه (هارى) وجفل، ففكرة وجود شىء عادىٍّ كالزواج كانت تبدو غير معقولة ولكنها مبهجة.

وأخيرًا قال: «نعم، لا ينبغى أن يفوتنا ذلك».

أطبقت يده تلقائيًا على قطعة الـ(هوركروكس) الزائفة، ولكن على الرغم من كل شىء، على الرغم من الطريق المظلم الملتوى الذى رآه ممتدًا أمامه، وعلى الرغم من المواجهة الأخيرة مع (فولدمورت)، والتى كان يعرف أنها آتية لا محالة سواء بعد شهر أو بعد سنة أو بعد عشر، أحس بالسعادة لفكرة أنه لايزال هناك يوم أخير هادئ يقضيه فى سلام مع (رون) و(هرميون).

■ ■ ■

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

هارى بوتر . . .
والأمير الهجين

كان الوقت منتصف الصيف.. على الرغم من ذلك كان هناك ضباب ليس هذا وقته يتحرك أمام النوافذ.

هارى بوتر يجلس فى غرفته بمنزل آل درسلى بشارع بريفت درايف ، ينتظر زيارة من الأستاذ دمبلدور بنفسه . كانت واحدة من المرات الأخيرة التى رأى فيها الناظر ، كانت مواجهة رهيبة بين الأستاذ دمبلدور واللورد فولدمورت وجهًا لوجه، سيذهب دمبلدور فعلاً إلى منزل آل درسلى من بين جميع المنازل.

لماذا سيأتى الأستاذ لزيارته الآن؟ ما الشىء الذى لا يحتمل الانتظار أسابيع قليلة حتى يعود هارى إلى هوجوورتس؟ بداية غير طبيعية للعام السادس لهارى فى مدرسة هوجوورتس ، حيث يبدأ عالم العامة وعالم السحر فى الاندماج.

6 221133 323710

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع